سيرة

عنترة بن شداد



المجلد الثالث

التزام مكتبة الجمهورية العربية

لسان العرب

سيرة

عنترة بن شداد

وهو الفارس المشهور والبطل الجسور سيد الشجعان وقاهر الافران عنترة ابن شداد من شعراء الطبقة الأولى — وكان من أحسن الشعراء شيمة . وأعلاهم همة وأعزهم نفسا وأقواهم بطشا وفتكا . وكان مع هذه الشجاعة التي ضربت بها الامثال لين العريكة سهل الأخلاق شديد النخوة . رقيق الشعر وقد عمر تسعين سنة ومات مقتولا — وفي سيرته من آثار البطولة وآيات الشجاعة مالا يندثر بل يبقى على مر الأيام وتسوم سيرته ما دامت العصور — وفيها يجد القارىء من الوقائع والحروب معارك مسترسلة في ميادين القتال .

﴿ الجزء الثالث عشر ﴾

يطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد

شارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) فقال الربيع وقدتبسم من مقالها ياجانة وحق ذمة العرب ما كان نيتى أن أرد الدرع على أبيك ولا ألقى الأعداء إلا به ولكن لاخيب رجاك وأنا ألقى خالدا وبنى عامر فى الدرع وأرده بعد ذلك اليه إذا انفصل الحرب وأخذنا بالثار . فلما سمعت جانة مقاله عرفت مكره واحتياله وقد علمت أنه لا يرد الدرع وأن الغدر بينهم سيقع وأن سؤالها ما نفع وباتت تلك الليلة عند جدها فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قامت مسرعة وركبت ناقتها وأخذت عبيدها وسارت وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

أبى لا يرى أن يسلب اليوم درعه ... وجدى يرى أن يسلب الدرع من أبى
فرأى أبى رأى الضنين برأيه ... وسيمة جدى سيمة الظالم الغبى
فلا ابن زهير تارك درعه له ... ولا ابن زياد أن رأى الصلح يعيب
فياقيس ترك الدرع أو فى مروءة ... عليك من الحرب المشيب للصبى
ويا ابن زياد أن ردها أن حبستها ... ستجليها حرب عقبها لكم وبى
فانى أخاف اليوم عنترة الذى ... يريد أقتناص الحرب من كل سبسب
وأن يتولى الحرب يوما بنفسه ... وأبطال عبس حوله لم يخيب

(قال الأصمعى) رحمة الله عليه ولما وصلت الجانة ابنه قيس إلى عبس دخلت على أبيها وأخبرته بما جرى بينها وبين الربيع وقالت له بالله عليك يا أبى أن أمكنك أن تترك له الدرع تركه فإنه بعد أن ردنى ما بقى يقبل سؤال أحد وان لا جحته وأن قاتلته قاتلك وينغص عليك حياتك ويكدر عليك عيشك فقال قيس وقد زاد به الحنق وتمنى أنه لم يخلق ياجانة وحق ذمة العرب والرب الذى عن عيون خلقه قد احتجب لا بد ان أقاتل جدك الربيع أشد المقاتله وأعامله أشد المعامله (قال الراوى) وقد شاع الخبر فى الحلة وقد استعجز واقيسا بالجمله وتحدث الناس مع بعضهم بالأمور الردية فى حق الملك قيس (قال الراوى) وكان عنتر قد أتى مبه فى أول قدومه وهناه بالسلامة وأبصر السلاح الذى اشتراه ولكنه ما أطلعه على ما جرى بينه وبين الربيع من الأمر الشنيع (قال) الراوى ثم بعد

قليل من الزمان بلغ الحديث إلى عنتر من عروة بن الورد فصعب ذلك الأمر عليه واشتد غيظه وكبر لديه وأتى إلى الملك قيس وعتب عليه وقال إذا صبرت على الذل ونحن بين يديك فوحق ذمة العرب لو كنت علمت بهذا الأمر أول النهار لكنت استخلصته لك في أسرع وقت وقد كنت أخذتها منه غصبا وأثرت من أجلها حربا وضربا وتركت وادي اليعمورية خرابا (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس من عنتر هذا الكلام قال أني قد رأيت يا ابن العم أن من الصواب السكوت عن هذا حتى ننظر حالنا مع خالد جعفر وندبر لنا أمرا يكون الفوز والنصر (قال الراوى) فصعب هذا الأمر على عنتر واستعجز قيسا وعا وهو يذمه ولما صار في مضربه أحضر أخاه شيبوبا الأغبر وقص عليه هذا الخبر وشاوره في هذا الأمر وقال له والله يا ابن الام ما بي من أخذ الدرع مثل ما بي من قول عمارة لقيس قل لحاميتك عنتر يخلص لك هذا الدرع لأنك اتكلت عليه وصار حاميتك وأنا والله يا أخي لولا قلب الملك قيس ابن الملك زهير ما تركت النهار يتضاحى وفي وادي اليعمورية من يخبر بخبر ويأتي بأثر كنت اشفي غليلي من بني زياد وعمارة القواد والربيع الكياد وأريد منك يا أخي أن تعارفني ببعض التدبير لعل ينطفي ما بقي من نار السعير فقال شيبوب يا أخي إن شاء الله أدبر أحسن التدبير فانهض معي هذه الليلة إذا أهل الحي نامت الاماء والعبيد وخمدت النيران من وادي اليعمورية وأنا أكمن بك في بعض نواحية وارصد بني زياد فان ظفر بأحد منهم قلنا المراد ويأخذ الذي تمسكه منهم ونخفية في مضاربنا وندعه في العذاب الشديد على الدوام ونسلكه في سلك حديد ولا نزال بالعذاب النكيد حتى يفدي نفسه منا بالدرع ولا أننا نقتل وبعد نأخذه لانبالي بنفس غيره وتكون أنت قد بلغت المراد وشفيت غليل الفؤاد من قيس إذا رآنا وقد رددنا درعه اليه فابتعبنا ولو أننا قتلنا الذي أخذ الدرع منه فقال عنتر والله يا أخي قلت الصواب وأتيت بشيء لا يعاب فلا عدمتك يا أبا رياح ولا زلت بشير الأفراح خاليا من الهم والاتراح افعل هذه العبارة هل يقع في يدنا الربيع أو أخوه عمارة وتكون سفرتنا ربحا بلا خسارة صلح لي هذا الأمر وملكنا الربيع بهذا السبب شفيت غليلي منه ويخف بعذابه بعض ما بي من الهيب والكرب وأنا أرجو ذلك أمر الله ربي وأن يبلغني ارني (قال الراى) ثم صبر عنتر حتى دخل الليل وطلع نجم سهيل وخرج هو وأخوه شيبوب وهم في زي العبيد وما معهم إلا السيوف والخناجر وهم يطلبون الوادي المتقدم ذكره وينتحبون الطريق وشيبوب يدب به في ظلام الليل وما زالوا على ذلك حتى نصف الليل الحالك وتوسطوا الطريق

والرمال وكان شيبوب سائرا وعينيه يمينا وشمالا وهو يتحدث مع أخته عنتر بن شداد وإذا قدرأى خيال جواد وهو ينهش مع هشيم البر وبين يديه انسان نايم وعليه ثياب جميلة وعامة كبيرة وقد ثقل نومه وعلاغطيطه فقال شيبوب ياابن الأم هذا رجل لاشك أنه غريب من هذه الأرض وقد أمسى عليه المساء فنام ثم تقدم اليه ووقف على عجل بخلاف الليالى الأول قنعت من عبله بنظرة وقضيت منها وطرا إلا وقعت عليك عين بشر وخفت على نفسك من الخطر فقال له شيبوب وقد خفق قلبه لما سمع ذكره لعبله وهو وأخوه عنتر وقد هزم الحسام فى يديهما حتى دب الموت من فرنده ما هذا الخبر ويلك ياابن اللئام من تعنى بهذا الكلام ومن أنت من العرب اللئام ومن هى عبلة التى تذكرها بهذا الكلام ومن هو مولاك الذى تذكره فى هذا الظلام فقال العبد وقد طار من عينيه المنام لما أبصر بريق السيوف فى جنح الظلام ياهذا ناطف وأوفق بى فما أنا أمير ولا فارس خطير بل ما أنا إلا عبد حقير ومولاى رجل طنجير لاسلمه الله بين العباد يقال له عمارة ابن زياد وهذه ثيابه التى تراها وعمامته التى على رأسى وهذا سيفه وجواده فقال شيبوب وإلى اين مضى مولاك من الاماكن وتركك هنا كامن فقال له وقد ظن أنه من بعض العرب الغرباء والله ياسيدى ومولاى أنه مضى إلى بنى عبس ليفوز بالنظر إلى وجه عبله بنت مالك بن قراد بلاه الله هو وإياها بالضر والانكاد فقد أوعبتنى رغبة تقطع منى الاولاد ولاتزول من قلبى إلى يوم الميعاد وهكذا كل قليل يأتى ولا يصيبه غير العناد التعذيب ويأخذنى ويسير من وادى العمورية وأنا يختفى عن عنتر إلى أن يأتى إلى هذا المكان والسوء أنه إذا دخل الخيام والإضارب تنكر عليه القوم عليه وتقبض عليه فقال العبد لا يامولاى لأن هناك أغراضاً كثيرة يرشيهم بالمال والكساوى فيخفوه بينهم إذا دخل ويعاونوه على بلوغ الامل فقال شيبوب هذا حديث ماتعرفه ولاتدريه انما أنت من فزعك تخترعه أخلع الآن ثيابك التى عليك وسلم إلى الجواد الذى معك وبين يديك واغد إلى حال سبيلك وإلا طار ياهذا رأسك فى البر الاقفر من بين كتفيك وتحل بك الخسارة ولاينفعك الربيع ولاأخوه عمارة فقال له العبد يامولاى من تكون أنت من الناس فقال له شيبوب ما أنا إلا من بعض العفاريت الطيارة أخلع بما عليك الآن والحق باهلك ياهذا قبل أن تهلك وتجلل من الدنيا مرتحلك فلما سمع العبد هذا الكلام لاح له وجه الحمام فتجرد له من ثيابه وخطى خطوة برجله والثانية سبقتها رأسه . قال وكان عنتر

أدكه عنه انصرافه وضربه ضربة رجل جبار وإذا برأسه عن جسده قد طار فقال له شيبوب ويلك يا أخى وأى شيء ذنب هذا المسكين فقال له عنتر ويلك يا ابن الملعونة وأى ذنب أعظم من هذا أما تعلم أن ذنبه معاونته لعمارة على نظره عبله فاريد أن أحرم أحدا يعدد أن يتبع عمارة ويعارنه على بلوغ آماله والآن هذا أمر قد سهل وقد تيسر أخذ مولاه عمارة الصقيع وقد تخلص الدرع للملك قيس من عند الربيع بعد أن اشتفى أنا من عمارة بالضرب الوجيع والرأى عندى أننا نقوده على أثره وأينما وجدناه قبضنا عليه فقال شيبوب لا يا أخى ما هذا صواب لانى أخاف أن تخالفه فى الطريق لأنه ما هو من أهل الشجاعة والبراعة حتى أنه يمسك الطريق الواضحة ويمشى على الجادة من الخوف والحذر بل يأتى على غير طريق الحذر حتى يفوز بالسلامة وحسن الظفر والرأى عندى أننا نقيم فى هذا المكان وإذا عاد نأخذه بأمان ونسير من هذا المكان ولا تكون فعلنا شيئا ثم أفسدناه (قال الراوى) أن شيبوبا فى الحال قلع ثيابه ولبس ثياب العبيد وانطرح مثل ما كان العبد وسار عنتر إلى البر وابعد وما زال كذلك حتى بقى من الليل الثلث الأخير وإذا بالأمير عمارة قد أقبل يهرول على عجل فلما أبصره جواده صهر فقال له جئتك يا صهال بعد أن شفيت ما بقلبى بنظر عبله من الأمراض والاعلال ثم تقدم إلى شيبوب وركزه بالعصا وقال له يا ابن الملعونة فى ما أكثر قومك لعن قومك واخلع يا ويلك ثيابى قبل أن يدركنا الصباح قال ومن عجلة عمارة وهجته قلع ثيابه التى هى للعبد وبقى عريانا الحال فوثب اليه وثبت الاسد الغضنفر والسيف بيمينه يجهر وقال له أدركياك يا قرنان يا غدار يا مكار فخل عنك ذكر معبيدا الاحرار فقد وقعت النار أبشر بالقتل والبوار واعلم أنك وقعت فى قبضة بنى طيار من عمار تلك القفار وساحر عليك الموت بهذا البتار وإذا بالأمير عنتر قد جاءه وقبض على عظم قفاه وكبس عليه فخرجت عيناه ومن عظم ما تصايق من يده سيب على نفسه خراه وبقى عبر لمن براه فعند ذلك تقدم اليه شيبوب وقال له ويلك ما أترب خراك لعن الله أنا لحاك ثم وشجه بالسوط الذى فى يده فعند ذلك قال لهم عمارة يا وجوه العرب اطلبوا منى الفداء فانا سيد كبير أحكم على جمع كثير ويكون فى علمكم أنى أنا عمارة بن زياد أخى الربيع الجواد وإذا لم تقبلوا عن نفسى الفداء بال والا انخلصت منكم بلا نوق ولا جمال ويهلككم أخى الربيع ولو كنتم فى أقصى الجبال فقال عنتر وقد اوجعه بالسوط على جلدة الناعم لا خير فيك ولا فى الربيع أخيك ولا أسكنتكم فوحق ذمة العرب لا بد لى أن أقطع جلدك بالضرب واشفى بعذابك قلبى وأحرمك أن تذكر عبله مع الذاكرين أو تزورها فى زى العبيد المنافقين واخلص بك الدرع الذى أخذه

أخوك من قيس وقلت أنت له قال لحاميتك عنتر يخلصها لك ويلك أن كنت لا تعرفني أنا أعرفك بنفسي يا ابن الاوعاد أنا عنتر بن شداد كما أنت عمارة بن زياد وأنا إذا ذكر اسمي تضع له الآساد وتذل له الرجال الاجلاد قال الراوى فلما سمع عمارة بذكر عنتر خرس لسانه وانهدت أركانه وأيقن بالموت بين اخوته وعلم أن زمانه خانه وضحك عليه بعد أمانه فذل بعد العز وقال بغنج وفتور وكلام كلام النسوان يا ابن العم لا تؤاخذني بعثرات اللسان فان صنيعك عم ساير الفرسان ابشر بكل ما تريدو أنا اسلم اليك هذا الدرع المشوم فقال عنتر أنا لا أقبل كلام حتى أشفي منك غليل قلبي بضرب السوط والآلام (قال) فما وصلوا إلى الديار حتى قاشى عمارة شدة لا ينساها ما بقى الحياة ولما أن وصلوا الديار وجدها خامدة دخلوا إلى مضاربهم وأخفى عنتر عمارة في بيت امه زبيبه وأصلح في الحي وكأنه ماذهب منه ومامضى ذلك اليوم حتى علم الربيع بفقد عمارة واحترق قلب أمه بناره وكذلك اخوته وما فيهم الامن يقول قتله عنتر فقال الربيع أنا قلبي يحدثني بغير هذا وأنا أقول ان قيس بن زهير طرح عليه العيون الارصاد وا غتاله وأخذه لأجل الدرع الذى أخذته منه ويأمل منى أن أفديه وهذا شيء ما أفعله أبدا الا أن كان رغما عنى ويؤخذ غصبا وان كان قد فعل ذلك فانه أطرح الورصاد على أخيه مالك وكل من وقعت به من أخوته أخذته واثخنته بالجراح وأعذبه مساء وصباح حتى يفدى روحه منى بأخي الذى اخذوه والا أمرت أخوتى أن يصلبوه وأصيرها عداوة أصليه حتى تصير مثلا بين ساير البرية ولا يخرج الدرع من يدى بالكلية ويعلم قيس من مناعلى الشر أقدر ومن اشد فى الحيل وامكر فقالت امه يا ولدى اتقطع ما بينك وبين قيس من القرابة والنسب وتصيروا مثلا بين العرب فقال نعم يا اماه لأنه درع من الدروع الجياد لأجل ميله لعنتر بن شداد فوالله لادبرن هلاكه وهلاك بني جزيمة وساير الاجناد واعمل على وقوعهم فى العطب حتى يعلموا ان مثل ما يضيع حقه ولو صبرت العرب وان كان عنتر قتل اخى واسقاه كاس المنية وصح عندى موته بالكلية فاطلب ثارى الامن الملك قيس بنفسه والاعبد شداد ماله قيمة بين العباد حتى اعاديه واطلب معه الشر والعناد قال الراوى ثم ان الربيع بن زياد معدن المكر والفساد اقام يدبر فيما يصنع من المكر والكياد ووضع على اولاد الملك زهير العيون والارصاد قال وفي اسرع ما يكون شاع الخبر بفقد عمارة بين النساء والرجال فى البدو والحضر وسمع الملك قيس الخبر وانهم يتهموه الملك قيس وعنتر فقال قيس والله لقد كذب الربيع واهتدى وهذا شيء ما خطر ببال عنتر ابدا ولا غاب عن الحلة ولا اقول انه يقتل عمارة

لانه وقع به غير مرة وخلصه من الأسر أكثر من كره ولا له عنده دين ولا مال ولو اشتهى قتله كان من مدة زمان طويل وهذا أمر لا يخفى ولا بد له ان يظهر وتقابل الربيع على ما قاله وسوق افعاله وأنا أعلم أن يطرح العيون والارصاد على من يخرج فى حاله الانفراد فالصواب أننا نحترز على أنفسنا من مكره وشره ثم أنه أوصى أخوته من الرجال والادهمنا الربيع المحتال أخوه مالك لا يضيق يا أخى من هذا صدرك ولا يشتغل فكرك وإن كنت فزعا من هذا الحال فانا أنفذ خليلى عنتر فارس الرجال وأكلفه حفظ النوق والجمال وآخذه وأخرج كل يوم إلى المرعى والعبيد قدامنا تسعى وان تعرض لنا من أحد بنى زياد أو من جميع العباد قلت لعنتر يقطع أعمار الرجال الجميع (يا سادة يا كرام) فعند ذلك قال الملك قيس لأخيه مالك هذا التدبير يؤول إلى المهالك لأن عنتر إذا وقع بيني تجدد علينا وظهر حتى ننفصل نوبتنا مع خالد بن جعفر وبعد ذلك أقابله على جميع افعاله هالك واخلص الدرع منه بغير اختيار فاجابه مالك إلى ذى الحال وقد أغاظه صبر اخيه على الأذلال وصار يخرج كل يوم مع الأموال فى جماعة الأبطال وأما عنتر فانه علم بذلك التدبير وأوصى اخويه شيبوب وجرير وقال لهم الملك قيس قد فزع من الربيع بن زياد وقد ألان له جانبه أن يخرج واحد منكم كل يوم إلى المرعى مع النوق الجمال ويحفظ أولاد الملك زهير المفضال ويقعد لهم ديدبان على رؤس الروابى والكثبان وهم يعلمون الجال وإذا رأى الربيع دهمهم على غفلة ومعه الرجال يعود إلى ويعلمنى بالأخبار فى الحال وأنا أريهم كيف يكون القتال فعند ذلك قال شيبوب السمع والطاعة فهذا ما كان من شيبوب وجرير ثم بعد الحديث الذى قد عول عليه قال له عنتر يا أمير مالك لا يضيق صدرك ولا يشتغل سرك ودع أخاك كيف يشتهى فان أخاك يراعى بنى زياد لانهم جنوده وانصاره وأما عبدك عنتر فانه قضى الحاجة من غير علم قيس بن الاجواد واشفيت غليل بنى زياد (قال الراوى) فلما سمع مالك بن الملك زهير هذا الكلام لم يدر ما معناه وبقى حائرا وفكره قد تاه وقال له كيف ذلك يا ابن العم يا مزيل الهم والغم فاخبره بقصة عمارة وكيف انه قبضه وانزل به الخسارة وانه عندهم فى الأثر والهوان يقاسى من العذاب ألوان فتعجب مالك من الأمر وقال والله يا أبا الفوارس لقد أشفيت العليل من هذا الوغد الذليل والصواب أنك تقتله مادام أمره غير معلوم وحاله مكتوم فقال عنتر يا مولاى نحن

ماقتلنا أحد من بني زياد وجرى على قلب أخيك هذه الانكاد فكيف لو قتلت منهم أحد أو بذلت سيفي فيهم فما كان أخوك قيس يرجع يجاورني ابدا ولكن الرأى السديد والأمر الحميد أن نبلغ ما تريد بتطويل الروح والمدارة بحسن الاسباب فنصير محمـــودين العاقبة عند الأقارب والأصحاب لأن عمارة ومابقى له فرح إلا بالدرع الذى أخذه من أخيك لأنه قد ضمن لى هذا من مد طويلة من الزمان وأنا إلى الآن ما اشتفيت من عذابه والهواز (قال الراوى) وبعد أيام من قبض عمارة وقع الصياح فى أطراف البيوت ودخل شيبوب على أخيه عنتر واعلمه بذلك الخبر وقال لهم قم والحق صديقك مالك بن الملك زهير قبل ان تلحقه إلا وهـــو هالك لأنه اليوم كانت نوبته لحفظ الاموال فشن عليه الغار الربيع بن الأندال وقتل من رجاله خمسة رجال وما أتيت اليك إلا وقد تركتهم فى أشد القتال فقال عنتر أى وابيك اليوم أريك قتالا تقر به عيناك ويعجبك ويرضيك ثم ركب فى الحال على ظهر جواده الابجر الذى قوائمه اقوى من الحجر ثم أنه بحسامه النظامى الأبتر الذى فى فرنده الموت الأحمر واعتقل برمحه الأسمر الذى يبقى ولايذر وخرج من البيوت والخيام كانه أسد الآجام وحرك الجواد حتى وصل إلى الوادى الذى خرجت منه الرجال وفعلت هذه الافعال فمد عينيه فرأى الربيع بن زياد واقفا فى خمسة فوارس من رجاله والأقارب الباقى احتاطوا بمالك بن زهير من كل جانب وطلبوه بالقنا والقواضب وعبيد الربيع تسوق النوق والجمال وهو فرحان ببلوغ الآمال وبأمل ان الرجال والأبطال تأسر مالك بن الملك زهير وتتجز فى هذا الحال (قال الراوى) فلما رأى عنتر هذا الأمر المنكر طار من عينيه الشرر وهدم وزمجر وشـــتم وبربر وصارت عيناه مثل الجمر الأحمر وزعق على العبيد زعقة الأسد القسور فاقشعرت من هول صرخته الأبدان وتأخرت فكانه كان مختفيا بين الشعاب كانه حاسب هذا الحساب والدليل على ذلك أنه أتلفا وحده مامعه أحد من جنده فاريد منكم المعاونة لعل ان يبلغ قلبى مناه وأنال منه ما أتمنا الربيع الغبار وزعق زعقة الجبار وقد أراد أن يبارز عنتر الفارس الكرار والفرصة فى ذلك النهار وإذا باخيه ظهر من تحت الغبار وعقله وقد انسلب هو ينادى يالعرب والله اضلاعى هذا العبد الزنيم الراعى . قال عنتر لما رآه بالعين طعنـــه قصف له ضلعين فلما سمع الربيع ذلك ذاب جسمه وذاد به الغضب والحناق وتمنى انه لم يخلق فى نفسه

الخبال وأيقن بخيبة الآمال وصاح فى عبيدة وقال ويلكم يا بنى الأندال سوقوا هذا الأموال حتى أخرج أنا إلى هؤلاء الأندال وأنزل إلى هذا العبد المخذول وأقاتله قتال الفحول لعلى آخذ لاخى عمارة بالثار ونعود كلنا إلى الديار ثم أنه صاح فى فرسانه واطاق لجواده عنانه وإذا بالرجال قد ظهرت من تحت الغبار وهى طالبة الهرب والفرار هذا وعنتر قد فرق الفرسان يمينا وشمالا وهو يطعن فى أعقابهم طعن قتال الربيع يا له من يوم ما أبشعه ووقت ما كان أعظمه فيه أهلك هذا العبد فرساننا وأباد أبطالنا وأن كان يلحقه من بنى عبس النفير لا يترك من فرساننا لا قليلا ولا كثيرا ثم أنه التفت فرأى جميع الفرسان الذين معه هاربة وإلى النجاة طالبة فعاد الآخر بطلبه النجاة طالبة وطلب عرض البر والفلاة وايقن بحلول الوفاء فعند ذلك نظر عنتر اليه ودرع الملك درع قيس عليه فاسودت الدنيا فى عينيه وأنقض عليه انقضاض الكوكب وجعله قصده والمطلب وضيق عليه البر والسبسب وطعنه بعقب الرمح فانقلب فنادى الربيع بالويل والثبور وعظائم الامور وقام على قدميه وقد أثقله الدرع الذى عليه فانقطعت منه حمائل حسامه فوثب كأنه جمل انكسر عظم سامه وكان من خوفه أن يتقيأ ما شرب من أمه من اللبن وصاح باعلى صوته يا أبن العم لا تفعل وأنا فى جيرتك يا ابن الكرام الصنيعه الصنيعه أيها المقدام فصاح فيه عنتر البطل الهمام والاسد الضرغام الآن فاتت الصنيعة يا ابن اللئام أخلع الدرع عنك وارجع بالارغام والاوحق الملك العلام خالق الضيا والظلام ومنشىء الاغم وجميع الانام ضربت عنقك بهذا الحسام وجعلت يومك أنحس الأيام فقال له السمع والطاعة يا العم يا مزيل الهم والغم اصبر حتى أخرج كمى منها ثم قلعها وسلمها اليه وظن أن روحه خارجة من بين جنبيه فعند ذلك تسلمها عنتر وعاد وقد بلغ المراد واشتفى غليله من بنى زياد من بعد ما كان محزون وجاش الشعر فى خاطره فانشد وقال

إلا يا عبلة ضيعت العهودا	وأمسى وصلك الماضى صدودا
ولا زالت صوارمنا حداد	تقد بها أناملنا الحديد
وخلينا نساهم حيارى	قبل الصبح يلطمن الخدودا
ملانا سائر الاقطار خوفا	فاضحى العالمون لنا عبيدا
إذا بلغ الفطام لنا صبى	تخر له أعادينا سجودا
ومن يقصد يداهيه الينا	يرى منا جبابرة أسودا

تدير الطعن بالسمر العوالى إذا ما الحرب أنضجت الكبودا
ونضرم نارنا فى كل أرض تذيب العظم منهم والجلودا
ويوم البذل نعطى ما ملكنا ونملا الأرض أحساناً وجودا
أنا العبد الذى يلقى المنايا حقيقى فارس الهيجا مجيدا
وفى الآفاق ذكرى شاع جهرا وفعلى فى الوادى أضحى سديدا
ولى نجم سـعيد من إله قديم قادر خلق العبيدا

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذا الشعر إلا وخيل بنى عبس طالعة من وسط الآكام وهم لبعضهم تابعين والملك قيس فى أوائلهم مثل الأسد العرين وما صدق أن يرى أخاه ومن معه سالمين فلما رآه هذا وعنتر قال له يامولاى أتعبت سرك تخل عنك وعبدك عنتر يهلك عدوك ولقد خلصت لك درعك الذى كنت بسببه حزينا وقد أشفيت قلبك من أعداك وسأبلغك منهم مناك قال الراوى ففرح الملك قيس فرحا شديدا ماعليه من مزيد قال وكان السبب فى مجيئهم إلى هذه الفرسان الذين كانوا مع الأمير مالك أنهم كانوا خرجوا على عبيد الربيع المحتال فقتلوهم جميعاً وخلصوا منهم الأموال والنوق والجمال ولما رأوا عنتر فعل هذه الفعال رجع بعضهم إلى الملك قيس واعلمه بالحال فخرج على الأثر حتى التقى أبى الفوارس عنتر وجرى ماجرى وأما الربيع المحتال فانه رجع وهو خائب من كل جانب موجع الظهر من شدة الوقعه وما حصل له تلك الفجعة وأنه حين أمن على روحه من القتال جمع من معه من الرجال الذين هربوا فى الجبال وتركوه عدودا على الرمال وكان أكثرهم ماخرج من وادى اليعمورية ولا حضروا حربا ولا قتالا بالكلية فعتب عليهم الربيع ولامهم وقال لهم يابنى عمى ماهذه الفعلة التى فعلتموها وما حضرتم هذه الوقعة ولاشاهدتموها ووقت الحاجة اليكم تخليتم عنى وخذلتمونى عن الرجال وقتال الأبطال فقالوا له وماتريد منا ياربيع أتحب أن نقاتل معك ملوكنا ونشاقق بالعداوة ساداتنا وتثير الدماء ونبقى العداوة بيننا وأكثرهم أقاربنا وازواج بناتنا وما كداك أننا جئنا معك إلى هذا المكان وتركنا لأجلك الأوطان قال الراوى فلما سمع الربيع ذلك المقال علم أنه ماينال بهم غرض ولايشفى بهم مرض فقال لهم يا بنى عمى إذا كانت هذه النية نيتكم وقد عقدتموها بينكم فارحلوا إلى ساداتكم فانى غنى عنكم وعن نصرتكم ولاحاجة لى بمجاورتكم فقالوا له نعست مرافقتك وفى إست أمك لى أموالك فها نحن راحلين وإلى قومنا واصلين قال الراوى ثم انهم

عادوا إلى بنى عبس وكان وصولهم عند طلوع الشمس وقد اعتذروا من أفعالهم إلى بنى عمهم ونزلوا فى أماكنهم وأطلالهم وأما الربيع بن زياد فإنه أرتحل إلى بنى فزارة الطائفة الغدارة فعلم عنتر برحيلهم فاطلق عمارة أخاهم بعد ما جازاه على أفعاله وقطع بالضرب أوصاله وكان قال له يا مذلول السبال وحق الملك المتعال لا تركنك طول العمر فى الاعتقال فلما قضى عنترا إربه قال له بعد ما قضيت الحاجة ما بقى فى اعتقالك من إرادة فسر إلى أخيك القرنان وذميم الافعال أفعل ما عندك فلا رحم الله أباك ولا جدك وأن فعلت شيئا فه أجازيك ثم أطلقه وهو لا يصدق بالنجاه لأنه كان آيس من السلامة والحياة (قال الراوى) وكان أخوه نزل على

التآمر على قتل عنتر من بنى فزاره



بنى فزارة معدن الخبث الطائفة الغدارة وأعاد على حذيفة جميع قصته وأطلعه على بليته وأخبره بفقد عمارة وما ناله من الذل والخسارة فقال له حذيفة ما كان يحتاج إلى نزولك فى وادى اليعمورية بل كنت تأتى إلى هاهنا ونحن كنا شددنا معك وحميناك وبكل ما نملك من أموالنا فديناك فقال يا حذيفة أنك غاية الآمال وعنتر سباله مذلول ولا تترك

تلك الفعلة لذلك الزربون الغدار الخؤن فعند ذلك قال حذيفة أما عمارة فما فات عنتر بن الانذال وما هو إلا عنده فى الاعتقال أو قتله وأخفاه بين آكام الرمال فقال الربيع والله أيها السيد الكريم مالنا غيره خصيم لكن وحق الاله القديم وزمزم والحطيم لا بد من التدبير على هلاكه ولو فنى جميع اخوتى ومن يلوذ بى من أهلى وعشيرتى فبينماهم فى تلك العبارة إذ قد وصل اليهم الأمير شرف الدين عمارة وهو على تلك الحالة التى وصفناها والقصة التى عرفنا كم اياها فصعب ذلك على الربيع وعلى أخوته وبكوا حين رأوا تغير صورته وسألوه بعد ذلك عن قصته وماجرى له فى غيبته فاخبرهم بالقصة من أولها الى آخرها وليس فى الاعادة إفادة فصعب ذلك الربيع وعلى بنى فزارة الجميع فقالت أمه فاطمه أنت يا ولدى مافرغت معارضتك لعنتر وما كفاك هذه المصائب والعبر فقال لها عمارة يا أماه والله ان القتل اهون على مما لاقيت من هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم ولكن وحق ذمة العرب لا بد لى أن أهلكه وآخذ عبلة وأبلغ منها ما أريد فقال الربيع بالله يا اخى اقصر عن هذا الكلام فقد افتتح لى باب أبلغ به كل الارب وبعد ذلك تشتت بنى عبس عند كل العرب ثم أنه وقف قائما على الاقدام واخذ يدبر الحيل ويتقن العمل وسيكون له معنا كلام إذا وصلنا اليه نحكى عليه وأما ما كان من بنى عبس فانه قد أتاهم خبر من السفار ان خالد بن جعفر جمع عليهم عرب البرارى والقفار وأنه طرح نفسه على شيخ العرب دريد بن الصمة فارسل معهم أخاه عبد الله فى جيش كبير من بنى خثعم وهوزان وجمع لهم أربعين ألف عنان وهم الجميع طالبون اليكم وقادمون عليكم فخذوا اهبتكم للحرب والقتال والا أرحلوا إلى أعلى الجبال بحمى لكم الحريم والعيال وأيضا وصل الخبر إلى بنى فزارة فانفذ حذيفة إلى الحارث ابن ظالم يطلب منه النصرة بنى على عامر واخبره بما جمع خالد بن جعفر فى هذه المرة . وقد طلب حذيفة الربيع لان يشاوره ان كان يرحل أو يقيم فى أرضه فلم يجده فسأل عنه من أخوته ومن فرسان قبيلته فقالوا أنه من منذ أيام أخذ أخاه عمارة وطلب هلاك عنتر بن شداد وإلى الآن ما عاد فقال حذيفة نحن فى شىء الربيع فى غيره ثم أنه أمر قومه أن يأخذوا أهبة الحرب والطعن وبقى منتظرا من قيس رسولا يقول له كيف يدبروا وماذا يفعل وفعل قيس مثل مافعل حذيفة لما ابلغه ماجمع خالد بن جعفر وكيف أنهم انقسموا قسمين كل قسم عشرين الف فارس أبطال فقال قيس كذب فعله وخزى شيطانه ولعن سباله ثم أنه جمع بنى عبس وفرق عليهم الزرد والدروع والسلاح وآلة الحرب والكفاح وبعدها طلب عنتر ليأخذ معه فى المشاورة فما وجده ولا سمع له خبر ولا جلية اثر فقلق لذلك وتحير

وأخذه لاجل ذلك المكر والضجر فاحضر أخاه جريرو سأله عن حاله فقال له يامولاى من مدة ليال صاح به صائح فى غسق الظلام طلب منه النجدة والذمام فركب يامولاى وأخذ معه أخاه شيبوب وإلى الآن ما عاد قال الراوى فعند ذلك صعب على قيس ودق يدا على يد وقال والله لقد فقدناه فى أضيق الاوقات ثم أنه أشار على أخوته وأعمامه فيما يفعل وقال قد رأيت انى أرسل إلى بنى فزاره تأتى إلى ههنا بالمال والعيال وتكون على الاعداء عصبه مساعده فقالوا له مارأيت الا الرأى السديد فقال الامير مالك لاخيه ياأخى لاترسل إلى بنى فزارة مادام الربيع فيهم فقال جماعة الملك قيس هذا الرأى الذى قاله أخوك هو الصواب ثم بعد ذلك أشاروا على قيس بارسال الرسول فارسل من يومه إلى بنى فزارة يامرهم بالمجيء قال الراوى وكان حذيفة بن بدر قلبه على الربيع ملان فزعا فما عاد ولا وصل الا فى اليوم الذى أتى فيه رسول قيس وكان وصوله هو وأخوه عمارة بالليل وكان سار معهم أربعين عبدا فما رجع الجميع واحد من الغد بلغ الامير حذيفة مجيئه وسأله عن حاله فقال له بلغت المقصود من عنتر بن شداد واهلكته بحيلتى وهلك معه أربعون عبدا من عبيدى وعبيدأخوتى لاننا ملكناه وعولنا على قتله أخذنا خيل غائرة وفرسان سائرة وكانت أكثر من مائتى فارس فاهلكوا باقى عبيد اخوتى وعبيدى واخذه معهم طلبوا به عرض الفلاة وقد عمنا أنه مقتول وايقنا ببلوغ المأمول والمنا بلا أطاله فلما سمع حذيفة بن بدر مقالهم قال وحق البيت الحرام أن بلوغ الانسان مناه يساوى الدنيا ومافيها قال الراوى ثم أنه اطلبه بالاحيا والتى سمعها عن خالد بن جعفر ثم استشاره فيما بعد وهل يقيم فى داره ام إلى بنى عبس يرحل واعلمه برسالة قيس بن زهير المفضل فقال له الربيع ياابن العم لانفعل دعنا ههنا تحمى حريمنا وعيا وأهلنا وأطلالنا ودع قيسا يدبر امره كما يريد لاننا اظهر منه وأقوى لاسيما إذا وصل الينا الحارث بن ظالم فى جنى مرة الملك قيس قدعلم بعدم عنتر فى هذه المرة فاسمع منى ودفع قيسا ينفصل بنفسه حتى يرى بعينه المذلة ويعلم اننا كنا نحميه وتحفظ له أرضه ومراعيه وانه لايقدر ان يلقى اعداء ويقيم فى أرضه ومرباه فقبل حذيفة ماقاله الربيع بن زياد وسمع رأيه واعتمد عليه ثم انهم اتفقوا على أن يردوا رسول الملك قيس خائبا فرده وكان الجواب لرسول قيس من الربيع أن قال له ويلك قل للملك قيس يحمى نفسه ويحفظ مراعيه كيف أراده هو وعنتر بن شداد الذى يقول أنه حاميته ويدع بنى فزارة تدبر أمرها وهى تعاونه على بعض أعدائه وأنه لولا عنتر لكان بينهم وبين بنى فزارة معاملة ولا كانت صحت عداوة خالد بن جعفر

وبنى عامر الاكابر قال الراوى فلما وصل رسول الملك قيس بهذا الجواب وفهم هذا الخطاب استصوب الجماعة وقيس رأى مالك فى الأول وقوله لاترسل إليهم رسولا فقال الملك قيس لعن الله الربيع بن زياد لأنه ماخلع لباس الكر من رجليه ولا نزول بعضنا من قلبه حتى تدور الدوائر عليه وما زالوا على ذلك الأمر حتى وصلت اليهم بنو غطفان قال الراوى فلما وصلوا ترحب بهم الملك قيس أنزلهم فى أعز مكان وشاوروا حسان فى أمر القتال فقال له ياملك الصواب رحيلنا إلى اعدائنا لأن ذلك أجود لنا فقال قيس هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ثم جعلوا يدبرون أمورهم حتى سمعوا أن الأعداء قد قاربت أرضهم فرحلوا فى ثمانية آلاف فارس ما منهم الآكل ولابس الزرد والعدد متقلدين بالسياف الهندية معتقلين بالرماح الخطية راكبين على خيول العربية إلا أن الجميع مستوحشين لغيبة عنتر بن شداد لاسيما أسيد بنى جذيمة وعروة بن الورد ومن كان يحب عنتر صار يتعصب عليه قال الراوى ثم ساروا الناس فى ذلك اليوم حتى أمسى المساء ونزل بهم الملك قيس وقال يابنى عمى خذوا اهبتكم من هنا للحرب والقتال فما يمكننا أن نبعد عن الحريم والعيال أكثر من هذا الحال قال فعند الصباح طلعت عليهم نواصى الخيل وثار عليهم الغبار حتى بقى النهار مثل الليل وصاح خالد بن جعفر فى بنى عامر وقد وصلت الجيوش والعساكر وظهروا من كل جانب وتكدرت المشارق والمغارب واهتزت الأرض من ركب الجنائب وتزاحمت الصافنات واهتزت الجبال من كثرة الصياحات والزعقات ونادى خالد بن جعفر الاما ابركه من صباح وحمل ملاعب الاسنة وطلبت فرسان العرب الحرب والكفاح ونادت بنو عبس بانسابها المتصلة وتلقت جميع الفرسان المقبلة واشتبكت الرماح مثل آجام القصب وكثر الركب والخبب حتى كادت الجبال بهم تنقلب وفتكت الاسياف فى الدروع واللبب وجرى الدم وانسكب وعظم الويل والحرب واشتد الغيظ والغضب وهان المال والمكسب وافتخرت سادات العرب ودنا الاجل واقترب وزادت الوسواس والكرب قال الراوى واصطفت الخيل فى الصدور وبان صبر الصبور وقطعت الايادى والنحور وسفكت الدماء على الأرض وهتكت الستور وحامت على القتلى الجوارح والطيور وتقابضوا باللحا والشعور وظنوا أنه يوم البعث والنشور وقد بعث الله من فى القبور فسبحان العزيز الغفور وصاح خالد بن جعفر الثار الثار وأظهر ملاعب الاسنة منعته بضرب البتار وصدمت القبائل بنى عبس تحت الغبار واندفقت عليهم مثل موج البحار واندهش الشجاع وحار وهربت الاشرار وقدمت الاخيار وماصدقوا

بانسدال الليل ومضى النهار حتى نزلوا وقد أبصروا ما حيرهم فقال قيس يا بنى عمى ما كان رحيلنا عن الحريم بصواب لأن بين أيدينا خلق كثير ولو سار أحد منهم إلى حللنا تركها قاعا صفصفا وما فى الأمر إلا أننا نعود إلى العيال ونقاتل دونهم بعد فقد حاميتنا عنتر وصعب علينا ما جرى لنا قال ثم أقاموا حتى رقد من الليل هجمة وركبوا فصاح خالد وسار فى آثارهم إلى الصباح وقد زاد طمعه فيهم فلما رأوهم قد أقتفوا آثارهم وقع بهم شدة الفزع لما رأوا الاعداء ثم انتشب الحرب بين الفريقين ووقعت المقاتلة بين الطائفتين وصارت طائفة بنى عبس تقاتل عن أنفسها وتدفع وصارت الجماجم تتطاير وسيوف المنايا تقطع وكادت الخيل من تحتهم أن تقع وانقطع طريق الطمع وسال الدم وهمع والنساء تنادى باسم حاميتهم عنتر ويصحن صيحا حامنكرا ويصرخن صراخ من فجع بحاميته هذا وعبلة قد وكف دمعها وهمع وقطعت شعورها من الحزن والجزع وتمسكت من حولها النساء وكشفن كلهن الشعور مما داهم من عظائم الامور ونادوا يا بنى الأعمام أين البطل الغيور أين من كان يستر الحريم فى مثل هذا اليوم المشهور وقالوا يا بنى الاعمام ولا تتركونا فى قبائل العرب جوارا خدام واسبياه وافضيحتاه واغربتاه هذا القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل والبلاء على بنى عبس قد نزل وغشم بن مالك قد حمل وقتل الشجعان وما أمهل قال الراوى وعند آخر النهار كشف الملك قيس رأسه وألقى ما كان عليه من لباسه ونادى فى بنى عمه وأخوته يا ويلكم يا بنى جذيمة تختاروا الحياة والهرب وتخلوا نساكم سبايا مع العرب ثم أنه حمل واستقل وفعل أخوته مثل ما فعل وحمل عروة بن الورد ورجاله ودام السيف يعمل والدم يبذل حتى دخل الليل فافترقوا عن بعضهم البعض وقد انكسر بنو عبس إلى الخيام وكذلك بنو غطفان وقد أسروا منهم مائتى وخمسين فارس على يد ملاعب الأسنة وعامر بن الطفيل قال ولما هدا الليل زاد بكاء الاطفال والنساء وكان أعظم حرقه وأكثرهم مشقة عبلة بنت مالك بن قراد لفقد حاميتها عنتر بن شداد قال الراوى وكان أكثر الرجال آيسوا من قيس وبنى جذيمة جميعا لان ملكهم بعد عنتر قد زال وانهدم وعلموا أنه أشرف على الهلاك والعدم وقال قيس وحق ذمة العرب ما كانت هيبتنا إلا بعنتر فياليت شعرى أين هو من آثار القضاء والقدر وما أصابه من الأمر المنكر ويا هل ترى يعلم ما وقع فيه بنو عمه من هذا الضرر وما حل بعبلة من الخدر والقضاء والقدر فهذا ما جرى لهؤلاء من الخبر وأما ما كان من بنى فزارة الغرر فانه دهمهم عبدالله بن الصمة اخو دريد فى عشرين الف فارس من العرب وكانوا قد تبعوه فى طلب المال والمكتسب

فقاتل بنو بزارة أول يوم والثانى ونزل عليهم التعس والنكس وكانت مصيبتهم أعظم من بنى عبس وما كانوا مستظهرين إلا بالحارث بن ظالم لأن الفارس الجيد إذا كان فى طائفة حماها وكان الربيع بن زياد قد نصح فى هذه الوقعة هو واخوته فى القتال وكان فى فرحتهم بفقد عنتر بن شداد ووقوعه فى الشدائد والانكاد قال الراوى فهذا ماجرى لهم واسمع ماكان من أمر عنتر وذلك أنه بعد أخذه الدرع من الربيع الصقيع وجرى لهم ماجرى وأطلق عمارة الربيع فبينما هو ذات ليلة من بعض الليالى إذ أراد أن ينام وإذاهو بصائح فى جنح الظلام هل من مجير من نصير أين أصحاب النخرات أين أصحاب العزمات أين من يغار على البنات العربيات ياأبا الفوارس ألحقنا ومن هذه البلية خلصنا فانا بك مستجيرا ياذا البأس الشديد أن الأعداء سبوا حريمى وعجزت عن لقاء غريمى قال فلما سمع عنتر ذلك الصوت فى الليل الهادى ألم قلبه نداء هذا المنادى فعند ذلك صاح على أخيه شيبوب وقال له قدم إلى الجواد ياابن الأم فقام شيبوب وشد عليه عدته فوثب على صهوته وسار مع الرجل المستجير به لأن العرب فى ذلك الزمان كانه كما قيل فى حقهم هذه الأبيات :

قوم إذا نادى اليهم خائف ... لبوه قبل سؤالهم عن حاله

وحموه من أعدائه حتى يرى ... شهما عزيزا عندهم بعياله

قال الراوى ومازال يركض خلف ذلك الرجل حتى مضى أكثر الليل فعندها ناداه عنتر ياوجه العرب قف الآن واخبرنى بحالك ومن هو الذى أخذ مالك فعندذلك بكى الرجل وقال أنا رجل من بنى شيبان ولى اتصال بالامير بسطام وكان معى بنت عمى وابنتى وكنا سائرين إلى بنى مرة لاختى شقيقتى فلما وصلت إلى ها هنا طلع على عشرون فارس فجرحونى وأخذوا حريمى ورجعوا فهذه شكواى وأنا قد سمعت بذكرك وأنك كثير الغيرة فقصدتك وأنا مستجير بك أيها البطل الكريم وأريد منك أن تبلغنى المراد كما سميت عنتر بن شداد قال وكان هذا الأمر قد دبره الربيع ابن الاوغاد وأرسل هذا الرجل واعلمه أن يقول هذا المقال وسار هو وأخوه عمارة فى أربعين عبدا شداد وكمنوا إلى أن يأتى مع الرجل الذى سار اليه حتى يطعموه بالاحجار الثقال ويقيموا فى وجهه الحصا والرمال فلما وصل عنتر عندهم وصار فى وسطهم صاحوا عليه من كل جانب وطلبوه بالقنا والقواضب فصاح يا بنى الروانى والله لاسلمت لكم روحى أبدا حتى أشفى فؤادى منكم بالردا ثم قفز بالجواد فتعثر فعرف شيبوب أنها حيلة فاراد أن يرمى

بنبال فدهمته الرجال ودابة من اليمين والشمال فسل الخنجر وهجم عليهم فقتل منهم خمسة عبيد وقاتل قتالا شديدا حتى جرح وتكاثرت على عنتر الرجال وكان بعضهم معلقا فى الجبال ومعهم الاحبال فقدموها أقدام جواد عنتر فتعثر ورموه بالاحجار واخذه الانبهار ثم أنه ترجل عن الابجر خوفا عليه وسل حسامه وغاص فيهم فى سواد الليل والغسق وضرب فيهم ضربا يورث النيران والقلق حتى كثر عليه رمى الحجار مع الصخور الكبار وأشرف على الهلاك والأخطار وهو صابر صبر كرام من الرجال حتى قتل عشرة من العبيد اللئام ولكن مع القضاء والقدر أتاه حجر من الأحجار الكبار فرماه على وجهه فى القفار فعند ذلك ركبت العبيد صدره وملكت قياده وأسروه وأتاهم الربيع وعمارة وأعانوهم عبيدهم على هذه العبارة وشدوه على ظهر الجواد وخرجوا به من فم ذلك الوادى وكان الفجر قد طلع والصبح قد أسفر وعند ذلك قال الربيع الزنديق اعلوا بنا إلى رأس هذا الطريق حتى نلعب فى جسده بالسيوف والمزاريق (قال الراوى) ثم أن عمارة وشجه بالسوط على اكتافه وزاد بالضرب عليه حتى انغاظ عنتر واحمرت حماليق عينيه فانقلب على صفحة قفاه وناول عمارة بالكعب فحكمه فى عين ثقبته فوقع إلى الأرض وصار على أعلى ما فيه رجلاه وبقى حاله عبرة لمن يعتبر وبعد ذلك قام على حاله والبول يتقاطر من ذيله فصاح عليه عنتر صيحة أرجف بها فؤاده وقال له ويلك يا طنجير هذا الضرب لا يصلح لمثلى وانما يصلح لمثلك أنت لانك طنجير وأما انا فيصلح لى ضرب الحسام من يد فارس همام فى مثل هذا البر والآكام فو الله ما تركت العرب منكم أحدا من بعدى فقال عمارة يا أخى أنا عولت أن أقطع يديه ورجليه لاذيقنه التنكيد وأخليه فى هذا البر يقاسى العذاب الشديد فقال الربيع لاخيه عمارة افعل به ما بدا لك وعد من قريب (قال الراوى) فبينما هم على ذلك الحال وإذا هم بعشر فوارس قد طلعت عليهم من صدر البر فتأملوها وإذا بعشرين أخرى وهى من وراءهم تركض وإذا بثلاثين وفرقة أخرى خمسين ومن خلف الجميع غبارا زائدا يدل على جيش كبير يبلغ مقداره الفا ومائتين فقال عمارة يا أخى هذه وقعه مثل الطين قال الربيع ويلك يا عمارة أقتل هذا المذلول عنتر وارجع بنا إلى أهلنا قبل أن يأتينا من يشغل قلوبنا فعندها شال عمارة يده بالسيف وهم أن يضرب به عنتر فصهل جواده الابجر ومر مر السحاب إذا انحدر وطلب الخيل المقبلة فى البر الاقفر لانه كان معودا من صاحبه بطلب الفرسان إذا أبصرها وكان الفجر قد طلع وابصرته

الخيل هؤلاء فى ذلك البر حائرين فطلبوهم من كل جانب وتسابقوا اليهم مثل السلاهب وقدموا نحوهم الرماح واكثروا من حولهم الصياح ثم أن الربيع لوى عنان جواده وطلب الأهل والديار وكان قد بقى معه عشرون عبدا من الذين كانوا معه فشالوهم الفرسان على اسنة الاشطان وتقدم مقدم القوم إلى عنتر ونظر إليه فعرفه وعرف أخاه شيبوب وقد كان رقبته فى حبل طويل وهو مع العبيد الذين هم الربيع وهو مغلول اليدين ولما أن ملكته العبيد كانت الفرسان به دائرة فاقدر على الهرب لاسيما وأخوه مشرف على العطب بل صبر وأراد أن يبصر ما يجرى عليه من هؤلاء الفرسان الذين داروا حواليه بعد أن كانوا أعداء أو أصدقاء ومن أى العرب هم بين العربان (قال الراوى) وكانت هذه العربان من بنى خولان وقد أتوا من أرض بارق فى طلب المعاش والمكسب فلما أن سمعوا بان أرض بنى عبس وقبائلها قد اختلفت وأن العرب طلبوهم مع خالد بن جعفر من كل جانب أتوا إلى ذلك المكان لعل أن يكسبوا شيئا من المال فوقعوا بالربيع وعمارة هؤلاء العبيد وعنتر وشيبوب ففرح المقدم الذى عليهم وقال لقومه أبشروا يا بنى الأعمام ببلوغ المنا بلا تعب ولا عنا واعلموا أن هذا الفارس حامية بنى عبس عنتر بن شداد واعلموا أن الملك صفوان صاحب أرضنا فى قلبه منه حرارات واحقاد لأنه قتل له ثلاثة أولاد وإذ سلمناه اليه بلغنا منه المراد فعندها أخذوا عنتر وشيبوب وقصدوا بهم أرض بارق . قال وكان الربيع وعمارة فى ذلك اليوم يا كلان كفيهما ندما الا أنها أيقنا أن الذين أخذوا عنتر ما بقوا يبقوا عليه واستمروا سائرين إلى أن وصلا إلى بنى فزارة واخبرا حذيفة بما جرى فامضى إلا أيام قلائل حتى وصلت اليهم قبائل العرب مع عبدالله أخى دريد وجرى لهم ما جرى . هذا وقد جدت بنو خولان بعنتر حتى وصلوا إلى أرضهم وشدوا الأمير عنتر فى اربع سكك من حديد وكلوا به جماعة من العبيد ثم أخذ مشاجع معه جامعة من ساداتهم (قال الراوى) لهذا الكلام المعتبر وبعد ذلك تسامعت نساء الحى بقصة عنتر وتواصفوا عظم خلقته وهول صورته فصاروا يأتون اليه جماعة بعد جماعة وينظروا ولعظم هيكله هيئته ويتعجبو كل العجب لأن الشجاعة لائحة بين عينيه وقد شاعت فروسيته فى جميع الأقطار واخباره قد سمعت بها العبيد والاحرار وكل أحد من دخل عليه عجوز كبيرة وهى غريبة من ذلك الحى وهى عند هؤلاء القوم نازلة ولما أن دخلت عليه ونظرته وعرفته فعند ذلك انكبت عليه وصارت تقبل اسافل قدميه وتقول له عز على يا أبا الفوارس أن أراك فى الحالة وقد طرقتك طوارق الزمان وصابك هذا الحدثان فقال نساء

الحى ونساء الأمير مشاجع يا عجوز من أين لك بهذا العبد معرفة وماالذى بدا لك من الجميل حتى انك تبكين عليه وتقبلى قدمه فقالت يا حرائر العرب لا تقولوا عبد فوحق الرب العظيم رب موسى وعيسى وابراهيم ما على وجه الارض أفرس منه ولا أشجع من هذا الفارس ولا أكرم منه فقالت زوجة الأمير مشاجع يا عجوز أما شجاعته فقد سمعنا عنها وهى مشاهدة على أعطافه ولكن أعلمينا أنت بالذى رأيت من كرمه فقالت لها أما كرمه ومروءته فأوفى من شجاعته وأنا أعلمك بما وصل إلينا من إحسانه وأذكره ملك وهو أن ولدى انتم تعرفون حسنه وجماله وأنا مالى غيرهم وأنه لما أراد أن يتزوج بابنة عمه طلب عمه منه المهر فأخذ معه جماعة من بنى عمه وسار فى طلب المعاش والمكسب لأجل العروس والوليمة ولما أن سار أغار على مال هذا الفتى وساق من جماله قطعة واراد أن يسير فلحقه هذا الفتى فاستخلص منه الأموال وأخذه أسيرا فى حالة الذل والنكال فبكى ولدى بين يديه وقد شكا ما يجده من محبة بنت عمه اليه وعشقه لها وأعلمه أنا ما أتى وخاطر بنفسه الا بذلك فلما سمع هذا الفتى كلام ولدى وشكواه رحمه لبكاه وحل عقاله وأعطاه الجمال التى قد غار عليها وزاده فوقها مائة ناقة وقال له خذها وارجع إلى أمك واهلك وتزوج ببنت عمك ومتى أتاك الفقر فعد إلينا سريعاً ونحن نعطيك ما تطلبه ثم إنه ودعه ورده بجميل منه فعاد ولدى بالمال الذى اعطاه له هذا الفتى وقد دخل على بنت عمه وإلى الآن ونحن نعيش فى فضلة وخيره وإحسانه وأعلموا أنه ما فى قبائل العرب من هو مثله فى الحرب ولا الشجاعة (قال الراوى) فلما سمع النساء منها ذلك المقال تعجزا من مروءة عنتر وصاروا يتقربون إليه بالطعام ويرفقون به عند الكلام وقد نفسوا له ذلك الشد والرباط وصاروا يفرشون له الفراش ويخدمونه إلى أن ينام وقد اجتمع عنده اكثر النساء يسألنه عن عبله وهو يشكو اليهن محبتها وقد باتوا عنده تلك الليلة (قال الراوى) ولما كان عند الصباح طلعت على القوم نواصى الخيل العادية ولمعت اسنة الرماح وبريق الصفاح وفى أوائل الخيل فارس جبار واسد مغوار لا تخمد له نار وهو ينادى بأعلى صوته يا مار به لمثل هذا اليوم كنت له فى الانتظار حتى ابلغ منك ما تختار ثم أنه بعد صياحه صرخ وصدم الرجال والذين كانوا معه ودخلوا الخيام وداسوا الأطناب وقد وقع السبى فى الكواعب الاتراب وقد اشتد عند ذلك المصاب ونشرن الشعور ولطمن الخدود ودقوا على الصدور وقد فزعوا من عواقب هذه الأمور (قال الراوى) وكانت هذه الخيل التى كبستهم معرجل وهو من شياطين العرب الكبار يقال له مبادر ابن جارح الأسود وكان يهوى مارية بنت الأمير مشاجع الذى عنتر فى اسره لانها ذات حسن وجمال وقد واعتدل وفصاحة مقال وقد وصل وصف حسنها فى مبادر فارسل إلى

أبيها خاطب فرده خائب أخبره بتلك المصائب قال ومن شده ما جرى عليه احضر أمه بين يديه وشكا اليها محانته فقالت أنا أعلمك بشيء وهو أنك تحتال على البغية إلى أن تراها فان أعجبتك فاجمع العساكر وقاتل أهلها وأباها وإن لم تقع بخاطرك فاتركها وأرسلها وخذ من بنات أعمامك أحسن منها وذلك يغنيك على اتصالك ببني خولان واعلم أن البنات كثير لمثلك قال فلما أن سمع مبازر الكلام قبل ما أبدته أنه له من المرام وسمع مشورتها وقد رأى أن كلامها له صواب فمن يومه قلع ما كان عليه من الثياب ولبس غيرها وسار في القوم في زى فقير من فقراء العراب وقد تحايل على الجارية حتى رآها وأبصرها بعد أن قعد ثلاثة أيام وهو بين خيامها فارتعدت فرائصه فراجع وقد شرع في جمع الفرسان من قومه وهو يطلب النصر من رب السماء وقد صار يطرح نفسه على جميع الحلماء والأصدقاء إلى أن اجتمع له هذا الجمع فارسل بعض عبيده إلى حى بنو خولان ليكشف له هذا الخبر فغاب برهة من الزمان ثم عادوا واعلمه أن الحى من الفرسان وان مشاجع غائب فى أطراف أرض بنى بارق في جمع بنو خولان فاجمع رأيه على اغتنام الفرصة وسبى مارية وأخذها غصبا قال الراوى ولما أن وصل إلى الحى هجم حتى وقع الهم في البيوب وقد علا الصباح من سائر الجنبات وما قدر أحد يرده من الفرسان فخافت البنات والنسوان السبى والانهتاك وكان أكثر البلاء والهوان والمصائب فى أبيات الأمير مشاجع لأنهم قد علموا بالقضية التى جرت وأنه من تحت رأس مارية فخافوا من العار والفضيحة والشنار وصارت مارية تنادى وهى مكشوفة مهدرلة الذوايب وتقول واذلاة واقلة ناصراه رفضيحتناه اليوم تحكم فينا الأعداء ونلبس العار ونبلى بالردا ونبلى قال الراوى فلما أبصرت العجوز المقدم ذكرها التى عرفت أنك الحى بعنتر وذكرت لهم ما جرى لولدها على يديه من المكرمات وما جرى على القوم علمت أنهن مسبيات فانت اليهن وقالت ياحرائر العرب ما بقى لكن إلى الخلاص من سبيل ولا لكن مهرب ولا ينجيكي أحد من العرب لأن أهلكن ورجالكن الجميع غياب وما فى الأعتال فما لكن إلى أن تدخلوا على هذا الفارس المنتسب الذى هو أفضل من سائر العرب فى الفروسية والحسب والنسب وتستجيروا به وترموا أنفسكم عليه وتخضعوا بين يديه ثم تسألوه النصر والمعونة وتطلبوا منه الذمام فان انتصر لكن فهو قادر والله على هلاك هذه الأعداء ولو أنهم بقدر عدد رمل البيداء لأن فيه النخوة والحمية والمروءة والغيرة على الحريم (قال الراوى) فلما أتمت العجوز هذا الكلام حتى صارت الخيل العادية معهم فى الخيام وخرجت البنات الكواعب الأتراب بالشعور والذوايب وندبت النوادب

وعظمت المصائب وخرجت النساء هاربات ودخلن على عنتر فى الأبيات وصرن يقبلن يديه ويرتمين عليه ويقلن له يا حامية عبس وعدنان ارحم ما ترى من حال النسوان وأجرنا من غدرات الزمان ثم أن مارية قالت يا أبا الفوارس أجرنى مما دهانى وساعدنى على ما به الزمان رمانى ثم أجرت دموعها وزاد نحيبها فاغتم عنتر عليها وعلى ما نالها وقد سألها عن حالها فاعادت عليه جميع ما جرى لها فلما سمع عنتر ذلك الكلام من الحريم صعب عليه فعال هذا اللئيم فقال عنتر أطلقونى وأنا أرد عنكن هؤلاء العدا وأسقيهم كؤس الردا فقالت النساء نحن خائفون من الجانبين أن نحن أطلقناك نقصد أهلك ومر بالك وان نحن خليناك تسبينا الأعداء عن آخرنا فقال عنتر يا بنات وحق من أوسع الملوك العالم بما مضى وما هو آت الذى فجر الانهار واجرى البحار وخلق الليل والنهار وزين السماء بالفلك الدوار المعبود إن اطلقتمونى من الأغلال والقيود لا أترككم حتى يفعل بى ما يشاء الملك المعبود فلما سمعت النساء كلامه ومقاله وقد صح عندهن أعماله تقدمن اليه وخلصن الحديد من يديه ورجليه واحضرن له عدته وسيفه وجحفته وقلن له أنا جوادك فانه أول ما سمع صهيل الخيل فما أمكن أحد أن يتقدم اليه إلا ويقتله برجيله فقال عنتر صدقتم لأنه معتاد من صاحبه إنه إذا نظر الخيل نزل فيها نزول السيلى ولكن اطلقوا أخى شيبوب فانه يأتى به فعند ذلك اطلقت النساء شيبوب فقام إلى الأبجر ومسح ناصيته وأتى به مسحوبا وكان عنتر غارفانى لامته ولا يساعده فنفز من الارض حتى بقى على صهوته ونظر إلى الخيل وتبسم تبسم الكرام إلى الاحباب وصاح صيحة الأسد إذا خرج من الغاب ودمدم كانه الرعد فى السحاب ونادى يا أوغاد غير اجاد أنا عنتر بن شداد شجاع المعامع والطراد ثم أنه حمل وارتمى كانه صاعقة من السما فابلى الاعداد بالويل والعمى وأبا الفرسان واستخلص منهم النسوان واخرج الابطال إلى خارج الخيام وقتل أحد عشر بطلا هماما وصال وجال وأنشد وقال .

إذا ما كنت فى قوم نزيلا ... واهسوا خائفين من الأعادى
فلا قبضت كعوب الرمح كفى ... ولا كحلت جفونى بالوقاد
أسرت بحيلة وقضاء رب ... له بطش شديد فى العباد
يسوق العبد رغما فى زمام ... إلى طرق الهلاك أو الرشاد

(قال الراوى) وهذه الأبيات مما استدل بها على أن العرب أصحاب المفاخر والرتب فرسان الجاهلية قديما يعرفون أن لهم خالق يحاسبهم على الدقائق ولذا أشار زهير بن أبى سلمى فى قصيدته المعلقة على البيت الحرام حيث يقول هذا الكلام .

ولا تكتمن الله ما فى نفوسكم ... ليخفى فمهما تكتموا والله يعلم

(قال الراوى) وقد ذكرت علماء المسلمين دائرة الدين أن سائر من تقدم من الأمم زمن أبى البشر آدم يعتقدون أن الله هو الواحد الديان عظيم السلطان رازق قديم معروف من القدم واجب الوجود غافر الزلات ومحرك الحركات أبرز الخلق من العدم لكنهم اختلفوا فى طريق عبادته فاعترفوا بالتقصير لما كلفوا أنفسهم معرفة قدره فيتبعوا فيما كلفوا ومازالوا سائحين فى بحر الضلالة وهم تائهون فى ظلمات الجهل حتى بعث النبى ﷺ باوضح الرسالة وأصدق المقالة الهادى إلى الطريق الأقوم بكلامه الأحكم الصادق المصدوق فى أحكامه الذى وعد المؤمنين بالشفاعة يوم القيامة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما يرجو بهما الكاتب والقارىء والمستمع من أمته السلامة ما غنت فى الأيك حمامة وما تناسب الأمم يوم القيامة وهو الذى يقوم من قبره ويداه على حشا ويزعج أهل الموقف بنداه ورجاه وبناى يارباه أرحم من أمتى العصى ولا تشمت بهم الطغاة البغاه فان كانوا عصوك فقد وحدك وما عصوك إلا طمعا فى كرمك لما عرفوك ثم يسجد ﷺ تحت ساق العرش فلا يرفع راسه حتى يغفر الله لأصحاب الكبائر من أمته فيسمع القداء من العلى الأعلى يا محمد ارفع رأسك فقد شفعناك فى كل من تبعك وصلى عليك وعرفك حق معرفتك وهو الرسول المكرم والنبى المعظم اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله وأصحاب الكرام إلى يوم الدين آمين (قال الراوى) ثم أن عنترة الهمام لما أخرج الفرسان والأبطال من الخيام وبذل فيهم رمحه والحسام ورأى مبادر عنترا قد قتل وفعل بأبطاله مافعله فانقض عليه انقضاض الموت المعجل وناداه ويلك من تكون من الفرسان وإلى من تنسب من الشجعان من قبل أن أقطع رأسك وأخمد أنفاسك فلما سمع عنتر ذلك المقال صاح فيه يا ابن الأنذال أنا فارس عبس وعدنان وحامى الحريم والنسوان ويلك اترك الغنيمة وأرجع إلى ديارك والأوطان قبل أن تشرب من العذاب ألوان فتبسم مبادر من كلامه وزاد به عظم اهتمامه وقال له ويلك أنت تدعى الكرام والفتوة والفخر والمروءة وتأتى من أقصى البلاد تأخذ من يدى غنيمة فارجع إلى ديارك تعجيل بوارك فقال عنتر صدقت يا نسل الأشرار ان البغى مصرع ولا يجلب لصاحبه منفعة وهذا من جملة بغيك لأنك عالميت من الرجل ابنته فارضيت أن تكون لها أهلا لخثت تسببها فى عيبته وتحرق جرمته فهذا يا نسل الحرام فعل اللئام ثم أنه حمل وجال وصال وأنشد وقال

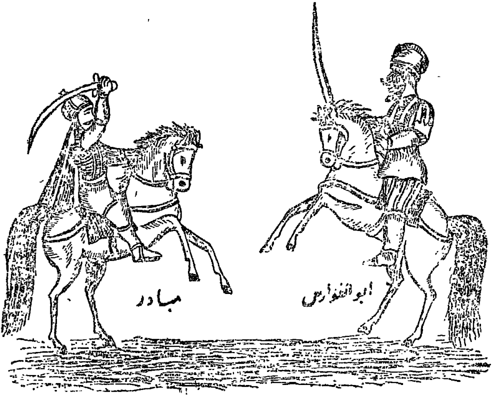
ألا أيها المغرور بين العـــوالم ... أتتك كؤس الموت فى حد صارمى

أنا عنتر العبسى قسورة الوغا ... مبيد الأعادى عربها والأعاجم

فابشر فهذا اليوم تبقى بجندل ... وتبقى طريحا للنسور القشاعم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من كلامه سمع مبادر شعره و نظامه قوى عزمه وجنانه وأطلق عنان حصانه وقوم سنانه وحمل عليه وصال وجال وأشار يرد أبياته عليه يقول

أتاك همام فاق كل العوالم ... خبير بطعن الرمح ثم الصوارم
أيا وغد عبس لاتكون مقاتلى ... فتصبح نهبا للنسور القشاعم
فسوف تذوق الموت من حد صارمى ... وطعنات رمح ماله من مقاوم



(قال الراوى) ثم حمل هو وعنتر بعد هذا الكلام وأخذ فى الضرب والاصطدام ورفع مبادر يده وطعن عنتر بالسنان فال عنتر عن سنانه وصبر عليه حتى أوسع فى ميدانه وطعنه بالرمح بين ثدييه أطلعه يلمع من بين كتفيه وبعد ذلك طلب رجاله ففرقها ونزل عليهم نزول السيل إذا هطل وسقاهم كاسا أمر من الحنظل فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وصار عبيد الحى يجمعون الخيل الشاردة والعدد المبددة ورجع عنتر وترجل عن ظهر جوادة الابجر وعاد إلى البيت الذى كان فيه فجلس عنتر فى البيت وقدم القيد إلى رجليه وقال لهم أعيدوا القيود إلى حالها فقال له شيبوب ويلك يا ابن الاماجد ما هذه الفعال الرأى الفاسد وما الذى دخل فى عقلك انك تعود إلى

الاغلال والقيود وتنتظر من يرمى رقبتك ويلك وقم وارجع إلى ظهر جوادك وخلنا نطلب أرضنا والبلاد هذا وعنتر لا يلتفت اليه ثم أن النسوان ترامو اوعلى رجليه صاروا يقبلونها وقالوا والله لا توضع فى رجليك القيود لانك أبدتنا بعد العدم الوجود فلما سمع عنتر كلامهم قال لاخيه شيبوب بحياتى عليك يا أخى ردنى إلى ما كنت عليه ولا تحلفنى باليمين وتجعل الكذب لى قرين فقال شيبوب على الاقدام وقال له يا ولد الزنا ما بقيت تقدر على أكل لقمة حرام ثم أنه شده شدا وثيقا وقرط عليه من غيظة منه هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من بنى عبس وعدنان فان بنى عامر أدخلوهم الابيات وأسروا مائة وخمسين فارسا وقتلوا أكثر من ذلك لعدم الحامى والنصير وملكوا منهم المهل والغدير ٭ هذا وقد ألقت الرجال أنفسها فى المهالك وضيقوا عليهم جميع المسالك وقدمت عليهم الاعداء من جميع الاقطار فاخرجتهم من البيوت قوة واقتدار وتحصنوا فى العلم السعدى وقد تركوا الاماء والاحرار فقال الملك قيس يا بنى عمى ذلك طاولوا القوم بالبراز لعل أن تأتينا نجدة على فرسان الحجاز فلما سمع بنو عمه ذلك الكلام وطنوا أنفسهم على شرب كاس الحمام وتوالى برازهم ملاعب الاسنة وكان آخر من برز اليه شداد أبو عنتر وهو على فرس نجدية بقوة عبسية إلى أن صار فى وسط الميدان فتذكر ولده عنتر وفاض دمعه اتحد وفزاد به الذل والهوان واحترق قلبه بالنيران فاشار يرثى ولده بهذه الابيات

ترى أى سهم من سهام المصائب ... أصابك يا ابن الاكرمين الاطايب
وأى شجاع مد نحـــوك باعه ... وباعك فى الفرسان أمضى المضارب
ترى أنت حى يا بنى فارتجى ... لقاك كما يرجى لقاء كل غائب
وإلا قتيل فى الفلاة مجندل ... ينوشك وحش البر من كل جانب
لقد عدمت أهل القبيلة فارسا ... بعد بجيش حافل وكتائب
وكنت ترد الخيل عند مغيرة ... خلاة الهوادى داويات الجوانب
أيا ولدى مذغبت عنا تبادرت ... خيول الاعادى نحوها كالسلاهب
ودارت بنا الاعداء من كل جانب ... يرومون أن يسبوا ذوات الكواعب
ودارت بنا بحر يموج عبابه ... بسمر القنا والمرهفات القواضب
وقد أصبحت أبناؤنا فى يد العدا ... وازواجنا يندبن بين المضارب
ونحن حيارى والنساء حواسر ... يقدن إلى بيت العدا بالذوائب
وعبلة تبكى من فؤاد مقرح ... اليك وتهمى بالدموع السواكب

وهاقد خرجت اليوم أبذل مهجتى والقى شجاعا عارقا بالنوائب
املاك تأتينا وفينا بقية بعزمك ياحامى حريم الحبايب

(قال الراوى) فلما فرغ شداد من كلامه وشعره ونظامه نظره بنو قراد وهو منحن على ظهر الجواد كانه النسر المعمر إلا أنه فى الحرب أسدقسور وارتفع ضياح بنى عبس من بعيده وقريب هذا وملاعب الأسنة صبر حتى قاربه شداد فنظر الشجاعة لائحة عليه فصاح فيه من تكون أيها الساعى إلى حتفه بقدميه الجانى على نفسه بيده فقال له ويلك أنا فارس الطراد الامير شداد دونك والحرب والجلاد أن كنت من الفرسان الشداد فتبسم غشم وقال والله أنك بطل غشمشم ثم حملا على بعضهما وأوسعا ميدانا وأجادضربا وطعانا ودار بينهما الجولان حتى غابا عن الاعيان وتصادما وتهاجما ولم يزالا فى قتال وجدال حتى وقع التعب بشداد وأخذه الأنبهار من خصمه الجبار فلما علم ذلك ملاعب الاسنة هجم عليه وأخذه أسيرا وسلمه إلى عربه وعاد طالبا الحرب والجلاد ونادى يابنى عبس ابسروا بالتعس فلما سمع منه قيس هذا المقال زادت به نار الاشتعال فعول أن يحمل على ملاعب الاسنه وأراد نازح أن يحمل عليه ويخاطر بنفسه فسبقه عروه إلى الميدان وتذكر أيام عنتر ففاض دمعه وانحدر وقال لاأبعد الله ركابك ياأبا الفوارس ولا أعدمك أحبابك وأنشد يقول :

تحكمت الأنذال يا أبا الفوارس لبعدك عن ربع الظباء الأوانس
لقد عدمت أهل القبيلة فارسا يلاقى عداها ضاحكا غير عابس
وكنت لنا يا ظهر عبس محاميا إذا نام عنا كل حام وحارس
فبعدك قد أوهى قوانا وهاننا وأطمع فى أعراضنا كل جالس
فكم سيد منا أسـير مقيد وكم من قتيل فى الفلاة الدوارس
وكم حرة تبكى عليك بمقـلة مسهدة من ناظر غير عابس
وشداد قد أضحى به الذل موثقا لبعدك عنا يامبيد الفوارس
ترى من يحامى عن عبلة وقومها إذا ما غبت عنهم يامبيد القناعس
ومن لك يحميها إذا أكثر العدا ويجلى صداها يوم جدع المعاطس
سقى الله قبرا أنت فيه موسد سحاب غمام غيثه غير حابس
عليك سلام الله يانكبة العدا ويا أفخر الفرسان عار ولابس
وجادت عليك المزن فى كل ساعة وحى ترمى مسواك بين الدوارس

قال الراوى ثم أن عروة بعد أن فرغ من نظامه حمل على ملاعب الاسنة وأخذ فى حربه وخصامه وضاق بهما الخناق وهما على ظهور الخيل العتاق وكان عروة فارسا جبارا و بطلا مغوار إلا أنه لم يكن من طبقة ملاعب الأسنة ولا من أنداده فمال عليه غشم فاخذه أسيرا فالتمى الملك قيس البيضة من على رأسه وصاح يا بن عمى هذا يوم بذل الأرواح فبيعوا أنفسكم بيع السماح وموتوا كراما ولا تعيشوا لئاما فهذه نساؤكم قد هتكت ودماء رجالكم قد سفكت وفوسانكم الأجواد أسرت ثم وضع يده فى قربوس سرجه وحمل وحملت خلفه اخوته وعلا خلفهم صياح النسوان وكثر عليهم الهم والاحزان وصاح خالد بن جعفر فى الرجال الذين جمعهم الأبطال دونكم هذه العصابة اليسيرة والطائفة الحقيرة التى كرهت الحياة وبذلت الأرواح إلى الممات وابشروا بسبى النساء الملاح وأخذ المال المباح فعند ذلك حملت المراكب وتدفقت الكتايب فى طلب بنى عبس من كل جانب وبذلوا فيهم القنا والقواضب وسد فى وجوههم جميع المذاهب فتبددت الأجسام على التراب وهلك الشيوخ والشباب فاستغاث الحريم إلى رب السماء لما رأوا الدما وهول الحرب فبينما هم فى تلك المصائب إذا طلع عليهم غبار سد جميع الأقطار وارتفع وعلا فظهر من تحته سيوف تلمع ورماح تلمع وتتدفق مثل السحاب إذا همع فلما رأى بنو عامر ذلك الغبار والقتام فكفوا عن ضرب الحسام ووقفوا ينظرون إلى تلك السيوف اللامعة وإذا هم بخمسمائة فارس كرار مغوار يقدمهم فارس كانه ليث عابس أدهم فرس أدهم أغر ململم وهو ينادى بصوت ملا السهل والجبل ويلكم يا أوغاد غير أمجاد كفوا عن الحريم والاولاد فقد أتاكم عنتر ابن شداد مبيد الفراعنة الشداد ثم حمل وحمل معه من الفرسان خلفه واشتد الطعن واتصل وحمى الحرب والكرب بالأعداء نزل وتباشرت بنو عبس بالأفراح وترك نساؤكم البكاء والصياح وتحقق لهم النصر ولاح ونادت الملك قيس فى تلك البطاح ابشروا يا بنى عمى بالنصر فقد أتى الفارس الجحجاح أسد الحرب والكفاح فقوى العزم والهمم ومكنوا السيوف فى القمم فعند ما سمعت بنو عبس الكرام هذا الكلام زالت غمهم وقويت عزائمهم وحملوا حملة واحدة فصارت منها جمرة والأعداء خامدة فلما رأى بنو عامر قوة بنى عبس وشدة طعنهم تحقق عندهم قدوم عنتر بن شداد ورأوا ضربا به وهى تهوى إلى الإقبال تقطع منهم الآجال أما خالد بن جعفر فانه صاح فى قومه ومن معه الأبطال عودوا إلى المنزل الذى كنا به والخيام حتى نبذل فى الأسارى الحسام أو ننتقم منهم غاية الانتقام فانى علمت أن الأمر

آيل إلى الانهزام حيث وصل إلى هذا الأسود الشيطان الذى كانه مارد من مردة الجان لأنه فارس لا يلتقى ولا يبالى بحرب ولا شقا ثم أن خالد بعد هذا الكلام قصد البر وتبعته الشجعان وترادفت خلفه الأقران إلى أن وصل إلى المكان الذى به الأسارى وأراد أن يذيقهم كاس الحمام وإذا هو بضجة من وسط الخيام قد علت وصيحة زادت وارتفعت والأسارى قد أقبلت كأنها رسل الحمام وشعلة نار لها اضرام (قال الراوى) وكان خلاصهم من الكرب على يد الأمير شيبوب لأنه وصل اليهم وفرسان بنى عامر مشتغلة بقتال عنتر فخلصهم من الأسر والضرر وأحضر لهم آلة الحرب والكفاح فى لمح البصر فكانت عدتهم مائتين وخمسين فارسا شداد يقدمهم عروة بن الورد والأمير شداد فلما نظرهم خالد بن جعفر أيقن بمزمعه بالموت الأحمر فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وقال لقومه أقصدوا بنا بنى فزارة حتى ننظر ما جرى لهم مع عبد الله أخى دريد بن الصمة وبنى هوازن أصحاب العزيمة والهمة واعلمهم ان الجيش الذى كان معنا انهزم فطلب البر والأكم ثم قصد عرض البر وسار وجلت بهم الهموم والافكار وبعد مسيرة دام القتال وقوى ضرب السيف الفصال ساعة من النهار فولى بقية الفرسان الأدبار وركنوا إلى الفرار ٭ هذا وملاعب الاسنة لما رأى رايات خالد ولت أبطاله انفلت هو أيضا بالفرار يريد النجاة من خوفه من عنتر أن يعدمه الحياة لأنه نظر من حربه الهول العظيم ثم دار بنو عبس بعنتر يهنوه من كل جانب بعودته سالمًا من المعاطب وصار عنتر يحكى لذلك قيس على قصته وما تم له مع مشاجع لما خلصه من الربيع واخوته والملك قيس يتعجب من ذلك قال الراوى وكان السبب فى خلاص عنتر أنه لما قتل مبادر أعاد إلى القيود كما تقدم وجعل النساء يدعون له ويحترمنه مدة ثلاثة أيام ثم بعدها أتت رجال بنى خولان الذين ذهبوا الاجل أن يبشروا صفوان بن مراد بوقوع عنتر بن شداد ففرح وضمن لهم المال الكثير من النوق والدنانير وعادوا طالبين أهلهم والأطلال فلما وصلوا رأوا أهلهم فى مغانى وأفراح فسال كل واحد أهل بيته عن هذا الحال فاخبروه بما جرى لهم مع مبادر من الحرب والقتال ولما رأى مشاجع رأس عبادر على بيته فوق رمح عال سأل عن ذلك فاخبره أهل بيته أيضا عن فعل عنتر به ورده السبي وقتله لمبادر وكيف حمى الحريم ورجع إلى القيد بعد دفع الغريم فقال مشاجع والله ماهو إلا رجل كريم وأسد عظيم ومثل هذا يجب أن نتخذه صديقا لكل شدة وضيق ثم اجتمع سادات الحى مع مشاجع ودخلوا على عنتر وقبلوا رأسه وبين عينيه وخلعوا عليه جميل الخلع وصاروا

يتقربون اليه بالاحسان إلا أنه كان فى بنى خولان رجل يقال له منير يتمنى قتل عنتر لأنه قتل له أربعة أولاد فقال لمشاجع ياأمير أنت سرت إلى صفوان وبشرته بوقوع عنتر فارس بنى عبس وعدنان فضمن لك المال الكبير والاحسان الغزير وها أنت عولت على أطلاقه من شدة بعد ما ربطت لسانك معه وهو مالك هذه الديار وحاكم هذه الأمصار فما جوابك له إذا أرسل يطلب منك خصمه فقال له مشاجع والله لم يكن أكبر مما فعله عنتر حيث أننا أسرناه وأردنا ذله فنابلنا هو بكرمه وشجاعة الرجال وقاتل أعداءنا وحمى حريمنا وحفظ أعراضنا والله ما بقى لى يد اليه بسوء تمد (قال الراوى) فلما سمع النساء كلام منير فمن اليه وفى أيديهن أعمدة البيوت وصرن يضربنه حتى أشرف على الممات ثم أن النساء قلن وحق الملك الديان لو أتى هذا الرجل كسرى أو النعمان خرجنا اليهم فى الفلاه ورددنا عنه أعداءه فوحق ذمة العرب وشهر رجب إن لم تسرر جالنا فى خدمته إلى أهله وعشيرته لا نصاحبهم أبدا ولو سقينا كؤس الردا فقال لهن مشاجع أرجعن إلى بيوتكن فقد قبلنا كلامكن ثم اختار من قومه مائة فارس فلبسوا السلاح وعزموا على الرواح فشكر عنتر القوم وأراد أن يحلف عليهم ويردهم فقال شيبوب دعهم يسيروا فانى أظن أن الأعداء خربوا ديارنا ونهبوا أموالنا وأطلال فاذا ساروا معنا أعانونا على لقاء الاقران فاستصوب عنتر رأيه ثم إنهم ركبوا وخرجوا من الديار وساروا يقطعون البرارى والقفار وعنتر سائر بجانب مشاجع وهو يتذكر فى نفسه ما فعل معه الربيع بن زياد ونجاه من ذلك الشر والفساد وسخر لخدمته أولئك السادات الأجواد ثم تمايل وأنشد يقول :

من لى برد الصبا والله والغزل ‏ هيهات ما فات من أيامنا الأول
طوى الجديدان ما قد كنت أنشره ‏ وأنكرتنى ذوات الأعين النجل
وما ثنى الدهر عزمى من مهاجمة ‏ والأسد تحذرنى فى السهل والجبل
وقد نهانى النهى عنها وأذبنى ‏ فلست أبكى على رسم ولا طلل
بل من فراق التى فى طرفها حورى ‏ ضنى فؤادى بما فى اللحظ من كحل
تصيد أسد الشرى باللحظ أن نظرت ‏ والصمت فى سقم منها وفى وجل
يا بنت عمى ليس العشق من شيمى ‏ فى حلة الحرب بل فيه انتها أملى
بالصافنات وبالهندى لى شغل ‏ وما الصبابة والصهباء من شغلى
ذرينى لفرى وكرى فى معامعها ‏ كالليث أمشى كمشى الشارب الثمل
سلى الابجر عنى يوم يحملنى ‏ هل فاتنى بطل أوحلت عن بطل

كم من جيوش أبادت همتى فزعا وكان أبطالها كالعارض الهطل
وغمرة خضت أعلاها وأسفلها بالضرب والطعن من بيض ومن أسل
مالى أرى عدالى يستقطرون دمى الست أولا هموا بالقول والعمل
لا يرعوا بالملام الدهر عن أسد بالليل مشتمل بالجر مكتحل
من الربيع ومن ندل يعارضنى فى عبلتى وهواها وحدها شغلى
فانما أنا من قوم مفاخرهم مشهورة أبدا فى السهل والجبل
أريد أفنك فيهـــم ثم يمنعنى حلمى وعفوى وأقدامى ومحتملى
فمن أراد فخار مثل مفخرتى فليقطعن العدا كالفارس البطل

(قال الراوى) فلما سمع بنو خولان من عنتر هذه الأبيات تمايلوا طربا واهتزوا عجبا ثم جدوا فى المسير حتى أسرفوا على الديا وشاهدوا الضرب بالبتار فحمل عنتر وبنو خولان قد فرقوا بنى عامر وأبلوهم بالبلاء العامر وجرى وسمع قيس آخر الحديث من عنتر ابن شداد فزاد تعجبه وفرحه وطربه وقال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ان حديثك طرب فرسان عرب اليمن والحجاز ولابد أن نجازى هذه الفرسان بما تقدر عليه من الاحسان أن أسعفنا بذلك الزمان ونحن انتجز امرنا وانطفاعنه الشر والضر والبؤس والحذر ولا فكرة لنا إلا فى خالد بن جعفر لأننا يا حية عبس إن لم نهلكه لا يطيب لنا عيش من الديار ثم أنه أخبره بقضية بنى زياد وما أخلطهم من القبائل وقال له يا أبا الفوارس كنت قبل أن تقدم علينا اما عداك انفذت اليهم أطلب بجيشهم الينا لنكون يدا واحدة على لقاء الأعداء تحصل لنا بهم الساعدة فما فعلوا وما تركهم الربيع يقاتلوا معنا بل انفضلوا منا ومن علينا حذيفة بالمعونة التى بها عاونا وقال أنا لولاك يا قيس ما كان بينى وبين خالد معاملة وأنا خائف أن يجرى عليهم أمر من الأمور أو يقتل منهم أمير مشهور والصواب أن نسير اليهم عند الصباح ونساعدهم على الحرب والكفاح ونخلى لهم أدنى مقال ولا حالا من الأحوال فقال عنتر يا ملك الزمان والله أنها غيبة زائدة كيف اسير واساعد الربيع وحذيفة وهم لو تمكنوا منى ما أبقونى طرفة عين بل يسقونى كؤس البين ولكن لأجل خاطرك اسير اليهم واساعد الربيع وحذيفة بعد أن تودع هؤلاء الأقوام الكرام ونسير جميعنا اليهم بالتمام قال فلما سمع مشايخ الكلام قالوا والله يا أبا الفوارس وبازين المجالس لو طارت رؤسنا بين يديك حتى تقتضى أشغالكم وتأمنوا فى دياركم قال الملك قيس جزاك الله خيرا ولا لقاك بؤسا.

ولا ضير ثم إنهم صبروا حتى استراحت الناس وذهب عنهم الوسواس وأقاموا حتى ولى الليل الحالك وأقبل الصباح الضاحك ورحل قيس بالفرسان طالباً بنى فزارة ورحلوا معهم بنو خولان وبنو غطفان وعنتر سائر وعروة بجانبه وهو يقول والله يا أبا الأبيض أنها مصيبة عظيمة كيف أسير إلى أعدائى وأنقذهم من الشدايد والنوائب ثم أنه تنفس من فؤاد مصدوع وقلب موجوع فزاد عليه الهم والغم لانه قد تنفس كمداً وأبدى لوعة وصبا وأنشد يقـــول

أسير إلى الربيع وقومه ولست إذا ثار العجاج بجالس
ولولاك ياقيس لما كنت سايرا إليهم ولكن أنت عزى وحارس
فزاره تبغى كل يوم حروبنا ولكنهم فى الحرب رغم المغاطس
لأن ملوك الأرض تخشى مضاربى وطعنة رمحى فى صدور الفوارس
ولى همة فوق السماكين رفعة وفى النقع اسطوا كالهزبر المداعس
وإن كان لونى أسود فعايلى صباح وخوفى فى قلوب القناعس
وقد علمت كل القبائل أننى همام كمى ليس جدى بناكس
لأنى مجيـد الطعن فى كل معرك واصرخ فى الهيجا هل من منافس
تذل ملوك الأرض من خوف سطوتى وفى الحرب افنى الكماة الأوشاس
وسيفى ينادينى إذا ثار قسطل ألا فاسقنى صرفاء دماء الفوارس
ورمحى فى يوم الكريهة عابس عليه سنان مثل لمعة قابس
وقد وكلت الأبطال من عظم هيبتى وهابت لقائى الأسد من كل عابس
وأنى قد ذللت يابنت مالك بحبك يازين النسا فى المجالس
أيا عبلة لو شاهدت فعلى وموقفى إذا ثار نقع فى الفلا كالحنادس
هنالك ترينى أسطيها بهمه يقصر عنا كل عار ولابس
أنا عنتر العبس فارس قومه ولى همة فى الحرب تردى القوابس

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات طربت بها السادات وقال له الأمير مشاجع أنت سيد بنى خولان والملك قيس سيد بنى عبس وعدنان لارد الله فاك ولا كان من يشناك ثم أنهم جدوا فى المسير حتى أشرفوا على فزارة فرأوهم فى الذل والخسارة لانها قاست من بنى عامر حرباً يفطر المرائر وكان من حالهم مثل ما كان من حال بنى عبس أعظم لانهم غمروهم بكثرة العدد وزيادة المدد وفاضت عليهم مثل ما يفيض البحر الزاخر إلا أن الحادث ظالم

قاتل قتالا لاتعجز عنه الفرسان الشداد والأبطال الأمجاد حتى زاد عليه الجمال فصبر إلى آخر النهار وأخذ قطعة من الأموال حذيفه وأخذ جماعته وقتل جماعة من فوسان بنى فزارة وقصد عرض البر الاقفر وباتت بنو فزارة حتى أصبح الصباح وقامت الفرسان لطلب الحرب والكفاح وافتقدوا الحارث بن ظالم فاوجدوه وافتقدوا حذيفة أمواله فوجدها قد فقد منها قطعة جيدة فقال قاتل الله الحارث بن ظالم وقتله ما أخبثه وأجهله فبينما هم فى ذلك الحال وإذا بالاعداء وقعوا فيهم بالحسام والرمح والعسال ولعب السيف فى بنى فزاره وقد أيقنوا بالذل والخسارة واحتاج الربيع أن يبذل نفسه هو وأخوته لاطراف القنا ووطنوا أنفسهم على الموت والقنا وحلت بهم الاتراح وبقوا أشباحا بلا أرواح حتى أقبل الليل وأنزلوا بهم الذل والويل ودافعوا عن أنفسهم حتى قرب الصباح وإذاهم باسنة الرماح الماء الزلال على كبد الظمآن وكان عبدالله بن الصمة قد وصل اليه خالد جعفر فسأله فقال عبدالله وكيف تم عليك هذا الحال وشتت أبطالك فى الجبال ونحن قد أتتنا الاخبار أنك انتصرت على بنى عبس الاخيار وحصرتهم وطال عليهم الحصار فكيف تم هذا عليك ووصل شرهم اليك فاخبروه بخبر عنتر وكيف كان غائبا وحضر فكسرنا وشتتنا فى القيعان لأنه قد أتى وصحبه بنو خلان ومالوا علينا بالضرب والطعان والصواب أنك تقاتل بنى فزارة بالليل حتى تبيد أقصاهم وأدناهم قبل أن يأتى عنتر وينجدهم فبينماهم على ذلك الحال إذ طلعت عليهم نواصى خيل بنى عبس العاديات ومقدمهم عنتر صاحب الهمات وطلبوا الحرب والطعان وحملت الاقران وقصدوا الفرسان ونكسوا الشجعان وصار عنتر يقصد الاعلام ويخوض القتام وهو يطعن فى صدور الرجال ويبيد الأبطال حتى اتسع عليه المجال وبنو خولان تحمل من خلفه كجملانه وتتفرج على طعانه وتتمنى أن يعود معها إلى الديار ويعطوه الأمرية عليهم ليحكم فى الأشرار منهم الاخيار هذا وقد اشتد من نيران الحرب الوقود وعملت الاسنة فى الصدور والكبود وغابت الابطال عن الوجود وعلا الغبار حتى صار مثل الرواق الممدود ومالت الأعلام والبنود وعادت الوجوه البيض سود وكانوا بين ناقص الحظ ومسعود وحاضر ومفقود وقاصد ومقصود إلى أن ملت النفوس ولعبت حوافر الخيل بالرؤوس ووصل إلى بنى هوازن الضرر والبؤس وقضوا يوما عبوس وطعنا يشيب النواصى والرؤس فنفرت مثل ماينفر النعام وتفرقت بين الروابى والآكام وأما عبدالله أخو دريد بن الصمة فانه لما علم بانفلال العرب ودارت العطيات فطلبوا الروابى

والفلوات ونجا خالدا بنفسه وقد خمد حسه ثم تفرقت المواكب والجيوش وتركوا قتلاهم رزقا للوحوش ولما انفصل الحرب والقتال وبطل الطعن والنزال عاد عنتر يطلب أرض بنى عبس قبل معيب الشمس ومعه أبطال بنى خولان وأبوه شداد وعروة بن الورد وفرسانه الاجود ومارضى أن يقابل الربيع بن زياد ولاحذيفة بن الاوغادبل أنه رجع وهو ينشد ويقول

سلى السيف فى يوم الوغا عن فعايلى ... وضربى به بين الكلى والمفاصل
وعن رمحى العسال فى النقع كم به ... طعنت لسادات كرام أفاضل
وكم قسطل قد خضته فوق أبجر ... أنادى باعلا الصوت هل من منازل
إذا مارآنى القرن يرمى سلاحه ... مخافة سيفى الهندوانى ذايلى
وكم بطل أوديته بمهند ... يمج نجيعا من حتوف الفواصل
وشردت فى البيداء أبناء عامر ... على صهوات العاديات الصواهل
يتيهون فى البر القفار تعسفا ... مخافة باسى رهبة من فعائلى
الافاعلى يا عبله كم من فوارس ... قتلت فاضحى مثله فى المنازل
وكم بطل يوم النزال أسرته ... فمات وخانته جميع الوسائل
تركت جديلا خالد بن محارب ... على الأرض ما أواه غير الجنادل
وحزت لاموال العراق جميعها ... وقد عان كسرى حائرا من فعايلى
كذا الخسروان القرن فرقت جيشه ... وأرديته فى الحرب بين الاماثل
وأرديت هذا البدرموط بضربتى ... وقد عجزت عنه ليوث الحجافل
جليت عصافير النياق لاجلك ... وتاجا لكسرى ماله مماثل
أنا عنتر العبسى حامى قبيلتى ... كريم شجاع حالك اللون باسلى
أنا البطل المغوار فى كل معرك ... أنا أسد الهيجا كمى الحلائل
فان كان جلدى أسود اللون فاحما ... فبيض فعالى زائدات المباهل
ولى همة السماكين قد علت ... وأقبال سعد بالسعادة شامل
ولى كرم اسنى وحسن ومودة ... وبيتى مأوى للضيوف النوازل
وكل ملوك الأرض يخشون سطوتى ... وقد شاع ذكرى فى جميع المفاصل
ويسبق طعنى الحتوف مع الردا ... إذا الروح وافى من جميع المفاصل
ويخشى مراسى الموت حتى لوانه ... يريد قرار عاجلته أناملى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذا النظام ترنحت له الفرسان وطربت أبطال بنى خولان حتى وصلوا إلى الأوطان فعمل عنتر لهم الولائم وبذل المجهود للرجال الأكازم مده سبعة أيام وفى اليوم الثامن قدم عنتر إلى الفرسان الخيول الحسان وخلع على مشاجع سيد بنى خولان خلعة من ملابس الملك النعمان وقدم لهم حجرة عربية وخمسين فصيلا من النوق العصافيرية وخمسين ناقة من نوق جبل الدخان فسار القوم وهم شاكرون لانعام عنتر وكذا شكروا الملك قيسا وساروا قاصدين ديارهم ورجع عنتر من ورائهم ثم أن قيسا جعل يأخذ بخاطر عنتر ويقول له لاتحزن ياأبا الفوارس على مافعل معك الربيع ابن زيادة ومن سل سيف البغى قتل فطاب خاطر عنتر بهذا الكلام ولم يزلواوهم فى حديث وكلام حتى وصلوا إلى المضارب والخيام واستقر قرارهم وبقى الملك قيس منتظر أخبار خالد بن جعفر واتفادت له الفرسان بهيبة عنتر وكان إذا حضر معه على الطعام وابصر بقصيره فى الطعام بطيب قلبه ويقول له يا فارس عبس وعدنان مابقى فكر الا فى قتل خالد بن جعفر لانى اشتهيت أن أزف عبلة اليك لكى تكون رأس خالد على رمح عال لأنه مادام خالد سالما ماأقدر أن اغصب عمك على مالايريد وأفرق شمل العشيرة ومن خلفى ذلك الشيطان المريد فكان عنتر إذا سمع هذا الكلام يتسلى على كل حال ويتعلق قلبه بأذيال المحال فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من خالد بن جعفر فانه لما انهزم من الوقعة الثانية سار حتى وصل إلى حلته فرآها منقلبة بالبكاء فجمع أكابر قبيلته ومن جملتهم أخوه الأخوص بن جعفر واجمعوا أمرهم على المسير إلى أرض العراق فى عشر فوارس من الرفاق وقال الأخوص على أن أدخل على صهرى الملك الأسود لأنى أعلم أن أخبارنا وصلت اليه وهو كل حال صهر بنى عبس ولا بد أن نذهب اليه ونسأله فى اصلاح الشأن وإلا فما يترك منا إنسان ثم قصد أرض العراق فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من الحارث بن ظالم فانه لما انهزم من أرض بنى فزارة وانحدر إلى العراق فى عشرة من الرفاق وأراد أن يعلم الملك النعمان حتى أنه يفصل بين الطوائف وكانت له أخت متزوجة فى الحيرة برجل يقال له سنان بن أبى حارثة وكانت تسمى سلمى وكانت داية لأولاد الملك النعمان وكان للنعمان معها ولد قد ربته يسمى شرحبيل وكان الملك النعمان يحبه وروحه معلقة به وكان من زوجته القديمة ضر المتجردة ولما نزل الحارث إلى العراق قصد زيارة اخته وعول أن يحدث النعمان بماجرى على بنى عبس

وعدنان ويطلب منه أن ينفذه اليهم بأن يكون هو المقدم عليهم حتى أنه يزداد عند العرب قدرا إلا أنه اقام أكثر من ثلاثة أيام حتى وصل خالد وأخوه والقوم الذين صحبوهم من بنى عامر ودخلوا على الملك وبكوا بضجة وانتحاب وشكوا اليه حالهم فقال الملك قدوصلنا الخبر انك قد جمعت على بنى عبس جميع عرب البر الاقفر وبذلت فيهم السيف الابتر واسرت أقرنهم وقتلت ملكهم زهير وقتل ثعلبة بن الاعرج الصياد وولده شاس والحارث بن ظالم حدث اخى النعمان بفعلك وقبيح عملك وعول أخى أن ينفذ معه عسكرا إلى قتالك وافناء رجالك وارك تشكو منهم وتجعل الذنب منهم فكيف هذا الحال فلما سمع خالد هذا المقال اظهر البكاء والعويل وقال يامولاى أن الحارث حدث بما سمع وماعلم بعده بما جرى علينا لاننا ياسيدى من أول حدثنا إلى آخره مظلومين لان الملك زهيرا فى حاله حياته وشدة اليأس اتهمنا فى ولده شاس وما كان عندنا منه خبر ولا نعلم من قتله من البشر لانهم ذكروا أن الذى قتله هو ثعلبه وقتل فرساننا بسببه ولولا الشهر الحرام مافارقناه ولما قابلته فى مكة حكى لى أنه يريد قطع قبيلتنا من بين الانام وفى الوقعه الثانية التى صارت بيننا قتل منا الفا ومائتين بطل وعندهم عنتر يشد بأنهم قتلوا منا فى غير هذه الوقعة وانزلوا بنا الذل والفجيعة ولما أبصرنا باعيننا الهوان خفنا من الهلاك وخفض الشأن فطرحنا أنفسنا على دريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة فانجدنا بالجيوش والفرسان وسرنا إلى بنى عبس وعدنان قصدناهم وكنا رابحين ولكن انجدهم عبدهم الهجين لانه كان غائب فاقبل وشتت جمعنا والكتائب ولم يقبل راجلا ولاراكب وقتل الفرسان وأباد الاقران وأورثنا الذل والهوان ولو رأيت أيها الملك حلتنا ونظرت حالتنا كنت رحمتنا والنسوان حاسرات والبنات لاطمات والبيوت من اهلها خاليات ثم انه بكى واظهر الحسرات وأطلق دموعه مسلسلات وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

فجعنا فى البنين وفى العيال	وحل الذل فى أرض الدلال
وراح العز عنا فى انهزام	وأبيات لنا عادت خوالى
فلو شاهدتنا لبكيت حزنا	على حزن البنات ذوى الحجال
واصبح جمعنا فى افتراق	وامسى حالنا فى سوء حال
وصرنا خائفين من الأعادى	وعدنا نندب الطلل الخوالى
ديار الأمن عادت دار خوف	وقد شان الزمان بالانتقال

فلما سمع الملك الاسود من خالده هذه الأبيات فاضت دموعه بالعبرات وترك العتب واللوم وضمن لهم إصلاح الحال وأنزلهم وأكرمهم ومن الغد دخل على أخيه النعمان وكان قد وصل إليه خبر قتل زهير ولبست عليه المتجردة السواد ولزمت البكاء والتعداد وكانت كلما سألته أن ينصر قومها ويساعد قيسا أخاها فيقول لها أن جاءني منهم رسل يطلبون النجدة أنجدتهم ولكن أنا أعرف أنهم قادرون على أخذ ثأرهم ولو أن أعدائهم بعدد الجراد وكان الملك مراده أن يذل بنى عبس بكل سبب حتى أنها تدخل تحت طاعته مثل جميع العرب إلى أن دخل عليه أخوه الاسود وأخبره بكل ما جرى وتجدد فتعجب من ذلك وقال لا أرى الصواب الا أصلح بين الأعراب والتفت إلى أخيه وقال له احضر إلى الحارث بن عم ظالم فلما حضر قدامه قال له أصلح بينه وبين بنى عامر وحلفوا أنهم لا يخافون بعضهم البعض وكان يومهم أحسن الأيام حتى أمسى المسا وهجم الظلام وصاروا يعيدون عليه الوقعات وما جرى عليهم من عبس من بنى عبس من الكربات حتى تمزق شمل من كان هناك من الناس وذهب عنهم الايناس وعاد كل واحد منهم إلى خيامه وأما الحارث فانه أخذه الحد لما سمع مدحة عنتر وتفتت كبده وانفطر وقال فى نفسه أن كان عنتر نال هذه المرتبة بشجاعته واقتداره وشاعت بذلك محاسن أخباره فانا الآخر أفعل سيئا أفتخر به على سائر الفرسان ويظهر لى به أمر وشان وأقوم قتل لله لدآفى حرم النعمان وأخون العهد والايمان ثم أنه قام من وقته وقوى عزمه على ذلك الامر والشأن وذو الحيات فى يمينه حتى وصل إلى الخيمة ودخل على خالد وهو راقد وضربه فقطع رأسه من جسده وطلع وهو يظن أنه قد بلغ المراد ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

علوت بذى الحيات مفرق رأسه ... ومايركب المكروه إلا المخاطر
فضلت بـه لمـا قتلت لخـالد ... لان حسامى ما حوته الأكاسر

ثم أنه حدثه سكره أنه قتله ووضع ذبابة السيف على صدره واتكا عليه حتى نفذ من ظهره إلى الأرض شبراً وسار وهو لا يدرى أى الطرقات يسلك وعلم أنه لا ينجيه الهرب فتلبد فى بعض الاماكن حتى الصباح فلما قام الاخرص ورأى أخاه على تلك الحالة صاح من شدة مصابه وخرق لباسه وحثا التراب على رأسه وصاح بالويل والحرب وسوء المنقلب وعاد من وقته إلى الملك الاسود وحوله رجاله وأعلمه بما قد أصابه وأن الحارث بن ظالم قتل أخاه خالد بن جعفر وتركه بدمائه معفر لجرى على الملك الأسود مالم يجر على أحد قال لعن الله الحارث

وأخزاه ثم قال كل من أتانى بالحارث أعطيته أجود العطيات وأزيده من الخيرات فأتونى به لاجل أن أصلبه على باب المدينة وأرسل النعمان فى طلبه الخيل إلى أن كان فى الغداة فعادت الخيل خائبة بما سارت له طالبة ولم يقعوا له على خبر ولا جليه أثر فزاد بالنعمان التهاب وعظم مصابه وعول على قتل أصحابه من شدة ما قد أصابه فقال له أخوه الأسود أيها الملك الكريم لا تأخذ البرىء بالسقيم لانهم لو رضوا بفعل الحارث كانوا اهربوا معه والصواب أنك تدعهم فى الاعتقال حتى يظهر خبر هذا القرنان ونجازيه بالصلب والهوان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما الحارث الغدار فانه لما قتل خالدا وهج على وجهه فى القفار ولم يزل سائرا حتى أصبح الصباح وأفاق من شرب الراح فواقعه الندم وعلم أن النعمان لا بد أن يطلبه ويحل به العدم وعلم أنه ما أحد يجيره من قبائل العربان فضاق صدره وأيقن بهلاكه فزاد عليه مصابه وما هان عليه أصحابه فتأسف عليهم كيف يهلكوا فى يد النعمان بغير ذنب ولا سبب فعاد من حرقته طالبا الحيرة وهو فى هموم فصبر حتى أقبل الليل فدخل بين الخيام وجعل يدور بينها والناس نيام فرآهم حول مضرب الأخوص بن جعفر وعندهم خمسة من العبيد فدنا منهم وذبحهم ودخل أصحابه وحلهم من الكتاف وقال لهم انجوا بأنفسكم من التلاف فاذا أمنتم على أرواحكم اقصدوا ديار بنى عبس وعيشوا عندهم فى أمان وأما أنا فما يجيرنى أحد من العربان لأجل خاطر النعمان وقد عولت على أمر وأريد أن أفعله قبل هلاكى حتى أكون قد أخذت بثأر نفسى وأترك لى حديثا يذكر من بعدى ثم أنه فارق القوم وقد هانت عليه نفسه وقصد بيت أخته سلمى وقت السحر فلما دخل عليها ورأته حارت من فعله وقالت له يا أخى ما أقدمك وما الذى أعادك إلى أرض النعمان بعد ما سلمت من الهوان والله يا حارس أن وقعت فى يده فما يتركك ساعة من الساعات حتى يوردك الهلاكات فقال الحارث أين أمضى وبمن احتمى والنعمان غريمى فما لقيت خلاصا من هذه الأمور إلا بما خطر حتى أنك تنجو من الهلاك فقال لها تسلمى لى ولد النعمان فآخذه على كتفى واتقى به أباه وأقول له أنا فى جيرة هذا الصبى فيعفوا عن ذنبى ويسمح عن خطيئتى فاذا انصلح حالى مع النعمان نجوت من نوائب الزمان ولا أبالى بأحد من بنى عامر ولا من جميع العشائر فقالت هذا رأى مليح وبه تنجو من كل قبيح ثم أنها من شفقتها عليه سلمت ذلك الطفل اليه فاخذه على كتفه وأتى إلى باب الحيرة فرآه مفتوحا والناس خارجة لقضاء اشغالهم وافتقاد احوالهم وكان عسكر النعمان خارجا قدام الملك يريد الصيد والقنص واغتنام اللهو مع الفرص

فصرخ الحارث صوتا أوقف الجميع وحذف الصبي إلى الهواء والتقاه بسيفه ذى الحيات فحكم بين رجليه فشقه نصفين فضجت العساكر من سائر الجهات وقصدوه بالمرهفات نقصد عرض البر والقفار فجدت وراء القوم على الآثار حتى لحقوه وأدركوه فعاد اليهم وهجم عليهم ومال فيهم وصال رجال ففرق جمعهم وصيرهم فى خيال ثم رجع الحارث قاصدا الجبال فتبعوه وصرخوا عليه فرجع اليهم وقاتلهم إلى قريب المساء فعند ذلك ضعف قواه وقلت همته واضمحلت عزيمته وكان العسكر بعيدا عنه فتأسف على سيفه على ذى الحيات كيف يملكه غيره من السادات فاتى إلى صخرة عظيمة هى قطعة من جبل وأقام يده الحسام وضربه على تلك الصخرة لاجل أن يكسره فنزل بحده فقد الصخرة شطرين فانبهر وأخذ الحسام وسار قاصدا البر والآكام وكان قاصدا بها ملاكه فكان فيها نجاته لأن العساكر لم يزالوا خلفه يجدون المسير حتى أتوا إلى الصخرة فرأوها نصفين كانوا رأوه وهو يضربها فوقفوا عندحدها وقالوا لبعضهم البعض الذى فيه عزم يقد الاحجار كيف نتبعه وهذه القفار ثم أنهم وقفوا حتى أتى النعمان واعلموه بالذى جرى وكان فلما نظرها النعمان رجع وهو يقول لعن الله الحارث ما اقواه ثم أنه كتب لجميع القبائل كل من وقع بالحارث يقبضه ويأتى به اليه وله جميع ما يكون عليه ثم أنه بعد ذلك أحضر سنان بن أبى حارثه وقال له أنا ما أعرف وإلا منك لأن الحارث صهرك وأخذ ولدى من بيتك فبكى سنان وقال له لا تظلمنى يا ملك فانا وحيات رأسك ما كنت البارحة عند زوجتى لاعلمتك أو كنت قبضت عليه حتى تقتله وتظهر فيه نقمتك لاجل أنه حرق حرمتك فقال النعمان أنا لا أسمع هذا الكلام ولا أطلقك يا نسل الحرام حتى تقيم لك ضمينا وتشهد على نفسك أنك تسير وتقتفى أثره حتى أنك تقع على خبره وأن لم تفعل ذلك تكون خامرتنى وتكون أنت عوضه لأنى ما أطلب ولدى إلا منك ولا أعفو عنك فقال سنان افعل ما بدالك فما أخالفك فى أقوالك وأنا أقسم وحق الملك العلام لا أخامرك بل أنا الضامن له أينما كان فانا أطلع أدور عليه فى قبائل العربان وأنا ضامن لكل ماطلبته فاطلقه النعمان وصبر عليه حتى يصبح الصباح ويقصد عرض الربا والبطاح فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان من) أصحاب الحارث فانهم جدوا فى قطع القيعان حتى وصلوا إلى بنى عبس وعدنان ودخلوا على الملك قيس وأخبره بما فعل الحارث وكيف قتل خالد فى حرم النعمان وكيف أنه خلصنا وقال لنا اقصدوا الملك قيس فما يجيركم أحد سواه من العربان وها نحن قدمنا عليك وصرنا بين يديك ربشر ناك بأخذ ثارك وكشف عارك فلما سمع قيس بذلك فرح واتسع صدره وانشرح وخلع عليهم وحياهم وأكرم مثواهم وضمن لهم الذمام وقال والله لقد فاز الحارث بهذه المكرمة وسمع عنتر بما فعل الحارث من قتل خالد وهو نائم

فقال لعن الله الحارث لأنه ماقتله الا وهو سكران عادم فلو كان قتله فى الصدام كان أقوى فخرا وكان عنتر يتمنى قتل خالد على يديه أما الملك فانه خلا قلبه وخف همه فاكثر من الولائم والافراح وابصر أخوته فضاق صدوه واحترق قلب عنتر فقال مالك لأخيه قيس لم تشيد أركان دولتك وتبذل مجهودك وتتجزأ من حامية العشيرة وتدخله على زوجته حتى تزول عنا كروبنا ونبلغ مقصودنا فقال له ياأخى أفعل مابدا لك بلغك الله مطالبك ثم أن قيسا عمل وليمة عظيمة وجمع سائر أخوته وأعمامه وأكابر دولته وفرسان عشيرته وقدم لهم الطعام حتى أكتفوا ودار عليهم كاسات المدام ثم أنه دعا بمالك بن قراد وعظمه بين السادات الأجواد وقال أعلمنى لماذا منعت ابن أختك أن يلم بابياتك وضيعت حقه عليك وأمرت ابنته بالاستقنار منه أماهى زوجته وقبضت مهرها منه وأشهدتنا عليك فقال مالك أعلم أيها الملك السعيد أنا مامنعتها عنه إلا من كلام الأعداء من قريب وبعيد وقولهم أن عنتر خلا بها قبل أن تزف عليه ولكن ياملك الزمان هى زوجته وقبضت مهرها منه ولو طالبها فى تلك الساعة أخذها ولولا اشغل قلوبنا فى مثل هذه الأيام كان معه منها عشرة أولاد كرام ولكن مادام قد هدأ بالك فافعل ما بدا لك فقال قيس يكون ذلك بعد ثلاثة أيام فقال مالك سمعا وطاعة فلما سمع عنتر كلام عمه قام إليه وقبل يديه وانقضى الأمر وذهب الشر وعاد مالك إلى أبياته وأختلى بزوجته وشكا اليها حالته وماألزمه قيس من تزويج ابنته فقالت له ابن العم إلى كم هذه المشاجرة ومضت مشهور والأعوام وانقضت الأوقات والأيام ولم تزوجته تلين قلبه وهو مايزداد إلا قساوة ولم يقبل لها كلام وأما عنتر فان الملك قيس اعتدعاه وطيب قلبه ووعده بكل سرور فخرج من عنده وهو فرحان وبات وهو يشكر الملك قيس على مافعل من الفعال وماألزم به عمه من المقال ولم يزل فى أشد الأفراح حتى أصبح الصباح وأراد عنتر أن يركب إذا باخيه شيبوب قد أقبل له ياابن الام أختك مزوة قد وصلت بنى غطفان وهى طالبة اليك ولاشك أنها حردانة أو نزلت عليها نائبة ماطاقت حملها فلما سمع عنتر كلام أخيه قام وقصد إلى بيت أمه لينظر ماحل باخته وكانت مروة هذه أول أولاد شداد وكانت عزيزة عنده ويحبها محبة شديدة وكانت متزوجة برجل من بنى غطفان وهو جليل القدر والشان وكان عندها ولد مليح صاحب وجه صبيح وقدر رجيح تعلم الفروسية وكان يأتى اليه خاله عنتر يزوره ويقيم عنده فيطلع إلى البرية ويعلمه الشجاعة والفروسية ويقول له أطعنى ولا تشفق على فطلع نارا محرقة وصاعقة

سيرقة وصار إذا رأى خيلا وفرسانا يحمل ويشابه خاله عنتر إلى أن بقى من الشجعان وبلغ من العمر أثنى عشر عاما وكان عنتر إذا سال أخته أن تترك له الهطال عندة لا ترضى لأنه وحيدها فلما أتى شيبوب وأعلم أخاه عنتر بقدومها قام اليها وقال لها ما الذى قد جرى لك فقالت وهى تبكى أعلم ياأخى أن أولاد بنى غطفان أمروا ولدى عليهم وساروا فى طلب غنيمة ومضى لهم ايام ولم يرجعوا وقد أحترق فؤادى وأخذنى الوسواس وأحرمت جميع من حولى من الناس المنام وفى ليلة من الليالى رأيت ولدى فى المنام ومن معه من الاولاد فى دخلة عظيمة ورابط لهم على باب الدخلة أسد وهو يهددهم بالأكل فانتبهت وقد اشتعل قلبى بالنار وبقيت كذلك حتى طلع النهار وإذا بعبد واقف على باب المضرب وهو يلبس زى سائل فخرجت اليه ومعى قعب من اللبن وشىء من القديد وقلت له خذ ياغريب وادع لولدى الغائب بالرجوع فابتسم وقال ومن هو ولدك الغائب لعله الهطال الغطفانى قلت نعم أهل عندك منه أخبار فقال نعم لأنى مررت على حلة بنى تميم ودارم فرايته فى أسر اللقيط بن زرارة وهو مشبوح فاخذتنى به الشفقة وسألته ما الذى تم عليه فقال لى عن حسبه ونسبه وقبيلته وحلفنى أن مررت على بنى غطفان أن تعلم أمى لأجل أن تعلم خالى عنتر وأوعدنى مالا كثيرا إذا تشلف من الاسر وهذا ما تم لى من القضية وها أنا قد أتيتك ووقفت بين يديك فلما سمع عنتر ذلك الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وتعجب من نوائب الزمان وكيف يحدث قبل الفرح أحزان لأنه قد تعلق قلبه بزفاف عبلة وانحلت عقدته فحدث عليه هذا الحادث فما بقى ينظر ما بين يديه فقال لأخته قللى من أحزانك وسيرى إلى مكانك ثم أنه طيب قلبها ونفس عنها كربها ثم أنفذ أخاه شيبوب إلى عروة يعلمه أن يجهز نفسه هو ورجاله ويلاقيه على أرض المريقب إذا أنسدلت جيوش الغيهب وأخذ من بنى قراد مائة فارس أمجاد وأوصى أباه شداد بكتمان الحال وانه لا يبدى لاحد مقال وصار فى صحبته أخوة شيبوب وجرير واما عمه مالك فانه انكشف عنا همومه لأنه وزالت غمومه لانه كان عول ان يجتمع من الربيع بن زيادة ويستشيرة فى امر من الفساد واظهر انه يقطع الآفاق فى ردة عنتر وقال ياعماه لم يكن قدامنا امر يوجب عناك فلا خيب الرب القدير مسعاك فارجع انت واصلح حال ابنتك وارعى حالها فقال والله لقد تنغص عيشنا واشغلنا هم الهطام عن افراحنا فقال عنتر ياعماه من طلب الشىء قبل اوانه عوقب بحرمانه وان لكل شىء وقتا معلوم وما احد يتعدى حكم مسير النجوم وهو الحى القيوم وانا ياعم طول عمرى اعاون الغرباء

فكيف التخلى عن الأقربا لاسيما وهو ابن أختى كيف أتركه فى الاعتقال فان غفلت عنه فلا أكون ولد خلال ثم أنه ردوا إلى الديار وسار بقطع البر والقفار فوجد عروة فى تل المرتقب هو ورجاله وهم له فى الانتظار فأخذهم وساروا يقطعون البرارى وأنشد يقول

إلى كم أدارى صروف الردا ومن شأن الدهر أن يغدرا
فيقصد حربى نهاراً إذا وتارة بالليل إذ يعسكرا
أيا دهر إنى قوى الجنان مشير العجاج أنا قسورا
وعندى احتمال لحمل الاسا وأخفى الأسية لا أظهرا
تيقن لقيط بقتل الهمام ويمنى لقيط غدا تقصرا
أنا عنتر القوم يوم اللقا أقيم الحروب ولا أفكرا

(قال الراوى) ثم أنه بعد جد المسير يأتى له كلام وأما ما كان من أمر هذا اللقيط بن زراره الذى هم قاصدون اليه فانه كان فارسا جبارا تبطلى عنده الشجاعة وتقر له الأقيال بالفروسية والبراعة وكانت الفرسان من العرب تسميه عقاب الحرب وفارس الطعن والضرب وأما أسره للبطال فانه كان له سبب عجيب وأمر غريب لأن اللقيط بن زراره كان له إخوة أمارة تشهد لهم الرجال وكانوا ثمانية عشرة أخ من أب وأم واحدة وأمهم يقال لها مارية بنت عبد اللات وكانت من المجملات وما كان أحدة منهم إلا من ينادى بالأمير والسيد فنهم الأمير حاجب زرارة الذى رهن قوسه عند الملك كسرى على الوفاء لأنه كان منعزلا عن أبيه بعزنه وكانوا فرقة وحدهم فاقحطت أرضهم ومنع المطر عنهم فرحل بقومه إلى بعض الأراضى فرمتهم الطرقات وعلى مدائن كسرى فاخذ هدية سنية وطلع الديوان وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان أتنا اليوم فى جوارك ونريد فى هذا العام أن نكون تحت نظرك ونزن لك الخراج مثل ما كنا نزن للملك النعمان فقال له كسرى أنا أقمت عليكم نائبا من تحت يدى يعرفكم وأما أنتم إذا نزلتم عندى تمتازوا إلى آخر السنة فان رحلتم فلا أعرف لكم مكانا مكانا وإن كنتم تقيموا عندى تخلوا رماين رحالى مستقيم فتبسم كسرى من جوابه وقبل خطابه فصار ذلك فخرا لبنى تميم فهم يفتخرون على العرب بذلك إلى زمن أبى تمام الطائى لما كانوا يقدمون إلى سوق عكاظ فتأتى كل قبيلة وشاعرها بين أيديها ينشد لهم أبياتا من الشعر يخبر فيها عن مكارم صفاتهم وأخلاقهم وما فعله اجدادهم من الشجاعة والفروسية فتقدم فى زمان أبى تمام فلما سمع

شاعر بنى تميم ينشد بين أيديهم ويفتخر برهن القوس على الوفاء فقال أبو تمام قدام بنى طى وبنى شيبان وأشار يقول صلوا على طه الرسول :

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... فخارا على ما أو طرت من مناقب

فأنتم عريب قد أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

(قال الراوى) وكان قوس حاجب قد اشتهر فخره حتى ترنمت به الشعراء وافتخرت به الأمراء وقد قال فيه شعرا

وكل وفاء كان فى قوس حاجب ... وأنت جمعت الغدر فى قوس حاجب

وأقام القوس فى خزائن الملك إلى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب لما فتح المدائن وكان فى العسكر عطارد بن حاجب فدخل الخزائن فوجد قوس أبيه فأخذه إلى عمر وقال له يا أمير المؤمنين هذا قوس أبى الذى رهنه على الوفاء فتعجب الصحابة منه لأنه لم يكن أحد يقدر يوفيه فى العرب غيره وشاع اسمه وذكره فى القبائل منهم مالك الحامى ومنهم علقمة مأوى الصعاليك ومنهم هذا اللقيط بن زرارة الفارس الشجاع والقرن المناع وكان أبوهم أفخر نسبا وأجاهم أما وأبا فبينما الأمير زرارة مقيم يوما من الأيام وإذا بأولاده السبعة عشرة أقبلوا عليه وهم يشكون من أخيهم اللقيط وتجبره عليهم وأذيته الواصلة اليهم فانقد أبوه خلفه فحضر فقال له أبوه ياولد قل من قباهيك وما هذا الافتخار على أهلك وعلى الأعراب فوحق ذمة العرب لو أن مرعاك ألف ناقة من النوق العصافير التى للملك النعمان أن تكون زوج بدر اليمن بنت الأمير جابر بن قاع العظيم الشان ما مشيت هذه المشية لا اهتززت هذا الاهتزاز أو تكون أسرت عنتر بن شداد فى البراز فلما سمع اللقيط هذا من أبيه كبح غيظه وهملت فيه نخوة العرب ومازح اخوته وقال يا أبتاه بهذه الخصال الثلاث ينال الانسان درجة الكمال فقال أبوه وأى فخر أعظم من زواج بدر اليمن ونياق النعمان وبراز عنتر فقال اللقيط وحق مالك الملك لم أرجع إلى وطنى حتى أنال هذه الثلاث خصال الحسان ثم قام على الأقدام وسار إلى بيته ونام حتى ذهب الظلام وشكا حاله إلى خاله وطلب منه المعونة على بلواة فوشدة بلوغ مناة ومن قومهم ركبوا جوادين وأخذوا ناقة لحمل المال والزاد وعبدين من العبيد الأجلاد وقصدوا عرض البرارى والوهاد حتى بعدوا عن الديار ودعسوا البر والقفار وتشاوروا أى الأماكن يقصدون وأى الأقطار يطلبون وكان خاله من أصحاب العقول الزكية وكان اسمه عبد مناة فقال له يا ابن أختى نصيحتى ومشورتى واقصد بنا فى الأول إلى الملك جابر ابن رفاع صاحب

المجد والارتفاع فان أنعم بابنيه فنسير بعدها للملك النعمان فان ملكت النياق ملكت عنتر ويشيع اسمك فى جميع الاقطار فمال اللقيط إلى كلامه وشد عزمه وجدالمسير فى طى القفار وكان طلوعهم من أرضهم فى طالع سعيد وكان الملك الذين يقصدونه ملكا مطاع وكانت بلاده فى أطراف معادن النحاس وقد شيد فيها حصنا متين الأركان لا يقدر عليه انسان وكان راغبا فى عبادة الأصنام حتى أنه اصطنع له صنما من ذهب وبنى له بيتا على صفات البيت الحرام ووضعه على باب البيب وسماه الجبار وكان عنده بنت بديعة الجمال فوهبها لهذا الصنم ورد عنها الخطاب وقال أنا ما أزوج ابنتى إلا لمن يأمرنى به صنمى ولو خطبها منى ملوك الأقطار ثم أنه أقام على هذه الحال (وأما اللقيط وخاله فانهم جدوا المسير إلى أن قربوا من الديار فابصروا أرضا واسعة وعينا نابعة وغدرانا سائحة ووحوشا سارحة وطيورا ساجعة وطيورا وأشجارا لسائر الثمرات جامعة ورياضا وحياضا وماء فائضة وخياما ومضارب وخيولا وجنائب وملكا لا يقدر عليه إلا رب المشارق والمغارب فقال اللقيط لخاله والله ماهذا إلا ملك عظيم وفى هذا الوقت يريد الإنسان قبل إطلاق اللسان ثبات الجبان ثم أنهم نزلوا على بعض الغدران وخلع اللقيط ماعليه من ثياب السفر ولبس ثياب الحضر وتعمم بعمامة مطرزة الأطراف بالذهب وهى فى رؤيتها عجب وكان جواده من أفخر خيول العرب وأرخى أطراف العمامة على كتفيه وضيق اللثام وكان حسن القوام مليح الابتسام وسار هـــو وخاله وقد فعل مثل فعاله وساروا إلى أن وصلوا إلى القصر فرأوا كثرة العساكر والكدخام الدساكر فعندها قوى اللقيط جنانه وأجرى لسانه وأجهر صوته وسلم وسأل الحجاب أن يأخذوا له الاذن بالدخول على الملك فردوا عليه السلام وبجلوا قدره بالاكرام والاحترام وقالوا له أخبرنا ماحاجتك حتى تقضيها وننجز لك أشغالك فقال لهم حاجتى لاأذكرها لأحد غير الملك فلما سمعوا كلامه زادت هيبته فى قلوبهم لأنهم رأوا الشجاعة ظاهرة عليه تشهد له ولا تشهد عليه فأوقفوه ودخلوا على الملك وأخبروه بالخبر بما رأوا من اللقيط وأوصافه قال الراوى فلما سمع الملك كلامهم فرح فرحا شديدا وقال لهم عودوا واسألوه عن اسمه فان قال لكم أنا اللقيط بن زوارة من بنى تميم وبنى درام فأكرموه وإلى عندى احضروه وإن قال لكم غير هذا الاسم فاحملوه إلى دار الضيافة حتى نتفرغ وننظر مامعنى هذا الكلام فقال له الحجاب أيها الملك الهمام ومن يكون هذا اللقيط بن زرارة فضحك الملك وأبدى الابتسام وقال لهم إن قصتى عجيبة وأحوالى غريبة اعلموا أن لى اليوم

عند صنمي قيمة ومقدار لأني ثقلت وزنه وزدته من الذهب قنطار فبقيت صورته عجيبة وقلت له بعد ذلك أسألك أن ترزق بنتي بزوج يكون شجاعا صاحب حسب ونسب وسيد من سادات العرب إلى أن كان في هذه الليلة رأيت صنمي مقبل علي في حال الرضا قائلا أبشر قد سمعت كلامك وبلغتك من أمرك وقد اخترت لابنتك بعلا صاحب قرة وشطارة ويسمى اللقيط بن زرارة وهو فارس همام وقد رضيته لابنتك بعلا ورأيت كذلك في الليلة الثانية وفي هذه الليلة إن أصبح الصباح فدخلتم علي وأعلمتوني بذلك فقلت لكم على السبب (قال الراوي) وكان هذا المنام من الشيطان لاجل وسوسته بابنته ولسعد اللقيط فرجعت الحجاب اليه وسألوه عن اسمه فانبأهم بحسبه ونسبه فاخذوه ودخلوا به على الملك الذي أخذه بالترحاب وسأله من أنت ياوجه الامارة فقال أنا الذي شهدت بفخاره الكواكب السيارة وقد أتيت خاطبا ابنتك زينة البنات العوالي فاوصل حبالها بحبالي ولا تضيع سعيي اليك أنا وخالي فاعجب الملك بهذا الكلام وقال قد انقضت حاجتك قبل وصولك بأيام وأجلسه إلى جانبه وأكل معه الطعام وقدم له ماراق من المدام وفي ثاني الأيام أمر الملك باصطناع الولائم ودق الطبول وانقلب الحي بالافراح وتزينت البنات الملاح ورقصت الاماء والمولدات والبنات العربيات ودارت باللقيط السادات وصاروا يهنونه بزوجته ويهنوا الملك به وبعد ذلك مد الملك يده اليه مصالحا وعاقده وناكحه وشرط على نفسه أنه قبض المهر والصداق وبعد ذلك ضربت قبة الزفاف فحمد اللقيط زمانه وذهبت عنه أحزانه ودخل على زوجته فوجدها مثل الشمس الضاحية السماء الصاحية فتفكر في هذا الحال وكيف أنه يدخل عليها بلا مهر ولا مال فخاف أن يبقى معيرة طول الزمان وتضرب به الأمثال جميع الفرسان فاعطاها ظهره ونام ساعة من الليل فابصر الجارية نائمة فقام من عندها وخرج إلى خاله وأعلمه بحاله وماخطر بباله لقد نظرت موضع النظر ومن الصواب أن تقصد بنا إلى أرض العراق ونسأل الملك النعمان في المهر والصداق فعسى أن نأخذ شيئا من الدنانير وقطعة من النياق العصافير وترجع مجبورا عند الكبير والصغير ثم أنهم شدوا على خيالهم وصاروا يقطعون القفار إلى أن طلع عليهم الغبار فهذا ماجرى وما كان من أمر هؤلاء (وأما الجارية) فانها انتبهت وقت السحر فما رأت لزوجها خبر ولا جلية أثر فزادت بها الأفكار وإذا هي بالنسوان دخلن عليها يهنوها بزوجها فرأوها وحدها فسألوها عن حالها وماتم عليها وماجرى لها فقالت لهم أنه مادنا مني بل لفت ظهره ونام عني وها أنا قمت وقت السحر فما رأيته فقلن لها النسوان والله أن أباك فعل فعال

الحال وردعتك الخطاب من كل أمير وزوجك لرجل فقير وباعت الناس واشترت فيها وفي أبيها إلى أن بلغه ذلك فقال لهم أنا ما فعلت إلا ما أمرني به صنمي وإن كان أخطأ أو أصاب فهو وأخير بالصواب فقالوا صدقت أيها الملك المهاب فهذا ما كان من هؤلا. وأما القيط وخاله فانهم يزالوا سائرين يريدون الملك النعمان وفي نية اللقيط أن يلقى كل من عنده من الفرسان ومما اتفق أنه التقى بالحارث وهو تائه في الوديان والبراري والقيعان وهو خائف من الملك النعمان لأنه عرف أن الملك كانت فيه جميع العربان وكان اللقيط وصل اليه كتاب النعمان فلما رآه نادى وافرحاة بلغت المنى والهنا وانحلت عقدتي وقضيت حاجتي ثم أنه أعلم خاله بتلك الأسباب وانقض على الحارث مثل العقاب واطبق كل واحد على صاحبه وجد في طعانه مضاربته وأخذ في الهزل والجد والصد والرد وكان الحارث يقاتل عن روحه قتال مغلوب وقد جلت به الكروب ، هذا واللقيط طامع في أخذه أسيرا حتى يبلغ المال والاحسان ودام بينهما القتال حتى تصرم النهار ومل الحارث من الطعان لأنه تعبان جيعان ولهان وقيصر جوادة في الجولان وانكسر الرمح وأراد أن يجذب سيفه ذا الحيات فلم يمكنه اللقيط من ذلك بل هجم عليه الليث إذ انذعر فنادة الحارث ترفق بي ياسيد بني دارم ولا تظلم رجلا قد أضر به البر من مقاسات البرد والحر فاحسر أيها الأمير لمن يبقى في يدك أسير ثم وقف واسبل يديه وسالت دموعه على خديه فقال اللقيط أدركتانك وإلا أوردك تلافك فقال الحارث سمعا وطاعة ياسيد العرب الاعيان لكن بحق الملك الديان لا تشاركني في دمي الملك النعمان وأن كنت تعفو عني ساعطيك مالا كثيرا ونوقا وجما لا ثم غافله وهجم عليه وجذب سيفه ذا الحيات فضربه على رأسه فقطع البيضة والرفادة ونزل إلى نصف جبهته فجرحه جرحا شنيعا ولو أن الحارث ضعيف القوى حرمه أن يشم نسيم الهوى هذا واللقيط ندم على فعاله واستعجز نفسه على سماع مقاله وأسودت الدنيا في عينيه فنظر خاله إلى ذلك فايان بالمالك وحمل على الحارث لأنه بطل من الأبطال وقيلا من الأقيال فقاتل الحارث إلى أن أفاق اللقيط وعاد على الحارث عودة الأسد الربيال وطعنه طعنة ألقاه من على ظهر جواده ونزل اليه وشده من الكتاف وقوى منه الأطراف وهو لا يعقل من الجوع والعطش وزاد به الرعش والدهش واقبل على اللقيط خاله وقطبه وأقاموا في هذا الأرض إلى ثاني الأيام وقاموا رشدوا الحارث على ظهر جودة وجدا المسير وأمنوا من التعسير وصاروا يجدون في البراري والآفاق مدة من الأيام إلى أن أشرفوا على أرض العراق ومن سعادة اللقيط أن دخوله وافق في يوم النعيم لأننا ذكرنا

فى أول السيرة تاصيل هذين اليومين وهم يوم النعيم ويوم البؤس فلما نظرت طائفة النعمان إلى اللقيط تجارا واليه وخلعوا جميع من منهم عليه ونثروا عليه الفضة والذهب وصاحوا عليه صياح الفرح والطرب حتى وقف جواده عن السير فنادى على العبيد والغلمان وقال ياقوم أصبروا قليلا فقد غمرتمونى بالاحسان حتى أصل هذا الملك العظيم الشان سيد ملوك الزمان وخليفة كسرى صاحب الايوان لأن معى عدواه الحارث بن ظالم وأريد منه العطاء والمكارم فلما سمعوا منه هذا المقال زاد فرحهم والانبهال وعادوا إلى النعمان ثم أخبروه بما جرى من الأحوال ففرح النعمان رمال وزاد به الفرح والانبهال وأنس من هذا المقال وقال خذوه وفى بعض المطامير أرموه ووكلوا به جماعة من العبيد وصبوا عليه العذاب الشديد حتى تنقضى أيام النعيم والعيد لأنى أن وقعت عينى عليه بدلت النعيم بالبؤس وبعد مايكون سعودا ينقلب نحوس فعند ذلك صارت الغلمان وأخذت الحارث من اللقيط وفى بعض المطامير سجنوه وبعد ذلك ترجل اللقيط عن الجواد وتمنى وسلم فابصر النعمان إلى حسن خطابه وجميل أثوابه فترحب به وزاد فى أكرامه وسأله عن حسبه ونسبه وقومه وعربه فقال يا مولاى أنا من بنى دارم أصحاب المنازل والمعالم والخيول القوادم والسيوف اللهازم الذين نارهم فى الحرب لاتخمد ولهم من التجميع دم مزيد وانا اللقيط بن زرار الذى شهدت بفخارة الكواكب السيارة الفارس الوثاب والليث المهاب المسمى فى الحرب بالعقاب قال الراوى فتعجب الملك النعمان من سرعة جوابه وحدة خطابه وقال له يا ابن السادة الأماجيد تمن على وأطلب ما تريد فى هذه النهار السعيد فثبت اللقيط جنانه قال له أيها الملك الهمام اريد منك شيء وهو منى قلبى وبغيتى من الزمن وهو مهر زوجتى فقال له الملك النعمان يالقيط وحق النور والنار لوكنت طلبت ملكى اسلمته اليك ومادام انك قنعت منا بذلك الامر والشان فسوف يصل اليك الخدم والغلمان أنتم وماخرج معكم فى هذا اليوم اليوم من مال ونوال وأوانى فضه وذهب خلع وجنايب وأثواب الحرير فانه يكون لهذا الغلام وقليلة الكثير وإذا قضينا حق ضيافته ثلاثة أيام وصلناه إلى مايتمنى من الأنعام ثم أنه ضرب له المضارب والخيام ورتب لخدمته والأوانى تضحك له فى المدام فعند ذلك اغتنموا الاوقات وانتهبوا اللذات مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أمر الملك النعمان بالف ناقة من النوق العصافير وخمسماية من غيرها وحمل على أكثرها حرير وطيبا وزادا وسهرة من عنده فى زى الملوك الكبار أصحاب الأقاليم والأمصار بجمال وأحمال وخيول وبغال

وعبيد وأماء ومال وأراد أن يسير معه خيلا تخفره فأبى اللقيط ذلك لعزة نفسه وسار هو وخاله بقطع البر والدنيا لا تسعه من شدة الفرح لأنه كان فى نار لفراق زوجته بدر اليمن حتى ظن أن مابقى يجتمع بها بقية الزمن وكان أبو الجاريه من حين ما فارقه اللقيط قد اشتدت بليته وعظمت رزيته وأكلة بنو عمه بالكلام وأوجعوا قلبه بالملام وهو يظهر الجلد ويخفى الوجد والكمد وكلما يسمع العذال يقول أنا ما أسمع فى صهرى كلام ولا شك فيما أمرنى به صنمى فى المنام ومازال على مثل ذلك حتى وصل اللقيط أيها الملك أنت فعلت معى عند قدومى عليك مالا يفعله أحد ورضيتنى لابنتك بدر اليمن وحملتنى فوق طاقتى من وأنا ما أريت أن املك بنات الملوك بلا صداق ولا مهر وأعاير بذلك على طول الدهر فى أنا ادعى بسيد الفرسان فى العصر فمضيت فى طلب المعاش والمكسب فسبب لى القديم من حيث لا أحتسب ثم أنه حدثه بحديثه من حين فارقه إلى حين رجع ثم أمر العبيد فقادت بين يديه الجنائب المزينة بسروج الذهب والنوق العصافير به وأظهر ما صحبها من الأموال والجواهر والثياب العوال والفضة والذهب فحار الملك بما رأى من العجايب وفرح لابنته بهذا البعل العال المناقب ثم أنهم جددوا الولائم والدعوات وعموا الفرح والمسرات ثلاثة أيام متواليات وزفها على اللقيط زفا ثانى وزاد فرحه بذلك الحظ والمعانى والتقى اللقيط مع زوجته وبات فرحانا معانقا لها وقضى ليلة معها إلى الصباح ولم يزالوا كذلك فى أطيب عيش وأنعام مدة من الأيام بعد ذلك اشتاق إلى الأوطان وأراد أن يعلم أباه وأخوته بما وصل اليه من الملك النعمان فاستأذن أبا الجارية فى المسير إلى أهله بالتمام وحدثه بما جرى له مع أبيه الأقاويل والكلام فأذن له فى ذلك بعد ما علم أنه له كفؤ لابنته وأعطاه شيئا كثيراً من ماله ونعمته وودعت بدر اليمن أباها وجميع بنات عمها بعد ما ودعت امها ومن الغد حلف عليه اللقيط ورده إلى دياره والأوطان وبعد ذلك سار اللقيط هو وخاله يقطعون السهول والوديان وهم يتناشدون الأشعار ويروون الأخبار فلما تمادى بهم المسير وجدوا فى التشمير فعند ذلك أنشد اللقط يقول صلوا على طه الرسول

بلغت كل المنا والسؤال فى زمنى ... لما ملكت بسيفى بدرة اليمن
بدر إذا بدرت من حول مضربها ... بوادر الناق صار كالخلق فى محن
كأنما الحسن وأخاها وصاحبها ... كما تصاحب روح الحى للبدن
لو نادت الميت يوما فى مقابره ... لقام يسعى ولباها من الكفن

ملكتها بحسامى بعد ما انقطعت قلوب خطابها من شدة المحن
وقد تعجبت الابطال من همتى إذا سحبت ذيول الفخر فى وطنى
وكلما جد سيفى فى الوغا خضعت له الفوارس من صنعا إلى عدن

(قال الراوى) ولما فرغ اللقيط من شعره ونظامه ونقضه وابرامه استوى على سرجة وطلب الطريق الواضحة وشار بهمه فالحقه وجدوا فى قطع الربا والآكام فبينما هم سائرون يقطعون البر والوهاد إذا قد طلع عليهم الهطال بن أخت عنتر بن شداد فى عشرين فارسا من فوارس بنى غطفان الامجاد ونظروا إلى ما معه من النوق والجمال والخيل والأموال وهو وحده فى تلك الربا والتلال فطمعوا فيه وطلبوه بما معه من ذلك المال وأن ينجو بنفسه سالما فلم يلتفت اليهم بل حمل عليهم وصلوا عليه ولم يزل القتال يعمل بينهم إلى أن قتل اللقيط ثلاثة من جماعة الهطال واسر منهم اثنى عشرة فارسا ريبال وبعد ذلك حمل على الهطال ولم يكن الهطال من رجاله ولا يعد من أشكاله ولم يطل بينهم القتال حتى أخذ الهطال أسير بحالة الذل والتعسير وبعد ذلك أقبل على الهطال وقال من أى العرب أنت ومن تكون تكون من الفرسان ولمن نسبك بين العربان فقال له أنا من بنى غطفان أصحاب الأكاليل والتيجان ولهم اتصال ببنى عبس وعدنان وخالى عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد ولولا ضعفت منا كبى واوصال ما قدرت على فى مجيلى فلما سمع اللقيط كلامه تعجب من أقدامه وقال الخاله بالخال ماذا أيت أبرك منها طريقى فقال له خاله وكيف ذلك يا لقيط فقال له أنت تعلم بقصتى وكيف خروجى من الحى وذاك لما شكانى اخوتى إلى أبى ورآنى وقد أتيت أسحب أذيال عجبى وقال لى لو أن فى مراعيك ألف ناقة من النوق العصافيرية أو أنت زوج بدر اليمن بنت صاحب السرادق الكبير أو تكون لاقيت فى البراز عنتر إلا أنه قد علم أنها غاية التحف وأعلا درجات الثالثة هذا الغلام الغطفانى لأنه أبن أخت عنتر بن شداد ولا بد لنا له أن يأتى لخلاصه وألقاه قدام أبى ورايه ما افعل به فى حومة الميدان وأن لم يأت فانا أسير اليه بجماعة من أصحاب عشيرتى الأعيان وأقلع بنى عبس جميعاً ولا اخلى لهم آثار وآخذ لبنى عامر منهم بالثار ولا اترك العرب تعايرهم فى جميع الأقطار لأن من يقتل خالد بن جعفر فأنا خصمه طول الزمان وإذا أهلكت بنى عبس وعبدها لا يتوجه على ملام ثم أنه سار بمن معه وهو فرحان حتى وصل إلى دياره والأوطان وقال لهم أنه قد فرح بى الملك النعمان وصار لى عنده اليد البيضاء واليه سبقت المبشرون بالأخبار ونال منزلة عالية وفخار وكان ابوه مستغل الغضب عليه وقد ندم على ذلك المقال الذى قال اليه ومازال على ذلك الحال حتى اخبروه

بقدومه فخرج إلى لقائه من يومه هو وسائر اخوته وجميع قبيلته ولما رأى مامعه من الأموال والنعم فرح بذلك وسأله عن حاله فاخبره بكل ماجرى له وكيف ساعدته الأقدار وصرف الزمن حتى تزوج ببدر اليمن فزاد سرور أبيه لعظيم همته وعلم أنه أقوى من سائر اخوته هذا وقد شد الهطال مع رفقته وعمل الولائم لفرسان عشيرته ونحن وعقر لسلامته ومن شدة عجبه بنفسه وشوقه إلى لقاء عنتر بن شداد أنفذ ذلك العبد إلى بنى غطان وأخبره عن لسان الهطال بالخبر الذى ذكرناه وأعلمه أنه يقول لامه على لسان ولدها اقصدى خالى عنتر واعلميه بالخبر وماأنا فيه من الاسر والضرر فانى فى عذاب شديد وهوان ماعليه من مزيد فمضى العبد وأعلم أمه بذلك الخبر فتنغص عيشها وتكدر وأعلمت بذلك أخاها عنتر فتنهد وتحسر فى اليوم الثانى تجهز للمسير وسار عنتر وهو متعجب ومتفكر فى حوادث الأيام وماتبديه الشهور والأعوام وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

وجدى بكم وغرامى كيف استره ... وفى فؤادى نار الحرب تسعره
فكيف استر حالى وهو مشتهر ... وكيف أنكره والدمع يظهره
وكلما قلت دهرى قد صفا وعفا ... عادت ليالى هجران تكدره
وأننى طالب الهطال أطلقه ... من الوثاق وبماكان يحذره
اردى اللقيط على الغبرا مجندلا ... أو ينثنى فى أسر تخاطره

(قال الراوى) فقالت الفرسان لارد الله فاك ولا كان من يشناك وساروا إلى أن قربوا من ديار بنى دارم وشارفوا أرضهم والمعالم وبقى بينهم وبين حلتهم يوم واحد فنزلوا على بعض الغدران وتشاوروا فيما يفعلون من الأمر والشأن فقال لهم شيبوب الرأى عندى أنكم تأخذوا فى عرض البر وإذا صبرتم خلفهم تمكنوا إلى أن أعود اليكم وأقول لكم كيف تكسبون القوم وأنا أن شاء الله تعالى اتركهم تغنموهم وتملكوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وتخلصوا الهطال وتأخذوا أموال بنى دارم وتستميلوا بها على الأفراح والولايم لئلا ترجع تتغير عليك عمك مالك ويرتعد عما كان عازما عليه من ذلك فقال عنتر والله ياأخى لقد أشرت بالصواب وأتيت بالأمر الذى لايعاب لاننا أن تم لنا هذا الحال افتخرنا وبلغنا الآمال من خلاص الهطال فقال شيبوب هذا يتم أن شاء الله الكبير المتعال فدبروا كما ذكرت لكم وانظروا كيف الحال ثم أندر حل بهم وأخذ بهم فى عرض البر الاقفر حتى علم أنه قربه لهم منازل اللقيط وحلة بنى دارم وقال لهم دوموا أنتم على سيركم إلى وادى الرملة وتلك المعالم

وكمنوا هناك حتى أعوداليكم سالم ثم إن شيبوبا أخذ معه أخاه جرير فخرج بطلب الاحياء والخيام وقد لبس ثوبا خام قصيرا لا كام ثم تعمم بعمامة كبيرة وأوسع هو وأخوه جرير في المسير على الأقدام حتى وصلوا إلى ديار بنى دارم قبل الظلام فلما تاربوا المضارب تواثبت اليهم العبيد من كل جانب وسألوهم عن حالهم فقال شيبوب نحن رسل من بنى عامر إلى الأمير اللقيط من عند الأمير الاخلاص بن جعفر وملاعب الاسنة غشم بن مالك أين نجد الأمير يا فتيان فقال العبيد اقصدوا هذا السرادق الكبير فتقدم شيبوب وجرير فوجدوا اللقيط جالسا على باب المضرب وملوك العرب كلها حوله والخيول والنوق تعرض عليه فلما رأى شيبوب ذلك قوى جنانه وأطلق لسانه وشق الكل قبل أن يسأل اللقيط عن حاله فدنا اليه وتقدم بين يديه وقبل الارض وقال حيا الله الامير المحتشم والفارس الغشمشم سيد بنى دارم ونسل السادات الاكارم سيد هذه الديار وحاميها فقال اللقيط وقد استخر به فناداه يا غلام من أين أنت يا مولد العرب ومن الناس أنت يا ابن الكرام فقال يا مولاى من بنى عامر وقد اتيت اليك لان سيدى الاخوص بن جعفر أرسلنى لك من شفقته عليك وقال لى سر إلى أخى اللقيط وأخبره أن عنتر بن شداد قاصد خلاص ابن أختنا الهطال وأنا يا أمير خايف عليك من شره فان وجدت منه غفلة فجرعة كاس الممات وأريد إذا بلغت الرسالة تقول له أن يجعل باله من الحارث بن ظالم الذى قتل أخى فى حرم النعمان فان وقع به يمن علينا بانفاذه حتى نشكره وإن كان الهطال عنده فى الاسر يرسله لأذيقة الوبال وان كان قتله يمن علينا برأسه ويجعلها تهنئى له بزوجته بدر اليمن فلما سمع اللقيط هذا الكلام تعجب عن حلاوة لفظه فقال وحق ذمة العرب ما هذا العبد إلا فصيح اللسان فلله درقبيد عبيدها تشابه ساداتها ثم قال يا غلام أن الحاجة الاولى التى طلبها صاحبك قضيت وإنى سلمت الحارث إلى من يسفك دمه ثم انه حدث شيبوب بما جرى مع الحارث وكيف أخذ عوضه النوق والجمال وبعض ما تيسر من المال واما الهطال فهو إلى الآن فى الاعتقال إلى أن يأتى خاله إلى خلاصه من وثاقه فاذا أعجل عطبه وعناقه وإلى فحاشا لمثلى أن يبيع عدوا لصديق بماو أو ياخذ حقه نوقا وجمال وقد أقسمت برب الخلق والبشر وانى لا أترك من بنى عبس من يخبر بخبر ولا أبقى منهم كبير أو صغير ولا آخذ منهم فدية الاسير ولو حمل ذهب وقد عملت عند الصباح أن أسير إلى هذا العبد بخواص عسكرى وأجنادى ولاأدعه

يصل إلى أرضي وبلادي لأنني أنا الذي أنفذت إلى أم الهطال وأخبرتها انه عندي في الأسر والاعتقال وقد علمت أنها تمضي إلى بني عبس وتطرح نفسها إلى أخيها حتى يأتي بجماعة من فرسان عشيرته ويأتي وحده بحرقته ويطلب خلاص الهطال من يدي ولم يعلم أني حريص عليه بكل طاقتي وجهدي وحاقد بلغني أن ذلك العبد الزنيم نسل الأوغاد أتى قاصداً إلى هذه البلاد والذي أعلم اللقيط بالخبر هو العبد الذي أرسله إلى أم الهطال وقال له يامولاي ما برحت حتى وصلت إلى الهطال إلى بني عبس في جماعة من النسوان وعلمت أنها تقصد عنتر من دون الفرسان وتطلب منه خلاص ولدها فقال اللقيط ياويلك قد عجلت بعودتك وكان الصواب مسيرك خلف النسوان وتظرك ونظرك إلى عنتر كيف يدبر وفي كم يسير من الفرسان ثم صار يتأهب للقتال وعنتر ينتظر شيبوب وجرى ما جرى من التبيين وشد عزمه على المسير فلما نظر شيبوب إلى ذلك الجمال علم أنه انخدع بالمحال فقال له يامولاي إذا كنت تكرمت علينا بهؤلاء الابدال فانا أريد أن أتولى غذاءهم مادام موافي الاعتقال إلى أن تعود أنت مؤيد ومعك أسرى بني عبس ومعهم عنتر وارجع أنا إلى سيدي الأخوص بن جعفر وينقطع من بني عبس الاثر لأني ما أتيت من عند مولاي إلا وملاعب الاسنة معول على غزوهم والمسير إلى ديارهم في الأبطال بني عامر لعل أن يفرق شملهم مادام عبدهم غائباً عنهم لأن لنا فيهم عيوناً وأرصاداً من وقت ما عاديناهم ولو لا ذلك ما كنا علمنا بمسير عنتر بن شداد لما سار وطلبك بفرساته الاشرار فلما سمع اللقيط ذلك الكلام قال لشيبوب وما معكم خبر في كم سار هذا العبد من الفرسان فقال بلى يامولاي أخبرنا أنه سار في الف فارس أعيان من فرسان بني عبس وعدنان إلا انهم كلهم أبطال فقال اللقيط لما سمع هذا الكلام أذل الله ذلك العبد ولد الزنا وفي الف فارس يريد أن يلقى مثلي أنا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لاريته ضرباً وطعان تتحدث به السفار والركبان ثم أمر عبيده أن يسلموا الهطال ومن معه إلى شيبوب حتى تتفرج عنه الكروب ثم قام هو إلى أن أصبح الصباح وأخذ من قومه ثلاثة آلاف فارس ليوث عوابس وترك في الخيام خمسمائة فارس تحفظها من الوساوس وسار من شدة حنقه من عنتر يحلف أنه لا يرجع حتى ينزل به العبر وقد أعجب بنفسه وتكبر على أبناء جنسه ولما سار ركب الطريق الواضحة التي تنتهي إلى بني عبس وما علم أن الذي جاء له جاسوس وقد أراد له التعس والتنكس ولما خف الحي من ذلك الأمر الخطير أرسل شيبوب أخاه جريراً إلى أخيه عنتر يعلمه بذلك الخبر فلما وصل اليه زالت من قلبه وأفكاره وسأله عن حقيقة حاله فأخبره كيف

سار القيط بثلاثة آلاف فارس من قومه الأبطال إلى ديار بني عبس والأطلال وأخلى الحي من الفرسان والرجال ففرح عنتر بهذا المقال وأقام إلى وقت السحر ورحل عند الصباح برجاله والفرسان وقد تأهب للضرب والطعان وركب على بني داوم في الصباح ومازال وافقا برجاله في البيطاح حتى رأى السرج قد أتسع في المراح فطلب ذلك لوقت الجمال والنوق الملاح ودخل فيها وساقها بالرماح وساقوا معهم العبيد والأموال وطرحوا في أقفية العبيد ضربا مثل فتوق الاعدال ومددوا أكثرهم على الرمال الرعاد والباقين ينادون بالويل والوبال حتى وصلوا إلى المضارب والخيام فركب أخوة اللقيط فطلبوا البرو الآكام وطلبوا القاره وهم مثل الطيور الطيارة والكل بالدروع الحديد والزرد النضيد وكان عنتر أمر خمسين فارسا أن تسوق الجمال ولما وصلت الشجعان إلى مقام الضرب والطعان تصايحوا أشد صياح ومد بعضهم إلى بعض عوامل الرماح وتطاعنوا طعنا يخطف الأرواح وتصادموا بشفار الصفاح حتى أهريق الدم وساح وكان عنتر علم أنه ما في الحلة أكثر من العسكر الذين ظهروا فسطا عليهم بقوته وتجبر عليهم بفروسيته ومالت الفرسان من الضراب وتنافر واتحت الغبار والضباب فدفعتها أبطال بني عبس حتى قاربت المضارب ووقع الصياح من كل جانب فخرجت العبيد والأماء يطلبون المدافعه والحما وقطرت الاسنة دما فكان شيبوب قد عرف نفسه للبطال وطيب قلبه وقلب من معه من الأبطال وأعلمهم أن عنتر يغير على الاحياء عند الصباح ويطلق لهم السراح ففرحوا بذلك وأنفرجت عن قلوبهم الهموم والأفراح وتباشروا بالخلاص والفلاح حين ثم من الحديث ما تموا ابصر شيبوب المضارب قد خلت من الأبطال والعبيد وأمكنه الفرصة فحل القوم من الوثاق وأتى لكل واحد منهم بجواد من الخيل الجياد وأتاهم من السلاح بما كفاهم وقال لهم الحقوا بني عمكم واعينوهم على القتال فقال الهطال جزاك الله خيرا يا شيبوب لأنك لم تزل أنت وأخوك مفرجين الكروب ثم حمل يطلب خاله برجاله فلما قاربوا المعمعة صاحوا كلهم فحملوا وبذلوا ما معهم من العدد وقاتلوا وكانت رجال الحي على الحرب قد عولوا وما بقي ثابتا منهم الا أخوة اللقيط بن زرارة لانهم خافوا أن ينهزموا وهم مائة فارس وهم خمسمائة من الأبطال وهم كلهم عصبة وأعاصب وأقارب فصبروا حتى أمسى المساء وأقبل الظلام فالهبهم عنتر بالطعن حتى أدخلهم إلى المضارب والخيام وألجأهم إلى النساء والعيال فترك الأرض ملآنة بالقتلى وطرحهم على الرمال في جنات الفلا وعاد عنتر يقول لعروة ورجاله يا بني عمي ما دام رجالنا تخلصوا من الاسر

، والاعتقال وأصحابنا الآخرين قد أبعدوا بالنوق والجمال فما نحن ممن يستحسن سبي العيال في غيبة الرجال والأبطال والصواب عودتنا من هذه البلاد وترك البغي والفساد ثم هني المطال بالسلامة والخلاص من الندامة وساروا في عرض البراري والقفار طالبين الاهل والديار فقال لهم سيبوب سيروا على أثرى فساروا خلفه بالاموال وتأخر عنتر في خمسين فارسا من الأبطال وسار على أثرهم حاميتهم حتى بعدوا عن ديار الاعداء وأنقض أكثر الظلام الدجا ولحقوا أصحابهم وهم على حالهم حتى تضاحى النهار وحميت الصخور والأحجار فنزل بهم شيبوب على ماء يعرفه يقال ماء العوام ونام القوم هناك وارتاحوا بالنام فلما عولوا على المسير قال عنتر لشيبوب ويلك على أي أرض أنت سائر يا ابن السوداء فقال على ديار بني عامر يا ابن البيضاء ولكن لا أدخل عليهم إلا الليل حتى لا يسمع الأخوص بن جعفر باخبارنا فقال عنتر سربنا على أي أرض أردت ثم رحلوا فسار بهم شيبوب على غير طريق معرفة وما زال يقطع بهم الطريق والمنازل حتى أشرفوا على ديار بني عامر فنزل بهم شيبوب دونها ورحلو من أول الليل وحدوا المسير إلى أن أصبح الله الصباح فجاز بهم ديار القوم فلم يعلم أخاه بذلك ولم يزل سائرا بهم حتى تنصف النهار وأمرهم بالنزول وهاهم بالسلامة في تلك الساحة فقال عنتر ويلك يا ابن الملعونة وإيش كان خلصنا من الخطر حتى تهنينا بالسلامة وهي لم تزل معنا مادمنا مالكين سيوفنا ورماحنا فقال يا ابن الأم أنت تعلم ما بيننا وبين بني عامر والأخوص بن جعفر من العداوة ولولاهم ما كنا حرمناكم في هذه الليلة من الراحة إلا أني خفت أن يعلموا بنا فيعوقونا عن مسيرنا فقال عنتر يا ابن الأندال لعن الله أباك وأمك وحق ذمة العرب يا ابن الزانية لو علمت ذلك ما كنت عبرته وتركت بني عامر في عافية ثم نزلوا في ذلك المكان فرحلوا طالبين أرضهم وهم متشاقون إلى حريمهم وأولادهم وما زالوا يقطعون البراري حتى لاحت لهم غرة الصباح فمنها شيبوب نظره فرأى غبارا اقد ثار واغتم منه ضوء النهار وهو غبار وعجاج وزاوايع ملات العجاج فعند ذلك وقف شيبوب وقال لأخيه عنتر هذا غبار بين أيدينا قد ظهر وأقبل من ناحية أرضنا وأنا خايف أن يكون اللقيط بن زرارة ولا شك أنه سار لما رحلته أنا بالمحال ودخلت عليه بالاحتيال وأقول أنه طلبك في الطريق فما وجدك فوصل إلى بني عبس وقطع الطريق ودهاهم بداهيه وعاد أو يكون بنو عامر بلغهم الخبر أنك سرت إلى بني دازم فساروا إلى أرضنا وجعوا بالغنائم ولا تخلوا القضية عن هذه

الأحوال والصواب أن نتأهب للقتال ولا نزال في هذا المكان حتى ننظر الصدق من المحال ثم ردوا النوق والجمال وما ساقوا أشيئا من الأموال وتركوا الكلكل وراء ظهورهم وتقدموا إلى غبار الذى لهم الذى لاح وهزوا في أيديهم قطع الرماح وأشهروا البيض والصفاح ولما أن قاربوا الغبار ظهر من تحته جيوش مثل الزمل السيار وفرسان كأنهم الجبال وكلهم بالدروع الثقال ومعهم خيول وجمال ونياق وأموال ونساء وأطفال وعويل قد قلب السهول والجبال فقال شيبوب لأخيه عنتر الآن ظهر الأمر وبان الخبر والغريم قد اشتهر ودهنيا في المال والعيال وان كان حذرى قد أصاب فلا شك أن هذا جيوش بنى عامر وبنى غنى وبنى كلاب فقال عنتر والله لقد صدقت يا شيبوب وهذا صوت عبلة قد قلب البر والمهاد وكذا أصوت نساء بنى عبس وبنى قراد قال الراوى وكان الحساب الذى حسبه شيبوب وعنتر صحيح لان الأخوص ابن جعفر لما قتل الحارث بن ظالم أخيه في حرم النعمان ودبر من التدبير وعاد وهو إلى بنى عامر وفي قلبه من بنى عبس نار سعير ومن شدة حنقه عليهم وما عنده لهم من الأحقاد ترك عليهم العيون والارصد وصارت تأتى اليه الاخبار من تلك العوالم والدنيا إلى أن بلغه الخبر أن عنتر قد سار إلى بنى دارم ومن صحبته جماعة والفرسان المقادم من سادات بنى عبس الذين عليهم المعتمد وكان قد علم الربيع بالأمر الذى في بنى فزارة تجدد وأن معهم طائفة كثيرة من الشجعان أصحاب الضرب والطعان فالتفت غشم بن مالك قال أى شىء تقول في غزو وعدونا ثانيا وأخذ ثارنا منهم حيث غاب عنهم غنمهم الذى لولاه ما تركناهم ذكر فقال لهم الأخواص هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنه جمع سادات بنى عامر وغنى وكلاب فكان الحاضر منهم ستة آلاف فارس من كل شديد شجاع مافيهم يخاف الموت ولا يرتاع فترك منهم الف فارس لحفظ القبائل والأموال وسار في خمسة آلاف فارس ريبال ولما قربت من ديار بنى عبس فرقهم ثلاث فرق كسر الحى في أذيال الغسق وكانت أكثر الناس نيام وبعضهم سكارى من شرب المدام فانتقم منهم غاية الانتقام ولما أصبح ملك الخيول والجنائب والبيوت والمضارب وانهزم قيس مع أخوته من تبعهم من فرسان عصيرته وطلبوا ديار بنى غطفان على ظهور الجنائب ومنهم من طلب أرض بنى فزارة وخسرت بنو عبس غاية الخسارة ورجعوا بنى عامر عند الصباح وهم في منى واطمئنان وطلبوا أرضهم والطلول وهم سائرون على عجل ولهم صيـــاح وزجل والاخوص بن جعفر صار لاتسعه الدنيا من فرحة بأخذ الثار وبلوغ الآمال (قال الأصمعى وأبو عبيدة) وكانت عودة ملاعب الاسنة واستعجاله خوفا من ان

يعود الملك قيس فى أبطال بنى غطفان وشجعان بنى ذبيان فساروا وهو فرحان ببلوغ الآمال. ومازال يقطع الربا والتلال والبرارى والخوال حتى التقى بعنتر وأبصرت كل طائفة غبار الأخرى فصحت عندهم الأخبار وكان عنتر قد صدق كلام أخيه شيبوب وعلم أنه فى حسابه دروب وسمع عنتر صياح النسوان والصبيان وصوت عبلة قد علا على الجميع فاعتراهم كلهم البلاء وأصاب عنتر غم وحميه لما سمع صوت عبلة فحطمهم بالحملة وانحط عليهم انحطاط القضاء واتبعته فرسان الانجاب وأرادوا أن يخلصوا الاسارى من شدة العذاب فعرفته فرسان بنى عامر وأبطال بنى كلاب ونادى ملاعب الاسنة ما ابرك هذا الصباح من صباح وافرحا بهذا الاتفاق الذى يسطر ويكتب فى الاوراق يا بنى عمى بادروا هذا العبد ولد الزنا المهان فقطعوه بمضارب السيوف وطعن السنان حتى نقطع فى هذه النوبة آثار بنى عبس إلى آخر الزمان ثم أنه حمل بطلبه وحمل الجيش كله لحمته فعند ذلك حمل عنتر وأصحابه وأبطاله وأقرانه وأقياله وهم طالبون معونته فى قتاله وكانت جملة فرسان عنتر مائتين فارس إلا أنهم فرسان عوابس تفترس الاسود والغابات وتتلقى فى صدورها الرماح السمهريات وقلوبهم أقوى من الجبال الراسيات هذا وقد زعق عنتر فى وجوههم وصاح وسمعت النساء صياح عنتر فزاد بهن الافراح ونادت الاما أبركة من صباح فيه قد أتانا بشير الافراح وقابض الأرواح ثم دعوا اله بالنصر من الملك الفتاح ثم أن الجيش قد اختلط وامتزج والوحوش فى أقطار البر نفر وانزعج والبر بين يدى الهارب ضاق وخرج حتى صار ضياء الشمس فى سوداء القتل مندرج وأقبل الظلام بوجهه الحالك السمج وصارت أسود بنى عبس الاكابر تفترس فى مخالبها بنى عامر ۞ هذا وقد اندهشت النواظر وحارت الخواطر وتمدد من بنى عامر سبعمائة فارس من بين جريح وهالك وقتل من بنى عبس عشرون فارسا وعادت وهى مثل سباع الاغتيال والرجال تحفظ ما فى أيديهما من الاموال ومن ورائها حاميها عنتر بن شداد الأسد الريبال وابن أخيه الهطال وعررة وأبو شداد المفضال وهؤلاء الأربع فوارس هم الذين قضوا الأشغال لاسيما عنتر الريبال وحامية الأبطال ولولا كثرة العدد كانوا خلصوا النساء والأطفال والأهل والعيال (قال الراوى) ولما نزلوا للراحة أخذوا فى المشورة والتدبير وكيف يخلصوا منهم الحريم وكيف يقاتلوا هذه الخلائق والغريم فقال عنتر والله يا أخى لو طال النهار ودام الحرب والقتال واجتمعت علينا كل الحلل والابطال ما أبرح حتى أخلص نساءنا من العدا وأشرب شرب الردا على انني وحق زمزم

والمقام والرب الباقى على الدوام ما أخلى فى خمسة أيام من هذه الخمسة آلاف لا شيخا ولا غلام وفى غداة غدا تولى براذهم واهلك أبطالهم وفرسانهم ثم أن عنتر بات يحرسهم ويطيب قلوبهم ويقوى هممهم على الحرب والنزال فهذا ما جرى لهؤلاء وأما بنو عامر فانها رجعت إلى خيامها وهى متعجبة مما جرى لها لانهم صبروا من قتالهم مالم يروه من غيرهم من جميع العرب فشكوا حالهم إلى الاخوص فشكاالبهم أكثر من شكواهم وقال لهم يا بنى الأعمام إذا داهم هذا العبد لا يخلى منا أحد او قد سمع أن عبلة معنا وأباها وأخاها فقالوا له صدقت فى هذا الكلام وحق البيت الحرام وأن لم نصدمهم غدا يجمعنا ويكون ملاعب الاسنة أمامنا والا فما نبلغ منهم الآمال فقال الاخوص والله لولا انى خائف من الهطال وعروة أن يأخذهم شيبوب ويسير بهم فى عرض الوهاد ويخلصوا حريمهم من بين أيدينا ويغود شرهم علينا والا كنت أشغلتهم عنكم بالبراز إلى أن أفنى من معهم ولكننى أخاف أن يلزمنا معهم البراز ويطول علينا المطال ويدركنا قيس بن زهير فى جميع حرب الحجاز وتعظم القضية وربما جاءنا ما لا طاقة لنا به ولكن يابنى عمى إذا كان الأمر على هذا يتم فانا أسير السبي تحت ستور الظلام مع مائة فارس يسير به فى عرض البرارى ويقصدوا أرضنا والديار وإذا صبح الصباح على هذا الحساب تتسبب فى هلاك عنتر وإذا أتانا مالا طاقة لنا به على الهزيمة ونكون قد ربحنا المال والمكسب فقال له ملاعب الأسنة هذا هو الصواب لأن عنتر أن علم بهم هذه الليلة وسار اليهم بكل الأسباب وطلب خلاصهم من الوبال حملنا نحن على أصحابه ونفرقهم وأن هو أقام فان قلبه على عبلة يشتعل بالنار فينحل عزمه ويضعف منه الجنان فندور به ونبلغ منه الارب لأنه لا يقاتل ويرمى نفسه إلى الاهوال المتكاثرة إلا إذا كانت عبلة حاضرة ثم إنهم أجمعوا أمرهم على أنفاذ السبي مع مائة فارس من الرجال فعند ذلك ساروا بالنوق والجمال والغنيمة والأموال وأضاف اليهم رجلا دليلا يسير بهم تحت الدجا فى ذلك البر الطويل ولما أصبح الصباح وأضاء نوره ولاح كان أول من ثار إلى عنتر القتال الأمير عنتر وما عنده مما جرى خبر وتواثبت قدامه فرسان بنى عامر وماجت كما تموج البحار الزواخر وصاح فيها الاخوص بن جعفر وقد أيقن بهلاك عنتر لانهم قد أصبحوا فى دون أربعة آلاف وهؤلاء مائة وخمسين فارس اغير مجروحين الا أنهم بالنصر موقنين بهيبة حاميتهم عنتر بن شداد فارس بنى عبس يوم الجلاد هذا وقد التقى الأعداء بهذه النبات وطعنوا فيهم بالرماح الخارقات وأشتدت المصائب والآفات وإذا استغل الإنسان يقاتل وإذا طابت له المنيه هانت عليه المصائب

والنوازل فلله در عنتر وما فعل فكم من همام أزدى وكم دم بحسامه بذل وكم من شجاع أورثه بعد صولته الخجل ومايزال عنتر يمانع عن أصحابه حتى مضى نصف النهار ولما رأى ملاعب الأسنة قد بذل فى أصحابه الحسام انقض عليه وزعق وقاربه وأظهر ما عنده من فروسية وفى دون ساعة أتعبه ومد يده إلى درعه وأراد أن ينزله عن مركبه وإذا بغبار قد ثار وقتام تزوبع وتحته صياح عظيم قد ارتفع وخيل سائرة كالسحاب إذا همع وحديد يلمع ورماح تشرع ورجال لا تخاف ولا تفزع ولكن ينادون بالمشاجع بالدارم وفى أوائلهم اللقيط ابن زرارة وأخوته من حوله مثل الكواكب السيارة ولما قاربوا المعمعة وأبصروا دوائر الحرب دائرة حملوا على بنى عبس بالكفاح وقد سمعوا النداء واستدلوا بالصياح وعرفوا به الاصدقاء من اعداء وعرف عنتر حقيقة الحال وابصر المواكب كلها قاصدة اليه فخلى ملاعب الاسنة من يده وأراد أن يكتفه فاطلقه وصار عن نفسه يدافع ولعبت فى جسمه السيوف وقاتلت بنو عبس قتال من ليس له من الموت فكاك ووقع بينهم الحاق والفنا ولو لم تكن العناية من رب السماء ما فصل منهم من يشرب الماء الا أنهم ما فرق بينهم الا الظلام وقد قتل من بنى عبس عشرون غلام وجرح عنتر وأبوه شداد وأسروا عروة وجماعة من قراد وأحاطت بهم الاعداء من كل جانب وسدت عليهم الطرقات والمذاهب وخلص اللقيط منهم الأموال وفرح ببلوغ الآمال ثم التقى بالأخوص وسادات بنى عامر وهى تشكر اللقيط على فعاله ويسألوه عن سبب مجيئه مع رجاله فحدثهم بالقصة كيف أتى شيبوب برسالته وسيره عن أهله فى طلب عنتر وعازم على مقاتلته ثم احتال على أنى أبعدت أخماتى وخلص الحطال من قبضى وساق أخوه أموالنا بعد الطلاق الرجال وقتل من عشيرتى جماعة من الابطال وذلك أن شيبوب لما احتال عليه ورحله من بلاده ذلك اليوم فى ضحوة النهار وإذا قد ظهر من بين يديه مائة فارس طالبين أهله والديار وهم من ناحية بنى عبس وبنى فزارة فقال اللقيط لا شك أن هذه طليعة عنتر الذى أناله طالب ثم سار فى كتائبه المواكب ودار وابهم من كل جانب وبذلوا فيهم الفنا والقواضب فقتلوا أكثرهم وهرب منهم جماعة كثير وما هرب منهم الا من كان فى أجله تاخير ولما أحضروا والاسارى قدام واللقيط قال لهم يا ويلكم أين خليتم عنتر عبد بنى وفى كم فارس قد سار الينا فقالوا له ما وراءنا أحد وما من عنتر خبر وما جئنا من هذه الطريق الا لنقتفى منه الاثر وندبر على هلاكه وعدمه فقال اللقيط تكذبون ابا أولادالزنا ما أنتم الا بنو عمه عليكم زى بنى عبس وبنى فزارة فكيف تنكرون خباركم أو الاخوص بن جعفر قد قد أرسل عبدا من عبيدة

وأخبرني بمسيركم ومسير اسودكم وما أنا سائر إلا في طلبكم حتى أبلغ منكم الوطن واقلع منكم الاثر فقال له الاسارى يا أمير وحق الكعبة الحرام ما عندنا من هذا الحديث خبر وأما قولك أننا من بني عبس وبني فزارة فقد صدقت وأننا ما ننكر أحسابنا وما أتينا إلا من سبب ذلك العبيد لنقتله قال الراوي وكان هؤلاء الاوغاد الربيع بن زياد لان عنتر لما سار إلى خلاص الهطال أرسل عمه مالك إلى اشبيع بن زياد وأعلمه بمسير عنتر وقال له أعلم أن الملك قيس ألح على في عبلة التى وزفافها على عنتر وقد أنفقوا على وتجبروا وكنت قد عولت أنني أهرب بها إلى العراق وأستجير بالملك النعماني فاتي للقوم مه أشغلهم عنا وعن غيرنا من القتال وقد سار عنتر إلى بني دارم والمراد يا ابن العم أنك تتخلى عنا وتسعى في هلاكه وتقسيب في أرتباكه فلما وصلت الرسالة إلى الربيع بن زياد أعلم حذيفة بن بدر بذلك التدبير إلا أن اللقيط لما علم حقيقة الحال أراد أن يفرق المواكب في سائر الاطلال فاتت النجابة من بني دارم وأخبروه بما أنزل عليهم عنتر من البلاء المتراكم وأنه خلص الهطال هو ومن معه من الرجال وملك ما كان لنا ولك جميع الاموال وقتل من بني عمك فوق الثلثمائة من الابطال والذى أتى اليك وقال أنه عبيد الاخوص بن جعفر هو شيبوب أخو عنتر فارجع ولا تتعب وان قدرت فجدله في الطلب فانهم ساروا في البر الغامر وتقول أن طريقهم على بني عامر فلما سمع اللقيط ذلك الخبر تأسف وتحير على ما جرى لأهل حلته وتحسر وعض على كفيه ندما لاجل ما تم عليه شيبوب المحتال وقال وحق الكبير المتعال الحميد المجيد لا رجعت عن هؤلاء العبيد حتى ابلغ منهم ما أريد ثم أنه قال للفرسان خذوا في عرض البر واطلبوا بنا الطريق الواضحة التى ترمينا على ديار بني عبس لعلي أدرك هذا الاسود الزنيم واصرم عمره وعمر من معه من الشياطين فعند ذلك ساروا في البراري والقفار وكانوا إذا أرادوا النزول فما يدعهم ينزلوا بل يحثهم على المسير في البر من حرقته عنتر حتى وصل إلى بني عامر وهم في القتال مع بني عبس وجرى ما جرى مما ذكرنا في كلامنا وأظلم الظلام ورجع كل منهم إلى الخيام ونزل اللقيط بن زرارة وأخوته عند الاخوص بن جعفر وفرق الثلاثة آلاف التى أتى بها حول عنتر وكان قد خلص له وبلغ آماله وحدثه الاخوص بما فعل في بني عبس وكيف كسبهم وقتل رجالهم ونهب أموالهم فقال له اللقيط ياسيد بني عامر هذا امر قد شر عنا فيه وما نرجع حتى نتمه وما بقينا نقعد عن هذه القبيلة العبسية حتى نقطع من الدنيا فروعها بالكلية ثم باتوا لا يصدقون أن الصباح يصبح من فرحتهم بوحدة عنتر وكان عنتر قد بات وهو حامل هم اصحابه ورجاله اكثر مما هو حامل هم نفسه وقد علم بمسير عمه وسبايا بني عبس

وأموالهم إلى بنى عامر فجرى عليه مالا يجرى على قلب بشر وكادت مرارته تنفطر فقال لرجاله أنا أعلم يابنى عمى أنه لم يبق من عمرى أكثر من هذه الليلة أو غدا إلى آخر النهار لأنى عند الصباح أبرز إلى المواكب وأرمى روحى فى وسط هذه الكتائب التى قد دارت بنا من كل جانب وأعايرها بالكثرة وأطلب منها المبارزة مائة مائة فإن فعلوا ذلك بلغت منهم ما أريد ولو أنهم بعدد الرمال وأن أبو ذلك شققت فداهما هذه المراكب وخلصتم من السيوف والرماح البواتر وحميتكم حتى تغيبوا على العين وتطلبوا أرض الشربة والعلم السعدى وأرجع إلى القوم وأقاتلهم ولو مزقت أسنة الرماح جلدى ويصير لى ولهم حديث يذكر من بعدى ولا أترك العرب تلعن أبى وجدى فقال له أبوه والله ياولد مافينا أحد يتخلى عنك حتى نلاقى ما تلاقى ولو بلغت أرواحنا التراقى وكذلك قال ابن أخته المطل وكل معه من الابطال وباتت تلك الطوائف تحت مشيئة الرحيم الرحمن يعلم ما يكون وما قد كان ولما أصبح الصباح وثارت فرسان بنى عبس إلى الحرب والكفاح وقد ودعت فى تلك الساعة الأرواح من الأعداء ويفعل شيئا يذكر به دائما أبدا فترنح على سرجه شوقا إلى القتال والحرب والنزال وأنشد وقال

وأنا القوم ما تروعنا القنــــا ولا تتوفى عاقبات النوائب

وكيف لنا والموت يستحب ذيله فنلقاه منا بالنفوس الأطايب

وما أحد منــا إلى الموت كاره لأن القنا حتم على كل ذاهب

قال الراوى إلا أنه لما فرغ من هذا المقال أراد أن طلب البراز للابطال فطلع من ناحية بنى عامر غبار أسود مظلم وقتام مقتم إذا نظره الإنسان انذرعت فبهتت اليه الابصار وصار النهار مثل الاصفرار وحسب كل واحد حساب وما فيهم من وقف عوصواب وهمت الفرسان أن تدلق الاعنة وتبصر ماتحته من الجنة وإذا بغبار آخر قد طالع وبان من ناحية أرض بنى عبس وعدنان وكان أكثر سواد وأعظم جهاد وكان تحت ذلك الغبار قيس ابن زهير وفرسانه إلا أن الغبار الذى قد أقبل على ناحية أرض بنى عامر له اتفاق أحسن وأعجب حديث يكتب ويسطر فى الاوراق لانه قد انكشفت عن سبى بنى عبس وأموالهم وبناتهم إذا حل من عقال وهو ينادى ياآل مرة أبا الحارث بن ظالم الريبال أبشر يا أبا الفوارس بالنصر والظفر وهلاك الأعداء بالصارم الذكر وكان السبب فى ذلك أمرا عجيبا لا بناذكرنا أن الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر فى حرم النعمان وقتل ولده شرحبيل ظلما وعدوان.

وذكرنا أن القيط أتى بة وأخذ عوضا عنها ألف ناقة من النوق العصافير وحبس النعمان الحارث في الحديد وأوثقه لكن بقتله بعد أن يقضى أيام النعيم فسمعت بذلك المجردة بنت زهير فتألمت وزاد جواها لأنه قتل الذى قتل أباها فخافت عليه من المهالك وأرسلت اليه خمسة من العبيد وقالت لهم انظروا كيف تخلصوه واعطوه فرسه وسلاحه وقولوا له يلحق ببنى عبس وينزل على أخى قيس وعنتر ويستجير بهم يجيرك وينجدوك من سائر البشر فقالوا لها سمعا وطاعة ثم صبروا إلى أن لاحت لهم فرصة طيبة لخلاص الحارث فاتوا فى الليل ومازالوا سائرين حتى وصلوا اليه فلما هموا بالدخول عليه وإذا يتقلقل من الكتاف وهو مشرف على التلاف فاسرعوا فسمعوه ينشد ويقـــول صلوا على طه الرسول ·

يا لقومى أضنى لجسمى الوثاق   ما بقى لى من أسره اطلاق
يادرونى قبل الصباح والا   نهبت مهجتى السيوف الرقاق
يابنى عبس هل أرى من مجير   ليزول العنا وهـذا الوثاق

(قال الراوى) فلما سمعوا حسن نظمه رقت قلوبهم لشعره وقاموا وقتلوا الرجال الذى حواليه وخلصوه وأعطوه سلاحه وأركبوه جواده وقالوا له اطلب أرض الشربة والعلم السعدى واستجير بقيس وعنتر فانهم يحوك من سائر البشر فسار الحارث وهو لا يصدق بالنجاة فجعل يكمن فى النار ويسير فى الليل حتى عبر أرض بنى عامر وأمن على نفسه وجد يطلب أرض الشربة والعلم السعدى فوقع بسبى بنى عبس وأموالهم وهى سائرة مع المائة فارس الدين أسلمهم الأخلاص بن جعفر فلما رأى ذلك الملك وأبصر من معه من الرجال عرج عنهم فى لبر الاقفر من أجل أنه قتل سيدهم خالد بن جعفر وإذا ببنى عامر قد رأوه عرج عنهم فطلبوه فلما راهم قد فعلوا هذا المعانى ناداهم يا أولاد الزنا طمعتم فى لوحدتى وجهلتم مكانى وصولتى وأنا قتلت سيدكم خالد بن جعفر فلما سمعوا منه هذا المقال قال بعضهم لبعض هذا الحارث وحق من أرسى الجبال دونكم وإياه حتى نأخذ بثأر سيدنا خالد وتكسب المجد عند كل قائم وقاعد حمل عليه المائة فارس حمله رجل واحد وسدوا رأس الطريق وغرهم الطمع وعلموا أن قوته أشد من الف فارس صميدع لان الحارث كان بطلا كرار وفى الحرب ماله عيار فخرق منهم بطعناته الصدور وأجرى دماءهم من أنابيب النحور وما ثبتوا بين يديه غير ساعه من النهار حتى انهم ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار بعد ما هلك منهم سبعين فارسا كرار وأما الثلاثون فانهم لما

طلبوا الهزيمة أحاطت بهم بنو عبس وانزلوا بهم التعس والنكس لان عبيدهم حلوهم من حبال الهدان وساعدتهم فى حلهم النسوان حتى اطلقت جميع الشجعان وتبادرت إلى بنى عامر فقتلوا الباقين وما سلم منهم انسان وداروا بالحارث بن ظالم وزادوا له فى الشكر والثناء وهنوه بالسلامة وسالوه عن حاله فاخبرهم بما جرى وكيف أن المتجرده خلصته من شرب كاس المنون ومن حبس الملك وقالت له الحق بنى عبس وعدنان ثم أنه اعلمهم بذهابه اليهم يستجير بهم وبملكهم قيس ويقيم عندهم فى أمان إلى أن تنصلح نوبته مع النعمان فقال له مالك ابا عبلة والله الذى جرى على قيس فى هذه النوبه مالم يجر على بشر ثم حكى له ما جرى عليهم من بنى عامر من الاثر وكيف كبسوهم فى الليل واخبروه أن عنتر فى قتالهم وأنه قد التقاهم وهو راجع من بنى دزام واعاقهم عن المسير واراد خلاص السى والاموال فلما سمع الحارث ذلك المقال قال لهم أرجوا بنا حتى نلحق عنتر فى القتال ثم على أنى أقول اننا لا نلحقه الا ويكون قد قضى الاشغال وفرق بنى عامر فى التلال ثم عادوا اراجعين وفى سيرهم مجدين حتى اشرفوا على عنتر عندما تاهب للقتال والحرب وعول على الطعن والضرب (وأما) الغبار الثانى الذى ظهر من ناحية ديار بنى عبس فانه غبار الملك قيس وقد أتى فى ثلاثة آلاف فارس ليرث عوابس من ابطال بنى غطفان وطلب بهم خلاص الأموال والنسوان لياخذوا ثارهم ويكشفوا عنهم عارهم لان بنى فزارة تخلت عن قيس فى هذه النوبه لاجل الربيع بن زياده وحذيفه بن بدر معدن الخبث والغدر ولما أن أرسلوا المائة فارس الذين ارسلوهم لهلاك عنتر وأمروهم أن يخلوا به العبر حلت بهم الخسارة وعندما رأى قيس ذلك كشف رأسه وحمل وفعلت اصحابه مثل مفعل ونادى عليهم وسمع عنتر ذلك الندا فاطمان فؤاده وهدا فعندها هدر وزمجر وما أخفاه فى ذلك الوقت ظهر فنادى ياله من صباح ما أشامه على الاعدا فاليوم اجرعهم كؤوس الردى ثم حمل عليهم وكر وقد انشرح للقتال وخفت عنه الهموم والاثقال أما اللقيط فاخبر الاخوص وسادات بنى عامر بما تم له مع الحارث وكيف سلمه إلى النعمان وتركه مشرفا على الهلاك والحرمان فلما رآه فى هذه النوبة قد عاد سالما تعجب من خلاصه وخاف من بنى عامر ان يشكوا فى قوله فعند ذلك حمل وصاح فى بنى درام وقصد عنتر والحارث بن ظالم ومن معهم من الرجال الاجارد هذا وقيس بن زهير ومواكبه قد انطبقت على بنى عامر وما نقضت ساعة حتى اختلطت العشائر فثارت العبرات فتعملت البواتر فدارت الدوائر فرقعت الأسنة فى المحاجر فجرت الدماء من أنابيب المناخر فلعبت بجماجم الأبطال

الحوافر وفعل عنتر بن شداد والحارث بن ظالم فعالا تحير الخواطر وتبهت النواظر وكان الحارث قلبه ملآن على اللقيط لأجل ماجرى له معه فصار يطلبه من سائر أقطار الفلا ويضرب بسيفه الاعناق والطلى حتى ملا الأرض بالقتــــلى وأراد عنتر أن يحمل عنه الأثقال فاشعل نار الحرب ولظا واصطلى ودام الطعن والضرب حتى عاد النهار مرتحلا وأقبل الليل منسدلا وقد صار القوم مثلا وانفصلت الطوائف عن بعضها البعض وقد امتلأت من القتلى والأرض ورجع كل فريق إلى قومه بعدما عرفت الاصحاب وعاد كل فريق إلى جانب وخسرت صفقة بنى عامر وبنى دارم ورجع اللقيط وهو خاسر نادم وقد هلك من أصحابه ستمائة فارس مصادم وأما بنو عامر فقد هلك من عددهم أوفى أو في من ثلثهم حتى اجتمع عنتر بالحارث وسأله عن أمره فقال له عنتر وحق مكون الاكوان ومن ارسل الغيث إلى كل مكان تكرما منه واحسان وشكره على فعله فاخبره بما جرى له مع الملك النعمان وأنه قد أتى يطلب الذمام والامان العالم بما يكون ما كان لو طار رأسى بين يديك لا اتركك ولو ان خصمك كسرى أبو شروان أو قيصر ملك عباد الصلبان أو الحارث بن غسان وقد أعطيتك الذمام وأنا لك من جملة العبيد والخدام فشكره الحارث بن ظالم على ذلك وعاد عنتر إلى الملك قيس وهناه بالسلامة من الردا والنصر على الأعداء ودعا له بطول العمر والبقاء على ممر الزمان والمدا ثم باتوا تلك الليلة فى ذلك المكان وقد فرحوا برد الحريم والأموال وخلاص الفرسان الذين كانوا فى الاعتقال وما فيهم من شكر الحــــارث وأثنى عليه وحدث صاحبه بما لقى وما جرى عليه وأراد الحارث أن يمدح الملك قيس ويميل اليه فاشار يقول صلوا على طه الرسول

ألا حييت طلالكم وخيام	عليهن منى ما حييت سلام
سلام امرىء يقرى اليكم تحية	وقد مسه مما عراه سقام
لقد خضت أهوالا وجئت مبادرا	إلى ملك أفنى العـــدا وهمام
أقيس فانت السيد الملك الذى	له حسن رأى ما عليه مرام
وقد خلصتنى اختك الآن عنوة	من السجن لما كنت فيه اصام
اونبيك انى قد قتلت ابن جعفر	وقد ناله بعد الهوان حمــــام

أخذت لكم بالثأر منه بصارم ... له لمعان والقتام ظـــلام
قطعت الفيافى وصلت إلى لقا ... بنى عامر والسبى فيه قتام
رأيتهموا فى الذى يبدو تأسفا ... عليهم من الحزن الشديد قتام
وعبلة قد أضحت لديهم مهانة ... وأدمعها فوق الخدود سجام
تنادى بذل أين عنتر كى يرى ... هونى ومع هذا الهوان أضام
فخلصت كل السبى منهم بهمه ... وفى كبدى منهم جوى وغرام
وقد جئت من أرض العراق مصمما ... اليك رجائى من علاك ذمام
وأنت شجاع الحرب يا عنتر الذى ... له الأشد تخشى وهى منه رغام
أفارس عبس لى اليك شكاية ... لهم وسقم ليس فيه مــــلام
فكن لى معينا يا فتى عبس وأنظر ... لحالى فمن وافاك ليس يضام
أجرنى من النعمان مالى سواك من ... يحامى عنى والخطوب عظام
لانك قد أصبحت تخشى وتتقى ... وعزمك من كل الأمور برام
وكم قد تركت الخيل سلبا عواريا ... وفرسها فوق الصعيد نيام
إذا سمعوا مزماك فى كل معرك ترى ... الرعب فى كل القلب يقام
وقد علمت كل القبائل أن من ... تكون له حصنا فليس يضام
وملوك الأرض تخشاك فى الورى ... لأنك فرد فى الأنام همام
فلا زلت للقصاد كهفا وملجأ ... وأنت حمى للنائبات حسام
علوت على السبع الشداد بهمة ... وعزم له فوق السماك مقام

(قال الراوى) فلما سمع الملك قيس شعره تعجب من نظمه ونثره وقال له وحق ذمة العرب لو طلبك كل من فى الأرض طولها والعرض ما مكنتهم منك هذا وقد بات عند بنى عبس من الأفراح مثل ما عند أعدائهم من الاقراح ولما طلع ضوء النهار وأصبح الصباح عادوا للحرب والكفاح وبذلوا الاجساد والارواح للسيوف والرماح وقد كانت وقعة تشيب رؤس الاطفال ولمـــا عبر نصف النهار وقعت الخسارة فى بنى عامر وبنى دارم ونثر عنتر فرسانهم بالطعن الدائم ورمى بحسامه القلل والجماجم طير القحوف والمعاصم والتقى بملاعب الاسنة الحارث بن ظالم فاصطدما ودمدما

وغابت عنهم الأرض والسما وجرت من الاحداق الدما وماز الوا كذلك آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار وولت القبائل قدام بني عبس وعدنان واختارت الهزيمة وكانت نجاتها أوفى غنيمة ورجعت بنو عبس بالاسلاب والغنائم وقد بنت لها المعالي بيتا مشيد الاركان ثم نزلوا للراحة فى ذلك المكان وكل منهم يهنى بالسلامة صاحبه ويسلم على الذى بجانبه ويحدث بما لقى من قتاله وعجائبه ولما أصبح الله تعالى بالصباح رحلوا بالحريم والأموال وقد سلم عنتر الغنيمة الذى معه من بنى دارم إلى عمه مالك وقال له ياعم هذه الغنيمة قد تركتها للعروس والوليمة فقال مالك بخبثه ودهاه يا إبن أخى ابشر بكل ماتريد فعيله أمتك وأنا وأخوها من جملة خدمك ولكن ياابن أخى نريد أن نصبر حتى يهدأ روعك وتتم أفراحنا ما دام أن القلب قد بلغ المنا وهزمنا عدونا. فطاب بذلك الحديث قلب عنتر بن شداد وتسلى بذلك الميعاد وأنطلى عليه مكر عمه والكياد وكان قوله كله زور ومحال. فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام قال والله ما تقيم فى الديار أكثر من ثلاثة أيام نزف عبلة على حامينا عنتر قبل أن يجد علينا عارض آخر لان أعداءنا كثيرة وهمومنا غزيرة ثم أنهم جدوا يطلون الديار وعنتر بجانب الحارث وهو يطيب قلبه ويوعده بالامان وحسن الحالات وهو ينشد هذه الابيات

أعادى صروف دهر لا يعادى ... واحتمل للقطيعة والبعـــاد
وأظهر نصح قوم ضيعونى ... أزالوا من قلوبهـــم الودادا
أعلل بالمنا قلبا عليـــلا ... وبالصبر الجميل وأن تمادى
يعيبونى العدا بسواد جلدى ... وبعض خصائلى تمحوا السوادا
سلى يا عبلة قومك عن فعال ... ومن حضر الوقائع والجلادا
رددت الخيل والأبطال حولى ... تهز أكفها السمر الصعادا
وخضت بمهجتى بحر المنايا ... ونار الحرب تتقـــد أتقادا
وعدت مخضبا بدم الأعادى ... وكر الحرب قد بل الجوادا
وكم خلفت من بكر رداح ... بهيج حسنها تحيمى الفؤادا
بسيف مرهف الحدين ماض ... يقد بحـــده الصخر الجمادا
ورمحى ما طعنت به لقـوم ... وعاد بعينه نظر الرشادا
ولولا صارمى وسنان رمحى ... لما رفعت لها عبس عمادا

قال الراوى فلما الحارث شعر عنتر فى عينيه وصفا قلبه اليه ومدحه وأثنى عليه وكان الحارث خبيثا لا يصفو قلبه لاحد من الابطال ما كان لفارس قط عنده هيبة من الفرسان والرجال ولولا فزعه من النعمان كان أذله وقهره وإلا كان مكر بعنتر وغدره ولكن علم أن العرب كلها لا تقدر أن تجير من النعمان ولا أحد يقدر يقاومه من ملوك الزمان فلاجل هذا أذل بنى عبس وعنتر وأعتمد عليه من دون البشر وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ديار وانقطع يأس مالك أبى عبلة من سائر العرضيات وعلم أن أبنته تخرج من يده ويأخذها عنتر بغير اختياره فالتهب قلبه وزاد توارد أفكاره وخلا بولده عمرو وأطلعه على أسرار فقال عمرو والله يا أبتاه يا أبتاه أن أضعاف ما عندك وها أنا منتظر أنى أن يتم هذا الأمر وكانه محقق وأهج على وجهى فى القفار وأبكى على فضيحتنا ليلا ونهارا ولكن الصواب يا أبتاه أننا نرحل إلى بنى فزارة وتعلم حذيفة بن بدر أو الحارث بن ظالم عندنا وأنه استجار بملكنا قيس وجل معتمده عليه لعله يرسل إلى النعمان ويخبره بذلك الأمر والشان فلعله يرسل إلى قيس ويشغله عنا ونبلغ نحن ما نتمنى فلما سمع مالك كلام ولده زال عنه بعض ما يجده وفى الحال أنفذ الى الربيع بن زياد يشكو اليه ما هو فيه من العناء والعناد ويعرفه بجميع ما جرى من قيس عنتر ابن شداد وأنهم لما وصلوا إلى الديار وقربهم القرار أنزل الحارث عنتر فى أبياته وصار يقضى معه أكثر الأوقات بالفرح والمسرات وهم فى شرب وتناول لذات وهو منتظر وعد عمه وانجاز الميعاد من الملك قيس بالمعاونة والاسعاد قال الراوى وبعد خمسة أيام جاءته الامة خميسة وهو فى بيت امه زبيبة وقد أصبح ذلك اليوم تعبان مجهودا مكردا مكروب وقد امتنع عن الركوب فقالت له يا مولاى احفظ نفسك من عمك مالك ولا تغتر بوعده فانه قد غدر عهده وقد أتى اليه رسول من الربيع بن زياد وهو يقول له اخرج بعنتر إلى غدير ذات الاصاد وأظهر له أنك تريد الخلوة به والمشورة فى أمر ابنتك عبلة حتى ندهمكم على غفلة ونخفى أمره ونجرحكم جراحات خفيفة غير قاتلة حتى إذا رجعتم إلى الاحياء وسألكم الملك قيس تقولوا له نحن ما ندرى الا وخيل غائرة فدهمتنا وهجمت علينا ونحن فى فرحنا ومسرتنا فجرحونا ونحن سكارى وما ندرى ما جرى وما نعرفهم عن الاعداد من الاصدقاء وتستريحوا انتم من الهتيكة والفضيحة فى ابنتكم لانه لما سار إلى بنى دارام أرسلنا سرية من الخيل خلفه لتقتله فاهلكها اللقيط بن زرارة وكانت مائة من الفرسان الامارة فهلك منها سبعون ونحن من أجلها حزانى منكسرون

{ تم الجزء الثالث عشر ويليه الرابع عشر }

الجزء الرابع عشر

من سيرة عنتر بن شـــداد

(قال الراوى) وهذا الحديث ياأبا الفوارس ماعلمت به مولاتى عبلة ولاسمعه إلا مولاى مالك ووالدة عمرو لان الذى أتاهم يقال له مكتوم وهو من خواص عبيد الربيع وهو يحبنى محبة زائدة ولولا هذا ما كان أطلعنى من هذا الحديث على لفظة واحدة ثم عادت الأمة من عند عنتر وقد أوصته أن يأخذ الحذر وتركته كأنه فى نار سقر ومن شدة ماجرى عليه شك فى مقال الجارية خميسه وماظن أن عمه يغدر به ويكتم مامعه وماسمع وأراد بذلك صحة الخبر وكان السبب فى ذلك أن الربيع بن زياد لما وصل اليه الرسول وسمع أن عنتر عاد سالما ومعه أموال بنى داء وذلك بعدما أهلك الفرسان وخاص السبايا هو والحارث بن ظالم وقد اجاره من جميع المآثم وهو عنده فى أعظم الجوار وقال له أبشر بكل ماتحب وان يعرض لك كسرى هدمت ايوانه أو قيصر ذبحت فساقته ورهبانه فعند ذلك أعلم الربيع حذيفة بهذا الخبر وأطلعه على ذلك الأمر المنكر وقال له والله يا أبا الحجار مابقى لنا رأس تشال اذا لم ندبر على هلاك هذا العبد نسل الانذال ثم انهما اتفقا على المعاونه وأنفذوا رسولا من يومهم الى الملك النعمان وهم يقولون الذى نعرف به الملك العظيم الشأن ملك العربان ان عدوك الحارث الذى قتل ولدك شرحبيل وقتل خالد وجعفر فى حرمك وهرب من حبسك فهو الآن فى بنى عبس وقد أجاره قيس وعنتر وقال قيس هذا الذى قتل قاتل أبى وأخذ ثارنا وأريد أن أبذل نفسى دونه ولو طلبه النعمان أو كسرى أنو شروان ماسلمته اليهم الا بعد ضرب يهد وطعن يقد وأما عنتر بن شداد فما أقدر أن أواجهه الحضرة النعمانية بتاتا أبداء من الكلام لان ملك العرب أخبر بمخافته وما يخفى على الملك مكره ووقاحته وبعد انفاذ الرسالة إلى الملك النعمان أرسل إلى مالك ابى عبلة يأمره أن يفعل بعنتر كما ذكرنا وجرى من القصة ماجرى وعلم عنتر بذلك الحال فبقى بين المكذب والمصدق فتارة يسىء الظن بعمه مالك أن يكون أضمر له الشر والمهالك وتارة يظن أن الربيع بن زياد دبر هذه التدبير لما علم ان عمى قد رضى على واصطلح حالى معه فانفذ العبد الى خميسة واخبرها بذلك الحال وما دبر من الاحتيال حتى يمنعنى عن بلوغ الآمال وانا أورب

الكعبة ما اطلع على حالى احدا حتى ابصر آخر هذا القصة كيف تكونوا كشف عن هذه الغيون لانى اخاف أن يدعونى عمى بغير اتفاق ويكون هذا الحديث خداعاو نفاق ونرجع إلى ما كنا عليه من العناد وينفسد ماتقرر مع عمى من الصلاح والوداد ثم أقام عنتر على ماهو عليه من الهم والافتكار حتى انبسطت الشمس وتعالى النهار وإذا بابن عمه عمر وقد أقبل وقال ياابا الفوارس ان أبى انفذنى اليك هو يسلم عليك وقال لى خذ ابن عمك عنتر ثم امضى به إلى غديرات الاالصاد حتى اننا تخلوا به اليوم ونشاوره فى امورنا وننظر مانى نيته ان يفعله فى حق عبلة زوجته ونعيد معه المشورة والرأى على مانحب ونختار ولم يعلم بحالنا احدا فقال له عنتر السمع والطاعه لاى شيء لم ترسل بعض عبيدك ولا كنت تعبت نفسك لانى انا المسعود فى هذه العبارة ثم انه صار إلى مضربه ولبس اخراثوابه بعد ماليس ثوبا من الورد مضاعف العددلا يعمل فيها الصارم المهندوهى حرز لمن عليها اعتمد وكل ذلك احترز منه على نفسه من الحديث الذى سمعه من خمسه وقدم له شيبوب فى ركابه وتقلد بسيفه الظامى الابتر وسار مع ابن عمه عمرو واخوه جرير وشيبوب فى ركابه وقد اطلعهم على ذلك الحال فلما وصلوا إلى غديرذات الارصاد وجد عمه فى الانتظار والعبيد بين يديه وهم يروقون المدام ويصلحوا قدور الطعام فلما اقبل عنتر قام له مالك على الاقدام وبجله وقال له اهلا وسهلا بضيفى وترسى ثم شكره واثنى عليه وما استقر بهم المقام حتى قدموا له الطعام فلما اكتفوا من الطعام دارت عليهم اقداح المدام واخذوا بعد ذلك فى المشورة والكلام وطابت لهم الخلوة وعملت فيهم النشوة وقال له عمه ياابا الفوارس انا ما خلوت معك فى هذا اليوم الا حتى يذهب التعب واللون لان حبلى بحبلك قد اتصل ومرادى بك قد حصل فانفذ غدا إلى اصدقائك وادع من تشاء من رفقائك حتى تشرع فى أمر عرسك وتبلغ مناك وانا فى نيتى أن اجمع كل من فى الحى من النساء والرجال والعبيد والأحرار ولا اترك كبيرا ولا صغيرا ولا عبد ولا اميرا ولاغنيا ولا فقير إلا واجعله يحضر فى الوليمة وأدع جميع الناس يرتعوا فى الطعام ويشربوا المدام واكسو الأمل والايتام ونحن إسمنا كبير وخيرنا كثير فافعل انت ماتشاء من التدبير فعندها طاب قلب عنتر بهذا الكلام وحقق أن قول خميسة الذى سمعه منها عن الربيع زور محال ومن خمدة سروره وافراحه وقف قائما على الاقدام وقال والله ياعماه ما انا إلا عبد لك على مدى الازمان وانى قد فوضت امرى اليك ياسيد العربان وتركت زمام قيادى بيدك واتكالى على الله وعليك فافعل ماشئت ودبر ماهويت وابذل جميع ماعندك من المال وإذا اخرج شيء من يدك فالرب القديم يخلفه

عليك لانى ياعماه أموال العرب كلها بيدى وهى تصير كلها اليك وأنت تكون الحاكم والأمير وأنا ما أريد من الدنيا إلا سيفى ورمحى وجوادى بعد بلوغ آمالى ومرادى وأنا أسعى فى عمل الوليمة وتحصيل الخلع والخمر ونبادر فى هذا الأمر ثم أنهم بعد مادار بينهم الكلام وامتلأوا من الطعام أخذوا فى تناول كاسات المدام ودارت عليهم الكاسات والاباريق والخمر الصافى العتيق وغنت لهم الاماء والمولدات وطابت لهم الأوقات حتى نسوا المصائب والآفات ولم يزالوا على ذلك الغبار إلى آخر النهار وقد لبست الشمس حلة الاصفرار وطال على مالك أبى عبلة الانتظار وكذلك ولده عمرو زادبه الاشتعال وهم ينظروا إلى تلك البرارى والتلال ويرتقبون الخيل تطلع من ناحية بنى فزازة وعليها الأبطال قبل قدوم الظلال وصار مالك أبو عبله يشرب المدام ويسقى عنتر على ذكر عبله بالكبار والصغار وقد أكثروا على عنتر بالشرب لأجل أن يسكر وهو لعلهم أن يبلعوا منه ما يؤملوه هذا وعنتر يأخذ منهم ويشرب وهو على قلب غافل ولا غم عنه بل هو فى طرب وكان مالك أبو عبله قد أعلم العبيد بما يفعلون من المكر والتنكيد فصاروا يتغامزون عليه بالعيون والأحداق وقلوبهم تغلى بالمكر والنفاق فعند ذلك فاق عنتر وصح عنده كلام الامة خميسة وكان أخوه شيبوب واقفا فى الخدمة وشكيمة الابحر بيده وهو تارة يشرف عليهم وتارة يدور حولهم ويقول لجرير أخيه ويلك ياأخى راقب التلال وأخاليف ورمال مخافة أن يكون قد كمن لاخيك رجال يطلبون هلاكه والوبال هذا وشيبوب يرقب البركان السرحان وكلما أبصر أخاه بينهم وهو على ذلك الحال وهم دائرون به من اليمين والشمال ويزيد به الهم والبلبال ونظر إلى عمرو واختى عبلة وهو منتظر من أبيه أن يأمره بضربه وهم منتظرون الرجال فعند ذلك صاح شيبوب على أخيه وقال له قم ياولد الزنا من بين هؤلاء الاندلال فعند ذلك وثب عنتر وسل حسامه الظامى الابتر وعول أن يبذله فى الجميع إذا هو بخيل بنى فزازة قد طلعت وفرسانها قد أسرعت وفى أوائلها الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر معدن المكر والكياد والكل ينادن جاءك البلاء يابن شداد ثم أنهم افترقوا وداروا حوله من كل جانب وأقبلوا اليه بالقنا والقواضب وبأن ذلك الوقت الصادق من الكاذب فتقدم عنتر ليركب على ظهر الجواد ليلتقى الخيل التى أتت اليه مع الربيع بن زياد فعند ذلك صاح مالك على ولده عمرو وقد لعبت به نشوات الخمر وقال له ويلك ياجبان اضربه بسيفك الصقيل أو اطعنه برمحك الطويل فما بقى له بعد قدوم هؤلاء الفرسان إلى الهرب من سبيل فعندها سل عمرو حسامه وضرب به عنتر الا أنها ضربة ذليل مهان فلم يبال بها عنتر ولا

اوهت لةجنا ربل أنها قطعت أثوابه وردها عنه الدرع المقدم ذكره فلم يتالم لهاقفز حتى بقى عد ظهر جواده الابجر واستلب الرمح الكعوب الأسمر وتقلد بسيفة الظامى الابتر وقفز إلى الخيل المقبلة كأنها القضاء والقدر وطلبها قبل ماتطلبه وهو يشتم و يدمدم ونوى لعمه مالك الشر والمهالك وهو يقول له ياغدار يامكار رحق الملك الجبار لا بد أن أعاملك على هذه الافعال بالوباء والوبال ولاحرمتك شرب الماء الزلازل ثم أنه استقبل الأبطال وطلب منهم الشر والقتال وشيبوب بين يديه يهمز مثل همزات الغزل ويرمى بنباله فيصيب بها مقاتل الرجال وصار هذا يطعن بالرمح فى الصدور وهذا يرمى بنباله فى النحور وجرير ينادى خاب والله ظنكم يابنى الزوانى من صيد هذا الاسد الكسور وكان النهار كما ذكرنا قد انقضى أكثره وبقى أيسره الا أنه ماأقبل الليل والا وقد تمددت الفرسان مثل العمد وضاق عليهم البر والفدفد وضربهم ضربا يقد الزرد وطعنا إذا سمع وقعة على حذيفة وأراد أن يطعنه ويسقيه كأس المنيه ويفقده روحة بالكلية وإذا بشيبوب قد استقبله وضرب جواده بنبلة فقلبة ووقع حذيفة من مركبه فادركه عنتر وضربة بقوة خيله فوصل السيف إلى عاتقة لخلة وتركه مرميا تحت أرجل الخيل وطلب الربيع بن زياد وزعق فية فولى هاربا لانة ماأبصر حلاته أهاانة ورأى ضرباتة من تكون منيتة قد قربت وروحة علية قدهانت ثم انة أدار رأس جواده وطلب أرض بنى فزارة ومن بقى بين يدى عنتر أنزل به الذل والخسارة وحل به الوبل والعدم وتركهم ممدودين على الروابى والاكم والمانظر حمل إلى أخيه حذيفة وهو على الأرض ممدد فى دهشته وربطة على بعض الخيول وهو غائب عن الدنيا وتبع الربيع بن زياد ولعب عنتر بسيفة فيمن بقى من الرجال وقد ساقهم اليه مقدر الارزاق والآجال ومن حكم علية بالمحاق والربال أن عنتر عاد عنهم بعد هذه الفعال وأنشد وقال

ترى علمت عبلة بانى مظفر — على كل أعدائى اللئام بلا كذب
ولى صارم كالبرق يلمع نورة — لذا هزة كفى تلألأ مع الشهب
فمن شاء إلى فليقدم فاننى — أرى الموت سهلا والحياة بها كربى
يريدون قتلى والحسام محكم — بكفى وجن الارض تهرب من حربى

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من ابياتة عاد وهو من شدة حنقة على عمة مالك وولدة عمرو يطلبهما على الغدير حتى يشفى منهما عليل صدره وماعنده من الزفير وكان قدعول إذا لقاهم أو ثقهم بالجراح ويسمى عبلة ويطلب البعد عنهما والانتزاج فما رأى لهم أثر

فقال لأخيه شيبوب أنهم قد عادوا يطلبون الخيام وعند الصباح تقع المشافهة والكلام ثم أنه سار يطلب أبياته فما وصل إلا والليل قد عدر رواقه بالظلام فترجل عنتر وأوصى أخوته ونام وكان أبوه شداد وعمه زخمة الجواد والحارث بن ظالم وعروة بن الورد ذلك اليوم فى دعوة الملك قيس بن زهير وقد عادوا من عنده سكارى ونامى ولما كان عند الصباح انتبه عنتر من المنام ثم عرض مما جرى له على قلبه وكان ظن أنه رأى ذلك المنام فأحضر أخاه شيبوب عنده وقال له يا أخى رأيت رؤيا شنيعة وأريد أن أقصها عليك ثم ابتدأ يحدث شيبوب بما جرى له من تلك الأحكام فقال شيبوب يا ولد الحرام هذا يقظة لا منام ثم أعاد الحديث من أوله إلى آخره وأخبره كيف قاتل بنى فزاره وكيف قتلهم وما أنشد من الشعر الرقيق ثم قدم الرزديه التى كانت عليه وهى مخضبة بالدماء وكذلك سيفه وقال والله يا ابن الأم ماظننت أنك ترجع سالم وما صدقت أنى أراك فى بيتك نائم ولكن سلم الله العزيز الدائم فقال عنتر لأخوته والله لقد سلمنا يا بنى الاركام ولكن أين أنه قال لولده عمرو واضرب عنتر بسيفك الصقيل لاترك دمه على الأرض يسيل قبل أن يذهب هذا العبد الذليل ويخلص من أشراك الوبال لأنهم خافوا عليك بالشراب وخدعوك بزخارف المحال ولما قدمت الخيل عليك وجرحت حذيفة بن بدر وانهزمت الفرسان بين يديك هرب الربيع بن زياد وهو خائف منك وصار يلتفت اليك وأنت تخب بالجواد وتطلب غدير ذات الأرصاد وأنت تقسم أنك لا تبقى من الأعداء أحدا وصرت أنا أردك وأنت لا ترد وتسمع منى بل تزعق على وترمى بالسيف إلى وأنا خائف أن تقع ضربة منك ودرنا عليهم فما وقعنا بهم ولا رأينا أحدا كبيرا ولا صغيرا فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك الخبر قلق لذلك وتحير وحمل أثقالا من الهم والفكر وعول أنه فى ذلك اليوم لا يظهر فبينما هو كذلك إذا الأمة خميسة أقبلت اليه وقالت له يا أبا الفوارس ومولاتى عبلة تسلم عليك وتعلمك أن أباها وأخاها رحلا على وجوههما فى القفار بين يديك وحلفا لا يسكنان الحى وأنت حى فقال له عنتر عند ذلك أما كفاهم ما فعل بى الغدر والردا وقد نسانى إلى الظلم والاعتدا وهم أساس البلا فحدثينى بما جرى قال الراوى وكان السبب فى ذلك أن أبا عبلة هلك من نبال شيبوب وضربات عنتر استحى مالك وولده عمر وأن يرجعا إلى الخيام فقلق مالك لذلك وهام وقال لولده عمرو والله يا ولدى ما بقى لنا فى هذه الديار منام لأن الناس عند الصباح يعلموا بصفقتنا ويأكلوا لحومنا بالملا والكلام سيما الملك قيس

وأخوته وأخى شداد زوجته وأنا عولت على أنى أسير إلى الملك النعمان أحكى له على قصتى وأستجير به من بلوتى وأدخل تحت ذمامه من هذا العبد الزنيم الذى عاندنى فى ابنتى على أن النعمان بعد ما علم الحارث عندهم وانهم أجاروه لابد أن يسير اليهم بسائر الفرسان العرب ويقطع ما بين القبيلتين من النسب ويكون هذا لقلع آثارهم سبب وان قتلنا عنتر بلغنا والله الارب وتزوج اختك لمن تكون فى نعمته ونعثر نهيبته فقال عمرو الصواب يا ابتاه اننا ناخذ عبلة معنا ونبعد عن هذه الديار فقال أبوه لايا بنى ما هذا صواب لاننا أردنا أخذها معنا ماطاوعتنا على هذه الأحوال ثم قال مالك للعبيد الذين كانوا معه ارجعوا أنتم إلى الاوطان والعيال واحفظوا المرعى والانعام والأموال حتى نبصر آخر هذه القصة وكيف تكون الأحوال وقولوا لابنتى عبلة اننى مايح على وجهى فى الجبال خوفا عليها فان كانت هى تختار عنتر علينا وتطاوعه على ما يريد فدعها تفعل ما يختار وإن أرادت أن تصون عرضها وتستر نفسها فتمضى تستجير بأخى شداد وعمها زخمة الجواد فان عنتر لايهتك حرمتها ولا يخفر لاجلها ذمتها ولا يؤذيها قال الراوى ثم سار مالك وولده عمرو فى الليل وجدو المسير على ظهور الخيل ورجعت العبيد إلى المضارب والخيام وأعادوا على عبلة ماقال أبوها من الكلام فتجددت عليها المصائب والأحزان وقالت عبلة وحق البيت الحرام مارأيت على وجه الأرض بقية أشقى منى فيا ليت أمى لم تلدنى وأما قول أبى أنى أستجير بعمى شداد من عنتر فانا لاابرح من هذا البيت ولا أظن فى ابن عمى هذا الظن لانه طول عمره بطلب نصرتى وتسبينى العدا ويخلصنى من النوايب والردا ثم انها باتت متفكرة فى امرها إلى أن طلع النهار انفذت الأمة خميسة إلى عنتر تعلمه بهذه الأخبار وقالت امضى إلى عنتر واعلمه بهذا المعنى فمضت اليه الأمة خميسة وعلمته كما ذكرنا فلما سمع عنتر هذا الحديث مابقى يدرى كيف يفعل وهو متفكر فيما جرى عليه من تلك الأخبار والأسباب إذ قد دخل عروة خليله والحارث بجاورة ومافيهم إلا من هو مستوحش لعنتر وساله عن كل حاله فتحسر وقال والله لقد كان يومى اشأم الأيام واسرها لايجعل الله مثله لصديق ثم جعل يحدثهم بالحيلة التى دبرها عمه مالك وما جرى له من بنى فزارة وكيف عادريهم إلى الخسارة ثم قال لهم وانا اعلم ان عمى فى هذه النوبة مايخطى الملك النعمان بل لابد أن يصل اليه ويحدثه بحديث الحارث ابن ظالم ولابد أن يصير بيننا وبينه العداوة والقتال واحتاج أن التى روحى إلى الأهوال إلى ان أبلغ الآمال أو أن تلعب الختل برأسى فى المجال ولابد ان ينفذ الملك النعمان بطلب

الحارث من الملك قيس فقالوا له صدقت يا أبا الفوارس وأما عمك فإنه يطلب ابنته والربيع ابن زياد يأخذ أخاه عمارة ويزوجه عبلة ويضيع كل ما عملته ولا تبلغ منها أملته فقال عنتر وحق ذمة العرب من معد بن عدنان لو أتانا النعمان بنفسه وسائر العربان أو أتانا كسرى أنو شروان وطلب من ذوايب عبلة شعرة واحدة لما قدر إلا بعد طعن يعمي البصر وضرب لا يبقي ولا يذر فقال الحارث يا أمير عنتر أما النعمان فلا تحمل همه فانا إذا سمعت أنه ساير ميك آخذ معي عشرة فوارس وأسير اليك واهلك عساكره وادرى كتائبه وأبيد عشائره وأما عمك مالك فواجب عليك أنك تسير اليه وتأخذ الملك قيس ابن زهير وتلحقه فى الطريق وترضاه وتترفق به وترده إلى الحلة لاجل محبوبتك عبلة لأن المحب يذل المحبوبة ولو كان الجفاء والهجر من نصيبه كما قال الشاعر

إذا ذل المحب وبات يشكوا ... إلى عـــواده شكوى السقيم
يؤمل أن يزيل الله عنـــه ... لهيب توقد الشوق القـــديم
ولا سيما إذا كان التشاكى ... من البـــلوى إلى قلب رحيم

(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذه الأبيات من الحارث بن ظالم دمعت عيناه وزاده جواه وكثر جنونه وزاد شكوته وقال أما عمى مالك فانا أركب وأسير وراءه وارضاه وإن لم أجده سيكون بيني وبينه حديث يذكر ويروى قال فبينماهم فى الحديث والكلام إذ دخل عليهم من عبد عند الملك قيس الهمام وقال يا أبا الفوارس كلم مولاى قيس فان رسول حذيفة قد أتى اليه على سبيل الشكوى ويذكران له عليك دعوى وقد ذكر أنك جرحته وبغيت عليه وأوصلت الاذية اليه وما هكذا ينبغى أن تكون الرجال الاجواد المعروفين لأنهم طول عمرهم طالبون قتلى فى السفر والحضر ولا بد لى معهم من يوم اسود أغبر من ضرب الحسام الذكر والا ما اكون فما أنا بن شداد عنتر لاسيما حذيفة والربيع بن زياد القرنان الكثير الكياد الخوان وإن سلم اليوم فما يسلم غدا ثم أنه ركب وسار إلى حضرة الملك قيس فلما حضر قام له كل من فى المجلس وسأل عن الخبر والحال فقال له قيس يا أبا الفوارس أى شىء أوجب هذه الفعال وما سبب هذا القتال ولماذا تسرف فى شرب الخمر الميشوم حتى جرى منك هذا الأمر المذموم فقال عنتر وما الذى فعلت من الفعال حتى استوجب هذا المقال أنا وحق رب الأرباب قط ما شربت وغاب لى الصواب فقال الملك قيس هذا رسول حذيفة جاءنى يشكو لى ويقول لى على لسان الرجل يا قيس أنا ركبت فى مائة فارس أنا والربيع بن زياد وكنا قد جئنا نهنيك بالسلامة ونعتذر فى التقصير من

قلة المسير اليك لأننا كان لنا سريه فى بلاد اليمن وهلكت وما عاد منها إلا القليل وذكر لنا بعض المنهزمين أن الأعداء وراهم طالبين وقد قعدت خوفا على الحريم ولما سمعنا أنك قد عدت سالما أتينا نهنيك بالسلامة فثار علينا عند شداد عند غدير ذات الأرصاد وهو سكران لا يعقل إنسان فقتل رجالنا وأهلك أبطالنا ومازالت الرجال تردع عن أنفسها وأنا أقول يابن عمى لا تثير وا بيننا الدماء ولا تحاربوا هذا الرجل واحذروه فانه سكران ولم يزل إلى أن وصل إلى وأنا أقول هذا المقال ولا أدافع ولا أدفع بل صرت أقول إذا رآنى يستحى منى ويرعانى فما هو إلا أنه لما لحقنى مد يده وضربنى فقلت أنه قتلنى وقلت أن أناها جمعته ولم أرعكم يثور الحرب بيننا وبينكم وما كفاه حتى صار يقول لنا يا أولاد الزنا ونتيجة الخنا أنتم تطلبون قتلى ولو أن عمه مالك كان يرده عنا لكان قد تعبنا إلى الديار فنحن ياقيس بقينا أولاد زنا وعنتر عريق النسب وأصل الحسب فان كان فعل هذا عن إذنك فاعلم حتى نعلم انك حردان علينا فنحترز على أنفسنا ونعلم انك قائم علينا لأجل إنعادنا عن نصرتك وان ماعندك من ذلك خبر فلا تستحسن البغى لعنتر ولا تستحسن هذه الفعال التى بها تنكدنا وأنت بالأمس كنت راغيا فيها ومراعينا جانبنا فان كنت على ما تعهد فانف عنتر ودعه يرحل عنك ويطلب ارضنا غير هذه الأرض حتى تعلم انك غضبت لغضبنا ورضيت لرضانا ثم قال قيس يا عنتر وحق البيت الحرام لقد ضاق صدرى لاجل سماع هذا الكلام لان عندى من كثرة اداننا وزيادة همنا ما يشغلنا عن مناداة عمنا فقال عنتر يا مالك وحق من ارسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق والآجال ان هذا الحديث زور ومحال ثم اخبره بما جرى له مع عمه على الحقيقة واعلمه ان عمه ووالده قدموا خوفا منه وبعدها فما بقيت اقع بأحد من الأعداء وإلا واسفك دمه ويبقى قلبه على بدواهيه ومعانيه واما قولهم انهم كان لهم فى بلاد اليمن فرسان وهلك اكثرهم فصدرانى هذا المقال لانهم يا ملك قد علموا بمسيرى لاجل خلاص بنت اختى الهطال وجال فانفذ والملك السرية لقتلى فوقع بهم اللقيط وفعل هذه الفعال وكل هذا يا ملك يجرى وانا اخفيه وفى آخر الامر يقولون ان عنتر بغى على ساير العالم والحال انى مظلوم وهدونى ظالم فانا اريهم اليوم عاقبة الظلم والبغى على من تعود قال الراوى فلما سمع الملك قيس هذه المقالة عرف بباطنه صدقه من محاله لان طريق الحق واضحة واشواهدها على من تكلم بها لائحة فقال قيس الرسول عليه لوايح فقل له ان كان كل من أشار على بنفى عنتر عن

الاوطان فما يكون إلا قدأرا دلى الهلاك والقلعان لانى كثير الاعداء قليل الأعوان وإن فعلت هذا فلا آمن من نوائب الزمان فكم من مرة خلص عنتر حريمنا والنسوان وانقذهم من الذل والهوان وبعد هذا أنا أدخل بين عنتر وبين فزارة لأن الاختبار قد بين لهم الربح من الخسارة وهم قدجربوه مرارا وعرفوه بأن أرادالناصفة فانصبوه ثم أنه ردالرسول وعلم مافى قلبه ووعده أن يعينه على عمه ورجع عنتر إلى مضاربه وامواج الهموم تلعب فى فؤاده وجرابه وكان أكثرهمه أوغمه لاجل غيبة عبله لأنه لا يعلم أين تسير على أن عبله ينغص عيشها لغيبته وبقى عنتر مدة خمسة أيام لايلتذ بطعام ولا تهنى بمنام وبعد ذلك طابته أم عبلة وقالت له اعلم ياولدى أنه قدخرب بيتى من الرجال ويخاف على ما عندى من الأموال وحراب البيت ماهو صواب وتشمت بنا سائر الأعداء لاسيما الأهل والأصحاب وتلقى بعدهم الذل والأسا فى الصباح والمساء والصواب انك تجد فى تدبير حلفهم وتكشف اختيارهم ولا تؤاخذهم بفعالهم لأن كل ماجرى من تدبير الربيع بن زياد بتلاوة الله بالنصر والانبكاد ثم قالت له أم عبلة اعلم انهم إذا وقعوا وتم عليهم أمرا من الضير فانلتقى بعدهم سرورا ولاخير ولاسيما من كلام الناس فان العرب كلها تقول تركت أباها وأخاها واعتمدت على عنتر فى شدتها ورخاها وأنت أخبر بهذا الأمر فدبر تدبيرا يكون فيه الصلاح فقال لها عنتر يامولاتى أنت تعلمى أن الذى جرى على هذه التوبة من بده كان وهو ما طلب إلا هلاكى والقلعان لأنه كان يظهر لى خلاف ما كان منه فى الفؤاد ويلقانى بالترحيب والوداد ويرجع يدبر على هلاكى هو والربيع بن زياد عاقبه الله بهذا اللجاج والعناد لأنه فعل هذا الف مرة ثم يعود ذلك عليه وبالا ومضرة ويلتقى عاقبة بغية وأنا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لوكان ياعنتر أنا ما أريدك لا بنتى عبله ولا أريد أيضا تقيم عندنا فى الحلة ما كنت فيها اقمت بل كنت رحلت وعلى الله توكلت فعند ذلك كانت عبله وقالت له ياابن العم كيف يكون لك جلد أن تبعد عنى وتقنع بالتمنى فان هذا ماهو الازور ومحال فدع عنك هذا المقال بحياتى عليك تمضى وتكشف خبر أبى واخى ويكون عندك الاحتمال ولا تؤاخذهم بما فعلوا من سوء الفعال واعلم إنه إذا كان العبد يريد مولاته بحسن مداراته فقال ياسيدتاه وهذه المداراة كيف تكون وإنا والله لقد كرهت الحياة وضجرت حيث أنى اعمل جميلا ويجازينى عليه بالقبيح ولكن كل هذا يهون على قلب عبدك إذا كنت راضية عنه وأنت مقيمة على عهدك وأما أبوك فاعليه خوف إلا من بنى عامر لأن حواشيهم بين ابياتنا يدورون الليل والنهار قرب حللنا ويبصرون من ينمرد

من رجالنا وأبوك إذا وصل إلى النعمان فما يكون إلا فى الأمان وأنا وحق هواك فى هذه الليلة قفو اخاله الأثر ولا أعود حتى انكشف الخبر وأرده إلى الديار والأوطان وأجازى قبيحه بالاحسان حتى يعرف قدرى كما عرفه كل إنسان أو يشتفى من إذارآنى ملحقا تحت أرجل الخيل وجميع الفرسان تنعانى فى النهار والليل فقالت أم عبله وحياة ولدى عمر لا إن حقك عندى واجب معروف بالكعبة أجل الاقسام وبحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا اتركنه يزف ابنتى عليك ولو قطعنى بالحسام فطاب قلب عنتر بهذا الكلام ودعا لها وقد زال ما بقلبه من الجوى والغرام ولما وصل إلى خيامه دعا بعروة بن الورد والحارث بن ظالم وأبيه شداد وعمه زخمة الجواد وقص عليهم ما جرى له ولعبله وقال لهم أنا ما أحضرتكم إلا لاجلى أوصيكم بعبله وربما تطول سفرتى ويأتى عمى ماهنا ويأخذ أهله وعبله فى غيبتى ان كان وصل سالما إلى النعمان وأريد منكم أن تمله مالا طاقة لكم به فخذها يا أبا هانىء وارحل بها وانزل على بنى شيبان وأقم عند أخى بسطام إلى حين قدومى فان بينى وبينه عهد لا يضيعه لأنه كريم من نسل قوم كرام واريد فى غداة يا ابتاه تنقلها إلى ابياتك وتجعلها من جملة بناتك فقال له شداد يا ولدى لا تخف أما عبله فاتبرح من أبياتى وأما أنت فوحق ذمة العرب ما أعدك تسير وأنت هكذا فى البر وحيد ولا بد أن تصحب معك جماعة من الفرسان الصناديد فقال عنتر والله يا أبتاه ما أدعك تنتقل من الحى خطوة واحدة لا انت ولا عمى زخمة الجواد لأن مالى غيركم أتكل عليه فى حفظ الأميره عبله وأنا أسأل رب السماء أن يصرف عنكم شر الاعداء لأن اتكالى فى هذا الأمر عليكم وهو الصواب الذى خطر ببالى فقال الحارث إذا كان الأمر على ما ذكرت فاسير أنا وأنت إلى ما اردت ونترك هؤلاء هاهنا يحفظون ابنة عمك كما أمرت لتكون مطمئن القلب ونحن فينا كفاية لاهل الشرق والغرب فقال عروة أنا وحق ذمة العرب أسير معكما ولا أقعد عنكما لأن عنترة إذا كان غائبا عن الديار تظلم فى عينى الاقطار ويتساوى الليل والنهار فشكره عنتر على هذا الكلام ثم تاهبوا لمثل هذه الأحكام حتى أقبل الليل الحالك بالظلام ثم ركبوا بعد ما غاصوا فى الحديد وتدرعوا بالضرر النضيد وتقلدوا بالسيوف الحداد واعتقلوا بالرماح المداد ثم أنهم خرجوا من الخيام وأهل الحى نيام وساروا وشيبوب بين أيديهم مثل ذكر النعام وأراد أن يجري المسير فما مكنه من ذلك عنتر بل أمره بمراعاة عبلة وحفظها ولما توسطوا

البرقال شيبوب لأخيه أعلمني يا أبا الفوارس أى طريق تريد أن تذهب فقال له أقصد أرض بنى عامر لكن طريقا لا يلقانا فيها أحد يعيقنا لكي يخفى خبرنا على كل أحد من كل مقيم ومسافر وإن كان عمى قد وقع به بغية فمن هناك تأخذ خبره فقال شيبوب اتبعنى يا ابن الأم لترى العجب منى وإذا خرجنا من الأرض وقربنا من ديار بنى عامر وبقى بيننا وبينهم دون اليوم أخفيكم فى البرارى والقفار وأخرج التمس لكم الأخبار ثم انهم ساروا يقطعون البيداء وكان أكثر مسيرهم فى الليل اليهم ولما قاربوا أرض بنى عامر أخفاهم شيبوب فى مكان عظيم وقال له عنتر سر وانظر هل تسمع لنا على عمى من خبر وانظر القوم هل أمنوا وسرحوه فى الجبال وارجع الينا وأرجع وأعلمنا بالحال لاجل أن تخرج على الاموال ونسوقها ونقتل حماتها ولا نترك طريقنا تمضى خائبة فقال لهم شيبوب سمعا وطاعة فسار شيبوب وقد لبس زى فقراء العرب من المماليك والصعاليك وأقاموا ينظروه بذلك اليوم وتلك الليلة إلى الصباح وخاف عليه عنتر أن يكون قد هلك أو وقع به بعض الأعداء وألقى فى الشرك فهم أن يسير فى طلبه ويكشف خبره وإذا به قد طلع عليهم من كبد البر مثل ذكر النعام ومعه عبد أسود وهو رابطه بحبل وكلما وقع وصاح عليه وسحبه فتعجب عنتر من ذلك وتواثبوا اليه حتى قاربوه وقالوا له ماهذا العبد يا شيبوب فقال هذا عبد رابح بن الصباح سيد بنى جبهان ومنه قد أخذت الخبر عن عمك وولده عمرو وقد ذكر أنهما عند سيده رابح بن الصباح وأنه يهددهما بالقتل مساء وصباح ويعذبهما بعذاب ماعب به أحد من الرجال والنساء وأدخل ديار بنى عامر أول النهار وأكشف لكم الأخبار وإذا بهذا الشيطان قد اعترضنى وعن قضاء حاجتى أعاقنى وكان مقبلا من ناحية أرض وادى زرود فقاطع على وقال لى أنت من عبيد بنى عامر يا وجه الخير فقلت وما الذى تريد يا ابن الخالة فقال لى أنا من عبيد بنى جبهان من عند رابح بن الصباح اطلب الأخوص بن جعفر وملاعب الأسنة لأن سيدى قد أنفذنى اليهم أبشرهم بوقوع مالك وولده عمرو وأقول لهم يسيروا الينا على عجل ويحضروا قتل الاثنين وبلوغ الأمل لاجل ما بينهما من العدواة ولما حققت ذلك منه طار عقلى وقلت انقضت حاجتى التى أتيت اليها ثم قلت له يا وجه العرب سر معى حتى أوصلك إلى مضارب الأخوص بن جعفر لانه مولاى ثم قصر فى المسير وصرت أسأله كيف وقع عمك وولده حتى انتشرت اجنحة الظلام وخفيت عنا البرارى والآكام قد نوت منه وضربته بالخنجر اشغلته عما هو فيه بنفسه وعدت على أثرى وقد اردت حضوره بين يديك فإنه أراد أن يهرب من يدى فقاسيت الشدائد حتى أوصلته اليك فلما علم عنتر بذلك زاد همه وغمه وأقبل على العبد الذى أتى به شيبوب فلما رأى ذلك العبد عنتر انهدمت قوته وتعجب من عنتر وهول صورته

ومن شيبوب وخسارته فقال له عنتر ما اسمك يا غلام فقال اسمي بشير يا مولاي فقال وأين أنتم نازلون قال في أرض العنز فقال وكيف وقع هذان الأسيران العبسيان في أيديكم فقال له كان سيدي عائدا من وليمة قد دعي اليها هو وزوجته دعد العامرية وكان قد أقام فيها سبعة أيام وعاد ومعه فارس واحد يقال له مناة وهو فارس أرضنا وليث عشيرتنا ولما قاربنا الديار التقيا بهؤلاء العبسيين فاخذهما سيدي ولما وصل إلى دياره عذبهما أشد العذاب وربطهما مع الكلاب وكان السبب في ذلك أن مالكا أبا عبلة وولده لما جرى لهما جرى وهجاعد وجوههما في الصحرا وهما يتململان غيظا وقهرا فانهما لم يزالا سائرين ذلك اليوم وتلك الليلة إلى أن أصبح الصباح وقد وقفا وأمنا على أنفسهما من طلب عنتر البطل الجحجاح كان مالك قد عول أن يسير إلى الحيرة يدخل هو وولده على الملك النعمان ويلقيان الشر بينه وبين بني عبس وعنتر ويقيما تحت ظله وينفذ مالك يأخذ عبلة من بني عبس ويزوجها بالأمير عمارة بن زياد ويبلغ من النعمان ما أرادو لم يزالا سائرين ذلك اليوم وتلك الليلة إلى الصباح إلى أن وصلا إلى قوم يقال لهم بنو صالح وفيها التقوا بالأمير رابح ومعه الهوادج والسكال فقال عمرو لابيه مالك يا أبتاه هذه عروس سائرة إلى بعلها أوامرأة طالبة أهلها ومعها فارسان وثلاثة عبيد وأريد أن أحمل على الجميع والتقطهم بالسنان وآخذ به هذا الهوادج المنصان مسبيه بما عليها من الحلل والأموال ونسير بها الطريق إلى أن نصل إلى العراق ونجتمع بالملك فقال له أبوه عليك يا ولدي دعنا من معاداة العربان ومن ذكر النسوان فان لنا شغلا بهجاجنا من الأوطان ومفارقة الأهل والخلان هذا ومالك صاح وقال ويلكم خلوا عن الهودج والأموال واطلبوا النجاة قبل الوبال فقال عبد مناة من أنتم أيها الانذال ثم انه حمل على عمرو ورجال معه حتى عرف ما فيه من الشجاعة ثم بعد ذلك قاربه ورمى الرمح من يده وهمه أنه يضربه بالسيف على رأسه وضرب رأس الجواد ماه فوقع على ظهره وأيس من الحياة وغاب عن دنياه وأبصر أبوه هذه الحل فاحتاج أن يقاتل ويخلصه من الذل والخبال إلا أنه ما حمل حتى أشتد لعمرو وولده وقد ذاب كبده وقل صبره وجلده ونادى واوتاه ماندل مع عبد مناة الجهود دو تكافحا مكافحة الأسود لان مالك بن قراد كان من فرسان بني عبس لا جواد فجاله خصمه أشد جلادو مازال معه في طراد وعناد حتى صار بناض النهار إلى سرادوزادت بعبد مناة الأحقاد فصاح بمالك بن قراد صيحة الأسود وزعق زعقة عظيمة أدهلته وطعنه قتلته فشك السنان في درعه ونخسه في ضلعه فوقع وقد أيقن بالهلاك وحل به الارتباك وانقلب من فوق المركوب مرأم الجراح وشده رابح بن الصباح فزادت به الافراح واستخبر من عمرو عن نسبه وعن عربه وعن الشيخ الذى معه وقد جد في طلبه

فقال له نحن من بنى عبس وهذا الشيخ أبى ثم أخبره باسمائهم وكناهم فامهل عليهم وساقهم بعد ذلك واراد هلاكهم ثم قال وبحق الرب المعبود والرب الموجود لاأقيلكم حتى أعذبكم أشد العذاب وأذيقكم الذل والخسارة وأشفى بكم قلب الأحوص بن جعفر واللقيط بن زرارة زنكم قد فجعتمونى فى أخى ثم جال عليهم بالسوط حتى شفى قلبه وقال لعبيدة سوقوه ورجاله إلى الأحياء وأنفذوا إلى اللقيط بن زرارة عبدا يعلمه بذلك ويأمره بالحضور وكذلك أنفذ الى بنى عامر الذى لقاه شيبوب واستفاد منه الخبر فدنا اليه الحارث ابن ظالم وضربه بذى الحيات طير رأسه عن جثته وقال يا أبا الفوارس أن الصواب إننا نلحق عمك ونخلصه من العذاب قبل أن يهلك وأنا أعلم أنه فى هذه المرة يصير لك أذل من العبيد فقال عنتر يا أخى وكم من مرة خلصته ويزداد عناداً وفساداً ولكن عندى شفيع قوى هى عبلة ابنة التى كروحى التى بين الجنبين ولاجل عين تكرم الف عين ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول

لو أن قلبك لى يرق ويرحم	مابت فى ألم الهوى أتألم
ومن العجائب أننى لاسهم لى	من ناظريك وفى فؤادى أسهم
مع إنى أرضى بما رضيهمو	ولاجل عين الف عين تكرم

ثم أنه أمر أخاه شيبوب أن يعدل بهم عن الطريق التى لبنى عامر حتى لايعيقهم عائق ثم سار فى البرارى يطلب أرض العبرتين لتقومنه بنيل قصده العين وعنتر يتذكر مالاقاه ومن ألم الهوى ومايقاسيه من البلوى ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

عذابك إلى عبلة ذاك سهل	وجور أبيك أنصاف وعدل
فجورى وأطلى قتلى وظلمى	وتعذبنى فانى لا أمل
ولا أسلو ولا أشفى الا عادى	فسادانى لهم فخر وفل
أناس أنزلونا فى محل	من العلياء فوق النجم يعلو
إذا جاروا عدلنا فى هواهم	وأن حكموا لحكمهمو تذل
وعبلة فى هواها قل عزمى	وصبرى غير إنى لا أمل
فكيف يكون لى عزم وجسمى	فنى حتى بقى منه لأفل
فياطير الاراك بحق رب	يراك هالا تعلم أين حلوا
فلو أن الهوى رجل شجاع	طعنت أهابة والسيف يعلو
فقد جارى الهوى من أجل قوم	أحلوا من دمى مالا يحل

ينادونى وخيل الموت تجرى محلك لا يقاومه محل
وقد أمسو يعيبونى بأمى ولونى كلما عقدوا وحلوا
لقد هانت صروف الدهر عندى وهانوا أهله عندى وقلوا
ولى فى كل معركة حديث إذا سمعوا به الابطال ذلوا
أثير عجاجها والخيل تجوى أثقالا بالفوارس لا تمل
وأرجع وهى قد ولت خفافا تسيل الطعن وهى به تفل
وأفعل فعل ذى عزم قوى لدى الأبطال لو فعلوه ملوا
واضرم نار حربى كل يوم على الأعداء أن رحلوا وحلوا
وأرضى بالاهانة من أناس أراعيهم ولو قتلى أحلوا
وصبر للحبيب وأن جفانى ولم أترك هواه ولست أسلوا
عسى الأيام تنعم لى بوصل ويعد الهجر مر العيش يحلو
وإنى عنترة العبسى وذكرى مدى الازمان فوق الشهب يعلو

(قال الراوى) وكان عنتر ينشد هذه الأبيات والحارث يطرب لفصاحته ويتعجب من مروءته فقال والله يا أبا الفوارس لو جرى على بعض ماجرى عليك كنت قتلت عمى وكل من يلوذ به فقال والله ياحارث لا كان هذا أبداً ولو أنهم سقونى كاس الردا ثم انهم جدوا المسير سبعة أيام فوصلوا إلى غابة الأسد وكان ذ ولهم وقت المساء فقال شيبوب لا تقطعوا بينكم الحديث حتى أدخل إلى الخيام وأعود اليكم بالخبر اليقين فقال عنتر ياشيبوب أما قولدت كم يخرج من الحى الشجعان فنحن لانبالى بالشجعان ونحن هاهنا ثلاث رجال تريد ثلاثة آلاف فارس من الأبطال وأما رخولك إلى الحلة وحدك فوحق ذمة العرب لايدخل المضارب إلا أنا وأنت لانى اشتهيت أن أبصر عمى فى هذه النوبة وهو يقاصى الذل والعذاب فقال شيبوب ويلك يا ابن الام كنف ذلك ومالك بهذا الأمر عادة ولا سابقة قبل هذا ميوم فانا لا اطاوعك على هذا أبدا لأنى أخاف عليك أن تقع علينا عين فاهلك أنت ويكون آخر متابعتك لعمك الهلاك وعدم تمام عشقك وهواك على إنى إذا وقعت على العين همزت همزات الغزال بين المضارب والخيام فقال عنتر ويلك إيش هذا الحديث والكلام فانا وحق من خلق الانس والجان ولو أن أهل الحى بعدد الرمل والكوا كب لا إترك منهم ماشيا ولا راكب فقال شيبوب إن كان ولا بد من هذا فاخلع عنك السلاح وآلة الحرب والكفاح ثم البس مثل لباس العبيد حتى يتم لك ماتريد ثم أنه لبس لباسه

يصلح لمثل هذه الأشياء وكان معه مايلبسه وقت احتياجه اليه ودخلا إلى غابة الأسد وأحتطبا حزمتين من حطب وكانت حزمة عنتر كبيرة فمشيا حتى دخلا إلى الحي وقد أقبل الظلام فدخل شيبوب قدام واختى فى الخيام أمام عنتر لأنه بهذه الامور أخبر ومازال بين المضارب والخيام حتى وصل إلى مضارب رابح بن الصباح ومد شيبوب عينية فنظر مالكا وولده عمراً من بوطين مع الكلاب وهم فى غاية الضر والأتعاب وقد تغيرت أحوالها من العذاب وهما مربوطان فى حبال الاوصاب فقال شيبوب لاخية هذا ياابن الام عمك وولده فانظر اليهم فحط عنتر حزمة الحطب عن أكتافة وأظهر أنه يستر من التعب وفعل شيبوب كذلك إلا انهما ماأقاما إلا بقدر لا خرج رابح بن الصباح وكان حوله جماعة من العبيد وأخذ فى الحديث مع رعاته وصار يسأل عن العشب والكلا إلى أن قال له بعض العبيد يامولاى رأيت اليوم عجباوهو أنى كنت فى وادى البرحال وجرت عند المساء والا بل بين يدى تسعى فى البيداء فلماضرت فى الطريق التى تأتى إلى أرضنا من ناحية العلم السعهى رأيت فارساأخذ يطرد غزاله وبين يديه رجل كانه النمر والفارس على فرس كانها الليل إذا أظلم والرجل معه قوس عربية وكنانه بالنبل ممتلئه فوقفت أنظر اليهما وإذا بالرجل قد سبق الفارس ومسك بالغزاله مر قرنيها وأتى بها إلى الفارس وسلمها اليه فلما صارت فى يده بكى بكاء شديدا ثم باسها بين عينيها وأطلقها ولم يكدر عليها ووقف وأنشد يقول

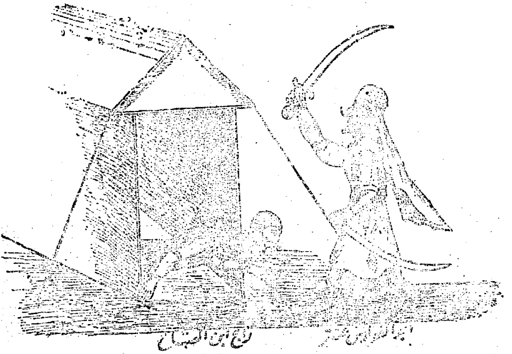
إذهبي فى الأمان من كل سر ما تولت بسيرها الايام
لك من عبلة التكحل فى العين وجيد بنور منه الغرام
ورقيق القوم يحكى قواما فوق خصر كانه الاوهام

(قال الراوى) فلما سمع رابح بن الصباح من العبد هذه الأبيات تعجب وقال ويلك ياولد الزنا ومتى كان هذافقال يامولاى آخر النهار فقال هذة صفات أسود بنى عبس وأن كان قدغره الطمع وأتى إلى هذه الاماكن فى ظلب هذين الأسيرين فانا أقوده غدا أسير ويكون لنا الفرح التام كل هذايجرى وعنتر يسمع كلام العبد ويتعجب من هذا العبد حيث حيث حفظ شعره وقدكان تم له هذا الحديث مع أخيه شيبوب وقال هذا المقال فلما سمع عمه وولده صفات عنتر عرفوه وعلموا أنه قدأتى لخلاصهم فقال مالك وحق الكعبة أن كان هذا الكلام صحيحا ونجوت من هذا العزاب الاليم على يدعنتر بن شداد لاأضمر لة بعدها أبدا عناد ولاأسمع فية كلام الاعداء والحساد لان البغى عاقبته نحس هذاورابح يقول لعبيده

لقد أبطأ علينا خبر عبدنا بشير الذى أنفذناه إلى الاخوص وكذلك العبد نارج الذى أنفذناه إلى اللقيط وأنا أريد أن أقتل هذين العبسيين وأرتاح من التوكيل عليهم فقالوا له ماهذا صواب لأنك قد أرسلت خلف سادات القبائل فاصبر حتى يحضروا ويقتل هؤلاء الكلاب يشتفوا فان أنت فعلت هذه الفعال ضاع تعب الاثنين ولا ملك الابطال فقال رابح إذا كان الأمر على هذا فانا انتظر تمام هذه الليلة وغداً فإن أتى أحد من الذين أنفذناهم كان وإلا ضربت رقاب الاثنين واهدينا إلى بنى عامر وإلى اللقيط فراسين * هذا كله يجرى ومالك وابنه يتحسران على أنفسهما وعنتر واخيه قاعدين فى جملة العبيد كانهم متفرجين وكل واحد منهم متكىء على جولاته ولما انتهى رابح من كلامه دخل خيامه فقد عبر على مالك بن قراد وابنه فضربهما بالسوط وقال لعن الله قبيلة أنتم منها لانكم قوم كثيرون الجاج قليلون المروءة لاتعرفون عدلا ولا تمطون عطاء ولا بذلا بل الطمع لكم لباس وماأنتم مشايخ بنى عبس الكبار وقد فضل عليكم عبد لاقيمة له ولا مقدار وأحسن اليكم الف مرة وخلصك وابنك كم مرة هو عنتر بن شداد وقد سمعت أنك أخذت مهر بنتك منه شيئاً جزيلا من المال فجازيته بقبيح الفعال وكذبت فى المقال فلعن الله وجوهك الكالح وفعلك الكثير القبائح ثم أوصى العبيد بحفظهم ودخل إلى المضرب للنام وقد فرق الظلام بين القعود والقيام فقال شيبوب لعنتر احمل بنا أحطاب لنذهب قبل الانكار فقال عنتر لاوحق الواحد القهار ومن أعشب القفار وأجرى الأنهار وادار الفلك الدوار فقال شيبوب وماتريد أن تعمل فقال عنتر اطرح هذه الأحطاب على النار التى قدام مضرب رابح واهجم على هؤلاء العبيد الذين توكلوا بعمى واضع فيهم الحسام واطلق الاثنين قبل أن يذهب الظلام حتى لا أكون خاطرت بنفسى وأعود خائباً فزعان فقال شيبوب أن فعلت هذه الفعال لاتصل إلى الديار ولا تخلص من هذه الخيام فقال عنتر ويلك يا ابن السوداء أنا اخلصك ولو أن اهل الحى عدد رمل البيداء لانهم إذا سمعوا الصياح يطلبوا النار الشديدة الإضرام والاشتعال واكون أنا قد خلصت عمى وولده من الاعتقال فخذهم أنت ودعنى أنا اللقاء الرجال فقال شيبوب افعل يااخى ماتريد وماعليه عزمت ولكن لاتلومنى إذا رأيت الغلبة وانهزمت فقال ياأخى قف قدامى وانظر أنت العجب وإذا رأيت الغلبة فانج بنفسك واطلب الهرب ودعنى أنا احد خلف القوم فى الطلب ثم حمل عنتر جزمة فوضعها على النار وسل سيفه واخرجه من تحت أثوابه وطلب البيت الذى فيه عمه وفعل شيبوب مثل فعاله وكان الموكلون بعمه مالك وولده ثلاث رجال وقد انطرحوا

على الأرض وعولوا على المنام فعبر عليهم عنتر ووضع فيهم الحسام فما ثار أحد منهم ولا قام إلا وقد طار منه الهام وأما شيبوب فانه جرد خنجره ودنا من مالك ووالده وقطع

مقتل رابح بن الصباح على باب خيمته



كتافهم وقال لهم قوموا وخذوا من سيوف القتلى ما تحتاجون اليه وهرولوا مع أخى وهو يحميكم واعرفوا له قدر هذه القصة فيكم (قال الراوى) فساروا عند ذلك وهم لا يصدقون بالنجاة من المهالك ٭ هذا وعنتر واقف على باب رابح بن الصباح وامهله إلى أن خرج على حس الصياح ثم ضرب به طير راسه مع هبوب الرياح وسار على أثر أخيه خوفا عليه مما يلتقيه واوقدت الاحطاب وعملت نار الالتهاب بين الأطناب وتنابحت الكلاب وضج الحى من كل جانب وتجارى كل من سمع الصياح وحمل سيفه وطلب مضارب رابح بن الصباح وأراد كشف الأخبار وعاد الليل مثل النهار وذلك من وهيج النار ٭ هذا وعنتر يصيح فى مالك وبعد أن أهلكوا خلقا كثيرا ركب عنتر على ظهر جواده الأبجر وقال لهم سيروا بنا مادامت بنى جيهان مشغوله بقتل سيدهم رابح بن الصباح ولم يزالوا سائرين والحارث يبكى

عنترة بالسلامة ويقول لمالك أبي عبلة من يكون له مثل هذا الاسد الذى تهابه السباع فى المذاب يبغيه ويهرب منه فقال مالك ياحارث دعنى ولا تعذلنى فانا رحل كانت على عينى غشاوة وقد زالت لما راد الرب القديم زوالها ثم أنه أعتنق وعنتر واعتذر اليه وقال له أعم يا إبن أخى أنى كنت أقول بلسانى خلاف ما فى قلبي واليوم وحرمة البيت العتيق أن قلبي من شكر مالا يصفه الواصفون وإن أنا خنتك بعد هذه النوبة فما أنا إنسان لانك من العذاب أنقذتنا فطيب قلبك وأقطع بنا هذه الارض ورما لها فما نصلح عبلة إلا لك ولا تصلح إلا لها فلما سمع عنتر كلامه زال ما فى قلبه من هيامه وأ تنقه وقال له يا مولاى لو أنك فعلت معى أضعاف ما فعلت ما قصرت فى خدمتك ولا مللت لأن العبد ماله أن يتعرض على مولاه ثم شكره وأثنى عليه ودعا له وساروا يقطعون الأرض وحين لاح الصباح وأشرقت الشمس فى البطاح لحقتهم الخيل من من بنى جبهان لأن الفارس منهم كان يقصد النار التى أوقدها عنتر ويسأل عن حقيقة الخبر فاخبره النساء بما جرى على رابح بن الصباح وأنهن فى غاية الحزن والأفتضاح من كثرة الدم الذى قد ساح فعاد الفارس منهم إلى خيامه ولبس السلاح وكانت من جملة من فعل هذا الفعال عبد مناة لأنه لما أخبره النساء بالخبر وأبصر تلك الضربه عرف المعنى فركب وسار يطلب بنى عدنان يقطع الأرض رفعا وخفض ونظر عنتر إلى الخيل فلما أدركنهم وقف وقال لعروة وقد ألوى عنانه وأنعطف يا أبا الأبيض خذ عمك عمى وولده والحارث وسر على ما أنتم عليه وأنا أرد عنكم الأعدا والحقكم فى المساء فقال عروة لا يا أبا الفوارس ما تتركك ورثنا شاغلا بل نرجع كلنا لبلوغ المرام وإذا خفت ظهور نا سرنا إلى حيل سبيلنا وقال الحارث أيضا مثل ذلك فقال لهم عنتر يا قوم الأمر لا يستحق ذلك وإذ كنتم لا تسمعوا ما أقول فافعلوا فكل فعلكم غير معقول هذا وعمه مالك أبصر الخيل متلاحقه به من كل جانب فايقن بالبلاء والمصائب وخاف أنه ثانى مرة يقع واكاس الموت يجرع فقال يا أبا الفوارس أنت اليوم العدة لنا والعمدة وكل يوم تدفع عنا نائبة وشدة فدونك اليوم والأعداء فدتك عبس من الردا فبينما هم فى ذلك الكلام إذا طلع عليهم غبار أخر من ناحية بنى دام وارتفع حتى أسودت منه الأقطار والمعالم انكشف وبان من تحته مائة فارس من كل قوم مداعس ويطل ممارس وفى أكفهم الرماح الذوابل وعلى عواتقهم القواصـــل وفى أوائلهم الطويل الركاب المسمى فى الحـــرب بالعقاب القيط بن زرارة وقـــد أتى يشتفى من امالك بن قراد ولـــما رآته بنو جبهان

عرفته ومالت اليه بالحال وأخبرته ورفعت أصواتها اليه بالصباح وأعلمته بما جرى على زابح بن الصباح وبان عنتر خلص عمه مالك وولده فقال اللقيط وقد فعل عنتر ولد الزنا هو وأخيه شيبوب هذه الفعال لكن لا يستغرب ذلك لانهما كثير الاحتيال جسوران على لقاء الأهوال وبمثل هذا خلصوا من يدى الهطال وأهلكوا رجالنا والابطال ولكن ما بقى لهم من يدنا خلاص بعد ما وقعت العين وأنا لا بد اليوم أن أستوفى منهم الدين فاحملوا بنا كلكم ولا تحقروهم لأجل قلتهم فينهبوكم بالرماح والصوارم والصفاح ولاسيما أن كان الحارث بن ظالم ثم أنهم حملوا وهو فى أوائلهم وأضاء البريق الاسنة وأطلقو للخيل الاعنه وعلت الضجة والرقة ، هذا وقد اشتد الأمر على مالك وولده عمرو ونادوا باسم عنتر الأسد الكاسر وأكثروا من الشكر باطنا وظاهر ، هذا وعنتر قد زادية الفرح وعلم أن سعده قد حصل وحالة قد أنصلح فقال لعروة يا أبا الأبيض أيما أحب اليك الميمنة أم الميسرة أو تلقى أنت اللقيط وحدك وأنا أرد الخيل كلها فقال الحارث وهل أقف أنا هكذا بلا شغل ولا سبب لا وحق ذمة العرب أنت تعلم أن اللقيط خصمى وبينى وبينه عداوة وهو الذى سلمنى فى الملك النعمان ولا بد لى من ملاقاته فى هذا المكان فاقصد أنت وعروه عمك وولده ما تريدون وقاتلوه من تشتهى ثم أن الحارث همز بجوادة بعد تلك العبارة وقصد إلى ناحية اللقيط بن زراره ولم يلتفت إلى أحد ولما أبصر عنتر بعقله وهو بدمدم دمدمة الأسد فرح بكثرة العدد وزاد سروره وزال عنه الكمد فانشد يقول صلوا على طه الرسول

مضى الحقد من قلب عمى وزالا ولما رأى الحق خلى الجدالا
وقد سرى قلبى بما قاله فكيف إذا ما رأيت الفعالا
وإن أخلف الوعد سلمته إلى من برانا وارسى الجبالا
وحسبك من رجل كلما خضمت له فعلى استطالا
أنا عندهم يوم طعن القنا أجل الفوارس عما وخالا
وإن صار فى أهله آمنا فامى . زبيبة أرعى الجمالا
فيا سيف كن حاكما بيننا إذا ما حضرنا جميعا قتالا
وما قد مضى قد مضى أمره ومن قاتل اليوم حاز الجمالا

(قال الراوى) وكان عروة بن الورد حمل حملته وسمع حسن ابياته وتعجب من انشاداته وكذلك عمه مالك وولده عمرو واحتاجا أن يقاتلا عن أنفسهما فعند ذلك حمل واتصل الطعن وقطع الضرب الاكباد وصارت الشجاعة مثلا بين الاقران وشربت الاسنة من ماء الفرسان واشتكت الرماح فى الكبود والكلاوقد اكتست الأرض من الدماء حللا

وجرى بين اللقيط الحارث حرب ماجرى مثله للجبابرة العلاو ملاعنتر الأرض بالقتلى واسكن فى القلوب خوفا ووجلاوا بصرعنه مالك منه نارا لا تصطلى فخار عقله وصار منذهلا وأمن على نفسه من الاعدا وقر فؤاده وهذا وفى آخر النهار قصرت الفرسان عن عنتر وتأخرت الذئاب من خفيفة الأسد وقل منها العدد وتبددت بنو جيهان فى الفدفد وعاد إلى الحارث بن ظالم فوجده مع اللقيط بن زرارة وبنى دارم وقد طمع فى جانبه فعند ذلك حمل عنتر لما رأى ذلك وحطم القوم فاباد الرجال وأهلك الأبطال وطلب اللقيط أشد الطلب ونثر من حوله المواكب بالسيف المطت فبينما هم كذلك وإذا بعروة بن الورد قد اعترض اللقيط وجد له فى الطلب وطعنه فى جنب جواده فانقلب وتكركب عن مركبه وكان مشتغلا بالفرسان وبالحارث بن ظالم فاشتغل عنه بنفسه وانكفت عنه الفرسان ووقف عروة على الحارث حتى ركب على جواد من الخيل الشاردة وصاح اللقيط يا بنى عمى اكشفوا عنى العار ولا تولوا الأدبار وتطلبوا الهرب والفرار فانى سوف أشد جرحى وأعود اليكم فعندها صبرت الرجال على العطب واختارت الموت على الهرب وكانت لهم ساعة تشيب لها الأطفال إلى أن أقبل الليل بالانسدال ومد على الخافقين ذيلا وسربال وولت فوارس بنى دارم وقد ألهها عنتر بالطعن الدائم وماراح منهم سالما الأمن كان فى أجله تاخير وكان اللقيط قد أظهر الجلد وأراد الثبات فاقدر من ألم الجراح ونظر أصحابه قد هلك أكثرهم وبقى أيسرهم فنجا بنفسه وفى قلبه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى حيث جرى عليه ماجرى من خمس فوارس وعاد عنتر والدماء تقطر من جوانبه رمحه لا يغفل عن الشكر والثناء عليه فقال عروة لمالك ابن قراد يا مالك دع شكرك وذكر القيل والقال ومن حين تصل إلى الاحياء سالما فزوجه بعبلة ذات الدلال فانك لها كفؤا مثله فقال مالك والله لقد صدقت ياأبا الأبيض وأنا أقسم بمن لا تعتريه الأوهام ولا يخشى من معارض فى ملكه إذا عرض ولا يخفى عليه لفظ الإنسان ولو كنت الليلة فى أرضنا لزفنها عليه عند الصباح وتركت جمالها له مباح فجزته اللات والعزى عنى خيرا وإنى قد عجزت دن شكره وكل لسانى فاعفيانى من اللوم واتركانى فقال عنتر وقد زاد فرحه يا ابن العم خل عمى يفعل مايشاء فانا عبده أن احسن أو اساء ثم ساروا يطلبون البيداء تحت اذيال الدجا وشيبوب بين ايديهم يسير إلى أن لاح ضياء الفجر حتى يصل من ساعته إلى الديار وينظر وعد عمه وما يصنع من الجميل والآثار وهو لا يصدق بتلك الأخبار وهل يصدق فى وعده ويفعل ويوصل القول بالعمل وكانوا أى حلة عبروا عليها نهبوا أموالها وقتلوا من يخرج ليهم من رجالها إلى أن قاربوا أرض الشربة .

والعلم السعدى وقد صار معهم مال عظيم وأرادوا أن ينفذوا شيبوب قدامهم بشيرا وإذا هم قد طلع اليهم رجل أعرابى وهو سائر بينهم بين الروابى ولما أبصروه صار اليهم قاصداً صار ينادى يا للعرب ما أقربها من طريق وما أحسن أوقات السعادة فلما سمع عنتر هذا الكلام تعجب كل العجب ونظر إلى الأعرابى وإذا به من عند الملك قيس فقال له عنتر ويلك إلى أين فقال له اليك لآخذ خبرك فقال عنتر ولم ذلك فقال له يا مولاى أن الملك قيس قد أقلقه التذكار لبعدك وسأل أباك عنك فذكر له أنك قد سرت فى طلب عمك وأنه ما يعلم أى الطريق سلكت فضاق صدره ودعا على عمك بالهلاك وصار ينفذ فى البيداء جماعة بعد جماعة وكل أصحابى عادوا خائبين إلا أنا لأنى أمس خرجت من الأحياء وضمنت على نفسى انى لا اعود إلا بخبرك فبلغنى الله تعالى ذلك وازال عنى التعب فقال عنتر أيش عندك من الأخبار من جهة أبى شداد وفريق آل قراد وكان قصد عنتر أن استمع اخبار عبله فقال العبد والله يامولاى ما الناس إلا على شرف المهالك والفتن وخراب الديار والدمن فخفق فؤاد عنتر على بنى عبس وقال ويلك يا نسل اللئام ولم ذلك فقال لأن حذيفة بن بدر رجل باغى وأنت تعرف ما فى رأسه من الحماقة وأنه ما يشتهى أحداً من بنى عبس لاسيما الربيع بن زياد عنده وهو يغويه لاجلى ما فى قلبه منك ومن مولاى ومن جميع أولاد الملك زهير وفى هذه الأيام جرى بينه وبين مولاى الملك قيس ملاججه وكلام من جهة سباق الخيل والناس اليوم كلهم خائفون من الحرب والويل قال الراوى وكان السبب فى ذلك أن الملك قيسا لما ضاق صدره لغيبة عنتر انفذ العبيد كما ذكرنا فى طلبه وعادوا اليه وقالوا له ما عرفنا له خبر ولا وجدنا له أثر ثم تقدم اليه عبد من العبيد وقال يا مولاى أنا اتيت اليك بخبر احب الناس اليك من سائر البدو والحضر فقال له وما هو قال انى لما دومت على عنتر ما وقعت له على أثر فعبرت على حى بنى تميم ربيت فى بطن من بطونهم يقال له بنو رباح ولهم مقدم يقال له جابر بن عرف ورايت فيها يا مولاى مهرا محجل الاربع يقال له داحس وهو الرجال يقال له مكرم حق البيت الحرام والحجر الأسود والرب العظيم الباقى على الدوام ما نظرت عينى صورة مثل صورته ولا اسرع منه فى المجال ثم لح العبد فى صفته فاشتغل به قلب الملك قيس واعجب بحالته وكان هذا المهر أعجوبة من العجايب مارات العرب أحسن منه لأنه كان أوفى الخيل حسبا ونسبا وأن العرب كانت تسمى هذا المهر داحس وأبوه العقاب وأمه يقال لها حوا يحسدها البرق على سرعتها وتكل الخيل عن ادراكها والقمر يستحى من غيرتها والغزالة يستعير من بهجتها وبهذه والحصان

كان يفتخر بنو رياح على سائر العربان وكان الحصان لرجل أسمه كريم ويقال إن في بعض الايام كانت الحجرة مع عبد من العبيد والحصان مع أبنه كريم وهما على الغدير فادلى الحصان ولعب بأربعة وسحب مقوده فضج صبيان الحي منه فاستحب الجويرة وأطلقت المقود من يدها ودخلت إلى بعض المضارب من شدة الحياء والخجل وكانت الحجرة طالبة فلحقها الحصان وقفز عليها ولما نزل عنها خرجت البنية من المضرب فربطته على معلفه ولما أتى أبوها ونظر عين إلى عين جواده فعرف أنه قفز فاغتاظ من ذلك الغيظ وقال ايش الذى جرى على جوادى حتى أنقلبت عيناه بعد السواد للاحمرار فاوقع على خبز من الاخبار ثم أنه لح على ابنته فاخبرته بما جرى فزاد غيظه وحرى وناذى يا آل رياح فانت اليه الفرسان من كل جانب وسألوه عن حاله فاخبرهم بما جرى وقال والله ماأخلى جوادى ينزل على حلوى ولاأصبر على هو الحال فقالوا ماالذى تريد أن تفعل فقال ائتونى بالحجرة واوقفوها بين يدى حتى اغسل حياها ولا أدع ماء جوادى جواها وإلا ودمة العرب أسلط عليها من يقتلها فعند ذلك أتوه بالحجرة وقالوا قم أفعل ماتريد فقام على أقدامه وبل يده ودسها في التراب وأدخلها ظ حياها وجرف ما في حوفها فازدادت جمالا كما أراد الرب القديم إله موسى وإبراهيم ولما حال عليها الحول ولدت لصاحبها مهرا ما نظر شكله فسماه داحس لاجل مادحس كريم يده فى أمه خلوى ولكنه خرج أحسن من أبيه عقاب وأقوى منه أعصاب ويقال أنه غبر مع أمه حلوى فى بعض الأيام فقفز كريم وأخذه وقال هذا مهرى وبلغ الخبر إلى صاحبه فجمع سادات العشيرة ثم أتوه اليه فلاموه وعنفوه على ذلك ثم قالوا له أيها السيد أنت فعلت فى حجرة ابن عمك مافعلت وحكمنا عليه بذلك وتريد أن تغضبه وتأخذ ماله فقال كريم يابنى عمى لاتطيلوا الخطاب فوحق من أخرج الشعب من التراب وخلق ابن آدم من الأرحام والأصلاب ماأعطيه اياه إلا ان تقاتلونى عليه وتأخذه منى غصبا فخافوا من اثارة فتنة فقالوا والله لانقاتلك ولا نفاصلك ابدا ولا يجعل العرب تضرب بنا الأمثال فانت اعز عندنا من ذلك لاجل مابيننا من صلة الحسب والنسب وتركنا لك المهر لو كان صاحب المهر مكر. وصوفا بالجود والكرم. وصوفا بالجود والكرم وانه لما رأى ألّلجاج غير ممدود قال يا ابن العم المهر مهرك وهذه الحجرة موهوبة لك اليك وهدية منى حتى لاافرق بينه وبين امه ولا اكون ممن يحيى ماله عن بن عمه ثم ان مكرم انصرف عنه وترك المهر فاستحسن سادات العشيرة فعاله وشكروه على حسن اعماله واستحاكلهم من مكرم وكرمه عليه وافضاله فانفذ اليه الحجرة ومعها

قطعة جيدة من نوق وجمال فخرج ذلك المهر باهر الصفات قليل الشبية والمثال وكان صاحبه إذا أراد أن يساق يقول لخصمه أسقيني رمية نشاب ويصح فيه فيسبق البرق البارق ويخيل للذى يراه أنه سهم راشق فيفوت الريح ثم يتمطى فى البر الفسيح قال الراوى ولما وصل الملك قيس صفته تعلق به قلبه وطار لأجله لبه ثم أرسل إلى صاحبه مكرم رسولا ليشتريه منه ويبذل فيه مهما طلب فقال مكرم لما سمع رسالة قيس وعمل معه الغضب والله ما قيس إلا جاهلا قليل العقل والأدب أيظن أنى تاجر أبيع الخيل وإنى أبيع فرسى الجواد الذى القى عليه الأعادى والأضداد وأنا وحق رافع هذه القبة الزرقاء لو كان قيس يطلبه منى كهدية أنفذته اليه ومعه من النوق وأما على سبيل البيع فهذا شىء لا يكون أبدا ثم رد الرسول بغير فائدة فعاد إلى الملك قيس وأخبره بما جرى فزاد به الهيمان واشتعل قلبه بالنيران وركب وسار إلى بنى رياح فى الف فارس فى الحديد ولما قارب أرضهم غار عليهم عند الصباح وجعل أموالهم مباح وأخذ منها جملة وسلمها إلى مائتى فارس ودخل بين المضارب والخيام وكان أهل الحى آمنين من الأهوال وما فى الحى إلا نفر قليل من الرجال فظمهم بنو عبس تحطيما وأهلكوا منهم الرجال وهشموهم هشما وسبو النساء والعيال ملكوا الأماء والأطفال وارتفع الصياح من اليمين والشمال وكان مكرم مع الفرسان قومه غائب وداحس مقيد فى وسط الخيام لأنه كان من شفقته عليه لايحضر به قتال ولا يباشر عليه حربا ولا نزال فلما حضر مكرم ورأى بعض أطناب البيوت تتقطع والنهب فى البيوت قد وقع أتى إلى داحس عبد من الحلة وأراد فتح قيده فما قدر فعندما ركبه وهو مقيد ودق بكعبة على جنبيه وصرخ بين أذنية والقيد فى يده فمن شدة نخوتة صار يهمز كهمزات الغزال إذا راعها الصياد باشراك حيلته فلما صار فى البر تجمعات فرسان بنى عبس وراءه بخيول مثل الطيور فالحقوا الغبار والما أبصر الملك قيس ذلك لحقة الأثر وزاد به شغفه وعظم علية تلهفة ولم يقدر على لحاقه فقال لبعض العبيد الذين أسرهم هذا هو داحس قال نعم يا مولاى فقال قيس والله ماقصر مكرم فيما ربى ثم تبع قيس العبد الذى هو راكبه حتى قاربه وكان قد نزل من علية وفك قيده من يدية وعاد إلى ظهره يريد الهرب فنادى به قيس لا تفزع يا وجه العرب واصبر على حتى أكلمك ولك منى اسمام والاكرام فقال له العبد قل ماتريد ولا تطمع فى داحس ولا تكن مدانيا ولا ملامس فانك لو كنت على الفلق الدوار ما لحقك منها الغبار فقال قيس وحق ذمة العرب لقد صدقت يافتى وما أنا من يقطع نفسة بالمحال والأمل الكاذب ولكن إن أردت بيعه فانى له راغب

فقال العبد أنا ما أبيعه إلا بكل هذه الغنيمة ويعز على أن أبيعه بهذه الغنيمة لأنه لو أشتراه الأنسان بملء هذه الفلا لا يكثر فقال قيس أشتريت ياغلام وحق مسير الغمام المخالف بين الضيا والظلام وهذه يدى لك على ماذكرت من الكلام وبعد ذلك تسلمه قيس ففرح به وعاد إلى بنى عمه فرحان وحدثهم بالذى جرى فعاشوا من وقتهم إلى الديار والملك قيس على متن الجواد قد حسن بروحه أنه فوق السبع الشداد ولما وصلوا إلى أرضهم ونزلوا فى الخيام زادت محبة داحس فى قلب الملك قيس ووصل الخبر إلى بنى فزارة فحسدوه عليه وأرادوا أن يدبروا على هلاكه وينفذوا له بعض العبيد تقتله فقال الربيع ياحذيفه لا يتم هذا الأمر لك ولا تقدر عليه فى هذه الأيام حتى يشبع منه قيس ويمله وتدبر له من يقتله قال الراوى واتفقوا أنهم عملوا وليمة لها قدر وقيمة وكان قرواس ابن هانىء ابن عم الملك قيس عندهم زائر فاحضروه وليمتهم واقعدوه فى منادمتهم ولما اكلوا واخذوا فى الشراب الراح واقداح المدام جرى بينهم ماجرى من حديث سباق الخيل وجريها فقال قرواس والله يابنى فزارة ما على وجه الأرض اليوم اجود ولا اسبق من فرس ابن عمى قيس ومابقى بعده للخيل قدر ولا قيمة لانه مدهش لمن يراه وشهوة لمن اشتهاه ومازال يلج فى وصفه حتى قال حمل بن بدر كفاك ياقرواس تحدث بكلام لاش فى لاش واعلم ان مافى الأرض مثل فرسى وخيل اخوتى ولا ربى فى العرب مثلها ثم أنه فى حماقته امر العبيد الذين له ان ياتوا بالخيل وقال اعرضوا على قرواس خيلنا حتى يعلم انه لم يكن يراها اليها ولا يبقى لفرس ابن عمه مع خيلنا قيمة ففعلت العبيد ذلك وعرضت عليه كل الخيل فلم تعجبه فساقوا بعدها ختول حذيفة وكان له حصان يقال له صادق وحجرة يقال لها الغبراء فقال له حذيفة كيف ترى فقال قرواس والله إنها ماتساوى علفها ولا تصلح للافتخار فقال له حذيفة ولا حصانى ولا حجرتى فقال قرواس إنهم ما ياوقا من داحس العبار فقال حذيفة كذبت وحق ذمة العرب ما اظن احدا ملك مثلها ولا ربى شكلها فقال قراوش لاتطل مافى خيل العرب مثل داحس ان يفاخر ويقاس ثم تلاججا فى الكلام فقال حذيفه انت لقلة عقلك وعدم صحه نقلك تشكر فرس ابن عمك على سائر خيول بنى فزارة وتخيره على صادق والغبراء فانظر ماذا ترى من المعقول واقل مما تقول فقال قرواس هذا كله شىء لايقال ولا يبلغ بها احد آمال وانهم مايساوو من داحس ظفر واحد ومن يفتخر به نال جميع القاصد فقا حذيفه ترامننى ياقرواس على

فرس بن عمك قيس فقال قرواش نعم أرهنك أن فرس ابن عمي داحس يسبق كل فرس كان في بني فزارة وما أراهنك إلا على عشرة جمال ثم تعاقدوا ووضعوا الرهان على سباق داحس والغبراء وتموا على ما هي إلى أن أصبح الصباح فركب قرواش وعاد إلى بني عبس على ابن عمه قيس وحدثه بما جرى بينه وبين حذيفة من الملاججة في الحديث الخيل والرهان فقال قيس والله لقد أخطأت وحق ذمة العرب لقد وقع الشر بين القبيلتين كنت أحب أن تراهن من شئت من العرب غير حذيفة وبني بدر لانهم قوم كثير اللجاج لاسيما وعندهم اليوم الربيع بن زياد وهو الذي يحسن لهم البغي والعناد فعندها قال قرواش والله يا ابو العم لقد أجبنا الرهان وشهدت علينا بذلك العربان وما بقي لنا منه بد فقال قيس أنا أركب وأمضي إلى القوم وأزيله لانه يحب الشر بعانيه وأن تركه خيرا من الجد فيه فقام قيس من وقته وساعته وركب في مائة فارس من فرسانه وسار بنفسه في مهابته وكمال عقله وفضيلته حتى قدم على حذيفة بن بدر واخوته فرآهم كلهم مجتمعين يأكلون وبين أيديهم قصعة خبيص فلما رأوه قاموا اليه وعظموه وداروا به عن جوادة أنزلوه وزادهم بين يديه تقدموا وحلفوا عليه أن يأكل معهم فأكل معهم وصار يلقم لقما كبارا فقال له حذيفة وقد أراد أن يمازحه يا قيس ما أكبر لقمتك أبعد الله يا ابن العم تلك لقمتك فوالله لو علمنا أنك جائع ما عزمنا عليك فقال الملك قيس والله يا بني عمي لولا أني أراكم تأكلون الخبيص ما أكلت وكيف أراه عندكم واتركه مع اني نفسي تشتهيه وبعد ذلك فاني ما اتيت إلا لأزيل عن ابن عمي قرواش الرهان وانا أسأل الاقالة فيه فقال حذيفه أنا والله ما ازيل الرهان ولا أقبل فيه سؤالا ولا يزول إلا بالنوق والجمال وإذا حضر وافانا الخير ان شئت تركت سبقي وإن شئت أخذت حقي فلما سمع الملك قيس هذا الكلام اغتاظ وصعب عليه وكبر لديه وكدرة القول فما ازداد الا لجاجة وكان حمل اخو حذيفة حاضرا ومعه جماعة من سادات بني فزارة فصاروا كلهم يتضاحكون على قيس ويهزؤن به كلما رأوه يزيد بالشعب فزاد بقيس البلاء والغضب وهانت عليه المصائب والآفات والنوائب وقال يا أبا حجار على كم كان الرهان والاتفاق فقال على عشر من النوق يؤديها المسبوق وتكون من خالص الجمال والنوق فقال قيس يا حذيفة جميع ما فعله ابن عمي قرواش لاش في لاش وانا اريد عوضه أن أجعل الرهن بيني وبينك على عشرين ناقة ويكون بيني بينك المسابقة فقال حذيفة وذمة العرب ما أسبقك إلا على ثلاثين فقال على قيس على أربعين فقال له حذيفة على خمسين فقال قيس على ستين وما

زالوا على زيادة وملاججة ولباقة إلى أن أوصلوا الرهان إلى مائة ناقة واتفقوا على سباق الخيل بعد تضميرها أربعين يوما فقال قيس لحذيفة وتكون المسافة للخيل مائة غلوه ويكون الرامى اياس بن منصور فقال حذيفة والسبق إلى غدير ذات الارصاد فقال قيس وأنا رضيت من بنى عدنان فقال شيخ من مشايخ العشيرة يا للعرب وقع والله الشر بين القبيلتين من بنى عدنان ولابد تضرب بهذين القبيلتين الأمثال ما توالت الأيام والليالى وقال هانىء زفباع أعمام الملك قيس مثل هذا المبال مافيهم إلا من خشى من الحرب والقتال ومازالوا يعذلونهم فى ترك الرهان ويقولون لحذيفه والله ما كان جواد قيس إلا مثل ناقة حرب البسوس ولابد أن يصير مثلا للقيام والجلوس ثم قالوا لحذيفة نحن نسألك أن تزيل الرهن عن ابن عمك ولا تشغل قلبك ولا تشعل للحرب نارتحرق الكبار منا والصغار فقال حذيفة يا إياس اعطنى مائة فارس وأنا ازيل عنك الرهان وكثرة الهذيان فقال إياس وقد اغتاظ من كلامه والله ياعم ما أنت إلا رجل كثير اللجاج والبغى ثم اشار اليه وقال

حــــذيفة ما فيك من هجنة	ولا فى طهارة قيس دنس
لأن له سطوة فى الأمـــور	يسود بها قومه أن جلس
فما فوق سؤدده سودده	ولا فخـــر إلا له يقتبس
فرهن لمن ليس فى ملكه	جـــواد ولا لابيه فرس
ودع عنك قيسا فقيس له	عزم قوى لأخـــذ النفس
ولا سيما داحس فى الرهان	فان شاء ساروا وإن شاء جلس
جواد إذا سار تحت الغبار	يطـــير بلا ريش كالقبس

(قال الراوى) ولما سمع حذيفة مقال إياس قال يا إياس أنا ما أرجع عن رهانى بهذا الكلام ولابد أن آخذ من ابن زهير النوق والجمال على التمام فقال قيس والله ما أخلى لك من الرهن لا ناقة ولا عقال ثم أنه عاد إلى بنى عبس وهو من الغيظ فى الانكاد وامر العبيد ان يضمروا الجواد ويجتهدوا فى خدمته كل هذا جرى وعنتر غائب فى سفره وما عنده خبر من ذلك الأمر وهو فى خلاص عمه مالك وولده عمرو فى ذلك اليوم وصل عنتر من السفر واخبره العبيد بذلك الخبر فاشتغل قلبه ودخل إلى الخيام وحل هم الملك قيس وزادت به الآلام واشتد غيظه على بنى فزارة واضمر فى نفسه أن يوقع بهم الذل والخسارة ولما علم به بنو عبس اشتدت ظهورهم واستبشروا ببلوغ المآرب لأنهم خافوا أن يقع الحرب بينهم

عنتر غائب هذا وعنتر قد اشتغل عن كل إنسان وما كان دهم إلا فرجته على ذلك الحصان فرآه أعجوبة الزمان فعاد إلى الملك قيس وسلم عليه بأحسن سلام فقال الملك قيس والله ياأبا الفوارس لا يقل لنا قرار وأنت غائب عن الديار ولو أنك تعلمنا قبل مسيرك بأحوالك ما يكون علينا بأس ولا تدعنا لأجل غيابك في وسواس فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه وقال أنا ما أشتهي أن أتعب قلوب ساداتي في قضاء حاجاتي لأن أموري ما لها حدود ولا يعلم بحالي إلا الملك المعبود ثم حدثه بما جرى لعمه وكيف خلصه من همه وغمه وأعلمه بأنه قد صفا قلبه وعرف حقه لما فرج كربه ثم أنه قال يا مولى أن قصتي شرحها يطول وما هذا وقت إطالة ويحتمل المقالة لأجل قلبك المشغول لأني سمعت ما جرى لك مع حذيفة بن بدر ونظرت فرسك داحس فرأيته من الخيل الأصائل ولا رأيت في القبائل له مثال ولا ملكت مثله الملوك أصحاب المنازل العوال فطيب قلبك ولا تحمل هم السباق فأنت الظافر بالجمال والنياق فقال قيس ياأبا الفوارس ما أنا حامل هم السباق ولكن أنا خائف مشؤم عاقبة بني بدر لأن حذيفة طبعه المكر والغدر وهو عظيم الكياد وعبده مثيل الربيع بن زياد وهو يزيده ضلاله وإبعاد وأنا مضيت لهم بنفسي وطلبت منهم الاقالة فما أقالوني بل تضاحكوا على وحقروني وهذا دليل على انهم ما بسا بقوني ويحاربوني الا ليقاتلوني ويحاربوني فقال عنتر يا ملك سابق انت القوم على الشرط الذي جرى فان انصفوا وإلا فبعينك سوف ترى وسأبدل ضحكهم بكاء وخلى حريمهم يندبن على الرجال صباحا ومساء لأن فينا مجازاة لمن احسن ولمن اساء ولا يكون هذا الكلام إذا ظهرت الخيل وجرى السباق واكون انا قائما اشهدوان جرى امر فاقعدت ولا تكلم احدوأنا اخلى شملهم بتبدد ثم طيب قلب الملك قيس وعاد إلى ابياته والحارث بن ظالم والله ياأبا الفوارس ان ترك هذا الأمر خير من الجد فيه لأن بني فزارة اقرب الناس اليه ثم قال وإن حاربناهم قطعنا انسابنا بأيدينا فقال عنتر والله ياحارث ان بغى حذيفة على قيس لأسقينه كاس العطب لأن البغي يقطع الحسب والنسب وفي تلك الأيام وصل صهر الحارث سنان بن أبي الحارث من عند الملك النعمان وأخبره بنو فزارة الحارث في بني عبس وانهم قد اجاروه واعطوه الذمام وحلفوا انه لو اجتمع كل من الأرض ما سلموا منه شعرة واحدة وقالوا هذا الذي قتل غريمنا خالد بن جعفر واخذ بثأرنا ولا بد ان نقاتل بين يديه كل فارس يذكر واما كان في قلب النعمان من الحارث نار لا تطفأ ولهيب وحسرة لا تخفى مراده ان يعلم من اجارة من العربان وكان يسمع أن المتجردة اخت الملك قيس هي التي سعت في خلاصه ولولا محبته لها كان قتلها وندم ايضا كيف وقع في يده وابقى عليه واقسم ان رآه قتله وما زال على مقالى النار حتى وصل اليه رسول الربيع بن زياد واخبره انه في بني عبس

يرسل إلى قيس رسولا ليركب الحجة عليه ووصل سنان بن أبي حارثه كما ذكرنا وعلم به قيس فأنزل له في خيامه للضيافة وفي الغد احضره وسأله عن خبره فقال له قيس أن الملك النعمان ملك العرب قد سمع أن الذي قتل والده عندكم وقد أجرتموه وحلفتم له أن رؤسكم لا تطير إلا بين يديه وقد أحسن الظن فيكم الملك النعمان وقال أنا ما أصدق هذا الكلام في صهوى قيس لأن لي فيه اعتقادو أرجو منه النصرة على الأعداء والحساد ولا أقول أنه يضيع ما بيني وبينه من القرابة أبدا ومن كثرة ما تواترت عليه الأخبار أرسلني اكشف أخباركم وابصر أركان الرجل عندكم أمرتكم بالقبض عليه وتسليمه إلى حتى أوصله اليه والصواب يا ملك أنك تجيب ملك العرب إلى ما طلب ولا تقطع ما بينك وبينه من النسب ولا تردني خائبا فيكون سبب الهلاك والعطب وربما يأخذه اللجاج ويرسل اليكم الفرسان من أرض العراق إلى أرض تهامه فيقع بكم الندامة وترجعوا على أنفسكم بالملامة ولا تظن يا قيس أنك شفق على الحارث مني لأني زوج أخته ولي في قلبه المنزلة العلية التي ليس لها نظير ولكني لا أقدر أن أخالف الملك الكبير والرأي عندي أنك تقبض عليه وتسلمه لي وترسل إلى اختك المتجردة حتى تسأل فيه الملك النعمان فان قبل حصل المقصود وأنت قد تكون قد فعلت المجهود فلما سمع الملك قيس كلام سنان قال له أنا ما اصغى إلى هذا الهذيان وقد علمت أن الحارث قتل أبي خاطر بنفسه ولما وقع في يد النعمان خلصته أختي من الهلاك والكياد وارسلته الينا لعلمها أننا ولكنه لتمام سعادته التقى مع بني عامر فخلصه بحسامه الباتر وصار فضله علينا أول وآخر وما بقينا بقدر على مكافأته الا بخدمته ومراعاته والرجل نازل عندنا وقد اجرناه ولو أتى النعمان بنفسه ما سلمناه فان اراد يقطع ما بيننا من النسب وإن شاء يرضى وأن شاء يغضب فبينما هم في ذلك الكلام وإذا عنتر قد دخل وهو متقلد بالحسام وكان قد علم بخبر سنان وعلم الذي اتى فيه ولما وصل إلى بين يدي الملك قيس ما سلم ولا خدم بل قال لسنان يا شيخ أنت الرسول الذي أتيت قال نعم يا مولى فقال عنتر وحق من شق الاسماع لو لا انك رسول لتركتك مقتول قم من يومك وعد إلى قومك وقل للذي ارسلك أني قد اجرت الحارث بن ظالم ظالم ولا اسلمه لعرب ولا لاعاجم وان ارسل الينا رسولا فما يعود إلا نادم ثم أنه صاح في سنان فقام وقد ارتعدت مفاصله وخرج وهو يجر أذياله ومن يومه ركب وسار وفي قلبه من كلام عنتر النار وكانت اخبار عنتر قد وصلت إلى بني فزارة وسمع حذيفة أنه قد وصل سالم وقد قوي قلب قيس على السباق بعدما كان نادم فقال حمل وحق ذمه العرب أن في قلبي من هذا العبد الزنيم مصائب قدت عمري ولا بدلي في هذه النوبة أن اشفي منه غليل صدري لأنه لو لا هو ما كان قيس إلا تحت امري فقال حمل والله يا أبا جحار هذا امر ما تبلغ به مرادو لا

تكد به حساد مادام أنه حضر عنتر بن شداد لأنه والله شيطان ما يوجد مثله فى هذا الزمان لأنى شاهدت قتاله بالسيف والسنان وأخاف أن يثير الحرب فتخسر وتهان وأخاف أنك تزيل الرهان وتدعنا ننظر العرضيات من هذا العبد المهان فانا أسير إلى قيس واخليه يأتى اليك ويزيل الرهان فلا تسمع العرب أنك سألته بل هو سألك فاجبته فعظم قدرك ويرداد فخرك فلا تعرض لسعود فتموت وأنت مقهور مكمود واعلم أن كل شىء له مبتدا ومنتهى فدع هيبتك على حالها مقيمة ولا تعرض لأمور تكون عواقبها ذميمة ومازال يخدعه بالخطاب حتى انخدع وأجاب وتركه يفكر فى هذه الأمور والأسباب وسار حمل إلى أن وصل إلى قيس فقال له ياقيس اعلم أن اخى كثير اللجاج والصواب أنك لا تؤاخذه بقبيح الفعال بل يكون الفضل لك فى السؤال فالصواب أنك تمضى اليه وتسأله الإقالة لأنه قال فان أتى إلى قيس وسالنى الاقاله قبلت منه السؤال فما سمع قيس كلامه استحال لأنه كان قريب الرجوع طيب الأصل والفروع فاجابه إلى ذلك وقال له أنت تعلم أنى من الأول مارضيت بالرهان وهو الذى حملنى على ذلك الشأن وأنى قد أجبت سؤالك ثم أنه ركب من ساعته واخذ عمه اسيدا فى صحبته وسار وحمل إلى بنى فزارة من غير أن يعلم أحد بحالته فما توسط حمل فى الطريق تقدم وجعل ينشد بفصاحته

يا قيس أن مع الرهان لجاجة ... فيها الوبال وفعلها مذموم
يا قيس لا تغضب حذيفة أنه ... نكد اللجاج وأنه ميشوم
أنى أخاف على أخى من شؤمه ... يلقى كما لاقى الفتى كلثوم
جازى أخاه على فعال فاننى ... وهو الشقى وأنفسه مرعوم
يا قيس فيك وفى حذيفة نخوة ... يأبى اليها فعلكم مذموم
فابعد هواه وكن حليما ماجدا ... من قبل تصبح ظالما مظلوم
أن الذى يبغى حذيفة منكمو ... فى الواقعات قشره معلوم

ومازال يذم أخاه ويشكر فسار وجهزا حتى وصلوا إلى بنى فزارة عند المساء ولما وصل اليهم ورأى حذيفة وسادات العشيرة كلهم مجتمعين سلم عليهم فردوا عليه السلام ومد قيس عينه فرأى سنان بن أبى حارثة إلى جانب حذيفة فانكر قيس ذلك وقال أرجو ياسنان أن تكون سعيت فى اصلاح الحال فقال سنان وأنا إيش لى من الرأى والشأن وحق مكون الاكوان أنا ما أقدر أصلح نفسى ولا اصلح حالى لأنك تعلم أنت وسادات العشيرة أنى ضامن الحارث للملك النعمان لأنه أخذ ولده شرحبيل من عندى وقتله وتركنى فى حزنى.

وما اتيت فى رسالته اليكم إلا ظننت انكم تعطونى الرجل اسلمه اليه واخلص روحه من الضمان بين يديه ولما خاب ظنى وضاع تعبى فلا اعود اليه وانفذ صحابى يعلمونه بالحال وأنا اقيم عندكم فى هذا المكان حتى تنفصلوا على أى وجه كان. وكان قول سنان كلة محال وما كان عاد إلى بنى فزارة إلا حتى يلتى الفتن ويعمل على قلع بنى عبس من تلك الدمن لأنه لما خرج من عند الملك قيس بعد ما سمع من عنتر ذلك الكلام قال لأصحابه الذين كانوا معه يا اولادأ نا مافى رجوعى فائدة تستفاد إلا إذا قابلت عبد شداد وها أنا قد عزمت على انى اعود إلى بنى فزارة وادبر الماء الفتن فسيروا انتم إلى الملك النعمان واخبروه بذلك الأمر وحرضوه على انفاذ العسكر فلعلها تصل إلى هنا ثم انهم ساروا اوسارهو إلى بنى فزارة فالتقاه الربيع ابن زياد وحذيفة بن بدر وسارات عشيرته فسألوه عن حاله فاخبرهم بالحال الذى ذكرنا وقال يا بنى عمى قد اهلكنى الغيظ من كلام هذا العبد وأنا اريد أن اقيم فى ارضكم حتى ابلغ المنى لأنه ما بقى لأحد عنده قدر ولا قيمة من وقت ما الحقه بالنسب بنو قرار وبنو جذيمة فقال الربيع بن زياد والله ما صيرنى هكذا مشردا عن الأوطان إلا هذا العفريت الشيطان فقال سنان طب نفسا وقر عينا فانا لفناء عمره سبب واحوج الملك النعمان أن يسير اليهم بفرسان العجم والعرب فقال حذيفة إذا كان الأمر على هذا فانا ما اصالح ولا بد لى أن أثير الحرب بيننا على الرهان ولا ابقى من عبس ولا مخلوق ثم أنه حدث سنان بما جرى واخبره أن اخاه حمل قد سار إلى الملك قيس يأتى به لاصلح الحال وترك الرهان فقال سنان أنا ما علمت إلا ببعض الحديث والصواب أنه إذا اتى قيس وطلب الاقاله فلا تقله بل رده خائبا إلى أن تضمر الخيل وتكون قد وصلت رفاقى إلى الملك النعمان وتخبره بما كان من ذلك الأمر والشأن ويرسل الينا عساكر العراق وبعد ذلك تنظر بنى عبس كيف تشتت فى الآفاق ولا سيما أن اتى مع العساكر الملك الاسود صهرك فانه يشتد ظهرك فلما سمع حذيفة كلام سنان فرح به وا كرمه ومازالوا فى ذلك الحديث حتى وصل الملك قيس كما ذكرنا فسلموا وهموا بالنزول فصاح حذيفة فى حمل وقال ويلك من امرك بالمسير خلف هذا الرجل وكيف خطر ببالك أن نجيبه إلى ترك الرهان وحق ذمة العرب لو سألنى هو وكل من فى الدنيا أن اترك من النوق والجمال عقالا ما تركته فلما سمع قيس ذلك المقال زاد الغيظ والخجل وعاد إلى ظهر الجواد بعد ما كان قد نزل فعاد يطلب أهله ويلوم حمل على فعله وينشد ويقول قد كرهت السباق من خيفة شره فاستمع ما أقول أنى حكيم

قلت للمرء يا حذيفة دع ذا مستقبلا للبغى فالبغى شؤم

يا أخا الحق غرك الحلم منى — وتوهمت أنى جبان عقيم
وأنا والذى له الركن والبيت — جميعا وزمزم والحطيم
لى عزم يقد ضرف الليالى — حيث لم يبق أمرها محتوم
ورجال تلقى الرماح العوالى — بقلوب قد وافقتها الجسوم
كل من كان ناصحا فهو غر — فوقه طائر الهلاك يحوم

وكان قيس قد عنى بهذا البيت الأخير سنان بن حارثة فوصل هو إلى أبياته وعنده أوجد اخوته وأعمامه فى الانتظار وهم من أجله على مقال النار فلما رأوه قالوا له والله مافعلت إلا فعل الجهال وأشغلت قلوب القرابة بهذه الإشمال لأنك سمعت من مقاله حمل بن بدر والقيت نفسك فى قبضة قوم اظهروا لك العداوة والغدر وفى قلوبهم السكباد فهذا الحديث لو سمعه عنتر بن شداد لاستقل بك بين العباد فقال قيس لاتعتدوا على فانى مافعلت إلا فعل من يريد الصلح بين القرائب ويخشى من العواقب والآن مابقى لنا إلا القبال ثم حدثهم أن سنان قد اختار المقام القوم فتعجبوا من ذلك التيسير وقد عزم الملك قيس على السباق والنزال وضمر الخيل أربعين يوما والعرب تموج فى الحلل ومابقى لهم حديث إلا ذكر داحس والغبراء دنا الأجل وأتى ميعاد سباق الخيل والجياد اجتمع فرسان القبيلين على غدير ذاب الأرصاد واحضروا إياس بن منصور على الموضع الذى وقع عليه الشرط فاعطى ظهره إلى المكان المعروف بالغدير واستقبل مهب الشمال ورمى بقوسه مائة سهم فانتهى إلى المكان المعروف واجتمع المشايخ كلهم وقوف وكان فرسان بنى ذبيان قد تسامعوا بالرهان فانظروا ذلك الأوان وأتوا الفرجة على سباق الخيل وكانوا كلهم فى أرض واحدة وكان الملك قيس قد أوصى عنتر أن يقيم والخيام وقت السباق خوفا من اثارة الفتنة ونزول المحنة فاراد المقام فماقدر ولاقر له قرار فركب على جواده الابجر وتقلد بالصارم الابتر وأخذ شيبوب بركابه ولحق الناس فى شدة الحروب لك خوفا على قيس من غدر بنى فزاره فلما هموا أن يطلقوا الخيل رأوه قد طلع مثل الأسد الكسور والسيف فى يده مشهور وعيناه يتطاير منها الشرر وما زالوا اليه حتى صار فى وسط الجميع ونادى ياسادات العرب من ذبيان ويامن أجتمع فى هذا المكان أنتم كلكم عرفتم أنى صنيعة الملك زهير أبى الملك قيس وهو الذى لحقنى بالحسب والنسب ولم تعش حتى أجازيه على صنيعه وأجعل سائر العرب تتبعه وتطيعه ولكن عاند الزمان وطرقته طوارق الحدثان وخلف هذا الولد لبنى عبس الذى قد ارتضى به سائر أعمامه أخوته والأقارب ونصبوه ملكا لأجل ماعنده

من الأمور السديدة والعقل الصائب وأنا ملك بده ومعز لمن والاه ومذل لمن عاداه واكره أن انظره بذل وهو لا يطلب الاقالة من أحد أبداً ولكن قد ارتضى بهذا السباق واشهد على نفسه سائر الرفاق فسيكون له النصر من الذى خلق النهار والليل وأنا اقسم بالبيت الحرام لئن بغى حذيفة وظلم لاسقينه بسيفى كؤس النقم وأقيم الحروب على ساق وقدم وها أنتم سادات القبايل والاحياء فلا تطلبوا الاعداء فعندها ضجت الفرسان من كل جانب وكثر الكلام بين الأصحاب والقرايب فمنهم من يقول صدقت ومنهم من يشتمه فعند ذلك انتخب حذيفة فارسا من بنى ذبيان خبيرا بعدارة الخيل وفى ركوبها دروب يقال له مالك بن مغلوب وانتخب قيس لجواده داحس من بنى عبس فارس كان طول دهره يربى الخيل ويخوض عليها بالنهار والليل بين الصفوف والمواكب يقال له سابق بن غالب فلما صار كل واحد منهما على ظهر الفرس أقبل قيس على صاحبه فعلمه كيف يركب على ظهره وكيف يكون له ملامس فاشار اليه يقول

لا ترسلن عنان فرسى كله ⁂ وأن علاه عرق وبله
فامسحه بساقك وأحسن سبله ⁂ أنك أن أتعبته تمله

فلما نظر حذيفة قيسا قرب من صاحبه وولاه دنا أيضاً من صاحبه وأوصاه وعلمه كيف يركب فرسه وأنشد مقتبسا للشعر الأول ويقول

لا ترسلن لها العنان كلها ⁂ وأن علاها عرق وبلها
فامسحه بساقيك وأحسن سبلها ⁂ إنك أن أتعبتها تملها

فلما سمع عنتر شعر حذيفة تبسم وقال ورب الكعبة يا أباحجار لتأخذن جمالك الابكار وسبقك الملك قيس فى المعانى لأن قيسا ملك وابن ملك مطاع واتباعك له فى الوصية دليل على أن فرسك يتبع فرسه فى هذا اليوم فقال حذيفة هذا اليوم مضى أكثره وما أريد أن اطلق الخيل إلا غدا عند ذهاب الليل وكان يريد بهذا المقال أن يسير باباً من أبواب المحال إلا أن قيسا اجابه إلى ذلك وساعده واتفقوا على أن يطلقوا الخيل عند طلوع الشمس فصاح شيبوب يا سادات العرب بحق الرب القديم وزمزم والحطيم اصبروا على قليل واسمعوا مقالى بلا تطويل فانعطفت عليه الفرسان ودارت حوله الشجعان وقالوا له قل ما بدا لك من المقال أن يكون فى مقالك انفصال فقال لهم يا بنى عمى هذه عربان مجتمعة وهى من بنى عبس ومن بنى فزارة والكل فى أرض واحدة وقد جرى لهم ما جرى من القيل والقال على داحس والغبرا وأنا اراهن الفريقين وافرج على فعل الطائفتين لكن يشهد

أن سبقت ان يكون لى ما به ناقة وان سبقنى هو أعطيته السباق خمسين ناقة فقال له شيخ من مشايخ بنى فزارة ويلك ياعبد الزنا كيف إذا سبقت تأخذ مائة ناقة وإن سبقك تدفع خمسين ناقة فاخرنا ما اسبب فقال شيبوب نعم يا ديوث العرب لأنى اغدر على قائمتين والخيل على أربع قوائم وذنب فتضاحكت الفرسان من مقاله وتعجبوا من فعاله وطلبوا الفرجة على عماله فرجعوا وعنتر يقول يا ابن الأم كيف تسبق هذين الفرسين وقد اتفقت جميع الأبطال على أن ما فى خيل العرب لهم مثال فقال شيبوب وحق من فجر من الصخر عيون وعلم ما كان قبل أن يكون أنا أسبق الجوادان لو طار كل واحد منها بجناحين ولى فى ذلك منافع كثيرة لأن فرسان العرب إذا سمعت هذا الخبر ما ترجع إذا انهزمت بعد ذلك تقع لى أثر فلما سمع عنتر مقاله سار مع الملك قيس واخوته ولما وصلوا إلى الغدير الذى ترد الخيل أن تتسابق اليه عاد حذيفة إلى أبياته واستدعى لعبد من عبيده يقال له حابس فقال له اذهب من ليلتك هذه إلى المكان الفلانى فاكمن فيه صباح النهار وإذا طلعت الشمس وبسطت فى الأقطار أجعل بالك من داحس جواد قيس فاذا رأيته قد سبق فعارضه والطم وجهه وردّه إلى وراه ودخل فرسى الغبراء تقدم عليه حتى لا يكون سابقا عليها لأنى رأيت داحس وأطلعنى الفرسان على أمره وأنا خايف منه أن يسبق فرسى فاصير معيرة عند العرب الغرباء فقال حابس يا مولاى وكيف أعرف داحس من الغبراء إذا اقبلا تحت الغبار فقال أناريك ذلك جهارا وقام وجمع له من البر شيئا من الحصا وقال له اشعد من ذاك الحصا عشرين حصاة وضعهم معك فان رأيت الشمس اشرقت قابد بعددهم وارمهم إلى الارض اربعة وافعل ذلك خمس مرات فان الغبراء تأتى عند انتهاء العدد لان ميعادها عندى إلى ذلك المقدار وان اشرف عليك غبار ومعك من الحصا مقدار مثل ثلثه ونصفه وأخذ الحصا ومضى إلى ذلك المكان وبات وقد لاجل هذا التدبير الذى خطر بباله ولما أضاء النهار وطلعت الرجال على الروابى والشعاب وازدحمت المشايخ والشباب وأطلقت الفرسان الخيل عند ذهاب الليل وصاحت عليها فرسانها فجر كالبرق إذا برق والريح إذا عصف وتقدمت الغبراء وتأخر داحس فصاح الفزارى سبقتك يا أخا عبس فعز نفسك بالتعس والنكس فقال العبسى كذبت يا أبا فزارة وانظر بعدما تقع به الخسارة وصاح فى داحس فقطع السهل وطار بلا جناح قد علا وتخيل لراكبه انه على الفلك الدوار وصار قدام الغبراء كلمح الناظر فنادى العبسى للفزارى هل لك من حاجة إلى بنى بدر فتجرع من خلقى مرارة الصبر هذا وشيبوب فى عرض داحس كأنه

وريح الشمال وهو يهمز فى البرهمزات الغزلان وبينهم كا يهم وصار كل من يراه يظنه شيطان وقد هام فى تلك البرارى والوديان حتى قاربوا الشعب الذى فيه العبد كامن هذا والعبد قد رأى داحس مقبلا عليه كالقمر المنير طالبا إلى الغدير وكان شيبوب أسبق منه ولما مر الجواد على ذلك العبد لطمه لطمة بالغة بين عينيه وكان قد أخذ فى يده جندله من الأرض فلطمه بها داحس فدار وارتعد وتمتع وكاد راكبه من فوقه أن يقع وأبصر شيبوب هذه الفعال فعلم أنه فكل به غاية النكال وعلم أنه من تدبير حذيفة بن بدر ومن شدة حنقه سل خنجره ووثب على العبد وضربه فقطع أمعاءه ومزق شحم كلاه وهم أن يعود على داحس ويحسن فيه المداراة وإذا بالغبراء قد أقبلت مثل الريح وتمطت طالبة إلى البرق إذا البرق وطلب الغدير فكان التيه بمقدار رمية سهم وأنت الغبراء فى المرمووصل داحس وأثر اللطمة فى وجهه ودموعه نازلة على خده وكانت القبائل ضجت عندما قبال شيبوب وتعجبوا من خفية وقوة عصبه ولما أقبلت الغبراء بعده ارتفعت من بنى فزارة الأفراح وأخبر شيبوب لقيس بما جرى من الخبر فكادت مرارته ان تنفطر ودمدم لأجل ذلك عنتر وأشهر حسامه الابتر وأراد أن يظهر فى بنى فزارة العبر فمنعة المشايخ من ذلك وسألوه الصبر ولاموا حذيفة على فعالة فانكر وحلف أنه ماعنده من العبد خبر وقال أنا أريد حقى وسبقى فاهذا الحجة الباردة التى مالها من برهان ولا لفظ بها انسان فقال قيس وحق الركن والحجر ما كانت هذه اللطمة إلا مشؤمة على بنى فزارة ان أعطانى الله النصر والظفر ولا بد أن أقطع منهم الأثر لأن حذيفة ماطلب السباق إلا لأجر هذه الحال وما لج إلا لطلب الحرب والقتال ثم زاد الصياح من كل مكان وكسفت الرؤس خوفا على البنين والبنات وما أمسى المساء حتى اتفقوا على أن شيبوبا يأخذ المائة ناقة من بنى فزارة لأجل تعبه وفرجة الناس عليه وتحقيق الرجل الذى كان الدهن على يديه إلى شيبوب مارا هن عليه وأراد بذلك أطفاء الشر بين القبائل والعشاير وعادت كل طائفة إلى خيامها ومضاربها وفى قلوبها من الحقد ما ملأ صدورها وجوانبها وكان أشد الطائفتين أحقادا وأغظمها لجاجا وعنادا حذيفة بدر لاسيما وقد سمع بقتل عبده جابس الذى لطم داحس وأما قيس فانه رجع وهو من الغيظ قد انصرع وعنتر يسليه ويقول أيها الملك لاتشغل خاطرك بهذا الأمر فوحق نعمتك لأقتلن كل فزارى تقع عينى عليه لانهم دائما يتطلعون على أخبارى وأنا أتجنبهم لاجل قلبك ولاجل ما بيننا من

النسب والآن ما بقيت أظفر بواحد منهم الا وأسقيه كاس العطب ولما أصبح صباح نحر من نوقة عشرة وفرقها على صعاليك العشيرة ونحر عشرة أخرى وعمل بها وليمة لسائر عبيد الحى وجمعهم حول مضربه واشترى لهم خمرا واسقاهم المدام وما تركهم يخرجون من عنده إلى ثلاثة أيام وفى رابع يوم نحر باقى النوق للفرسان والسادات وجمع سائر الأبطال من بنى فزارة أخوة الملك قيس ومن بلودبهم من الخدم والاصحاب وما منهم إلا من أتى ومعه مغنية وزق خمر او تقلبت الدنيا بالأفراح واشرقت الاقطار بشرب كؤس الراح وأجلوها عليهم فى الاباريق والأقداح وبلغ الخبر إلى فزارة فاشتدت عليهم المصائب وعمل الحسد فى قلوبهم عمل السيوف القواضب وقالوا كيف نكون نحن السابقين يا أمير حذيفة وأموالنا يأكلها شيبوب هوو العبيد المنافقون. أنفذ لقيس واطلب منه حقك شاه أو أبى وماز الوا على ذلك حتى ألهبوا قلب حذيفة من الحسد وسقوه كاسات الغيظ والكمد ومن ساعته رفع رأسه إلى ولد وكان اسمه شدبة ويلقب بين فراقه وقال له اركب يا ولدى وسر إلى قيس بن زهير وقل له يا قيس أبى يقول لك ادفع له سبقه سرا وإلا أخذها منك جهرا ويفضحك بين العرب تارة أخرى وكان عنده فى تلك الساعة شيخ من مشايخ العشيرة ينال له حصيصه فقال له يا أبا حجار ما هذا البغى والاسراف فى المقال أما تستحى تسمع كلام الجهال وتنفذ إلى ابن عمك تطالبه بالمال وأنا والله ما أرضى لك بهذا الفعال والمقال لانه نقص فى العقل والكمال وما يوصف الإنسان إلا بالجود والإحسان والرأى عندى انك تقصر هذا اللجاج لان مثل قيس بن زهير يحب أن ينصف ولا يظلم وفرسان بنى عبس إذا سالمتها كان الحال أسلم وقد رأيت عبدك لما ظلم داحس كيف قابله البغى سريع وصار فى البر مخضبا بالنجيع وقد نصحتك وأبذلك أخبر وبعواقب أحوالك أبصر فلما سمع حذيفة هذا المقال لعب العجب بعطفيه فصاح على الشيخ وقال يا حصيصه هذا الكلام من عنتر حفظته أو خلط جديد فى رأسك قد هاج ما عهدته والله لو ان بنى عبس بعدد الرمل ما جعلتهم لى على بال فعندها قام الشيخ من عنده وأنشد وقال.

البغى شؤم يا أبا حجار فتكانه كطوارق الاسحار

فاحذر مضاربه إذا جربته وانصف ولا تلبس ثياب العار

فابادهم تحت الظلام فأصبحوا بين الطلول شواخص الأبصار

فما سمع حذيفة شعره لم يلتفت إليه بل لعب البغى بعطفيه وقال لولده يا ويلك أمض لما أمرتك فركب وسار إلى بنى عبس وطلب قيس بن زهير فى بيته فرآه بل وجد زوجته المدللة بنت

الربيع فقالت له ياأبا قرافه فى أى شىء قد أتيت وما الذى تريد من قيس صاحب البيت فقال أريد معه سبقنا وأطالبه بحقنا فقالت له وأى حق لكم ويلكم يا بنى بدر إلى كم هذا البغى الغدر أما تخافون عاقبته أرجع ياأبا قرافة على عقبك واشكر الذى خلفك وهو بك أعلم فانك لو وجدت الملك قيس قائم لمارجعت سالم فرجع إلى أبيه وأخبره بالخبر فلما سمع خطابه غاب صوابه وقال له ياويلك رجعت إلى سالم سمعت كلام المدللة فعد إلى قيس وقل له يقول لك أبى انتظر فى الغد منه حربا فانه يريد أن يأخذ سباقه بسيفه غصبا وسوف ترى ما يحل بك من الندم إذا نزل بك وبعشيرتك العدم فقال أبو قرافه هذا يكون منى غدا وقيت حوادث الردا فان الليل قد أتى وأدركنى المساء وعند السحر أقوم ههنا وأصبح بنى عبس قبل طلوع الشمس وأطالب قيسا بحقنا قبل أن يركب وكان قيس قد أتى إلى أبياته آخر النهار وهو سكران من شرب كاسات العقار لأنه كان فى دعوة أخيه مالك فابصرته زوجته المدللة سكران طافح فما حدثته بحديث أبى قرافة من الأمر فعند ذلك حار فى أمره وتشتت سليم فكره فبينما هم بذلك وإذا بعنتر قد أقبل اليه لاجل السلام عليه فسأله عن حاله فحدثه بحديث ابن حذيفة ومقاله فقال عنتر لعن الله أباسباله والله لايزال بهذا اللجاج ومخالفة نصح النصاح حتى اتركه يغص بالماء القراح وأريه ماتشيب رؤس الولدان من ضرب الصفاح وطعن الرماح ومر بنا أيها الملك إلى بنى بدر الموصوفين بالبغى والغدر حتى نلحقهم باهل المقابر فالى متى يبغون علينا وأنت صابر ومازال عنتر يحمى الملك قيس بالكلام حتى زاد به الغيظ والغرام وقال له والله ياأبا الفوارس لو كنت هناك حاضر وإلى صورته ناظر وتكلم بهذا الكلام اقطعت رأسه بالحسام فبينما الملك قيس مع عنتر فى الكلام إذا أبو قرافة داخل من أول الخيام ولم يزل إلى أن وقف قدام الملك قيس من غير أن يبدى سلام بل قال له ياقيس يقول لك أبى أوصل وأنت كريم وإلا أخوه منك وأنت ذليل كظيم فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام اسودت الدنيا فى عينيه وقال له ويلك عدمنك امك وعدمك قومك ثم أنه استل حربه من جانبه وقد لعبت نخوة العرب فى رأسه حتى ثيرت سائر حواسه وضربه بها بين صدره طلعت تلمع من بين كتفيه فابصره عنتر وهو يريد أن يميل من ظهر الجواد فلزمه وربطة على جواده عرضا فابصرت الفرسان القتيل فعرفوا حاله حين أبصروه والدماء منه تسيل فنادوا بالويل الطويل وعولوا على البكاء والعويل ونادوا قتل والله أبو قرافه عزعزع من الحى أطرافه نخرق حذيفه أثوابه وعلا بكاه وانتحابه وخرجت زوجته صارخة

وحولها جماعة من الاماء وما فيهم إلا من خضبت خدودها بالدماء وجعل حذيفة يدور بنفسه حول البيوت والأطناب وهو ينادي يا آل فزارة الثار الثار البدار البدار يا بني عمي بادروني بالسيوف والقنا وفعل سنان بن أبي حارثة مثل تلك الفعال لأنه كان كثير المكر والاحتيال وكشف رأسه وخرق ثيابه وكان له شيبة طويلة ففرشها على صدره وصار يحرض الابطال ويكثر من البكاء والأعوال فتنافرت الرجال وتبادرت الابطال وأشهر السلاح وداروا حول حذيفة بالسيوف إلا أنهم ما صاروا خارج الخيام حتى ذهب الظلام وقارب وقت الصباح فساروا جميعهم ولم يبق في الخيام سوى العيال والمشايخ من الرجال وأما الربيع بن زياد واخوته ومن تعلق به من عشيرته فانه قال أنا ما أبلغ قومي بالعداوة ولا اكون معهم ولا عليهم وكان أيضا قد اغتاظ من سنان أبي حارثة لأنه من حين أتى إلى بني فزارة وحذيفة مائل اليه ويشاوره في أموره وما بقي يرفع له رأسا فهانت نفسه عليه فصار يفكر بأي وجه يصالح قيس بن زهير وساير أخوته وأمر العبيد أن ينادوا في جوانب الحلة وقد استصوب عنتر رأيه وركب معه جميع أبطاله ورجاله وعاصبت الفرسان في الحديد والزرد النضيد وكان حالهم مثل حال بني فزارة في اهتمامهم في أمر القتال ولم يتخلف في الخيام إلا الحريم والعيال وكان الحارث بن ظالم من جملة المتخلفين لأنه قال أنا ما أقاتل ابني عمي وصهري سنان وكانت نوبة عظيمة مذكورة بين بني عبس وبني فزارة وصارت كل طائفة تطلب الأخرى وكان الملتقى عند طلوع الشمس إلى أن أصبح الصباح ما علا حتى انقلب اقطار الفلا وارتج بريق السيوف ولمعت أسنة القنا وعول عنتر بن شداد أن يثير الدما ويبدل السيف في بني فزارة وأما حذيفة فانه قد برز وقال له ويلك يا بن زهير ما هو مليح قتل الأطفال بالمجال بل تبرز اليوم إلى المحال حتى يظهر عند اختلاف القنا من يصلح للملك أنت وإلا أنا فلما سمع الملك قيس هذا المقال صعب عليه وعول على البراز والقتال وخرج من تحت أعلامه فرده عنتر بن شداد فاقسم بتربة أبيه أنه لا يرجع ثم حمل قيس على حذيفة جالا على ظهور الخيل الجياد وكان الملك قيس على جواده داحس وحذيفة على حجرته الغبراء فجرى بينهما ما يؤرخ ولما نظرت كل طائفة إلى صاحبها عولت أن تحمل معه وتعينه فعندها علت الأصوات وارتفعت الصيحات وتزعزعت الجنبات واشهرت البيض المرهفات وقاعنتر ابن شداد لعروة بن الورد ولاعمامه احملوا بنا على ميمنة بني فزارة قبل أن تميل على قيس وتعين الطائفتين ومن كان قد تخلف منهم وهم مكشوفين الرؤس حفاة الاقدام وعلى اكتافهم

الأوثان والأصنام فدخلوا بها المواكب والكتائب وخوفوا الفرسان من عواقب النوائب وهم يقولون يا بنى الأعمام بحق خالق الضياء والظلام لاتدعونا شماتة للاعداء والحسالة واتركوا عنكم اللجاج والعناد ولا تيتموا البنات والأولاد وكفانا للعرب علينا من الدماء وما لنا فى أقطار الأرض من الأعداء فاعينوا بنى عمكم واسألوا كم أهلك البغى من الأمم قبلكم وأرقبوا من حكم عليكم بالممات وانتظروا الحمام فانه عن قريب آت تسكنوا فى الحفر ومظلمات ولا يبقى غير الذكر الجميل إذا أصبحت الأمم باليات وما زالت مشايخ العشيرة على مثل ذلك حتى النيران والمواقدات وانكسرت أصحاب العزمات ورجع حذيفه عن القتال وانفصل بينهم الحال على أقيس يؤدى فداء أبى قرافه من جزيل المال وقطعه من النوق والجمال ومارجع المشايخ من وسط المجال حتى عاتق قيس لحذيفة بن بدر وأجاب إلى هذا الحال لأنه كان قريب المرجوع بين الأقيال ولما أجاب قيس وأنعم جرد عنتر ابن شداد ودمدم وقال ياويلك أى شىء هذا مفعل الوبيل ولماذا تأخذ بنو بدر مناديه قتيل وسيف عزمنا صقيل واسير حربنا لايفادى إلا بالنضول وقتيلنا أبداً دمه مهطول فقال حذيفة اسكت يا ابن الأماء والدالزنا فو حق الكعبة الغراء لولا حضور الآلهة والأصنام وأولادكم أيتام كيف انفذو لدى يطلب حقى فتقتلوه وتربطوه على الجواد وترسلوه وتقولون ذلك الكلام والله يا حذيفة أن يدك اقصر من أن تقتل كلبا من كلاب الحى بين الخيام ولولا المشايخ والرجال كنت بينت لك العبيد من أولاد الحلال فعندها قال حذيفة للمشايخ وذمة العرب ما أشرك حقى لو نهبتنى الأعدا بالصفاح وأطرف الرماح فقال إخوة حمل يا ابن الأم لا تركت طريق اللجاج وتجهل وصالح بنى عمى فانهم أعيان العرب الحية وشموسهم المضية ونحن ظلمناهم بالأمس لأجل لطم جوادهم داحس وما قتل ولدك إلا لأنك انفذته يطالب القوم إنما لاتستحقه والسلم خير من الحرب فاقبل الفداء وارض به وإلا أوقدت علينا نار الحرب ثم أنشد يقول

وحق الذى أرسى الجبال بلاراس	إذا أنت لم فداء بنى عبس
أتتك خيول فى الحرب صوارم	على ظهرها الأبطال كالأسد الشرس
نهيتك عن قيس وقيس نهيته	ولكن مع القدور لانفع للترس
حذيفة ترك الحرب عنك مروءة	ولاسيما حرب الفوارس من عبس
فان كان قيس غادرا فى فعاله	فانت الذى علمته الغدر بالأمس

فدعهم لنا حصنا إذا جالت العدا　　علينا صباحا بالمسومة العبس

ولما فرغ من شعره شكرته العرب على نظمه ونثره والزموا حذيفة بأخذ الفداء وردوه عن الظلم والاعتداء وعادت الابطال إلى الأحياء وحمل قيس إلى بنى بدر مائتى ناقة وعشرة من الخيل وعشرة من العبيد وعشرة من الاماء وأصلح الحال وفرت الناس فى الأطلال ولما كان من الغد ركب عنتر بن شداد والحارث بن ظالم وطلبوا البر للصيد والقنص وكان معهم مالك بن زهير فاوسعوا فى البر وطردوا الوحش حتى حمى عليهم الحر وعادوا إلى واد يقال له الضباب وكان فيهم قوم ضعفاء من بنى غراب فورد هؤلاء على ركابهم فوجدوا على ذلك ومعه بنته وهى مثل الخشفة العطشانة وعيونها أحسن من عيون المهافر شقت بها مالك بن زهير فلما نظرها تعلقت بها أحشاؤه فاقبل على أبيها وسلم عليه فرد عليه السلام فقال مالك ياشيخ هذه الجويرية ما تكون منك فقال يامولاى هى إبنتى لم يبق لى الزمان غيرها وهى تعيننى على المرعى فقال مالك ياشيخ أما خطبها أحد منك فقال له يامولاى أى إنسان إذا كان صعلوكا فما أحد يلتفت اليه فلما رآه مالك قد اشتكى وكلامه علا قال له يا شيخ أترضانى أكون لابنتك بعلا وتكون لى ابنتك زوجة وأهلا حتى أحكمك فيما أملكه من الملك والغنا وأزيل عنك ثياب الفقر والعنا فقال الشيخ وقد تبسم يامولاى من أين لى ذلك وأنا رجل فقير وأنت ملك وابن ملك كبير فقال مالك ياشيخ لاتقل هذا المقال ولا تظن أن المال يزيد الإنسان كما بل الحسب والنسب عند سادات العرب خير المال والمكسب (قال الراوى) فبينماهم فى ذلك الكلام وأما عنتر والحارث قد أقبل وسقيا جواديهما وسألا مالكا عن حاله مع الاعرابى وقصتهما فحدثهما مالك بما جرى وشكا الى عنتر من تباريح الهوى وقال والله ياأبا الفوارس كنت أستجهلك كلما تشكو فى إلى الهوى الذى بك من عبلة وأقول أن العشق جنون حتى ذقته من ساعاتى بسبب نظرى لهذه العيون فلما سمع مقاله علم أن العشق غير حاله فقال له يامولاى أنت جرى عليك هذا المجرى فى أقل من ساعة فكيف من له سنين وأعوام بساق ومن تقبل له شفاعة ثم قال عنتر ياشيخ أبشر بذهاب الفقر وزوج هذا الملك بنتك حتى أنه يغنيك ويرد لهفتك وأنت تصير سيد قومك الكبار منهم والصغار ومن لا يطيعك جعلته رزقا للطير فى القفار فقال الشيخ والله ما كأنى معكم إلا فى منام تحيرت من هذا الكلام وضاق على الأمر وما عندى إلا أن تقبلوها منى هدية بلا مهر ولا يكون بيننا مال ممدود ولا صداق محدود وهذا غاية ما أقدر عليه من بذل المجهود فلما سمعوا منه هذا المقال رق له قلب مالك فى وقال له يا شيخ والله انا ما أخلى العرب على حديثا من أهل النفاق ولا ارضى أن تقول عنى تزوجت بلا مهر ولا صداق

وأبقى معيرة فى سائر الآفاق بل أحمل اليك ما يرضيك ويغنيك وإذا دخلت على ابنتك تنظر ما به أكافيك ثم وضع يده على الزواج وعاد وعاد مالك وهو بلا قلب ولا فؤاد وقد فرح له عنتر بن شداد ولما صار فى أثيابه حدث أخاه قيس بما جرى له فقال له قيس ويحك يا ملك أما كان يغنيك اتصالك باحدى بنات عمك العبسيات الكواعب الاتراب عن الزواج ببعض بنات بنى غراب فقال عنتر لقيس حاشاك يا مولاى أنت يعرك العشاق وتزيدهم نارا واحزنى على أن مالك ماتعدى ولا ظلم ولا فعل إلا ما سبق به القلم فى سائر الأمم ويجب عليك أن تحمل همه وتحمد الرب القديم خالق عيسى وابراهيم حيث لم يوقع قلبه فى عشق بنت ملك الأفاليم فتعبه فى هواه يعانيه لأنك ما كنت إمرأتعبك نيه فقال الملك قيس ياأبا الفوارس أن كان الأمر كما ذكرت فاعمل عرسك وعرسه فى يوم واحد إن اخترت فقال عنتر هذا الأمر لا يتم فيه ولا اقدر اليه اشير لأنه متعلق بعمى مالك بن قراد وأنا أتمنى أن يكون اليوم لى من عبله جملة من الأولاد والصواب أننا ننجز أمر مولاى مالك وتدعنى أن انتظر الفرج من مفتح الأبواب الكريم الوهاب ثم انهم انفصلوا على مثل هذه الأسباب ولما كان عند الصباح أنفذ مالك ابن زهير إلى شيخ بنى غراب الثياب الملونات والإال والجواهر مما عنده من الذخائر وأرسل عشر هوادج من الديباج مطرزة بالذهب الأحمر الوهاج والخيام والأغنام والعبيد والخدام والجمال والمدام وأمر القوم أن يحملوا بذلك الأمر لأجل ما فى قلبه من الغرام وأجل لهم وقتا معلوما وهو سبعة أيام ولما وصلت هذه النعم إلى بنى غراب فرح بها الشيوخ والشباب وقضوا الأوقات بانتهاب اللذات وذبحوا الأغنام لذوى الأفضال وتجمل وكان جماله قد فاق حد الجمال وتقلب فى تقلب فى قالب الكمال وكان وجهه أضوء من الهلال وله قوم أحسن من الغصن إذا مال وعند مسيره سار معه عشرة فوارس وخمسة من أخوته وسار وهم يتمايلون فى حلل الأعجاب حتى وصلوا إلى بنى غراب ونزل مالك فى قبة الزفاف وكانت قد ضربت على نشر عالى على مرج أخضر ونزل قومه وأرباب عشيرته وقام بنو غراب فى خدمته وقد ترجل المشايخ والشباب وعملت الولائم واصطف الطعام من سائر الألوان بين الأكارم وأكلت المشايخ والغلمان وبعد أكل الطعام قدمت انية المدام ودارت عليهم الأقداح وارتفع الصياح بالأفراح وغنت المولدات ورقصت الأماء والبنات ولم يزالوا كذلك ثلاثة أيام متواليات وزفت الجارية على مالك المفضال وداموا على ذلك الحال نام كل من الحى من النساء والرجال وعند الصباح تبدلت أفراح القوم بأتراح ورشقتهم سهام المنايا التى ما تبرأ لها جراح لأن الدهر ما وهب إلا واذهب وما صفا إلا وأتعب ولا عزل إلا وجد ولا أعطى إلا واسترد (قال الراوى) وكان السبب

فى ذلك حذيفة بن بدر الذى وصفنا ما فيه من الغدر وذلك أنه لما قتل بن زهير ولده أباقراقة وقد اتصلح الحال فتلقته أمه بالبكاء والعويل وقالت له وذمة العرب لا كنت لى بعلا ولا اكون لك أهلا وانعزلت عنه وبقيت ملازمة للاحزان وقد دخل عليها فى بعض الأيام فوجدها تبكى وتندب ولدها وتسب بعلها وتنشد وتقول

أيقتل واحد قيسا وترضى ... باغنام ونوق سارحات
وتلبس يا حذيفة ثوب عار ... وذل لا يزال إلى الممات
أما تخشى إذا قال الأعادى ... حذيفة قلب البنات
فدع ما قاله حمل بن بدر ... وكل مقدر لابد يأتى
وخذ ثارى بأطراف العوالى ... وبالبيض الحداد المرهفات
وإلا فدعنى ابكى ليلى نهارى ... وليلى بالدموع الجاريات
لعل منيتى تأتى سريعا ... وترمينى سهام الحادثات
أحب إلى من بعل جبان ... فإن حياته عار الحياة
فوا أسفى على المقتول ظلما ... وقد أضحى طريحا فى الفلاة
يرى طير الأراك ينوح مثل ... على أعلى الغصون المائلات
ففى يوم الرهان لجمعت فيه ... ووجه البدر مسود الجهات
ويا خيل السباق سقيت سما ... على طول السنين القابلات
ولا زالت ظهورك مثقلات ... بأحمال الجبال الراسيات

(قال الراوى) فلما سمع حذيفة من زوجته هذه الأبيات وما ذكرت فيها من الانشاد أسودت فى عينيه الجهات ولما شاعت هذه الأبيات فى العربان تناشدتها الفرسان وسموها مثيرات الاحزان فدخل حذيفة وقال لها يا بنت العم وذمة العرب ما قبلت الفداء من قيس إلا بتدبير شاف لأنه لما رأو المشايخ الكبار قد خرجوا الينا قال لى ولدك مات ومعنى ومن مات لا يرجع فقال سنان الصواب أنك تأخذ من قيس الفداء والمال وتترك عليه وعلى أخوته الأرصاد إلى أن تظفر بواحد منهم وتقتله والحرب بين يديك والأفق هذا الوقت ما تنال مقصودك وهذا الحديث كان بينى وبينه وقد أخفيناه حتى لا يعلم به الربيع ابن زياد ومن حيث وقع الصلح جعلت على بنى عبس الارصاد ولا بد أن أفجعهم برجل يعز على العشيرة كلها ثم لم يزل يترفق بها حتى لانت ورجعت إلى حكمه وما زال على ذلك حتى أتى اليه خبر الأمير مالك أنه قد تزوج فى بنى غراب وقد مضى يزف زوجته عندهم بعد ما أغنام

من الأموال فلما سمع حذيفة ذلك جميع أخوته وهم عرف وحنظلة ولم يعلم أخاه حمل لانه يعلم أنه لا يمكنه من ذلك العمل فاجابه إخوته إن ما أراد وساروا فى الليل وقد أخذوا معهم سبعين فارسا من شدة فرحه ماسأل أن كان عنتر معهم أم لا ولما بعدوا عن الاحياء أخبر سائر الأصحاب بقصته وأنه طالب بنى غراب ليقتل مالك بن زهير فاستصوبوا رأيه وجدوا المسير فصبحوا ابنى غراب أشام صباح فرأوا الدنيا خالية منهم وهم نيام نيام من تعب الافواح وأبصر حذيفة قبة الزفاف فعرف أن مالكا فيها فقصدها واخوته حوله ولما ركضت الخيل أقامت العبيد ووقعت الزعقة فى الفرسان فتنبه عنتر وقام إلى الحصان وركبت الفرسان من بنى غراب وكانوا خمسين فارسا وطلبوا الحرب إلا أن عنتر كان أسبق إلى القتال لانه كان قريبا من التل الذى فيه قبة الزفاف ولما قارب بنى فزارة عرفهم وعرف حذيفة فنادى ياأبا حجار ياغدار يامكار لقد حدثتك نفسك بالمحال وأنا لمثل هذا اليوم كنت فى الانتظار ثم طلب الخيل وزعق عليهم ولعب بالرمح فى جوانبهم والابجر تحته كانه السيلى وهو مستظهر ويجولانه على جولان الخيل ولما رأى حذيفة فعاله خلف أن يخيب آماله فعول أن يغتنم الفرصة ويدخل إلى القبة ويقتل مالك وهو غافل خال من معد والسلاح وإذا بمالك قد خرج ورأى القتال يعمل بين القوم وكان سمع الصياح وهو فى النوم وكان من شدة شدة لذته مدهوش معانق لزوجية وذراع وكل منهما للاخر مفروش كما قال القائل

لم تنظر العينان أحسن منظر	من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا	متوسدين بمعصم وساعد
وإذا تآلفت القلوب على الهوى	فالناس تضر فى حديد بارد
وإذا صفا لك زمانك واحد	نعم الرفيق فعش بذاك الواحد

(قال الراوى) فلما سمع مالك الصياح سل سيفه من تحت رأسه وأراد أن يرى زوجته شجاعته وقام وهو بخلوق العروس ورأى الخيل دائرة بعنتر فاخذته عند ذلك الحمية فاستل الرمح من على باب المضرب بعد ماركب جواده وحمل يطلب حذيفة وأخوته ثم أنه صاح فى الحصان وهو سكران ويديه غير متمكنة فى العنان فكبا به الجواد على يديه ونفضة عن ظهره فوقع على رأسه وأراد القيام فادركه حذيفة بحجرته الغبراء وضربه على هامته فنزل السيف إلى نصف قامته ولمـــا علم أنه أهلكه نادى يالثارات ولدى أبى قراقة ثم فر هاربا وترك عنتر مشتغلا ببنى فزارة وماتبعه إلا من علم بفعاله وأخر الله فيه

أجلة وتفرق الجميع من بين يدى عنتر وقد قتل أصحاب حذيفة الكثير ولم يبق الا اليسير ولما

مقتل مالك ابن الملك زهير



عاد عنتر من الحرب وملاقاة بنى فزارة لقى مالكا وهو على آخر نفس وهو يخبط فى دمه بين يدى الفرس فصاح لما عرفه ورمى نفسه عليهم واطم على رأسه وخرلباسه وصار يحثو التراب على رأسه ولطم كما تلطم الثكلى ثم صاح وا ملكاه واعزاه واسيداه يا بدر الكمال ما أملت فيك هذه الآمال ولا أبقى أنا فى الحياة وتشرب انت كاس الوفاة ثم أخذ رأسه على أحد ركبتيه واجتمعت الفرسان حوله وهو يقبل عارضيه وكاد أن يغشى عليه ونزلت الدموع من عينيه على خده ولما أفاق مالك من غشيته وأراد أن يتكلم فلم يتحرك لسانه ولم يقدر على ذلك فأومأ بأصبعه اليه وطلب منه الوداع وزرحه فى النزاع فاشتدت بعنتر الاوجاع فبينما هم كذلك إذ قد خرجت زوجة مالك وهى متهتكة مكسوفة الذوائب وحولها جماعة من النساء والقرائب يدقون صدورهن ويحثون التراب على رؤسهن وزجته تدق على رأسها وتأكل لحم زندها ولما وصلت إلى مصرع مالك القت روحها عليه وصارت تضمه إلى صدها وتقبل عارضيه وتنشد وتقول

ابكيك لا للنعيم واللبس	بل للمعالى والسيوف والترس
يا ليتنى كنت قبل مصرعه	شربت كأس الحِمام فى نفسى

(قال الراوى) وما فرغت الجارية من شعرها حتى قضى مالك نحبه فعندها لفه عنتر فى أثوابه وعارضه على ظهر جواده وشد بعمامته وأخذه بين يديه وسار طالبا ديار بنى عبس وهو بحالة التعس والنكس بادى البكاء والانتحاب والحزن والاكتئاب وهو ينشد ويقول.

ألا ياغراب البين ذا الطيران أعرنى جناحا قد عدمت بنانى
أحا رأيت اليوم قتـلة مالك ومصرعه أم فى المنـام أتانى
فان كان حقا فالنجوم لفقده تقوره بهوى بعـده العمران
ويظلم ضوء الصبيح حزنا على فتى سخى آل عبس مع بنى غطفان
فلا كنت العبرا ولا كان داحس ولا كان يوم أرسلا برهـان
لقد كان يوما أسود لوجه عابسا يخاف بلاه طارق الحدثان
فو الله لا زالت جفونى قريحة عليه بدمع زائـد الجريان
إلى أن أرى حقا عظام حذيفة مفتتة والموت منه بدانى
لقد هد حيلى فقـده ومصابه وخلى فؤادى زائد الخفقان
به كنت أسطو كلما جرد العدى سيوفهم تحـوى لقطع بنانى
فمن بعده من ذا يكون مساعدا إذا طرقتنى طارفات زمانى
فوا أسق كيف انثنى عن جوارة وما كان سيفى عنـده وسنانى
رماه بسهم الموت رام بجورة فياليته لما رماه رمانى
وحق أياديه التى لو شرحتها لسامعهم منى لـكل لسانى
يمينا به لانمت عن أخـذ ثارة ولابت إلا فوق ظهر حصانى
ولازال سيفى فى فزارة فاصلا إلى أن يعود البر أحمر فانى
بنى بدر لستم أشـد عزيمة إذا ضمنا الميدان اليوم رهان

(قال الراوى) واستمر عنتر سائر إلى الأحياء وما كان سلم من العشيرة إلا ثلاثة ولم يبق من اخوة مالك إلا اثنان وقد أصابهم مثل عنتر وأكثر حتى أشرفا على الهلاك من الندب والبكاء ولما قاربوا الاحياء التقاهم الملك قيس وأما أمه تماضر فانها كانت فى أوائل النساء وهى تدق على صدرها وصياحا يفتت الأكباد وانقعبت بنو عبس من سائر الجنبات وانتهكت البنات المخدرات لأن أخو قيس سبقوا إلى الأحياء وأخبروا بالذى جرى وأراد قيس أن يدفن مالكا فى البر فما مكنته أمه من ذلك بل قالت أنها

لادفنه إلى وقت الصباح وبعد ذلك أسير أنا بروحى أطالب بنى بدر بدم ولدى
وإلا فلا تنطفى نار كبدى فقال لها قيس يا أماه ما تحوجك إلى هذا فإن سيوفنا حداد
ورماحنا مداد ورجالنا شداد وأنا أقسم بمن رزق الذر وأوسع البر لا أقعد عن ثأر
أخى مالك حتى أهلك بنى بدر هذا ما جرى لهؤلاء من الأسى (وأما ما كان) من حذيفة فإنه
وصل إلى بنى فزارة عند المسا وما معه رجاله إلا القليل فإنه من فرحته بقتل مالك تركهم قدام عنتر
ونجا بنفسه ولما وصل إلى الحى التقاه سنان لأنه كان فى انتظاره وهو الذى دبر هذا التدبير
فلما أشرف عليهم حذيفة ركب إليه المخلفون وهم أخوه حمل والربيع بن زياد ولما التقوا
سأله سنان ما فعلت فى الصيد الذى طلعت بخيلك وراه ومالى معكم لا أراه فقال له ما وقع
إلا ما وقع معقوراً فذبحناه فعظم ذلك على الربيع وحرك جوادة من شدة ما دها ليعلم ما هم
عليه ليعرف سر حذيفة ونجواه وعلم أنهم فى أمر ما أطلعوه عليه فقال له يا أبا حجار ما هذه
الأمور والأخبار ألك عنى يا ابن العم سر تخفيه وتخاف منى عليه فقال حذيفة وحق من رفع
السموات العالية ما نخفى عنك يا ابن العم شيئاً بالكلية لأنك عندنا من الرجال المسمية لكن
اعلم يا ابن زياد أننا قتلنا ابن عمكم مالك ومنتظرين باقى أخوته نفعل بهم كذلك فوالله
ما سمع هذا المقال حتى زعق وقال يا للعرب وقع الله الشر والعطب وقال لحذيفة إيش هذه
الفعال يا أبا حجار فبئس هذا التدبير وهدة الأخبار ولا بد لقيس وعنتر أن يبلوكم بالشوم
ويقلعوا أثركم ولو تعلقتم بالنجوم فقال حذيفة للربيع ويلك ويا ولد الزنا إيش هذا الحال
وما الذى حملك على هذا المقال ويلك يا ابن اللئام تواجهنا بذلك وأنت أيضاً فى ضيافتنا والذمام
والله يا ابن ألف قرنان لا كان الشوم إلا حوالك وحول اخوتك اللئام وسوف ترى شوم
هذا الكلام ولولا أكلك طعامنا ومقامك فى خيامنا كنت أبصرت ما يجرى عليك وعلى
أخوتك منا ياويلك عد إلى قومك وكن فى حزن قيس من قومك وإلا التقينا جوابك على
قدر خطابك وحق اللات والعزى إن أقمت فى أرضنا أكثر من اليوم أو غداً لا نتفن سبالك
وأقطعن أوصالك فعاد الربيع وهو موجوع القلب منكسر الخاطر غزير الدمعة وقد أحزانه
قتل مالك وقال هذا جزاء من يلتجىء إلى الغر بالذور حل من وقته وساعته وطلب أرض بنى
عبس فوصل الخبر إلى حذيفة فقال إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم لقد كان قتل الربيع خيراً
من تركه لأنه سار يشد مع أهله وعربه ويساعد علينا فقال رجل منهم يا أبا حجار أنا أعلم أن
الربيع كان اشترى ضروف خمر يشربه فانظر إلى منزله إن كان حمله معه فهو فرحان بقتل مالك
فلا تحمل همه وإن كان مزقها وبددها فيكون صعب عليه ذلك فعندها سار حذيفة إلى المنزله

الذى كان فيه الربيع بن زياد فوجد الأرض مفرقة الدروف ممزقة فعند ذلك ندم حيث تركه يعود سالماً فهذا ما كان لحذيفة (وأما ما كان) من الربيع فانه سار طالباً بنى عبس حتى وصل اليهم قبل طلوع الشمس فوجد الملك قيساً وأخوته وعنتر عند قبر مالك ولما رآهم الربيع مال اليهم وخرق أثوابه وبكاه وانتحابه وأشار يرثى مالك بهذه الأبيات ويقول

يالقوامى من عظم حزنى وما بى ... أصبح الدمع فى الخد سجاما
ومصابا إذا تفكرت فيه ... صار عند الضياء منه ظلاما
ياجفونى إن كنت ما تسعفننى ... صار منى السكرى عليك حراما
لهمام قد كان حصناً لبس ... وشفوقاً على النساء واليتامى
تاج عبس وعزها وعلاها ... وطرازاً لها وقرما هماما
ومليكا يوم الفخار نطمن ... قد حوى العز مجده قد أقاما
عجباً كيف احتوى مثله القبر ... ووراه وهو بدر تماما
يابنى العم ساعدنى بعزم ... أنا عن ثأر مالك لن أناما
برجال من آل عبس كرام ... عم للناس جودهم أنعاما

(قال الراوى) وما فرغ الربيع من شعره حتى أبكى العيون وآثار الشجون ثم أنه نحر على القبر مائة ناقة وحمل وسار إلى الملك قيس وعانقه واعتذر اليه وعزاه ثم أنه مال على عنتر ودموعه سائلة تتحدر ودخل عنتر إلى فريق بنى قراد وأما الملك قيس فانه رجع إلى أبياته تفكر الربيع ومافته وخاف من مكره ودواهيه وأحضر أمه وقال لها أريد أن تسيرى إلى أبيات الربيع وتخفى نفسك بين أعدال الدقيق وتنظرى ما بينه وبين زوجته فقالت السمع والطاعة وسارت من تلك الساعة ودخلت إلى خلف الخيمة التى للربيع حين أتى للمنام وأرادت زوجته أن تدخل معه فى الفراش فالتهت عنها وقال لها قومى عالك فبعد ما نفعل الرجال بالنسا ثم أنه أنشد وجعل يقول

ذهب الرقاد فما يقر قرارى ... دواما من الأمر المهم السارى
من أجله تمسى النساء حواسرا ... بتفجع فى السر والأجهار
من كان مسروراً بقتله مالك ... فليأت حلتنا صباح نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه ... يخمشن أوجههن بالأظفار
عن بعد مقتل مالك ومصابه ... تدع للنساء عواقب الأصهار

ماأن أرى فى قتله لذى النهى ... الألمعى ويودى بالأكوار
وفوارس طلى الحديد عليهم ... فكأنما طلى الحديد بقارى
ونقود كل مقلص من خيلنا ... سلس القياد مضمر كرار
حتى نشن على فزارة وقعة ... شعثا ونسقيهم كؤوس بوار
من كان مسرورا بقتلة مالك ... نسقيه أحد المرهف التيار
وستعلمون إذا التقينا بكرة ... بالمشرفى وبالقنا الخطار
من تلعب الخيل الجياد برأسه ... وبعض من ندم على الأظفار
أظننيوا أنا نخلى مالكا ... كلا ورب البيت والأستار
حتى نبيد بثاره ساداتكم ... حملا وفارسهم أبا حجار

(قال الراوى) فلما سمعت أمه هذا الكلام والشعر والنظام خرجت من بيت الربيع وسارت إلى أن دخلت على ابنها قيس وقد أخبرته وبما سمعت وعاينت بالنظر فقوى قلبه وفرح به ولما كان عند الصباح خرج قيس هو وأخوته ودام الأمر على ذلك ثلاثه أيام وفى اليوم الرابع اجتمعوا للمشوره لهلاك بنى فزارة وطلب قيس عنترا فما لقيه فسأل عنه أعمامه وأما عندنا منه فصعب على قيس غيبته وخاف أن يكون مضى لأجل رجوع بنى زياد لأنه يعلم ما بينهم من الكياد والعناد فبقى كذلك إلى أن ارتفع النهار وإذا بغبار من ناحية بنى فزارة قد ثار فوقع فى بنى عبس الصياح وركبت الفرسان وأشهروا القواضب واستعدوا للقاء المصائب وركب الملك قيس وشجعان قبيلته وبين يديه سائر اخوته إلا أن الخيل ما بعدت عن الخيام حتى انجلى ذلك القتام وظهر من تحته عنتر وأخوة شيبوب وجرير ومعهم فوق ولى الفتعجب الملك قيس وأخوته وتقدموا حتى قاربوا عنتر وسألوه عن الخبر فبكى وتفكر مالك وتحسر وقال يامولاى قد أثرت فى بنى فزارة أشام أثر وأخذت ثار مولاى واليوم أو غدا سيأتون اليك فكن على أهبة القتال حتى تقلع الأعداء من الديار وإلا نيكون لنا فيها قرار فقال يا أبا الفوارس هذا أمر لابد لنا منه وأنت اليوم أين كانت غيبتك وما فعلت وما هذه النوق والجمال والأموال فقال له أما المال فهو مال أخيك الذى كان حمله إلى بنى غراب مهر العروسة وأما القتلى فهو حتى سادات بنى فزارة ومن جملتهم عوف أخو حذيفة لأنى من شدة ما وجدت عندك من الوحشة ما نمت. ولاذقت المنام بل كل ليلة أتفكر وأنتظر منك المسير إلى أخذ الثار ولا أقدر استأذنك من الاحزان إلى أن كان نصف لأجل ما عنده

الليل فغلبني النوم فنمت ولما ثقلت نومي رأيت مولاى مالكا كأنه قدامي يقول يا أبا الفوارس نمت عن أخذ ثاري بوم الأمان ونسيت ما كان بيني وبينك من قديم الزمان لكن من وفى قبلك الخليل تقى أنت لمن هو تحت التراب جديل ثم ودعني ودموعه تسيل وهو يلتفت لى بفؤاد عليل فانتبهت وأنا مثل المجنون المصاب ولمت نفسي على النوم وعاتبتها أشد العتاب وما جرى على أخذت إخوتي قدامي وركبت على ظهر جوادي وقد هانت على المصائب وسرت إلى بني فزارة تحت غسق الظلام وعولت أن ألقى نفسي بين المضارب والخيام واشفي فؤادي منهم بضرب الحسام وكان وصولي اليهم وقت السحر ولما عزمت أن أفعل ما كنت عزمت عليه اركب موكب الخطر سمعت صوت هذه الجمال قد نوت منها فرأيت معها مائة فارس أبطال وهم داثرون بها يمينا وشمالا فزعقت في الرجال وطلبتهم للقتال فانفرد إلى منهم عشرة فرسان عوف أخو حذيفة في أوائلهم وهو يقول أنا عوف أخو حذيفة بن بدر فارس الدهر والعصر فلما سمعت خطابه اشتد بى الفرح من جوابه واستقبلته بطعنة فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره وسابقت بعده الخيل فاسقيتهم ركابها الذل والويل والذين قتلتهم كانوا عشرة أبطال سوى ما جرحته من الرجال ولما مضى الباقون من يدى وهربوا امرت اخوتى فساقوا هذه الغنائم البطاح وما عرفت أنها أموال أخيك إلا عند الصباح وأقول أن حذيفة ما نفذ أخاه إلى بني غراب بعد عودتنا بمولاى مالك وأمرهم أن لسوق أموالهم وبقتل رجالهم لما رآهم اتصلوا ببني عبس وهؤلاء ما فى وجوههم فائدة فلاخرين ديارهم ثم عادوا إلى ديارهم فرحين وبالنصر والظفر متباشرين وكان سبب هذا الاتفاق أن حذيفة بن بدر لما كلم الربيع بن زياد بذلك الكلام وقال له إن قمت عندنا بعد ثلاثة أيام قتلناك وواجهه بذلك الكلام لما رآه صعب عليه قتل مالك بن الملك زهير وما حل به من الضمير ولما رحل الربيع فى الليل وجرى ما جرى ووصل الخبر فندم على فعله وقال كان الصواب قتله وقتل اخوته لأنه على كل حال ركن من اركان بني عبس فلو قتلناه كنا ربحنا وأنا أقول أنه ما مضى إلى أهله لأنه لا يشتهي أن ينظرهم ولا يبصرهم ولا يريد أحد منهم وما هو سائر إلى العراق وقائم عند الملك النعمان فقال له أصحابه وحق الكعبة الحرام يا حذيفة ما نزل إلا وهو يريد أن يشد معهم غاية الشد لأنه صعب عليه مثل مالك وإلا فما كان كلمك بهذا الكلام فقال لهم حذيفة كيف يصعب عليه ولو قدر على شرب دمائهم ما أبقاهم فقال رجل منهم لحذيفة كان ذلك في زمن عيدهم عنتر والآن على كل حال زوج ابنته وملك عشيرته وأن أردت صحة قولنا فابعث عبيدك إلى موضع الربيع واخوته ينظرون ما قد فعل عند رحلته لأنه البارحة كان قد عول أن يصطنع وليمة وقد اشتروا من التجار الخمر فتقدم رجل إلى حذيفة وقال له يا أمير

عبرت على بنى زياد فرأيت الضروف مختلفة على باب خيمة الربيع فان كان عند رحلته قد خرقها فقد صعب عليه قتل مالك وان كان قد حمل الضروف معه فقد فرح بذلك فلما سمع حذيفة ذلك تعجب من حسن خبرتهم بعواقب الامور وأنفذ جماعة من عبيده إلى المنزل فأبصروا الأرض بالخمر مغرقه والضروف مخرقة وأخبره بالخبر فصدق عند ذلك ماجرى من ذلك الأمر وندم على مافعل فى حق الربيع بن زياد ومن شدة غيظه أنفذ أخاه إلى بنى عراب ومعه تمام المائة فارس وقال لهم بادروهم وسرقوا أموالهم واقتلوا من مانع من رجالهم وإن أردتم أن تسبوا نساءهم والاولاد فاجتهدوا فى ذلك واتوا بامرأة مالك حتى أشق بطنها لانى عولت أن أقطع أصولهم وفروعهم ففعل عوف ما أمره أخاه من نهب بنى عراب وأما النساء لم ينل أحداً منها لانهم هربوا إلى رؤوس الجبال والتلال وعاد عوف يطلب أرض بنى فزازه وهو خائف أن يعود ربحه إلى خسارة وكان عوف قد رحل وقت المساء إلى أن يصبح الصباح ومازال سايراً إلى وقت السحر فالتقى بعنتر فأنزل به العبر وقلع منه الأثر وقتل بعض رجاله فهذا ماجرى من أمر هؤلاء . وأما الذين هربوا من الوقعه فانهم وصلوا إلى حذيفة وأخبروه بقتل أخوه عرف فصعب عليه ذلك وجرى عليه مالم يجر على قلب بشر وهم أن يركب هو وقومه ويسيروا إلى قتال بنى عبس فأشار اليه سنان ٠ أبى حارثه أن لايفعل وقال له ياولدى الصواب عندى أنك تتمهل إلى أن تجتمع عساكرنا خلفنا ونكاتب من نعتمد عليه فى محنتنا ونكون فى جمع كثير وإلا قهرونا وكسرونا وخربوا ديارنا وإن وصلتم إلى عساكر النعمان فى هذه الأيام فخذوا أهبتكم للحرب الشديد ولا تنظروا القريب ولا بعد ثم أنهم افترقوا على ذلك التمهيد . وأما ما كان من أمر عنتر بن شداد. فانه فى تلك الليلة ارسلت اليه عبلة مع أمتها خميسة تقول يا أبا الفوارس أعلم أن لى أياماً وليالى وأنا مواظبة على البكا والأنين وقد ضاقت نفسى من ذلك وأشرفت على المهالك وأريد الليلة أن أخرج ألى الغدير ومعى جماعة من بنات عمى حتى تخف عنى الهموم ويفرج كربى وأشجانى وأشتهى منك أن تخرج الى هذا المكان لتحفظنى وترعانى لئلا يتسبب لى بعض الأسباب أو يدهمنى شىء لم يكن فى الحساب لاسيما من بنى فزازة أو بنى زياد أو طائفة من الأعداء أهل الفساد فلما سمع عنتر هذه المقالة فرح بصفاء المحبوب وأجاب بالسمع والطاعة وأخذ أهلته فى تلك الساعة وعادت الامة الى عبلة وأعلمتها باجابته

غطاب قلبها وأمنت على نفسها وأخذت جماعة من بنات عمها ممن كانت تألفهم وكن التى طلعن معها عشر بنات أبكار شبه الأقمار وهى تزرى بضياء القمر وهى طالبة الغدير ونور وجهها يفوق البدر المنير (قال الراوى) وأعجب ما فى هذه السيرة العجيبة أن عمارة ابن زياد الذى ذكرنا أنه يهوى عبلة ويعادى عنتر من أجلها قد اشتدت به الأشواق وقد قتلة الوجد والغرام لأنه أقام فى بنى فزارة شهوراً وأيام وهو يتمناها ولما عاد الربيع إلى بنى عبس وعاد عماره معه وهو يفرق على الاماء التى حول بنى فراد الكساوى ويجتهد فى نظرة إلى عبلة كل الاجتهاد إلى أن كانت تلك الليليه التى خرجت عبلة فيها وأوصت فيها عنتر أن يحميها ويراعيها ووصل الخبر إلى عمارة فكاد عقلة أن يطير من الفرح فصبر إلى أن أظلم الظلام وخرج من الخيام وقد لبس لبس الاماء من النساء حتى لا تنفر منه القلوب ومازال ماشياً حتى وصل الى الغدين فرأى البدور تسحب أذيال الملونات من الحرير وعبلة وسطهم مثل البد المنير وقوامها أحسن من الغصن الميال والشكل يتما يلن على صوت الدفوف والمزاهر المطربات وهن مثل الأقمار كالاغصان المائلات فلما رأى عمارة ذلك أخذة الجنون والوسواس ورجفت منه الاعضاء واشتكب الاضراس فانقض على عبلة انقضاض العقاب أو الاسود الكاسرات وهى نظن أنه من بعض الاماء لأنها رأته بثياب النساء المخدرات ولما أن أحست بثقل قبضته نادت من أنت ياطنجير وما الذى تريد ياقبيح من زير فقال لها أنا عمارة اريد الربح بعد الخسارة لأنى قتيل هواك وعليل جفاك وقد تسببت بهذه الأسباب كى أراك وأنا عمارة بن زياد الذى أهلكتية بالبعاد وأريد أن تصلى معى إلى هذا الشيف حتى أشبع من نظرك وأطيب من تقبيلك اللذيذ العجيب وإلا قتلتك أسأم قتلة وافعل معك أرزل فعلة (قال الراوى) فلما نظرت عبلة ذلك البلاء الذى نزل بها ذاد خوفها ورعبها وحين سمعت من عمارة ذلك المقال صاحت فيه مثل الاسد الريبال وسبته وشكت من جوره وقالت له يا ابن زياد ماتستحى من عنتر بن شداد فخلى عنك وإلا وحق من بسط المهاد ما ترى الذى تريد ولا فى الرقد فدع عنك الطمع وارجع ولا تخاطر براسك تقطع فقال عمارة وحق البيت الحرام يابنت مالك مابقى لك من يدى خلاص لأنى فى حبك هالك ولا أتركك حتى أبلغ منك مرادى وما أتمناه من ذلك وأشفى منك فؤادى بالوصال وتذهب عنى سائر الاوحال ولا يمكن أن يفوز بك هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم الذى كان شيطان جيم (قال الراوى) كان هذا وعنتر بين الروابى يسمع ويرى

ولما أن رأى فعال عمارة نظر إلى ذلك الأمر المنكر وقد كان من حين بعثت عبلة اليه أمنها اعتد بعدة جلادة وخرج إلى كثيب هناك وكمن خلفه وأقام حتى أتت عبلة وقد جرى لها أما جرى مع عمارة وأبصره عنتر ولما سمع عنتر تستغيث وهو لا يفكها من يديه زعق زعقة دوى لها البر وهمهم ولما سمع صياحها دمدم واسودت عينيه الروانى والاكم وخرج من بين الروابى كما تخرج الاسد من الغابات وأقبل إلى أن أتى إلى عمارة وزعق فيه زعقات مزعجات وقبض على مراق بطنه ورفعه على يديه وجلد به الارض فاحدث في ثيابه التى كانت عليه من شده الفزع وقوة الهلع لأن عنتر كان أرهقه واراد قتله ليأخذ سلبه فرآه وسخ نفسه حتى سال الخرا على ساقيه ونزل على قدميه وسار في أسوء أحال وأقبح وبال فضحك عنتر بعد الغضب وقال له لا رعاك الله ما أقبحك وما أقرب خراك يا طنجير العرب ويا أرذل من ضرب في البيداء وتدأ أو مد طنب ٭ هذا يا ساده وعبلة قد رأت ما أصابه فتعجبت لما رأت ذله وما أصابه وعاينت الذى نزل على أفخاذه فقرفت من قبحه وفساده وضحكت عليه كذلك البنات والنسوان وقد داروا حواليه وسدوا أنوفهم وهو فى هذه الفضيحه وقد فاحت عليهم الريحة فوبخوه على فعاله الردية وشوهوا عليه كل بلية وكان عنتر قد عول على قتله لما رأى الذى جرى عليه وابصر الخرا على رجليه نازلا وذلته بين يديه تركه مكبوب على وجهه وقد غشى عليه وغابت الدنيا عن عينيه ثم رجعت النساء إلى المضارب وهن يتضاحكن عليه ويتعجبن من فضائح عمارة الطنجير وبقى على حاله إلى وقت السحر فلما أفاق من غشيته ونظر إلى ما جرى عليه ورأى الخرا جاريا على ساقيه نزل الغدير وخلع ثيابه واغتسل وعاد إلى أبياته بخوف ووجل وعند الصباح غير أثوابه وفزع من أهل الحى وعلم أن النسوان لابد أن يعيدوا لازواجهم عند أقبالهم على البيوت ما جرى عليه فزاد حزنه وبليته فدخل على أخيه الربيع وبكى بين يديه من الذل الذل الذى هو فيه واخبر أخاه بما جرى عليه فاخذه الحنق والغيظ وكاد قلبه أن يذوب فقال الربيع ويلك يا ميشوم الناصية ما الذى أحوجك لذلك الذل هذا الفعل المنكر وحق من رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ما لقده جمد تركتنا مثلا الامثال وماخليت انا رأسا نشال فقال عمارة والله يا ربيع ما بقيت أخرج من المضارب ولا ينظرنى راجلا ولا راكب حتى تأخذ بالثار وتكسف عنى العار لانى وحق الكعبة الغراء تمنيت أن أكون قتيلا على جنب الغدير كلا أرى الخراء على أفخاذى يسيل وعبلة تلعنى هى ومن معها من النساء والكل يضحكن على فضرب السيف كان أهون عندى ولا أراهم يسدون أنوفهن ويبعدون عنى فقال الربيع ويلك يا ابن الام أنت

بجنون هذا الثار الذى تطلبه كيف يكون والرجل ما جرحك حتى أننا نقوم معك ونطلب حماك وإنما أنت الذى تعديت وقد جازاك فاشكر الرب القديم الذى أبقاك وخلاك كان عنتر قتلك وأرداك والصواب أنك تترك هذا الحال وتخفيه وأنا الف مرة قلت لك لا تخلى لنا مع عبلة معاملة فتتعب فقال عمارة واحرباه من قلة الناصر وا أسفاه على رجل ينصرنى على هذا العبد اللعن ثم عاد وهو حيران (قال الراوى) وبعض الجوارى التى كن مع عبلة لما رجعت الى الخيام أشارت تقول هذه الأبيات

عماره دع هوى الجرد الرداح ... ودخ عنك التعرض للملاح
فانك لا تكف يد الأعادى ... ولست بفارس يوم الكفاح
فلا تطمع بعبله أن تراها ... ترى الاهوال من ليث البطاخ
تصيب لمن أتى شوقا اليها ... باجفان سقيمات صحاح
وقد فرغت نفسك فى هواها ... وأمليت النواحى بالنواح
فدع عنك العجاج لها وإلا ... سقيت لأجلها سم القراح
فلا زال اللجاج عليك حتى ... ملأت الى ثيابك بالجلاح
وقد ضحك البنات عليك حقا ... وجيفت التلال مع البطاح
وصرت لكل من يسعى حديثا ... وضحكا فى الغدو وفى الرواح
أتيت لنا باثواب حرير ... مصبغة كطنحير مباح
ولما أن أتيت أتاك ليث ... تخر له الاسود لدى الكفاح
وما أبقى عليك سوى احتقار ... لقدرك إذ رجعت كمنزاح
وسدين الانوف هناك لما ... ضحكنا عليك ضحكا بالمزاح
وعنترة الفوارس ليث غاب ... يصول وفى العطا بحر السماح
وأنت أذل من ركب المطايا ... وأبخل سائر القوم الشحاح
ونحن كاننا زهر زكى ... كانفاس والبنفسج والاقاح
وعبلة بيننا كغصين بان ... علاوة البدر أو شمس الصباح
فمت كمداً وإلا عش ذليلا ... فليس لحد هجرى فيك ماحى

(قال الراوى) وما ارتفع النهار حتى شاع أمره بين الفرسان وعلم كل أحد كان وصار الناس كلهم يضحكون ويتعابدون الحديث بينهم والرجال والنساء يتعجبون من ذلك وعماره يسمع حديثه وانهتاك ستره وهو يخفى أمره خوفا من انحطاط قدره وفى ذلك اليوم



وصل إلى الملك قيس عبد من عبيد أخته المتجردة وأخبره أن الملك النعمان قد أرسل اليكم أخاه الاسود من أرض العراق ومعه عساكر تسد الآفاق وفيهم بنو عامر وملاعب الأسنة وبنو دارم والقيط بن زرارة وهم قادمون عليكم فاحذروا من بني فزارة (قال الراوي) وكان السبب في ذلك رجال خالد بن أبي حارثة لما وصلت إلى الملك النعمان وأخبروه أن بني عبس لم يسلموا الحارث وما سمعوا من رسوله مقال بل قال عنتر وحق من أرسى الجبال لو طلبه كسرى صاحب الإيوان أو قيصر ملك عبدة الصلبان ما سلمت إلى أحد منهم شعرة من الحارث ولا التفت إلى ملكهم ولا بد لي من فعلة أخرى وأقلع آثار العجم ولو كانوا ضعفهم ألف مرة ولا بد أن أذبح العرب ذبح الغنم وأجعلهم بعد الوجود في العدم قال الراوي فلما سمع النعمان هذا الجواب أزداد غيظاً واضطرب غاية الاضطراب والتفت إلى أخيه الاسود وقال له مادامت هذه القبيلة باقية ما يتم لي نظام ولا أمر من الأمور ولا يكون لي عند أحد قدر ولا مقام ثم أنه أخبر أخاه الأسود بما تجدد وأطلعه على ما في قلب بني عبس من المخالفة وأن الحارث بن ظالم عند عنتر بن شـداد وهو طالب الشر والعناد وأنه قد أجار قاتل ولدي شرحبيل وخالد بن جعفر فقال أخوه الأسود

يامولاى هؤلاء القوم قد طمعوا فى دولتك وقلت فى قلوبهم هيبتك والدليل على ذلك أنهم قد أجاروا قاتل ولدك والصواب أن تخلى قلبك من أعدائك المغمورين فى نعماك وأن تجرد معى عساكر من خدمتك حتى انهم يسعفونى على إقامة جاهك وحرمتك وأطلب العرب من سائر الجهات والأقطار وأمحو ديارهم والآثار وأترك الطيور تحوم عليهم والوحوش يجر أجسامهم لأن العرب كلهم أعداهم وما فى البر قبيلة إلا وتمنى فناهم * فلما سمع الملك النعمان ذلك من أخيه خف عنه الهم والغم الذى كان فيه وأخرج معه عشرين الف همام من بنى لخم وجذام وأرسل النجابين إلى حلل العرب يأمرها بطاعته ولما أن تأهب الأسود للمسير صعب ذلك على المتجردة بنت الملك زهير وخافت على بنى عبس من كثرة هذه العساكر وكان النعمان قد هجرها فلم يدخل عليها من وقت ان هربت الحارث بن ظالم ولاجل ذلك ما سألته فى قومها لانها علمت أنه لا يقبل سؤالها لانه ولما صح ذلك عندها أنفذت إلى أخيها قيس عبدها تعلمه أن الأسود أخا النعمان سائرة اليه عشرين الف عنان سوى القبائل التى أنفذ اليها النجابة يأمرهم بطاعة أخيه وقد عين للقوم مكانا يكمنون فيه (قال الراوى) وكان الملك الاسود قد سار وهو قوى القلب ببنى فزارة لأنه يعلم أنهم يشدون معه لأجل ما بينهم وبينه من النسب فسار معتمدا عليهم ولم يعلم بما جرى لهم مع بنى عبس من أجل سباق الخيل والدماء التى ثارت بينهم هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك قيس فانه لما سمع من العبد هذا الخبر جمع فرسان قومه وأحضر الحارث بن ظالم وعنتر بن سداد وجميع مشايخ القبيلة مع الربيع بن زياد وأعلمهم بما جرى من الأحوال واستشارهم فى أمر القتال فقالوا كلهم يا ملك كلنا نسير للقاء الأعداء ولو اشربنا كؤس الردا فقال الحارث بن ظالم أيها الملك أنا آتيكم بقومى بنى مرة وأريكم ما أفعل فى عساكر النعماق فى هذه المرة فقال عنتر يا حارث لا نحوجك لهذا المعنى ولا لهذه العناية لأن فينا لكل من الدنيا كفاية ولا نخشى إلا من بنى فزارة وغدر حذيفة بن بدر أن يأتى بعدنا إلى الديار ويهجم على الأوطان والصواب أننا نبادرهم اليوم قبل أن يبادرونا غدا ولا ترفع السيف عن بنى فزارة حتى نأخذ رهاينهم ويحلف لنا حذيفة أنه لا يكون لنا ولا علينا فقال الملك قيس ما بعد هذا الرأى مقال قال الراوى فوثب عنتر من ساعته وركب على ظهر جواده الابجر وأخذ عدته وآلة حربه رجلاده وصاح الصائح فى بنى عبس وتبادرت الاقيال وما تضاحى النهار حتى صار الكل فى البر خارج البيوت والمضارب بالخيول والجنائب والرماح والقواضب وكانت عدتهم أربعة آلاف ما فيهم من يفزع من الموت ولا يخاف وقد ماجت

الاقطار بالجوع وأشرقت الارض من لمعان الزرد والدروع (قال الراوى) وفى دون ساعة وصل الخبر إلى حذيفة بن بدر فصعب عليه وكبر لديه وصاح فى بنى فزارة وذبيان ومن كان قد اجتمع عنده من الفرسان وظهرت الحقود والأضغان ولبس القوم الحديد وتحصنوا بالزرد العضيد وهاجت عليهم الأرواح وطلبوا الحرب والكفاح وعلا بينهم الصياح وساروا وهم فى عشرة آلاف فارس مثل الأسود العوابس وكان حذيفة فى أوائلهم على حجرته الغبراء وفى كفه قناة لعساء وهو لأجل أخيه عوف فى قلق وفؤاده محترق وصار ينشد ويقول .

بنى بدر ان لم بذلوا فى المعامع ... نفوسكم للمرهفـــات القواطع
رموكم بسهم الذل من كل جانب ... وسرتم حديثا سائرا فى المسامع
أبعد أخى عوف تقر جفاننا ... ويغشى الكرى أجفاننا فى المضاجع
اتقنع من بنى عبس بقتل مالك ... وقد قرحت أجفاننا بالمدامع
همـــو فجعوا قلبى بحبيبنا ... وقتلة عوف من عظيم الفجائع
عدمت الخيول السابقات ولا التوت ... على الرمح فى يوم العجاج أصابعى
إذا ما أخلى أرض عبس خلية ... ولسوانها تسبى بغير براقع

(قال الراوى) ولما أن وقعت العين على العين ارتفع الصياح من الجانبين ومن شدة ما جرى بينهم من الحنق والغيظ ومفاق مافيهم إلا من حمل وزعق وتنافرت الخيل وصلت وبرزت الرجال واتصلت وشرعت فى القتال وتصادمت وشربت الفرسان كؤس الموت تناهلت ودام الضرب وزاد الكرب واختلطت المواكب واختلفت القواضب وعزت المطالب وبل العرق اللحى والشوارب وانكر القرائب القرائب وسكر من كاس الهياج كل شاب وطنب سرادق بغبار على المشارق والمغارب وظهرت من عنتر بن شداد الاهوال والعجائب ونال ماكان له طالب وسطا سطوات جبار لا ينظر فى العواقب ولا يخاف من وقوع المصائب ولا حلول النوائب وطير الرؤس من المناكب ووقعت الشجعان من على ظهور الجنائب وجرى الدم من أنابيب النحور فعند ذلك ثبت الشجاع على ملاقاة المصائب والجبان من الخوف والفزع ولى هارب قال الراوى ومازال الامر كذلك حتى اشتعلت نيران الهياج فى جوانب أطراف العجاج رأسود النهار بعد الضياء والابتهاج حتى صار مثل الليل الداج وسالت الدماء من الاوداج وانشقت الأرض أحسن مرشق الديباج وزاد الكياد والجاج وبطل العتب والاحتجاج وامتلا البر بالويل والانزعاج فياله من

هزيمة بنى فزاره



يوم عبس لعبت فيه حوافر الخيل بالرؤس وقد خيل للقوم انهم فى بحر منحوس وقد كرهت فئة الابطال الدرع والملبوس من شدة نار الحرب والكرب والبؤس وما زال القتال دائم حتى أقبل الليل قادم واسودت الرسوم والمعالم وكات الرجال والبهائم من وقع القنا والصوارم وانفصلت القبائل وقد تخضبت البقاع بالدم السائل ثم نزلوا فى الخيام للمضاجع وكل منهم يعض على أنامله والاصابع وقد امتلات الارض بالقتلى وكان أكثر القتلى من بنى فزارة وقد حلت بهم فى ذلك اليوم الخساره لان عنتر وعروة فتكا فيهم ولولا كثرة العدد ما كان ثبت منهم أحد (قال الراوى) ولم تكن الحارث بن ظالم فى هذه الواقعة حاضر ولا نظرت عيناه إلى تلك الكتائب والعشائر بل أنه قد تخلف فى أبيات بنى عبس آمنا من التعس والنكس لانه كان أتى معهم إلى قتال بنى فزارة لانه كان فيهم كالبطانة على الظهارة لاجل قربه من أنسابهم وحسبه من أحسابهم وكان يدخر نفسه لعساكر الملك النعمان حتى أنه يظهر قوته فيهم لذلك الشأن ألا أن بنى عبس لما نزلوا فى الخيام افتقدوا الفرسان الكرام وحسبوا الذين قتلوا منهم فكانوا اكثر من ثلاثين فارس أبطال ليوث عابس فقال عنتر لعروة بن الورد يا أبا الابيض قتل بنو فزارة منا ثلاثين أجاويد فى يوم واحد وانزلت بهم الشدائد ونحن بين أيديهم نقاتل ونجالد فوحق الكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء لا تركت منهم فارس واحد ولا بد ان أكسر هذه الجاوش ولو كانوا بعدد الرمال فقال له عروة يا أبا الفوارس وقيت شر كل عدو وداحس أعلم يا ابن العم انه إن كان بنو فزارة قد قتلوا

هنا ثلاثين فارسا غضنفر فانا قد ملأنا من قتلاهم البر الاقفر وأقل ماقتل من فرسانهم ألف أو أكثر من كل مذكور مشهور والكل قد أمسوا رزقا للوحوش وفى غداة غد نكسر الباقين ولو كانوا بحبال الشمس متعلقين أو تحت الارض مختبئين ثم أنهم باتوا على مثل ذلك الرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فمنذ ذلك تبادرت الفرسان الى الخيل الجرد القداح فركبوا للحرب والكفاح وفى ساعة لمعت أسنة الرماح وبرقت مضارب البيض الصفاح وقد ترتبوا ميمنة وميسرة وأماما وخلفا وعول عنتر أن يبرز بين الصفين فتقدم شيخ من مشايخ بنى عبس يقال له ارطاة بن مخزوم وقال له ياأبا الفوارس بحياة عينين عبلة ماتردنى خائب عما أنا طالب وتتركنى أفتح باب الحرب فى هؤلاء القوم ولا أترك على عتبا ولا لوم فقال له عنتر وقد استحيا منه لاسيما وقد أقسم عليه بحياة عينين عبلة بنت عمه وهى أعز من روحه التى بين جنبيه دونك وما تريد ياشيخ اوطاة وان عجزت عن عدوك فارمى اليك حتى أنى أعينك على لقاه لأنك قد أقسمت على بقسم عظم وشىء جسيم (قال الراوى) فعند ماقفز ارطأة الى بين الصفين الصفين ونادى يا بنى فزارة دونكم والبراز يارعاة الغنم وأخبث الخدم فما استتم كلامه حتى قفز اليه مالك بن بدر أخو حذيفة وسار معه فى الميدان ونادى عليه وقال له ويلك ياارطأة لقد كثر جهلك ياويلك متى كنا لكم عبيد وكل العرب تعلم أننا مافينا الا من تراه سيد شديد وبطلا صنديد ثم أنه بعد ذلك حمل على ارطأة وصار ينشد يقول .

بنى عبس تعديتم علينا	متى كنا رعاة أو عبيدا
أفق يا ابن اللئام فان هوا	مقال الزور لايرضى شهودا
ولو أنصفت كان العار فيكم	ويغشى جمعكم أبدا جديدا
لكم عبد زنيم غير حر	له سادات كم أضحوا عبيدا
وأنت الآن تعلم صدق قولى	وتكتم عنكموا عارا مديدا
فلو أمعنت ماقد قلت حقا	لكانت عبس لفزارة عبيدا
ولكن أنتموا قوم ثقال	ولم يك عبدكم بطلا شديدا

(قال الراوى) فلما فرغ ما من شعره رما أبداه من نظمن انطبق على ارطأة وطبق كل واحد منهما على صاحبه وجالا مقدار ماخيما عليهما الغبار ووقع التعب فى زنود الشيخ ارطأة وضعف حيلة وقواه فعاد منهزما الى بنى عبس وصاحت خلفه بنو فزارة صيحة الفرح وأبصره عنتر وقد عاد منهزما فزاد به الغيظ والحنق ومن عظم ما جرى عليه قفز إلى الشيخ

أرطاة بن مخزوم وصاح فيه وقال له ويلك ياشيخ السوء أرغم الله أنفك وعجل حتفك لما كنت تعلم من نفسك أنك ضعيف الجنان لم أقسمت بحياة عبلة وخرجت إلى القتال هل رأيت يامدلول السبال عبسيا منهزما من خصمه والله لقد حرمه القبيلة ولولا ما بيني وبينك من النسب لطيرت رأسك بهذا الحسام المشطب ثم عاد إلى الميدان وقد بقيت اعيناه مثل شقيقة الارجوان من شدة ما جرى عليه وكان عليه درع من دروع العجم معلم بالذهب عليه بيضة تلمع مثل الكوكب فدنا من صفوف بنى فزارة ونادى يامالك يا ابن بدر وهو الذى قد خرج إلى الشيخ أرضاه يامالك الفخر كل الفخر ان لاقى خصمه ولم يأسره ولم يقبل له أجرني فاخرج أنت وسائر أخوتك حتى آخذ لصاحبي بالثار وأرديك بالاسمر الخطار يانسل الأشرار وكيف يكون ضرب الصارم البتار الفصال فى ساحة الحرب إذا دام القتال ثم أن عنتر يناديهم فى الميدان وينشد

يابنى بدر بادروا للجـــلاد	واشهروا بيننا السيوف الحداد
قد بغيتم والبغى يقلع منكـــم	كل أتـــر ويتيم الاولادا
واتبعتم حـــذيفـــة وظننتم	أنـه يعرف الهـدى الرشادا
خالف القول ما يقول أخوة	ثم ظنوا الصلح حقا فسادا
خنتو مـــالكـــا وكان كريمـــا	ولطمتم داحسا وكان جـــوادا
أنظر واكيف أهلك البغى فرعون	ومن بعده وكيف أهلك عادا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره بهذا الخطاب لم يرد أحد من القبيلة علية جواب. فحمل عين ميمنه بنى فزارة وعاد وقد قتل سبع فوارس وطعب الميسرة فاهلك سبعة من الأبطال ثم طلب للبراز فما جابه أحد من الفرسان فصال وجال فى الميدان ونادى ما بالكم يابنى بدر انتم وقوف على صهوات الخيل لاتقاتلون ولاتهزءون أظننتم انكم بعد بغيكم على بنى عبس تسلمون دونكم ومقام الافتخار أن كنتم قد أتيتم تطلبون الثار فانا الذى قتلت أخاكم عوف وملأت قلوبكم حزنا وخوف ولا بدان الحكم به عن قريب وأترك أرضكم ودياركم مسكنا للغراب ومسرحا للذئاب فلما سمع حذيفة وأخوته كلام عنتر زاد حنقهم عليه وما فيهم الا من تأهب وعول أن يخرج اليه فسبقهم رجل يقال له الاخطل بن سحاب وكان من فرسان بنى فزارة الانجاب وهو معدود للحرب والقتال لايخطر الموت له على بال طول عمرة يكبس الحلل وينهب الأموال ويهجم على الغابات والدحال ويقبض السباع من الغابات والاشبال وإذا اوما اليه وقف من غير تعب ولاملال وفى يده رمح اسمر به سنان

يلمح مثل الهلال إلا أنه لما قاربه عنتر صاح فيه وقال ياعبد الزنا نحن جئنا نتفرج على القتال وأما قعودنا ما كان إلا لسبب من الأسباب لأنه ما خطر قتالك لأحد منا على بال وحق الكعبة الحرام نحن آ ليفنا على أرواحنا لانقاتل إلا الموالى فلا نقاتل للعبيد ونرجع نجالس السادات ولكن انت ما عليك عتب ولا ملام إلا على بنى عبس اللئام والآن قد فات الحال وما بقى يسمع فى هذا الوقت مقال فدونك وضرب الحسام (قال الراوى) وكان عنتر ذلك اليوم يسمع كلام خصمه ويتبسم وقد علم أن فى قلوب أعدائه من علو منزلته النا ذات الضرم ثم قال الرجل الفزارى وقد تقدم من عنتر ويلك ياعبد الزنا وتربية الخنا ادن إلى القتال ان كان غيك نخوة الرجال فقال عنتر ويلك لمن تعاير بالسواد الظاهر الذى خلقه عالم السرائر فوحق الذى خلق الخلق الأوائل والأواخر يا قرنان أن كل من فى بيتك تشتهى أن تكون منى حامل لأن الحق له علائم ودلائل ثم حمل عليه بعد هذا الخطاب وما زال وافى كر وفر حتى علا عليهما الغبار وصار بينهما ما تعجب منه الأنظار فتطاولت اليهما الأعناق والرقاب ثم أراد عنتر الانجاز وأن يوقع هيبته فى قلوب الرجال عند البراز فتأنى فى روكابه وأدار كعب الرمح وكان قد وقع كلام خصمه فى قلبه وحمل عليه وزعق فيه وطعنه فى صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره والقاه على الثرى فلما وقع على الأرض صاحت بنى عبس لاشلت يداك ثم ان بنى فزارة لما رأوا ذلك أرتعدت قلوبهم من هول تلك الضربة وجال عنتر وصال وطلب البراز والنزال فخرج اليه أخو المقتول وكان فارسا شجاعا وقرنا مناع ولكن أين الثريا من الثرى وأين الثعالب من أسد الشرى (قال الراوى) وكان ذلك الفارس عريضا الاكتاف عديم الانصاف ثم أنه قارب أخاه تذكر الدمام فاجرى دموعه مثل السحاب وحمل على عنتر وصاح وقال لأى شيء آخر الله فى عمرك يا ابن الف قرنان وقد ذلت لك الابطال فى كل ناحية ومكان فوحق مكون الأكوان ما أسفى على قتلك لاخى فى الميدان فان هذا مقام الرجال الكرام وإنما أسفى من قول العربان قتله عبد لاقدر له ولا قيمة ولا ذمام ثم صاح وحمل وطلب عنتر وأراد منه الثأر والقتال فاستقبله عنتر وسل سيفه الظامى وضايقه وضربه على عانقه فاطلع السيف يلمع عن علائقه (قال الراوى) فلما قتله عنتر ووقع قتيلا على الأرض فرارة طولا وعرض ولام بعضهم بعض وصاح حذيفة من شدة الخنق ورمى البيضة من على رأسه وزعق وحمل يطلب عنتر بن شداد فارس بنى عبس وقراد وتبعته أصحابه وعلم أنه قد عظم مصابه وصاح أيضا سنان بن أبى حارثة فحملت سائر

القبائل وصهلت الخيول والصواهل ومالت مثل موجات البحار الزواخر وحملت الأبطال من كل جانب وصاحت من شدة الأحقاد على عنتر بن شداد وهو يرد الفرسان والكتائب ويكركبها عن الخيول والجنائب (قال الراوى) فلما ابصرت طائفة بنى عبس ذلك حملت واقبلت مثل سهام المنايا إذا أرسلت والتفت الأسنة بأنفسها وطلعت الزوابع وارخت سطورها على الأقطار حتى حجبت السموات عن النظار وشابت الشباب وماجت العقول زالت والجبال مادت والدماء سالت والسيوف جارت والأرض مالت والالباب طاشت والنهار غنم والشجاع همهم والبطل تقدم والفؤاد تألم والقلب انخدع والذم همع (قال الراوى) وكانت وقعة ذلك اليوم وقعة مانقاس بوقعة وساعة لاتشبه ساعة من كثرة ماضربت فيها الرقاب من الشيوخ والشباب وقد دام الامر على مثل ذلك الحال حتى تغير النهار وأقبل الظلام فتفرقوا من ضرب الحسام ونزل حذيفة بن بدر هو حائر كيف يعمل ومن شدة ماجرى عليه صار بعض أنامله ويتململ (قال الراوى) ثم انه طلب سنان بن أبى حارثه واستشاره فيما عزم عليه فقال له سبان ياولدى من هذا فزعت عليك وقلت لك لاتسر إلى بنى عبس وعدنان حتى تتنوى بالفرسان أو تصل عساكر النعمان لانى أعلم أنهم لايغلبون إلا بالمكابره والقوه مادام هذا العبدفيهم لانه شيطان وما لأحدعليه سلطان وانه وحق من بسط المهاد وأنبع الماء من الجماد كسر اليوم وحده هذه الامم وان لم يكن له مقام ردة عن شره وإلا أهلكنا والصواب ان نرحل ونخلى هذه المضارب وإذا وصلنا إلا أرضنا حصنا الحريم وندور حول النساء والمال إلى أن تصل عساكر النعمان وسوف يصل اليكم بنى لخم وجذام فما بقى لها أكثر من هذه الايام فقال حذيفه أرحل إلى إسم الهزيمة واترك العرب تقول على هرب حذيفه وبنو فزارة من عبد لاقدرله ولاقيمه وتركت أموالها غنيمة وحق ذمه العرب لافعلت هذه أبدفقال سنان والله ياحذيفة ان لم تفعل هذه الفعال قتل من معك من الرجال والابطال على انى أعلم أنهم يهربوا غد بغير اختيارك ويتركوك تعانى أمورك بنفسك لان اليوم تفرقت الخلق والأصدقاء ولو طال النهار قليلا ما بقى معك أحد من الفرسان ولامن الاقرباء لان طعم الموت مر لايرضاة عبد ولاحر ثم جعل سنان يقول لحذيفة أقم إلى الصباح فاذا اصطفت واشتهرت السيوف أخرج أنت وسائر اخوتك الى الميدان وناديا بنى عبس أعلموا ان القبيلة لها حق لاتضيعه وخير الناس من رأى الحق واتبعه واحتشم لنفسه وتحشم الناس معه وماجرت هذه الامور بيننا إلا من أجل السباق

وهذه الساعة نحن والملك قيس ما بيننا افتراق لاننا جلبنا هذه الفتنة وأوقعنا أنفسنا فى المحنة وقد هلك منا ومنكم وقوم كانوا عندنا فى أعز مكان وما نريد أن النساء يدعون علينا سرا وإعلان بل نصطلى النار التى أوقدناها بأرواحنا ونحشى قلوبنا بصفاحنا وأسنة رماحنا وقد خرجت أنا وسائر اخوتك نطلب براز الملك قيس وأخوته لهادنا أن نكشف عن الفرسان هذه القربة وأننا إذا اتهينا بشفار السيوف انطفات النار وزالت فقال حذيفة وأى فائدة لنا ياسنان ومن يفرق بيننا إذا التحمنا فقال سنان ياحذيفة لنا فى هذه أكثر الفوائد ونخلص من الشدائد ولا يفقد منك شخص واحد لأنى أتقنت التدبير وأطفأت الحرب بالتقصير وذلك أنكم إذا خاصتم فى مقام الحرب وعولتم على الطعن والضرب أخرج أنا وخذ مشايخ القبيلة ولا أزال كذلك حتى أثبت الحيلة وأنا اظهر النصيحة والإشفاق وأصلح بينكم وبينهم حتى يقع الاتفاق وتعود إلى بالعز والاحسان وإلا إذا انهزمت أرضنا يقع بك الخسران وتصير لنا معيرة على طول الزمان فقال حذيفة كيف الرأى ياسنان فى الفرسان الذين قتلوا ولم ناخذ بثارهم فقال سنان ياأمير أناما أرحل من هذه الديار حتى اقلعم من أهل الطغيان ونكون بلغنا بالاحتيال مالا نبلغه بالحرب والقتال فرأى بنى عبس الآثار حذيفة هذا الرأى من الصواب وخاف من الهلاك فقال أفعل ما بدا لك ثم أن سنان بات إلى الصباح مع مشايخ بنى فزارة يحاذر من الكيد فى العبارة وكانت طائفة بنو عبس قد نزلت آخر النهار وهى فرحانة بأخذ الثار وكلها تثنى على عنتر بن شداد وقد أيقنت بالنصر والظفر وبلوغ الآمال وقد نهبت بالسنان والسيوف بنى فزارة وصارت عليهم أشأم خسارة وركبت الطوائف تطلب القتال والحرب والنزال واصطفت الصفوف ميمنة وميسرة فقفز حذيفة على حجرته الغبراء وتبعه سائر أخوته وهم غائصون فى الزرد كثيرون العدد ولما صاروا بين الصفوف وعرفهم أبطال الفريقين نادى حذيفة بما علمه سنان من المحال والبهتان وصاح يابنى عبس أنتم أصحاب النهى والامر ونحن أولاد بدر بن عمرو أهل العلا والفخر ولكن وقدعنا الزمان وغفل وقام وأسعدتكم الليالى والأيام وليس للانسان أن يغتر بدهر لأن العاقل لايفرح بالزمان أن قبل ولا يعتب عليه أن ولى ورحل وقد قتلتم لنا سادات تشهدون لهم بالفضل والمكرمات والامر فهم قد مضى وفات وما نريد أن نترك أصحابنا هدفات اللافات بل نريد أن نحفظ من بقى ونرد عنهم النكبات فاخرجوا لنا أولاد زهير لأنهم غرماؤنا ونحن نطلب فناءهم وهم يطلبون فناءنا نذعرنا نتلاطم نحن وإياهم ونبيع النفوس ونناول من الاسنة مر الكؤس.

وقد بردش نيران الحروب ونامت عن الغالب والمغلوب وهدأت زفرات القلوب وكل من ظفر بخصماه نال قصده ومناه ونفذ إلى الديار واطاعته الأخيار والاشرار ولم يبق له مقاوم وأن لم تفعلوا وحميتم أنفسكم من المهالك فنحن نطلق رؤس خيلنا ونعود إلى ديارنا نحمى من الخلق حريمنا وعيالنا وأولادنا وإن وصلت عساكر الملك النعمان فى هذه الأيام قلنا منكم الأيام وتركنا ديارکم العامرة منكم خوال فالصواب أن تجعلوا هذا اليوم يوم الأنفصال ولا تجعلوا علينا اللوم والمقال ثم أن حذيفة جال وصال هو واخوته وسمع قيس هذا الكلام فخاف على نفسه أن يتوجه عليه الملام ويقول أنه فزع من الحمام وخاف حين عين للقتال فترك وخاف وقعد فى مكانه وأخاه نهشل وكثير وجدل وأمرهم أن يخرجوا إلى الحرب فخرجوا وبادروا إلى الطعن والضرب ولم يلبثوا لما فى قلوبهم من الحمية وكانوا خمسة فى عددهم وقيس على جواده داحس وعليه الدرس وفى يده قناة مستوية هو متقلد بصحيفة هندية وأبصر عنتر هذه الأحكام فاشتد عليه الغيظ وقفز بجواده حتى قارب أولاد الملك زهير قال لقيس يامولاى ماهذا المعال وذمة العرب ماأدعكم تخرجون لهؤلاء الانذال ولاأسمع فى ذلك مقال العذال بل أنوب عنكم وآتيكم بالكل أسارى أن ثبتوا ووقفوا والاخرجت جنوبهم بالطعن أن أنهزموا وانحرفوا فقال قيس ياأباالفوارس مافى قولك خلاف ولكن أناما أحد عن الأنصاف وأخلى العرب يتحدثون فى عرضى بالمذمة ويقولون أولاد الملك زهير قد اكتفوا بعنتر فى كل نائبة وملمة وأريد منك أن تقبل سؤالى فى هذه الكرة وأنولى أناقتالى بنى بدر فى هذه المرة لأنى أعلم انك أن خرجت اليهم لايقتلوك بل يعيبوا نسبك ويشتموك ويحتجبوا عليك بالعبودية ويبعدوا عنك الحرية قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك الكلام تأخر وأضمر فى نفسه أنه إذا أنصر احد من مواليه تقهقر حمل وأفنى بنى بدر وركب مركب الخطر هذا وقد صار قيس واخوته مع حذيفة فى الميدان وحل الضرب والطعان وصاحت الفرسان ومالت المواكب من كل جانب ومكان وتدانت الصفان وكان يوم عظيم الشان إلا أن الضرب والطعن ماانصل بينهم حتى خرجت مشايخ بنى فزارة مشكوفين الرؤس حفاة الأقدام وبين أيديهم شيخهم الكبير المبتل لخدمة الأصنام والكل ينادون واذل بنى فزارة وذبيان واحرباه على بنى عبس وعدنان ياقوم لاتقطعوا الانساب باللجاج والكياد ولاتركبوا طريق البغى والفساد ولاتشمتوا بنا الاعادى والحساد ولاتتعجلوا على قطع أعماركم بالسيوف الحداد فكفاكم عنادى الحمام قد ناداكم وبسهم الشتات قدرماكم ويبقى ذكركم جاريا على السنة البشر بالمذمات

فبادروا أموركم قبل الفوات واغمدوا السيوف المرهفات وأنظروا كم مات قبلكم من السادات وكم خربت البيوت العامرات وكم يحدث من التعب لبنى آدم ويتعرض لكم قوم ممن تقدم ونحن ما نخليكم تصلوا إلى بعضكم البعض حتى تهرق دماؤنا على وجه الأرض ثم أمسك كل واحد منهم بعنان فارس من الفرسان وردوه عن الميدان وغضبوه على ترك العدوان فاستحى الملك قيس وقال يا قوم قصدكم لا أضيعه وقولكم استمعه لكن على شرط أن يحلف لى حذيفة بالرب الكريم رب زمزم والحطيم أنه لا يغدر بنا ولا يعاون أحدا يبغى حربنا وبعد ذلك يعطينا رهائن من فزارة الأجواد ونحن نقيم على العهد والوداد والا فلا نرجع عنهم حتى نفرقهم ونضعفهم لأننا قوم قليلون النصير ولنا أعداء كثيرون وما بقينا نخلى فى جوارنا من يعين الأعداء علينا (قال الراوى) فلما سمعت المشايخ هذا الكلام الصايب علموا أن قيسا خبيرا بالعواقب وأرادوا امتنعوا من ذلك أفنتهم الرماح القواضب فاجابوا إلى ذلك الكلام خوفا من الحسام ورفع سنان إلى حذيفة وقال له يا أمير من الحكمة أن تجيب قيسا إلى ما يريد لأن القتال فى مواضع الغلبة والعجز والذل مواضع كثيرة عن ما قيل فى هذا الرأى حتى نجد للحرب مضربا ونرى للطعن وجها وسببا لأن النعمان لابد أن يقلع من بنى عبس الآثار ويجعلك أنت ملك هذه الديار وترى الأمر كما تحب ثم جمع بينه وبين قيس وحلف بعضهم لبعض وعادت القبائل من تلك الأرض وكان قيس أجاب إلى الصلح خوفا من عاقبة الغدر والحروب ورجع عنتر وما قدر أن يخالف قيس ورجع حذيفة إلى بنى فزارة وأقام حتى الصباح فجمع أولاد الفرسان عشر إلى عشرين عام فكانوا مائة وخمسين غلام وأنفذ الجميع إلى قيس وأخلى لهم مكانا جانب مضارب وأقام عليهم التوكيل وأطلق لهم المراتب وطاب قلبه من هذه الجنائب وفرحت العشيرة بتدبير الملك قيس وقالوا أما بنو بدر فقد أمنا يدبرون من المكر والغدر وما مضى على هذا الحديث أكثر من يومين وفى اليوم الثالث تواترت الأخبار بقرب الملك الاسود من ديارهم وأنه طالب قلع آثارهم وقد حلف أنه يبيع نساءهم وأولادهم فى بلاد اليمن ولا يترك منهم من يأكل الخبز ويشرب اللبن فقال قيس ساءت أفعاله وكذب مقاله وأذل الله سباله والله لا تركته بين هذه الأطناب يطحن الحنطة والشعير ويذوق العذاب ثم أحضر عنتر الحارث بن ظالم والفرسان الذين يعتمد عليهم من العظائم واستشارهم فى هذه الأمور والكبائر وخاف عليهم من العساكر وخشى خراب الديار وقلع الآثار

(قال الراوى) فقال الحارث يا ملك أنتم لاقيتم من أعدائكم من لاقاكم وقد بقيت أنا الآن المطلوب وأريد أن أصطلى بروحى نيران الحروب فقال له لا والله يا حارث بل نصير كلنا يد واحدة وتضرب بالسيف حتى لا يبقى منا نسمة واحدة ثم قال لقيس ما هذا الانتظار سر بنا اليهم حتى نقلع أصولهم فقال قيس يا أبا الفوارس حتى نحترز على الأولاد ولا نترك أحدا يصل اليهم فانى أريد أن أنفذ إلى بنى غطفان فاذا سرنا إلى القتال تركنا لحفظ العيال خوفا من حذيفة بن بدر لكى لا يفعل فيهم ما يختار لاسيم وقد صالحنا فى هذه التوبة من تحت السيف وأعطى الرهائن ولم يقل لنا لا ولا كيف وأنا والله خائف من شره ولجاجه فقال عنتر والله ما كان الرأى عندى إلا قتله فنأمن بذلك غدره فقال قيس لا بد لنا من هذا مرة أخرى ثم أنفذ من يرمه إلى بنى غطفان يأمر فرسانهم بالمسير إلى معونته والمسارعة إلى خدمته لانهم كانوا بطنا من بنى عبس وعدنان كما كان حذيفة امير على بنى ذبيان وانفذ الحرث إلى أخيه فى بنى مرة يأمره أن يلاقيه على أرض الخلجان ويقول له إن بنى عبس شدت معى وعادوا لأجل الملك النعمان هذا وقد أخذت بنو عبس أهبة الحرب واعتدت الطعن والضرب فى تمام الخمسة أيام أن وصلت بنو غطفان وكانوا ثلاثة آلاف بطل وكان المقام عليهم الهطال ابن أخت عنتر فاخذ معه الفا وترك الالفين الآخر وكان سيدهم يقال له بهيج وأوصاه باليقظة والاحتراز وسار طالبا أرض الحجاز وهو فى خمسة آلاف فارس عبسية معتادة خوض الأهوال بكرة وعبسية لا تفزع من المنية ولا تخاف وهم بالدروع الدوارية والرماح الخطية والسيوف الهندية والخيول العربية ومقدمها عنتر وعروة والحارث بن ظالم الذى وصفنا مكره واحتياله وذكرنا قبل هذا الكلام أعماله وشرحنا كيف قتل خالد بن جعفر فى حرم النعمان وقيل ولده على باب الحيرة ولاقى عسكر النعمان وجده كاملا ونجا وعاد سالما بعد أن طلبته سائر القبائل وفى هذه التوبة كان سائرا مع بنى عبس ونفسه تحدثه بلقاء كل من مع الاسود من فرسان العراق وتشتيت شملهم فى الآفاق ولا يحوج بنى عبس أن تقاتل معه ولا تتعب بل يفنى وحده قبائل العرب التى سارت اليهم من كل بر وسبسب قال الراوى هذا ما كان منهم وأما ما كان من أمر الملك الاسود فانه سار من عند أخيه النعمان فى عشرين الف عنان ولما وصلوا إلى وادى الاخدود نزل الاسود فيه بتلك القبائل حتى اجتمع عليه خمسة آلاف مقاتل

تم الجزء الرابع عشر ويليه الجزء الخامس عشر

(الجزء الخامس عشر)

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوي) من فرسان القبائل التي أمرها الملك النعمان بطاعته والمسارعة إلى خدمته وأتاه اللقيط بن فزارة في بني تميم ودارم وملاعب الأسنة في بني عامر الأكارم ثم رحل وقد سار في ثلاثين ألف فارس من فرسان القبائل والحلل تبطل عز شجاعتهم الخيل فساروا يقطعون المنازل ويردون الغدران والمناهل حتى وصلوا إلى أرض الانهار وجبال الديار وقلوبهم تغل على بني عبس بالأحقاد ويتحسرون على هلاك عنتر بن شداد وقد عولوا على النزول فيه وإذا باول الجيش قد اضطرب وماج ووقع به الارتجاج وعاد الجيش بعدما كان متتابع يتفرق في الطرق والمقاطع وتأخرت خيوله وانفرض عرضه وطوله وتصايحت فرسانه وتراعقت شجعانه ونظر الأسود إلى هذه الأحفال فتقدم في جماعة من الرجال وسأل الفرسان الأوائل عن هذا الامر الهايل فقالوا يا ملك قد ظهر علينا أسد طارت العقول من هول صورته والخيل نفرت لما شمت رائحته فقال لهم الملك الأسود يا ويلكم هذه المصيبة أصابتكم من نظر الاسد ثم أنه تقدم وإذا بالاسد قد بسط بين يديه وأنشب في الارض مخلبة وضرب بذنبة جنبيه وكلما يرى الرجال تصيح عليه يطير شرر النار من عينيه وهو سبع أسر دعظيم الرأس كبير الجسد له قوائم مثل العمد وأنياب أحد من النوائب ومخالب قد صقلتها الدواهي والمصايب وعينان كانهما نقرتان في حجر إذا نظر أحرق وإذا زعق أقلق فاندهش الملك الأسود من خلقته وراعة هول صورته وزعق في الرجال فترجلت اليه وصاحت وسلت السيوف حوله وهجمت بالرماح عليه فوثب الاسد وثبة صارت مرجال يصدم بعضها البعض وصارت تتواقع على وجه الأرض والأسد قد كسر بلطمته رماحها وأسال دماءها وأهلك ثلاثة رجال ولما بعدت الرجال صار يخطر بين أيديهم ويجول مثل الفارس في الحرب المهول فحار في قصته وبذل المال لمن يقتل الاسد وقد زاد به الغيظ والحرد وأراد أن يترجل اليه ويخاطر بنفسه بما جرى عليه أد قد برز اليه غلام أمرد صغير كانه القمر المنير وهو يتمايل باعطاف كانها غصن الخلاف ثم انه صار بين يدي الأسد في قميص حرير قصير وشمر عن ساعديه وأدار اذياله حقو به وسل سيفا طويلا عريض له لمعا دن وبيض وهزه حتى دب



الموت من فرنده وجنباته وحام الحمام على حافاته وتخطى طالبا الأسد بقلب أقوى من الحجر الجلد ولما صار زعق فيه فاضطرب وجمع نفسه للوثبه بعزماته وجلب وانحط على الغلام مثل الصاعقة إذا وقعت من السماء أو حجرة المنجنيق الذى لا يرد بعد خروجه من الضيق فابصر الغلا هذا الفعل الوبيل فاستقبل الأسد ومد له بضربة باعة الطويل فوقعت الضربة على جبته وقد أتقنها بقوته فنزل الصيف بين عينية وطلع من بين نخذيه وتركه الغلام وعاد إلى جواده وعدته بعد أن مسح سيفه فى جلدته إلا أنه ما لبس عليه الزرد حتى دارت به عبد الملك الاسود رساقوه إلى ما بين يديه فشكره وأثنى عليه وساله عن عربه ونسبه وأسمه ولقبه فقال له يامولى أنا جراح بن صائل وقومى بنى وائل وما أتيت إلا لخدمتك وما فعلت هذه الأفعال إلا لما سمعت أنك تحب الفرسان والأبطال فاردت أن أريك شجاعتى بين يديك ويوم الحرب ترى ما تقر به عينيك ففرح الاسود بكلامه وزاد فى اكرمة وأمر بالخلع فالقت عليه وقادوا الجنائب بين يديه فتبسم الغلام وخضع قدام الاسود وخدم ثم رد الجائب او الخلع فتوجع قلب الاسود وانصدع وصعب ذلك عليه فقال الغلام لا والله ياملك الزمان ماقل عندى عطاك ولا أنا من يجحد نعماك إلا انى ما فعلت فعلا استحق عليه هذا الجزاء من الخلع والمال وقتل السبع لم يخطر لى على بال ولا اشتهى أن فرسان العرب تقول عنى إذا عادت إلى الأحياء إنى قتلت كلبا من كلب البيداء وأخذت عليه مالا وجزاء ولكن ما أنا أريد منك الخلع الجياد إلا إذا قطعت بين يديك

برأس عنتر بن شداد الذى أنت سائر فى طلبه وقد جمعت هذه العساكر بسببه تريد بها هلاكه وتعجيل عطبه فلما سمع الملك الأسود ذلك أخذه الفرح وانكشف عن قلبه الهم والكرب وقال له وذمة العرب إن أنت وفيت هذه الضمانة جعلتك مقدما على جميع العربان من بنى وائل وقحطان ثم أعطاه سيفه فقبله الغلام وشكره وتقدم من بعده اللقيط بن زرارة وقال أيها الملك هذا الغلام قد ضمن لى قتل عنتر بن شداد وقد أراحنا من ملاقاته بين العباد وأنا أضمن لك قتل قيس وصرعته ومعى سبعة من أخوتى كل واحد يضمن لى قتل واحد من أخوته ثم تقدم ملاعب الأسنة وضمن على نفسه قتل بنى زياد وفرسان بنى قراد وتقدم معه عشرون فارس من بنى عامر وضمنوا على أنفسهم هلاك عشرين فارسا من بنى عبس الاجاود فطاب قلب الملك الأسود وزال عنه الهم والنكد وقال لهم ياسادات العربان وحق مكون الأكوان وحيات أخى الملك النعمان إنى أضمن على روحى ضمان كريم غير خوان أن أعطى لكل من أتانى برأس فارس من فرسانهم خمسماية ناقة حمراء الوبر والألوان سود الحدق بأجسام سمان ثم سار يقطع البرارى والقيعان حتى وصل إلى أرض يقال لها الكلال فوجد خيولا وجنايب ورحالا قد ركبت واستقبلت الغبار فرقا ومواكب وملأت الأرض من المشارق والمغارب (قال الراوى) أما بنى عبس وعدنان فلهم يوم وليلة فى هذا المكان فى انتظار عساكر الملك النعمان لأنهم لما ساروا من أرضهم وأتوا إلى هذا المكان قال لهم قيس إنزلوا بنا هنا على الغدران واقيموا حتى تحضر عساكر الملك النعمان ووصل الملك الأسود وطلع غبار خيله من ساير الأقطار فركبت بنو عبس النجايب وبعدت عن المضارب فانكشف القتام وعرف بعضهم لبعض وانفرشوا فى أقطار الأرض وصاحوا أشد الصياح وأشهروا البيض الصفاح وهزوا قطع الرماح وطلبوا الحرب والكفاح ففرحت عساكر العراق وأطلقت أعنتها واتصل الطعن بين الأبطال بلا مطال وماركبت الجنود حتى أقبل الملك الأسود تحت الرايات والبنود فرأى الحرب قام فصاح فى نقباه وأمرهم أن يردوا الناس عن ضرب الحسام حتى ينزل وتضرب الخيام ويستقر بهم المقام ولا نعمل شيئا حتى تنفذ إلى قيس رسول ونسمع منه ما يقول ففعلت النقباء ذلك وقد صمت الأسماع من شدة الحرب والقراع وكثر فى عين الجبان العدد وهان فى عين الشجاع المدد وما استقر بالملك الأسود النزول حتى أنفذ إلى قيس رسول يقول له أنت تعلم أن أخى النعمان طاعته واجبة على كل إنسان خصوصا ساير العرب والملوك وأصحاب الرتب وأحكامه نافذة على من ضرب فى البيداء طلب إلا أنته

الذى خرجت عن طاعته باجارتك عدوه فان أردت أن تبغى مصاهرته ووده معك ومحبته فسلم اليه الذى قتل ولده واعتذر اليه نادما وأرسل معى الحارث بن ظالم قبل أن تصبح فرسانك ممدة على التراب واعلم أن هذا الجيش الذى معى طليعة العساكر التى خلفى متتابعة فاقبل منى ولا تقطع من أخى قرابتك وسلام النار على من أجاب وتلافى أمره وعرف منزلته وقدره (قال الراوى) ولما وصل الرسول إلى قيس بهذه الرسالة والخبر كان أول من تلقاه عنتر لأنه كان فى مقدمة العساكر فأخذه وسار به الملك قيس وأوقفه قدامه وأعاد اليه كلامه فلما سمع الملك قيس رسالته قال له ياوجه العرب هذا الكلام لوكان عليه معول كنا سمعناه من الرسول الاول لما أتى من عند الملك النعمان وعاد من عندنا بالذل والهوان ونحن قوم إذا قلنا مقالا أتبعناه بالفعال وإذا أعطينا إلى أحد زمام أمن من حوادث الايام ونحن قد أعطينا لهذا الرجل ذمامنا لانه أخذ ثارنا وكشف عنا عارنا وقتل خالد بن جعفر وبذل نفسه فى هوانا ومابقينا ننزل عن ذمامة حتى تطير رؤوسنا قدامه وأما قول الاسود أن العساكر وراءه متتابعة مثل العيون التابعة فهذا لانفزع منه ولابد من إهلاكه وإهلاك كل من معه فارجع اليه ولا تفزع منه ولابد لك من رد الجواب وقل له يترك طمعه ولايتعرض لسوء مصرعه فيندم ويعض على أصبعه وكان عنتر قد عول على ضرب رقبته بعد فراغ رسالته ولكن قيس نهاه عن ذلك فرجع الرسول كالمهبول وهو لا يصدق بالوصول وما أمن على نفسه حتى صار قدام الملك الاسود وأعاد عليه ماتجدد فزاد به الغيظ وقال هؤلاء قوم لا يعرفون قدر نفوسهم حتى يروا بأعينهم الهوان وتسبى بناتهم والنسوان وكان المساء قد أمسى والنهار قد أدبر فصبر حتى أصبح الصباح وضاء بنوره ولاح فركب الملك من باب السرادق ورفعت على رأسه الاعلام والبيارق وسلت حوله السيوف البوارق وصاحت المغارب والمشارق من كثرة الجيوش والخلائق رعول الملك الاسود أن يصف العساكر ميامن ومياسر فلم تمهله فرسان بنى عبس لانها كانت ركبت عند طلوع الشمس وكان فى مقدمتها عنتر ابن شداد والحارث بن ظالم وباقى فرسان بنى عبس المقادم وقال عنتر للحارث وابن أخته المطالل وبنى غطفان خذوا أنتم مياسرهم وأنا آخذ ميامنهم ثم أنه صاح وحمل على ذلك الجيش والجحفل واتبعه مالك بن قراد وعروة بن الورد وأبوه شداد وتراعقت أيضاً فرسان العراق حتى قلب صياحهم الآفاق رحملت من غير مصاف وتساوت العبيد والاشراف وحمل اللقيط بن زرارة وملاعب الاسنة فى بنى عامر وتلاطمت أمواج

العساكر واتصل الأول بالآخر وفتحت أبواب المقابر ونزل عليهم حكم القادر وزاد الغبار من ركض العساكر والحوافر وفى دون ساعة يأتى الرابح من الخاسر وكان قسم الشجاع وافر لأجل معرفته بطعن الأسنة وضرب البواتر ولله درعنتر وبنى عبس الأنوف وما فعلوا بتلك الألوف وما فرقوا من المواكب والصفوف وأما الحارث بن ظالم فكم أهلك بسيفه من سالم لأنه كان كامل القريحة وقد وصفنا مافيه من المكر والشدة ورفعة القدر وكان العينه على النائبات حسامة ذو الحيات فقد به فى ذلك النهار الخصور وأجرى به الدماء من أنابيب النحور وكذلك فعلت فرسان بنى عبس وشجعان بنى غطفان فأبادوا القبائل المجتمعة من العربان ولولا كثرة العدد وزيادة المدد ما كان ثبت منهم أحد لأنه فرق كبير من الذئب والأسد وما تنصف النهار حتى عاد الفرح وجرى الدم وصرح وفاض الجرح ورشح وبان الأمر واتضح والجبان انفضح وتناهلوا من شرب المنايا قدحا بعد قدح وكان الشجاع بها سمح ودام السيف يعمل حتى عاد النهار كأنه قوس قزح كما قال الشاعر وفى هذا المعنى أوضح قوافيها وأصلح

ومعركة بفرسان السباق ... تجول الخيل فيها بانطلاق
ترى الأقران فى الهيجا صرعى ... وترعف بالدما بيض الرقاق
كذلك النبل والنشاب فيه ... يطير إلى الصدور بغير راقى
فكم كيف عد الرمضاء ملق ... وكم قطعت من قدم وساق
وكم رمح له طعن ووخز ... كذا الأقران جالت بالسباق
وللهندى بالهامات ضرب ... كمثل النار تضرم باحتراق
وكم من عاجز ولى وخلى ... لنا الفرسان من خوفى الفراق
وقد طارت طيور السعد عنهم ... وقد وقعوا جميعا فى المحاق
ونادى الموت لا ينجى فرار ... إذا الآجال داناها ساق
وقد صار الأنام بها حيارى ... وقد لفت بها ساق بساق
وساقى الموت أسقاهم كؤوسا ... مراراً ليس شاربها بباقى
فأضحوا من شرابهموا سكارى ... حيارى هالهم هول المحاق

(قال الراوى) وكسر عنتر ميمنة القوم قوة واقتداراً حتى حير بفعاله الأبصار وترك القتلى بعضهم على بعض وملا بجماجمهم جنبات تلك الأرض وعاد هو وأعمامه وقد أورى سنانه وحسامه وكذلك عروة ورجاله فتك فى الأعداء هو وأبطاله وكذلك الحارث بن ظالم أباد

الفرسان والمقادم ولما فرق بين الطائفتين فى الظلام نزلوا كلهم فى المضارب والخيام والملك الأسود أخو النعمان لايلتفت إلى أحد من الإخوان لأنه رأى بعينه من بنى عبس من الهول مايحير العقول ولما نظر الملك الأسود الأمر العسير نزل فى السرادق الكبير وجمع فرسان القبائل ووبخهم على التقصير وقال والله هذا القتال لم نبلغ به غرض لأن بنى عبس فى دون السبعه آلاف ونحن فى ثلاثين الفا وقد رجعوا على أبطالنا وطمعوا فى رجالنا ولاسيما هذا الأسود الذى طغى وتمرد وكسر الميمنة عند آخر النهار وقيل صاحب العلم الكبير وحق النور والنار لولا الظلام أقبل ماكانوا لى فى حساب ولا أقول أن هذه الطائفة اليسيره تلقانى فى الطريق وتخلى خيامنا خاليه من الرجال والفرسان وأما بنو فزارة الذين أتيت متكلا عليهم وعلى معاونتهم فما ظهر لهم خبر ولا بان لهم منهم أحدولاظهر ولاأدرى كيف حالهم مع بنى عبس وعنتر وأقول أنهم ضيعوا قرابتى كما ضيعت بنو عبس قرابة أخى الملك النعمان وأجاروا عدوه ويظهروا عداوتنا وإن ثبتوا بين أيدينا لانبلغ منهم أرب بل ربما خرقوا حرمتنا بين العرب إلا إن كنتم توفوا لى بالضمان الذى ضمنتم وتضعضعوا الاعداء كما ذكرتم فقال اللقيط بن زرارة أيها الملك طيب صدرك فإن الاعداء ليلة غد يبيتون فى أسرك لأن الذين ضمنوا لك أسر الفرسان ما أحد منهم قاتل فى الميدان وقد خبأوا أنفسهم إلى وقت البراز حتى أنهم ينجزوا أمرهم ثم انحاز والصواب أنك عند الصباح تنهى القبايل من القتال ودعنا نخرج إلى البراز والنزال وقد انفصل بيننا الحال بقتال الاسود وعلى هذا أنا معول وأما الفرسان الذين ضمنوا الضمان فأنا رأيتهم كلهم وقوفاً خارج الميدان إلا جراح فارس بنى وائل الذى قتل الأسد أمام كل فارس أنجد وهو الذى وعدنى بقتل عنتر الأسود لأنى رايته آخر النهار وهو يقاتل الحارث بن ظالم حتى دفع شره لولاه كان الحارث كسر الميسرة كما كسر عنتر الميمنة ومع ذلك مارأيته الليلة أتى ولاحضر ولاسمعت له بعد الحرب خبر فياليت شعرى ماالذى جرى عليه وماتم له مع الحارث وماوصل اليه فقال ملاعب الاسنة وحق الله ياما لك مافى هذه القبايل مثله ولامن يفعل فعله وأنا كنت خلفه لما قاتل وأبصرته قتل عسرة كان لهم يصادم حتى وصل إلى الحارث بن ظالم وعند المساء عاد وهو سالم ولكنه حلف أن لا يأكل زاد ولا يقف بين يديك إلا برأس عنتر فتعجب الملك من هذا الكلام وقال وحق النار وما فيها من الاضرام هكذا تكون نفس الشجاع الهمام ولا بد لى أن

أصف الابطال واتركه يخرج إلى القتال لعله يكفينا شر عنتر بن شداد كما ضمن لنا المراد فهذا ماجرى لهؤلاء وأما بنو عبس فانهم لما شاهدوا تلك الامور وأيقن الملك قيس بالفرح والسرور لانهم لما نزلوا افتقدوا قتلاهم وأما قتلى العراق فكانوا ثلاثة آلاف وخمسمائه من العوابس ففرحت بنو عبس غاية الفرح وجمع قيس عشيرته بين يديه وقال لهم يابنى عمى قد حدثنى قلبى أننا نكسر هذا الجبار ونورده موارد تلافه ولو كان فى أضعافه ولكن بعد أن يهلك منا فرسان ما يقع عليهم بيان لاننا طائفة قليلة وكل واحد منكم أحب إلى من قبيلة فقال له عنتر ياملك خل عنك ولا تسأل عنه لاننا اليوم لو لم يكن أول ملتقانا بهم ما جرى هذا المصاب من أصحابنا وفى غدا أعرف انهم يطلبون البراز ويتركوا الحملة لاجل ماقتلنا منهم فقال الحارث بن ظالم ياأبا الفوارس وحق الذى هو بكل شىء عالم ماادعك تفعل شيئا من هذه المعانى لانى يجب على كشف الكروب قال الراوى فقال عنتر هذا أمر لايتم إلا عند الصباح وكل من نودى باسمه اخرج إلى الكفاح ثم انهم أقاموا يحرضون أنفسهم حتى بدت الشمس بالشعاع فركبت العساكر تطلب الحرب والقراع وما انبسطت على الارض حتى نزلت الصفوف وكان أول من خرج يطلب البراز جراح ابين وايل فارس بنى الذى للاسود قتل عنتر ووعده بالنصر والظفر لان الملك أمر النقباء أن ترتب الرجال وأما العشرين فارسا الذين وعده بالقتال والمقال أن يتقدموا للحرب والجال وقدم جراح عليهم فى القتال لاجل القسم الذى أخرج ذلك اليوم على جواد مثل الغمام يصطاد على ظهره النعام متقلدا بسيف مهند وهو الذى قتل به الاسد فى يده رمح مسدد له سنان يتوقد وعليه سدرية زرد مضاعفة العدد كانها عيون الجرد لا يعمل فيها الصوارم ولا تخدشها الهارم ثم أنه جال بين الصفين ولعب برمحه بين العسكرين إلى أن قارب بنى عبس فاوقف الجواد ونادى يابنى عبس يافرسان المنايا لولا ذلك ما كان الملك النعمان الحاكم على العربان له القدرة على ملتقى الاقران وكيف يظهر فيكم مع هذه القلة البغى وقلة المروءة فابرزوا فبرازكم هو غاية المجد الذى لايرام وابرزوا لى فارسكم عنتر بن شداد الذى بنى لكم حصنا رفيع العماد وافتخر على أهل زمانه وساد وما يعيبه فى نسبه إلا الحساد الذين لم يدركوا مكانه وأنا وحق خالق العباد الناس عندى كلهم سواد فى الآباء والأجداد لا أعرف الفعل الجميل إلا لمن يكافح بالسيوف الحداد فابرزوا عنترا إلى حتى

افرجكم عليه ويفرجكم على لأن ضمنت للملك اهلاكه بين الأشهاد ومثلى إذا وعد ولا يخلف الميعاد ثم أنه زاد به العجب والطرب فمال إلى طبيعة العرب وصال وجال وأنشد وقال :

نسب الشجاع مقاله وفعاله ... وثباته يوم الوغى وقتاله
والذل يزرى بالفتى يوم اللقا ... لو أن هاشم عمـــه أو خاله
والصبر فى يوم القتال فضيلة ... تبقى لمن رثت به أحواله
ما كل من سل الحسام بكفه ... وسعى إلى المجد الرفيع يناله
من لم يخض بحر العجاج ويصطلى ... نار الهياج تقطعت أوصاله
فاشفوا غلتلى بالبراز وقدموا ... منى شجاعا قد دنت آجاله
عبد له فى كل أرض وقعة ... مذكورة طول المدى تبقى له
واليوم أمحو اسمه بمهند ... قد فرقت شمل العدا أهواله

(قال الراوى) فما أتم جراح شعره ونظامه حتى قفز اليه عنتر وهو على جواده الابجر وكان الحارث سأله فى الخروج فما مكنه وقال هذا سؤال لا أسمعه منك لامرين الاول أن هذا الغلام قد ضمه الأسود أخذ رأسى والثانى أن كل من ينادوه باسمه يبرز إلى الميدان ثم خرج اليه وأجابه على شعره وأنشد يقول صلوا على الرسول

يا ضامنا قتلى وكان مقاله ... قول التكذوب وغيره أفعاله
فابرز لتلقى غير ما قد قلته ... وترى الذى فينا يصح مقاله
كم رام قتلى فارس يوم اللقا ... فتركته يبكى على ما ناله •
من بعد ما قد جاء يأمل قتلتى ... ضاق الفضا وتقطعت أوصاله
ولكم وقائع خضتها ومحجلى ... دهكت لهامات الملوك فعاله
أنا لا أذوق الموت إلا بعد ما ... أفنى الزمان وتنقضى آجاله
ويصير فعلى شائعا عنى إلى ... يوم الميعاد ولا يكون مثاله
وأنا الذى خضعت له أسد الشرى ... والجن تخشى حربه ونزاله
تلقى الشجاعة والفصاحة والعلى ... عندى وسعدى قد بدأ قباله
أن كنت عبداكم أذل مهندى ... من كل شهم قطعت أوصاله
إن كنت أنت ضمنت قتلى فاوفه ... فالحر يوفى بالذى قد قاله

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من نظمه حمل على خصمه فيروزومن بعده ملاعب الاسنة

واتبعه العشرون فارسا الذين ضمنوا قتل العشرين فارسا من بني عبس لأنهم رأوا أن يغتنموا الفرصة وينتشروا في الميدان وهم كل واحد منهم يطلب خصمه ويوفي بالضمان وإذا بالحارث أطلق العنان وقوم السنان وهز في يمينه حسامه ذا الحيات فطارت منه بروق خاطفة مثل شعاع النيران اللامعات حتى صار عند فرسان بني عامر ونادى بملاعب الأسنة ماهذه الفعال التي مافعلت مثلها الأبطال فارس واحد خرج إلى خصمه كيف تطلبون له الإعانة وتحيدون عن طريق الأمانة فقال ملاعب الأسنة لعن الله بطنا وعاك وديو ثار باك ومن ظهره رماك الله ويا ابن ظالم أن الغدر كله من طباعك ولولا حاجتك إلى بني عبس ما أظهرت شدتك وهم لا يسلمون من دواهيك وغدرك ومساويك إذا انصلح مع الملك النعمان أمرك فانك لم تزل تذكر بالقبائح لأنك قتلت سيدنا خالد بن جعفر وهو نائم وعددتها من بعض المكارم وتجرأت على ولد النعمان وهو طفل صغير لا يعقل حوادث الأيام ولا يهتم بالكلام وعم شؤمك على سائر الأنام وفي الاخر اتكلت على عبد عبس يحميك واحتميت بسيفه من أعاديك ومالك أننا نغدر بعنتر فهذا شيء لا يعرف منا ولا للملك قيس عندنا ذكر يذكر ولا خرجنا إلا لأجل أن نفي بما ضمنا لهذا الملك الأسود ونطلب الثأر والفخار وبين منزلة الفارس الكرار ثم حدثه بحديثه وسمى له الرجال الذين ضمن رؤسهم فتبسم الحارث من كلامه وقال له والله يا غشيم هذا غاية الجهل أو نقص في العقل وتقصير في العمل وهذا كله ما أراك ذكرتني أنت ولا أحد ضمن أخذ رأسي واخماد أنفاسي وقد عرفتم أنني عدوه الأكبر وفي حرم أخيه قتلت سيدكم خالد بن جعفر فكل هذا احتقارا بي وفزعا مني فقال ملاعب الأسنة لا والله ماهذا فزع منك ولكن صحيح ولكن اليوم أريك ما ينسيك فعل القبيح وحق اللات والعزى لأخضبن سيفي من دماكم وأبيد أقصاكم وأدناكم وأتوب عن فرسان بني عبس الذين خرجتم لأخذ رؤسهم وأعدمكم نفوسكم وأبقي عليهم نفوسهم وكان قد اتبعه في تلك الساعة من بني عبس العامرية وامتدت أسنة الرماح السمهرية وأطلع عليهم الغبار من تحت حوافر الخيول العربية فغاب الجميع عن الأعين وتحدث فيهم الألسن وكان عنتر هو وخصمه في كفاح وصدام وصيام ولزوم وانفصال أو اتصال وأدبار وأقبال وأعين الطائفتين إلى الغبار ناظرة والقلوب إلى معرفة الأخبار طائرة والجراح على رؤس الاثنين سائرة والمنايا عليهم غائرة وفرسان المواكب في أمورها حايره وكان القيط قد ضمن للملك الأسود قتل قيس واخوته مع جملة الفرسان فابصر هؤلاء قد سبقوه وخرجوا إلى الميدان فاخروا أمرهم إلى اليوم الثاني

وتقدموا ينظرون ولمن يكون النصر والغلبة ويتفرجون على القتال والعجائب والأهوال حتى يتبين الغابن من المغبون ومن يتجرع كاس المنون ودام الأمر كذلك حتى تقضى أكثر النهار وضجرت الناس من طول الانتظار وبقى الملك الأسود على مقالى النار وإذا بصيحة عنتر من تحت الغبار والجلاد وخصمه إلى جانبه ينقاد وفيه طعنة قد أشرف منها على الحمام ودمه قد خضب جوده وذراعه والطعنة قد وهنت جده وأضلاعه لأن عنتر جال معه حتى اتعبه وطعنه فقلبه وسارقه حتى أتى به إلى أعمامه فسلمه اليهم ورجع يطلب المعمعة وقد خاف على الحارث أن يصاب وما غاب تحت الغبار إلا رمية وعاد معه فارس آخره فرماه إلى بني قراد ورجع يطلب الحرب والجلاد وإذا بشيبوب قد اتبعه ومعه مخلاه جلية فقال له عنتر إلى أين يا شيبوب وما الذى عولت أن تصنع ومن خليت عند الأسارى وقد خرجت تطلب من ليس فيهم مطمع فقال له يا ابن الأم أنا ما خرجت إلا شفقة عليك لأنك كلما أسرت أسيرا تتعب نفسك وجوادك فى الحملة وتقضى النهار فى المجىء والرواح والخلق بين يديك كثير وأخاف أن يأتى المساء وهم باقون وأن أبا خرجت إلى معونتك معى هذه المخلات ملآنة بالقيد المنقوع فاهجم أنت على أعدائك وكلما كسرت أسير القه ورائك وأنا أشده إلى أن تأخذ غيره فتبسم عنتر من كلامه وهقم فنظر الحارث بن ظالم وقد سكر مما صادم وهو مع ملاعب الاسنة فى قتال شديد وحرب عنيد وكذلك باقى الفرسان مع بنى عامر وقتل الحارث منهم المئين وقد جرحوه وهو يدافع عن نفسه ويمانع فلما رأى عنتر ذلك زعق فى وجوه الخيل ففرقها ومزقها وهجم على الذى بين يدى الحارث هجوم الاسد وقبض على خناقه وجذبه فعلقه على زنده ورماه من جواده وشيبوب مافرغ من كتاف الاول حتى رمى عليه فارسا آخر فصاح شيبوب ويلك يا ابن الملعونة واحد واحد تمهل حتى أشدهم كتاف حتى تقضى النهار وهال الغبار وانقضت الاوهام وكان الحارث قد أسر ملاعب الاسنة منه جهدا جهيدا وقتل خمسين فارسا من الرجال الصناديد وأسر عنتر جملة من الفرسان وكان تعسر عليه وعلى شيبوب ثلاثة فقتلوهم وقد أسقوهم الهوان حين وهذا وحين ورجعت الفرسان ورأى الملك الاسود ما أصابه فحمل بنفسه آخر النهار فمنعه بنو لخم من الجمال ورده الاعلام وحملوا يطلبون الصدام وأتبعهم اللقيط بن زرارة فى تميم ودارم فزاد الامر وردت الرجال وانهزمت الابطال فارتجت الارض من ركض الخيول ماعملوا وعلى الحقيقة انقلبت الارض وعلا القتال والغبار وإذ هم بغبار قد ظهر وبان

النظار وبعد ساعة انكشف من قسورة أخي الحارث ومعه مائة فارس من بني مرة فحملوا حتى كشفوا عن فارسهم المضرة فكان وقعة تذكر مدة الأعوام لما كثر فيها من الخصام والضرب بالحسام والطعن بالرمح اللهذام حتى أن الألباب حارت الأوهام والعقول حارت والحياة ولت والزنود كلت والنفوس ملت والرجال هامت والحروب دامت والسماء غابت والجبان انهزم والفؤاد تألم والصارم والرمح تحطم والقرم قد تجزع والفؤاد قد فزع والرأس انقطع والدم قد همع والشجاع قد ضاق فتطاعنوا في الاحداق بأسنة الرماح الدقاق وكان لهم ساعة عجيبة تنفست فيها جنبات الأرض الفسيحة وأصبحت الرجال عليها فضيحة وما أمسى المساء إلا وقد خسرت طائفة النعمان بفقد أبطالها والفرسان وكان عنتر في ذلك اليوم قد تمكن من الشجعان لما عدت منها الأقران وما نزل الملك الأسود إلا والغيظ قد خنقه وتمطى في جلده فكاد أن يمزقه وأيس من الحياة وعلم أنه ما يبلغ من أعداه مقصوده ولا مناه لأن عنتر اهلك فرسانه وجنوده هذا وقد أخذ مع أصحابه في المشورة حتى مضى من الليل أيسره وإذا هو بعبد أسود داخل عليه وسعى حتى صار بين يديه وقبل قدميه فتأمله الملك وإذا به عبد رشيق طويل الساقين دقيق وعليه أهبة السفر وركوب الطريق فقال له من أنت ياوجه حام فقال له يا مولاي أنا من عبيد بني زارة الكرام وسيدي حذيفه الفارس المقدام أنفذ اليك أبشرك بما فعل بأعداك وأسر قلبك ببلوغ مناك لأنه بعد مسير بني عبس من الاحياء أتى وكبسها وبذل السيف في العيال والنساء وقد ساق الكل إلى بين يديك وعند الصباح يقدم بهم عليك وأنه خائف أن يهرب بنو عبس عند وصوله ولا يبلغ كل ما كوله لأنه في عشرة آلاف فارس تعجز ملاقاتها الجن والابالس وهو يقول لك اقسم الليلة قبائل العرب وفرقها حول أعداك في كل طريق ومذهب وكن أنت حول ميمنة خيامهم والمضارب حتى لاينجوا منهم اليوم هارب وتصير لنا معهم وقعة أخرى وأكثر الفضيحة يامولاي نجاة الحارث بن ظالم وعنتر بن شداد وسعيهم في أطراف البلاد والاقطار والوهاد ويكون لنا معهم كل يوم قتال رجلا فقال الملك الأسود وقد قام وقعد من شدة الفرح الذي وجد وقال وحق الكعبة الحرام لقد فرج عنا حذيفة وبنو فزارة هما عظيما ولو أبطأ علينا خبره مدة زائدة كنت محوت أثره لاني ما أتيت من العراق إلى هذه الأرض والافاق إلا متكلا عليه مزدون الرفاق ولما غاب عنا خبره واستعجزته وما أنفذت اليه كنت الليلة إلا على نية الرحيل لكن بعد أن أرسل بني عبس رسولا وأطلب منهم الفرسان الذين أسروهم وارحل من هذه الأرض والقيعان لاني ما رأيت لي فيهم مطمع فلا أريد أن أسمع ما لايسمع

والآن قد أتى الأمر كما أريد وعدنا إلى الربح الجديد بعد الحزن والتنكيد وما بقى إلا امتثال الأمر الذى ذكره حذيفة بن بدر ثم أنه أنفذ إلى القبائل وأمر النقباء أن تفرق الفرسان والجحافل وينفذوها إلى الناحية التى عليها العبد وأحضر اللقيط بن زرارة وأخوته فى الف من الأبطال وجعلهم فى المكان والجبال ولم يزل على هذا الحال حتى فرق العساكر والبشر وما ترك فى الخيام إلا القليل من النفر وبعد ذلك رجع للعبد الذى أتاه بالخبر وقال له أرجع أنت إلى مولاك من غير اطالة واعلمه بهذه الحالة وقل له يسرع المسير وأخبره أننا فعلنا ما به يشير وامتثلنا مشورته والتدبير فعند ذلك سار العبد تحت استار الظلام وغاب فى البرارى والآكام وصار عن يمين عسكر الملك الاسود فى ذلك البر والفدفد وغاب عنهم ثم مال إلى مضارب بنى عبس وعدنان قال الراوى وكان هذا العبد شيبوب وكان السبب فى ذلك أنه لما عادت طائفة بنى عبس من الصدام وعولت على النزول الخيام منعها الملك قيس من ذلك وقال الصواب يا أبا الفوارس أن الخيل التى تحتنا ونركب غيرها ونقتحم قسطلها نهارها وليلها وننقسم ثلاثة أقسام ونكبس الأعداء تحت الظلام استمروا فى الخيام ونصبر على التعب والملال لعلنا أن نفرق هذه القبائل فى البرارى الخوال ونوصى كل فرقة تنادى باسم قبيلهم التى عند حملتها بطائفة تنادى بالذبيان والثانية بالعبس بالعدنان فيكون عروة ابن الورد ورجاله موكبا واحد ويقصدون خيمة الملك الأسود ويحدون بالصارم المهند ويجعلونه قصدهم فإن أسر أو قتل انكسرت العسكر ولا يلحق الأول الآخر فقال عنتر أيها الملك المظفر ما رأيت إلا الرأى المسدد ولكن رجالنا فيهم جماعة مجروحون والخلق الذين بين يديهم كثيرون ونخاف إذا غاصوا وسط العساكر ولكن هذا الرأى يكون بعد أن يمضى يومان حتى نضعفهم فى الميدان على أنى وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما أكثرهم إلا نهارا جهارا وأصحابنا كلهم مسلمون من الأخطار فقال قيس يا أبا الفوارس أنا ما قلت هذا المقال إلا خوفا على الحريم والعيال من غدر بنى فزارة الأنذال وأخاف من حذيفة أن يغتنم الفرصة فيأتى يخلص الرهائن عن يقين ويفعل فعلا نصير عليه نادمين فقال شيبوب يا مولاى إذا كان الأمر كذلك وأنت خائف من هذه المهالك فأنا قد خطر لى خاطر من جهة بنى فزارة أفرق بين هذه القبائل المجتمعة وأبددهم قبل أن تظهر الأنوار اللامعة وبعد ظهور الصباح أترك أخى يقود الأسود برقبته وهو مثخن بالجراح قال الراوى فقال عنتر وكيف أظهر له الذى خطر ببالك فحدثه شيبوب بما دبره هو وقيس على بنى فزارة وسار حتى دخل على الأسود كما ذكرنا وفرق العساكر ورجع وأعلم بنى عبس وقال لأخيه أدرك

الأسود فى مكان كذا فى قليل من الرجال فانى قد جرى لى معه كذا وكذا من المقال ولو لا أجله قد أدركه الحمام ما كان سمع لى كلام وأنه قد أدركه الطمع وإلا ما كان قد أنجدع فقال عنتر والله إن هذا الذى جرى يجب فيه انتهاز الفرصة ونسق أعداء ناغصة وأى غصة ونفرق أصحابنا حول الاماكن التى فيها الأسود ونأخذه برقبته أسير مقيدا ولا نخلى من أصحابه أحد ثم أنه أنفذ الحارث وأخاه قسوره إن بعض الجهات وأعطى عروة بن الورد الف فارس جلاد فى الجانب الآخر من الفلوات وسار هو وأعمامه فى طائفة قوية من بنى عبس أسود الغابات قال الراوى ولما عولوا على المسير قال لاخيه شيبوب سر بين أيدينا حتى يتم هذا التدبير وتكون لنا معينا فقال شيبوب مسيرى بين أيديكم ليس برأى سديد ولا يتم حيلتى إلا إذا كنت انا من ورائكم كفيتم شر أعدائكم ومن رجوع الموكب عليكم والكتائب بنداق فى وجوههم تحت ظلام الغياهب ياويلكم انجوا بانفسكم قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك قال وحياة الحبايب ماهذا إلا رأى صائب كفيت ياشيبوب النوائب ثم أن كلا منهم عول على هذا الأمر الصائب الفعل الذى ينالوا به غاية المطالب وما صار ثلث الليل الأول حتى جردوا الصفاح وهز واقطع الرماح وتهيئوا للحرب والكفاح فهذا ما كان من هؤلاء وما اتفق لهم من المددو أما ما كان الملك الأسود فانه وصل إلى المكان الذى عينه له شيبوب وبه نزل وأمر أصحابه أن يفعلوا مثل ما فعل وترجلوا كلهم قدام خيولهم فاخذ الملك النوم فنام قدام جواده وكذلك أصحابه صاروا يدفعون النوم مدافعه إلى نصف الليل وإذا بالضجة واقفة وأخذتهم الصياحات وعلت حولهم الضجات وعملت السيوف المرهفات فثاروا بلاعقل ولا لب وأرتعدت أجسامهم من الطعن والضرب ومالوا على بعضهم تحت الغسق فوقع الضرب على ما اتفق ولمع صارم الموت وبرق وفاض الدمع واندفق وصاح عنتر وزعق وأخذ الرجال القلق وعاد سواد الليل أبلق وتطابقوا طبقا على طبق قال الراوى وكان الملك وقد ركب على ظهر جواده ودارت به كرب أهواله فصاح فلم يلتفت اليه أحد من أبطاله لان كلا منهم مشغول بنفسه خائف أن يكون فى رمسه وزادت بهم الاتراح وقل النجاح وكثرت الجراح وتغيرت الوجوه الصباح وعادت قباح وانسدت فى وجوههم أبوب النجاح وقرب موت الفجأة وانكر الاخ أخاه من كثرة ما اعتراه هذا والملك الاسود يركض فى اليمين وفى الشمال وأينما مضى يرى العجائب والأهوال وقد حمل من الحزن المقال وحل به الذل والخبال ومازال الأمر كذلك حتى صار

وقت السحر وانشق الفجر وظهر وابصر الجيش قد انكسر وتقهقر فتأسف على الخلاص من كرب المعمعة وتمثلت قدامه صورة عنتر فطلب الحرب واطلق عنان جراده مثل السلهب فوقع بة عروة بن الورد البطل الاغلب فى جماعة من فرسان العرب فرأى جواده بمركب ذهب يلمع فى الظلام الليل ويتلهب فظن أنه من بعض الخواص وقد خرج من الكرب يريد الراحة فى تلك الساعة ويعود إلى الطعن بالاسل والضرب بالسيوف فى القلل فتصايحوا به من كل جانب وداروا حوله من ساير الجهات والقوانب قاربوه فلما رأى تلك المصائب عرفهم بنفسه فعرفوه وطلب منهم الامان فامنوه ومن على ظهر جواده رجلوه وكانوا به جماعة يحفظوه ورجعوا إلى قتال غيره فى تلك الصباح ونهبوا أصحابه بأسنة الرماح وسار الصفاح وما أضاء الفجر ولاح حتى لم يبق من القوم ديار ولا من ينفخ النار ولا من كان كمين الاعداء من جماعة الاسود وقد حل بهم النكد وما سلم منهم أحد إلا من خلص بالليل وطلب الفدفد قال الراوى وكان عنتر بن شداد بعد الحرب والجلاد تلاقى باللقيط بن زراره وقد حلت بة الخسارة وقال من قومه جماعة من الأبطال أو حل بهم الذل والخبال وما انجلى النهار إلا والدنيا خاليه من العساكر الملك النعمان وأبطالهم صارت متفرقة فى القيعان لان الكمين الثانى نادى فيه شيبوب بقتل الاسود فى مقابلة الجروب وكانت رجاله قد ركبت وطلبت الصياح ولكن فى قلوبهم الهيبة العظيمة من بنى عبس الوقاح فما صدقت أن تسمع الصياح حتى طلبت الهزيمة وكانت سلامة نفوسها هى الغنيمة وأما الكمين الثالث فإنه طلع عن عين بنى عبس يريد القتال ولم يعلموا ماجرى وكانوا كلهم أخذوا اهبة المجال ومعهم ابن أخته عنتر الهطال وكان من الفرسان المعروفة بالضرب والطعان وإنما كان خاله عنتر يمنعه من حوض العجاج مع الشجعان خوفا عليه لاجل صغر سنه لانه كان يحبه محبة شديدة لحسن ما كان لامه ولد غيره ذكر فاغتنم الهطال فى تلك الليلة غفلة خاله عنتر وفك الرجال بالصارم الذكر ومازالوا على ذلك الاثر والسيف يعمل حتى طلع الصباح بأمر خالق الصور وأبصرت أبطال العراق مواكبها قد تفرقت وانمحقت وكانوا قد سمعوا باسر الاسود الملك الاجد فطلبوا الفرار عند اقبال النهار وعملت رماح بنى عبس فى ظهورهم حتى غابوا فى القفار وابعدوا عن تلك الديار ومازالوا على ذلك العمل والحرب يعمل حتى غابوا عن أنفسهم ورجعت بنى عبس من ورائهم وأخذت خيامهم ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم ومضاربهم وأموالهم وساق عنتر اللقيط بن زرارة والملك الاسود ومعهم أوفى من خمسين



أسيرهم فسقاهم إلى بين يدى الملك قيس بن زهير (قال الراوى فقال قيس لما رأى الأسارى دعوهم عندى فى الأوطان حتى ينفصل أمرنا مع الملك النعمان فقال الحارث لما سمع هذا المقال ياملك نحن نتولى بأنفسنا الحرب والقتال ونفنى جميع أعدائنا الأنذال ثم أنه أرسل أخاه قسور إلى بنى مرة وقال له سر أنت ومن معك من الرجال والفرسان والأبطال حتى أرسل اليك بعض الرجال وتحمل عن قلب هذا الملك الأهوال ثم أن الناس نزلوا لطلب الراحة وجمع ماتبدل من الأعداء فى تلك الساحة حتى تضاحى النهار فعادوا يطلبون الديار وجدوا فى المسير تلك القفار حتى وصلوا إلى الأحياء (قال الراوى) فلما رأى الملك قيس ذلك حار وأخذه الانبهار وكذلك بنو عبس الاجواد وعنتر بن شداد ثم تقدم الأصحاب المهارى وهم مما أبصروا فوجدوهم وهم ملطخون بالدم قد حل بهم الويل والعمى فقال لهم قيس من دهاكم ومن بشره رماكم ومالى أرى الدم على نحوركم وفوق أكتافكم وصدوركم فقالوا ياملك كل ما نحن فيه من الذل والخسار من حذيفة وبنى فزارة لانه بعد مسيركم بخمسة أيام أتى الينا بخمسة آلاف فارس همام وعادوا من حول مضاربنا والخيام ووضعوا الحسام فى المشايخ والغلمان وبنى القتال يعمل بيننا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع انهزمت بنو غطفان الذين تركتهم لحفظ الاورود والنسوان وبعد ذلك تحكم حذيفة فى الحلة وخلص الرهان من أولاد

الفرسان ثم أنه بعد ذلك قلع الحلة بما فيها من الأموال والعيال وأخذ بعدة من الأطفال ما فيهم من يعقل معنى مقال وقد ذبح الكل وجعلهم هدفا للنبال وصار يعدهم واحد بعد واحد (قال الراوى) فلما سمعت بنو عبس هذا المقال ضجوا بالبكاء والأعوال ونزل بهم الذل والخبال وصار كل من له ولد ينادى لبيك ياولدى لبيك يامقطع كبدى ليت السهم الذى أصابك أصابنى ولا أذاقنى الدهر فقدك وكان قد قتل للملك قيس ولد من جملة الأطفال كأنه الهلال فجرى على قلبه مالم يجر على قلب بشر وانهمل دمعه وانحدر (قال الراوى) فلما رأى هذه الميرزاد تعجبه من بنى فزارة وتفكر ثم قبل على الملك قيس وقال أيها الملك ماهذا البكاء والأعوال الذى لا يصلح الرجال فوق من أرسى الجبال وأنا الهلال وأرل الغيث تكرما منه والأفضال لا قتل عوض الأطفال إلا سادات بنى فزارة والأبطال من بنا حتى تنظر ما يكون الحال فقال قيس وبقية الرجال لا نسير حتى نمضى ياأبو الفوارس إلى ديار والأطلال فقال عنتر وما تصنع الرجال فى الأطلال وقد انتهب المال والعيال والله ما نسير من هنا إلا لبنى فزارة ولو أتيهم بعد الرمل والحجارة وأن كنتم لا توافقونى وتسيروا معى وإلا سرت وحدى وأترك إلى ولهم حديثا يذكر من بعدى لأن فى قصدى أن أدع النساء اللاتى قد قتل أولادهن أن تذبح أبطال بنى فزارة بأيديهن حتى تشفى قلوبهن وأقتل أنا حذيفة مع أخوته عوضا عن الملك قيس ورفقته ثم نادى فى الأبطال يا بنى عمى ما مضى لا يرجع والبكاء على الغائب لا ينفع الذى فى رأسه نخوة الرجال لا يخطر له الموت على بال لأن البكاء لا ينفع إلا للنساء ربات الحجال وأن الكهول والأطفال تتساوون فى الارزاق والآجال قال الراوى فلما سمع بنو عبس هذا المقال أجابت اليه جميع الأبطال ثم ساروا فى ساعة الحال طالبين بنى فزارة الأنذال وسار الملك قيس وعنتر إلى جانبه هذا وقيس قد تذكر ولده وراحه فأشار ينشد ويقول

تأهب عنه أهبة ذى امتناع	لأن الدهر جل عن الصلاح
وقتلتموا الصغار فذاك عار	عليكم منه ليس بذى براح
حذيفة لاسقيت من الغوادى	ولا أروتك هاطلة البطاح
لأنك قد جلبت عليك حربا	يقصى الشيخ بالماء القراح
وها أنا قد ركبت على جواد	يفوق البرق سبقا مع رياح
محجل أدهم رحب المحيا	كأن جبينه ضوء الصباح
لعمرى لا أبال حين جاءت	على الخيل بالغدر المباح
وخلفى سادات من آل عبس	تهز أكفها سمر الرماح

بها ليل غطارفه كرام ببذل النفس فى يوم الكفاح
فسيروا وامهلوا من آل بدر دهاهم بالمهند الصفاح

(قال الراوى) ثم ان الملك سلم الأسارى للحارث بن ظالم وأضاف اليه مائة فارس من بنى عبس الأشاوس ثم قال له يا حارث هؤلاء أعدائك الذين أتوا ايطالبونك فاكسرهم إلى الديار حتى نسير لأخذ الثأر لأنك مقاتل بنى فزارة على هذا السبب لأجل ما بينك وبينهم من النسب على أن حذيفة ذهبت مروءته لأنه حلف وغدر فى أيمان وعهد وخان وما بقى بك يعتدوا الأماكن عن نصرتك قعد وكان أصلح توبتك مع الملك الأسود ولكنه من تحيره ما رفع لك أس ولا عدك بناس بين ناس فلما سمع الحارث كلام الملك قيس قال أيها الملك العالى القدر القاتل لمن تشاء من أهل البغى والغدر إن بنى بدر سادات قومى على وجه البطاح فلا أجرد فى وجوههم سلاح وأترك العار يركبنى فى المساء والصباح فقال الملك قيس والله لقد سيدت ومجدت من ليس من أهل التمجيد وليس له غير رمى الرقبة وقطع الأمر من قريب وبعيد ثم أنه بعد ذلك سلمه الأسارى وسار واطالبين بنى فزارة قال الراوى وكان السبب فى عدر بنى فزارة قتل الأولاد ان سنان مشايخ فزارة قد أصلحوا بين الملك قيس وبين حذيفة وقد ارادفى ذلك اقامة الهينة ويكون عليهم اسم الهزيمة والزموا حذيفة ان يعطى الرهائن فاعطاه وحلفه ان لا يعين عليه اعداءه فلما انفصل الأمر على هذا الحال الذى تجدد توجهت بنو عبس إلى قتال الملك الأسود وكان الغيظ فى قلب حذيفة فارسل المال والهدايا إلى فرسان العرب حتى يستخدمهم ويلحق بنى عبس ويقتل أبطالهم ويرجع ينهب اموالهم لكن ما امهلته زوجته بل صارت تندب الليل والنهار والعشاء ووقت الأسحار (قال الراوى) وبلغنى انها المرأت زوجها أعطى التهاون خرجت عليه وهو جالس بين الإمارة وسادات بنى فزارة وهى مكشوفة الرأس مسفرة اللثام وقد هتكت ستر الإحتشام قالت ويلك يا حذيفة أريدك تحملنى إلى أهلى وعشيرتى وترسلنى إلى قبيلتى فانا ما بقيت أريد بعلا حياتى الفرسان ولا رجلا ذليلا مهان ثم انها أشارت اليه تقول

لحاك الله من رجل جبان ولا أسقيك غاديه نداها
ولا جاد السحاب بأرض قوم تحل بها ولا احضر رباها
ولولا العار ما امست جفونى مقرحة النواظر من بكاها
لجمنى قيس عبس فى غلام إذا وزنت به عبس وفاها
واهلك بعده سادات بدر واروى السمهرية من دماها

بكائى لم يزل أبدا طويلا ... وحزنى وكتابى قد تناهى
فكم من حرة فى الحى مثلى ... تبيت حزينة تشكو جواها
فثوروا واطلبوا أرض الأعادى ... بلا خوف فقد جلت دماها
ولا تبقوا لهم فى الحى حيا ... ولا يفشيكمو عنها نداها
إذا أنهلت بنو عبس دماكم ... فسوقوا طعنها وأسبوا نساها
لأن دماكم أعلى محـلا ... وأعظم قيمة لمن اشتراها
أنسيتم بنى بدر بن عمرو ... شجاعا كان أعلى الناس جاها
فكونوا مثـل أباه تولت ... وأجداد مضت وبقى ثناها

(قال الراوى) وكانت هذه الأبيات تسميها العرب للاحزان مثيرات ومازالت تهمل عبراتها وتشغل زفراتها حتى ثارت من الرجال سادتها وعصفت فى رؤسها نخواتها وركبت على ظهور صافناتها وتذكرت قتلاها وأمواتها وما طلع حذيفة فى الاطلال حتى تبعه خمسة آلاف من الأبطال من سفهاء بنى فزارة الجبال وقد ساروا معه طمعا فى نهب الاموال هذا والمشايخ ينهوهم عن البغى ونقض الايمان ويقولون لا يدخل فى آذانكم كلام النسوان وحصيصه شيخهم المتولى على أصنامهم ينهاهم عن ذلك ويعذلهم فعند ذلك التفت اليه سنان وقال له ما بقيت تنفع هذا الايمان وقول الهذن وهؤلاء القوم قد لاح لهم فى أعداهم الطمع وأخذ ثارهم وترك ديارهم بلقع أى شىء يكون الخوف من الايمان والفزع ثم ان سنان حسن لحذيفة البغى والمصاب حتى أحاط بهم بنو عبس من كل جانب (قال الراوى) فلما نظرت بنو غطفان إلى كثرة العدد أسرعوا إلى لبس الدرع والزرد وكانوا الف فارس مثل الأسد العوابس والسباع والهداره فحملوا وغاصوا فى بنى فزارة وعمل بينهم الحسام وقل الكلام وطال الحرب ودام إلا أن أقبل الظلام وخفيت مواقع الاقدام فاضرموا النيران وتحارب الفريقان إلى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فتبادر إلى الحرب والكفاح وحضر الجد وذهب المزاح واشتهرت الصفاح إلى قبض الارواح واستمر الحرب إلى آخر النهار وقل من بنى غطفان الاصطبار وكثر عليهم العدد وتزايد المدد وقاتلت معهم العبيد والاماء حتى قل منهم القوى والحيل فما صدقوا بقدوم الليل حتى نزلوا فى المضارب وقد سكنت منهم العروق الضوارب وما منهم إلا طريح جريح وآخر على نفسه يصيح وهم تحت مشيئة الرحمن إلى أن طلع الصباح وبان قال الراوى فعند ذلك ثاروا يطلبون القتال وقد زادت عليهم الاهوال وكان ذلك اليوم الثالث فحل بهم كل أمر حادث وبان فى بنى غطفان النقصان فعند ذلك طلبوا ديارهم والاوطان وعملت فى أقفيتهم الاشطان

وتشتتوا فى البرارى والقيعان وما رجعت بنو فزارة حتى أنزلت بهم الذل والخسارة وعادوا عند غروب الشمس فلما أصبح الصباح فى اليوم الرابع تحكم حذيفة فى المال والعيال وخلص الرهائن والأطفال وقلعوا المضارب وسبوا النساء والبنات وكان فى الجملة أم الملك وزوجته ونساء عمومته ونساء إخوته وجدوا بهم المسير فى تلك الحرارة حتى أشرفوا على بنى فزارة فخرجت زوجة حذيفة ومعها نساء الحلة وجعلن بهنين الرجال بالسلامة وزوجة حذيفة تضرب وجوه النساء المسبيات. هذا وقد أقبل حذيفة على الرجال وقد ضم الغنائم والأموال وقال يا بنى عمى ما نفرط فى شىء من هذه الغنائم حتى نبصر من يكون من بنى عبس سالم وبعد ذلك نقسم الذخائر لكل غائب وحاضر فبينما هم على ذلك القول وتلك الفعال وإذا بغبار قد ثار وعلا فى الجو وتفرق وضربته الرياح فتمزق وانكشف عن سيوف تلمع وأسنة رماح تشعشع وفرسان على خيول مثل البرق إذا لمع وفى أوائلهم فارس لجواده يدفع وهو قدامهم كأنه الأسد الأروع وكأنه طود من الاطواد والقوم يقولون يا العبس الأجواد وللفارس الذى فى أوائلهم هو عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما نظرهم أمهات الاولاد الذى قتلهم حذيفة وقد عرفوا أزواجهم وبنى عمهم فزعقوا صوتا واحدا وصاح الصياح متزايد قالوا هيا يا بنى عمنا اكشفوا عنا الشدايد فلما نظر بنو فزارة إلى هذه الأحوال حل بهم الانذهال وفزعوا وتخيلوا افزعق فيهم حذيفة ياويلكم ماهذه الخيفة فعند ذلك حملوا وقصدوا بنى عبس فارتجف الأرض وتزلزلت وحكمت المشرفيات فى الرقاب وفصلت ومدت الايادى فى طلب الآمال فما وصلت ونزلت على بنى فزارة المصايب وتزلزلت وأحكمت المشرفيات فى الرقاب المصايب ونزلت ونفرت الفرسان من هول المعمعة وهرولت وشقت قلوب السادات وتفجرت وقاتل الملك قيس قتال الأبطال وطعن طعن من حرق قلبه فقد فقد المال والعيال ونادى يا بن عمى من قدر منكم على أسير لا يقتله بل يسلمه إلى ويأخذ سلبه لعلى أسير به إلى أمهات الأطفال وكان الملك قيس لم يقل هذا المقال إلا لما رأى عنتر قد أشرف فى قتل الابطال وبعد ذلك أسر جماعة من الرجال وأنه قد دمر بنى فزارة فى ذلك اليوم المذكور بين العباد وقتل من أبطالهم سبعة وسبعين فارسا أجواد وكان أخوه شيبوب من حوله مثل الشرارة فتارة يعينه فى القتال وتارة يرمى بالنبال ولم يزالوا على مثل ذلك الحال إلى أن أقبلها النهار بالارتحال وأقبل الظلام بالانسدال وقد نظر بنو فزارة قتالا لا تحيط به الاوهام وفاتوا الغنايم وكل واحد ما صدق

بأن يعود سالم هذا وبنو عبس نالت منها مناها وخلصت أولادها ونساها وماعادت إلا ومعها من بنى فزارة خمسماية أسير ما منهم إلا مقدم وأمير فقال الملك قيس شدوهم فى الحبال فأنا عولت أن أضرب رقاب الجميع بلا مطال فقال عنتر إن كنت عولت على هذا الحال . فسلم كل واحد إلى واحدة من أمهات الأطفال الذين قتلهم حذيفة بالنبال حتى يجدوا فى عذابهم طول الليل وإذا أصبح الصباح تقود كل واحدة أسيرها إلى بين الصفين وتضرب رقبته بين الفريقين وتوقع بهم الذل والخسارة وتحذف رأسه إلى فزارة فلما سمع قيس من عنتر هذا الخطاب أنه على صواب أجابة إلى هذا المقال وسلم منهم أربعمائة إلى أمهات الأطفال بعدما اختار منهم مائه فارس من أبطالهم يقتلهم عوضا عن ولده ويطفىء نار كبده . فهذا ما كان من أمر بنى عبس وأما بنى فزارة فانهم عادوا عن القتال وعرفوا قدر الغدر والمحال ونزل حذيفة وقد حلت بهم الخيبة وهو يقول لأخوته والله ما فى قلبى شىء من الدنيا إلا أن أبلغ مثل ما بلغت بنو عبس منا وأنظر عنترا وهو مطروح جسدا بلا روح ولكن فى غداة غد أبرز إلى المحال لعلى ازيل من قلبى هذه الأغلام ثم أنه بكى من شدة الغبينة وخاف من الغلبة والهزيمة (قال الراوى) فلما نظر سنان إلى بكاه وانتحابه قال له ويلك أيها الأمير ماهذا البكاء الذى لا يصلح إلا للنساء تبكى وحولك وهؤلاء الرجال الأمراء وبعد أيام قلايل يقدم إليك عساكر النعمان وتهلكهم لو أنهم بعدد رمل القيعال لأنهم ماقاتلوا اليوم هذا القتال إلا لأجل ماقلتم منهم من الأطفال وكيف سبيتم حريمهم والعيال فلأجل ذلك فعلوا هذه الفعال وهكذا الدهر لا يبقى على حال يوم لك يوم عليك مادامت الأيام والليالى (قال الراوى) فلما سمع حذيفة من سنان هذا المقال قال له والله إنى أقول أنهم فى غداة غد يسلمون من ضرب الرقال والقيعان ومع هذا كله فقد اشتهيت أن أعلم ماجرى لهم مع جيش النعمان والملك الأسود من الأمور ثم أنه أحضر واحدا من الاسارى الذين هم من بنى عبس وسأله عما جرى له مع الملك النعمان وما تحدد فأخبره بكسر العسكر وأسر الأسود أخذوا من فرسان العرب الشداد على يد عنتر بن شداد . فلما سمع حذيفة هذا المقال أخذه الإنذهال لما سمع الأسود اللقيط وبقية الامراء وقال للاسير الساعة الأسود والأمراء عندكم أسرى فقال العبسى نعم وكذا الأربعون فارسا عندنا فى القيود والأغلال فلما سمع هذه الأشارة قال وأذل بنى فزارة فقال له أخوه حمل ويلك يا أبا حجاركم تأسف على الحياة وتخاف من الوفاه بعد ذلك

فنحن اكثر من أعدائنا والنجدة واصلة الينا من كل فج وطريق وأما أعداونا فما لهم منجد صديق ونحن إذا أيقن الواحد ما يدنو أجله يهجم على خصمه ويقتله وإذا متنا فى حرمة المجال انقضت جميع الأشغال وما زالوا على مثل هذا الحال حتى نادى منادى الليل بالارتحال وركبوا وتبادروا للمجال فى طلب الحرب والقتال واصطفت الفرسان يمينا وشمالا وعلا الصياح وانعقد ولمع الحديد والزرد وركب قيس من تحت الاعلام ودارت حوله رجاله وبنو الأعمام وبعد ذلك نادى يا أمهات الأطفال وسلم لكل واحدة واحدا من الرجال فأخذت كل واحدة خصمها وهى قابضة على لحيته حتى أتوا إلى وسط الميدان والمجال فأمر بضرب رقاب الرجال لاجل أخذ ثأر الاطفال (قال الراوى) فعند ذلك قتلت كل واحدة خصمها وأعلنها بعلها وكان حذيفة فى ذلك الوقت يعدل المواكب ويرتب الكتائب فأقبلت من كل جانب وهى منهتكات الترائب ناشرات الذوايب فلما نظرت بنو فزارة إلى هذه الكتائب جرد القواضب وحملوا على بنى عبس مثل السلاهب فتقلتها بنو عبس الاطايب وهتكت ودايع الصدور بأن صبر الصبور وعمل الفارس الغيور وجرت الدماء من النحور ونادى المنادى بهلاك النفوس وعمل السيف والرمح والدبوس وطلع الغبار وتعلقت الأخيار بالاشرار وضرب رأس العزيز فطار وهطلت الدماء مثل الامطار وكان القوم يوم تحتار فيه الافكار وكثر ضرب الصفاح والطعن بالرماح وتساوى عندهم المساء والصباح سمحوا بالارواح بعدما كانوا بها شحاح وحضر الجد وذهب المزاح (قال الراوى) هذا حذيفة لنفسه يذل وهان عليه الموت والعلل وأما بنو عبس فانها اختارت الموت على الحرب وفعلت فرسان العرب أعداءها العطب والبلاء والحرب وكتبت فى قرابيص سروجها رؤوسها ووطنت على الموت نفوسها وعملت السيوف فى الاقحاف وحل التلاف والموت جزاف وقطعت الارجل والايدى من خلاف وكان لهم يوم يذكر مادامت الشمس والقمر وقد ذكرته شعراء العربان ألهم عليه الامير أوس ابن مسعود الفزارى حيث قال هذه الابيات

بلوت الدهر مخبرة وعلما ... وجربت الرزايا طول عمرى
ولا أبصرت يوما فى زمانى ... ولا خبرت عن زيد وعمرو
أسد رزئة من آل عبس ... وقد حملت على أولاد بدر
يقاسو الحرب فى يوم طويل ... يعد من الزمان بألف شهر

رأيت لهم غماما من غبار ... وبرقا من ضيا بيض وسمر
فكم من فارس أبصرت ملقى ... يحرك ساقة والخيل تجرى
وكم تحت العجاجة من غلام ... سمعت أنينه فطال فكرى
ولولا عبد عبس قطعت حتما ... جيوش فزارة فى كل قفر
ينير الحرب بالرمح الرينى ... إذا ما فرجت خيـــل بذعر
فيقتل فى الأعادى بالمواضى ... بقلب فاق من جلمود صخر
لحاه الله من عبد نجيب ... يلاقى فى الكريهة ألف صخر
إذا هز الحسام ليـــوم حرب ... تراه فى العجاج كضوء فجر
وفى يوم القتـــال إذ التقينا ... ترى الأبطال بين يديه تجرى

(قال الراوى) وكان ذلك اليوم المذكور ما بقيت الأيام والدهور وهم حصر وخناق المضارب وزعاق حتى أقبل الظلام وتحارس الفريقان فعند ذلك اجتمع قيس بعنتر بن شداد واستشاره فى إنفاذ المال والعيال إلى الديار والأطلال وتبقى خاف الظهور من الأشغال فقال له نعم الرأى أيها الملك المفضال ولكن يمضى بعض الليل ونسير بهم على النجب والخيل . ثم أنهم أخذوا الراحة حتى مضى بعض الليل وبعد ذلك أفرزوا وقال الملك قيس لأخيه سر وصل أمك ونساء العشيرة إلى خللنا واقعد عن الحارث بن ظالم الى حين عودتنا لانى عولت أن أقلع من بنى فزارة الآثار وإلا فان يكون لنا معهم قرار مادام حذيفة سالما فى الديار (قال الراوى) فعند ذلك سار الحارث بن معه من الأبطال وبين أيديهم المال والعيال وعول عنتر أن يسير معه فاخلاه قيس يتبعه وقال له ياأبا الفوارس ماهناك أمر يحتاج إلى مسيرك فيه هذه النوبة لان ديارنا قريبة والصواب عليه ملام فهذا ماجرى لهؤلاء وأما بنو فزاره فانهم لما انتصروا من الصدام عند اقبال الظلام نزلوا فى مضاربهم والخيام وقد اجتمعوا للمشورة لما حل بهم من الأمور المقدرة وماقاسوا من العذاب الأليم وعلموا أنهم قاتلوا بنى عبس فى ثانى الأيام تركوهم عظما رميم لأن بنى عبس أوفى منهم جلدوأصبر على ملتقى العدد والمدد . هذا وقد اشتد بحذيفة الغيظ والحرد وكان كلما سمع ندب نساء القتلى يقول ياليتهن يندبن على أنا ويتركن من مضى لانى أعلم أن غدا غدفعندما يمسى المساء ومنا أحد بل كلنا مطروحين فى البر والفدفد (قال الراوى) فلما سمع سنان مقاله نكى على ما ناله وأقبل عليه وقال له إعلم أيها السيد أنه

قد خطر لى خاطر وأريد أن أكون لك فيه مشاورفان رأيته صورا أفعله وإن رأيته خطأ أهمله فقال حذيفة وماهو ياسنان أكشف لى عن معانيه والبيان فقال له أريد أن آخذ زوجتى وأسير إلى الحارث فى الظلماء إلى حى بنى عبس وأكون عبدهم إلى طلوع الشمس واطرح روحى على الحارث وأبكى بين يديه وأسأله أن يساعدنا على هؤلاء الأعداء أو يسعى فى الصلح بيننا فقال له حذيفة صحيح أنه صواب إلا أنى أخاف أن تمضى اليه على هذا الحال فما يقبل لأن بنى عبس أجاروه من الملك النعمان فيرانا بعين الأذلال ولا تبلغ من أعدانا آمال وأما أنا فلا لى فى غدة غد من خروجى إلى بنى عبس بين الملا وأقاتل حتى أبقى طريحا فى الفلا وقد أخذته الحمية والنخوة الجاهلية وهو لا يأكل ولا يشرب إلى أن أصبح الصباح فركبوا الجراد القداح وتبادروا إلى الحرب والكفاح قال الراوى فعند ذلك اصطفت الصفوف من بنى فزارة وجردوا السيوف البتارة فلما نظر حذيفة إلى بنى عمه فى هذه المهمات والعزمات قفز إلى الميدان وصال وجال على حجرته الخبراء وفى جولاته هانت عنده روحه بين أقرانه وكان مكشوف الرأس خاليا من الزرد واللباس ونادى بقيس لما قاربه وصار يحاذيه بجانبه وقال يا ابن زهير الرهن بينى وبينك كان ومن أجل سباقنا فنيت الفرسان وبعد ذلك قدهان الأمر لأنك أنت قتلت ولدى وعبدكم قتل أخى وأنا قتلت أخاك مالك وأنا أمرت عبدى بلطم جوادك ذلك جرى ماجرى بيننا من المناحس وبالأمس قتلت أنا الأطفال وقتلت أنت بدلهم الأبطال ومامن المروءة أن يفنى فرسان القبائل من أجلنا وتدعو النساء يدعون علينا كلنا والصواب أن تتولى القتال بنفسنا إلى أن يهلك بعضنا وقد انقضت الأشغال والذى يسلم يتولى الديار والأطلال وتطيعه الرجال والأبطال فابرز الساعة إلى المجال ودع عنك المحال ولا تترك لأحد علينا مقال وإن كان العجب لعب بعطفيك فتحدث بالأنصاف ودع ذلك البغى والاسراف فأنا واخوتى نحمل عليك ونجد فى طلبك حتى تهلكنا أو نهلكك ثم أنشد

ما رعى الدهر حرمة وذماما ... بل تشفى بنا وأشفى اللئاما
من أبينا سيدنا ومن جدنا عمرو ... ورثنا الفخار والاحكاما
قد ملكنا المنزل فى المعالى ... برماح ترى الحلال حراما
وعفونا لما قدرنا وفى الجد ... عدلنا وما نقضنا الذماما
وعلمنا أن الزمان عنيد ... طبعه الغدر ولا يحب الكراما
أن صفا يوما ودام صفاه ... كدرته حوادث أعواما
فانصفونا عند البراز وجولوا ... وانظروا ضربنا إذا الحرب قاما

قد تركنا النساء منا حيارى لاطمات خدودها لاتناما

قال الراوى فلما سمع قيس مقاله تعين عليه قتاله وخاف أن تستعجزه ابطاله فعند ذلك خرج اليه بسرعة جواده داحس الذى ذكرنا خفته لأنه كان مدور الكفل مليحا إذا صهل كأنه اليل إذا نزل ثم ل أن الملك قيس برز إلى الميدان وجال على ظهر الحصان وأنشد يقول

إذا كنت محتاجا إلى العدل إننى إلى الظلم فى بعض الاماكن أحوج

ولو فرس بالحلى الحلم ملجم ولى فرس بالجهل للجهل مسرج

فمن شاء تقويمى فانى مقوم ومن شاء تعويجى فانى معوج

بغيتم علينا يابنى بدر والذى ظهر تم به يوما من البؤس أسمج

فذوقوا عذاب البغى من قبل تشربوا كؤس المنايا وهى بالسم تمزج

أسرنا الذى فنتم ترجوا لنصر وعدنا به والحرب كالنار تؤجج

وفينا من الفرسان كل غضنفر وكل همام بالفخار متوهج

قال الراوى ثم أنهما بعد ذلك انطبقا وطلبا الصدام لانهما أميرا بنى عبس وغطفان وفزاره وذبيان فعند ذلك أخذ الطعان وطلبا مقاتل الابدان وتذكروا يوم الرهاعقد عليهما حتى غابا عن الابصار وما فى ابطال القبيلتين إلامن ناهب القتال خوفا على صاحبه فى المجال لان حذيفة كان أوصى أخوته وقال لهم إذا رأيتمونى قد حملت على قيس فاطبقوا عليه كلكم واقتلوه ثم أنه فعل ما فعل وجد مع قيس فى المحال وكان كلما طلبه قيس القتال يرجع حذيفة إلى وارائهم يجرى بمكر ودهائه حتى قارب اخوته وصار قيس وحده فعند ذلك حملوا على قيس وصاح باقى فرسان بنى فزارة ورجعوا إلى المكر والغدر فلما نظر عنتر إلى فعال بنى فزارة زادت منه الاحقاد ونما الشر فى قلبه فاطلق عنان الجواد ونشر فرسان بنى فزارة أزواجا وأفرادا وكان أسبق الناس إلى القتال ابن اخت عنتر الهطال وقيس قد أشرف على الوبال ودارت به فرسان بنى فزارة وخدشته باسنة الرماح قال الراوى فلما نظر عنتر إلى ذلك الحال زعق وهدر مثل الرعد إذا خفق ودعس فى جمع بنى فزارة وحمل على حذيفة وانطبق وصرخ كالاسد إذا زعق وطعنه بعقب الرمح فالقاه على رأسه وكاد أن تخمد أنفاسه ثم زعق على شيبوب فاتاه مثل الريح الهبوب وشد كتافه وقوى أطرافه ثم أنه عاد إلى قيس بعد الجيفة وسلم اليه حذيفة وجد عنتر فى طعه وضربه وهد أسرى أصحابه وما مضى من النهار ثلاث ساعات حتى انهزمت السادات وتشتتوا فى البرارى والعلوات وفر الجميع إلى الخيام وقد عمل فيهم

الحسام وأسر أوس أخو حذيفة على يد الحطال وتفرقت الفرسان والأبطال وضجت النساء والاطفال وصاح الربيع بن زياد فى باقى الرجال فقال دونكم وسبى العيال ونهب الأموال حتى نقلع أثر هذه القبيلة من الاطلال فبينما هم على هذه الاحوال وإذا هم بصياح قد زلزل الجبال فأسرع الجيش نحو الصياح وهو متابع وقد خف فزارة العذاب الواقع وسار قيس نحو هذا وإذا هو بثلاثة من الثلثمائة الذين كانوا مع الحارث بن ظالم الذين أرسلهم الملك قيس لحفظ الأسارى الذين من جملتهم الملك الأسود وملاعب الاسنة اللقيط وبقية الفرسان الذين أسروا من جيش النعمان (قال الراوى) فعند ذلك تقدموا إلى قيس معلنون بالصياح فقال لهم قيس ما الذى دهاكم فقالوا اعلم أيها الملك أننا لما وصلنا إلى الديار وقربنا القرار تولى على الاسارى الحارث بنفسه وبقى محترزا عليهم من أبناء جنسه ومازال على ذلك يومين وليلتين فلما كانت الليلة الثالثة صار يهددهم حتى ظننا أنه يهلكهم فلما مضى الليل بدساه وأقبل النهار بضياء طلبناه فما وجدناه لاهو ولا الأسارى فقلنا قد عادا الحارث والله خبيه ودماه ففزعنا من هذا الأمر عليكم فعدنا اليكم لأن معه أربعين من الأبطال وصرنا نحن أيها الملك فى الأمر متفكرين وإلى الآن متعجبين لأننا ما نرى القوم عندكم من آثار ولا خبر ولا جليه أثر (قال الراوى) فلما سمع قيس هذا المقال أخذه الإنذهال وقال ياويلكم هذا كله جرى عليكم قبل وصول المال والعيال إلى المنازل والاطلال فقالوا والله ياملك ما أتى الينا مال ولا عيال وما تركنا المنازل وراءنا إلا خوال فلما سمع الملك قيس هذه الاشارة قال الله لقد عاد بحنا إلى خسارة وشمتت بنا بنو فزارة فعند ذلك ياملك هذا الحديث دل ظاهره على باطنه والعاقل يفهمه بعرف صحته من سقمه وأنا أقول أن الملك الأسود ومن كان معه من أبطاله مدحوا الحارث على فعاله وقد عاهده الاسود أن يأخذ الامان من الملك النعمان وقد أجابهم إلى ذلك الشأن وفكهم من أغلالهم وسار بهم الينا ليعينوا بنى فزارة علينا فالتقاهم الحريم والعيال وهم سائرون إلى المنازل والاطلال فما وجد أحسن من هذه الفرصة بأمان حتى يتقربوا بها إلى النعمان (قال الراوى) فلما سمع قيس هذا الكلام من عنتر بان له صحة الخبر وقال له ياأبا الفوارس هذا هو الصحيح وقد قست قياسا مليح فلو جرى هذا الحال لعاد الينا أحد من الرجال الذين أنفذناهم مع العيال فتبسم عنتر من هذا المقال وقال ياملك إيش هذا المقال وما ذهب مع العيال غير مائة من الابطال والاربعين الذين كانوا مع الحارث بن ظالم يريدون عشرين ألف من الفرسان الضراغم وأقول انهم أخذوا عليهم سائر الطرقات والمذاهب وما تركوهم يهرب منهم هاب الذى مانع أسقوه كأس الهوان والذى أسروه أخذوه معهم إلى الملك النعمان

فقال الملك قيس والله يا أبا الفوارس إن وصل حريمنا إلى النعمان باع كل واحدة منهن فى مكان ونحن قد وقعنا بين أمرين خطيرين ومرضين قاتلين وما ندرى أيهما نداوى فى الاول وما الذى عليه نعول ونحن نخاف إن تبعنا الحارث ومن معه فترجع بنو فزارة إلى أرضنا وتخرب ديارنا وإن نحن أقمنا حتى نقطع أصولهم تقلع أصولنا فلما سمع عنتر من الملك قيس هذا المقال حل به الخبال فقال له يا ملك الرأى والصواب أنك تقيم ههنا لحفظ بنى فزارة حتى أتبع هؤلاء الانذال وأخلص منهم المال والعيال وأعيد الاسود ومن معه إلى الاعتقال فعند ذلك خف عن قيس بعض همه وغمه وقال له يا أبا الفوارس إفعل ما بدا لك وخذ معك من شئت من رجالنا ورجالك فقال عنتر والله لا أسير خلفهم بأكثر من عشرة رجال ولو أنهم بعدد الرمال فقال الملك قيس لا تخاطر بنفسك يا أبا الفوارس مع فرسان القبائل عنتر يا ملك لا تخف وتسير فى هذا النفر القليل فقال من الردافإنى أنا إذا أمنت عليكم لا أبالى بكثرة الاعداء على أن بنى فزارة لا بد أن تأتيهم أصدقاؤهم الذين أنفذ اليهم حذيفة المال ويقع بينكم القتال إذا كان الجيش كله عندكم يرتاح قلبى عليكم كلكم ثم أن عنترا أخذ معه عروة بن الوارد ونازح بن أسيد والهطال وتمام العشرة من الرجال الابطال وتقدم بين يديه أخوه شيبوب وهو يعض كميه على الحارث بن ظالم وينادى لا سقاك الله الغيث يا ابن ظالم فما أقبح عملك فقاتل الله وقتلك وإلى طرق المهالك أرسلك ثم أقبل عنتر على شيبوب وقال له ويلك يا أبا الرياح جد بنا فى الرواح واطلب بنا أرض العراق ونحن نتبعك على هذه الخيول العتاق فقال شيبوب والله يا أخى ما هذا صواب فنحن نتبع القوم على أثر الدواب لان الاسود معه قبائل شتى وما نعلم أى النواحى يقصدون ونخاف أن نركب عن طريق العراق فيفيتهم البر عنا فى الآفاق فلما سمع عنتر من أخيه هذا المقال قال له سر كيفما تريد فعند ذلك سار شيبوب يقطع البر أمامهم فهذا ما كان من عنتر ورفقته وأما بنو فزارة فأنهم ذلوا بعد أسر حذيفة وأخوته وعولوا على الهرب والانفصال ولولا اشتغال بنى عبس عنهم ورجوعهم عن القتال إلا أنهم داروا حول سنان شيخ الضلال وأخبره بعضهم عن الحال وقال له والله يا شيخ لو دام علينا القتال كنا سلمنا فى المال والعيال وهربنا إلى رؤس الروابى والجبال لان الهرب فى نياتنا بعد أسر ساداتنا فلما سمع سنان مقالهم وعلم بتغير أحوالهم قال لهم والله يا بنى عمى أن ترك المال والعيال مما يشمت بنا الاعداء وهذا عار لا يمحى أبدا إلا أن عذركم واضح لمن يراه لانه لم يكن فى الدنيا من يختار الموت على الحياه لا سيما إذا ابتلى الانسان بعدوه ولم يقدر على المكافأة يطلب لنفسه النجاة وإن كان ولا بد لكم من هذه الحال فانجوا بالنساء والعيال وفرثوا الاعداء الخيام والمال هذا إذا رأيتم ما لا طاقة لكم به وقت الحرب

والقتال وإن أشغل بنى عبس عنكم فاصبروا على النوايب فاذا صبرتم اتتكم العربان من كل جانب لانى أنا وحذيفة كاتبنا قبايل العرب وانفذنا إليهم الفضة والذهب واقول أن وصو لهم قد اقترب ومع ذلك اقول ابنى عبس قد اتاهم سبب ياله سبب والا فما صبروا عنكم عن القتال وتركوكم على هذا الحال فهذا ما كان من بنى فزارة واما ما كان من الملك قيس فانه حدث عنده حادث قال الراوى فلما سمع ما حصل لم يباشر ذلك اليوم القتال لما سمع بهذه الاحوال وعاز الو كذلك إلى الصباح فعند ذلك نادى قيس فى فرسانه من بنى عبس الابطال أن يعتد والقتال ولما نظر إلى بنى بدر زائدين النشاط فى فرح وانبسط مبادرين إلى الميدان يريدون الحرب والطعان قال هو و بنو عبس لاشك أن النجدة قد أتتهم فقال الملك قيس هذا المقال حتى برز من فزارة فارس من الابطال كامل الاوصاف وجال وصال وطلب الانصاف وهو ومن تحته جواد حالك اللون مدخر ليوم الجلاد وفى يده رمح ممدود عليه سنان يشبه نار الوقود إلى أن الفارس رث الحال ثم جال فى حومة الميدان وطلب القتال ونادى يابنى عبس انتم اصحاب الحسب والنسب ولاينكره الا كل جاهل ذليل وعرفتم بانصاف العرب فلاجل هذا ينصركم الرب القديم ويذل اعداكم ونحن قد بغينا عليكم وما كان لنا رأى فى تدبيرنا فصار هذا مصيرنا وقد قتلت فرساننا وجندلت أبطالنا لاجل ماسبق لساداتنا من قتل الاطفال وها نحن مشرفون على الهلاك ومن البارحة عولنا على الهرب لولا فزعنا من الهتيكة ومعيرة العرب لاننا أكثر منكم عدد وأنتم أكثر صبرا وجلد ونحن ما نريد منكم غير البراز والانصاف وترك الجور والاسراف حتى إذا بلغتم مرادكم منا وملكتم أولادنا ونساءنا فايبقى لاحد عليكم كلام ولامقال فاخرجوا من شئتم ياسادات عدنان وأياكم والغدر بين الفرسان لان هذا الحديث هو الذى قلت لكم عليه والشان لايعرفه الا من جرب حوادث الليالى والازمان.

ثم أشار اليهم ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

من جرب الدهر هالته عجائبه   وأنشبت نابها فيه نوائبه

وقد عرفنا بان الغدر يعقبه   ندامـــة وتجازينا عـواقبه

ومابقى غير كأس الموت نشربه   تحت العجاج إذا اسودت غياهبه

فبردوا غلتى بالطعن وابتدروا   إلى الشجاع الذى لانت جوانبه

وختم الذل من كل الجهات به   من بعد كان صرف الدهر صاحبه

يا حاكمين أعولوا فينا فإن لنا ... ربعا من الذل قد ضجت نوادبه
فربما عاد صرف الدهر ساعدنا ... بعدله وسطت فيكم مصائبه
لاتأمنوا الدهر والأيام كدر ... بما ترون فتأتيكم عجائبه

قال الراوى فلما سمع قيس هذا الكلام تعجب ورق قلبه على بنى فزارة وتذكر مابينهم من النسب وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لوكان هذا الشخص مشى بيننا فى الصلح لكنت أنا صالحت هؤلاء القوم ولكن الأمر قد فات وهذا الفارس طلب الانصاف فانصفوه أن قدرتم على أسره فاسروه وإلى بين يدى أحملوه فانى أرى الشجاعة لائحة بين عينيه وأنظروا من هو من الفرسان وما اسمه لانى أراه فصيح قال الراوى فعندها تبادرت اليه الفرسان من كل جانب فصار قيس يصيح فى الفرسان وهى لاترجع وقد داخلها الطمع فيه فلما نظر ذلك الفارس الذى ذكره تقدم إلى من أقبل نحوه من الفرسان ضحك وتبسم وقال ماقصرتم فى الانصاف ولكن هذا تفعل الاقوام الاقوياء بالضعاف ثم أنه اكب رأسه فى قربوس سرجه وتلقاهم بطعن قاتل هذا وقد طلع فوقهم الغبار وسد الاقطار قال فعند ذلك رمى رمحه من كفه وسل سيفه من غمده ودخل معهم تحت القتام فارى منهم سبع فوارس كرام فعند ذلك قصده الفرسان من كل جانب ومكان وهو ساكت وهو يطعن يمينا وشمال وينثر الرجال فى عرصة المجال هذا والطوائف تنظر من كل جانب لتعرف المغلوب من الغالب فما ترى إلا حساما يلمع وسيفا يقطع فما كان ساعة حتى خرجت الفرسان شاردة إلى ناحية قيس تنادى واحرباه من هذا الفارس الهمام فلما سمع قيس مقالهم قال ياويلكم ماحالكم ومن يقال لهذا البطل الذى أبادكم فقالوا والله ياملك مانعرفه ولافينا من يقدر يصفه لانه والله مافى هذا الزمان مثله وسيقطع الحديد والزرد النضيد وقد أهلك منا ثلاثين من الفرسان وأكثرهم من بنى غطفان وبعد ذلك أن لم تأمر بالجملة عليه والاهلك الفرسان لانه شيطان فى صورة انسان قال الراوى فلما سمع قيس ذلك الكلام قساقلبه على ذلك الغلام ولما سمع صياح بنى فزارة علا زاد به البلا وعلم انهم ماصاحوا إلا لاجل النصر والظفر فنادى ذلك فى اخوته وفرسان عشيرته وقال دونكم وهذا الغلام الذى قدرق لنا فى الكلام فعند ذلك أطلقوا الاعنة وقومت الأسنة إلا انهم ماقاربوا موضع الصدام حتى ظهرت الفرسان من تحت القتام وطلع عقبهم ذلك الغلام وهو يدمدم دمدمة الرعد فى الغمام وسيفه يقطر الدم من جانبيه والموت يلوح

من بين يديه حتى قرب الملك قيس وهو تحت الأعلام وصاح عليه أبشر يا قيس بعد الفرح والمسرة بالبؤس والمضرة فأنا الحارث بن ظالم فارس بنى مرة ثم هجم على حامل العلم وضربه بالسيف على عاتقه اطلعه يلمع من علائقه ثم هجم وعلى قيس فخبله وجذبه من درعه فرجله عن جواده وهم أن يعود إلى بنى فزارة فانزل به الخسارة (قال الراوى) فعند ذلك حملت الابطال وطلبته بالرماح الطوال فحمل أيضا هو وبنى فزاره وفى دون ساعة اختلطت الطوائف وبان الآمن من الخائف وصار الغبار على رؤسهم وعملت الصوارم وطارت الجماجم



وقطعت الايادى والمعاصم وعاد عقاب المنايا فوق رؤسهم حائم ودارت الفرسان بقيس والحارث ابن ظالم وما زال سوق المنايا قائم فلما نظر الحارث إلى هذه الإشارة سلم قيسا إلى بنى فزارة وعاد إلى الطعن والضرب وعلا القسطل واشتد العمل إلى أن أقبل الليل وانسدل فعند ذلك انفصل الفريقان ونزلت الطائفتان هذا وقد عاد الحارث بن ظالم وشيد لنفسه المفاخر والمكارم فعند ذلك دار بنو فزارة حوله يشكروه ويثنوا عليه واوصلوا قيسا إلى سنان وأوصوه أن يحترز عليه حتى يفدى به حذيفه هذا وقيس قد زادت به الآلام لما نظر إلى فعال الحارث بن ظالم قال الراوى وكان السبب فى ذلك حديث عجيب وذلك أنه لما سلم

له الملك قيس الاسارى، وخلى عنده المائة فارس من الفرسان الاشاوس طالبا بنى فزارة ومعه الفرسان الذين قتل أولادهم حذيفة وطائفة العداوة وأما الحارث فانه لما وصل إلى ديار بني عبس ونظر إلى تلك الحال من ذهاب أموالهم والعيال قال والله ما بقى يقام لبنى عبس قائمة ثم أمر العبيد أيضربوا له الخيام على العلم السعدى وقال بعد أن وصلت إلى ههنا لا أبالى بما يجرى بعدى ثم أنه انفرد بنفسه إلى حفظ الاسود ومن معه وقضى أكثر الليل السهر مدة يومين وفى اليوم الثالث لما طلعت الشمس دخل عليهم يوجدهم يتشاورون وفى خلاص أنفسهم يدبرون فلما نظر اليه الاسود قال ويلك يا حارث ما كانك خلقت الاحجر صوان يعبر فيك كل إنسان فلما سمع الحارث هذا المقال قال وكيف هذا وأنا قاهر الابطال فقال له اللقيط يا حارث أصل هذا الامر والشأن منك قتلت ابن الملك النعمان وبعد هذا عقدنا لك لوائح الامان بعد الخوف والحرمان وقد رضيت بهذا المقام والعيشة الذميمة مع عبد لاقدر له ولا قيمه وكانك بقبائل العربان وقد أقبلت من كل جانب ومكان ويحل بك الانتقام وتشرب كاس الحمام وأنا رأيت لك من الراى ان تطلق سراح أخى النعمان ومن معه الفرسان وتطلب منهم الذمام فبادر هذا الأمر قبل الفوات وحلول الآفات حتى يأخذ لك الامان من أخيه النعمان وتكون قد محوت الاول والآخر فلما سمع الحارث من اللقيط ذلك الكلام المرتب قال له أتأمرنى بالهرب وأنت سيد من سادات العرب فقال اللقيط ويلك يا حارث ومتى عرفت أنت بالوفا حتى تصفو لبنى عبس ونبدها عنتر وتخلى مثل هذا العبد الاكبر أخى الملك الحاكم على جميع العربان وأعلم أنا إذا خلصنا من هذه الاهوال والاسر والاعتقال ووصلنا إلى النعمان أخذنا لك ولبنى عبس الامان فقال الحارث أما بنى عبس وحق الكعبة الحرام فما يهون على أنها تضام وأما عنتر فله فى قلبى من الحسد ما أمرض منى الجسد ولولا حاجتى اليه فى هذه الفعلة كنت قتلته وأخذت بنت عمه عبلة لأن أباها أرنى اياها وقال خلصنى من هذا الولد ابن الزنا وأوردة المهالك وأنا أزوجها لك وبعد ذلك فقد فتح باب أبلغ به الأرب فان أنتم عاهدتمونى على ما أريد وإلا عذبتكم العذاب الشديد فلما سمع الاسود مقاله أمل اصلاح حاله ثم قال ما الذى تريد حتى نعاهدك عليه فقال تسيرون معى إلى أرض بنى فزارة قبل سيركم من هذه البلاد وتساعدونى على قتل عنتر بن شداد وتضمنوا لى الأمان ولا تقولوا اننا طائفة قليلة بل كل فارس منا يلقى قبيلة فقال الأسود وقد طلب الخلاص من الوثاق وسرعة العودة إلى أرض العراق يا حارث أنا أضمن لك هلاك عنتر ولو كان فى الجمع

وأضمر على هلاكهم إذا ناموا فعرف ملاعب الأسنة ضميره فميل على الأسود وأعلمه بذلك فاخذت الفرسان حذرها منه فلما علم الحارث أن القوم حسبوا حسابه وإن فعل ما عليه أضمر أمسكوه وإلى النعمان أوصلوه قال لهم ها أنا سائر إلى بني فزارة استنجدهم حتى يرسلوا لنا نجدة وآتيكم بالحيرة ثم لوى عنان جواده وصار قاصداً ديار بني فزارة ودخل على سنان وبات ولما أصبح نزل إلى الميدان رأس قيساً ورجع من الحرب وطالب قيساً بحذيفة واخوته فأجابه إلى مقاله بعد ما وبخه على فعاله وقال والله ياحارث بعد هذه الفعال ما أدري إيش يكون طبعك فلعن الله أصلك لأنك لا تفرق بين القبيح والاحسان أهذا جزاؤنا بعد ما تركنا نقضك الامان ولكن سوف تعلم من يندم إذا زال الندم لأنك خسرت النوقة في هذه التجارة وبعت الربح بالخسارة ولابد أن يعم شؤمك على بني فزارة (قال الراوي) فلما سمع الحارث من قيس هذا المقال والكلام أكثر عليه الملام وقال ويلك ياقيس ومن أين عاد الدباملى على مكان وقد اخذت الأمان من الملك النعمان ومع ذلك لم أبعكم بأرخص الأثمان لكني اتخذت من هو أوفى منكم مكان وأعظم شأن وبعد ذلك قال الخير والشر مركبان في الانسان وما غلب عليه كان لا سيما طالب لنفسه الارتفاع في جهدي انني ما أخلي على وجه الأرض شجاع حتى يحملوا إلى حتى المراعي والبقاع وأول ما أبيد عبدكم الأسود فلما سمع قيس ذلك الكلام قال لعلك رأيت هذا في المنام وإنه الفارس الهمام والبطل الضرغام وإن جمعت بكم الأيام فهو يعجل الك الارغام ويسقيك كاس الحمام ولكن الساعة الأمر قد فات في هذا المرام والغائب ما عليه ملام قال الراوي ثم أنه بعد ذلك حلف لهم لا يركن إلى غدر ويطلق لهم أولاد بدر ثم ركب وسار عند طلوع الشمس إلى أن وصل إلى بني عبس وعليه الخلع الغاليات المقدار ثم صبر إلى أن تضاحى النهار وبعد ذلك أمر بحذيفة إلى حضرته فخلع عليه وعلى أخواته وسيره إلى أهله وعشيرته فلما وصل إليهم فرحوا بقومه وأما قيس حكى للربيع على ما فعل الحارث ثم قال لهم اعتدوا للقاء أعداكم إلا أنه تضاحى النهار حتى اصطمت المواكب وترتبت الكتائب وأقبلت الفرسان من كل جانب ولما وصل قيس إلى تحت الأعلام ونظر إلى تلك الخلائق والازدحام أقبل على الربيع وقال ما بقى إلا بذل نفوسنا لهذه السهام الصائبة ونبذل المجهود مادامت فرساننا غائبة فبينماهم يتشاورون وإذا بالحارث برز إلى الميدان وطلب البراز ولم يفكر في حوادث الليالي والازمان (قال الراوي) فلما نظر قيس إلى الحارث ويدبرز إلى الطعان علم أنه يريد أن يقهر الشجعان وبين شجاعته في ذلك المكان فعند ذلك أمر الناس

بو أضمر على هلاككم إذا قاموا فعرف ملاعب الأسنة ضميره قيل على الأسود وأعلمه بذلك فأخذت الفرسان حذرها منه فلما علم الحارث أن القوم حسبوا حسابه وإن فعل ما عليه أضمر أمسكوه وإلى النعمان أوصلوه قال لهم ها أنا سائر إلى بنى فزارة استنجدهم حتى يرسلوا لنا نجدة وآتيكم بالحيرة ثم لوى عنان جواده وصار قاصداً ديار بنى فزارة ودخل على سنان وبات ولما أصبح نزل إلى الميدان وأسر قيساً ورجع من الحرب وطالب قيساً بحذيفة واخواته فأجابه إلى مقاله بعد ما وبخه على فعاله وقال والله ياحارث بعد هذه الفعال مادرى ايش يكون طبعك فلعن الله أصلك لانك لاتفرق بين القبيح والاحسان أهذا جزاؤنا بعد ما تركنا نقضك للامان ولكن سوف تعلم من يندم إذا زل الندم لانك خسرت النوقة فى هذه التجارة وبعت الربح بالخسارة ولا بد أن يعم شؤمك على بنى فزارة (قال الراوى) فلما سمع الحارث من قيس هذا المقال والكلام أكثر عليه الملام وقال ويلك يا قيس ومن أين عاد الذمام لى على مكان وقد أخذت الامان من الملك النعمان ومع ذلك لم أبعكم بأرخص الأثمان لكنى اتخذت من هو أوفى منكم مكان وأعظم شأن وبعد ذلك فالخير والشر مركبان فى الإنسان وما غلب عليه كان لاسيما من طلب لنفسه الارتفاع وفى جهدى انى ما أخلى على وجه الارض شجاع حتى يحملوا الى حق المراعى والبقاع وأول ما أبيد عبدكم الاسود فلما سمع قيس ذلك الكلام قال لعلك رأيت هذا فى المنام وإنه الفارس الهمام والبطل الضرغام وإن جمعت بكم الايام فهو يعجل لك الارغام ويسقيك كاس الحمام ولكن الساعة الامر قدفات فى هذا المرام والفائت ماعليه ملام قال الراوى ثم انه بعد ذلك حلف لهم لايركن إلى غدر ويطلق لهم أولاد بدر ثم ركب وسار عند طلوع الشمس إلى أن وصل إلى بنى عبس وعليه الخلع الغاليات المقدار ثم صبر إلى أن تضاحى النهار وبعد ذلك أمر بحذيفة إلى حضرته فخلع عليه وعلى أخوته وسيره إلى أهله وعشيرته فلما وصل إليهم فرحوا بقدومه وأما قيس حكى للربيع على ما فعل الحارث ثم قال لهم اعتدوا للقاء أعداكم إلا أنه تضاحى النهار حتى اصطفت المواكب وترتبت الكتائب وأقبلت الفرسان من كل جانب ولما وصل قيس إلى تحت الاعلام ونظر إلى تلك الخلائق والازدحام أقبل على الربيع وقال ما بقى الا بذل نفوسنا لهذه السهام الصائبة ونبذل الجهود مادامت فرساننا غائبة فبينما هم يتشاورون وإذا بالحارث برز إلى الميدان وطلب البراز ولم يفكر فى حوادث الليالى والازمان (قال الراوى) فلما نظر قيس إلى الحارث وقد وقد برز إلى لطعان على أنه يريد أن يقهر الشجعان ويبين شجاعته فى ذلك المكان فعند ذلك أمر الناس

بالجملة عليه وحمل حذيفة بني فزارة لأنه قوى قلبه بالحارث بن ظالم وجسره على هذه الأمور العظائم فعند ذلك حمل بعضهم على بعض واشتد الركض وتزلزلت الأرض ولمعت الأسنة وكثرت الضجة والرنه وطلبت الرماح القلوب وقضى عليها بالقضاء غلام الغيوب وتقطعت الأكباد والجنوب وطلعت عليهم الغبرة كأنها الغمامة السوداء وساق ملك الموت الأرواح واحدا واحدا ونادت الأبطال فلم يسمع لها ندا وعمل البتار وقل الاصطبار وطال الانتظار وقصرت الأعمار هذا والحارث بن ظالم قد فتك في تلك العوالم وولت الفرسان قدامه هزائم وترك القتلى ممددين في وسط الفلا وما تضاحى النهار حتى تفرق بنو عبس في القفار والحارث في مشارق الجيش ومغاربه وقد أظهر فيهم كل عجايبه وأنامهم ووقع بعمارة فأسره وجرح أخاه فكاد أن يدمره فلما رأى قيس إلى بني عبس وهي تريد الفرار وفرسانه قد أشرفت على الانكسار وبنو فزارة صاحت في جميع الأقطار وصاحت صياح الفرح والاستبشار كره الملك قيس الحياة وطلب الموت والوفاه وعول أن يحمل على الحارث وإذا بغبار أسود قد سما وطمح إلى عنان السما وانكشف عن خمسماية فارس غائصين في الزرد يقدمهم سيد ومن تحته جواد أجرد وفي يده قضيب مهند أعظم من الفيل وهو ينادي يالعبس يالثارات مالك بن زهير معدن الجود والخير أنا زايد بن نصيب الفارس النجيب قال الراوي ثم حمل بني فزارة حملة الليث وانصب هو وفرسانه عليهم انصباب الغيث وفي دون ساعة كسرت بنو فزاره وعاد ربحهم إلى خسارة ولولا الحارث أمسك عليهم رأس المضيق وعنهم الطعن لاقى ما كان للخوف عليه طريق وأبرى بسيفه ذى الحياة صدور الرجال والزرديات وفعل فعلا يعجز المخلوقات وكانت الفرسان إذا رأت تلك الضربات لم تقدر عليه وكان لهم يوم يعد من أيام القاهرة حارت فيه أفكار البادية والحاضرة وعند آخر النهار قرب المغيب نزل الحارث لزايدة بن نصيب وجرى بينهم حروب شديدة يذوب منها الحديد ويعرف بها الشجاع من البليد وما أمسى المساء حتى جرت سيول الدماء وعادت الفرسان إلى الحمام والخيام وقد دعج الظلام هذا والملك قيس ماهم الاكرام هذا الفارس الذي هو زايدة من أصدقاء الملك قيس وحلفاه كان بينهما صلة رحم ثم سأله عن قدومه فقال يا ملك انني سمعت بما جرى لك من بني فزارة وكنت أقول أنك تنفذ إلى فما جاءني منك خبر ولا إشارة ولما طال المطال ووصلني الخبر بسبي النساء وذبح الأطفال جئت اليك على سبيل المعاونة والنصرة وما كنت في حقك متهاونا فشكره الملك قيس على ذلك وأخبره بما جرى له مع الحارث فقال له زايد قد بلغني ما نالك من أعماله وقبيح

افعاله ولولاه اليوم كنت أرحتكم من بنى فزارة ومن حذيفه ولكنه شيطان وما يلتقى فى الميدان وفى غداة غدا خرج إلى بنى فزارة وأطلب برازه وأعجل إتلافه وانجازه لأننى اليوم التقيته آخر النهار وما رجعت عنه حتى عرفت من أين تدخل المنية عليه وتصل الحوادث اليه ثم اسأله عن عنتر وغيبته فحدثه أنه سار لخلاص المال والعيال وباتوا يتشاورون فى أمر القتال والحرب والنزال ويذكرون ما جرى لهم فى اليوم الماضى من الشدائد والاهوال وبات الربيع وهو ضيق الصدر من شدة الامر قال عليه وكان الحارث قد نزل وهو مخضب بدم الفرسان بهمهم مثل الاسد الغضبان لعدم كسره لبنى عبس وعدنان ولما قدم الطعام أبى أن يأكل فسأله حذيفة عن زايد بن نصيب فقال الحارث والله ماهو إلا بطل شجاع وقرم مناع خبير بالقراع ولكن فروسته لاتظهر إلا عند مبارزته للاقران واما أنا فادركنى الليل بظلمه كنت ضربت مافوق رقبته ولكن عند الصباح أخرج إلى الميدان بين الشجعان فاذا خرج إلى وبرز فرجتكم عليه وما يجرى من سيفى اليه لانى ما أريد ان يصل أخى قصورة إلى هنا الا وقد قضيت اشغالى وخلصتكم من بنى عبس الاندال قال الراوى وكان ارسل إلى أخيه قسوره من أول ليلة وصل فيها إلى بنى فزاره وحدثه أنه قد خلص أخا النعمان وأنه قد سار يشد من بنى فزاره وقال للفارس الذى أرسله لاتعد إلا وأخى معك وفرسانه تتبعك وعند الصباح ثارت الابطال تطلب الكفاح فخرج الحارث بن ظالم ونادى يابنى عبس ابرزوا إلى قابض الارواح ومبدل الأفراح بالأتراح الذى لايرعى ذمام ولا يحفظ طعام ثم أنه توسط الميدان ولين عريكة الحصان وجال وصال وانشد وقال .

لا تراعى من الأنام خليلا ... واجعل الهجـــر للوصال بديلا
وإذا ما ائتمنك خل تخنه ... واقفلن القبيح وانس الجميلا
وأبذل السيف فى القرابة والأهل ... إلى أن ترى العزيز ذليلا
صارمى لايقل فى ظلمة الغمــــد ... ولا يرتضى سواى بـــديلا
وحصانى عـــدتى وسنانى ... تقطع الفرخ منكم والأصولا
لا تظنوا أنى اراعى صديقا ... قـــد صفا لى ولا أود خليلا
فابرزوا وانظروا قتال غلام ... فاتك يبصر الكثير قليلا
لى فؤاد قد أصبح اليوم بالحرب ... عليلا فاصفوا فؤادى العليلا

(قال الراوى) وكان الحارث بن ظالم لما وصف نفسه بهذه الأبيات والصفات القبيحة قريبا من بنى عبس فسبوه وشتموه عند سماع مقاله وتعجبوا من حيث أفعاله فعول زائدة بن تصيب على الخروج اليه فسبقه ابن عم له وانطبق على الحارث وطعنه فضرب الحارث رمحه فبراه ثم طعنه فارداة وحمل على أعلام بنى عبس ونادى ما هذه عادتكم عند البراز فابرزوا ان كنتم تريدون الفخار وإلا استقيلوا حتى أقيلكم بشرط أنكم ترحلون من هذه الديار وتوسعون فى الاقطار والروابى والقفار وأنزل وأنا وقومى فى مراعيكم والاوطان واسال فيكم الملك النعمان قال الراوى فلما سمع الملك وأخوته كلام الحارث أمر الجيش بالحملة عليه فسبقه زائد وبرز اليه وقال له ويلك يا حارث ما أشام خصالك فلعن الله بطنا حملتك ومالك فضيلة بين العباد تذكر إلا قتلك خالد بن جعفر وهو نائم وتمدها من جملة المكارم وقتلت ولد النعمان وهو طفل صغير ما بلغ الفطام وفجعت على الملك قيس وقد أولاك الاحسان وبرزت تفتخر بين الافرار فان ظفرت بك جازيتك اشام جزاء وأتقرب بقتلك إلى اللات والعزى حتى لا يرجع أحد بإيدك يقابل الاحسان بالقبايح ولا يثنى على نفسه بمثل هذه الفضايح فقال الحارث بن ظالم والله يا ابن اللئام يا ولد الحرام ولا بد اليوم انى ادنى حمامك وأعجل لك أنتقامك وأجعل هذا اليوم آخر أيامك وان كنت فى شك من كلامى وصولتى واقدامى فناده لقومك يحملوا لمعونتك فلما سمع زائده كلام الحارث علم انه جبار فى شره على خيره ولا ينظر فى عاقبة أمره فحمل عليه وصال وجال وأجابه على هذا المقال وأنشد يقول .

لو رأت عيناك الجميل جميلا ... صنت بالعدو عرضك المذبولا
أنى إذا بغيت جئت بسيف ... قاطع يترك العزيز دليلا
حزت فخرا فى قتل خالد حتى ... قد ملأت القفار قالا وقيلا
جئته نائما فمكنت منه ... فى ظلام الدجا حساما صقيلا
قسما لو رأيته وهو يقظان ... لا ضحيت من يديه قتيلا
فاصبر اليوم كى ترى من حسامى ... وأعالى رمحى عذابا وبيلا

قال الراوى فلما سمع الحارث كلام زائدة والنظام حمل عليه وهم أن يضربه بالحسام فرآه محترزا من نزول الآفات جيد الخبرة فى مقام المقارعات حسن القراع والثبات فغمد سيفه وأخذ معه فى الطعان بأطراف السمهريات حتى جاز عن حد الصفات وعبر نصف النهار وانقضت تلك الأوقات وهجما عجمات الاسود فى الغابات وكان الحارث حد مع خصمه زائدة

حتى بانت منه هذه الفعال لجد معه فى القتال حتى تقصفت السمر العوال فعاد إلى حسامه وانتضاه وكثر به الغيظ وهجم على خصمه وضايقه وصاح فيه وزعق وضربه ضربة جبار فقد البيضة والرفادة وأشمت به عشيرته وسحب الحسام فشق جبهته فمال وانصرع فصاح بنو فزارة صياح الفرح ونزل على بنى عبس الحزن وعض الملك قيس على كفه ولحقه الألم وخاف على زائدة من العدم لما رآه وقع فهمت الخيل التى معه أن تحمل وتتبعه فمنعها قيس خوفا وإشفاقا عليها من سيف الحارس أن يفنيها وقال لاخوته والله مايهون على هذا المصاب فلو قتل أخ من أخوتى كان أهون على من هذا الرجل الغريب الذى جاء طالب نصرتنا وحمايتنا وبذل نفسه فى هوانا ولكن مابقى فى هذا الأمر إلا أننا نعانى أمورنا بنفوسنا فبينما الملك قيس مع قومه فى الكلام وإذا بفارس اخترق الأعلام وسلم على الملك قيس وأسفر اللثام وقال للملك قيس أتعرفنى ياملك الزمان فقال لا والله فقال أنا قسورة أخو الحارث الذى أساء كم بعد أحسانكم اليه وافضالكم عليه وقد تعبت أنا مصاله وشؤم فعاله لانه قدعاب نسابنا وحط أحسابنا وأريد منك أن تترك الحملة عليه حتى ابرز اليه لعلى أقتله وأستريح منه ومن فعاله قال الراوى فلما سمع الملك قيس هذا الكلام من الغلام قال لمن حوله من الأقوام حق من فى علم الغيب قد احتجب ما سمعنا بأظرف من هذا الحديث ولا أعجب لان الإثنين أخوة من فردام وابوهذا دليل على بقاء الرب القديم رب موسى وإبراهيم وأنا اقسم برب الكعبة الغراء وأبى قبيس أن أن عاد هذا الغلام وهو سالم من براز أخيه الحارث بن ظالم لأزوجنه الجمانة وأقاسمه فى نعمتى وأساويه باخوتى ثم اعرض عليه الخيل والسلاح وآلة الحرب والكفاح فقال له قسورة يامولاى إذا عمر الإنسان مديد مايقطع فيه الحديد فان كانت قد دنت المنية مايزدها التضنيد ثم انه برز إلى أخيه وكان الحارث قد طال عليه الوقوف وعول أن يحمل على الصفوف لما علم أن الفرسان عجزوا عنه فتذكر قتل خالد بن جعفر بسيفه فاشار يقول صلوا على طه الرسول .

علوت بذى الحيات مفرق رأسه وهو يفعل المكروه إلا الاكارم
فتكت به لما قتلت لخالـــد وكان سلاحى تحتويه الجماجم

قال الراوى ثم انه عول على الحملة وإذا بأخيه قسورة حمل وعلى قتاله هول ثم انه ناداه ياحارث ياحارث ياخبيث النبع ماهذا الضلال والبغى على الابطال اعدمت عقلك واغواك جهلك فقال الحارث وقد عرفه ويلك ياابن الأم ماهذه الفعال أنا انفذك خلفك لاجل أن تأتى

لخدمتى أنت وفرسان قبيلتى فجئت عن بنى عبس تحامى وأهملت صولتى ومرامى فقال له قسوره أى والله يا حارث أن كلام الناس فى عرض الإنسان أشد من ضرب السيف لا بد قتالك إلا أن كنت تتبع سنة العرب والاقامة على حفظ الزمام واحترام البيت الحرام فلما سمع ذلك الكلام طار الشرار من عينيه وقال ماهذا الكلام يانسل الحرام أتريد أن تزيلنى عن سنتى التى أذللت بها ذوى الرتب وتسن سنة غيرها وتظن أنى احترمك من أجل الآباء والأمهات لا وحق إلا السموات ومن علم آدم الأسماء لآجر عنك كاس الممات بسيفى ذى الحيات وأنفرد وحدى فى الفلوات ولا أصحب غير سيفى العظيم الذى يفرج عنى الامور والكربات ولا تقل أن أمك أمى وأباك أبى وأحترمك لأجلهم فهذا شىء لا يكونه فقال له قسورة دونك والحرب والصدام فانى ماجئت إلا وقد ودعت الدنيا والأنام حتى يقال هذا أخو الحارث الخائن الذمام ثم أنشد يقول

أيا ابن الأم قد نلت الوجائع ومت بغصة ظام وجائع
لأنك غادر نذل خبيث ولم ترع الذمام ولا الصنائع
وأنت أخى صحيح الاصل لكن تغيرت المشارب والمراضع
فانت أخى ومن أمى وهاقد تخالفت الفعال لدى الطبائع
وإنى للأخوة فيك عمرى أراعيها وفيك الخير ضائع
فدونك شرب كاسات المنايا فخير ذاك من شرب الشنائع

قال الراوى ثم أنه حمل على أخيه وانعقد عليهما الغبار وضاقت الأقطار وكان لها ساعة منكرة أذهلت من الشجاع عقله وبانت لها الأرض ضيقة منحسرة وعقد عليهما القتام والغبار وأيقنا بالهلاك والدمار واستمروا فى إقبال وإدبار إلى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار وكانت العرب تسميه الهتاك وأخوه قسورة يسمى الفتاك لأن قسورة لما سمع بغدر أخيه ببنى عبس بعد إحسانهم اليه صعب ذلك عليه وأتى إلى بنى فزارة ونزل إلى أخيه وجرى له ما جرى معه من الصدام وتقاتلا حتى أقبل الظلام وقال له الحارث عد إلى الصباح فانه طاب لك الموت فانزل إلى الحرب والكفاح فقال قسورة لا وحق من أقداره فى القدم مقدرة مالك للدنيا والآخرة ما بقى بيننا انفصال إلا بالاتصال ثم أنه حمل عليه فتلقاه الحارث وهجم عليه وضربه بسيفه ذى الحيات على هامته فرمى رأسه عن جثته وعاد ولبس حلة السواد وقد تعجب القبائل من قساوة قلبه وغاب الملك قيس عن الدنيا من شدة ماجرى عليه وحار فى قصته واشتدت المذاهب فى وجهه وقال والله لئن لم يدركنا عنتر ويكفينا

تأمر هذا الشيطان الاهجج قومنا وشتتهم فى القيعان قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر ابن شداد فانه لما سار خلف النساء ومعه العشر فوارس الاقيال وقد فارقوا بنى عبس نصف النهار فساروا ذلك اليوم وتلك الليلة إلى وقت السحر ونزلوا عند الصباح فادركوا الملك الأسود والفرسان الذين معه وقد ذكرنا أنهم كانوا أربعين فارسا فاشرف عليهم عنتر عند الصباح وقد سمع من المسبيات الصياح فقال ويلكم يا أنذال فاتكم بلوغ المنا فانجوا بأنفسكم من العنا فان نجاتكم بارواحكم هى الغنيمة فقد أتاكم من هو بها أحق وأولى فنجوا بأنفسكم فى هذا الفلا ودعوا النساء والسبايا قبل أن تبقوا ممددين على الارض مثل الضحايا ثم حمل عليهم بعد هذا الكلام فلما نظره الفرسان وقع بهم الذل والهوان وسمعت أيضاً صوته النسوان وضجت الاسارى من شدة الافراح حتى قلبت الارض والبطاح فزعق الملك الاسود دونكم وعبد شداد ولد السفاح فانهبوا جسده بالصفاح فقال ملاعب الاسنة يا ملك طيب قلبك فما هو إلا فى نفر قليل ونحن نريك اليوم فيه ما يشفى الغليل ويبرى العليل والرأى توكل بالأسارى من يحفظهم مخافة أن تدخل العبيد تحلهم من الوثاق ويعينون هذا الشيطان على الحرب والطعان لأننا عولنا على قطع شافته ومن معه الفرسان قال الراوى فلما سمع هذا المقال علم أنه صواب وأخذ معه عشرة من الفرسان الانجاب لحفظ المال والعيال هذا وقد وقع الحرب والقتال فلما نظر شيبوب إلى هذه الحال ترك أخاه عنتر وابن أخته الهطال وأخذ فى عرض البر يطلب السبى والعيال حتى وصل اليهم ودخل بين المحامل ولم يزل يتفقدهم فارسا بعد فارس ويحل وثاقهم وقد عرفه القوم واستبشروا بقدومه حين حل جميع الأسارى وكانت العشرة فرسان الموكلة بالسبى لما نظرت إلى عنتر بن شداد وقد حمل هو وأصحابه اجتمعوا ينظروا بما يعمل ولم يعلموا أن البلاء عليهم قد نزل ولم يشعروا إلا وسادات بنى عبس قد حكموا فيهم القواضب وداروا بهم من كل جانب ووضعوا السيف فيهم وقتل منهم أربع فرسان وجرح أكثرهم وعلا من النساء الصياح وعقدت أصواتهم بالأفراخ وكان الحارث قد حله شيبوب من الاعتقال وعاد يطلب عنتر وأصحابه فوجده عنتر قد بذل يده فى الأعدا وسقاهم كؤس الردا وصاح على أصحابه وناداهم وقال يا بنى عمى كل من ظفر منكم بواحد من الأسارى لا يقتله بل يخفيه فى القيود وأبذلوا السيف فى الباقين حتى تقع هيبتكم فى قلوب هؤلاء الأنذال وينقطع طمعهم من المال والعيال ثم حمل عليهم فقتل فى حملته منهم ثلاث فوارس فلما نظر ملاعب الأسنة رأى أنه لا يبقى على أحد وقد اشتد به الفزع وزاد به

والهلع وخاف على نفسه من عنتر بن شداد أن يقتله فعاد من فزعه يصيح على أصحابه ويحرضهم على قتاله وكذلك فعل اللقيط بن زرارة ودار القتال بين الأبطال والتقى الحارث بن زهير بعنتر وهناه بالسلامة وقاتل معه ساعة أشد قتال إلى أن تجاحى النهار ومالت الشمس إلى مغربها فساقهم عنتر قدامه سوق الغنم وجندل منهم خمس فوارس على أديمها فلما علم ملاعب الأسنة ما تم على الأسرى من إطلاقهم وأسر أصحابه ورفقائه علم أنه توانى عن الفرسان أبادهم عنتر فى ساحة الميدان فقال اللقيط ماهذا ياسيدى بنى عامر تخلى رجالنا لسيف هذا العبد ولد الزنا فما هذا فعل الكرام بل الرأى أننا نحمل عليهم وننتقم منه فان ظفرنا به كان لنا المنزلة العظيمة عند الملك الأسود ثم أنهم مدوا اليه الأسنة وأطلقوا نحوه الأعنة ومالوا اليه وإذا بالسبى قد أقبل وأصحابه ينادون من شدة الفرح لا تناذ كرنا أن شيبوبا أطلق الحارث بن زهير والأسارى من الوثاق وأمرهم بالقتال للذين كانوا حارسين لهم وللمال ولما أبصر الملك الأسود ذلك الحفل انزعج غاية الإنزعاج ونادى فى أصحابه النجاة النجاة ياأبناء الغفلات وإلا إن وقعنا فى يد هذا العبد أحل بنا الموت وإذا قلنا المرارات ثم أطلق عنان جواده وطلب أرض العراق وتفرقت الفرسان الذين كانت معه فى الآفاق وكان الحارث بن زهير راكباً جواد أصيل ومعتد بعدة جلاد جليل قال الراوى فلما رأى الأسود انهزم ركب الجواد وراءه معه لجماعة من بنى عبس ولما رأى شيبوب ذلك رمى قوسه وكنانته وأدار أذياله فى دور منطقته وأخذ فى يده سيفاً مجوهراً من سيوف القتلى وجد خلف الأسود فى تلك الفلا وهو يقول وحق من أرسى الجبال والفضا لا بد أن أحكم فيه هذا السيف المنتضى وأبلغ منه ما أعرفه أنا هذا وقد تخلص باقى الأسارى وقد ملكوا أنفسهم ومالوا نحو عنتر سربا سربا وأبصر اللقيط بن زرارة وملاعب الأسنة الجمع الذى كان مع السبى قد جفل فتقطعت ظهورهم وحل بهم الخيل وكل منهم صار بعد من الخوف والوجل من أبى الفوارس عنتر فما صدقوا أن الظلام قد اعتكر حتى تفرق كل منهم فى طريقه وعدموا السعادة والتوفيق وأخذ كل واحد منهم جواده وارتحل وهو كثير الهم والزفير وما نجا منهم إلا من كان فى أجله تأخير والباقى نهبوا أرواحهم بأطراف الأسل وفرقهم الموت المعجل قال الراوى فلما خلى بال عنتر البطل الهمام من اللئام عاد إلى السبى واجتمع بعبلة فرآها تضحك من شدة الفرح وقد ذهبت عنها الحزن والترح فطيب قلبها وسكن روعها وقال لها يا ابنة العم لو ملكت عنان البجير ما كانت هذه التعاسير ولا كنت أمنت لاحد من هؤلاء المداهير ولا أسمع كلام مشير ثم سأل عن أخيه شيبوب فاخبره العبيد أنه سار

هو والحارث بن زهير خلف الملك الأسود فى جماعة من الفرسان فلما أن سمع عنتر هذا الخبر عن أخيه شيبوب والحارث وخاف عليهما من الهلاك وكان جواده الابجر قد بات تعبان من كثرة ما قاتل عليه الفرسان فتركه وركب غيره وركض على أثرهم ومعه جماعة من أصحابه إلا أنه ما بعد فى البر الاقفر حتى تذكر ما جرى عليه من الحرب المنكر فأشار ينشد ويقول

كم عرانى الدهر من كل خطب ... أنشب النار فى فؤادى وقلبى
وتوالت حوادث فى فؤادى ... أرعبت صاح كل قرن بضرب
كل يوم مصائب من أناس ... أخلفوا عهدهم بزور وكذب
لا يراعون صاحباً وصديقاً ... لا ولا ينفعون فى وقت كرب
منهمو ابن ظالم وظلوم ... قد تناهى فى القبح من غير ذنب
وأنا قد أجرت من جاء يرجو ... قتلنى مع وقوعة وسط خطب
لم أكن عن الكل بل سرت ... مجداً لهم بقومى وصحبى
كم رمينا لأسود بالرزايا ... فى مقام الاذلال مع كهل نهب
ثم شلت عامر مع لقيط ... ثم جراح صار فى وسط غلب
هل شهدت ياعبلة ليث قتال ... يترك القرن فى الفيافى مسبى
وأنا عنتر الهمام المرجى ... فى حروبى لكل رمح وعضب

قال الراوى فلما سمع الأبطال شعره مدحوه وعلى فعاله شكوره ثم ان عنترا ومن معه افترقوا على أثر فرسانهم إلا أن ماقطعوا من الليل الا القليل حتى التقوا بالقوم والملك الاسود معهم أسير مشدود على بعض الخيل وشيبوب يقود الجواد والحارث بن زهير حوله فناداه عنتر وقال ويلك ما فعلت فقال يا مولاى أخذنا الملك الأسود فقال له كيف صنعت فقال له إنى قطعت الخيل فى طلبه حتى أدركته وضربت قوائم جواده بهذا الحسام عرقبته فوقع على الأرض فركبت صدره وكتفته ولو تعاصى على كنت قتلته وعدنا سالمين كما ترى فأنت ما الذى جرى لك مع القوم فى هذا اليوم فقال عنتر بددت شملهم ولا نجا منهم بطل إلا وهو مثخن بالجراح ثم أنهم عادوا الى الحربم فى تلك البطاح وتباشروا بالنصر والفلاح وأقاموا يريدون الراحة فى ذلك المكان وعنتر قد وكل بالملك الاسود جماعة من العبيد فقال الملك الاسود ويلك ياعنتر مالك فى اعتقالى من الفايدة أطلقنى فى هذه النوبه واتخذنى لك معينا أو صديق فقال له عنتر يا ملك هذا بعقلك تقول كيف أطلقك واخليك تجمع سالما وتجمع على الفرسان فقال له الاسود اسمع يا فارس العرب وحق ذمة العرب

عمرى لأقرب أرضا أنت فيها فقال عنتر ياملك على كل حال أنا عبد لا أقدر أن أفعل شيئا إلا بأمر مولاى الملك قيس وبعد ذلك أريد أن تخبرنى عن الجاث بن ظالم فى أى مكان تاه لأنى ما أراه فى جملة الفرسان فقال له الأسود إن الحارث فارقنا وسار إلى بنى فزارة ليحميهم من سيفك وبنى عمك بعد ذلك فما سمعت له خبر فلما سمع عنتر ذلك المقال من الملك الأسود فزع على بنى عبس وقال فى نفسه إن وصل الحارث إلى بنى فزارة لابد أن يبطش فى قومه وعشيرتى وربما يكون خلص حذيفة وإخوته وظهر على قومنا بسوته وداهيته وفتك فيهم بسطوته لأنى أعلم علما يقينا أنه لم يكن هناك بطل يقوم مقامه وما صلى عنتر بالصباح حتى رحل بالناس ثم جد فى المسير حتى قارب الأطان وأمن على السبي من طوارق الزمان وبات عندهم إلى وقت السحر وسار معرجا على بنى فزارة بعدما أطمأن باره بنظر عبلة ثم جعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول



ودعت من أودعنى فراقها نار اجل فعلها أحراقها
رحلت عنها فؤادى عندها موثوقها فى حفظهم ميثاقها

كم أطلقت سراحـــة منعما ... بتركه مـــأسورة أطلاقها
يا عبلة لو كان الفراق صورة ... تنظرنى ما عملت لسـاقها
ونائبات الدهر لو كان لها ... صـوارم ما هالنى إبراقهـا
يا عبلة أن زعقت غربان الفلا ... مائلة قـــد هدنى إنعاقها
خلقت للحرب العول نقمة ... إذا الجبال أصطدمت عتاقها
وأسود ضوء الجو من غبارها ... وغاب شمس الضحى إشراقها
وأختلفت الطعن باطراف العنا ... وصار فى طى الحشا أطراقها
والمرهفات فى يدى تروى دما ... إذا أشتكت كرب الظما رقاقها
ما ثار فى جو السماء غمامة ... إلا انجلى بصارمى أعباقها
وما حضرت الحرب فى كريهة ... إلا أسلت بالدما آماقها
تنظرنى الفرسان فى يوم الرغا ... باعين شـاخصة أحداقها
وتنثنى وخوفها يخبرها ... أن حسامى غمده أعناقها
تعيب لونى بالسواد فتية ... أقل مافى قولهـا أنفاقها

(قال الراوى) وكان عنتر ينشد هذه الأبيات وأصحابه يطربون من حسن ألفاظه ويتعجبون من صبره على البلوى ثم جد المسير إلى أن وصل إلى بنى عبس فوجدوا الصياح عالى والغبار نامى وبنى فزاره قداوت عليهم من كل جانب لأن العرب التى كاتبها حذيفة وصلت وفى قيس وعشيرته طمعت وكان الحارث فى تلك الساعة مبارز الشداد بن قراد أبو عنتر وقد جرحة لانه أستطال عليه فى ذلك اليوم بزرد سليمانية كملت كل المعانى وعلى رأسه بيضة كسروية وهو متقلد بسيفه ذى الحيات الكامل الصفات وكان لا يحمله إلا عند الملمات وعلى رأسه عمامه حمراء كأنها شقايق النعمان مفروز حتى تعلم الناس أنه الفارس المعلم وتحته جواد أدهم تربية أهل الكرم فخرج اليه شداد وهو يعينه على فعاله فلم يلتفت إلى مقاله بل أنهما حملا على بعضهما ببعض وتقلا تلاعلى جياد الخيل إلى نصف النهار وجرحه الحارث جرحا وثيقا أشرف منه على الدمار وقال الراوى فلما سمع الملك قيس إلى ماتم على شداد علم أن عيشته مع الحارث تنغصت فساق جواده إلى جواد الربيع وقال له نرسل إلى حذيفة ونصالحه فقال الربيع الرأى مانواه وإذا بعنتر قد أشرف عليهم ومعه تلك الفرسان فلما رآه بنو عبس أرتفع صياحهم وتقطعت ظهور أعدائهم بعدما كانوا انتصروا عليهم وقوموا الاسنة واشرفوا على أخذهم هذا وقيس قد تلقاه ودعا له بطول بقاه لان وصوله

اليهم كان مثل وصول الطبيب إلى العليل أو الحق إذا ظهر الأباطيل واستخبره عن المال والعيال فقال سيرته إلى الديار والأطلال مع الاسارى والرجال وأنتم يا ملك ما الذى جرى عليكم من الحارث فانى سمعت أنه طلب لبنى فزارة فحدثه قيس بجميع ما جرى وكيف قتل أخاه وقال يا أبا الفوارس وهو قد جرح أباك شدادا وجرح جماعة كثيرة من الأجواد ثم بكى من خوف الغلبة وانحطاط الرتبة قال الراوى فلما سمع عنتر هذا المقال قال يا ملك لو كنت أنت صالحت فما كنت رضيت أنا بعد هجومه عليك وأشرك وجرح أبى شداد وقتل من ذكرت من الأجواد فبينما هم فى الكلام وإذا بشداد عائد من الميدان مجروح وصياح بنى فزارة عليه قد علا وبما زاد بعنتر البلا واسودت فى عينيه أقطار الفلا وترك أبناءه يسدون جراحه وبرز إلى الحارث فنظره فرحا فى قتاله وعول بحملته على أعلا قيس لأجل الطمع الذى فيهم قد وقع فصاح عنتر عليه ويلك يا ابن الانذال تمهل ولا تعجل فقد دنا منك الأجل فما أسرع ما نسيت الجميل وما أعجل ما خطرت بالخيل ذليل ما فيك مروءة ولا مقبل والله لأقتلنك وأقابلك على غدرك وأتركك تتحسر على ما فات من عمرك وكان الحارث بن ظالم قد نظر إلى بنى عبس مالت إلى عنتر وهى تسلم عليه فبقى بين المصدق والمكذب فى وصوله إلى أن رآه قد طلبه وخاطبه بما خاطبه وبان له الحق عند نظرى فتغيرت أحواله وزادت أهواله وعاد إلى غدره ومحاله وناداه أهلا يا أبا الفوارس والله لقد قلت اضعاف ما قلت وأنا مقصر باليت الأقطار ويا مشبع الأطيار وإننى والله مستحق أكثر مما قلته لأنى ما خليت لى عندك وجها وعلى أننى وحق من خلق الأشياء وأوجدها من عدم لقد ندمت على ما فعلت غاية الندم والذى يعرف قصتى يعذرنى من وجوه عديدة وأنت أخبر بحالى فانى رأيت تويتنى مع النعمان قد انصلحت ومخافتى قد أمنت ففعلت ما فعلت وأطلقت الملك ومن كان معه من الفرسان وظنى أن أحوالكم تنصلح مع النعمان قلت إننى أخفف عنكم فجاءنى الامر بخلاف ما أردت ولما أطلقت الاسارى طلبونى فلولا أنى كنت هربت منهم كانوا قتلونى والسبب فى ذلك أننا لما أخذنا مالكم وعيالكم وقع بيننا هذا المقال وردت أنى أخلى القوم حتى يرقدوا وأقوم اليهم وأضع السيف فيهم وأخلص مالكم وعيالكم فعلم القوم ما فى نيتى ولم تخف عليهم حيلتى فأبعدونى وما كان لى وجه أعود به اليكم فقلت أرجع إلى بنى فزارة وأقاتل معهم وأقيم بينهم إلى أن يصل الملك الأسود إلى أخيه النعمان ويأخذ لى منه الامان والذمام والاحسان وخاب ظنى الآن قد فات ما فات وأنا واقف على قدم الاعتذار إليك لأنى

لأعلم أنى لا أقدر ولا آمن من يهرب من بين يديك ومالى عذر يقبل عندك ولا بدلى من أن أبذل جهدى معك أدافع عن نفسى حتى تكل سواعدى وزندى أقع بعد ذلك تحت حوافر جوادى ولا أعيش ذليلا ولكن أخبرنى عما جرى لك مع الملك الأسود الأبطال الذين كانوا فى الاعتقال فقال عنتر وقد تعجب من حدث الحارث أما الأسود فانه عاد فى الاعتقال وأما أصحابه فنهم جماعة قتلوا وجماعة أسروا ولولا ظلام الليل سترهم كنت أفنيتهم وما رجعت إلى ههنا حتى تخلصت ما كان معهم من الأموال والعيال وسيرل الكل إلى الأوطان (قال الراوى) فلما سمع الحارث من عنتر هذا المقال أظهر الفرح وقال لله درك يافارس البيت الحرام وإنى على فراقك ندمان فهل لك أن تصطنعنى فى هذه المرة حتى أكون لك عبدا على طول الزمن فقال عنتر ويلك ما بقيت آمن اليك ولا أصدقك فى مقالك والأيمان والله لو عرفت أن فيك موضعا للصنيعة لاصطنعتك فقال الحارث أنت تعلم يافارس بنى عبس أن سيفى ذا الحيات أعز عندى من البيت الحرام وإنى إذا فقدته أبقى كالحرمه تخذه منى وأعف عنى فى هذه المرة وإن عدت غدرت فتكون أمى زانية ثم اغمد سيفه ذا الحيات ونقدم لاجل أن يسلمه اليه وعنتر قد حار من مقاله واستحى من ذله وسؤاله وما بقى له يد تمد اليه بل رد سيفه عليه وقال ياحارث أما أنا فقد امنت من جانبى وأما قيس فانه يريد هلاكك وسآخذلك منه الأمان فسر قدامى فعندها سار الحارث بين يديه وحذيفة يناديه ياحارث هل فزعت من قتال هذا المدبر الانذال حتى اتفقت معه بلا قتال فضحك الحارث من هذ المقال والتفت إلى عنتر وقال واحرباه ياأبا الفوارس والله أن معيرة العرب لى وقولهم انك غدار أشد على من الضرب بالسيف البتار والله لا أحضر قدام قيس حتى أبيض وجهى عنده بأسر حذيفة أو قتلة ثم فرك رأس جواده وجذب سيفه ذا الحيات كالبرق وضرب عنتر فى وسط رأسه ضربة قصد بها قتله وهلاكه وكان على رأس عنتر ذلك اليوم بيضة كروية قد خلص بها من الاهوال لانها كانت من خزائن الملك كسرى فقطعها سيف الحارث وقطع البطانة والرفادة والوطاء ونزل فى رأسه شق جبهته وأسال دمه على لحيته ولو لم يكن الحارث فزعان تخبل لقتل عنتر ولما ظهر له ثم الحق من المحال ونظر فعاله خاف أن يرد عليه ضربة ثانية فيقتله فأظهر الجلد وصاح فى الحارث ومد اليه الرمح وأوهمه أن يطعنه فهرب من بين يديه وطلب بنى فزارة والنهار قد ولى والليل قد اقبل وقد قال عنتر ايضا مال طالبا بنى عبس وهو يتمايل على ظهر الجواد من

خيانة الحرث لعنتر



شدة الغيظ والحنق وقوة الضربة والدماء تنحدر على وجهه وكانت بنو عبس قد نظروا ماجرى عليه فحملوا هما عظيما فعند ذلك استقبلوه ونشفوا دمه وأقبل الملك قيس وأخوته يسألونه عن حاله فحدثهم عن الحارث وفعاله ثم قال والله لا أعود عن أمر بنى فزارة وهو يدمدم من شدة الغيظ لأنه قد جرى عليه من الحارث وحذيفه أشد ما جرى من محاله ومقال حذيفة وبات تلك الليلة وهو لا يصدق بالصباح حتى يخرج إلى الحرب والكفاح وباتت بنو فزارة فى أعظم الافراح لان حذيفة تلقاه وشكره على فعاله ثم قال له وحق اللات والعزى والملك الجليل لقد أشفيت الغليل ولو كنت قتلت هذا الشيطان كنت أرحت منه العربان وعدت ورأسه معك على السنان وكنت بقيت وحدك فريد العصر والزمان فقال الحارث يا أبا حجار لا تذكر هذا الجبار ولا تعده من مثل من الابطال الانى بقتال عنترة عارف وما ضربته إلا ضربة خائف وأنا خدعته ووقفت بين يديه وما كان قلبى يامن اليه لاننى ظننت أنه يرق لى فى الكلام وأعطانى الذمام حتى صرت قدامه وأنا أقول الساعة يتمكن منى ويضربنى ولما تصور لى هذا التصوير بطشت به قبل أن يبطش بى على أنى ما ضربته إلا وقد اعدمته حياته وقربت منه وفاته وهو على كل حال أسد لا يقابل وإن طال بيننا المطال قتله أو قتلنى قدام الأبطال وما أقول أنه يموت بهذه الضربة وما زالوا كذلك حتى أصبح الصباح الضاحك فعندها تواثبت الابطال إلى صواهلها وجردت صوارمها وشرعت ذوابلها وكان أول من

يبرز إلى الميدان فارس الوقت والزمان عنتر بن شداد وهو يصول ويجول وينشد ويقول

قسما بالنقع فى يوم النزال والدجا من قسطل فى الحرب عال
لادفعت الحرب عن معركة بعضها للبعض فى الميدان عال
مدلهم لا ترى العين به ضوء شمس لا ولا نور الهلال
لا هنى العيش يوما وصفا لا ولا أمسيت ذا عزم مطال
أن رجعت اليوم فى هذا الوغا عن نزال ومجال وقتــال
دون أن أبقى صريعا فى الوغا ثاويا بين أحافف الرماله
أو أخلى الحارث الغدار فى مهمة الغـــبراء رزقا للسعاله
إننى أنا عنتر فى يوم الوغا إننى سم العدا يوم النزال
أركب الأبجر فى هيجانها وأخوض الحرب بالبيض الصقاله
أغمد الظامى بها مات العدا وفعالى فعل فعل أولاد الحلاله
فابرزوا نحوى تلاقوا بطلا يسعر الهيجاء منه باشتمال
كم هام قد غدا من صارمى عافر الخدين فى القفر الخواله
تنهش الأطيار منه لحمه بين طير وذئب فى الرماله
وإذا ما جاءنى مستصرخا قلت لبيك إذا رام سؤال
أبذل المهجة فى حاجته وأبلغــه ما أنا بفعالى
وأنا عنتر أسمو بابى وبأعمامى ولا أسمو بخال

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره تعجب الطوائف من فصاحته وكان على رأسه العقائب والرفايد لأجل الضربه المتقدم ذكرنا وفوق الكل بيضه كسروية ثم نادى يا بنى فزارة ابرزوا وإياكم والخداع من المحتال فى مقام الحرب حتى أريه عاقبة محاله ولا يظن الخبيث أن ضربته جلبت لى مضرة وما فعلت ذلك إلا لأجل أنى لا أبقى منكم أحد من بنى مره وأنا وحق الواحد الاحد قد عولت أن أترك الكل رميم فلما نظرت فزاره إلى صورة عنتر وسمعت منه هذا المقال ساءت بهم الأحوال وتقطعت ظهورهم فى الحال هذا وحذيفة قد طلب الحارث بن ظالم لأجل أن يشاوره فى أمر القتال فقيل له أنه هرب ومعه عشرة فوارس من فتاك العرب وكان الحارث يعلم أن الضربة ما بالبها عنتر وإنه عند الصباح يخرج إلى الميدان ويطلب قتاله بين الفرسان ويحتاج أن يخرج إلى نزاله فصبر إلى أن اختلط الظلام ورقدت الأنام وتشاور مع عشرة من جهال الأبطال وهم يقاربونه فى الحيلة والمحال ثم انه

ساق قطعة جديدة من نوق بنى فزارة وجمالهم وقصد مكة وأما حذيفة فإنه لما طلبه ولم يجده تحير فى أمره وقال لعن الله الحارث ولا سلمه فى طريقه لأنه لا يرعى حق رفيقه وأنا أعلم أنه ما هرب الا فزعا من عنتر لأنه جرحه بالمحال والخداع وهرب خوفا من حربه والفزاع * هذا وعنتر منتظر الحارث متى يبرز اليه ويشفى قلبه بهلاكه لأنه خائف أن يغدر بهم ثم أنه أنفذ إلى عنتر وأعلمه بهذا الحال فقضى عنتر البراز والطعن والجلاد فى صدور السادات بالانجاز وعاد عند المساء وقد حير أفهامهم وزلزل أقدامهم ونكس رؤسهم وأعلامهم وباتوا وهم خائفون من عنتر ويحسبون حساب الحارث وما فيهم من وقع له على خبر فقال عنتر بن شداد وحق من أنبع الماء من الصخر الجلمود وأهلك قوم عاد وثمود لا بد أن أنهب أرواح بنى فزارة بأطراف القنا وأبلغ منهم المنا ليظهر للحارث ما أراد من خبثه والعناد فقال الملك قيس يا أبا الفوارس كلنا نتبعك وإن حملت حملنا معك لأننا اليوم قصرنا وصبرنا احترازا على العشيرة من هذا الشيطان الذى خدعك فقال لهم عنتر وذمة العرب ما أظن الحارث إلا هرب خوفا من العطب لأنه لما علم أنى سالم ما قدر أن يقيم ثم أنهم أقاموا إلى الصباح وركبوا إلى الحرب والكفاح وحملوا على بعضهم البعض والتحم القتال ووقع الطعن بالسمر العوال والسيوف الصقال وقد ألهب عنتر بنى فزارة بالطعان وأسقاهم الحمام ورماهم إلى المضارب والخيام * هذا ولم يزل الحرب بينهم ثلاثة أيام وهم فى طعان يشيب الأطفال قبل العظام إلى أن كان فى اليوم الرابع تفرقت الفرسان الذين كانوا قد اجتمعوا لنصرة حذيفة وما فيهم إلا من طلب أطلاله وفزع من عنتر وقتاله وحربه ونزاله وبعد ذلك ذلت بنو فزارة وفزعت نساؤها والعيال وتعلقوا برؤس الجبال وأخذت بنى عبس أموالهم ونياقهم وجمالهم ودنت بنو عبس إلى مواضعهم وفيها نزلت واحتاطوا ببنى فزارة من جميع المواضع ومسكوا عليهم رؤس المقاطع وحلف عنتر أنه لا يبقى منهم كبير ولا صغيرا ولا ناطقا ولا سامع ودام الأمر كذلك عشرة أيام وضاقت الأرض على بنى فزارة غاية الضيق وتخلى عنهم الصديق والرفيق وصاروا يوقدون فى الليل والنهار على رؤس الجبال ويحرسون أنفسهم بين التلال وفى النهار يترجل حذيفه وأخوته وأبطاله وعشيرته ويمسكون الطرق ويدافعون على أنفسهم بالمشرفيات والبوارق وقد أيقنوا بالبلاء الطارق ومن شدة ما جرى على قلب حذيفة من الهم والضرر جمع اليه قومه فى اليوم الحادى عشر وقال لهم اعلموا يا بنى عمى أن عنتر ما بقى يرحل عنا إلا بالقتل والفناء فقاتلوا الأعداء وأبذلوا الأرواح وبيعوا الأنفس بيع

السماح ولا تختاروا الحياة على الحمام وتخلوا أنفسكم حديثاً بين الشام ومازال ينخيهم بالمحال حتى هانت عليهم النفوس وتخففوا من الملبوس وركبوا ظهور العربيات والجياد واستولوا اقطع الرماح المدادوانحدروا مـ رؤس الشعاب والوهاد والحريم خلفهم يعلنون بالبكاء والانتحاب ومعهم العبيد والأنجاب إلى المكان الذى فيه الحرب والجلاد إلا أن الملك قيس نظر إلى بنى فزارة وقد فعلت تلك الفعلة ورأى حذيفة وأخوته منحدرين من الجبال والكل مشكوفون الرؤس وهم ينادون بالثارات فلما رآهم قيس عرف مقصودهم وعلم أنه قدزادت بهم الحرارة فقال الملك قيس لعنتر ولبنى عبس يابنى عبس بحق الرب العظيم اقبلوا منى واخرجوا بين أيديهم حتى يطمعوا فيكم ويصيروا معنا فى الصحراء ثم نعود عليهم فنبلغ منهم المنا ونهب أرواحهم بالصوارم والقنا ثم أنه لوى عنان جواده وعاد وتبعه عنتر بن شداد ونظرت بقية الفرسان إلى الأعلام وقد مات فلوت رؤس خليلها ورجعت (قال الراوى) فعندها فرحت بذلك بنو فزارة وطمعت وعلت أصواتها وارتفعت وركضت خيلها فى البرفى اثر بنى عبس وطلع الغبار حتى حجب شعاع الشمس وتقاتلوا على وجه الأرض وماجوا فى طولها والعرض ونادى حذيفة يابنى على ابذلوا الصوارم فى العدا ولا تبقوا منهم أحدوهنالك عادت بنو عبس وملكها قيس وحاميها عنتر وخلفه الفرسان الأجواد ثم تبادوا بالآباء والأجداد ووقع الاتصال بعد الانفصال وتصادمت الرجال وجاء الحق وزهق المحال وقربت الرجال وقصرت الآجال الطوال وضاق وهنالك المحال وقل القيل والقال وتكردست الصافنات الاصائل وصاب الفارس العود وشلت اليمين والشمال وسدت المذاهب فلم تعرف السهول من الجبال وارتفع الغبار كالليال وشمرت الحرب عن ساق وسربال وصال الشجاع فى سرجه ومال وأيقن الجنان بالموت والخيال وجرى الدم وسال وشابت من هول ذلك اليوم ذوائب الأطفال فبينما هم كذلك واذا بغبرة مثل الغمام قد ملأت الربا والآكام فوقف الفريقان وكفوا أيديهما عن القتال وهم يظنون أنها غبرة الحارث بن ظالم عادومعه جماعة من أهل العناد والمظالم هذا وقد دام الغبار ساعة من النهار وانكشف للابصار وظهر من تحته قبيلة حجازية كأنها مر شدة مسير نجوم مضيئة وفرسان دكية وعليهم الأبراد اليمانية وعلى رؤسهم عمائم تحزكوفيه وهم مقبلون إقبال الاسود الجربة متقلدين صوارم هندية معتقلين برماح خطية ولهم وجوه كأنها كواكب درية وحولهم عبيد بأيديهم حراب يمنية كأنها الاسود الجرية إلى أن قربوا من الصفين وصاحوا ياللعرب اغمدوا سيوف العطب عن العقم فقد أزعجتم

سادات الحرم وهذا سيد الحطيم وزمزم عبد المطلب بن هاشم فامهلوا بعضكم واسمعوا مايقول ولا تعصوا له أمرا فانه بالأمور أدرى قال الراوى فلما سمع الفريقين هذا المقال بعد بعضهم عن بعض وعفوا عن القتال فوقف الأبطال من هيبته وعلو مرتبته فتقدم عبد الملك وشملته الهيبة والوقار ولمعت بين عينيه الأنوار وكان عن يمينه ولده عبدالله والدسيدنا محمد ﷺ وعن شماله أبو طالب والد سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه ثم أنه طالع على أعلى الربا ونادى بصوت يسمعه الأقصى والأدنى وكان أول كلام ذكر رب الأرض والسماء وقال الحمد لرب زمزم ومنى وخالق جبل قيس وحرا المستوجب الحمد والثنا قهر العباد بالموت والفنا وتفرد بالدوام والبقاء وتنزه عن البنات والأبناء وتعالى عن الصفات والحركات والسكنى ثم حمى فى الكلام وأسفر عن وجهه اللثام وترك فاضل عمامته على كتفيه وأوما إلى القبائل بيديه وصاح بصوته وقال يابنى عدنان ماسكم أشملتم بأرواحكم الأعداء وعدلتم عن طريق الاستواء وأصبحتم فى وسط هذا البر والفلا فما هذه المصايب التى قد اختلست عقولكم وأخذت البابكم وأزالت عن طريق الحق والصواب أقدامكم يا قوم احفظوا الأرواح فلعل أن يعقب فسادكم صلاح ولا تختاروا الفناء على البقاء ولا تبذلوا أوقات النعيم ولا سيما هذه أوقات ظهور سيد السادات وصفوة الأنام وبدر التمام ومصباح الظلام فكانكم وقد استقام وطلعت الشمس شريعة على طريا الارشاد والايمان وعبادة مكون الأكوان وخالق الإنس والجان العظيم السلطان الذى مالعرشه أركان وحد ولا مكان ولا دعايم ولا حيطان فتبارك الله الرحمن الرحيم فاستيقظوا لأرواحكم يابنى عدنان فلعلكم أن تدركو ذلك الزمان وتقاتلوا بين يديه الشر والعدوان واجتنبوا الغدر يابنى بدر واحملوا كالى جيرانكم إذا هم جهوا وإن جاروا عليكم فاعدلوا ولغير فارسكم وابن عمكم لاتستبدلوا فان منازل العلا إلا بالاحتمال ودرج الفجر لاترتقى إلا بالصبر على الشقاء ومازال عبد المطلب يصيح فساد القلوب بكلامه حتى ترجلت سادات القبيلتين بين يديه وكان أول من بادر اليه من الأمراء حذيفة بن بدر وهو لايصدق بصلاح الحال لانه أشرف على الهلاك والوبال فارخى عمامته على مناكبه ثم بكى وبكت اخوته ومافيهم إلا من شكى حاله ومن قتل من أبطاله وتقدم بعده الملك قيس بن زهير وحيا الشيخ عبد المطلب وقال له بعد مادعا له وأثنى عليه ياسيد الحرم وصاحب الحطيم وزمزم العظيم من نسل معد بن عدنن لانسمع لهذا الضلال مقال فان مصائبه

ودواهيه لاتستقال ثم شرح له قتل الأطفال وكيف تركهم عدفا للقتال وسبي النساء والعيال فقال عبد المطلب ياقيس أما أنا فقدسمعت الحديث عنكم في البيت الحرام من الأول إلى الآخر على الكمال والتمام ولأجل ذلك أتيت بهؤلاء الرجال لأني تأسفت على فرسانكم كيف تلفت أرواحهم وهم أركان معدوعدنان وأنتم سادات الزمان والآن مضى مامضى وفات هذا الأمر وانقضى لأن الآجال مافيها احتيال. والأعمار لها حدود وآجال والصواب عندي أنكم تحقنون دم من بقي منكم في قيد الحياة تأسفوا على من مضى وقد أمسى طريحا في البيداء والفلا وخلف أولاده ونساه ولا تركبوا طريق اللجاج شمت بكم القريب والبعيد وتبدلوا أولادكم عبيد ثم أنه دعاهم إلى الصلح فاجابوه وأقروا باجمعهم بذنبهم واعترفوا بذلك وتحالفوا وتعاهدوا على يد الشيخ عبد المطلب بانهم لا يعودون إلى الحرب ولا القتال وأطلقوا ما كان عندهم من الأسارى وفرح بذلك جميع النساء والأمارى ثم أمر حذيفة عبيده أن يطفوا الارض من جيف القتلى ويخفوهم تحت أطباق الثرى وضربت الخيام ونصبت الصناجق المطابخ والاعلام وفي دون ساعة قدم الطعام ونزل عبد المطلب وأولاده ومشايخ البيت الحرام واجتمعت سادات القبيلين وأبطال الحلتين وأكلوا حتى امتلئوا وبعد الطعام قدموا كاسات المدام ودارت على الجميع الاقداح وتبدلت أحزان أفراح ثم قضوا بنو فزارة وقتهم مع عبد المطلب بن هاشم وأولاده وجماعته الا كارم في أكل طعام وشرب مدام مدة ثلاثة أيام يتمنى الانسان أن يراها في المنام وبعد ذلك إلى منادمه عنتر لاية رآه فصيح اللسان عارفا بلغات العرب فاخذ معه مناشدة أشعار فصحاء الزمان قال الراوي فلما رآه الشيخ عبد المطلب بطيب الاخلاق على المدام جيد الحديث لذيذ الكلام وكان سمع صفات شجاعته في البيت الحرام واجتمع به ورآه فوق الابصار هنالك يتكلم فيه عدوه بما يليق فيناه عن ذلك ويقول له لاتتحدث فيمن كان أفضل من البخيل اللئيم ولما انقضت ولائم بني فزاره وأراد عبد المطلب الانصراف حلف عليه الملك قيس بن زهير أن يزوره في اطلاله ليبالغ في اكرامه واجلاله حتى تنال عبس من كرامات أقدامه فاجاب إلى ذلك وأخذ معه حذيفة بن بدر وأمر بني فزارة بالرحيل إلى أطلالهم وكان عبد المطلب طيب الاخلاق طاهر الاعراق فلما رآه الملك قيس قد أجاب فرح فرحا شديدا تاما وأمر اخواته بالمسير قدامه وأن ينحروا الاغنام وكذلك الفصلان ويصنعوا وليمة عظيمة لاهل البيت والحرم وأحضرت الكاسات وروقوا الخمر الصافي وانغمس

القوم فى بحار الطرب والصفا وماج البر بالصباح وراق لهم الزمان وصفا وزال من بينهم الجفا وسأل حذيفة بن بدر للملك قيس فى خلاص الملك الأسود فاجابه إلى ماسال واستشار عبد المطلب فى أمره فقال له الصواب أن تحل عقاله وتحضره حتى نصلح بينكم وبينه واتركوه يكون هو الرسول إلى أخيه الملك النعمان فى اصلاح هذا الشان لانه الملك النعمان على كل حال ملك من ملوك الزمان وله الحكم على سائر العربان وأن الرب الكريم ما جعل أحدا ملكا أو سلطان الا وجعل فيه سرا لا يقف إليه أنسان ولو لم تكن الكفاية من رب السماء والأرض ما ارتفعت منازل بعضنا على بعض على اننا كلنا من أولاد آدم وحواء قال الراوى فلما سمع حذيفة وقيس إلى قوله انفذ قيس جماعة عن أصحابه وخواصة إلى الملك الأسود فحلوه من عقاله وخلعوا عليه الخلع التى تصلح لامثاله واركبوه جوادا سابقا وأتوا به إلى المجلس فلما رأوه مقبلا قاموا له إجلال لقدره والقوه بالرحب والسعة والكرا ودوا اعتذروا اليه من كل ما جرى عليه وأخذه عبد المطلب إلى جانبة وهناه بالسلامة وأكرمه غاية الكرم وأحضر له الطعام والمدام فاكل حتى أكتفى وشرب حتى امتلا وتجاوبا فى كلام والملام وكان آخر ماقال الشيخ عبد المطلب أعلم أيها الملك أن هذا الخلق ماخلقه رب السماء سدا ولا بد للعبد أن يجازى على الظلم والاعتدا وأخوك اليوم ملك العرب وملك العراق وهو نائب كسرى أبو شروان والأمور بها تقام لانه اسان الملك وسيفه ويجب عليه أن تصلح فساد الخلق والقبائل ولا يفعل فعال الجاهل فيكون الرب له عن الظلم سائل وقد رأيت من الصواب أنك تعود إلى حضرة أخيك الملك وتنهاه عن البغى والعدوان وتشير عليه أنه لا يقطع ما بينه وبين بنى عبس من النسب المصان قال الراوى فعندها قال قيس للملك الاسود أيها السيد كل هذه الحوادث كانت لاجل الحارث ولآن انفصل الأمر والحارث هرب من هذه الديار وأنا أحمل أخى أن يكف شره عن هؤلاء القوم واملا مسامحه عتابا ولوم ولا أدع إلا من ياتى باصلاح ثم شربوا حتى سكر كل واحد منهم وانتشى إلى كملت أيام الضيافة والصفا فطلب عبد المطلب العودة إلى البيت الحرام وزمزم والمقام فاجابوه إلى ذلك وأراد الملك قيس أن يخلع عليه وعلى من معه من أبطاله ويقود الجنائب بين يديه ورجاله ويتقرب اليه بالتحف والمال فلم يقبل عبد المطلب ذلك السؤال ولم يأخذ منهم هديه ولم يقبل من القوم جملا ولا مطية ثم قال أعلم يا قيس انى ما أتيت اليكم فى طلب الاموال وانما أتيت فى إصلاح الحال وحقن دماء الأبطال وأمن قلوب النساء والرجال والعيال وكل من كان يعلم أن خيل المنايا خلفة تسير يقنع من دنياه باليسير ثم أنه هم

بالمسير وتحركت معه للوادع سادات بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وسار معهم الملك الأسود قليلا ثم سار طالبا أرض العراق وأما عبدالمطلب فانه صار ذلك اليوم ومعه سادات القبيلتين فلما كان صبيحة اليوم الثانى جمع بين قيس وبين حذيفة بن بدر وأخذ عليهم العهود والمواثيق بالصلح وأشهد عليهم مشايخ القبيلتين وسار يقطع البيداء وعاد كل واحد منهم يطلب دياره حتى وصل اليها وقر قراره وعنتر بن شداد رجع وفى قلبه لهيب النار على الحارث ابن ظالم لاجل ذلك الجرح الذى جرحه له بين العالم وبقى يترقب أخباره ويسأل كل من يراه عن آثاره قال الراوى فهذا ما كان من عنتر بن شداد وأما ما كان من الحارث فانه لما هرب تلك الليلة المذكورة فلم يجد له ملجأ إلا مكة والبيت الحرام لأن فيها يامن كل خائف ومضام وأنه سار حتى دخلها ليلا وامن على نفسه واطمأن على روحه ثم أنه انتسب إلى مرة بن لؤى بن فهر بن مالك وعلم أنه أخطا أولا بنزوله على بنى عبس فانشد يقول صلوات الله على الرسول

أعادر ربعنا من بعد سلمى	ومسكها من الدنيا ثيابا ثيابا
وقطع هجرها قلبى وأنى	لجمت بخالد حقا كلابا
أن الاخوصين توليساها	وقد غضبا على وما أصابا
فما قومى بثعلبة بن سعد	وليس فزارة للسعد آبا
قومى أن ساقت بنى لؤى	وكان التاج مقصورة عليهم
إذ وردوا والقاهم عقابا	فلا والله لم أكسب أثاما
ولا والله لم أهتك حجابا	أقبا للكتائب كل يوم
صدور السمهرية والحرابا	

(قال الراوى) وأما الحارث فى مكة وأما عنتر بن شداد فانه كما ذكرنا فلم يسال عنه وعن أخباره ففى يوم من بعض الأيام مر به رجل من مكة وكان مرزها بنى عبس وما كان ينقطع عن البيت الحرام وهو منعكف على عبادة الأصنام فسأله عنتر على الحارث بن ظالم فقال يا حامية عبس رأيته فى الحرام مقيم وهو يأكل ويشرب وينهب من أموال العرب وفى قلبه منك نار تلتهب ولكن يا الفوارس رأيت منه مالم أره من الامم ولا ممن مضى وتقدم فقال له عنتر وما الذى رأيت منه أخبرنى به والله الأيت يا بن العم أنه كان فى بعض الاوقات يمشى حول البيت الحرام وعلى كتفه ذو الحيات فنظر اليه رجل يقال عمرو بن الأطنابه الخزرجى وهو معجب بنفسه فسأل عنه فقيل له الحارث بن ظالم فقال اليثربى هذا الحارث بن ظالم هذا الذى قتل خالد بن جعفر فلما سمع مقاله التفت اليه مغضبا ثم قال يا وجه العرب الك من الفرسان فقال الرجل أنا عمرو بن الأطنابه ويثرب بلدى ما الذى تريد يسؤالك منى يا مسكين فقال إنك عيرتنى بقتل خالد أن لقيتنى يا حارث لقيت المنايا خفقه

وبقيت الوحش والطير رزقام لوى عنان جواده مغضبا واستقبل الحارث وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول .

علاني بـــذلتي ياأخيا ⠀⠀ وأسقياني من المـــدامة ريا
واسمعان القيان يعزفن بالدفو ⠀⠀ ف لقينـــا وعيشان رخيا
حين يجلين عنــدنا كل بــدر ⠀⠀ وعريسا جمـــاله فارسيا
بسموط المرجان حقا وبالدر ⠀⠀ فيا حسن جليهن حليـــا
يتمايلن فى الحـــرير ويحشين ⠀⠀ داخل الشعر صاح مسكا ذكيا
أنا من معشر ولاخـــر ينظمن ⠀⠀ بتيجانهن فخـــرا جليـــا
نسب مشرق على آل قحطان ⠀⠀ صـــاه مشعشعا خزرجيا
فارس طائع له الرمح والسيف ⠀⠀ إذا كانت الرماح عصيا
ومعيني وصاحبي فى الرزايا ⠀⠀ صارم قـــد الفته مشرفيا
بلغ الحارث بن ظالم بالوعـــد ⠀⠀ وبالقرن بالجنان جريا
انما يقتل النيام ولا يقتل ⠀⠀ يقظان إذا سلاح كميا
أى شىء فعلت حتى ترى ⠀⠀ العجب طباعا قد جئت شيئا فريا

(قال الراوى) ثم أنهما افترقا والحارث بن ظلم يغلى صدره حقدا ولو لم يقدر أن يمد يده اليه بسوء أبدا لاجل الموسم والحرم ثم ترك عليه الارصاد حتى خرج من مكة والى يثرب عادة تبعه إلى أن وصل عمرو إلى منزله وصبر إلى أن انسدل الظلام فاتى وقرع عليه الباب فأشرف عمرو عليه وقال من بالباب فقال رجل مستصرخ بك فقال أجرتك وذمة العرب فقال أن كنت أجرتنى فلا تخرج الا وأنت غائص فى شكتك محترز بلامتك وعجل فانك أن ترانيت فات الأمر ونفذ القضا بالرغم لا بالرضا فاخذ عمرو الجواد وهو يقول أجرتك فتعلقت به زوجته وقالت له انى أشم رائحة الدم من هذا الصوت فجذب نفسه منها ولم يلتفت إلى مقالها وخرج اليه وسار حتى خرجا من نخيل يثرب ثم انعطف عليه وقال له ياعمرو ها أنا الحارث بن ظالم وقد قلت لى اننى ما اقتل الا النائم وما أنت بقظان غائص فى سلاحك راكب على حصانك خذ الآن لنفسك الحذر فلابد من قتلك فتعجب عمرو من قوة جنانه قال الراوى فعند ذلك هز رمحه الأسمر وقال والله يا ابن ظالم لقد أنصفت ثم حمل عليه فالتقاه الحارث اصطدما وما جا تحت أذيال الدجا وتقاربا حتى غاب منهما الرجا وانزعجا حتى بان البرضيق وحرجا ودام بينهما القتال حتى مضى أكثر الليل مدرجا ثم وقف كل واحد منهما عن صاحبه وعرف

الحارث بن ظالم أن عمرو بطل صميدع مطمع ما فيه فعاد إلى مكره وخداعه وقال له يا عمرو ما قولك فى الإقالة ترك القتال لأنى ما طلبت معك ذلك إلا لاجل الكلام الذى سمعته منك فى البيت الحرام وكان ظنى أنى أقدر عليك وعلى أسرك ثم أطلقك بعد أن تقر لى بالفروسية والآن قد انقطعت منك آمالى وتعبت أوصالى ومابينناذم يطالب به بعضنا البعض ولا أريد أن تبقى مثلا فى الارض فاغمد سيفك حتى أغمد أنا الآخر سيفى واقضى شهوتك وأقضى شهوتى وأسمع كلامى لأنى كنت سمعت منك شعراً فى البيت الحرام وأردت أن أجيبك على عروضه فاسمع نثرى والنظام ثم أنه أشار اليه وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

علّلانى وعــللا صاحبيا ... قبل أن تعظم الأمور عليا
قبل أن تطمع العواذل حقا ... إذ ترانى إلى الملام صغيا
ما أبالى إذا اصطحبت ثلاثا ... أرشيدا يدعوننى أم غويا
من دم الكرم لم تزل تجتليها ... فى الاباريق بكرة وعشيا
غير أنى ما خشيت لله عهدا ... فى حياتى ولا أخون صفيا
بلغتنى مقالة من حســود ... مكنت فى الفؤاد داء دويا
أنما أقتل النيام ولا أقتل ... يقظان ذا سلاح كميا
فقطعت القفار فوق جواد ... أدهم يشبه الظلام الدجيا
طالب العلا باسر غلام ... يثربى لا ينظر الرشد غيا
زرته والظلام قد مد ساقيه ... يخف يسعى بكاس الثريا
ثم نادته فاسرح كالليث ... ولى لما رآنى وحيا
فارس ترجف الفوارس إذا ... هو حساما وذيلا سمهريا

(قال الاصمعى) فلما سمع عمرو آخر هذه الابيات تعجب من فصاحته واستحى منه كيف مدحه وقال مثل هذا الفارس يجب أن يكون صديقا فنزل عن جواده وسعى اليه ليعانقه ويأكل معه خبزا وملحا فلما رآه قاصدا اليه فتح ذراعيه وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره فرماه فى الارض قتيلا ثم ثنى عليه بسيفه ذى الحيات فقده نصفين ثم نزل اليه وأخذ سلبه وتركه ملقحا فى الفلاة ورجع إلى مكة يا أبا الفوارس قال الراوى فلما سمع عنتر هذا الكلام زادت نيرانه اضطرام ثم قال آه عليك يا ابن الملعونة والله لاجهدن فى قتلك وأريح العرب منك ثم أنه ترك عليه العيون والارصاد وأما الحارث فإنه باع سلبه

عمرو وشرب به الخمر فاخفى الأمر على أهل عمرو لانه كان لعمرو فى مكة قرابة وأصحاب أجواد وضعوا على الحارث اليون والارصاد فعلم الحارث بذلك فصار لا يفارق مكة طرفة عين حتى علم أن عبد المطلب سار إلى أرض بنى عبس وأصلح بين بنى فزارة وبين بنى عبس وأطلق الملك الأسود وتوجه إلى أرض العراق فقال ما بقى إلا رواحى اليه وأدخل عليه ثم انه غيرزيه وخرج عن مكة فى الظلام وسار على غير طريق ليالى وأيام حتى وصل إلى الحيرة وانظر فرأى النعمان قد جمع قبائل كثيرة وعول على غزو بنى عبس وعدنان وأن يقطع اثارهم ويخرب ديارهم لاجل ما فعلوا فى حقه (قال الراوى) ثم ان الملك الاسود لما تخلص من بنى عبس سار فى البرارى والقفار إلى أن وصل إلى أرض العراق ودخل على أخيه فلما رآه فرح بخلاصه وسأله عما جرى من بنى عبس وعدنان فاخبر أخاه بما جرى وكيف كان وكيف اعاده عنتر إلى الاعتقال ولولا السيد عبد المطلب كان السبب فى خلاصى وإلا كنت الآن فى الشد والاعتقال قال الراوى فلما سمع الملك النعمان ذلك الكلام زاد به الغيظ وحلف وشدد فى الإيمان لابد من مسيره إلى عبس وعدنان وجمع القبايل والفرسان وعزم على المسير إلى فعند ذلك قال أخوه الملك الاسود اعلم ياأخى أننا إذا لم يكن معنا فارس يلقاه وإلا فما بلغنا منه آمال فعند ذلك قال الملك النعمان ومن أين نجد فارسا يلقاه فقال له أخوه ماله ياأخى إلا الحارث لانه لا يساويه فى الفروسية والشجاعة وفى المكر والخداعة ثم أنه أخبره كيف كسر بنى عبس الابطال وجرح عنتر بن شداد فى المجال فقال الملك النعمان وأين نجد الحارث بن ظالم فقال أخوه الملك الاسود أنا أرسل وراءه وأحضره بين يديك وإذا حضر تعطيه الأمان فانه يقتل عنتر بن شداد وما نجد أحد سواه وأنا الضامن لك ايها الملك السعيد انه يقتله (قال الاصمعى) راوى هذا الكلام فلما سمع الملك النعمان من أخيه هذا الكلام قال له أرسل خلفه وإذا حضر أمناه على نفسه قال الراوى ثم ان الملك النعمان قام يجمع القبائل والفرسان فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما جرى لهم من الامر والشأن وأما ما كان من الحارث بن ظالم فانه ما زال سائرا إلى أن دخل على الملك الاسود فى جنح الظلام والناس نيام فلما رآه الاسود فرح به واستبشر بقدومه وانشرح وأخبره أنه أنه كان يرسل وراءه فهابا وقال انه جرى حديثك بينى وبين أخى النعمان وقد ضمنت عنك لاخى الملك النعمان هلاك عنتر بن شداد وقلع بنى عبس وعدنا فقال الحارث يامولاى أضمن عنى لاخيك جميع ما يصعب على الفرسان وقتل

من أراد من الاعيان لانه إذا كان ظهرى مثل النعمان التقى قبائل البرجميعا والعربان فقال الأسود أنا غدا أدخل عليه وآخذلك منه الأمان ويغمرك بالاحسان ويقدمك على سائر العربان وبعد هلاك عنتر تسود على ملوك الزمان ثم قدم له الطعام وقضى معه بعض الليل بشرب المدام ويحدثه كيف خدع عنتر وجرحه وما جرى له مع عمرو بن الاطنابة الخزرجى وكيف خدعه وقتله والاسود يتعجب من حديثه ثم باتوا إلى الصباح فأراد الاسود أن يركب وإذا برسول أخيه النعمان قادم عليه واستأذن فى الدخول عليه فاذن له فدخل وقال له الملك النعمان قد باكر الرواح وحن إلى الاصطباح وقد جمع ملوك العرب ونادى بالمسير إلى بنى عبس وقد قبل وأيك فلما سمع الاسود هذا الكلام قال الرسول أرجع إلى أخى وقل له انه قد أتاه ضيف وهو فزعان فان أراد ان أحضر دعوته يعطينى على ضيفى الامان فرجع الرسول إلى النعمان وعاد اليه بما قاله أخوه الاسود فاعطاه خاتم الامام فرجع إلى الاسود وقال له يامولاى سر أنت وضفك هذا خاتم الامان ففرح الملك الاسود لذلك وأخبر الحارث بما جرى وأخذه وسار إلى حضرة النعمان ودخل عليه والمجلس محتفل بالامراء والفرسان فلما وقعت على العين قبل الحارث الارض ثم قبل يد النعمان ودعا له بالعزة ورفعة الشأن ثم شكا اليه ماقاسى من خوفه فأمنه الملك النعمان لأجل حضوره وفى قلبه منه الغش والغليل لأجل قتل ولده شرحبيل ثم جلس إلى جانب الاسود وأكل معه الطعام ودارت عليهم كاسات المدام وجرى حديث الفرسان وسأل النعمان الاسود عن حرب بنى فرارة فاورد عليهم كل ما جرى بينهم فقال على ماجرى له من العجائب ومن أهلك من الفرسان بقتاله وما عمل مع عنتر من خدعه ومكره فقال النعمان أما احتيال الرجال عند الغلبة فهو من الفروسية فما يسمى صاحبها شجاع فلما سمع الحاضرون هذا المقال صدقوا الملك النعمان فيما قال ومافيهم إلا من ذكر ما فيه الشجاعة وما عنده من الاحتيال ولم يزالو على ذلك الحال وفى تلك الأمور حتى وصلت النوبة إلى الحارث فاراد النعمان ان يسمع حديثه من فمه فى ذلك المقام فقال ياحارث قال لبيك يامولاى قال حدثنا هل رجعت قط عن فارس وأنت مغلوب وغدرته وانزلت به المكروب فقال بلى والله ياملك الزمان هذا الا مرجرى لى عند رجوعى من بنى فزارة فى هذا الاوان فقال النعمان هل يمكن أن تحطنا لشىء من شجاعتك وغدرك فى هذه الساعة فقال الحارث بلى ياملك الزمان ولكن أريد أن تخلى لى سمعك أنت والحاضرون حتى احدثكم بحديث ماطرق الأسماع أطرب منه لانى الاولين

ولا فى الاخرين وذلك أنى أخبركم عن الفرسان والشجعان المشهورين والحراميه الغدارين فقال النعمان ياحارث فكم عددهم عندك فقال ياملك أن الفرسان المتصفين من أسفهم سبعة والغدارين سبعه فقال النعمان فمن هم ياحارث فقال ياملك أما الشجعان الموصوفون بترك الغدر والاسراف فهم دريد بن الصمة الجسمى وسبيع بن الحارث الحميرى وعمرو بن معد يكرب الزبيدى وملاعب الاسنة وغشم بن مالك العمرى وحجاز بن عامر الكندى وعنتر بن شداد العبسى وسكت فقال النعمان ومن هو السابع فسكت فقال النعمان أنت ياحارث هو فقال نعم فقال النعمان ومن هم الغدارين فقال الحارث منهم الندموس بن ماجد ومرة بن عبد العزى وجرير بن مبادر ووزر بن جابر وفارس بن أوس وعمرو بن كلب القضاعى ثم سكت فقال النعمان أنت السابع فقال نعم فقال له شجاعتك عرفنا ولكن ما عرفنا غدرك فاخبرنا ما عملت من المغادر المكائد فى دنياك فقال يا مولاى أنا قصتى عجيبة يطرب منها كنت لما حصل ر مع أخيك ما حصل من الكياد ورحت إلى بنى فزارة ولقد لقيت هنالك عنتر بن شداد وقابلته فرأيته أسداً جسورا فخدعته حتى أنى أقتله وأضربه بالسيف فجاءت الضربة خفيفة لطول عمره لكنى جرحته جرحا بالغ وخفت أقيم فيخرج يطلبنى فما أقدر أتخلف عنه وإن نزلت اليه فلا أعلم ما يجرى على منه فاخذت معى عشرة من قومى وافقنى مرة مافيهم إلا من وافقنى كدامرة وقصدنا الغارة على أموال بنى فزارة مافى أقديدينا نخرجة المعاش والمكسب من بعض أحياء العرب فسرنا من مكة مطة أيام فى تلك البرى والاكام فلما صرنا فى تلك القفار والدكادك وقعنا فى برية المسالك فلحقنا فيها الدهش وبلينا بجوع وعطش فجعلنا المسير لعلنا نخرج من تلك الارض قبل أن يحل بنا الويل وتكل من تحتنا الخيل فبينما نحن كذلك إذا بان لنا بيت مضروب وعلى بابه رمح مركوز وفرس ملجوم وسيف معلق إذ ضرب به الصخر انفلق وجالس على بابه غلام صغير وهو مثل القمر المنير وشجاعة تشهد له لا عليه وقدامه قدر امه فلما رأيناه استرحنا وقلنا الغلام وكل [illegible]هوف وقلنا يافتى هل تقبل الضيوف فوالله ياملك ما سمع كلامنا حتى رفع رأسه وتبسم وقال على الرحب والسعة والكرامة والدعة وانزلوا يامولاى فهذا الطعام راج وما بقى فى أكله احتجاج لانى مابعدت اطبخه إلا ان يأتى يأكله فنزلنا ياملك كلامه وتعجبنا من حسن نظامه وصار يترحب بنا ويكثر ابتسامه ثم وثب قادما على قطميه ومضى إلى الخباء ودخل اليه وخرج وفى يده قصعة ملانة من لبن اللقاح مخلوط

بالعسل مبرد وقال دونكم ياوجوه العرب وهذا الشيء اليسير ترمقوا به من كرب الهجير إلى أن يستوى الزاد الكثير فأخذنا تلك القصعة وشربنا منها كل واحد جرعة وأطلقنا خيلنا فى ذلك البر ترعى وجلست أنا وأصحابى نتحدث فى قصته وحسن فرسه وعدته وكرم نفسه الرضية وكيف نفرد وحده فى تلك البريه فقال بعض رفاقى والله ياحارث ما فى خيلنا مثل هذا الجواد الذى لهذا الغلام وما ظنه إذا جرى إلا البدر التمام وأبهى من الشمس وأبهج وأشرق وأبلج وانها والله قد ملكت قلبى وغيرت عقلى ولبى وكنا يا ملك نحسب حساب الرجل وحشمته ونذبر فى اتلاف مهجه وهو قاعد يصلح لنا الطعام ونحن نريد أن نسقيه كاس الحمام ولما راج الطعام بقى عن أكله أحجام وعمرها بالمرق وجعل اللحم من فوق وحملها ووضعها بين أيدينا وقال قوموا ياوجوه العرب للعشاء واعذرونى فى التقصير لأنى ساكن فى هذا البر القريد فتقدمنا يا ملك وأكلنا وذلك الغلام يحدثنا ويباسطنا ويلقمنا حتى فرغ الزاد واكتفينا فهم أن يشيل القصعة من بين أيدينا فقلنا له ياوجه العرب ان اكرمك علينا قد وجب لأننا ياغلام من فتاك العرب الذين لا يعرفون حسبا ولا نسب وما أحسن الينا أحدا إلا واسأناه وما طلب أحد حياتنا إلا أخذنا ورحمنا لحسن شبابك فنحن لا نقتلك ولا نعدمك لأحبابك فخذلك أى فرس شئت من خيلنا وأنج بنفسك من ههنا وأترك هذا الجواد والخبا وهذه الصبية التى فيه ولا تثير معنا حربا فى هذه البرارى والربا (قال الراوى) فلما سمع الغلام كلامى عبس بعد الابتسام وتغير لونه غضبا وفار حنقا ثم التفت الينا وقال ياسادات العرب هذه الجارية أختى ومطلبى وبنت أمى وأبى وأنى من شدة غيرتى عليها سكنت بها فى مفلوات لأنه قد خطبها من أبيها الملك قيس ابن مسعود الملقب بذى الجدين وغشيم بن مالك سيد بنى عامر فلم ترض بأحد منهم ولا البراى المقفرات الخراب حتى لا يراها أحد من الشيوخ ولا من الشباب فعلت لأجل خاطرها هذه الفعال وفارقت بها الأهل والعيال وأما انا فقد سار بينى وبينكم حرمة الطعام واريد أن تقبلوا هذا الكلام وترحلوا عنا بسلام ولا تقابلونا على جميلنا بقبيح الخصال ولا هذا الحديث لا أسمعه ولا أصغى لليه فلا نطل فما بقى أن لم تمثل الا قتلك ولو ان حولك الف فارس من الأبطال وان كنت ماتقبل هذا المقال تهبنا جسدك باسنة الرماح الطول وتركنا

حملك رزقا لوحوش الدحال وإن كانت هده الجارية كما ذكرت أختك فأحسن الدار الذي لم يثقب وأصبح النوق التي لم تركب (قال الراوى) فعند ذلك قال الغلام ياوجوه العرب إذا كنتم لاترجعوا وعن هذه الفعال لاتنتهوا فاصبروا على حتى أودع أختى وأوصيها بما توصله من أمرى لامى وأبى فقال الحارث هذا شيء لاتمنعك منه ولا نعيقك عنه فافعل مابدالك وانجزا شغالك فعند ذلك دخل الغلام إلى أخيه وقد أخدته الأوهام وأخبرها بجميع ماجرى بيننا وبينه من الكلام وقال لها ياأختاه اعلمى ان هؤلاء القوم الذين نزلوا علينا لئام غير كرام وأنهم قد أطمعوا أنفسهم فى أخذك وهتك سترك وها أنا أبذل مهجتى دون خدرك فان نصرت عليهم كان ذلك من الرب القديم الذى هو بوساوس الصدع عليم وقادر على حماية الحرم وان قتلونى فى هذه الفلوت فانك تبقى مع النساء اثاكلات ثم بعد ذلك ركب جواده وتمشى إلى ناحية الأقوام وأختته من ورائه وهو يقول أسمعى ياهندانا بلينا بقوم لئام غير كرام ضيعوا حرمة الطام ثم أنه أشار اليها ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ودعينى ياهند قبل هلاكى	واسعديني على العدا بدعاك
فعسى خالق السموات والأرض	ينجى من الهلاك أخاك
قد بلينا بقوم سوء لئام	ليس فيهم حريق لشاكى
ضيعوا حرمة الطعام وخانوا	وأستحلوا قتلى وهتك حماك
فقفى وانظرى فعالى اذا ما	جاءت الخيل قاصدين خباك
وإذا ناح فى الاراك حمام	ساعدى بالبكاء حمام الاراك
يابنة العامرى لو أنصفونى	فى فرازى أفنيهم فى فناك
وإذا القوم أسرفوا وتعدوا	فى قتالى جعلت روحى فداك
آه واحسرتاه ان مت قهراً	وسباك العداة بعد حماك
بلغى والدى السلام وقولى	مات غبنا من عصبة الاشراك
فعليك السلام ماهبت ريح	وتعالى نجم مع الافلاك

قال الحارث ثم أن الغلام أقبل على أخته بمقاله ومافينا من يرق الحاله ثم قال لها ياأختاه هذه ثانى مرة أوصيك وأكرر القول عليك أن الذين أتو نا قوم لئام غير كرام اكلوا زادنا اطبوا هتيكتك وأنا وحق من أنزل القطر من الغام لاأسلم فيك حتى أشرب كاس الحمام هذا واخته تبكى وقد بلقت به وقبلت غرة جوادة وكشفت برقعها ودقت على صدرها وأشارة اليه تقول صلوا على طه الرسول

فلا كان يوم صبحتنا كتيبة ترى نهبنا من بغيها صائبا سلبا
يرمون سبي من بين يديك تعمدا بلا سبب بل كان أكرامهم ذنبا
وقد غدروك اليوم يافارس الوغا وأشجع فرسان الأعاجم والعربا
أتو بالقنا طعنا وبالسيف ضاربا وانك تدرى كيف تثخنهم ضربا
تذب عن الأخت التى قد صحبتها فكنت لها أخا وكنت لها أبا
فلا تترك الأعداء تملك مهجتى وتأخذنى قهراً وتملكنى غصبا
يكون عليك اليوم عار مؤبد وتحدو بك الركبان شرقاوكذا غربا
فكر عليهم وأحمنى اليوم أننى ساذكر فعلا منك يافائقا ركبا

(قال الأصمعى) بعدسما كلام أخته نادى ياأوغاد غير أمجاداً بما أحب اليكم الرواح والانصراف والا تقوا رزقا الطيور وتخطف منكم الاطراف ياويلكم ماأنتم من البشر ولا تعرفوا للزاد حرمة ولا نصرتم من له عهد وذمة فلاسلمكم والله ولا حياكم ولعن الله بطنا رماكم فما أقل خيركم وأكثر شركم وما أسرع غدركم فدونكم والحرب فارس لفارس كما تفعل الرجال وان كنتم ماتعرفون الانصاف وطبعكم لايميل إلى الأشراف فدونكم والحملة بجمعكم فانى كفؤ لكم وقوى على قتالكم فلما سمعت ياملك هذا الكلام علمت أنه فارس همام وكل من خرج اليه يقتل ولو أنه فارس السهل والجبل فقلت لبعض أصحابى أخرج اليه ياأبن العم وأقتله وخذ فرسه وسلاحه فاجابنى إلى ذلك وحمل عليه صاحبنا حتى حاذاه وأسارت اليه ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

خل عن الحرب أباكالب العرب وسلم المهر عجولا والسلب
وأقبل النصح وجد فى الهرب وخل هند قبل أسباب العطب

(قال الأصمعى) ثم قال الحارث فلما سمع الغلام كلام صاحبنا سار حاى قاربه وقال له ما إسمك يافتى لانى حلفت يمنا لا أقاتل من أسمه كاسمى فقال له أسمى داهش فأجابه على شعره وهو ينشد ويقول صلوا طه الرسول

وفارس كالليث من نسل العرب لو نظرت الموت الموت عيانا ماهرب

قال الحارث ثم أنه جال مع صاحبنا وطعنه فى صدرة فاخرج الرمح يلمع من ظهره ونادى ياهند هذه عاقبة البغى والغدر فابصرى اليوم مالم ترى طول الدهر فاردت أن أخرج اليه فقلت حتى يقتك أصحابى وبعد ذاك أعدره حتى لايكون لى أحد مشارك فى الجارية وسلبه لانى ياملك نظرته بعين الفروسية رأيه جباراً عظيما فقلت لاخى المقتول أنزل اليه وخذ بثأر أخيك فتحدر اليه فقال له الغلام ما أسمك فقال أسمى ضمرة فقال الغلام

احرق الله ضمارك ثم أنه أسار اليه شعرا

هاأنت ذا اليوم يانذل البشر تظن أنى فى اللقا أخشى الضرر

فالحق باصحابك باصميدع فى هذه البيداء لكى تبقوا عبر

(قال الحارث) ثم حمل عليه والحقة باخية ثم طلب البراز وسال الانجاز فنزله اليه واحد من أصحابى حتى قاربه وطلب أن يحاربه فقال له ما أسمك قال اسمى بكر فقال له أبشر يابكر بكور النوائب والبلا والمصايب ثم أشار اليه وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

قد جئتموا يابكر شيئا نكرا وماعرفتم للطعـــام قـــدرا

يا أرذل الأعراب جمعا طرا أسقيكم اليوم شرابا مرا

(قال الراوى) ثم قاتله ساعه وطعنه فقلبة وعن جواده كركبة ومازال ينزل اليه واحد بعد واحد حتى بقى عندى من العشرة واحد يسمى خائنه الحرب فالتقت اليه وقلته أما ينزل أخذ بثار اصحابك فقال ويلك ياحارث أما أنت المقدم علينا أريد أن تعرفنى بعزمك تزعم أننى أنزل اليه حتى أنه يقتلنى وتغدره وتأخذ جواده وعدته وأخته انزل اليه أنت فلما سمعت ياملك كلامه ومقاله تعين على قتاله وطعانه فزلت اليه ووقفت بين يديه فقال لى أسمك فقلت له أسمى الحارث بن ظالم فقال صدقت أنت حق ظـــالم لنفسك وحارث ديار أبيك أرجع واشكر ربك الذى سماك الحادث لان على يمينا بانى لاأقاتل من اسمه كاسمى لانى أسمى الحارث فاصدقت أن أسمع منه هذا الكلام حتى رجعت إلى صاحبى قوام وقلت له سمعت الكلام فقال خائنة الحرب وحق ذمة العرب لوكنت تعرف انك تثبت بين يدية مارجعت عنه ولكن أنا له ثم أنه انحدر اليه فما جامعة غير ساعة حتى قتلة الغلام ورجع آخر النها تعبان فقال لاختة خذى رأسى على ركبتك حتى أتارح قليلا ثم أنة رقد على ركبتها فصبرت ياملك ساعة وسرب حتى وصلت إلى المضرب فرأيت الغلام راقدا وأختة مكفهة علية فتقدمت قليلا قليلا حتى دنوت منة وسحبت الخنجر وذبحته من أذنة إلى أذنة فانتبهت أختة ورأت ذلك الحال فاخذت خنجراخيها وحطت القبضة فى الأرض والذبابة بين يديها وانحنت علية حتى طلع من بين كتفها فاخذت العدد والجواد والسلب وسرت إلى مكة وبعثهم فلما سمعت بال أخاو الأسود رجع إلى العرق اتبت وحضرت بين يديك وتكلم رجل شيخ جالس بالمجلس فكذب الحارث وقال له كذبت أن كنت قتلتة فهل معك من أمارتة شىء فانى أعرف.

هذا الغلام معرفة تمام فهنا ظهر جواب الحارث على نواعين ففى الروايه العراقية يقول أن الحارث حصل على سيف ذلك الغلام وخاف أن يقول له هذا سيفه فيأخذه ويضرب به عنقه ويكون هذا إخراقا فى حق ملك العربان وعلى ما روى فى السير الحجازية قال له الحارث هذا خاتمه وبه تصدق أقوالى فهو دليل برهانى فاخذه وبكى وأشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أرى الدهر يسطو هكذا بالاكابر ... ويفعل فعل الحادثات الدوائر
وعيش جميع الناس فرحى ببدئه ... وآخره من كطعم المرائر
ويتركهم حتى يعيشوا وينتشوا ... ومن بعد ذا يلقيهم فى المقابر
نظرت إلى الدنيا تخون بأهلها ... وقد غدرت بى فى فؤادى وناظرى
أيا أيها النعمان اصغ لقصتى ... لقد كان ابنى فارسا فى العشائر
كانت له أخت كبدر إذا بدأ ... بوجه زهى ناعمات المحاضر
وفى طول عمرى ماولدت سواهما ... عاجلنى صرف الزمان المخاصر
اتاهم ردىء الأصل فى وسط قمره ... فما فاهموا بالمرهفات البواتر
فدرت جميع الأرض شرقا ومغربا ... وطفت جميع البر باد وحاضر
وقد جئت هذه الأرض أقفو لأثرهم ... وجدت ابن ظالم عند النعمان حاضر
حكى لى حديثا كان فى الأصل ثابتا ... صحيحا كمن أجروا دموعى كزاخر
وذا اليوم خذلى بالمليك بثارهم ... فقد بان صدق القول من لفظ خابر
وأشفى فؤادى بالأمانى وارتجى ... من الملك النعمان فعلا لعادر
فقد كان ابنى نائما حين خانه ... ويا ليته ما نام فعل المحاذر
فلو جاءه فى حرب وهو راكب ... على ظهر طرف سابق كل طاير
لقد كان كفؤا لا يخاف ملة ... من العرب العربا ولا من العساكر
ولو بك يا نسل اللئام غدرته ... لاوراك حربان وسط الهواجر
ولكن قضا الرحمن يفعل هكذا ... بكل جميع الخلق قدرة قادر
فكم ملك يفنى وتفنى رجاله ... ويمسى حديثا فى الورى كل غامر
سلامى على الدنيا إذا كان واحدى ... قتيلا طريحا من لئام العشاير

فلما فرغ الشيخ من شعره ونظامه أعجب الملك النعمان بحسن كلامه وقال له ياشيخ لاتأخذ من حضرتى غريمك ثم فزع فى الشيخ فسكت ثم أن النعمان امر باحضار الطعام فاكلوا حتى اكتفوا وامر بعد ذلك باحضار المدام لكى يتلافوا عواقب الصدام وغمز

الساق فخط على الحارث حتى غاب عن الوجود فأمرهم الملك أن يضموه فى القيود ففعلوا ذلك ثم قال لهم فوقوه فلما صحا وفاق تنبه فى الحال ورأى نفسه فى القيود والاغلال اطرق برأسه إلى الأرض خجلا وحياء فتذكر الملك النعمان ولده فبكى وأن أنينا موجعا وانفطر قلبه واشتكى على فلذة كبده وحبيب قلبه واشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

دع القلب يا هذا يبوح بشكوتى ... فمن قتل شرحبيل زادت بليتى
ومن يوم فارقنى لخيل يخوتنى ... من البين والأحزان اثقلن حملتى
أيا دهر فانعيه وساعد على البكا ... لفقد أمير كان يحمى عشيرتى
فلو عاش أقوى الضيف يوما بمرحبا ... ويضرب بالسيف اليمانى بصحبتى
لقد غادرته العين يوما بغدرها ... واسقاه كأس الموت مرا بخدعة
فياليت جمع القوم كانوا فداءه ... وروحى ومالى ثم أهلى وعشرتى
ولكن قضا الرحمن فرق بيننا ... بكاس الردى أمضاه حكم المشيئة
فصبرا على ما قد قضاه الهنا ... بتشتيت شمل من فراق الأحبة
أيا شيخ قم وأنظر اليه مصفدا ... بقيد ثقيل من قيود المنية
فإن كان ذا الشيطان خان بمكره ... فسوف يراه الناس وسط المصيبة
ونصلبه بعد العذاب بشعره ... ونتركه من فوق باب المدينة
فياليت نجلى كان حاضر موته ... ويشفى غليل الصدر من بعد لوعتى
فلو كان فى قبر عرفناه كان لى ... اليه ارتياح القلب عند الزيادة
وكنا نبشنا قبره يا ابن ظالم ... وكنا كشفنا جنب تلك الجفيرة

فلما فرغ الملك النعمان من شعره تباكت العربان وأعلنوا بالأحزان ونهضوا فى ساعة الحال إلى الحارث وهو ساكت وجروه فى أربع سكك من حديد وجلدوه جلدا شديدا وأذاقوه العذاب ألوانا وهو لا يبدى ولا يعيد بل هو ساكت لا يتكلم ولا يرحمه أحد ولا يجيره شخص من الأمم فلما فرغو من عقابه قام اليه أبو الغلام من بين رفقائه وصار يكلم الملك النعمان عن الولد وشجاعته وقد جرت دموعه على شيبته وتزيدات حسرته وتصاعدت زفرته وقال يا ملك ما رزقت طول عمرى غير هذا الغلام والبنت وقد خطبها منى الملك قيس الملقب بذى الجدين وكان قد بذل لى من أجلها مالا جزيلا فقالت يا ابتاه أنا لا اتزوج إلا رجلا مثلك حتى لا يرانى غير أشكالى .

فلما سمعت كلامها ما رأيت على روحي أن أتبع كلامها وأخلي الملك قيس فنيل غرامها فاخذت في إصلاح حالها فوقمت على أخيها فاخذها ورحل ولا أعرف أين بها سار وتركني على مقالي الناحتى سمعت هذا الكلام في حضرتك من هذا الغدار الذي دهاني في أولادي وأحرق عليهما فؤادي وشهد الشيخ جماعة من الحاضرين فقال النعمان اشرح صدرك ولا تندم عليهما ولا تخف من بؤس ولا من نقم فمن طالب بثأر أولاده فما ظلم هذا وقد أمر النعمان أن يركبوه على جمل عري وينادى لمية في المدينة ويصلبوه على الباب الذي قتل عليه الملك شرحبيل فازدحم الناس من خلفه وأمامه حتى بنى على القدم الف قدم وصاروا يضربونه حتى وصلوا الى باب المدينة وصلبوه وكان لصلبه يوم ما جرى مثله لأحد من سائر العباد من سكان المدن والبلاد فلعن الله أما حملته وم رضعه أرضعته فما كان أنحسه وأخبثه فلقد استراح عنتر صوته اطمأنت جميع الفرسان من طلعته

فلا رحم الرحمن تربة قبره ولا زال فيه منكر وتنكير

فما كان أيشم وجهه بين عشرته وقد مضت قتلته هدرا فلا جبر الله له كسرا ولا رحم اله قبرا ولا بل ثراه وما حزن عليه إلا الملك الأسود لأنه كان نترجى أن يقطع به اثر عنتر وبكل على مكره ودهاه ويجعل ذلك لحذيفه بن بدر من طريق المكافأة فجاءه الموت فجأة فاخفى الكمد واظهر الجلد وقال وحق ذمة العرب انا رايح أقتله قبل ان يقدم عليكم ولكن ظننت ان يكون لنا عدة ونستعين به على عنتر بن شداد فقال له النعمان ويلك يا اسود نحن ما فينا كفاية لعنتر بن شداد ولمن معه من الأوغاد ولو انا عدد ورق الشجر فلعنا منهم الأثر وتركناهم عبرة بين البشر وحق الركن والحجر ومن طاف بهما من ربيعة مضر لأفنين الجميع بالذهل والاحراق وأسوقهم حفاة عراة إلى أرض العراق في السلاسل والأوثاق وبعد ذلك إن خضعوا عفوت عنهم لأجل ما بيني وبينهم من المصاهر وعندنا جيوش تملا الفيافي والقفار وكان قد حضر عنده في ذلك اليوم جماعة من امراء القبائل فقالوا اله لا تأخذه على خاطرك يا ملك الزمان فها نحن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك فلما سمع النعمان منهم ذلك الكلام ضحك واستبشر واذا ببعض حجابه دخل عليه يخبر بمقدم الوحش فارس غسان (قال الراوي) وكان ذلك الجبار من أرض حوران وكان نشافارسا عظيما وبطلا جسيما ويدعى نصيرو من شجاعته وتجبره إذا اسر فارسا مرة يأخذ ناقته وبعلته ويطلقه وكذلك اذا وقع الثانية

﴿ تم الجزء الخامس عشر ويليه السادس عشر ﴾

(الجزء السادس عشر)

من سيرة عنتر بن شداد

وفى الثالثة يجز ناصيته وفى الرابعة يقتله وكان جميع ما أخذه من الجمال يذبحه ويفرقه على وحوش البر حتى انقلب إسمه بمقرى الوحش ومما اتفق له مع ملك حوران أنه كان له بنت يقال له مسيكة وكان أبوها ابن الجانب ابن العريكة يقال له مجبر بن سهل وكانت له هذه البنت التى فاقت بالحسن والأحسان فخطبها مقرى الوحش من أبيها فلم يقدر أن يخالفه ولكنه قطع عليه مهراً ثقيلا وهو ألفان من الدنانير وألف ناقة من النوق العصافير فلما سمع مقرى الوحش هذا الخطاب أجاب وفى ساعة الحال تجهز للمسير وأخذ معه خمسين فارس صناديد طالبا الملك النعمان وأرض العراق تلك البرارى والآفاق وهو ينشد ويقول

أسير إلى أرض العراق واننى	أريد أبيد الكل طرد ابصارمى
أسير إلى النعمان آخذ ماله	وأفنى جميع رجاله بتهجم
لاجل مسيكة غاية القصد والمنا	وأرجع إلى الأوطان يوما بمغنم
وأقهر فرسان البلاد بأسرها	وتخضع لى الأبطال عند التقدم
وتشهد لى الأبطال فى حومة الوغا	إذا حضرت فى يوم طعن بلهزم

ولم يزل سائرا فيمن معه من الفرسان حتى وصل إلى دار الملك النعمان فعند ذلك أرسل من هناك رسولا يخبره بقدوم مقرى الوحش ففرح الحاجب وقام ثم دخل على الملك النعمان وأعلمه بقدوم فارس غسان وأنه جبار من جبابرة أرض حوران وخطب بنت عمه ثم شرط عليه المهر العتيق وقد أرسل لى مع الرسول يقول اضمن عنى للملك النعمان أننى ما أطلب نوقا ولاجمالا حتى يجمع لى ألف فارس من الفرسان وأبارزهم قدامه فى حومة الميدان وبعد ذلك يجمع لى الأبطال من العراق والحجاز ويخرجهم لى فى البراز أن شاء مبارزة أو معاندة وأن شاء ألقى الكل فى مرة واحدة فلما سمع النعمان من الحاجب هذا الكلام تعجب وأخذه الفرح والطرب وحار كل من حضر من العرب وقال النعمان وحق دينى أن فعل هذه الفعال لاعطينه جميع ما طلب وأنزله عندى وأعطيه جميع ما يتمنى ويأخذ كل ما يريد لانه فارس خبير وإذا كان فارس مثل هذا يغنى عن جيش كثير وإذا كان جسورا على النائبات يكون

لناعدة من كل الآفات وأن سرت به إلى بنى عبس وعنتر لا يخلى لهم ذكر ابذ كر حتى يأتوا إلى خدمتى ويدخلوا تحت طاعتى وإذا ظفرت بهم أعفو عنهم لاجل عبد المطلب فعند ذلك طلع الحاجب فوجدهم هناك وقوفا على خيلهم فلما نظر مقرى الوحش إلى الحاجب تقدم اليه وسلم عليه فاعلمه الحاجب بما قال النعمان وقال أنه أمر باحضارك حتى تجتمع أنت واياه فعند ذلك نزلوا وساروا وراء الحاجب حتى أقبلوا على النعمان فدخل مقرى الوحش فنظر النعمان إلى إلى رجل كانه طود من الاطود أسقر قليل الشعر كبير الهام والرأس متغير الحواس تلوح الشجاعة بين عينية وأجلسه النعمان فى أعز مكان وأمر باحضار الطعام فاكل وهو مثل الاسد الغضبان وهو يلوح بعينين مثل الأسد القتال والفرسان يقولون هذه دلائل الفرسان الكرام إلى أن فرغوا من أكل الطعام وقدموا آنية المدام ٭ فعند ذلك قال النعمان ماهناك أحد يا أمير من الأرامل والايتام التى تنفق عليهم النفقات والصدقات فانهم أفضل من الوحش فى الاكام فقال له أيها الملك مافى حلتى الا من شملته نعمتى وتركت للفقراء أكثر من ما الأغنياء وانما هذه النوق أجعلها قربانا لانهم قوم نصارى لا يأكلون الجمال لانها عندهم حرام ٭ فلما سمع النعمان منه ذلك قال له يافارس ان كنت طالب النياق فنحن لناعدو فى أرض الحجاز وما نريد الأن تقتلة فى البراز لأن جميع الابطال عجز عنه فقال الراوى ولما أن فرغ النعمان من صلب ذلك الشيطان وقدر آه وكل من حضر فرح واستبشر وإذا هو بحاجب قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وقال له ياملك الزمان وفريد العصر والاوان وخليفة كيسرى أنوشروان قد وردعلينا فارس من الفرسان وهو من أرض حوران وحامية بنى غسان وهو يريد الاستئذان ليدخل اليك ويقبل يديك ويقص قصته عليك واعلم أنه فارس شجاع قرن مناع لا يخاف من الموت ولا يخشى من الفوت والشجاعة لائحة بين عينيه فان امرتنا احضرته عندك ويصير من جملة خدمك وجندك قال الراوى وكان هذا الانسان فارسا من الفرسان وهو من بنى غسان وله قدر وشان وله صوشه على الاقران وهو صاحب قوة وبطش ويقال له مقرى الوحش وكان له كلام عجب وأمر مطرب غريب نحب تذكره على الترتيب حتى يسمع المستمع ويتلذذ ويطيب وذلك أن هذا الفارس قد نشا فى بنى غسان وكان له شأن واى شأن لانه قهر الشجعان وأذل العربان وسائر الأقران فى حومة الميدان بطن السنان وقد شهدت له جميع الفرسان والشجعان أنه فريد العصر والاوان وزاد عليهم وساد وشهدت له بذلك كل العباد (قال الاصمعى)

وماسمى بهذا الاسم بين الرجال إلا لأجل أن تضرب به الأمثال وذلك أنه كان تخشاة الابطال لأنه يظهر فيهم الاهوال ويذل الملوك وجميع الابطال من أصحاب الرتب ويقهر سادات العرب وكان بطلا صنديد وجبارا عند قلبه كانه من حديد تهابه الملوك وتكرمه وتهاديه وكان اذانهب شيئا من الجبال وعاديه إلى الأطلال ينحر منها فى الحال ويفرقه على الوحوش فى البرارى والتلال وهذه عادته على طول الأيام والليال لانه كان نصرانيا وقومه نصارى فى تلك الايام لم يأكلوا لحوم الجمال لانه فى دينهم حرام فلاجل ذلك الحال كان يفرق لحمها على الجبال فلذلك تسمى بهذا الاسم بين العربان (قال الراوى) ولما قوى باسه وكبرت همته وعلت كلمته صار له عند ذلك قدر وشان وخطب ابنة ملك حوران وكان هذا الملك يهوى الشجعان ويذم الجبان ويحب الانصاف ويكره الاسراف فقال له مجبر بن سهل كريم النسل وطىء الجانب محسن للأقارب وكان له بنت يقال لها مسيكة وهى ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كانها الغصن الميال ولما أن خطبها مقرى الوحش من أبيها بين اهلها وذويها ماقدر أن يخالفه فى الاقوال بل أجابه على ذلك السؤال ولكن قطع عليه مهرا ثقيل خوفا من الاقاويل وهو ألفان من الدنانير وألفان من النوق العصافير ومائتان من الخدم وألف رأس من الغنم وعشر رؤس من الخيل الجياد وعشر عقود من خالص الاعقاد وعشر ثياب من الديباج ولم يكن له بذلك احتياج فلما سمع مقرى الوحش ذلك الكلام قام من بين الجماعة وأجاب بالسمع والطاعة وفى الحال تجهز للسفر وأجاب صهره فيما به أمر ولم يطق المقام لما صار عنده من الهيام وقد أخذ معه خمسين بطلا همام وصار يقطع البر والآكام وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أسير إلى أرض العراق وأننى ... أريد اغتنام الكل اعرب وأعجم
وأسعى إلى النعمان آخذ ماله ... وأقهر أعدائى الجميع بصارمى
لأجل مسيكة غاية القلب والمنا ... وأرجع إلى الاوطان حقا بمغنم
وأقهر فرسان الجبال بأسرها ... وتخضع لى الابطال عند التقدم
وتشهد لى الشجعان فى حومة الوغا ... اذا حضرت فى الحرب وقت التهجم
أنا فارس الفرسان لست مقصرا ... بطعن القنا يوم وضربة لهزم
ولا أنثنى فى العسكر عن كل فارس ... ولو كان ذا بطل شديد كضيغم

(قال الراوى) ولم يزل مقرى الوحش سائرا هو ومن معه من الأكابر طالبا أرض العراق

وتلك الآفاق وهو على ذلك الشأن الى أن قرب من ديار النعمان فلما أن بانت له تلك الطلول أمر فرسانه بالنزول وارحة الخيول وأرسل رسولا لأجل أن يعلم الملك النعمان بقدومه وارتاح بقيه يومه هو ومن معه وانتظر ما يكون عند وصوله فهذا ما كان من مقرى الوحش وأما ما كان من الرسول فانه مازال سائرا فى الهضاب حتى قرب من الأبواب وإذا به قد التقى بحاجب الحجاب فتقدم بين يديه وأخبره بجميع ما جرى وبلغه ما كان حمله من الجواب والخطاب من عند مقرى الوحش وكيف أتى من ابعد مكان يريد الدخول على الملك النعمان فلما سمع الحاجب هذه الأقوال دخل على الملك النعمان وأعلمه بقدوم الرص بنى غسان وشرح له ما سمع من المقال ثم أنه قال أعلم أيها الملك انما صار هذا الاسم اسمه والكنية كنيته لأنه قهر الفرسان وكان إذا أسر فارسا بقوته أول مرة يتركه يسير فى حاله وان وقع الثانية فى يده يأخذ منه فديته وإن وقع الثالثة يجز شعر ناصيته وأن وقع الرابعة يقتله ولا يعتقه وكان هذا فعله مع الفرسان وأدبه طول الزمان وكان الذى يجمعه من النوق والفصلان يأتى به إلى بنى غسلان وينحر منه كل يوم ويطعمه للوحوش والعقبان فلاجل ذلك شاع ذكره فى جميع الآفاق وسمى بذلك الفعل مقرى الوحش وفارس النياق وأنه يا ملك مازال على ذلك الشأن إلى أن قهر جميع بنى غسان وأدل بطارقة حوران واستأسر فرسان بنى غسان وللصار له عندهم قدر وشأن خطب ابنه ملك حوران وأراد أن تكون له أهلا ويكون لها بعلا وقال له أبوها أهلا وسهلا وأجاب سؤاله ولم يرد عليه مقاله بل زوجه بابنته لما رأى من شجاعته وسمع من فصاحته وقد شرط عليه الفى دينار مقدم الصداق ومثلها من النياق وطلب منه شيئا كثيرا وأحوجه للمسير إلى العراق ليجلب له منها النياق ليفتخر بها على أهل الشام وإنه يا ملك شرط على نفسه أنه لا يأخذ شيئا من الحطام حتى يجرب روحه مع فرساننا فى الصدام ويفعل بأبطالنا كما فعل بأبطال الشام ويبارز من عندنا من الخاص العام وهاهو قد وصل البنا من أجل ذلك قد علينا وأنه يا مالك قد أرسل يقول اضمن لى عند الملك النعمان أنى لا أطلب منه نوقا ولا فصلان حتى أنه يجمع لى ألفا من الفرسان الشجعان وأبارزهم بين يديه فى حومة الميدان ويشهد لى بالزيادة لقومه بالنقصان وبعد ذلك يجمع لى فرسان العراق والحجاز ويخرجهم لى فى ساحة البرازكى أتلاهم معهم فى الميدان وأزيه ما أفعل بهم بالرمح والسنان من تشتيت شملهم وقطيعتهم مرة واحدة وان كنت فى شك من هذا المقال فأمره أن يضيف اليهم الفين من العجم وجبابرة الديلم من كل فارس منتخب وأنا أريه فيهم العجب قال الراوى فلما أن سمع الملك النعمان من الحاجب

ذلك الكلام تعجب وأخذه الابتسام وحصل له فرح وانسع صدره وانشرح وقال فى نفسه بهذا الفارس أنال المرادى من بنى عبس وعنتر بن شداد ثم أن الملك النعمان بعد ذلك الكلام قال وحق النار والنور والظل والحرور أن فعل هذا الفارس ماقاله وقام بما نطق به من فعاله لأعطينه جميع ماطلب من المال والانعام وأرفع شأنه عندى فى أعلى مقام ويكون سيف نقمتى وأقاسمه من نعمتى لأن الفارس الخبير بملاقاة الأبطال يغنى عن الكثير من الرجال ويكون جسورا على النائبات فيكون لنا عده فى كل الاوقات وبعد ذلك أريد أن أنفذ لبنى عبس وعنتر ومن قبيلتى عسكر ولا أدع لهم ذكر يذكر إلا أن يأتوا الخدمتى ويدخلوا تحت طاعتى وإلا أرسلت اليهم هذا الفارس المفصال الذى شاع ذكره فى جميع الابطال وهو الفارس الغسانى الذى ماله فى زمانه ثانى وأرسل معه جماعة من العربان الانجاب وأتسبب فى قبضهم بكل الاسباب وإذا ظفرت بهم وصاروا فى قبضتى أنزلت بهم الذل والوبال ولا أرجع عن هذا السبب وبعدما أبلغ منهم الارب اعفوا عنهم لاجلى سؤال الشيخ عبد المطلب ولا أخالف له قولا ولا انكر له فضلا * فعند ذلك سار الحاجب فى ساعة الحال إلى ذلك الفارس الريبال ومعه جماعة من الابطال واخذ معه جوادمن الخيول العوال وهو من جنائب الملك النعمان وصار فرحان بملاقات ذلك الفارس المنصان ومازال على ذلك الشأن حتى وصل اليه وقدم عليه (قال الراوى) وكان الرسول الذاتى لهم فى الاول قد سبق والجواده ارسل ليبشر بقوم الحاجب عند اصحابه ورفقاه ويأمرهم بالركوب إلى لقاه فعند ذلك دعا مقرى الوحوش بجواده ولبس افخر ثيابه وركب فى ساعة الحال وركبت بعده أولئك الابطال إلا أنهم ماساروا غير مسير حتى تلقاهم ذلك الحاجب الكبير فلما أن رآه مقرى الوحوش قداقبل ففى الحال ترجل وللارض قبل فلما رآه الحاجب وقد فعل هذا الفعال نزل على الرمال وتقدم لذلك الفارس وأخذه بالأحضان وفعلت كذلك جنود النعمان وسلمت الفرسان على الفرسان وبعدما غوا من السلام على بعضهم البعض وهم جميعاً واقفون على وجه الارض امرهم الحاجب بالركوب وطيب منهم القلوب وبشرهم بنوال المطلوب واراد مقرى الوحش ان يعود إلى جواده الذى أتى به من بلاده فلم يمكنه الحاجب من ذلك الشان بل انه قدم له ذلك الحصان الذى اتى به من كل جانب الملك النعمان وامر بركوبه بين الفرسان حتى ادخل به إلى النعمان وكان ذلك الجواد من افخر خيول الرب بسرج من ذهب وعدة كاملة وآلة شاملة فركب مقرى الوحش على صهوته واوقره بحشمته وسار بين اهله وعشيرته هذا والحاجب بجانبه وهو يباسطه ويحادثه وهم سائرون واصحاب النعمان بذلك الفارس

مستبشرون وكان الحاجب قد أعلم مقرى الوحش بما جرى بينه وبين النعمان من مبارزة الفرسان ومجادلة الشجعان وبما أوعده الملك النعمان من الخير والاحسان ومن النوق والفصلان والخيول الحسان وقال له أن أمر بحضورك اليه لتجتمع معه أستر مكان فعند ذلك فرح فارس بنى غسان وعلم أن سعادته فى زيادة غير نقصان وقد سار مع الحاجب من خلفه من الأصحاب حتى دخلوا من الأبواب فعند ذلك ترجلوا عن الدواب وسار الحاجب ومعه فارس بنى غسان يريد الدخول على الملك النعمان وهما يتحادثان إلى أن وصلا إلى النعمان فلما رآهم مقبلين إلى ذلك المكان تأمل له الملك النعمان فوجده فارسا لا تماثله الفرسان تلوح الشجاعة بين عينيه وهى تشهد له ولا تشهد عليه وفى وجهه علائم وآثار تدل على أنه قد لقى الشدائد والأخطار فعند ذلك دخل وتقدم وحيا وسلم ودعا للملك النعمان بدوام العز والنعمان فرحب به الملك النعمان وأجلسه فى أعلا مكان ثم أنه أمر الخدم يأتوله بالطعام فأكل وهو جالس على ركبتيه مثل الأسد الغضبان وعيناه تلوح فى أم راسه كأنهما عيون النمر الحردان وجميع الحاضرين ينظرون اليه بالعيان وهو يقول والله إن هذه دلائل الأبطال والفرسان والأقيال ولما أن ما كان من أكل الطعام دارت عليهم بعد ذلك كاسات المدام بتداه الملك النعمان بالكلام وقال له يا فارس الشام أليس فى حلتك من تره من الأرامل والأيتام حتى تخرج صداقتك للوحوش والهوام فقال مقرى الوحش يا مولاى ماهنا أحد فى عشيرتى إلا وقد شملته بركتى وعمته نعمتى وقد تركت الفقراء أحسن من الأغنياء وإنما هذه النوق أجعلها قربانا لأن فينا من لا يأكل لحوم الجمال من بنى غسان لأنهم قوم نصارى وهو فى ملتهم حرام إلا من يكون غريبا من تلك الوديان أو يكون فقيرا وجيعان فلما سمع الملك النعمان من مقرى الوحش ذلك المقال قال له يا فارس الزمان أعلم أن لنا فى أرض الحجاز قبيلة تسمى عدنان وفيها فارس قد قهرنا فى الميدان وكسر عسكرنا وبددهم فى القيعان وقد عجزنا عنه فان أنت قهرته وقتلته أو أسرته وأتيت به عندنا وهو أسير أعدتك إلى أرضك وبلادك بالخير الكثير وأجعلك عندى أمير وأعطيك ملكا كبيرا قال • فلما سمع مقرى الوحش كلام النعمان قال وحق المسيح والصلبان والست مريم بنت عمران ان هذا الذى كنت أريده يا ملك الزمان لانك أنت شهدت له بهذه الشهادة وقد أقرت له بالزيادة على سائر الفرسان وقد شاع عنه فى جميع البلدان بأنه أذل الأقران وإذا خرجت أنا إليه فى ساحة الميدان وأنزلت به الذل والهوان يرتفع بذلك قدرى بين العربان وأكون قد أخذت الطبقة العليا فوق الفرسان وأصير أوحد العصر والاوان على

أنى ما أعود من عندك ولا أفارق أرضك حتى أقهر أعداك وأبلغك منهم مناك وأذل منهم الأعناق وأخلى منهم الآفاق ومن الغد أيها الملك السعيد كلفنى ما تشتهى وتريد واختبرنى بما تحب وتختار وقد بان لك فعلى بين أولئك الحضار فقال له يافارس غسان اريد منك النزول إلى الميدان بعد برهة من الزمان وأراك فى الحرب والجولان كيف تفعل بالفرسان عند معترك الطعان فقال له مقرى الوحش ها أنا يا ملك حاضرين بين يديك ولا ترى إلا ماتقر به عينيك فقال النعمان نحن ما نكلفك بذلك الشأن فى هذا الاوان حتى يطلب لك عندنا المقام وتلتذ معنا بالطعام وشرب المدام ثم أنهم عادوا لما كانوا عليه من شرب الراح ولم يزالوا على ذلك المرام مدة عشرة أيام وبعد ذلك طلب مقرى الوحش من الملك النعمان البراز وسرعة الانجاز مع فرسانه العزاز فأجابه بسائر المطلوب ونادى فرسانه بالركوب حتى ينظر الغالب من المغلوب (قال الراوى) فعند ذلك ركبت جميع الشجعان وقد اعدت الفرسان واتت الأبطال الكرام تريد بجمعها الصدام وقد خرج الخاص والعام وكان ذلك اليوم عظيم المرام ما روى مثله فى سالف الايام وأيضا خرجت البنون والبنات والنساء المخدرات وقد زينت البلد واخرجت العدد ثم ركب الملك النعمان الليث الهمام وعليه حلة حمراء مطرزة الأكمام وقد عقدت على رأسه على الأعلام ونشرت الرايات ودقت عند ذلك الطبول والكاسات وقد لعبوا بالسيف والسنان فى حومة الميدان واصطفت الابطال والاقران وبرزت الشجعان وقد لعبوا بالسيف والسنان فى حومة الميدان وجرت لهم ساعة عظيمة الشأن بما فعلوا فى محل الرهان وبعد ذلك خرج مقرى الوحش إلى ساحة الميدان واشتهر بين الاقران ولعب برمحه بين الفرسان فى حومة الميدان ثم إنه ترنح على ظهر جواده وفاض الشعر من فؤاده فنطق به لسانه وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

تسميت مقرى الوحش فى كل معرك	أبيد العدا بالمرهفات الصوارم
وشاع بمقرى الوحش أسمى وكنيتى	مكسيد الاعادى والليوث الضراغم
وقد طار صيتى اليوم كل بلدة	وسدت جميع الخلق عرب وأعجم
وذا اليوم يا نعمان تشهد أننى	أنا فارس الفرسا بين العوالم
وتشهد لى الابطال فى حومة الوغا	كما شهدت لى فى الحروب الاكارم
وإن لم أكد ذا اليوم عنتر وقومه	فلا حملت يدى سنانى وصارمى
واترك دياره بعد موته خلية	واقود فرسانه كقود البهائم

ألا يا مسيكة أحفظى العهد بيننا ولا تسمعى قول العدة الميـــاشم
سألق ملوك الأرض شرقا ومغربا وأعـــد سيفى فى رقاب الاعاجم
وإلا فمـــا نلت الذى طلبته ولا بلغت نفسى المنا كابن ظالم
سلام عليكى يا بنت العم وأعلمى يأتى اليـــكى قادم بالغنـائم

(قال الراوى) فلما فرغ مقرى الوحش من هذه الأبيات الحسان انحدرت اليه الفرسان من كل جانب ومكان مثل العقبان كانهم أفراخ الجان حتى أنهم ملؤوا الميدان وكان الحاضر من جيش الملك النعمان فى ذلك المكان عشرين ألف عنان وكلهم شجعان فلما أبصرهم فارس بنى غسان لم يتغير له عقل ولا جنان فعند ذلك خرج منهم فارس على جواد صبور على المجال وعليه زردية قصيرة الاكام مليحة الهندم لا يعمل فيها حسام فلما صار ذلك الفارس فى حومة القزال صال إلى وجال أن أذهل عقول وجال وبعد ذلك الشأن طلب براز الأقران فبرز اليه فارس من بنى وائل كان عليه للشجاعة علائم ودلائل وهو غريق فى شبكته معتقل بعدته (قال الراوى) فلما رأى مقرى الوحش ذلك الشأن أرتكن فى جانب الميدان حتى يبصر ما يكون بين الفرسان وأما هذان البطلان فانهما قد اعتركا واشتبكا ساعة من النهار وقد اعتدلا فى سرجهما وحملا على بعضهما وتطاعنا بسيفهما وسنانهما وأتقن أحدهما إلى خصمه طعنة خبير فأخذمنها أسير وشاله على رأس السنان ورماه فى قاع الصحصحان ولم يؤده ولم يصبه بشىء من الهوان فعندما علم من مقرى الوحش هذا الشأن التفت إلو مقرى لوحش وطلب معه المجال وحمل بكليته وصوب سنان القنطارية اليه ليفعل به مثل مافعل بالفارس الذى تقدم وظن أنه يطعنه ويأخذ الفخر على العرب والديلم فلماقرب القنطارية اليه زاغ عنها بمعرفته وجاد عنها بجيرته وصار عليه حتى حاذاه ولاصقه وساواه وأخرج رجله من الركاب ورفسه بها فى صدره نطيره فى سرجه على التراب فبرز اليه ثانى فارس من بنى لخم وجذام وقد جرد فى يده حسام وحمى جواده وأطلق له عنانه وما زال فى قوة جنانه حتى قرب منه وأرادأن يضربه ويقضى عليه وإذا بمقرى الوحش قد مال عليه ووكزه برمحه فقلبه وعن جواده كركبه فخرج ثالث من بنى شيبان وكان من الشجعان فثبت له فارسا من بنى غسان إلى أن حاذاه وشال السيف بيده وهو يجرده من غمده وأراد أن يضربه به محقة فما شعر به إلا وقد مسكه من أطواقه وضيق عليه خناقه وجذبه بزنده وأقتلعه من بحر سرجه ورفص الجوادفى جنبه فقصف أضلاعه وجذف الفارس بطول باعه وقوة ذراعه حتى كادأن يطير

نخاعه فعندها انذهل من آه واختل عقله وتاه ولما ابصرته الفرسان ونظرت فعاله صاروا يخرجون اليه أول باول إلى أن اجتمعت خمسون من حتفها عليه وهو يبدد كل فرقة حملت عليه ووقفت بين يديه وقد طاب له العمل وجال برمحه وحمل وقد هجم على الفرسان ونثر الافراد وعلم الشجعان وطحنهم فى ساحة الميدان ولم يزل على مثل ذلك الحال إلى أن عول منها على الاتحال فعادوا إلى منازلهم والاطلال (قال الراوى) لهذا الكلام وفى ثانى الأمام فعل مثل ما فعل باقوم وفى اليوم الثالث حلف فارس بنى غسان باجل الأقسام لا يخرج اليه إلا الف فارس تمام من قدر عليه فى الميدان يضربه بالسيف وبالسنان او يقتله وينزل به الدمار والفناء وهو برىء من دمائهم أنه بعد ذلك أمر بقصعة من خشب الخولنجان توضع فى جانب الميدان مملوءة ماء وردوزعفران (قال الراوى) فلما سمع الملك النعمان أمرهم أن يفعلوا ما طلب فارس غسان فقالوا السمع والطاعة فما كانت غير ساعة حتى احضروها وفى جانب الميدان وضعوها فتقدم هو اليها ورمى قطعة من شاش ابيض فيها واخرجها بعدما بلها وعلى طرف رمحه لفها وقال هذه عوض السنان لا علم بها على الاقران قال الراوى فلما أن تم أمره اوما إلى الفرسان أن تحمل عليه فعند ذلك حملت عليه ألف فارس حملة واحدة وارمت عليه ارواحها ومدت اليها رماحها وجردت سيوفهم وخففت ميوسها فصرخ فيها صرخة عظيمة أزهق منها نفوسها وقد شالت الخيل لهاروسها وقد جال فيها حولانا وأى جولان وهو مثل الأسد الغضبان فى ذلك الجيش الجرار وطاب الطعان والضرب وقل الخطاب وظلوا على تلك الحال إلى أن عول اليوم على الارتحال ومالت الشمس إلى الزوال وقد علم الأمير مقرى الوحش على نصف الأبطال فعند ذلك تراعقت تلك الاقيال وجالت من اليمين إلى الشمال مدت اليه قطع الرماح الطوال وهو يلق منهم المضارب ويبطلها بوى صايب وهو يهدر هدير أسود الغاب ويخدشهم فى البحور والرقاب وهو تارة يكون فى الميمنة وتارة فى الميسرة وتارة قدام وتارة خلف وهو مثل النسر الحوم الذى لا يخشى صروف الليالى والايام إلا أنه ما انصرم النهار إلا وقد علم ذلك الجيش الجرار وما أحد منهم قدر عليه لا بسيف بتار ولا برمح خطار ثم أنه بعد ذلك الشان خرج من ساحه الميدان وقد دارت به تلك الجموع والفرسان وأتوا به إلى الملك النعمان قال المؤلف لهذا الديوان ولما أن صار مقرى الوحش قدام الملك الهمام قبل الأرض باحتشام ودعا بالعز والدوام فاخذه برضاء وقبول وقدم الخيد له وافرغ عليه الخلع العوال وأفاض عليه من الأموال وقد فضله على سائر الانام وقدمه على الف فارس همام ما فيهم إلا كل أسد ضرغام وليث قمقام ثم أنه جعلهم

له فى الخدمات وأخرج اليه الخيام والمرادقات أخرج له الجال والخيل والبغال وقد صار مقرى الوحش كانه ملك ملوك الزمان قال الراوى فلما رأى مقرى الوحش إلى مافعله الملك النعمان قال له يامولاى وأى شيء عملت من الشأن حتى استحق هـــذا الاحسان وانا ماأريد ان يكون منك هذا العطاء والأسعاد إلا إذا قدت بين يديك عنتر ابن شداد ومن معه فى القيود والاصفاد ولا أترك إلى دولتك أحدا من الحساد ولا من المعاندين والأضدد قال فلما سمع الملك منه قال له إن فعلت هذه الفعال ما أخيك ترجع إلى بلادك الشام بل تكون عندى مادامت الليالى والايام وأحضر لك زوجتك إلى هذا المقام وتقوم عندى طول الشهر والاعوام وبعد ذلك أقاسمك فى نعمتى وتبقى نديمى فى حضرتى باقى الأيام فلما سمع مقرى الوحش هذا الكلام قبل يد النعمان فى ذلك الوقت والزمان وعلم أن السعاده انقادت اليه وسعده صار فى زيادة بلا نقصان وقد قام على ذلك الحال عند الملك النعمان مدة من الزمان وهو يطرب معه بالمدام وينادم سائر الفرسان الكرام قال الراوى لهذا الكلام وفى تلك الأيام شاع قتل الحارث بن ظالم فى القبائل وفى كل مكان ووصل الخبر إلى بنى عبس وعدنان وبنى فزارة وغطفان فاكثروا عليه التاسف والاحزان وكان أكثر الناس حزنا على هذا الأمر حذيفة بن بدر لانه كان متكلا عليه فى أوقات المكر والشر وأما بنو عبس فانهم فرحوا بهذا الأمر الذى تم وعلموا أن ركن بنو فزارة انهدم فزادوا الافراح والنعم وقال عنتر قبح الله من ظلم واعتدى واهلك الخائنين والعدا فلله در بنى عبس وما فعلت فانها ما حكمت إلى وعدلت وكان الملك قيس قد صفا لحذيفة بن بدر وظن أنه تغير عن ذلك الغدر ولم يعلم بما فى قلبه من الخبث والمكر وصار أكثر الاوقات يقضيها معه باللذات وينادمه فى الولائم والدعوات وكذلك أهل القبلتين قد اتفقوا على ذلك ومال عنهم الشين وكانوا تلك الايام قد جدوا فى عرس عنتر وصاروا ينقربون اليه وشرعوا فى دخول عبلة عليه هذا وعنتر قد انفذ إلى أصدقائه وأصحابه ورفاقة وعمه مالك قد ذاب صميم مهجته وتأسف على ابنته كيف تخرج من بينه بغير شهوته فلما زاد به الهم وضيق بعث يشكو حاله إلى الربيع وحذيفة بن بدر فتوجعوا لوجعه وساروا يدعون على عنتر ومعهم رجل يسمى عمارة لان بقلبه من عبلة حرارة وما زال بنو عبس على ذلك وأفرحهم كل يوم تتجدد حتى وصل إلى حذيفة كتاب من عند الملك الاسود وهو يخبره فارس الشأن النعمان وماهو عليه من مشأن وهو يقول له ابشر ياحذيفة فقدنا من بنى عبس القلعان إلى آخر الزمان لانه قد وصل إلى أخى النعمان فارس

لا يقاس بالفرسان وشجاع قد فاق كل الأقران لانه أسر فى ثلاثة أيام الف فارس همام ولا تعب ولا شق عليه ذلك الشأن بل بقيت الأبطال بين يديه مثل النسوان وأخى النعمان قد عول أن ينفذه إلى بنى عبس وعدنان ليقلع منهم الآثار ويخرب الديار ويقتل الكبار منهم والصغار ويهلك عنتر بن شداد ويجعله معفرا فى الوهاد ويسكن عرب اليمن فى ديار بنى عبس لأن أرض اليمن قد أقحطت وأتت قبائل منهم تشكوا إلى أخى الغلا وقلة المرعى فقال لهم اجتمعوا حتى أنفذكم إلى أرض الحجاز واتخذوها لكم وطنا ومرعى وسرحوا فى جنباتها أموالكم تسمى واجعلوا بنى فزارة لكم جوارا وكونوا لهم مساعد وأنصار ومعهم هذا الفارس الهمام الذى ذكرت لكم أن يسير فى هذه الايام وهو فارس وسوف يرى معه مواكب مثل الجبال وكتايب مثل الرمل إذ سأل فى جنح الظلام فدبر هذا الأمر كما تريد بحسن الاهتمام فلما سمع حذيفة هذا الكلام أيقن ببلوغ المرام وأمل أن يصل إلى ماأراد مع بنى عبس وعنتر بن شداد إلا أنه لما سمع هذا الحديث كتمه ولم يطلعه على أحد مخافة أن يعلم بنو عبس فيحترزون على أنفسهم ويكاتبوا حلفائهم ثم بقى حائرا كيف يفسخ الصلح حتى يكون عونا للعساكر القادمة وأما عنتر بن شداد فانه قال للملك قيس الهمام الرأى أن نجبر قلوب الأرامل والايتام فتغمرهم بالأنعام فتلبسهم أفخر الالوان ولا نهى بولائم ولا يأكل طعام فتلتذ بشرب مدام فلما سمع الملك قيس هذا الخطاب علم أنه صواب فصار الملك كل يوم يجمع الصعاليك وأصحاب الأحزان ويذبح لهم النياق والفصلان ويفوق على النساء والصبيان ويسليهم عمن فقدلهم من الخلان ومازالوا على هذه الأحكام تمام عشرة أيام وبعد ذلك تلاقى قلوب النسوان وقال لهم يا بنات الاعمام ما يفيد هذا النواح والبكاء والاشتكاء ولا يرد الذى فقد لكم لى وذلك أنكم تبطلوا هذا الامن أجل هؤلاء الاقوام دعيناهم هذه الايام قال الراوى لانهم جميعا حلفائهم لاجل الوليمة التى فعلوها ثم أشبع الجيعان وردلفة البنات والصبيان وكذلك فعل عنتر حتى قلعوا جميع النساء ما عليهم من ملابس السواد والحداد هذا وعنتر وأخوته قد قاموا بخدمة من أتى إلى الوليمة وكذلك والده شداد وأخوته بادر وافى ذلك العمل ساروا يجلبون له الخمر من سائر الحلل ويسعون فى قضاة أشغاله لانهم فرحوا بما حصل فى الفرسان عنتر وما ناله من الزواج وبلوغ الامل وكذلك عمه زخمة الجواد وقد أظهر ما عنده من الوداد قال فلما انجزت الاشغال بطل البكاء والعويل وأمر الملك قيس

اخراج الهوادج وأن تزين بيت الحلة وابياته ودضاربه وتنشر أعلامه وتعلى مراتبه فلما فعلوا ما أمرهم به وظهرت أعلام الديباج صاروا من الفرج بغاية الابتهاج وبرزت الولدان والبسوها من سائر الألوان وعلقوا في أعناقهم قلائد الجواهر والمرجان واللؤلؤ غاية الأثمار وقد لبست النسوان ثياب الأفراح وقد تساوى عندهم المساء والصباح وأشهروا السلاح وركبوا الخيل الملاح وكان أحسن الحلة بيوت بني قراد وكان أفراح الخلق بذلك عنتر بن شداد وقد أظهر العماريه الفضيه التي قد أتى بها من عند الملك كسرى وكذلك التاج الذي محبوك بالجواهر والذهب الوهاج قال الأصمعي فعند ذلك زاد الحي ارتحال وقد صار النسوان والبنات والاماء يضربن بالدفوف واشهر العبيد بأيديهم السيوف وذبحت الاغنام والنياق ورووا قوم المدام إلى أن صفا ورق وصار صنى من دموع العشاق وطالهم الزمان وغفلت عنهم طوارق الحدثان وصفت الخمور في الدنان وهم يذبحون الاغنام ويروقن المدام قال الراوى وظلوا على هذا الحال تمام ثلاثة ايام وفي الرابع والسرور متتابع وأمر الزفاف قد انتجاز غاية الانتجاز وما بقى فيه خلاف فعند ذلك أنفذ الملك قيس إلى حذيفة وأخوته وجميع الاكابر من عشيرته وهو يحثهم على القوم في ذلك اليوم فاجاب حذيفة بالسمع والطاعه وقد تأهب من تلك الساعة فيمن وافقه من الجماعه وقد عولوا على المسير الكبير منهم والصغير وكان سنان بن أبي حارثه منتظر في هده الايام للقبائل التي جهزها الملك النعمان وهم مرتقبوا فارس بني غسان لان حذيفة كان أعلم سنان بما وصل اليه في الكتاب الذي أنفذه اليه الملك الاسود وقد أعلمة بالامر الذي حدث وتجدد وقال أنا أعلم ياسنان بان العسا كتصل في هذه الايام ولكن أنا خائف أن ينتهي عنتر بوليمة ويدخل على زوجته ويقضي شهوته وتدوم مسرته وأنا أريد أن انقض العهد الذي بيني وبين بني عبس ولا أحضر لهم عرس بل أنني أريد أكون عونا للطوائف القادمين على قطع آثارهم وخراب ديارهم وأنا من ذلك حرى في أمرو لاأدرى بأى شيء افتح باب حتى لا أقرب لهم ديار لان في أفراحهم حزني وقتل فرسانهم غاية فرحي فياليت شعرى كيف حال عمارة بن زياد لانني أعلم ان حسده يذوب من شدة الغرام وإن دخل على عبلة في هذه الأيام مات عمارة قهرا وذابت أحشاءه من الآلام قال الناقل إن كان الذي حسبه حذيفة صحيح فعمارة تعبيان القلب من يوم ماصنع عنتر هذه الولائم ولما قامت له الافراح ازداد عند عمارة الاتراح لاسيما من يوم زينة عبلة فانه قد ابتلى بالهم والذلة وقد اصابته الفضلة وكلما سمع صياح الافراح قد علا يزداد هما وبلا وكذلك اخوته اغتموا لغمة وقد حملوا بعض همه وما حضر الوليمة منهم إلا الربيع بن زياد

لأنه كان أعقل أخوته فواظب عند الملك قيس فى مقام الأفراح وترك أخاه عمارة فى الهم والأفراح وهو يبكى عند أمه فى الأبيات ومن جسده لعنتر قدمات وأما بقى أخوته فانهم أوسعوا فى البروسار إلى المرعى وقد اشتغلوا بشرب الخمر قال الراوى وأعجب ماروى فى هذه السيرة العجيبة أن الحصين بن ضمضم الذى كان عنتر قتله فى يوم وقعة المريقب وأسقاه كاس المنيه كما أشار لهذا الكلام فى القصيد الميمية حيث يقول

ولقد حفظت وصاة عمى فى الضحا ... وتقلص الشفتين عن وضح الفم
ولقد خشيت بان الموت ولم تكن ... للحرب دائرة على ابنى ضمضم
الشاتمى عرض ولم أشتمهما ... والغادرين اذا أحميتهما دمى
أن يفعلا فلقد تركت أباهما ... جزر السباع وكل نسر قشعم

قال الراوى وكان الحصين بن ضمضم هذا عن بنى فزارة وهو ابن خالة حذيفة فاتفق أنه ركب فى ذلك اليوم الذى نحن فى حديثه وطلب الصيد إلى أن وصلوا إلى مرعى بنى عبس وقارب مراعى بنى زياد فنظر إلى طالب أخى الربيع وهو تحت شجرة يستظل تحتها وهو جالس يشرب من الخر وارحى وراء ظهره عواقب الأيام وجماله قدامة تسعى وهى صحبه عبيدة قرعى فاقبل عليه الحصين وقال له ح يلك يا ابن زياد ونسل الاوغاد أنت أمنت فى هذا البر والربا وقد غنيت عجبا وطربا فقال له نعم ياحصين لان العرب فى ساحتنا والنصر على الويتنا وسوفنا نقذبها رقاب حسادنا لان رماحنا مداد فلما أن سمع الحصين مقاله تغيرت أحواله ولم ينظر ما بين يديه فردرأس الفرس اليه وحمل عليه وطعنة فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهرة وحل به الفناء والخسارة وعاد الحصين طالباً بنى فزارة ودخل على حذيفة بن بدر وأخبره بما فعل من الغدر فلما سمع حذيفه كلامة فرح بأعماله وأجاد رأية فى فعلته وقعد عن المسير الى وليمة عنتر هو مع اخوته واعلم بذلك فرسان عشيرته لانهم تجهزوا السفر لاجل أفراح أبى الفوارس إلا أنهم لما علموا بهذا الفعال أخذا أهبتهم للحرب والقتال وصار لبنى عبس فى انتظار وقد خافوا أن يدهمهم على غفلة ليلا أونهار قال الراوى فهذا ماكان من الايراد وأما ما كان من أمر بنى زياد فبينماهم جلوس فى الحلة وهم يذكرن الوقائع فى سائر البيد إذ أقبلت عليهم العبيد بالصياح فى الحله وهم يدعون بالويل والثبور وعظايم الأمور فعندها أقبلت الفرسان وسألوهم عن تلك المصائب فقال لهم قد قتل سيدنا طالب فقال لهم من قتله وأنزل به البلا وألقاه قتيلا فى البر وهذا الفلا فقالوا لهم الذى قتله ابن ضمضم الحصين وكان على قتله قويا

متين فعندذلك أقام أهل الحى بالصياح وأقبلت الفرسان من سائر النواح والبسوا عدة الحرب والكماح واحتفلوا بالسيوف والرماح وأما بنوا زياد فقد حلت بهم المصايب وهدوا الخيام والمضارب وأمازوجة الملك قيس فانها لما أن بلغها الخبر كادقلبها أن ينفطر وقد اجتمعت العساكر وهمزت الخيل بالارغاة وقصدوا ابيات بنى فزارة قال فبينما أهل الحى يتحدثون فى عرس عنتر ودخوله على عبلة اذ أتى اليهم الرجال وأخبروهم بتلك الاحوال فقاموا ليكشفوا الخبر فتبينوا العساكر وإذا هم بنو عبس فقالوا لهم ما الذى أقدمكم علينا هل زائرون أوطالبون حربنا فقالوا لهم أن الحصين قتل طالب بن زياد ونحن جئنا نأخذ بثأره فعندها قام فى وجوههم مشايخ بنى فزارة وقالوا لهم احقنوا دماء القبيلتين ولا ترموا بيننا الشر والفتن فقال لهم بنو عبس إذا أردتم ان تسلموا من التعس فسلموا الينا قاتل أخينا فقالت المشايخ نحن نعطيك الدية ونسألكم فيها القبول فعند ذلك أقبل حذيفة بن بدر الذى طبعه الخبث والغدر وهو يقول ابن خالتى كان سكران وماعنده علم بهذا الشأن وهو زوج ابنتى ومن أهلى وقرابتى وأنا لاأسلمه لمن يتحكم فيه ويقتله بل ان أردتم دية المقتول على هذه الحالات فأنقد اليكم عشرة ولا انقص الايمان ولا أكون خوان قال الراوى فلما سمع قيس ذلك المقال قال هذا رجل فى الحرب جوال ولا حاجة فى جواره وسوف أقلع آثاره ثم أنه ركب وركبت بنو عبس وقد عولوا على المسير فعندها أقبل عليها نجاب من صدر البر والهضب فوقفوا ليسألوه واحدقوا اليه النظر ورمقوه وإذا به عبد من عبيد المتجردة فعندذلك تلقاه قيس مع رجاله وأخذ يسأله عن حاله وسبب مسيره وقطع الفلاة وما معه من الخبر وما وراءه فقال العبد ورائى الويل والحرب وشىء يؤدى الى الموت والعطب فلما سمع الملك قيس ذلك المقال قال له ويلك وأى شىء هذه الفعال قال أيها الملك الهمام دع عنك هذا الكلام وخذ أهبة الحرب والطعان فقد أرسل اليه الملك النعمان من عنده عسكراً جراراً ومعهم فارس جبار وبطل مغوار وهو يظن أنه يقطع من بنى عبس الآثار وأنا اخبركم أيضا أن الملك النعمان تخشى بأسه العربان لأنه صاحب الحسب والنسب الذى حاز الفضل والأدب بقى حائر بأى حجة يحتج بها فى قتالكم والنيران تتوقد فى قلبه من فعالكم حتى أتت اليه عرب من أطراف اليمن ومن تلك الأطلال والدمن وشكوا اليه القحط والغلا وقلة الشعب والكلا فأمرهم المسير الى أراضيكم وأباحهم منازلكم ومراعيكم وسير اليكم قبايل جياع مابهم من يفزع

من الموت ولا يرتاع ومعهم هذا الفارس الغسانى الذى ماله فى الحرب ثانى وهو يقال له مقرى الوحش وقد قال لأخيه الأسود أعلم يا أخى أنه قد صار لنا حجة تحتج بها عند سائر العرب من بعد منها أو اقترب وأن لا منا السيد عبد المطلب على هذا السبب نقول له أن هذه القبائل غريبة من اليمن وقد طلبت الاقامة فى أرض الحجاز وأرادت السكن فى تلك المفاوز وكان لها على بنى عبس دماء وثار وقد طلبتها من دون عرب القفار ثم أن العبد قال لهم وأنتم يا موالى خذوا حذركم ودبروا أمركم للقاء غريمكم وأما أختك المتجردة فلا يسأل عنها لاجلكم (قال) فلما سمع قيس ذلك الخطاب قال له ويلك أى شىء هذا الحال ولم لم تعلمنا بهذا المقال قبل توجه هذا الجيش الجرار حتى كنا نستعدلهم ونأخذ لانفسنا الأحذار فقال له العبد والله يا مولاى أن الملك النعمان وكل بالطرقات رجال وما وجدت فرصة حتى سارت العساكر ولا بقى أحد يحتج على خارج ولا داخل فارسلت أختك إلى بعض الاماء وقد أمرتنى بالمسير فى هذا المعنى وقالت لى إلحق بقومى واركب بعض النجب وأقطع البيداء وسر اليهم وأخبرهم من قبل أن تدركهم الأعداء وهم غافلون فيكون سبب لهلاكهم وسوء ارتباكهم فعندها يامولاى فعلت ما أمرتنى وشديت عزمى والخيل وسرت من الحيرة الليل وقد أوسعت عنهم فى جانب البر مخافة أن تقع على العين ويعرفونى فيمسكونى ويقدمونى إلى الملك النعمان فيكان يسقينى كؤس الذل والهوان ومازلت أقطع الاوعار والقفار أسير بالليل وأختفى بالنهار إلى أن وصلت إلى أطلالكم والديار قال الراوى فلما سمع الملك قيس كلامه وفهم معانيه أشتغل قلبه عما كان فيه وفى ساعة الحال رجع هو ومن معه طالبا الأطلال ولما وصل واستقر به القرار أرسل خلف عنتر الفارس السكرار فلما أتاه الخبر ركب هو وأعمامه مالك وزخمة الجواد وكذلك أبو شداد وجميع فرسان بنى قراد وكان عنتر قد تخلف فى الأول من الركوب ولما أتاه رسول الملك قيس أحتاج أن يركب حياء منه وخوفا من عتبه (قال الاصمعى) وكان عنده أبن أخيه الهطال فى جماعة من بنى عطفان الأبطال لأنهم كانوا قد أتوا ليحضروا عرس عنتر فاتاهم الأمر بخلاف ما على بالهم قد خطر (قال الراوى) فلما وصل عنتر عند الملك قيس خدم بعد ما سلم فعندها أخبره الملك قيس بالخبر وبكثرة الجيوش السائرة إليهم وأعلمه أن أخته المتجردة هى التى أرسلت إليهم من خوفها عليهم وقد أخبره بما تجدد وقال له يا أبا الفوارس ماذا تقول فى المعروف الذى حصل منا مع الملك الأسود فلما سمع عنتر كلامه اشتد به الغيظ وقال له ما أعظم

ماقال وتكلم وقال ياملك هذا كله من أيديكم حتى وصلت أذيته اليكم وإلا لو كنتم مكنتموني من ضرب رقبة الاسود وقتل الفرسان الذين وقعوا فى أيدينا ما كان جرى علينا فعند ذلك قال له الملك قيس ياأبا الفوارس هذا الأمر قد فات وذهبت منه الافات وقل لنا أى شيء عندك من الرأى فى هذا الامر والشأن قبل أن تدهمنا طوارق الحدثان فات هذا العسكر المرسوم عدد النجوم قال الراوى فلما سمع عنتر كلامه فهم هذه العبارة قال ياملك أننا نسير كلنا إلى بنى فزارة ونضع فيهم السيف قبل أن تصل الينا عسكر النعمان ونعود إلى هذا الشأن ونلتقيهم ولو كان معهم عسكر خرسان فلما سمع الملك قيس هذا من عنتر قال له ياأبا الفوارس ما بقى علينا إلا أن نفعل هذه الفعال لان لا بد ما قربوا من الديار ولو سرنا اليوم إلى بنى فزاره ما وصلنا اليهم إلا عند المساء ونحتاج للمبيت إلى غد وفى يوم أو يومين تبلغ منهم المنى ونحن نخاف من هؤلاء العرب الغريبة أن ينزلوا عند غيبتنا وتبقى أموالنا بلا حامى ولا أحد منا عندها فينهبوا الاموال ويأسروا العيال وأنى قد رأيت من الصواب أننا نقيم ونتاهب إلى الخصم والعدا ونقاتلهم حتى يبقوا مطروحين فلما سمع العبد الذى قد أتاهم بالخبر قال يامولاى ما غاب القتل يكون فيكم إلا قليل لكن الأمر كثير لأن النعمان أوصاهم بالاسر وأما فارس بن غسان فقد ضمن رأس عنتر بن شداد وقال للنعمان أريد منك ألف ناقة من النوق العصافيرية وتكون من جملة المهر والصداق وأنا أتيك برأس عنتر بن شداد أن شئت قتيلا أم أسيرا فى الوثاق فلما سمع عنتر من العبد ذلك الكلام قال له يا عبد الخير كذب هذا الوغد الشئم فى مقاله وهو حقير من أرسع البيدا وبيدقر قاب كل مخلوق لا تركته أسير فى أرضنا وهو بالذل موثوق وعندها عاد الملك قيس إلى الخيام وهو يقول إلى فرسان بنى عبس ما فيكم لليلة من ينام إلا وهو معتقل بالسلاح ولا يصبح إلا وهو معتمد للحرب والكفاح ثم بعد ذلك أقبل إلى الربيع بن زياد وقال له لا تحزن ياابن العم وتظن أننا نندم أخيك غافلون أو أننا بهذه الفعال راضون لا نتركه يمضى هدار فلا بد لنا من بنى فزارة مرة أخرى ويصير لنا وإياهم شأن وتمكن منهم كل الاماكن وإذا كسرنا عسكر النعمان ما بقى من بنى فزارة إنسان فوالله لقد كان جوارهم بئس الجوار وإن لم نقلع منهم الآثار لا يكن لنا معهم فى تلك الأرض قرار وبعد ذلك لا يكون إلا ما يريده الرب القديم الذى خلق الخليل إبراهيم وموسى الكليم قال الراوى هذا ما كان من بنى عبس وأما ما كان من حذيفة بن بدر الذى طبعه الخبث والغدر فانه بقى بعد قتل طالب بنى زياد منتظرا ما يتجدد من بنى عبس وعدنان ومنتظرا قدوم عسكر النعمان حتى

نبادر بنى عبس بالحرب والطعان فبينما هو على ذلك الحال وإذا بالخبر قد أتاه من بعض الرجال ان عنتر والملك قيس كانوا ركبوا مع الربيع بن زياد فهو لين على قتالكم وخراب دياركم فعند ذلك رد الجواب وأمرهم أن أخذوا أهبة الحرب والقتال فلما سمع حذيفة هذا المقال أقبل على اخوته وسنان وقال لهم والله ما بقى لبنى عبس إلا القلعان ثم أنه بعد ذلك نادى فى بنى فزارة وقال يا بنى عمى خذوا أهبتكم ولا تبالوا وبادروا إلى أخذ الثار ما دام قد أمكنكم البدار فعند ذلك بات الحى يموج بالعدو السلاح والنساء قد قابين البر بالصياح خائفين من الأسر والافتضاح ولم يزالوا على ذلك الحال حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها ركب حذيفة بن بدر على حجرته الغبراء وظهر إلى الصحراء وقد تتابعت وراءه الفرسان من كل جانب ومكان فلما كان وسط النهار وقد وصل اليه فارس من عسكر النعمان وقال يا حذيفة ان كنت قد عزمت على أخذ الثأر فالتق غداً باكر النهار هذا العسكر الجرار والقبائل التى تسدعين الشمس وقد سيرها الملك النعمان إلى أرض بنى عبس وعدنان لأنها غاصل حول الشربة والعلم السعدى فلما سمع حذيفة ذلك الكلام زاد به الفرح واتسع صدره وانشرح وما صدق أن الصباح بصبح حتى أنه صار فى جيش جرام وجحفل طير من حوله الشرار لأنه ما وصل إلى بنى عبس حتى أقبل عسكر النعمان وطلع غبارهم حتى سد الأقطار وتتابع كموج البحار وضجت البرارى وعند وصولهم انقلبت الارض من ركض خيولهم وانتشرت فى تلك القفار طولا وعرضا وأقبلت من سائر الجنبات وضاقت بهم جميع الجهات واندهشت القوم من كثرة الرايات قال الراوى فلما نظر عنتر ابن شداد إلى هذه الأحوال هانت عليه المنايا والمصايب اشتبال ورمى نفسه على الموت بلا خوف ولا محال ثم زعق زعقة دوت لها الجبال وقد أفلت العسا كرمتتابعة على نداء وقد كان صوته مثل الرعد فى الغمام ثم أكب رأسه فى قربوس سرجه وأخى إلى فرسه اللجام وقد هدر وزمجر وزعق زعقة الا جال وحمل على الاعداء فى المجالى وردهم على أعقابهم عن الخيام قوة واقتدار هدا وطعنه وضربه مثل شعل النار قال الراوى فلما رأت الفرسان ذلك الشأن تراجعوا من هيبته وارتعشت الابدان من زعقته وحملت بنو عبس خلفه وانبهرت بنو فزارة لما نظروا إلى صورته ودغس فيهم عنتر الجمال وانزل بهم النكل والخبال فبينما هو على ذلك الحال وإذا بالحصين بن ضمضم قد التقاه وهو مشتغل بالفرسان فطعنه بالسنان فى صدره وضربه بالسيف على وجهه وقال له خذها وأنا الحصين ابن ضمضم فوقع الحسام فى جبهته وخرجت عينا فاقتله بل أرسل د. فعند ذلك قام الامير عنتر

زعق زعقة ارتج لها الفلاح وحمل عليه وعلى من والاه فما وقف قدامه أحد إلا وحل به فناه
قال الراوى هذا كله يجرى ومقرى الوحش وأصحاب النعمان واقفون مافيهم من جرد
حساما ولا مدسنان لأن مقرى الوحش قال لهم لما أن رأى الحرب من أول الليل بينهم قد
انتشب والله إن هذا بئس التدبير ومن هذا يقع ببنى فزارة التدمير ولو كان مع حذيفة رأى
ما قاتل فى ظلام الليل بهذه الطوائف الغريبة المجهولة لهذه الطائفة القليلة المعلولة لأن
أكثرهم يقتلوا بعضهم البعض ويبقوا مطروحين على وجه الأرض وبهذا ينكسر روسنا
وربما نهبت العرب أموال بنى فزارة وبعد ذلك أنتم تعلمون الملك النعمان ما أمرنا
بهلاك هذه الفرسان بل أمرنا أننا نحملهم اليه ونقدمهم بين يديه ونسيرهم إلى العراق وهم
هى أسد الوثاق لأنهم قرايب على كل حال وهم شجعان وأبطال وهو ما يريد منهم غير الطاعة
وأنا وحق دينى كنت أقدر أقضى هذا الشغل وحدى سريع وأعود بالجميع ولكننى
ما قدرت أن أرجوا با إلى الملك النعمان لما أنفذ معى هذه القبائل لأنه أراد أن يأخذ بالثار
من أجل حذيفه وما أراد أيضا أن يترك عندهم وفى جوارهم إلا من يكون طوعهم
وتحت يدهم والصواب اننا نصبر حتى تطلع ضوء النهار ويبان نعرف الرابح من
الخسران ومن عمل تلك الوقت شيئا يبين الفرسان وتشهد له جميع العربان قال الأصمعى
ثم أنه أقام إلى أن طلع الصباح وقد ذكرنا ان عنتر قد جرى له ما جرى وكيف دفع عن قومه
العدا وكان قد قتل من بنى عبس ثلثمائه بلا خلاف وقتل من بنى فزارة نحو ثلاثه آلاف
وأصبحت الدنيا فضايح والقتلى مطروحة مثل الذبايح والدماء خضيب الأرض والربا
والقرايب تندب على الأقربا (قال الأصمعى) ولما هدأت نيران الحرب وعادت الفرسان عن
الطعن والضرب أقبلت أصحاب النعمان على مقرى الوحش فارس الشام وقالوا له ما تقول
الساعة فى الحملة على بنى عبس ونجعل يومهم هذا يوم تعس ونكس ونتركهم على الأرض
صايب ولا ونبلغ به شرق ولا يشكرنا عليه أحد ممن سلف لأن بنى عبس على كل حال
والرمال وتبلغ منهم الآمال وتكون هذه وقعة الانفصال فقال لهم ما هذا الرأى
طائفة قليلة ولاسيما أنها تعبت فى هذه الليلة وقد أصبح أكثرهم جرحى ومشرفين على
الهلاك والسالم منهم ما يقدر على نقل السواك وحملتنا عليهم فى هذا الوقت ليست هى من
الفخار ولا تبلغ منهم محصولا فى هذا المكان طول النهار وإذا كان فى غدو أتى مصباح
خرجت وضمنت لحذيفة بلوغ آماله وآخذ له بثاره من بنى عبس وقود فرسانهم وأقهر
أبطالهم وأسبى أولادهم ونساءهم ولا أترك منهم أحد واجعل هذا اليوم عليهم أسودهم

أنهم نزلوا عن ظهور الخيل وقد مضى أكثر النهار وقرب دخول الليل ونزلت الرجال وهم يشكون من التعب والملال وكان عنتر قد رجع وهو مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وكان أكثر جسده جراحات لأنه أظهر فروسيته وقوى صبره من غير شكوى ثم أنه انطرح يطلب الراحة بعدما افتقد جراحه فعند ذلك أتى اليه الملك قيس وأخوته ليفتقدوه وعن حاله يسألوه وقد جرى عليهم ماجرى من عظم القتال وسألوه عن جراحه لئلا يكون قد انفسدت صحته فقال عنتر إلى الملك قيس أيها الهمام لا تخف ولا تحذر وحق الرب القديم الذى فى ملكه قد احتجب لابد من هلاك الأعداء وأرينك فيهم غاية العجب وجميع هذه الجيوش أنزل بهم الذل والعطب وأسوق بين يديك الفرسان وأرباب الرتب وصار أبو الفوارس عنتر يتحسر على من تخلص من بنى بدر ويقول إن لم أنل غرضى أموت وأندم وقلبى خائف أن أموت ولا أقتل الحصين بن ضمضم وألحقه بأبيه وأنزل به العدم وإن لم أنل الجواز لعبلة فلن تزول عن قلبى هذه العلة وأن لم أدخل بابنة عمى فهذا عندى أصعب من كل شىء لا أخاف أن يكون الأجل قد اقترب فلما سمع الملك قيس كلامه ومقاله رق له ورثى لحاله وقال له يا أبا الفوارس هذا أمر لا تحمل همه فسوف يكشف عن قلبك غمه وأنا أرجو من الرب القديم أننا نكسر هذا العدو والغريم ونفرقهم فى جنبات البيدا ولا نبقى من بنى فزارة أحدو نعود إلى مكاننا الذى كنا فيه وتتم الأفراح وتداومها مساء وصباح وتدخل أنت بابنة عمك عبلة ويزول عنك الهم والعلة فقال عنتر هذا الأمر ما يتم إلا بعد قتل هذا الفارس الذى أرسله الملك النعمان وتكفل بقتلى فى الميدان وأقول أنه البارحة ماقاتل ولا خاض العجاج وإن كان فعل ذلك فما هو إلا فارس كريم وشديد أتولى الحرب والبراز وتظهر شجاعته لأهل الحجاز ويكون ماقضاه رب زمزم ومتى إذا ما اختلفت بيننا سمر القنا فقال ابن أخته المطال والله يا أبا الفوارس ما تركت تلك القتال وأنت على هذا الحال فقال عنتر وحق من احتجب عن العيون وعلم ما كان قبل أن يكون ما أنت يا مطال إلى من أهل الاقتتال ولكن بنو عبس لا يقوم لها عن إلا بعنتر بن شداد فتبسم قيس من مقاله وعلم أن سعد العشيرة مقرون به فدعا له وقام إلى تدبير الرجال وغدرة الأبطال قال الراوى وكان أول من عبر إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب عنتر بن شداد وقد اصطلى بنفسه الحرب وقد دارت راحات الدائرات ورقصت الصافنات وكثر الصياح فى سائر الجنبات وظهرت بنو عبس من سائر الجهات بآلة حربها من بين المضارب والخيام ونشرت على رأس الملك قيس

رايته العقاب وحمل عنتر بن شداد فى موكب بنى قراد وقد أظهر الجلد التكمد خوفا على قبيلته من كثرة العدد ولما أخذ كل إنسان مقامه ومكانه وتأهب لضربه وطعنه وقد عولت المواكب على الحملة خرج من حجاب الملك جماعة وردوا الناس والفرسان وقالوا لهم امهلوا اليوم حتى يخرج فارس غسان وتقضى الأشغال للملك النعمان وإلا ينقضى علينا الزمان ويقع فينا النقصان لأنكم البارحة خسرتم غاية الخسران وكسرتم ناموسنا بتلك الفعال فلما سمعت العربان الغربية ذلك الكلام عادت وأطاعت وأما بنو فزارة فانه غرها الطمع وقال الحصين بن ضمضم لحذيفة ابن بدر ايش هذا التدبير الفاسد أيكون الفعل لنا والاسم لغيرنا وحق ذمة العرب العربا ما أرضى بهذا الحكم أبدا ولا بد لى أن أكون اليوم أول من يبرز إلى هذه الأبطال وأطلب القتال والنزال لأنى شظيت عنتر بن شداد بالجراحات وماتركت فيه رمق وما أريد قتله إلا على يدى حتى تعلم فرسان العرب باشاعة شفاته صفاته عند ذرى الرتب ولا أكون أنا قد جرحته ويفوز غيرى بقتله فيكون من أعجب العجب ثم أنه صاح فى جواده وخرج إلى حومة الميدان وصال وجال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا أم قرى واجمعى واستبشرى	فاليوم اشفى غلتى من عنتر
وإذا رأيت الطير ينهش لحمه	تحت العجاجة فاحمدينى واشكرى
أسد تركت لطعنى فى وجهه	أثرا يظل به قبيح المنظر
واسلمت فوق سنان رمحى عينه	وتركته مثل البعير الأعور
وديار عبس تنظرى عرصاتها	من بعده مثل الفلاة المقفر

قال الأصمعى فلما سمع مقاله ونظر فعاله تغيرت جميع أحواله ورأى عروة بن الورد وابن اخته المطال تأهبوا للحرب والقتال وكل منهم عول أن يخرج اليه فى ساحة المجال فقال لهم اقصروا ودعونى حتى اشفى قلبى بقتله ثم أنه فى عاجل الحال قفز اليه وشرار النار يطير من عينيه لأنه كان قد تألم قلبه من بكاء عبلة لما اشتدت جراحاته عليه وكثر حزنها بين يديه فطيب قلبها وسكن فزعها فلما برز ذلك الوقت إلى الحصين بن ضمضم فأجابه بشعر منظم وجعل يقول صلوا على طه الرسول

يا عبلة لا يحزنك جرحى وابشرى	بالنصر من سيف الغلام الأسمر
يا عبلة لا تخشى على من العدا	واملى جفونك بالكرى لا تسهرى
يا عبله دون خباك فى غسق الدجا	ليث أشد من الهزبر القسور
قلبى بكاءك إن دمعك فى الحشا	امضى من الرمح الأصم الأسمر
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك	إن كنت جاهلة فهل لا تنظرى

يخبرك من خاض العجاج باننى فرقت جميع القوم فوق الابجر
وتركت جمع فزارة متفرقا فى البر يرجف خفيفة من عنتر
ابدى الشجاع جراحه فى وجهه واجراحكم يوم الوغاقى الأظهر

(قال الراوى) ثم بعد شعره طبق على الحصين وثار الغبار على الاثنين حتى غابا عن نظر العين وهذا ومقرى الوحش قد زاد به الغضب لما رأى بنى فزارة قد فعلت هذه الفعال وقطعته عن ساحه المجال بعد أن كان قد عول القتال ثم أنه نظر إلى فرسانهم وقد تقدمت إلى عنتر وقربت اليه وهى تريد الحملة عليه فقال وحق دينى ما بنو فزارة لاقليلين الأنصاف كثيرين الجور والاسراف وهم لا يبرحون فى الذل والخيال من ايدى بنى عبس لا بطال وهى أكثر من عددها وأزيد من مددها هذا وهو ينظر إلى عنتر وقد جعل اليه باله وقد احن أن يرى قتاله لكثرة ما سمع عنه من فعاله فرآه بحر الأنجال وجبلا لا تطاوله الجبال فلما نظر مقرى الوحش إلى عنتر وهو قتال الفرسان قال وحق مكون الاكون ما هذا العبد الا اعجوبة الزمان ولئن قهرته أنا فى الحرب والبراز لآخذن الطبقة على فرسان الشام والحجاز قال الاصمعى هذا وعنتر قد انطبق على الحصين بن ضمضم ومن كثرة ما لحقه من الالم تمطى فى كعوب الرمح وقام فى ركابه وطعنه فى صدره فاخرج طرف الرمح من ظهره إلا أنه ما وقع عن ظهر الجواد حتى ماجت بنو فزارة وصاح فيها حذيفة بن بدر وعول على الغد فعند ذلك صاح الحجاب الذين للملك النعمان وقالوا له اقصر عن هذا الشأن واصبر حتى تبصر ما يفعل فارس بنى غسان فلعله أن يبلغنا من عنتر المراد وإلا جملنا ونبلغ منه القصد والاسعاد ونجتهد غاية الاجتهاد وإذا نحن فعلنا هذا الشأن امنا من عتب النعمان ولا يقول لنا اننى انفذت معكم فارسا من الأبطال وهو الذى يقضى الاشغال فاخرتموه وقدمتم الانذال حتى يفتخر بنو عبس عليكم بالبراز قدام اليمن وعرب الحجاز قال الراوى فلما سمع حذيفة هذا الخطاب رجع حياء من الحجاب وخوفا من العتاب ثم برز مقرى الوحش إلى الميدان وصال وجال ولعب بين الفريقين حتى حير كل عين وكان فارسا موصوفا مقدحير الحذاق وذكره قد شاع فى الحجاز والعراق وهو راكب على حجرته جيده السبق تفوق لمعان البرق لا تبعد عليها العرب ولا الشرق قد اخذت من الرياح عواصفها ومن البرق خواطفها وفى يده قنطاريه خولنجة مكتوب عليها أنا رسول المنيه متقلد بهند يقطع الدروع وعليه ادرع معلم مصنوع قال الراوى فلما قرب عنتر وصار معه قال له ياويلك ياولد الزنا قد اشرفت على الفنا وانت سابح فى بحار العمى فوحق المسيح اننى قد اشفقت عليك وعلى عشيرتك من القتل

والضيق لانكم فرسان المنايا على التحقيق وأنتم قد حلتم أنفسكم من عداوة النعمان مالاتطيق على ان كل احد يطلب لنفسه العلو والافتخار ولا يريد الاما يختار إلاأن العاقل يجب عليه أن يسمع كلام الناصح ولا يكون فى بحر الجهالة سابح يكون عمره غاد باور ائح وأنت قد صار لك اسم فى هذه الديار وهذا يكون الترتيب ومن لم يكون ابصر الأسد يصفه بالذيب والرأى عندى أنك تسلم إلى نفسك من قريب وأنا حلف بدينى والصليب انى آخذ لك الامان من الملك النعمان و تخذك لى صديقا على طول الزمان ولا تكلف نفسك قتالى وأنت بهذا الحال وترجع تطلب منى الاقالة فلا تقال فتحط منزلتك و يشمت بك أعداؤك وحسادك



(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام قال له ويلك ياقرنان يامنهان ايش هذا الهذيان اخبرنى من تكون من الفرسان حتى تذكر لى هذا الكلام يا جبان فقال أنا مقرى الوحش فارس بنى غسان الذى قد شاع ذكرى فى سائر البلدان قال فلما سمع عنتر هذا المقال حمل عليه فى ساعة الحال ونادى يا ابن الانذال فلما سمع مقرى الوحش كلامه حمل عليه وأظهر ما حير عقل المشايخ والشباب وماز الا فى كر وفر حتى صارت الشمس فى قبة الفلك فرآه مقرى الوحش فارسا لا يطاق و علقما مر المذاق فقال فى نفسه أو طاوله فى القتال لعلى أن أسره

وفى وسط المجال ثم أنه ظهر من شجاعته له ما حير الأوهام وأخذ معه فى القتال والصدام وقد شاهد العربان فى ذلك اليوم بطلين من أهل القوة والبراعة تبطل عندهما الشجاعة وقد زعق كل واحد منهما على صاحبه وصار يطاعنه ويضاربه هذا وعبله قد سمعت ببراز عنتر إلى فارس الشام فخرجت إلى أذيال الخيام فى جماعة من النسوان ووقفن يتطلعن من حول الفرسان ويتضرعن إلى رب العباد وأكثرن من الدعاء لعنتر بن شداد هذا وعنتر مبارز لمقرى الوحش فى موقف المزاد إلى أن أقبل الليل بالسواد فعند ذلك انفصلا على سلامة وكل منهما محترز من صاحبه أما عنتر فان الملك قيس تلقاه وبالسلامة هناه لأنه رأى عصائب جراحة قد انحلت وفاضت بالدماء وكان ذلك من كثرة الجولان فعند ذلك سأله قيس عن خصمه فقال له يا أبا الفوارس هل يكون الحارث بن ظالم فى طبقة هذا الفارس فقال له يا صاحب السعادة ما كان يتكل إلا على غدره بالابطال والسادات على إننى لو لم يكن بى هذه الجراح ما كنت تركته يرجع من قدامى سالم (قال الراوى) ثم أن عنتر سار إن أبياته وهو مما هو فيه لا يعقل فداراه أعمامه وشدوا جراحاته وأما أمه زبيبة فانها ساعة عند رأسه وساعة عند رجليه وهى تخور خور البعير وتبكى بصوت كانه صوت الحمير فقال عنتر أخفى عنى هذا الصوت الشنيع فلعن الله هذا الوجه المربع ثم أنه بات وهو فى أشد الحال من ألم الجراح إلى أن بدت غرة الصباح هذا ما جرى لعنتر بن شداد وأما ما كان من مقرى الوحش فانه لما رجع من حومة الميدان تلقاه حذيفة بن بدر وهناه بالسلامة والخلاص وقال له لا يضيق صدرك أيها الفارس الهمام فوحق البيت الحرام لولا أنك أوحد الفرسان ما وقفت قدام هذا الشيطان فلما سمع مقرى الوحش كلامه قال له أما فروسيته وحق دينى ما أجحدها ولم أزل طول عمرى أذكرها لأن أنكار الحق من الإنسان قبيح وأما عودتى عنه فانى أعلمت أنى إذا طاولته فى الحرب أصل اليه وقلت إنه إذا أبصر خوذتى وخبرتى بالحرب وكثر معوتتى بالطعن والضرب يقبل على وأسلم نفسه لى و طلب الأمان من قبل الملك النعمان وإلا لو كنت طلبت قتلة كنت قتلته من أول النهار ولكن غداة غد أعود اليه وإن أيست من أمره أهلكته وعفرت خده وأتولى قتل عشيرته بعده قال الراوى فلما سمعت العرب تلك القضية منهم من صدق ومنهم من كذب مقاله لأجل خبرته بعنتر وشجاعته على فرسان الجاهلية ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى قيل وقال حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها تبادرت الأبطال تريد الحرب والكفاح واصطفت الكتائب وتقابلت

المواكب وترتبت الفرسان من كل جانب فلما اصطفت الصفوف وتعدات المئات والالوف فكان عنتر أول من برز إلى الميدان وطاب براز مقرى الوحش لانه بات حامل هم عظيم الحلاله فبرز له مقرى الوحش بين الصفين واشتهر بين الفريقين وافتكر حبيبته التى أقلقته وتيمته وآلمت منه الفؤاد وأتى من أجلى مهرها إلى تلك البلاد فافتكر أرضه وبلاده وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

نسيمك يا أرض الشام يطيب	فداوى عليـــلا فى حشاه لهيب
وهى عسى تلقاك ريح مسيكه	وأنفاسها من نشر طيبك طيب
فتاة يفوح المسك تحت لثامها	فتمزجه من ريقها فيطيب
إذا خطـــرت يهتز لين قوامها	كما اهتز من ريقها فيطيب
وإن رأيتها أبصرت عين غزاله	شجها حبها عنـــد العشية ذيب
تقول وقد جد الرحيل واد معى	تفيض على خدى كمزن صبيب
اما للقايا مقرى الوحش عوده	فقلت بل أن الرجوع قريب
فاوهبنى مالا ونوقا ونعمة	عطاه كـــريم والكريم وهوب
وسيرنى فى جحفل نحو فارس	تقـــر له الفرسان وهو نجيب
فقارعته الطعن حتى اختبرته	فافسد الاصلاح منه قريب
وعاركته عند البراز وبان لى	نهار برازى منه حرب عجيب
فان لم أهد اليوم بالسيف ركنه	فلا سر له قلب بوصل حبيب

قال الراوى فلما فرغ مقرى الوحش من شعره صال وجال ولعب وجه يمينا وشمال وطلب البراز من الابطال فعند ذلك خرج اليه الهطال ابن أخت عنتر الفارس الريبال وصار معه فى مقام الكفاح لان خاله عنتر قد أصبح مكروبا من ألم الجراح فتخلف ذلك اليوم عن الركوب وقلبه من النعم كاد يذوب الا أن مقرى الوحش لما رأى الهطال قد برز اليه انكر غيبة عنتر وأقبل على الهطال وقال له ويلك يا غلام أين عنتر الفارس الهمام كانت جراحاته قد منعته من الركوب فلا يلام وأنا وحق المسيح بالامس قد نصحته وأبقيت عليه وعن قتالى عدلته فركب معى طريق الزلل وقال لى انك قد حان منك الأجل وقد حل بك الحبل فقال له الهطال أما سؤالك عن عنتر وتخلفه معك عن القتال فذلك احتقارا بك وبامثالك لأنه رآك ماتصلح لقتاله ولا تعد من رجاله ولا لحربه ونزاله ولافهو احت ماالبه الجراح ورائحة دماؤها فى أنفه أزكى من ريح التفاح لانه عنده عز وفخار وعند غيره ذل وعار قد سمعت أنت وغيرك مقاله ومابه نطق وتكلم عند خروجه للحصين بن ضمضم لما كان عليه

فى الجرح الذى مفترى إذا يقول فى آخر أبياته .

أبدى الشجاع جراحه فى وجهه وجرا حكم يوم اللقا فى الاظهر

وأما سبب خروجى لقتالك فانى سالته البارحة فى نزالك وأقسمت عليه بعظيم الاقسام حتى سمح لى بالخروج اليك فى هذا المقال فدونك الآن والضرب بالحسام ولا تحتقر بالرجال الكرام ثم أنه هجم عليه وصاح وارتجت لعظم صيحته البطاح وكذلك فعل الآخر ونزل عليه ونزل القضاء والقدر ثم أنهم أخذ فى الأطباق والتواصل والافتراق ولم يزالوا على ذلك الحال حتى كلت الخيل من المجال وفترا عن مقال فعند ذلك أشار الهطال وأجابه على شعره يقول صلوا على طه على الرسول .

نسيمك ياأرض الحجاز يطيب	وريحك فى وجه العــدو لهيب
فقولى لمقرى الوحش يرجع دياره	سليما وللاعــاد وهو سليب
فلولا حبيب غاية القلب والمنا	لماصرت من جور الهوى متعوب
تقول وتذكر حسنها وجمالها	وتبغى رضاها وهى منك غضوب
خليلى عن لى على ذكر سادة	وانى على حد الحسام كئيب
فكم قد سالنا نسمة عن ديارهم	فلا ذكرت خود النسا والطيب
فشكوى الهوى بين الأنام مذلة	ولوكان فى نشر النسيم مجيب
إذا كنت باهذا صبوت إلى الهوى	فماتبتغى إن نازعتك حرب
فكم مثلك المذلول أرداه عنتر	بحد حسام فهو ليس يطيب
فلا تطمعن فى حربه حين جرحه	فكل هزبر جرحه مخضوب
هو الليث لا يثنيه خوف كتيبه	وكل قضاء صرفه مكتوب
وما عنتر إلا كليث كتيبه	وأفرس أهل الأرض وهو رحيب
فان تدعى حقا بأنك فى الورى	كليث هياج دع فانك ذيب
فما أنت مقرى الوحش انت بخيلها	بقنص نياق فى الورى محسوب
وأنت إذا ما رمت تبلغ قطره	وتلحق مجراة فانت كذوب
أنا نسله أنا فرعه أنا شبله	جارت عليك نوائب وخطوب
وذا اليوم قد وافاك بعض رجاله	وإنى الهزبر الليث واليعسوب
وأنا أنا الهطال أسمى حقيقة	أسقيك كاس الموت فهو ينوب

قال الراوى ولما فرغ الهطال من شعره وقد طربت الفرسان من نظمه ونثره قال له مقرى الوحش أنت الهطال فارس الميدان وشجاع بنى غطفان قال نعم أنا فارس الحضر

والبدو وابن أخت الأمير عنتر قال مقرى الوحش قد عرفتك بصفاتك ولكن أسمع تفيض أبياتك ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول

تعايرنى بالعشق يا أنذال العرب ... وأن جبان لبس فى الحرب تنتسب
وعنتر العبسى حائد عبلة ... ومن حبها فى قلبه النار تلتهب
نادم على فقد الجنان لقد بكى ... ومن فقد حوا صار ينعى وينتحب
فمن هو أنا يا ابن اللئام تلومنى ... وقلبى كواه البين والضر والتعب
وحق المسيح الطاهر الاطهر الذى ... نشأ الطير من طين وفى زيه عجب
وأحيا لميت بعدما كان دائر ... رهينا ببطن الرمس والروح قد سلب
أنادى باعلا الصوت فى حومة الوغا ... تعالوا إلى عندى تروا منى العجب
فان كان عنتر قد توهن جرحه ... فلا بد إذا لقاه أشمت به العرب
وأترك دياره القوم منه خليفة ... أسقيه كأس الموت والمر والعطب
وأفنى جميع القوم حقا بصارمى ... وأترك الأبطال فى الأرض تنسكب

(قال الأصمعى) ولما فرغ مقرى الوحش من شعره انطبق على الهطال وأخذهم الكر والفر إلى أن تضاحى النهار وأخفاهما الغبار عن النظار فعندها وقع التعب بالهطال ورأى بين يديه بطلا لا يقاس بالأبطال وفارسا لا يقع له أحد على عيار ولا يوجد مثله فى سائر الأقطار فعند ذلك أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد لأنه ما رأى على نفسه الهرب فصبر وقد أيقن بالعطب هذا ومقرى الوحش قد عرف بحاله فعول على هلاكه لأجل ما قد سمع من غيظ كلامه ولا سيما وقد عرف أن عنتر قد صوب اليه السنان وأراد أن يطعنه وينجزا مره وإذا بزعقة قد أخذته وعما عول عليه أوقفته فارتجت لها الجبال وقد شخصت لها جميع الأبطال ليعلموا من هو الذى زعق هذه الزعقة التى تفلق الصخر والجماد وإذا به عنتر بن شداد وهو يقول ويلك لا تفعل يا فارس الشام مع من هو ليس من رجالك فقد أتاك من يعجل فناك ثم أنه رد الهطال عن المجال وزعق على مقرى الوحش وعليه قد صال قال الراوى وكان السبب فى مجيء عنتر أنه لما كان قد انقطع عن البراز وصى أخاه شيبوب بالاحتراز وقال إذا رأيت الفرسان قد تحملت عليكم فاعلمنى حتى أخرج اليهم وإذا رأيت فارس بنى غسان قد طلب البراز وقد خرج إلى الميدان فعد إلى وأخبرنى بالخبر من قبل أن يؤثر فى فرساننا لأنى أعلم أنه فارس جبار فاجابه شيبوب إلى ذلك المقال وخرج من عنده لينظر ما يجرى من القتال وانطرح عنتر ليأخذله راحة مما به من ألم الجراحه ولم يزل كذلك إلى أن عاد إليه شيبوب المحتال وأخبر بخبر الهطال وما جرى له مع مقرى الوحش وقال الحق ابن أختك فى الميدان وإلا

سقاه مقرى الوحش كأس الهوان فلما سمع عنتر ذلك الخبر هدر وزمجر وركب فى ساعة الحال على ظهر جواده الابجر وركض إلى مكان القتال خوفا على ابن أخته الهطال حتى أدركه فى ساحة الميدان وقال لمقرى الوحش ذلك المقال ورد ابن أخته عن القتال وطلب مقرى الوحش فى عاجل الحال فلما نظر مقرى الوحش قال له ويلك يا ولد الزنا هو أنت الذى تدعى الانصاف وأراك اليوم قد ركبت طريق الغدر والاسراف فلما سمع عنتر من مقرى الوحش هذا الكلام قال له وايش الذى بان منى الخلاف حتى تعايرنى بقلة الانصاف فقال له مقرى الوحش لانك قد أخرت عنى خصمى بعد ما تعين لى أخذه أن قتله فقال له عنتر يا ابن الف قرنان أنت الذى تدعى أنك فارس الشام ومبيد الأبطال وتطلب تخر أباسر الرجال فوحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم كم فيها مثقال وقدر الأرزاق والاجال لو أن أعدائى بعدد الرمل وكلهم مثل هذا الغلام ما جعلتهم لى على بال فدع عنك التكلم بالمحال لان لا تفتخر إلا بأسر الأبطال وأعلم أن هلاك هذا الصبى ما كان ينفعك لأنك ما أتيت من عند النعمان إلا فى طلبى إذا أنت قتلتنى فتبقى كل بنى عبس بين يديك مافيهم بعدى من يلقاك فخذ الآن فى حربى لتنال مناك قال الراوى فلما سمع مقرى الوحش من عنتر هذا المقال أطلق الأعنة وقوم الاسنة وهان على الاثنين فقد الحياة وما فيهم إلا من أيس من الحياة وخاب أمله فيما ترجاه ولم يزالوا فى قوة واجتهاد حتى صار بياض النهار سوادا وهاج عنتر بن شداد وتعجب من قتالهم العباد وما فيهم إلا من أخذه القلق وصبروا للاحكام والقضاء وأشاروا بالدعاء لرب السماء فى سواد الليل والظلماء ودام القتال بين مقرى الوحش وعنتر حتى استحال النهار وتغير إلا أن عنتر لما رأى حسن معرفته بالطعن سل حسامه الظامى وضرب به رمح مقرى الوحش رمحه وقصفه نصفين وسل أيضا حسامه وقاتل به وبذل اهتمامه ومازال بينهما الأمر على هذا القياس حتى ضاقت من الطائفتين الانفاس ومد فيهم إلا من انذهل وقال قد قربت الآجال وعمل بينهما القتال وثار الغبار واشتعلت بينهما النار إلى أن مضى أكثر النهار وتعب مقرى الوحش وضعفت أوصاله وخاف من عنتر وقتاله وصارت الدنيا فى عينيه ظلام وطلب من عنتر الانفصال وقد انحلت منه المناكب والأوصال فقال عنتر لا وحق من لا دم خالق من صلصال ما نفترق إلا بانفصال فقال مقرى الوحش يا عنتر وحق خالق البشر وخالق المسيح من غير ذكر ما قدر أحد يثبت قدامى إلا أنت لحسن صناعتى وطعن الرمح وأنا اعلم أنك عجزت عن طعن السنان فضربته بالحسام الظامى وإلا ما كنت وقفت قدامى ولن كنت أنت ممن يطلب الفخار فاصبر حتى أعود إلا أصحابى وآخذ لى رمحا وأعود اليك ولا

أفارقك إلا بأمر الانفصال فقال عنتر لمقرى الوحش أنا ما بقيت أرجع مشغول البال وهذا زور منك ومحال وأنا أعلم أنك تخرج من قدامى وترجع لى أبدا لانى قد ثبت لى أنك مقصور على الثرى وفى هذه الساعة تكون بمدودو حق الملك المعبود ما بقيت أرجع عنك وأعود إلا بالانفصال والمقصود ثم طبق عليه وقد طمع فيه لأنه كان جرحه فى موضوعين فانكت عليه وحمل فتلقاه مقرى الوحش وقد استقبل ودام الضرب بينهما وأخفاهما الظلام عن أعين الأنام وتمايلت الصفوف وجردت السيوف وانكر القريب قريبه وكل فريق حسب حساب صاحبه وهما يفترقان وتارة يلتزمان وطلعت عليهم الغبرة وكثرة الهمهمة وماز الوا على ذلك حتى مضى من الليل نصفه وأيقن مقرى الوحش بزوال أجله ولاح له ملك الموت فاطلق العنان حجرته وطلب الهرب وأوسع فى البر والسبسب فصاح عنتر بأخيه شيبوب وقال ويلك ياأبا رياح أدركه قبل أن يوسع فى الطباح قال فتبعه شيبوب كأنه البلاء المصبوب فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من حذيفة بن بدر صاحب الخبث والغدر فانه صاح فى بنى فزارة وقال لهم دونكم وخلاص صاحب النعمان وقطعوا أنتم بسيوفكم هذا الشيطان فعندذلك غدرت بنو فزارة وصاحب بنو عبس من فزعها على عنتر هذا وقد أنصبت عليهم المصائب وانسقت البطون والترائب ثم تضاربوا ما لضرب الوجيع هذا والعرب العرباء ماجوا شرقا وغربا وأشبعوهم طعنا وضربا ولم يعقل تلك الليلة لأخ أخاه ولا الولد أباه ولم يزالوا ينهبوا من بعضهم البعض الأرواح إلى أن أقبل الصباح وعرف كل واحد رفيقه وبان له عدوه من صديقه فنظر الملك قيس يمينا وشمالا فما سمع لعنتر حسا ولا خبر فعند ذلك حار فى أمره وعادوا يسألون عن عنتر فما وجدوه وسألت عليهم فرسان اليمن وبنى بدر فاشتد الخوف وعظم الأمر وهجمت عليهم الرعب الجتاع وزادت فيهم الأطماع وخاف البطل الشجاع وتجير الجبان وارتاع وارتفع الصياح من حولهم أى ارتفاع وندبت النوادب على المنازل والمضارب ونظر الملك قيس إلى الموت وقد لاح فهمز جواده وقد دار على فرسانه رآهم حيارى وصار ينادى يابن عمى اتبعونى إلى رأس التل والعلم السعدى لأن ما لكم طاقة بهؤلاء العربان وأتركوا هذه الأموال حتى تنكشف أمر هذه البلية (قال الراوى) وكان الملك قيس قال هذا المقال لما رأى بنى عبس قد عولت على الهرب وخاف عليها أن تتفرق فى البر فلا يرجع يجتمع لهم شمل وتتمكن من قتلهم العدا إلا أن لبنى عبس لما أن سمعوا ما أشار به الملك قيس رواه أوفق من الهرب وخافوا أنهم يبقوا معيرة بين العرب فعندها اجتمعوا عند العلم السعدى وتركوا المال والنعم والعبيد والبيوت والخيام والأولاد والحريم ياسادة

فعندها تسابقت الأبطال إلى نهب الأموال من الرجال واشتغلت ذلك الحال عن اتباع الرجال ووقع النهب فى الابيات وانهتكت المخدرات وعلت الضجات وسبيت عبلة وزوجة شداد كانت أشد الرجال حسرة بشريحة أم عبلة زوجة مالك بن قراد وصارت تنادى باسم عنتر وهى تتلفت يمينا وشمالا فلا ترى من يحميها من الرجال هذا وعرب اليمن قد وقعت فى نهب الأموال وقتل من تلك القبائل خلق كثير وفى دون ساعه قلعوا المضارب والقباب وتركوا الديار خراب وعولوا على الذهاب وكانت بنو عبس على رأس العلم السعدى وقد أخذت الراحة من كرب الطعان وعادت أرواحها إلى الابدان ونظروا إلى النساء وهم يشيرون اليهم بالايادى وكل واحدة منهن تصيح بحاميتها وهم يساقون غصبا مع الاعادى قال فما من الأبطال إلا من قال أيها الملك المفضال والله أن ضربنا بالقواضب أهون علينا من هذه المصائب وما عملت معنا خيرا بهذه الفعال ولا تركت لنا بين العرب رأسا نشال وقد سبيت الحريم والعيال ونهبت الذخائر والأموال فقال لهم الملك قيس يابنى عمى أنا ما فعلت هذه الفعال إلا حتى يستريحوا أنتم من القتال ويشتغلوا عنكم الغرباء وتنظروا بعد ذلك بأعينكم عيالكم وكيف تسبى وتساق مع الأعداء غصبا هنالك يساق الرجل الغيور من الذليل وها نحن قد تساوينا فى المصائب وما بقى غير الجد والطالب لان حاميكم لا شك قد هلك وإلا فما كان يصبر على هذه الفعال ولا يمكن الأعداء من سبى العيال فليعرف الساعة كل واحد منكم غريمة ويخلص منه حريمه من قبل أن تتفرق النساء وتصير الأنذال العرب ماء ثم أنه كشف رأسه وحمل وانحدر من رأس التل وطلب الحرب وكان فى أوائل الخيل عروة بن الورد ونازح بن أسيد الهطال وما فيهم إلا من ذكر عنتر ياسادة فانكادت بنو عبس فى هذه الحالة من سبى العيال وعمارة الفواد يقول لاخيه الربيع بن زياد يا أخاه أجعل حملتنا إلى الناحيه التى فيها عبلة لعلنا نخلصها من أعداها لعلها تكون من رزقى وأريد أبذل نفسى وأنتزعها وأكون وياها أسارى فقال الربيع وقد غاظه هذا المقال ويلك يا مذلول السبال كيف أنت تشتغل بهذا الحال وقد سبيت نساؤنا ونهبت ذخائرنا وقتل أخونا بالقرنان وافتضحنا عند كل انسان ثم انهم حملوا بعد ذلك وانتشروا فالتقوهم حجاب النعمان وبنو فزارة الفرسان لان حذيفة منعهم من نهب الأموال فزعا من هذا الحال وفى تلك الساعة دارت المقادير ونزلت عقبان المنايا على الصغير والكبير وسمع من القتلة من الأدواج شخير وما فى الطائفتين إلا من ينادى الثار الثار ويطلب فناء أعداه وخراب الديار وكانت بنو عبس تقاتل وقلوبها على النساء والأطفال خوفا أن تبعد بها العرب

وتتفرق فى القفار (قال الراوى) فبينماهم كذلك وإذا بالصيحات أرتفعت من كل مكان والقبائل قد اجتمعت بعد تفرقها وانضمت الأبطال وماجت يمينا وشمال وأكثرها طلب رؤس الروابى والجبال ورمى مانهبت من الأموال وسمعت بنو عبس منادياً ينادى ياعبله بشرى بالفكاك وهلاك أعداك فقد عاد الفارس الفتاك والقوم المشابك قال فلما سمع الملك قيس هذا النداء فرح قلبه وهدأ وأيقن بالنصر على العدا ثم طلع على رأس الجبل فابصر عنتر قدرد جميع الأعداء ولهم من جنبات البيداء ومقرى الوحش عن يمينيه يطعن فى الأعداء وبين يدية شيبوب وقد مسك على جميع قبائل الأعداء الطرق قال فلما أبصر الملك قيس عنتر ومقرى الوحش وشيبوب انحلت عنة مكروب ونادى يابنى الأعمام دونكم والأعادى بالحسام فقد عاد البطل الجواد والفارس الطويل النجاد حاميتكم عنتر بن شداد لخذوا على أعداكم الطرق حتى لاينجو منهم أحد قال فلما سمع بنو عبس نداء الملك قيس أمنوا على البنات والنساء وأخلصوا فى القتال النيات وقلت من بنى فزارة الحركات وحارث منهم السادات لانهم كانوا ظنوا أن عنتر ومقرى الوحش قدهلكوا ولما نظروا صورته وأبصروا مقرى الوحش ناصحا فى معونته خابت منهم الآمال وأيقنوا بالوبال (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن مقرى الوحش لما هرب فى الليل من قدام عنتر وصاح عنتر فى شيبوب لجد فى طلبه وأيضا عنتر حتى أصبح الصبح وأضاء بنوره ولاح وكانت الخيل قد قصرت وعلم مقرى الوحش أنه ماله منه خلاص فسك حجرته ووقف وقال ياوجه العرب قد أهلكتنى من التعب وأهلكت نفسك خلفى بالطلب ومالك على مال تطلبه ولا معى مال تنهبه وإن أخذتنى ماحيلتى فداء ولا يلتفت إلى أحد لأن بلدى بعيد وأنا هنا غريب وحيد على أن القتال كان لى أصلح من الهزيمة ومالى سوى هذه الحجرة خدها منى وارجع عنى واتركنى وخلنى أصير راجل وأنوح على نفسى بين القبائل فعند ذلك رق له عنتر بعد أن كان على قتله قد عول وقال يافتى والله ماتبعتك فى طلب مال وانما قصدى أسرك حتى لاتشغل قلبى فى وقت آخر لانك تعلم من نفسك القوة والشجاعة فقال مقرى الوحش وحق دينى أحدث نفسى بهذه الاشياء فانى بقيت ميتا بين الأحياء غريب وما كنت تركت لى على كل بطل نافة إلا خوف القهر والبغى ونوائب الدهر فقال عنتر ياوجه العرب أن كانت قصتك هذه القصة فارجع معى إلى الخيام حتى أعطيك ماتبلغ به الآمال وإن لم تقدر على خلاص زوجتك فانا أسير معك إلى أبيها وآخذها غصبا فان لم يجد بها والا فرقت شملهم وبددت جمعهم فقال مقرى الوحش إن

أو فيت لى بهذا المقال حمدتك طول الدهر وأنا ما بقى لى إلى النعمان مرجع ولا عودة وما بقى اتكالى إلا على الله وعليك ثم أنه ترجل وسعى إلى أقدام عنتر وقبلها فى الركاب فقبل عنتر رأسه وبين عينيه وتصالحوا وصفا منهم الوداد وأخلص مقرى الوحش نيته وقال يا أبا الفوارس أنا عن أمرك أفرق القبائل التى أنت معى ولا تضيق صدرك وأنا أقسم بالمسيح الذى أتى من غير أب ما بقيت أنزل من ظهر الجواد حتى أفرق هذه القبائل ولو أنها بعدد الرمل فقال عنتر ما يحتاج يا أخى أن نتعبك (قال الراوى) وبعد ذلك قال عنتر لشيبوب يا ابن الأم سر بنا حتى نلحق بقومنا فاعطى شيبوب ساقيه الريح وتبع عنتر أثر أخيه فما مضى غير ساعة من النهار حتى أشرفوا على بنى عبس والعرب قد ملكوا المضارب والخيام وسبوا النساء والبنات والأولاد وعبلة تنادى تقول أين أنت يا أبا الفوارس يعز عليك أن أساق مع الأعداء فسمعها عنتر وهى تنادى هذا النداء فغاب عن الدنيا وحمل حملة من هانت عليه الحياة وبدد فى الفلاة شمل الذى سبى عبلة وقتله شر قتلة وقال لها يا بنت العم من أبصر وجهك من هذه الرجالة حتى أسقيه كاس الوبال فقالت كلهم يا ابن العم قال السكل سقيتهم كاس العدم وكان الملك قيس وبنو عبس لما أو عنتر قد فعل هذه الفاعل جدوا فى الحرب والطعان فى صدور الفرسان وصاحت صياح من أيقن بالاصلاح وكان يومهم شديد الحرب والهجير واشرقت بنو فزارة على الهلاك والتدمير فطليت الترب الحرب (قال الراوى) وكان أخو حذيفة سبى تماضر أم الملك قيس فاخذها وطلب بها بطن الوادى فعند ما صاحب تماضر من خوفها على نفسها فقالت ياحمل ما تريد منى فقال لها قصدى هتكك وأذبح أولادك على صدرك فصاحت واو يلاه وقالت له ويلك يا رلد الزنا ما هذه الفعال ثم أرمت نفسها من على البعير إلى الأرض فماتت لوقتها قال الراوى وقد عمل الحرب بين الطوائف إلى أن قاربت الشمس قبة الفلك وانهزمت بنو فزارة واجتمع بنو عبس على عنتر وهنوه بالسلامة والنصر على الأعداء وسأل الملك قيس عنتر عن غيبته فحدثه بما جرى بينه وبين مقرى الوحش وكان من جملة من نهب حمل بن بدر وأخو حذيفة فانه سبى تماضر وأخذها وسار بها إلى الوادى فتبعها جواها وخدمنها فعندما قالت له تماضر إلى أين داخل بى فى هذا المكان حتى تقول عنى العرب شيئا ما كان فعندها قال لها حمل يا تماضر أنى اريد اليوم هتك ستر ك عدو ذبح اولادك على صدرك فلما سمعت تماضر ذلك الكلام صاحت وبكت ثم أنها من غيرتها على نفسها من الفضيحة القت نفسها من على البعير فاندق عنقها وماتت

من ساعتها فبكت جوارها عليها وصاحوا إلى أن أقبل الملك قيس بعد الحرب والقتال فوجد البكاء والنواح وقد سأل عن ذلك فاخبره الجوارى بذلك الأمر وبما كان من حمل ابن بدر وما جرى منه فعند ذلك بكى الملك قيس وأن واشتكى وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ألا ياعين فيضى اليوم عبرا تسيل على الخدود دما ونشرا
ألا ياعين فابكى من غرام لفقد السالفين وذوقى حرا
ألا ياعين أبكى على زهير وبعده مالك بن زهير نحرا
ألا ياعين ابكيهم بوجد من الأحزان ما فى القلب صبرا
ألا ياعين ما نبكى لقوم بقوا فى الأرض بعد العز عفرا
غدرهم ذا الزمان وصادقتهم حوادثه فذاقوا فيه قهرا
ألا يا آل بدر قـــد بغيتم بقتل أميتى ذا اليوم جهرا
ظننتم أنكم ذا اليوم تنجوا وتحظوا بالفخار وبالمسرا
فقد وافاكموا صرف المنايا وقد جئناكموا بالسيف جهرا
أتاكم عنتر يبغى لقاكم ولو كنتم بعـــد الف شهرا
فلو جاء قيصر والروم معكم وأهل الشام والافريج ونصرا
لو جئتم بأهل الأرض جمعا ولو جاكم مليك الفرس كسرى
لقيناكم بأسياف حداد على خيل مضمره وشقرى
بنى بدر لقد جرتم علينا وكنا قد تركنا الحرب مرا
بنى الأعمام ما هـــذا مرادى ولا فى خاطرى ذا الفعل يجرى
فأنتم قد بدأتم بالرزايا فعاد الظلم منى مستمرا
أبا حزنى لوالدتى تماضر سقاها العين الكاس مرا
وآخذ ثارنا منهم ويبقى حديثا فى الزمان يدوم دهراً

(قال الراوى) ولما فرغ الملك قيس من إنشاده تناثرت من جفونه العبرات فتقدم عنتر وقال يامولاى أنا أقضى هذا الشغل عنكم وأقتل جميع أعدائكم ولو اجتمعت عليكم سائر العرب والقبائل ولا أحوجك إلى تعب نفسك قال فلما سمع الملك قيس كلامه قال له جزيت خيرا وشكراً وقال له يا أبا الفوارس ما أشفى فؤادى إلا بيدى وأنا لابد لى من قتال حذيفة وأشفى غليل كبدى ولكن أنت ياأبا الفوارس تجمع بنى قراد فى موكب واحد وتأخذ فى الطريق اليسرى وأرض الحنظلى غدير وميسر حتى أسير أنا وأخوتى على اليمين

لأنى أخاف أن يكون ظنى قدخاننى فيفوتنى المقصود ولا أتمكن من هلاك بنى بدر والجنود قال الراوى فعندها قبل عنتر ما به أشار وأخذ مقرى الوحش وسار ومعه عروة ابن الورد وبنو قراد وقصدوا الطريق اليسرى وقد ترتبت القبيلة هذا الترتيب والملك قيس واخوته يضجون بالبكاء والنحيب وكيف أصابهم هذا المصاب من الأقارب والأنساب قال الأصمعى ولما بعدوا عن مكان الواقعة وقربوا من الأوطان فعندها عرف الملك قيس أثر فرس حذيفة الغبراء فى الرمل فتبعها فسار عليه قليلا فى الصحراء وإذا مع الحافر أثر قدم حذيفة متمكن فى الرمل فصح له الخبر وسار على الأثر وهو يقول أن الدليل عندى أثر الفرس وما زال متبعه (قال الراوى) وكان حذيفة مع الهزيمة وهم مهزمون وقد انحل حزام فرسه فعند ذلك نزل فشدو عاد إلى سرجه فبقى أثر قدميه فى الأرض فسار الملك قيس وإخوته على هذا الأثر وقد صح عندهم الخبر ولم يزالوا سائرين وإلى ديار بنى فزاره قاصدين إلى وقت العصر فعندها أشرفوا على بنى فزارة وهم على جمر الهبا فلما رآهم الملك قيس ازداد لهبا وقال وكان بنو بدر على الغدير نزول وقد طارت منهم العقول وكان بجملتهم حذيفة وحمل أخوه ويزيد وبلال وباقى سادات بنى فزارة وتمام الأربعين بطلا ه قال وكانت بنو فزارة فى هذه الواقعة قد فناهم السيف ومانجا منهم إلا قليل من ساداتهم وأبطالهم والذين نجا منهم ما قد يقرب من الأوطان بل هجموا على وجوههم فى البيداء واستجاروا بقبائل العرب لأنهم علموا أن بنى عبس بعد هذه الوقعة لا يتركون منهم إنسان وأما حذيفة وأخوته فانهم نزلوا فى هذا المكان إلا أنهم طلبوا الهلاك والقلمان فضاقت عليهم الدنيا من كل مكان وغدروا بنى عبس مراراً وما بلغوا منهم غرضا فنزلوا على الماء وهم مثل الاماء وكان حذيفة قد أخذ ولده حصن فى هذه النوبة حتى يعلمه الجمال والفروسية لأنه نفيسا حسن الصورة وعمره خمسة عشرة سنة إلا أنهم لما نزلوا على هذا الماء سرحوا خيلهم ترعى وقد أخذ حذيفة ولده حسن إلى صدر الوادى وقبله وقال له ياولدى هذه قبلة الوداع وما بعدها لقاء وأعلم أننى وأعمامك راحلون من الدنيا وفى قلبى من بنى عبس نار لا تطفى وأريد ياولدى أن بقيت بعدى وقدرت على بنى عبس لا تبق منهم أحدو كذلك أخوته نزلوا على شفير الحفر وقد هجروا المنازل والنساء وكان زمان القوم ينقضى بالكياد لأنه لم تكن لهم شريعة تردهم ولا دين يصدهم وانطرح حذيفة وأخوته ومافيهم إلا على صفة قتل فاقبلت عليهم بنو عبس برماحهم وكان حذيفه يبكى من

شدة الغلبة ويقول وحق الرب المتعال الموت على أهون من هذا الحال ولو علمت أنكم تطيعونى على ما أريد لامرتكم بقتلى وأهراق دمى على الصعيد لأن القتل بقى عندى أحسن من معاداة بنى عبس الذين قد فنيت عمرى فى عدواتهم وما شفيت غرضى منهم فعندها قال له حمل أنا والله يا أخى ما انحل جسدى وأذاب كبدى إلا عنتر ولولا عودته فى هذه النوبة كنا قلعنا أثر بنى عبس وكنت اريد بعد ذلك كله من يضرب رقبتى ويفرج كربتى حتى لا أظهر ولا أسمع فعندها نفر حصن بن حذيفة خيل بنى عبس فنزل إلى أبيه وهو يبكى وقال قم يا أبى فان الأعادى قد تبعوا آثارنا إلى هنا وهم يزجون الحديد وقد انتشروا حتى ملأوا الأرض وقد أخذ علينا الطرقات من كل الجنبات فعندها قال حذيفة وهذا الذى كنت أريد وحق الرب القديم لاعدت أجرد فى وجوههم سيفا وطلبت عليهم نصرا مادام قد أذلنى لهم رب السموات والأرض فعندها قال حمل كذلك فلما سمع باقى بنى فرارة هذا المقال هان عليهم القتل بلا قتال فتواثبوا يطلبون الخيل الجياد وإذا سبقهم موكب بنى قراد وفى أوائلهم مقرى الوحش وعنتر بن شداد فقال مقرى الوحش يا أبو الفوارس دعنا نبذل السيف فى هؤلاء الأشباح ونتركهم مجندلين فى الروابى والبطاح وتلاقى الملك قيس برؤسهم فوق الرماح فقال له عنتر يا أخى ما هذا صواب القوم أقارب وأنساب ونحن نريد ألا يكون لأحد علينا لوم ولا عتاب لانى لو كنت طلبت ملاك القوم ما تركت منهم ولا ابن يوم فعندها قد وصلت بنو عبس وفى أوائلهم الملك قيس وهو ينادى لبيك يا ولدى ۞ قال وكان نداؤه على ولده الذى قتله حذيفة فى وادى اليعمورية بالنبال وقال له حذيفة نادى بأبيك يخلصك من الهلاك والوبال قال وقد سمعت بنى فزارة نداء نعمت معنا فعندها قال حذيفة لأخيه القتل ما بقى منه خلاص فلا تذل لعيسى ولا تطلب منه خلاص فقال حذيفة ومن ذا الذى يريد الحياة ويهرب من الوفال وحق من أنزل الغيث وأجرا وخلق الإنسان وسواه لو أتانى كتاب من السماء فيه توقيع بملك الدنيا وبنو عبس فيها ما أردتها بطول الجياد وأنا قد علمت فى هذه المره لا يخلو منا أحد يا سادة وقد اصطفت خيل بنى عبس على شقير النهر وملكوا عليهم الطريق من سائر الجهات وقد وقف الملك قيس وأخوته تحت الرايات ونادى ياويلكم يا بنى بدر إلى كم أحلم عليكم وأنتم تجهلون وأعفو عنكم وأنتم تغدرون فاريد اليوم تروني من يخلصكم من هذه المصائب ومن يحميكم من السيوف المرهفات وأنت يا حذيفة أذكر ما قدمت يداك من قبيح الفعال وأنت يا حمل يا نذل العرب اذكر قولك لامى فى ذلك اليوم وقد أخذتها من بين القوم وقد سألتك أن تسترها فقلت لها يا تماضر ما قصدى إلا فضيحتك وهتك وذبح أولادك على

صدرك يا ويلكم ما حسبتم حوادث الأيام كم تحلفون وتكذبون وتعاهدون وتغدرون فعندها صاح حذيفة وقد أستقل وحان منه الأجل وقال ويلك يا ابن زهير لمن تعنى بهذا الكلام ولمن هذا التعب والملام وحق من أفنى الأمم الرب القديم لو حلفنا لكم فى كل يوم ألف مرة لغدرنا ولا عن ذبح أخوتك نحيد إذا قدرنا فافعل ما تريد ودبر أمرك ولا تدع مناديا وإلا تخلى منك ومن أخوتك الديار ولا يكن لنا لكم هدو ولا قرار والقتل لنا أبرح وأكم أصلح لأنه ما بقى فينا من يجرد لقتالكم حسام لأننا من قبل أن تصلوا الينا أردنا أن يقتل بعضنا البعض ونستريح من الحياة ما زلتم على وجه الأرض ولكن يا ابن عمى بحق ما بيننا من صلة الأنساب ما فيكم من يأتى أحدنا من بين يديه حتى لا يقع على عينه فيشق ذلك عليه بل ينحره من نقره فناه ويعجل له الوفاة لأن الموافقة صعبة ثم بعد ذلك الكلام نكس حذيفة رأسه وبكى بكاه شديدا فعندها صاح الملك قيس بالثارات عن الأعداء دونكم وإياهم وعجلوا فناهم قال الراوى فعند ذلك ترجل قراوش بن هانى وفى يده حربة قاضية ضرب بها حذيفة فى صدره نزل بعده الحارث بن الملك زهير وبيده سيف أخيه مالك صاحب الوجه الضاحك وهو ينادى بالثأر أخى وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

فلو نبشوا المقابر على أخينا وعاين يومنا ذا لا نبالى
فليت الأرض شقت عنه يوما لينظر مالك فعل الرجال
تركنا بالحياة سرار بدر يحوون المنايا بالعدالى
حذيفة والفتى حمل أخوه وجابر مع يزيد مع بلال
تركناهم بأرض النهر صرعى بأسياف مهندة صقال
فنقتلهم وعن بكرة أبيهم وتنساق المنية بالبنال
سراة الناس كانوا أين حلوا أسود الحرب فى يوم القتال
بغوا وجاروا وطغوا فى كل أرض قفارات أجنتها خوالى

(قال الراوى) ياسادة ولما نظر الربيع بن زياد إلى فعل الحارث بن الملك زهير صاح واحرباه عليك يا طالب اليوم آخذ بالثار ثم ترجل ونزل إلى حمل بن بدر وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ومسكه من ذقنه وذبحه وقطع رأسه وأخذها فى يده وأنشد يقول

سقينا فى القتال سراة قوم كؤوس الموت من بيض وسمر
أدرناها عليهم مسرعات فالوا فى الفلاة بغير خمر
وكانوا أعظم الثقلين قدرا وأو فى همة كل أمر

إذ ركبوا جياد الخيل ثارت عجاجة خيلهم فى كل قطر
وإن وهبوا يسيل ناى عطاهم إلى الأقطار فى بر وبحر
ولولا خلعهم ليكيت حزنا على ما نالهم فى كل فخر
ولكن الفتى جمل بن بدر بغى والبغى يقلع كل أثر
ألا كم قد نهيناهم فعادوا وقادهم الهلاك بكل قفر
وغرهم الزمان فخادعونا وصرف الدهر يخدع كل حر
فنحن الخاشرون بما فعلنا فواشوقى على أولاد بدر
قطعت يقتل سيدهم بنانى ولكنى شفيت غليل صدرى

قال الراوى ثم نزل بعده الربيع بن الأصلع وقطع رأس يزيد أخو حذيفة وطلع وقد تتابعت الفرسان أصحاب الثارات فعندها قتلت باقى السادات وامتزجت الحفر بالدماء وأنهتك الستر عن بنى فزارة وبقيت ملوكهم مطروحين فى الفلا هذا الملك قيس يعاين ما جرى وبكى على سادات بنى بدر وبنى فزارة كيف أصابتهم هذه المصائب لأنهم قرائب ثم نادى واحسرتاه عليكم يا بنى فزارة والله لقد نزل الذل بعدكم على بنى عدنان وقد جرى قلبى كثير الأحزان ثم بعد ذلك أن واشتكى وأنشد يقول

إن يوم القتال أورثنى الذل فاصبحت ظالما مظلوما
يوم فقدى سراة أبناء بدر حين كانوا للعالمين نجوما
لطموا داحسا وكان جوادا قتلوا مالكا وكان كريما
فجعونى فى مالك بن زهير واحدا كان منهموا معلوما
قتلت الجميع حتى أزيلت بدماهم نارى فزادت سموما
ليتنى كنت قبل فقد بنى بدر قتيلا أو قد فقدت النعيما
طال حزنى لما سمعت نداهم بعدنا من يكون يرعى الحريما
لطم القوم داحسا حذر السيف لقد كان داحسا ميشوما
ظلمونا ببغيهم وظلمنا معشر كان يومهم محتوما

قال الراوى ياسادة ولما فرغ الملك قيس من شعره بنى بدر السادات أنهلت من بنى عبس العبرات وجرت على الوجنات قال الراوى وقد طلع حصن بن حذيفة وشق ثيابه وعلا بكاه وانتحابه وقبل رجل الملك قيس فى الركاب ودموعه تجرى على خدوده قبل يداه وقال ياعماه أن كان قلبك ما اشتفى وقد عولت أنك لاتبقى من بنى بدر أحد فاذبحنى أنت

يا عم بيدك حتى تطفى نار كبدك ثم سلم إليه سيف أبيه واضطجع بين يديه • فعند ذلك قال والله يا ولدى لو كنت فعلت هذا الفعل من قبل الأمر ما كان نال أباك ولا أعمامك هذا المنال والآن قد فات الأمر فيمن مضى قال الراوى ثم قام تلك الليلة على بساط العز وعند الصباح عولوا فى العودة والرواح فإذا بغبار قد صار من نحو بنى فزارة وعلا وصوته قلب الدنيا فى جنبات الفلا وضجيج ونواح وبكاء وصياح فعندها قال الملك قيس انظروا ما هذا السواد المقبل والغبار وأتونى بما تحته من الأخبار فلا شك أن بنى فزارة وفرسانها أتت تطلب الأمان على الأولاد والنسوان لأنهم خلق كثير وسوادهم أشد من سواد الليل فعندها تحارت الفرسان وتبادرت الشجعان من ساعتها وعادت وهى تقول ياملك الزمان هؤلاء نساء بنى فزاره اجتمعوا وهم للشعور ناشرات وفى أيديهم المشرفيات يطلبون قتالنا فلما سمع الملك قيس ذلك المقال قال يحق لهم أن يفعلوا هـــذه الفعال لأننا فجعناهم فى ساداتهم وتركناهم بالحسرات ثم قال الحصين بن حذيفة اركب جوادك ورد النساء قبل قدوم المساء ثم أنه ركب جواده وردهم إلى الديار وأما الملك قيس وبنو عبس فانهم عادوا طالبين أرضهم وجهال بنى عبس قطعوا رؤوس بنى بدر ورفعوها على رؤس الرماح ولهم طرب وأفراح وقيس دائم البكاء عظيم الاشتكاء لا يعول على أحد سائر فى أول جيش يترنم بهذه الأبيات سلوا على سيد السادات

رجعت ونوم جفنى قد جفانى وقل تجلدى ووهى بنانى
أبيت مسامرا نجم الثريا كذا للبـــدر ثم الفرقدان
وبات الليل مشتملا علينا وقد ألقى بكلكله الجران
وبت أرى نجوم الليل حتى تقارب من أوفارها التدانى
وناح من الشمال حنين ثكلى تلوذ بها كحائلة القيان
فهمت وغابت الشعراء عنى كأن بجابى وخر السنان
لقيت أذن بنى بدر بن عمرو على حفر الهبات من الهوان
وصار الدمع ممزوجا بدم وأصبح لونه كالارجوان
شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفى من حذيفة قد شفانى
وكانوا أهلنا فبغوا علينا وأن الأهل حقا من أوانى
أثاروا الحرب عدوانا وظلما بسبق الخيل فى سبق الرهان

وجلوا في عداوتنا فلاقوا كما لاقت بنو عبد المدان
فلو طلبوا الأمان عفوت عنهم ولكن خالفوا والموت دانى
وأنى قد شفيت بهم غليلى فلم أقطعهم بسوى السنان

(قال الراوى) وفى اليوم الثامن دخل عليه عنتر بن شداد وجماعه من بنى قراد الربيع ابن زياد مقرى الوحش والرجال الأجواد وقد أخرجوه من بيت الاحزان وانسوه نوائب الزمان وقال له عنتر بن شداد أنت اليوم ملك العربان من بنى عبس وغطفان وبنى فزارة وذبيان وحكمك نافذ فى القبائل والفرسان والذى جرى على أعدائك بسعادتك ياملك الزمان فيجب عليك أنك تولم الولائم وتترك الأحزان قال الراوى ومازال به عنتر بن شداد والربيع بن زياد حتى أسقوه المدام وسألوه عما أحدثه فى هذه الأيام ولما كان فى اليوم التاسع صنع وليمة وجمع فيها سائر السادات والاقارب ودارت الكاسات واغتنموا اللذات ثم أخذوا فى حكاية ما جرى لهم فى أمر بنى فزارة القتال ومن هلك بينهم من الابطال وما لاقوه من الاهوال فعند ذلك قال قيس واقه يابنى الاعمام ما لقينا فى سائر الاوقات والايام أشد من يوم بنى فزارة لما أتوا مع قبائل اليمن وحجاب الملك النعمان ولا أشد ضربا ولا طعان ولا أعظم قتالا ولا جلادا وما فرج عنا الكروب الشداد إلا فارس القبيلة عنتر بن شداد ومقرى الوحش فارس الشام الجواد قال الراوى فعند ذلك قام مقرى الوحش على قدميه وشكره وأثنى عليه وقال والله ياملك الزمان أنا قد كنت أعد نفسى من الشجعان بين الامم قبل ما القى هذا الفارس الادهم والاسد المطمطم ولما ذقت حربه علمت أن قولى باطل وأنى كنت بالفرسان جاهل لان الفروسية قد قسمت على فرقتين من غير زيادة ولا نقصان الفرقة الاولى لكل العباد والفرقة الثانية إلى عنتر بن شداد قال الراوى فعندها وثب عنتر اليه وقبله بين عينيه ثم بعد ذلك أقبل على الحاضرين وأشار بيده اليهم وقال ياسادات بنى عبس وعدنان اشهدوا على انى عبد إلى هذا الغلام على مدى السنين والايام كل ما تحويه يدى من الاموال والنوق والجمال هو حكم فيه ليلا ونهارا وقد ضمنت أنى اجمع شمله بمحبوبته وأبذل مهجتى دون مهجته وهذا الامر فى غداة غدا اشرع فيه وأجازيه على فعله وأكافيه لانكم تعرفون ياوجه العرب أنى ما ألوم العشاق والله أرد لهفته ولهفة كل مشتاق وكل هذا الفعل كنت أفعله وأقول ان غصتى به تزول ان مدتى تقصر بعد الطول ولكن الدهر عادانى وكلما طلبت منه القرب ابعدنى وأقصانى وهذا ما أقوله على سبيل الشكرى ولا أعترض على القضاء والبلوى لان الامور لها أواخر وانتهاء ثم ان عنتر بن شداد

بعد ذلك المقال زاد به البكاء وانهلت دموعه على خديه تشهد له بالاشتكاء * قال فلما نظر عمه مالك إلى حاله قام اليه وقد علم ما بقى يقدر يخلص من بين يديه وما له معاون يساعده على الغدر الذى كان يعمله فى كل وقت بعد هلاك بنى بدر فعندها أقبل عليه عمه وترضاه وقبل رأسه وقال له لا تبك يا ابن أخى فانا أقصر مدتك م أنجز حالتك ولو أخاف انى اقطع ولية الملك قيس كنت زفيت بنت عمك عليك فى هذا اليوم قبل غد وإذا فرغت الولائم شرعنا فى أمورنا وادرنا كاسات سرورنا وأنت تعلم يا أبا الفوارس اننا قد انجزنا الحال وبلغنا الآمال ولو لا قدوم هذه القبائل وتقلبات الأيام كانت انكشفت عند الشدائد وانصرفت عنا بسيفك وسنانك ولكن انت هلكت العدو المعاند وما بقى يعيقنا عن مرادنا الأبيض ولا اسود ببقاء هذا الملك الجواد (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس كلام مالك أبى عبلة قال والله يا مالك هذا عذر ما بقيت أقبله ولا اسمعه ثم أن الملك قيس التفت إلى الساقى وقال أيها الساقى أسمع ما أقول من الكلام تسلم هذا القدح واحفظه فو حق البيت والكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء لا اقبل كلام إنسان حتى تدخل عبلة على حامية عبس وعدنان وتنفصل الأمور وتنقضى نوبة حاميتنا وابن عمنا لانه والله حامية العشيرة وقد مضت عليها الشهور والاعوام وأنا أعاونه بالنوق والجمال واعمل وليمة جميعها مدة سبعة أيام فعد يا مالك إلى بيتك ودبر حالها وانجز شغلها الزفاف فما بقى لك حجة ولا عذر وقال الراوى ولما حلف الملك قيس بتبطيل الكاس فعند ذلك عض مالك على اصابعه ندما وقال والله أخذ بنتى هذا العبد ولد الزنا تام سار إلى مضاربه والخيام وقد تسامعت الرجال والنسوان والعبيد بما تكلم به قيس من زفاف عبلة على حامية القبيلة الأمير عنتر بن شداد فباتت الحله تلك الليلة فى افراح واهتمام فى امر العرس فعندها اجتمع قيس مع أخوته وقاموا يتشاورون فى عنتر وقصته قال الراوى كان مذهب العرب فى ذلك الزمان عند زواجهم انهم يلبسون العروسة الحلى والحلل والقلائد وما يقدرون عليه من المتاع والذهب والفضه ثم يعملون لها أقتابا ويعبونها على الجمال بعضها فوق بعض حتى تبقى كالدكة العالية ويقعدون العروسة على تلك الدكة فإذا جلست العروسة واستقر بها الجلوس فعند ذلك تلبس الرجال صدور الزرد النضيد ويتعاوى الاحرار والعبيد وتضرب المولدات بالدفوف وتشهر الفرسان الرماح والسيوف كل ذلك لاجل عنتر بن شداد الذى حماهم من سائر العربان ولو لا سيفه والسنان ما كانت العرب تركت منهم إنسان (قال الراوى) فلما سمعت أم عبلة كلام زوجها أخذت فى تجهيز بنتها ثم إنجاز امرها وقد فرحت بانجلال عقدتها وعلمت أنه لا يصلح لها إلا عنتر بن شداد فهذا ما كان من مالك أبى

عبله وزوجته وأما ماكان من عنتر فانه لما وصل إلى مضاربه والخيام دعا بعروة بن الورد فلما حضر بين يديه قال له عروة ما الذى جرى بينك وبين عمك يا أبا الفوارس قال يا أبا الأبيض الامر قد تيسر وقد أمرنى عمى أن أصلح شانى وأعزم أصحابى وخلانى وأعلم يا أبا الابيض أن عمى قد أجابنى أن يجمع شملى بعبله ووعدنى بعد ثلاثة أيام يكون الزفاف من غير مهلة فانا قصدى أجعلها عشرة أيام واغتنم الفرصه وازيل عن قلبى هذه الغصة فقال عروة صدقت يا أبا الفروارس الرأى عندنا اننا ندعو أصدقاءنا ومن يعز علينا لا سيما صاحبك الأمير بسطام بن قيس الذى تعب معنا فى نوبه بنى كندة وكنت عاهدته بان يحضر إلى الوليمة وهو ينتظر رسالتك أن تصل اليه فيحضر عندنا فقال عنتر لعروة يا ابن العم انفذ اليه وإلى جميع قبائل القوم قال بنا لاجل أنه ما يبقى علينا عتب ولا لوم لان قصتى يا ابن العم شاعت فى جميع قبائل القوم قال عروة صدقت يا أبا الفرارس ومن الساعة ارسل النجابة إلى جميع أحبابنا وتجبير قلوب الارامل ولا يقال عنك ولم يحضر رفاقك احد من القبايل ويقولو اعنك دخلت على ابنه خفت من امر يأتى فى العرضيات والأمور المقضيات وأقل ما تذبح يا أبا الفوارس فى عرسك خمسة آلاف ناقه من النوق والجمال فلما عنتر كلامه قال والله يا أبا الأبيض أن الخمسة آلاف ما تكفى عبيدهم الذين يقدموا بها علينا وأقل ما أريد نحو عشرة آلاف ناقة وعشرة آلاف جمل وعشرين ألف من المعز والضان والف رأس من الخيل ومن السباع ألف سبع لان الطارق علينا كثير واريد أن أعمل فى عرس عبله شيئا كثيرا واصنع خمسة ولائم حتى يتحدث بها الناس إلى يوم القيام ولا يبقى احد من خلق الله حتى يأكل من عبله فرحا بعروسها قال الراوى ثم بعد ذلك قال عنتر لعروة اكتب الآن إلى بسطام كتتابا فيه سلام ووصيه بالقدوم والحضور فلما كتب الكتاب دعا بعبد من عبيده وأمره بسرعة السير إلى ديار الملك قيس بن مسعود الشيبانى فاخذ العبد الكتاب وساب وسار حتى وصل إلى ديار بنى شيبان واوصل الكتاب لبسطام فاخذه وأقره وأكرم العبد غاية الاكرام وخلع عليه لاجل مولاه واجاب بالسمع والطاعه وفى الحال سار نصحية ابيه فى ثلاثة آلاف فارس فى خدمته ليشوا فى ركاب عنتر ليلة دخلته فعند ذلك قال قيس يا بسطام انا ما طلبت الثلاثة آلاف فارس إلا تخفيفا عن قلب عنتر وما كان فى نيتى إلا أن أسير فى جميع بنى شيبان فربما يثقلوا عليه فى الكلفة لان الوارد عليه كثير واسمه بين العرب كبير فعند ذلك جهزت الفرسان أحوالها وفرغت من أشغالها وسار بسطام تحت الرايات والاعلام طالبا ديار بنى عبس الكرام

عروة يكتب للقبائل بسرعة الحضور لتمام السرور بدخلته على عبلة



فارس جميل جواب إلى معدى يكرب

قال الراوى وكان عنتر بن شداد لما أرسل الكتاب إلى بسطام أمر عروة أن يكتب كتابا ثانيا إلى حصن المازنى أخى ملك بن زهير من الرضاع وهو يحثه فيه على القدوم وكتب كتاب ثالثا إلى حجار بن عامر وكتب كتابا رابعا إلى معد يكرب الزبيدى وكتب كتابا خامسا إلى مشاجع بن حسان وكتب كتابا سادسا إلى زياد سيد بنى غطفان وإلى ابن أخته الخطال ثم كتب كتبا كثيرة وأنفذها إلى جميع أصدقائه من الفرسان والأبطال . فلما أرسل الكتب وقد خلا قلبه من التعب فعند ذلك قام يدبر نفسه فى الولائم بعد أن قال لعروة بن الورد يا ابن عمى الرأى عندى انك تركب جوادك فى هذه فى هذه الساعة وتأخذ جماعة من الفرسان وتمضى إلى أرض الشام وتنزلوا بوادى الازيلم وتستخبروا أخبار التجار الذين يبيعون الخمر وتأتونا بما يكفينا مقدار عشرة أيام لأن الطارق علينا كثير فعندها قال عروة يا أبا الفوارس ولم لاتعلم الملك قيس فقال أنا ما أريد أن أحد يكلف نفسه بشىء من هذا الأمر قال الراوى فلما سمع عروة مقال عنتر سكت ولم يرد جواب وامتثل امره وسؤاله وسار إلى نحو بلاد الشام ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى أرض الشام وأقاموا فى انتظار التجار ويشتروا منهم المدام (قال الراوى)

فهذا من ماجرى هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه أمر الملك قيس أنه يسرع فى أمر الزواج وبعد ذلك أمر قيس عبيده وغلمانه وأرباب دولته بأخراج المضارب والسرادقات والاعلام ورفع القباب ومد الاطناب وقد امتثل العبيد وفعلوا ما أمرهم به الملك (قال الراوى) وكان ذلك اليوم عجيب بما نصبت فيه الفراشين من الخيام الملونة والمضارب المزينة وقد أفردت الفراشين الخياما للرجال بانفرادهم وخياما للنساء بانفرادهم وبقيت الحلل خالية من النساء والبنات وفرح بنو عبس وانشرحوا وقد أمنوا من طوارق الحدثان وتصاريف الزمان وهذه الاشتاء لها حدود وأوان باذن مكون الاكوان فسبحان الواحد المنان قديم الاحسان الذى لا يشغله شان عن شان (ياساده) إلا أن عنتر بن شداد قد وافقه فى ذلك الزمان طالع سعيد يشير بالافراح والسرور والنجاح ولما نظر عنتر إلى نصب الخيام والسرادقات والاعلام صاكل يوم يركب ويخرج إلى الجبال وينزل إلى بطون الاودية الخوالى ويصيد النمور والسباع حتى أنه حصل سبعمائة سبع ولبوة وخمسمائة من النمور ثم جعلهم فى وادية بنى عبس وجعل عليهم رجالا تقوم بواجبهم فى كل صباح ، وكان عنتر فى كل صباح يذبح ألف جمل يأكلونها ويسوق النوق والجمال والمعز والضان والخيل الجياد وبعد ذلك أمر غلمانه أن ينصبوا العبلة السرادق الكبير الذى أتى به من عند كسرى ياسادة وهذا السرادق كان مطرزا بالذهب الاحمر مكللا بالدر والجواهر مفصلات بالياقوت الاحمر وكان هذا السرادق لشداد بن عاد الذى بنى ارم ذات العماد ثم أن هذا السرادق كان للنمروذ بن كنعان قال ولما هلك النمروذ تمد مدة من الزمان ثم وصل إلى فرعون ذى الاوتاد فكان يجلس فيه هو وأرباب دولته ورؤساء مملكته فلما هلك وأغرقه الله فى البحر على يد موسى بن عمران مضى كانه ما كان ووصل هذا السرادق إلى اسكندر فلما نظره واستحسنه وكان يجلس فيه هو وأرباب دولته ، ولم يزل هذا السرداق ينتقل من ملك إلى ملك إلى أن وصل إلى الملك كوبرت قال وكان كوبرت يحمل إلى كسرى الجزية فى كل سنة فعند ذلك سار كوبرت إلى الملك كسرى فى بعض السنين فلم يكن عنده ولا فى مملكته شىء أحسن من هذا السرادق فعندها حمله معه وقدمه إلى كسرى قال فلما نظره اندهش واعجبه وفرح به فرحا شديدا وخفف عن كوبرت الجزية مقدار عشر سنين (قال الراوى) ياساده وصار هذا السرادق عند كسرى حتى نزل عنتر أرض العراق فى طلب المهر والصداق وجرى له ماجرى فى اخذ النوق العصافيرية وجرى له أيضا ماجرى مع الخسروان الذى قتله عنتر وكسر عسكره وكان

عدتها عشرين ألف فارس وقد خاف الملك المنذر من هذا الشأن وكيف نزل عمرو بن نفيلة يسأل الموبذان فى المنذر وكيف قتل البطريق الذى أتى بالحمل من عند الملك قيصر سيد ملوك النصرانية وقال أنا ما أسلم هذا الحمل إلا لمن يقهرنى فى الميدان فان كان عندك فارس يقهرنى قومى اليه حلال وإن قهرت أبطالك وجندلت أقرانك نزيل عنا هذه الجزية وأرجع بها إلى صاحبها وقد جرى من البطريق ما جرى مما سمعتموه فيما تقدم من هذه السيرة العجيبة وما كان للبطريق ضد ولا ملاقى إلا عنتر فانه قهره ودمره فلما نظر كسرى إلى عنتر وفعله قال له يا غلام تمنى على فتمنى عليه التاج الكسروى والعمامة الجوهرة والعمامة الفضية ولما طلب منه عنتر بن شداد السفر أعطاه هذا السرادق ورجعنا إلى سياق الحديث والخبر قال الراوى ولم يزل هذا السرادق محفوظا عند عنتر بن شداد فى الصناديق إلى أن قرب زفافه على عبلة وجرى لبنى عبس ما جرى إلا أن سهل الله الأمور فعند ذلك أخرج عنتر بن شداد هذا السرادق ونصبه وكان يوهج بالذهب والجواهر فلما نصبه أشرق الوادى وقد طلع منه الضياء وانزعجت الانظار وبعد ذلك مر ان تزين الحلل بما فيها من القماش والذخائر فزين كل انسان على قدر ما يملكه قال الراوى وكان الملك قيس قد فرح بفرح عنتر بن شداد وكذلك فرسان بنى عبس وأما بنو زياد فانهم كانت النار تتقد فى أجسادهم وأما ما كان من عروة فانه ما غاب أكثر من تسعة أيام ثم عاد وقد اشترى من الخمر ما يكفى الوليمة عشرة أيام أو أكثر قال الراوى فلما وصل عروة إلى الحلل ومعه أحمال الخمر فنظره الملك قيس حين أقبل التفت إلى عنتر بن شداد وقال يا أبا الفوارس لأى شىء فعلت هذه الفعال والله ما كنا نريد أن نكلف نفسك شيئا ولا إلى مشترى هذا الخمر وأى شىء هذه الأحوال فقد كان موجودا عندنا من الخمر ما يكفى وليمتك فعند ذلك قال عنتر شداد أيها الملك ما كان هذا إلا من بعض نعمتك وخيراتك ولولا همتك وسلطانك ما كانت انحلت عقدتى ولا قصرت مدتى ولا دخلت على زوجتى ثم أن عنتر بعد ذلك صار يمدح الملك قيس ويثنى عليه وجعل يقول صلوا على طه الرسول

عطفا على خادم داع اليك ضحا من دهره بامان العـــز والظفر
يا من تملك رق الحـــد فهو له دون البرية من بدو ومن حضر
يفدى النديم كما يفدى الغـــريم له كانه البدر فى الاشراق البشــر
يعطى إلى القوم جزلا من مواهبه ويبدل العسر للقصاد باليسر
إذا همى من غوادى كفه مطر على مدى الدهر قرم من بنى مضر

يعفو ويسطو وكلتا الحالتين رضا ... منهم شريف وذا عفو لمعتذر
مقى السحاب ندى من فيض راحته ... والناس تأتى له على قدر
فلا عدمنا الذى عم الملوك ندا ... فى سيرة حسنة من أحسن السير
ياقيس لولاك ما أدركت منزلة ... ولا تزوجت بين البدو والحضر
أفديك بالأهل والأموال كلهم ... أيضا ويفديك منى السمع مع بصرى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وطرب الملك قيس وكذلك الفرسان من بنى عبس وعدنان وقال جميعهم لافض الله فاك ولا كان من يشناك والله أنت فارسنا وحامية قال الراوى وما فرغوا من هذا المقال حتى وصلت النوق والجمال من الأوديه والجبال والعبيد تسوقها وكان عدتها خمسين الف ناقه وجمل فعند ذلك أمر العبد عنتر أن يذبح منها الف ناقة وتكون فوق الجبال فساقت العبيد الجمال ومشت وراءها وشيبوب فى مقدمتها فلما وصلت العبيد إلى أعلى الجبل نحرت الجمال عرتها عن جلدها فعند ذلك طلع شيبوب فوق الجبل ونادى بأعلى صوته أيتها الوحوش الدائرة والسباع الكاسرة هذه وليمة عنتر ابن شداد وقد أضافكم فكلوا واشبعوا انى ضيافته وقد زال الله عقدته ودخل على ابنة عمه وبعد ذلك رجعت العبيد إلى الأحياء (قال الراوى) فلما كان من الغد أمر عنتر أن يذبح الفين جمل والفين من المعز والضأن فذبحوا ما أمر به عنتر وقدروقوا المدفم فشربوا ولعبوا وطربوا وأكلوا الطعام ورقصت العبيدان وضربت بالدفوف ربات الحجال وكان فرحهم بعنتر أطيب الأفراح وكان أفراح الخلق فى ذلك اليوم قيس بن زهير وأخوته وأهله وكان هناك من جملة الفرسان المعدودين للقتال مقرى الوحش الغسانى وكان من أفراح الخلق لعنتر ولكن قلبه يتحسر ويرجو من الآيام بلوغ الآمال وان تساعده على مصائبه بالمنا ونيل المنى قال الأصمعى فبينما الناس فى أكلهم وشربهم ولهوهم ولعبهم وطربهم اذ قدمت عليهم بنو غطفان أصحاب الاكاليل والتيجان يقدمها الهطاوهو فى الفين وسبعمائة فارس ومعها من العبيد والغلمان تسعمائة عبد وغلام لأنها أقرب الخلال لبنى عبس وعدنان فعند ذلك أمر عنتر أن يذبح الغنم والفصلان فذبحت الذباحين وطبخت الطباخين هذا وقد تقدمت الأطعمه ورَوق الخمر ودارت عليهم الكاسات (قال الراوى) ولما كان من الغد أقبل على بنى عبس بنو زبيد وبهمدمهم معد يكرب الزبيدى وهو فى خمسة الف فارس وكلهم اسود عوابس من صناديد الفرسان المعدودين للقاء الاقران فترحب بهم عنتر فارس الميدان والملك قيس وانزلوهم فى سعة الفضاء وذبحوا لهم النوق والجمال والخرفان

وقدموا لهم الطعام فاكلوا من هذا الطعام حتى أكفوا وبعد ذلك قدموا المدام قال الراوى ولما كان وقت السحر قدموا لهم ثانى مرة الطعام وماز الوا كذلك إلى أن طلع الصباح قال فبينما هم كذلك وإذا بغبرة قد طلعت عليهم فعندها ركبت بنو عبس خيولها وأعتدت فى آلات حربها وبعد ذلك انكشف الغبار عن فارس مضيق اللثام فعرفه الابطال وهو حجار ابن عامر ومن ورائه تسعة آلاف فارس فترحب به عنتر بن شداد وأكرمه غاية الاكرام وأنزلهم فى أعز مكان وقد نحروا لهم النوق والجمال وأكثروا لهم الطعام وبعد مجيئهم بيوم واحد قدم عليهم روضة بن منيع فى خمسة آلاف فعند ذلك أكرمهم بنو عبس غاية الاكرام ولما كان من الغد اقبلت عليهم بنو خولان فى تسعة آلاف فارس فعندها نزلوا لهم فى الاودية قال الراوى ولما كان من الغد أقبلت عليهم غبرة عظيمة فتلقاهم بنو عبس وقد تبين من تحتها الفرسان وإذا هم عشرة آلاف فارس من الشجعان وفى مقدمتهم نعمة بن الاشتر صاحب جبل الرخان فعندها سلم عليه عنتر بن شداد وأكرمهم وصار كل يوم يذبح الاغنام والنوق الجسام ودارت عليهم كاسات المدام فاكلوا وشربوا وطربوا ورفعوا الطعام وانشالت الكاسات وتمايلت الرجال والسادات وطابت الاوقات باللذات وما أقبل عليهم حتى انطرح الفرسان وهم سكارى من الخمور والدائرات إلى أن أصبح الله بالصباح وإذا بباز سار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار وبان عن فارس وهو الأمير بسطام قد أقبل ووراءه ثلاثة آلاف من الفرسا وحوله العبيد والغلمان فتلقوهم بنو عبس وترحبوا بهم وذبحوا لهم النوق والاغنام قال الراوى وبعد ذلك قداعتنى بنو عبس بالرجل والنساء الايتام والاطفال وكل الخلايق اليهم هرعوا ومن ولايم عنتر ياكلون قال الراوى وكان الذى اجتمع بفرح أبى الفوارس عنتر بن شداد مائة وسبعين الفا جواد وكان عدة من اجتمع فى جلاء عبلة مايتين وخمسين الفا ما بين أنثى وذكر ولاجل ذلك اشتهر زواج عنتر بن شداد فى السهل والجبال وضربت به الامثال قال الراوى ولما حضرت هذه الامم فى أرض الشربه والعلم السعدى وقد ضاقت بهم الارض فنهم ومن نزل فى الجبال ومنهم من نزل فى بطون الاوديه الحوال ومنهم من طلب وجه الارض والرمال وقد ازدحمت الخلا وما بقى الاخ يعرف حرمة أخيه ولا الولد يلتقى بابيه وقد أمر عنتر بن شداد الجزارين أن تذبح بالليل والنهار وكذلك أمر الطباخين أ يطبخون اللحوم ويجعلون القدور فوق النيران وامر الفراشين بالمواظبة على

مد السماط وأمر الفراقين أن يكونوا مواظبين حتى أن الطعام لا ينقص من القدور وصابر عنتر يقدم إلى الفرسان العشاء والسحور والغذاء والفطور وكانت عليهم كاسات الخمر تدور وأما المولدات والجواري فكانوا برسم العجين والخبيز ليلا ونهارا حتى كان الماشي والمتفرج يأكل ولم يبق أحدا إلا اكتفى من كثرة الأطعمة وكان أبو عبيدة سمع بهذه الوليمة فاتى إلى بني عبس لينظر ما سمع فرأى من صنف الذرة والقمح ماية وخمسة وتسعين المـأردب وصاروا القوم كل يوم يأكلون ويشربون فاذا فرغوا تدخل عليهم الجواري المطربات وتدور بينهم بالكاسات وقد طابت لهم الأوقات لهم من كثرة اللذات قال الرواي فلما أصبح الصباح علت الفرسان على الخيل الملاح وأشهروا آلة السلاح ومدوا الرماح وجردوا السفاح ولعبوا كراوفرا وهزلا وجدا فاذا حما عليهم الحر يعودون إلى الخيام وينزلون عن خيولهم ويجلسون في أماكنهم فاذا جلسوا أتاهم الطعام والشراب فاذا كلوا واكتفوا قدمت لهم العبيد صافي المدام ودارت الكاسات إلى غسق الظلام قال الراوي فداموا على على ذلك الحال تمام سبعة أيام الملك قيس يكثر لهم الطعام والشراب والإكرام وفي اليوم الثامن وثب الأمير بسطام على قدميه حين حضر ما أمر به من الهدية التي كانت آتية خلفه وقدمها إلى عنتر بن شداد وكانت مايتين رأس خيلي من الخيل الجياد بلامتها وعدتها والفين ناقة والفين جمل ومايتين عبد ومايتين جارية وعشرين نافحة من المسك الأذفر ومائة عقد من خاص الذهب الأحمر مفصلة بقطع الياقوت والجوهر ومائة طبلة من عنبر ومايتين ثوب من الديباج ثم أن بسطام قبل الأرض وطلب من عنتر قبولها أنشد يقول

بدوام سعدك تسعد الامداد	وبفضل مجدك تشهد الامجاد
بك كل يوم للانام مسـرة	وموائد من نعمـة تزداد
عشر بعشر أنامل لك في الندا	للخلق من بركها أمـداد
لك راقة للنـاس فيها رحمـة	بين العباد نوالها ميعاد
كف بكف في السخا معروف	ويد لبذل دائما تنفاد
قد شاكلت في الجود سبعة أبحر	فيها انبساط في الملا وسداد
لم تخل من بذل يمينك مثل ما	لم يخل فيك من الولاء فؤاد
يهنئك هذا العرس ما بين الملا	يا فارسا ذات له الاطواد
فاقبل هدية صاحب لك شاكر	وتمائما جاءت بها القصاد

لا زلت في نعم نعم بعيشه مرضية ومزيدة تزداد

قال الراوى فلما فرغ بسطام من هذه الأبيات شكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته فعند ذلك قبل بسطام الأرض وتأخر حتى قعد فى مرتبته وتقدم من بعده يكرب الزبيدى وقبل الأرض وقدم له خمسمائة فرس بعددها وآلاتها والف ناقه والف جمل ومائة ثوب من الحرير الأحمر وعشر عقود من خاص الجواهر وعشرين طبلة من العنبر وعشرين نافحة من المسك الأذفر ومائة عبد ومائة جارية وبعد ذلك سأل عنتر فى قبولها وأشار يمدح ويقول على طه الرسول

يوم بعرسك أشرقت أنواره	وعلا بطالعك السعيد مناره
ونظام مجدك لا يحل زمامه	ودوام عزك لا يحل زماره
يا عنتر الفرسان أبشر بالمنى	وبلوغ سؤل فى الدنا تختاره
لك منزل جو الفؤاد فووعه	غصن بسائرة السما أزهاره
فالليل أين نزلت زال ظلامه	والقفر أين حللت حل قفاره
فافخر على كل الأنام بسردد	قد أيقنوا أن الفخار نخاره
فاقبل بفضل للهديه سيدى	من صاحب حلت بدارك داره
وأعطف على عبدك دعاك فان من	عرضت عنه قد أتى أياره
ويقال عن يستقيل مروءة	عن القتال من الجواد عثاره

قال الراوى فلما أنشد معد يكرب الزبيدى هذه الأبيات طربت لها الفرسان والسادات وشكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته ووثب من بعده حجار بن عامر الكندى على قدميه وقدم الف ناقة والف جمل وخمسمائة من الخيل الجياد وخمسين عقد أو مائة ثوب من الديباج المقصب وعشرين نافحة من المسك الأذفر وسبع طبلات من الكافور والعنبر وثلاثة آلاف رأس من الغنم ومائة عبد ومائة عبد أمة ثم قبل الأرض وسأله فى قبولها وأشار ينشد ويقول هذه الأبيات

أردى الجود كل الجود ما أنت أهله	تصول وذل الناس حين تجول
وعدل له فوق البسيطة شامل	وظل على كل الأنام ظليل
عظمت إلى أن بات كل معظم	يناديك بالأغضاء وهو أصيل
وأبذلت ما توليه نطقا ونايلا	فلفظك جزل والعطاء جزيل
نطقب فاحرزت الفصاحة كلها	وجدت فكف المكرمات بخيل

غرايب ذو فضل وغاية مفضل تكمل أقبال له وقبول
تكملت في خلق وخلق ومنطق وفضل على رغم الحسود جميل
فتى يرتقى طول الثناء وهو شامل ويحمل صعب الحمل وهو ثقيل
بلغت ذرى أعيا الملوك سلوكها ودون أنقطاع السالكين وصول
فيهنيك هذا العرس يافارس الوغا ويا أوحد الفرسان حين تجول
تقبل فدتك النفس منى هدية وعذرا فانى صاحب وخليل

قال الراوى فلما فرغ حجار بن عامر من كلامه طربت له السادات وشكره عنتر واثنى عليه وقبل هديته فقبل الأرض وتبختر ثم وثب من بعده حصن المازنى وأحضر الف ناقة والف جمل وخمسمائه من الخيل والجياد وخمس عقود من الجواهر وعشرين نافجه من المسك الأذفر وخمس طيلات من الكافور والعنبر والفين من المعز والضان ومائة عبد وخمسين جارية ثم بعد ذلك أنشد يقول

غيرى يهنى بالزمان وأننى بك لا أزال أهنى الازمان
يافارس الفرسان يوم كريهة أنت الهزبر وفارس الفرسان
أضحى بنعمتك الولى مهنا وغدا بسطوتك العدا بهوان
فابشر بهذا اليوم يا كنز الورى فأسيد الاقران والشجعان
أعطيتك ميراث الفصاحة سادة حقا فكنت أحق من سحبان
فاقبل هدية من أتاك محبة يا كهفنا يامعدن الاحسان

قال الراوى ياسادة ولما فرغ حصن المازنى من شعره طربت له السادات وشكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته وجلسه إلى جانب في مرتبته قال ثم وثب مشاجع بن أسيد من بنى خولان وقدم اليه مائة فارس من الخيل الجياد والفين من النوق والجمال والفين من المعز والضأن وأشار بمدحه بهذه الابيات

سخاؤك والاحسان ليس لها حصر لقد ضاق عن شكرى لك النظم والنثر
وكيف ينال الشكر غاية ماجد يقصر عنها البحر والسيل والقطر
له من صفات الفضل ما بأقلة تجلت الايام وافتخر الدهر
أنامله غيث وجداوة وابل وأخلاقه روض والفاظه زهر
تهن بافراح أتتك سعيدة وعرس به تأتى المسرة والفخر
تقبل فدتك النفس منى هدية وياسيدى صفحا فعندك لى العذر

قال الاصمعى ولما فرغ مشاجع من أبياته شكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته وأجلسه فى مرتبته فعندها وثب من بعده عباد سيد بنى القيان وقدم خمسمائة فرس بعددها ولامتها وثلاثة آلاف ناقة وألفين من المعز والضأن ومائة طبلة من العنبر وعشرين نافجة من المسك الازفر والف ثوب من الحرير وعشرة عقود من الجوهر وسأل عنتر فى قبولها وأنشد يقول صلوا على طه الرسول.

هل للفضائل غير يدك معدل ... أم غير بابك للانام مؤمل
والله لو صنع الكلام جميعه ... شعر الاقصر عنك فيما تفعل
أنت الذى لولا مرضى عزمة ... ماكان فى هدى البلاد مؤمل
عرس جميل فى النفوس وأنه ... يزدان عند وقوع مايستقبل
سعد خصصت به وما ذو فخره ... إلا وأنت له الذراع الأطول
كرم وإقدام ورأى نافذ ... ماالغيث ما أسد الشرى ماالمتفضل
بطل الفوارس أن تضايق جحفل ... ليت الكتائب أن تلاحق مخفل
أخلاقه سهل لطالب رفده ... لكنها يوم الكريهة حنظل
اقبل هدية من أتاك بفرحة ... متحققا فيك الولاء الاكمل
لم أمتدح أحدا سواك وأننى ... بصفات مجدك فى الورى أتمثل

قال الراوى ولما أنشد عباد هذه الابيات طربت لها السادات وشكره عنتر وأثنى عليه وأجلسه فى مرتبته فعدها وثب من بعد تعمة بن الاشتر وكانت هديته عظيمة وهى الف فرس من الخيل الجياد العربية بما حلها من العدد والسيف والرماح وخمس عقود من الجوهر والف ثوب من الحرير القسطنطونى والف جمل من جمالى جبل الدخان والف ناقة وعشرة آلاف من المعز والضأن ومائة نافجة من المسك الأزفر ومائة طلبة من العنبر وسأل عنتر فى قبولها وأشار يقول صلوا على طه الرسول

صفاتك تسمو ماتقول ونكتب ... فلا عجب أنا نطيل ونطنب
وفعلك فى العلياء يعرف دائماً ... فلم لا تجيد المدح فيك ونغرب
إذ لم ننل ما قد بلغت من العلا ... بوصف ولو كنا نطيب ونرغب
هذا القول متناهى صفاتك قاصر ... فلا حد فى مرضى مجدك يطلب
وكيف ينال الشعر غايتك التى ... ذرى النجم أدناه من مداها وأقرب
وأعيا جميع الناس مدح لما جد ... همام بــــه يزهو المديح ويعجب
وأعماله فى الجود شمس منيرة ... يضىء بها شرق البلا ومغرب

وأقلام سمر الخط تكتب فضله ... والسن بيض الهند فيه تخطب
تقر له السيف فى حملة العـــدا ... إلى الغاية القصوى وأعداه ترهب
يبدد أقواما يرومون شأوه ... بقرب أفلاك العلا إذ تقرب
فيهنيك ذا العرش يا فارس الوغا ... وبشراك قد نلت ما كنت تطلب
فلا زالت الدنيا بظلك روضة ... يصوب عليها من نوالك صيب
تقبل فدتك النفس منى هدية ... فانك أدرى بالأمور وأدرب
فما فاتنا يوعا وجدنا مطلب ... إلى أن ظننا أن كفك مطلب

قال الراوى ولما فرغ نعمة بن الاشتر من هذه الأبيات طربت له السادات وقد شكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته وأجلسه فى مرتبته وبعد ذلك قدمت سادات القبائل إلى عنتر جميع ما كان معهم فقبل عنتر الجميع وأثنى عليهم وبسط لهم عنتر بساط الانس ، ثم أنه بعد كلامه الفرسان التفت إلى مقرى الوحش وقال يا فارس الشام ما وصل اليوم من النوق والجمال فهو لك وبين يديك هدية منى اليك وأما الثياب والمسك والعنبر والطيب فهو لابنة عمى عبلة وأما العبيد الذين جاءوا مع الهدايا فانهم فرسانى وجندى وكان جملة ما اجتمع لعنتر من الهدايا فى ذلك اليوم من العين وما ئتين عبد وألفين جارية من سائر الأجناس ثم بعد ذلك أعطى عنتر بن شداد العبيد العدد والسلاح والخيول والجنائب وقد صارت العبيد يركبون إلى ركوب عنتر وينزلون إلى نزوله ويقفون فى خدمه وصار إذا سير سريه يكونون فى مقدمها قال الراوى ثم أن سادات العرب وأكابر القبائل بعد ما قدموا اهداياهم لعنتر بن شداد قاموا على أقدامهم وطلبوا من عنتر الزفاف خوفا من الغدر والخلاف وقبلوا الأرض قدام الملك قيس فعندها شكرهم على ذلك وأثنى عليهم وقال يا وجوه العرب لقد انصف الزمان وجاد لنا عالم الخفيات الملك الديان قبل أن يرسل النوم على الاجفان الذى أجار عنتر بن شداد من رق العبودية وعطاه الكرم والشجاعة والفروسية فهو والله حاميتنا وفارسنا وعامر حلتنا قال الراوى فعندها غضب الربيع بن زياد فقال له قيس قيس يا ربيع يستأهل أكثر من هذه الأشياء لانه والله صبر وما قصر وما حمى حريمنا فى هذه النوبة إلا هو وإلا كانوا أخذوا حريمنا فى هذه النوبة الأعداء وباعهم بيع الذل والهوان وما بقى إلا انجازه وبلوغ مراده ثم قال الملك قيس يا وجوه العرب لا عدمنا سعيكم وأشفاقكم علينا فانتم والله فرسان النجدة والفرج عند الشدة قال الراوى فعند ذلك قبل الحاضرون الأرض وشكروا الملك قيس وقام من بعدهم عنتر بن شداد وصرخ بأعلى صوته ونادى وقال يا معشر العرب الكرام اشهدوا على أننى عبد لاهل

هذه القبيلة العبسية وأفديها بروحى وأهلى ومالى من جميع الآفات وأكشف عنها البلاء والنوائب فان زوجونى على ابنة عمى قبلت وأن تركونى أعالج امرى صبرت وإن طلبوا تعويقى فالأمر إليهم فلما سمع فرسان بنى عبس كلام عنتر نادوا بأعلى أصواتهم وقالوا والله يا أبا الفوارس ما فى الزفاف خلاف ونحن منتظرون وليتك يا بطل الزمان قال الراوى فبعد ذلك ذبح النوق والجمال والغنم والخيول السمان والفهود والسباع وذبح فى ذلك النهار خمسة آلاف ناقة وتسعة آلاف جمل وألف فرس وخمسين ألفا من الضأن وسبعمائة سبع وبعد ذلك استخدمت الرجال أشغالها أما بنو عبس فانها قد أسرعت وصفت الكراسى وأبرزت الأصنام بعدما ألبسوها الحلى وخرجت المخدرات والنساء والبنات وركب بعد ذلك بسطام فى بنى شيبان وركب بعده حجار ابن عامر فى بنى كندة وركب معد بن يكرب الزبيدى فى أبطاله بنى زبيد وركب مشاجع فى فرسان بنى خولان وركب الخطال فى بنى غطفان وركب الملك قيس فى فرسان بنى عبس وعدنان وركب حصن المازنى فى بنى مازن وركب الأمير روضة بن منيع فرسانه الشجعان وركب الملك نعمة بن الأشتر صاحب جبل الدخان فعند ذلك استحى الربيع بن زياد من الملك قيس ومن العربان فاحتاج أن يركب فى بنى زياد وركبت سائر الشجعان والفرسان وأشهروا السيوف والرماح من كل جانب ومكان وقد ماج البر بالعدد ولمعان الزرد على أجسادهم (قال الراوى) فعند ذلك أطلقوا الأعنة وتطاعنوا بالرماح بلا أسنة وكان هذا الوقت أواخر الربيع وكانت الأرض مشعشعة بأزهارها والروابى فى لون السماء والغدران تتلاطم بالأمواج وقد هب على تلك الأشجار والأزهار نسيم الصبا والهواء ففاحت روائحها كالمسك فى تلك الروابى وعندما لعب القوم حتى تعالى النهار بالرماح والصفاح إلى أن استوت الشمس على سائر الأقطار فعند ذلك عادت الفرسان والأبطال وتتابعت العساكر مثل النجوم أو مثل السيل إذا انحدر وسال قال الراوى ولما استقربهم الحال فعندها كل واحد نزل فى مكانه وجدوا الأطعمة قد تهيأت فنزلت الفرسان إلى أكل الطعام وأكلوا من لحوم الجمال والنوق وما فيهم إلا من أعطى له هبرة لحم من لحوم السباع إما مطبوخة وإما مسلوقة ولما اكتفى الرجال وشبعت فعند ذلك ترقبوا إلى شرب الخمر والمدام فشربت الفرسان بالكاسات الكبار والصغار هذا وقد أمر عنتر بن شداد الفراشين أن يمدوا اسماطا ثانيا إلى الأرامل الأيتام ففعلوا ذلك (قال الراوى) ونادى منادى وقال من أراد الطعام والزاد فعليه بطعام عنتر بن شداد فعند ذلك أتت النساء والبنات من كل جانب ولما فرغ عنتر من مد السماط وقف على رؤوسهم فى الخدمة مع جملة العبيد والغلمان فنعه الملك قيس عن ذلك (قال الراوى) كانه

فعند الملك قيس وأخوته يتفكرون فى عنتر وقصته ويخافون عليه من كيد الأعداء ليلة دخلته على عبلة قال الراوى وكان العرب رسم من قديم الزمان عند زواج البنات وأنهم كانوا يزينون البنات والعروس بما يقدرون عليه من الملبوس وكانوا يضعون أقتاب الجمال بعضها على بعض حتى ترتفع على وجه الأرض وتبقى مثل الدكة العالية وتجلس العروس من فوقها فاذا جلست العروس واستقر بها الجلوس تركب الفرسان وتلبس الحديد ويتساوى الأحرار والعبيد وتدق الاماء بالدفوف وتشرع الفرسان الأسنة والسيوف وتجتمع أبطال الجلة وفى أيديهم الأعمدة والعصى فعند ذلك يسرعون فى زفاف العروس ويزفون العريس محمولا إلى مكان زوجته لينال منها امنية فعندها يضربها بما فى أيديهم من العصى والأعمدة ويرفع له الصياح حتى يمنعوه عن عروسته وهو يدافع عن نفسه فان كان قرب أجله يموت أو ينكسر فيه شىء من أعضائه ولم يمت يكون بسعادته وأن كان العريس يصلى سالما العروسة فعند ذلك تنكشف عنه الفرسان تبعد عنه من كل جانب ومكان وكان هذا الرسم فى جميع العربان وكان لهم شأن وأى شأن وكانوا يقصدون بذلك اشتهار أفراحهم والرغبة فى بناتهم إلى أولاد أعمامهم وكانوا يخرجونهم بأفخر الزينة والملبوس حتى ينظر إليهم الفرسان والسادات وتكون فى وسطهم العروس فاذا وقعت محبة أحداهن فى قلب أحد من الفرسان واشتغل قلبه بالمحبة مثل النيران يخطبها من أبيها ويتزوج بها وكانت هذه هى سنة العرب عند الزواج فى بناتهم ٠ قال ولما كان فى ذلك اليوم تشاوروا أولاد زهير بعضهم مع بعض فتقدم الحارث أخو الملك قيس وقال لا له ياملك إعلم أن عنتر كثير الأعداء والحساد لاسيما بنو زياد لأنهم كانوا معولين عليه ونخاف من عبيدهم أن يوصلوا الأذية إليه ويضيع تعبنا وتعبة ولا يعود ينفعنا الندم من بعد هلاكه فقال الملك قيس ياحارث كيف الحيلة فى هذا الأمر الشنيع وهذا رسم جارى بين العربان وقد رضى به جميع السادات ذو الرتب وساير الفرسان فقال الحارث ياملك نبطل هذا الرسم فى زفاف عنتر ونعيده فى زفاف آخر فقال الملك قيس هذا هو الرأى الصواب قال الراوى فهذا ما كان من الملك قيس وأخوته وأما ما كان من بنى زياد وعمارة القواد فانه لما رأى ذلك الحال ما كان انقطعت منه الأوصال وقال الليلة يزفون عبلة على عنتر فلعن الله وجهه الاغبر ثم أنه بكى واشتكى ولطم على وجهه حتى طار منه الشرار ثم قال وامصيبتاه واتعب قلباه وكيف يأخذ عنتر بن شداد محبوبتى وثمرة فؤادى ولى زمان صابر على جورها وبلواها ثم سار إلى أبياته وصار يبكى بين إخوته وأهله وعشيرته فلما رأوه على تلك الحالة قال له إخوته طول روحك ياعمارة فنحن نسعى ليلة الزفاف ونأخذ عبلة ونحن كلنا وقوف ليلة زفافها ونرتب عبيدنا

وفرساننا يقفون إلى عنتر بن شداد فى الأماكن الصعبة فيضرب واحد منهم يعطيه ونحن هنا مائة فارس وعبيدنا أكثر من مائتين عبد وتفرغ عليهم صدور الزرد وتركب على ظهور خيلنا ونظهر الفرح وندبر أمورنا فلما سمع عمارة من أخوته هذا الكلام أظهر الابتسام وطاب فيه بهذا المرام ثم استخار من عبيده عشره عبيدا شداد جلاد وقد البسهم صدور الزرد وأعطاهم خناجر يقاتلون بها عنتر بن شداد ثم وعدهم بالخلع والأموال وقال لهم إذا طلعت عبلة للجلاء وأراد عنتر أن يأخذها فيكون فى أيديكم الأعمدة الغلاظ وأهجموا عليه عند زحمة الناس واضربوا بها رأسه عند غفلته وأطلبوا أهلاكه وقتله ولكم على ما قد ضمنته لكم من المال ومهما أردتم من النوق والجمال ولا تخافوا من تلك الأفعال فما عليكم ملام لأنه رسم من قديم الزمان وسنة جارية من سنين وأعوام وقد رضيت بها الملوك والفرسان فعند ذلك أجابته العبيد إلى ما قال وتأهبوا رغبة فى المال وأيقن عمارة ببلوغ الآمال قال ولما جاء وقت العصر تحزم العبيد وشدوا وسطهم فقال عماره أسرعوا فانكم لا تصلوا إلى مكان العرس إلا وقد أتى الليل فعند ذلك خرج العبيد خارج المضارب وقد دخل وقت غروب الشمس فعندها أسرعت العبيد حتى وصلت المحل المعهود فعند ذلك سمعوا منادياً من قبل الملك قيس ينادى بين المضارب والخيام وهو يقول بنى عبس وعدنان الكرام ويا معاشر هدرا لأننا قد أزلنا هذا الرسم فى هذا الوقت ونرده فيما بعد قال الراوى فلما سمع عمارة هذا النداء غاب عن الدنيا وذاب كبده وتحير بأى شىء يعامله وبأى حيلة ينكد بها عيشه وقد اجتمع بأخيه الربيع بن زياد وقال يا أخى أودعتك عند الله فانى هائم على وجهى من هذه الحلة ولا أبصر عنتر بن شداد يأخذ محبوبتى عبلة ويتلف وينكد على عيشتى غرضا ولا مأمرلا لأنى كرهت معاداة هذا الإنسان وقد دبرت له ألف مرة الهلاك والقلعان ويعود التدبير على ويا خسران وانظر بعينى الذل والهوان فقال عمارة يا أخاه أنت قد سافرت الأقطار ونادمت الملوك الكبار فما تعرف بعض الحشائش القاتلات والعقاقير المهلكات فتدلنى عليها وترشدنى اليها حتى إنى ابرطل من يضعها له فى الطعام ونبلغ بهلاكه فقال أعرف من العقاقير المهلكة شيئاً ما يعرفه حكيم فى الزمان ولا يقدر عليه ملك ولا إنسان ولكن أخاف بسعادته يقلب التدبير علينا وإذا عملنا شيئاً يأكله فنخاف أن يأكل معه غيره فقير أو أمير ولاسيما الملك قيس بن زهير أو أحداهن أخوته أو من يلوز به من أهله وعشيرته

وأعمامه وأقاربه وأنى أخاف أن يقتل منهم أحد وينجو هذا العبد بسعادته ولكن قد انفتح لى باب أبلغ به من عنتر بن شداد الأرب وهو عليه أشام من القتل فلما سمع عمارة كلام أخيه انفتحت أذناه وصفق بيده وهز رأسه و نطلى عليه كلامه وبعدهذا قال عمارة يا أخى قل لى ايش هذه الحشيشة التى يأكلونها قال له الربيع يا عمارة هذه حشيشة قد جلبتها معى من أرض العراق وهى معدومة فى سائر الآفاق وقد عرفتها من بعض قدماء الملك وقالوا لى ياربيع هذه حشيشة إذا أكلها انسان إطفأ جميع الحرارة التى فى جسده والاضلاع فيبقى عاما كاملا لا يقدر على الجماع وان كان مبرد الاشياء فذنه يعود طنجير ويحك بدنه كثير ويكون طبعه مثل القدور فى غليانها إذا أحكمته نيرانها وربما انقلبت شهوته إلى دبره ويفتضح بين أهله وخلانه فعند ذلك قال عمارة أطلب العون منك ياأخاه فى هذه الدواء وحق إله الأرض والسماء ان هذا أشد من القتل على ذلك العبد ولد الزنا ياأخى بحق أبيك تعطينى إياه حتى أشفى من عنتر الغليل فقد ترك جسمى نحيل وليلى طويل ونومى قليل فعديها قال له الربيع ومن أين لك من يتسبب فى ايصاله إليه ويضعه فى الطعام بين يديه فقال له مولاتى قدمه فى بعض الالوان وقت انقضى الشغل علينا وهان فاذا أكله قال الراوى وأخذت أرى قال الراوى وكانت لعمارة هذا المولدة التى كان ذكر اسمها وكان يحبها ويلوز بها وهى التى كانت تشاغله من عبلة فى أكثر الأوقات تشبه عبله فى المعانى والصفات وإذا نظرها الانسان وهى مبرقعة يظن أنها عبلة لان جفونها وعيونها تسبها وكانت تشاكله فى مشيتها وخطوتها وكان اعمارة من محبته لهذه الجارية يشرب عليها المدام قال وكانت هذه الجارية كلا تبغض عمارة ولا تصفى له الوداد وكانت تعشق عبدا من عبيد بنى قراد وكان كلما حجبها عمارة عن المرعى والخروج إلى الصحراء فيزداد بها الهوى لأجل العشق لأخيه الربيع أعطاه الدواء لى أوصاه بكتمان السر قال عمارة لا تخف من هذا الأمر ثم أخذ منه الدواء مولدته كلا وقال لها عمارة أريدك إذا دعتك خميسة أمة عبلة وطلبت منك المعونة فى نقل الطعام إلى الرجال وتضعين هذا الدواء فى بعض الاطعمة والقصع الجياد وتتركيه قدام عنتر بن شداد فعندها أجابته على ما أراد وقالت له يا مولاى اعلم أن خمسة أنفذت إلى من أول النهار وكنت لك فى لانتظار حتى استأذنك بالرواح اليها والقدوم عليها ولكن يا مولاى ايش يعمل هذا الدواء حتى أكتم سره ان كان قاتلا أخفيته عن كل

الإنسان ولا أقع فى شىء يؤدى إلى الهلاك ولا يكون لى من بنى قراد خلاص ولا فكاك فعند



ذلك قال عمارة يا كلا ما عليك منه بأس لأنه لم يكن قاتلا وإنما هو جالب للبغضة وأنت تعلمى ما فى قلبى من عبلة وما قاسيت من محبتها وهواها وفى آخر الأمر بعد العنا غلبنى هذا العبد ولد الزنا على ما نابنى من أحوالها وأنا أريد أن أطعمه هذا الدواء حتى يبغضها ولا يتهنا بها وأنا أريد أن تزكيه فى الطعام حتى تنظر به قعد بين الكرام وربما يقف فى الخدمة فرحا بما وصل اليه من عبلة وأنا أعلم أن الملك قيس يحلف عليه ويجلسه إلى جانبه فقالت له طب نفسا وقر عينا فانى أقدر أن أضعها له فى لقمة وأحطها بيدى فى فمه لأنه يحبنى لأجل ابنة عمه عبلة وبينى وبينه انبساط وأين ما وقع بى لعب معى ويرفع مكانى وموضعى فاطمأن بهذا الكلام قلبه وعند الصباح أصبح الحى يموج بالأفراح ونحرت النحائر وروقوا المدام ونصبت الكراسى وخرجت المخدرات لابسات الألوان فعندها تقدم بسطام فى بنى شيبان ومشاجع فى خولان وعباد فى بنى القيان ونعمة بن الاشتر فى

عساكر جبل الدخان ومعد يكرب فى بنى زبيد وحجار بن عامر فى بنى كندة الأجواد والهطال فى بنى غطفان والملك قيس فى فرسان بنى عبس وعدنان وماج البر بالعدد وقد أطلقوا الأعنة وتطاعنوا بالرماح بالأسنة . وكان فى زمان أواخر الربيع والأرض مشقوقة بفنون ظهرها البديع والروابى بلون السماء والغدران تتطلاطم بصافى الماء وقد لعب القوم فى ذلك اليوم إلى أن حمى البر وارتهج الحر وعادوا وقد صفت لهم الجفان مملوءة بالطعام وراق المدام وقد أراد عنتر أن يقف بجملة العبيد فما مكنه من ذلك قيس واخوته بل حلفوا عليه وأجلسوه بين الكرام وكان عليه خلعة خضراء من خلع الملك النعمان . قال وما شرعوا فى أكل الطعام حتى سجدوا للأصنام . قال الراوى وكانت كلا مولدة عمارة قد حضرت فى ذلك اليوم من جملة المولدات والكل لابسات الحلى والحلل والمزينات كلامهم ومعها الك الدواء الذى تريد أن تطعمه لعنتر حتى يبغض عبلة لأنها قد نظرت محبوبها نعيم الذى ذكرنا أنها تحبه وهو واقف فى الخدمة مع العبيد لابس ثوبا أخضر وعلى رأسه عمامة حمراء وأطرافها منقوشة بالقصب ثم أن كلا لما نظرته رأته أحسن من كل من كان فى الوليمة فمندها تحسرت عليه واشتاقت اليه وقالت فى نفسها أن مولاى يحبنى وأنا أبغضه ومن محبته قد حجبنى عن محبوبى وأنى أريد أن أطعمه هذا الدواء حتى يبغضنى ويرجع يستخدمنى فى المرعى وأخرج إلى الصحراء ويجتمع بمحبوبى نعيم ولما قوى عزمها على هذه الفعال قالت لخيسه أمة عبلة والله ياخيسة قد تحيرت كيف أطعم هذا الدواء إلى مولاى حتى يبغضنى فاسألك ياستاه أن تأخذى هذا الدواء لأنه لاينكر عليك إذ قدمتيه بين يديه وأنا أخاف أن ينكر على فيما بعد ويقول لى يا كلا أنا أعطيتك دواء تطعمه لعدوى فاطعمتينى اياه وربما يقتلنى فقالت لها خيسة على به وأنا أكفيك إياه ثم أخذته منها وألقته فى الطعام وأتت به إلى قدام عمارة بن زياد وقالت له أمتك كلا قد تولت خدمة مولاى عنتر وأنا أريد أن أتولى خدمتك لأجل ما بيننا من المحبة والوداد قال الراوى فلما سمع هذا الخبر فرح واستبشر وقال فى باله أنها ماتولت خدمة عنتر بن شداد إلا لتبغى منه الارب فى هذه الليلة فاذا اجتمع بعبلة فى المساء لايحظى منها بغير البوس والعناء ولا يقدر يرفع لها قدما ولاساق ثم بعد ذلك مال إلى الطعام فأكله وحده من شدة فرحه قال الراوى فلما استقر ذلك الطعام فى بطنه حس بسريان الدواء فى سائر بدنه هذا ما كان من عمارة وأما ما كان من بنى عبس الكرام فانهم لما فرغوا من أكل الطعام دارت عليهم كاس المدام وغنت الفتيات ورقصت المولدات وانغمست السادات فى مناهل اللذات وفى

أواخر النهار قد أكتفوا من شرب العقار وقد هانت عليهم الاخطار وبرزت البنات الابكار وقد اختلط الجوار بالنساء الاحرار وقالوا نحن ما نوبد بعد عبلة اسقتار ثم كشفن عن وجوههن البراقع ورموها وقد ظهرت وجوههم الطوالع وأشرقت الوجوه اللوامع وسرت النواظر والمسامع وقد ماست أغصان القدود من شدة الطرب الموجودة (قال الراوى) وكان لهم يوم أعجب من كل عجب وتوردت منها الخدود من الحياء والخجل وأشرقت بدور الحلل وقد راق العيش وأكتمل وقالت النسوان والبنات ونسوان السادات وحق الاصنام والارباب ما بقينا استر خلف حجاب حتى ننظر عبلة فى كرة واحدة ونمشى كلنا بين يديها خدمة لها ومساعدة لبعلها لانه أحسن من هذه الليلة تكون وما يفوت هذه الوجه الاكمل مغبون فقالت نساء بنى فراد نحن نشرع فى زفاف العروس فعندها دخلوا على عبلة مع المواشط وأرخوا ذوائبها وأصلحوا حواجبها والبسوها الحلل الملونات والملابس والمزركشات والثياب الكسرويات والغلائل المذهبات ياسادة وقد ذكرنا أن عنتر بن شداد جلب من عند كسرى والمنذر ما أعطوه من العقود وجلوا التاج على رأسها وعصبوها بعصابة من الجواهر فعندها أشرق المكان واوهج وجهها مثل الشمس والقمر وهى مستغنية عن الزينة بحسنها وجمالها البديع قال ولما لبس النسوان عبلة من تلك الحلل وأرادوا أن يخرجوها إلى الجلاء فعندها أمر عنتر بن شداد أن يضربوا لها سرادقا من الديباج الملون وأن تصف فيه الزرابى والنمارق وينصب فى وسط كرسى شاهق واوقدوا فيه الشمع الملبس بالعنبر وأطلقوا فى السرادق القافلى وبعد ذلك صاح عنتر باخيه شيبوب وأخيه جرير وجماعة من العبيد والفرسان الصناديد والابطال الاماجيد وقدامرهم أن يدوروا حول السرادق من كل جانب وبايديهم الرماح الخوارق والسيوف البوارق وأنهم يكونوا على يقظة من عدو أو طارق فعندها صفت الابطال من كل جانب وصفت النساء والصبيان والجوارى والغلمان وأوقدو الشموع فى الشمعدانات الذهب وأشعلت المشاعل بحطب العود القافلى وأزراد البخور وفرحت النسوان ورفعت أصواتهم بالزغاريت وارتفعت الضجات من كل جانب ومكان قال الراوى فبينما الناس يهرجون وإلى نحو السرادق يهرعون وينظرون وإذا بالمواشط قد خرجن من السرادق وفى أيديهم الشموع بالعنبر والاماء بين أيديهم يضربن بالدفوف والمزاهر وبين ايديهم عبله البهية كانها الشمس المضية بحواجب كانها عيون الغزلان وفم كخاتم سليمان وأسنان كانها اللؤلؤ فى سلك مرجان وعبق غزال عطشان وعنبه كانها خشتنابك فى سماط سلطان ووجه كأنه القمر وقد أسعده مولاه وصدر كانه شاذوان وسرة

محققة تسع أوقية دهن باب وبطن كأنها طيات عجان وكفل يحكي قنطار بالقبا وأفخاذ كأنها وسائد قد حشيت بريش النعام وسواعد كأنها عواميد رخام وهى بنفسها تخجل البدر من تحت الغمام قال الأصمعى وأبو عبيده مصنفا هذا الكلام العجيب سمعنا عن عبله أنها لما أقبلت بين المواشط وقد أتت من الحى وأبرزوها إلى الجلاء حين أخرجوها من السرادق وكانت مثل البدر إذا أخرج وبدر فى ليلة أربعة عشر وكان يومئذ عيها جملة من الحرير وقد قلدها بالسيف الأبتر وكان من فولاذ أفرنجى بجوهر وقد جعلت يدها فوق رأسها والأخرى على صدرها وقد توهجت الشموع فى وجهها وهى بين أهلها ونسائها قال الراوى وقد حكى عما أتفق لها أنها لما أقبلت على الناس من باب السرادق ونظرها الخلق فى هذه الزينة والمنظر الفائق فعند ذلك ضرخت الخلائق صرخة واحدة دوت لها الجبال وقيل أنه غشى على بعض الرجال بما نظروا وتعجبوا من تلك العربية البديعة والجمال الرائقة التى فتنت النساء والرجال وكانت ذلك الوقت كما قيل فى بعض الأقوال .

تبدت من الحمام فى الحلل الحضر	مفككة الأزرار مسلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت أنا التى	شويت قلوب العاشقين على الجمر
فقلت لها أن كان قلبك صخرة	فقد أنبع الله الزلال من الصخر
فقالت لى أصبر لست منى بنائل	وصال التى تهون إذا كنت ذا ضجر
فقلت لها إنى على الصبر دائما	مقيم إلى أن تبعث الناس للحشر

(قال الراوى) ولقد حكى بعض المتقدمين من رواه هذه السيرة أن الله عز وجل خلق عبلة بديعة الجمال وفتن بها هذا الفارس الريبال وقد أعطاه من القوة والشجاعة ما تهر به الجبابرة والأبطال وذل الله به الأكاسرة والقياصرة وفرسان الجاهليه العوال لأنه مهد الأرض والأقطار وقد أعطاه هذه القوة الملك الجبار وان الله عز وجل أسكن عنتر بن شداد سرا خفيا لا يعلمه إلا الله اللطيف الخبير وكان من عاداته أنه يقاتل الفارس إلى أن يميل هو يحل به التعب فاذا انفصل منه وتأخر قدر باع أو ذراع قليل عنده رد الله عز وجل عليه قوته وضاعفها فيرسع إلى خصمه ويأخذه من الميدان أسيرا ويتركه قتيلا قال الأصمعى وأبو عبيدة مؤلف هذه الاخبار ذكر أصحاب السير ان عدد الذين أسرهم وقتلهم وجزوا نواصيهم وأطلقوا من الهوان سبعون جبارا من جبابرة الفرسان مثل ذو الخمار فارس بنى حمير ومثل صهره دريد بن الصمة ومثل زيد الخيل وعامر بن الطفيل ومثل معد يكرب الزبيدى ومثل عمه خالد بن محارب ومثل عمرو بن العامرى كان فى ذلك الزمان فارس من كفر وملة جبار بن صخر ومثل عمرو بن ضمره الغسانى ومثل عمر بن عقاب فارس

بني كندة ومثل معاوية بن النزال ومثل مسعود بن مصادر ومثل عفريت السواحل فارس جزائر البحار ومثل حجار بن عامر وسلكة بن سلكة وإياس بن قبيصة وأنس بن مدركة الخثعمي ومسحل بن طرق وأبي الاشبل وطرد الاطوادوعبد زنجير وعند هياف ومثل هذه الفرسان لايوجد مثلها في مشارق الأرض ومغاربها فكان عنتر بن شداد باسرهم أويقتلهم أويجز نواصيهم مثل الملك الأسود وجون والرمح المسعود وفاز الفضاعي وقيصر ملوك الافرنج وصافات صاحب بلاد الظلمات وكسرى مثل ملوك أرض خراسان وبيوت النار الحميه والمملكة الفارسية ٭ وقد أسر عنتر وردشان وظالم وعروة والحارث بن ظالم واللقيط بن زرارة قال الراوي ياسادة ولو شرحت ذلك وذكرت قصة كل منهم ثلاث الكتاب وكل اللسان عن الجواب وكانت صفات عنتر في ذلك الزمان كزناد خرج منه نار فهد الله عزوجل به الأرض فسبحان من خلقه وسواه وأعطاه حتى قتل حساده واعداءه قال الاصمعي ونرجع إلى سياق الكلام فنقول ولما خرجت عبلة للجلاء وبيدها سيف مشهور يأخذ لمعانه بالبصر فعندها صرخ كل من حضر وقال الأعداء والحساد ياخسارة هذا الحسن والبياض لذلك السواد ولكن القضاء والقدر لايردان هذا وعمارة بن زياد حس بظاره قد انقطع وحار فيما يفعل ويصنع وقدهم أن يقوم فوقع ورشقه بأسهم من جفونها فانصرع ووكف طرفه ودمع ثم قال ياليتني ماحضرت ولا قشعت ولا نظرت وأنا اعلم بان هذا العبد يلتذ بهذه الصورة العربية الاشراق ويطيب بلذة الضم والعناق وإن كان الدراء وقد عمل معه فما يريد يصنع بمنعه وأنا وحق الرب الكبير وجبل يثرب أريد أبالغ في التدابير ولا أتركه يلتذ بها الا القليل فعند ذلك أنفذ مولدته كلا إلى ابياته وقد تزايدت حسراته وأتته بعقد الجوهر الكبير يساوي ألف دينار مثل قص الاظافير قد تقدم إلى سمية وبيده هذا العقد وقال لها ياسمية تقدري تعاونيني على هذا الأمر بكلمة واحدة وتاخذي مني هذا العقد اللؤلؤ من غير مطال ولا مكايدة فقالت له وماهي الكلمة ومافيها من الفائدة فعند ذلك قال لها تقولي لزبيبة أم عنتر قولا شنيعا فاذا قالت وكيف ذلك وما الذى تعني بمقالك فقولي لها انك رضعت عبلة مع ولدك عنتر مرار عديدة وتربيتك وتعبك فيه ضاع لانها صارت زوجته واخته من الرضاع فلعلها تعلمه بذلك الكلام فتكبر نفسه عليها فلا يدنو منها أبدا وإلا أموت كمدا لانه لايقدر عليه أحد ولكن أرتجي أن يكون هذا في غير هذه الاوقات وكي تكون عبلة على هذه الصفات وانتظر له العرصات من رب السموات فعند

ذلك تبسمت سمية من كلامه وتعجب من حسده ونظرت إلى العقد وأخذته وعاهدته على أنها تقضى له حاجته ثم انفصلت سمية من عنده وأنت عند سرادق عبلة فوجدت الصياح عالى والصراخ نامى والخلائق يترامون بعضهم على بعض والشموع أوقد والمواشط أقبلت يزفون عبلة والاماء تضرب بايديهم الدفوف المزاهر بين أيديهم صبيه كانها الشمس المضية بحواجب كبقسى نبال وعيون كعيون الغزال وفم مثل خاتم سليمان وأسنان كاللؤلؤ فى سلك المرجان ووجه مثل القمر إذا بان وصدر كانه شاذروان وسرة محققة تسع أوقية من دهن ألبان وبطن كانها عجان وكأنها وسائد حشيت من ريش النعام وساقين كانهما عمودان من رخام وكاف وسين يبلغ قنطار بالقبان وأقبلت بها المواشط على الرجال فتعجبوا من ذلك الحسن والجمال وأجلسوها قدام الأمير عنتر والملك قيس جالس بجانبه وجميع السادات حوله وعندئذ قام الملك وهنى عنتر بذلك النهار الذى كان له زمان يتمناه ثم أشار يقول صلوا على الرسول .

أيا من قد حوى عقلا وفلا على الفرسان مرتفع المقام ودامك ربنا طول الدوام
ومكفيك المضرة مع سقام يملكك الإله بكل خير وجود فى الوجود مع احتشام
فلولا أنت كنا فى هموم وحق الله والبيت الحرام لانك قد كشف العار عنا
ولم نحمل علاقات الحسام ولانعل الخيول ولا بغالا وعشنا فى المذلة الف عام
وأنت غفيرنا فى كل وقت ونمشى فى الديار بلا اهتمام ولالو أنت لم نلبس حريرا
بطول الدهر من نوح الحمام فعش فى عزة وعلو مجد وتخدم فى وطاقك والخيام

قال الراوى فلما سمع قيس من شعره قام عنتر وقبل الأرض قدامه وقال يامولاى إن هذا كله مانلته الا باهتمامك ولولا انت وأبوك الملك زهير ما كان لى رأس تشال بين الناس ولازلت فى رق العبسودية إلى الآن وان احسانكم على من قديم الزمان قال الراوى كل ذلك يجرى والعيون ناظرة إلى عبلة وبعد ذلك جلس الملك قيس فى مكانه وقام الحارث بن زهير نثر النثار على رأس عبلة وجعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

هذى عروس لارأينا مثلها واصغوا لما أبديه من أقوالى يا آل عبس فاسمعوا لمقالى
لها شعر يحاكى الليل لونا وفاق البدر فى وقت الكمال لها وجه يحاكى للثريا
كما قوسين ترمى بالنبال حواجبها الملاح بلاشبيه على اكتافها مثل الحبال

وعيناها تبارك من يراها | تفوق بحسنها عين الغزال | لها خدان تفتن من رآها
لها رود وما فيها ذبالى | لها أنف كما سيف بجرد | له نور تبدى من صقال
لها فم كما خاتم عقيق به | به در تنظم مع لآلى | لها صدر يحاكى لوح فضة
به رمان فى الأغصان حالى | لها بطن يحاكى التربلينا | وسرة حشاها بالمسك غالى
لها خصر تحيل تحت ردف | كموج ماج فى بحر اللآلى | وأفخاذ غلاظ تحت ردف
وبينها شويخ ذو اتصال | هو الخفى الذى ما حدشافوا | هو السلطان والأعضا موالى
وحامينا بهذا اليوم يحظى | إذا فرغ الجلا عند الوصال | لها ساقان أعمدة كمرمر
تعومتهم كذبة فى المثال | وتتمشى باقدام لطاف | وكعب أخضر حسن الخصال
وقد فائق ما فيه ميل | كغصن البان عند الاعتدال | وهذا بعض وصفك ياعبيلة
وإنى موجزلك فى المقال | حواها فارس بطل همام | تخاف الأسد منه فى الدحال
سألت الله خالقنا جميعا | إلها واحد فى الملك عالى | يديمك فى المنامع جمع شمل
وهدى ليلة خاص الليالى | وهذا المدح من حارث يسمى | تديما ناظما حسن المقال

قال الاصمعى ولما فرغ الحارث بن الملك زهير من شعره ومدحه لعبله وطربت العربان وكل من كان حاضرا والمواشط واقفات وهن يضربن بالطازات من خلفها وهى تحلى على السادات وقط صارت كانها الطاووس وهى بين تلك الجموع تجلى والمواشط والمغانى فونها وهم يضربون بالدفوف الى أن أتت الى المكان الذى خرجت منه وأخذت منها أمها السيف وقلعتها بدلتها الخضراء وخرجتها بين المواشط فصارت تتمايل عجبا بنفسها إلى أن قربت من المنصة وكان أمراء العرب من حول عنتر جالسون يهنونه بتلك رعروس وإزالة الهم والبؤس قال الراوى ولما أن صارت عبله عند المنصه قام اليها الأمير حجار بن عامر ونظرها وهى فى تلك الحلة مخضراء وكانت مطرزه بالذهب ومرصفة بالجواهر وكانت عبلة من غير ذلك يتحير فيها النظر فاشار عند ذلك الأمير حجار وأنشد يقول. صلوا على طه الرسول .

قد أقبلت فى حلة خضراء | تزهو محاسنها لعين الرائى
سلبت عقول الناظرين بحسنها | لما بدت تزهو على الندماء
وسبت قلوب الناس لما أقبلت | ثم أنجلت أنوارها بضياء
رقت معانى لطفها وتمايلت | بقوامها وبقامة هيفاء
ياحسن قامتها ولينه عطفها | زادت محاسنها بكل بهاء

تجلى على بطل جليل ماجد هو عنتر الفرسان فى البيداء
صلحت له وهو الحقيق بحسنها وجمالها الفتان للفصحاء
وبقدها فاقت على غصن النقا والشعر يحكى ليلة الظلماء
والفرق فرقد والجبين كأنه بدر منير ساطع بسناء
ولها حواجب شبه قوس إذا بدت ترمى باسهمها القلب الرائى
وكذا العيون السوداء أقوى مضربا من كل هندى لدى الهيجاء
والأنف أقى والخدود توردت فى كل خد وردة بيضاء
والشعر فيه لؤلؤ وجواهر والريق شهد فيه كل شفاء
وكذلك الشفتان شبه عقائق والعنق يحكى فضة بصفاء
ومعاصم فيها كؤس للعطا باصابع العناب بحر عطاء
والصدر لوح من رخام قد حوى نهدين كالرمان فوق صفاء
والبطن طيات الحرير وقد حوى فسقية للمسك والزبداء
والخصر منحول وردف حائر يحكى كثيبا لاح فى البيداء
أفخاذها مثل العجين وفيهما سلطان لذات الكبراء
سيقانا تحكى لعمدان القنا من مرمر وبياض مع بهجاء
أقدامها ماقدموا لفواحش إلا عروس الدرة العذراء
فى حلة خضر أتتنا تنجلى سلبت عقول الخلق والندماء
قم يافريد العصر والحظ بحسنها هى بنت عمك أنس كل عناء

قال الراوى ولما فرغ حجار بن عامر من شعره أهتزت العرب طربا وشكره عنتر وجميع من حضر وعادت المغانى بالعروس وساروا بها حتى وصلت إلى مكانها الاول وقلعوا ما كان عليها من الحلى والبسوها خلعه مسح أسود ووضعوا على رأسها عصابة من الجواهر فاطلقت فى قلوب الناس الغصة وتاملها الامراء والملوك فبدت كانها حورية من الجنان فسلبت عقول الرجال والنسوان فعند ذلك قام اليها الامير روضة بن منيع وأشار اليها يقول صلوا على طه الرسول

جاءت لنا فى حلة سوداء كالبدر يشرق فى دجى الظلماء
سبحان من جعل المحاسن كلها فيها وزادت بهجة وبهاء
أخفى لانوار الصباح جبينها والعين منها شبه عين مهاء

والأنف منها مثل سيف مصلت ... والخد يحكي ورده بصفاء
والشعر فيه لؤلؤ وجواهر ... والريق شهدت فيه كل شفاء
وكذلك الشفتان مثل عقائق ... والريق للعشاق أصل شفاء
هذا من الله الكريم وصنعه ... يعطى المحاسن مع صفاء وبها
والصدر يعلوه نهود اشبهت ... رمانتين وفى اليدين ندائى
والبطن طيات الحرير ولينه ... والخصر ناحل رقة كهواء
وكذلك الأرداف شبه كثائب ... جسل الذى قد خصها بعلاء
افخاذها قد اختفى من بينهم ... سلطان محجب عن النظراء
سيقانها شبه الحرير ونعومه ... من مرمر وكقصة بيضاء
سبحان من قد أصغى عبلة فتنة ... يا فارس الأقطار والبيداء
هناك رب العرش جل جلاله ... طول الزمان بعبلة العذراء

قال الأصمعى ولما فرغ الأمير روضة بن منيع من شعره شكره عنتر وجميع من حضر من السادات والأمراء الجالسين وقد نثروا على عبلة النثار من الذهب والفضة وبعد ذلك رجع المواشط والمغانى بالعروس وصاروا يجلونها على الحاضرين شمالا ويمين إلى أن وصلوا بها إلى المكان الذى خرجوا منه وقد غيروا ما كان عليها من الملبوس والبسوها حلة زرقاء وعادبها المواشط والمغانى وهم يزفونها إلى أن أتوا بها إلى المنصة وقد أرمت فى قلوب الأبطال الف غصة فعند ذلك قام الأمير بسطام على قدميه وقد رآها وهى لابسة تلك الحلة الزرقاء التى هى من ملابس الملوك فعندها أنشد يقول صلوا على طه الرسول

أنت تنجلى بين المواشط فى البعد ... بخلعتها الزرقاء كاملة المجد
ففى رابع الخلعات أنشد قائلا ... نظاما وفى مدحى لعبلة استبدى
عروس تحاكى البدر عند كماله ... مطرقة بالعز والسعد والعقد
فقلت لها سودى على سائر الورى ... بحسنك والإحسان والقد والمجد
ومن بعد هذا اليوم عنا ستحجبى ... ويحظى بكى ليث يفوق على الأسد
فانت سلبتى كل عقل لعاشق ... إذ مست ما بين المواشط بالجد
وفرقك شبه البدر والشعر ليلة ... وحسن جبين نوره صار فى وقد
حواجب حقا قد رمونى بأسهم ... ولحظك أقوى فى القلوب من الغمد
وأنفك أبهى من مليح مقوم ... كذا من خدودك تجتنى حمرة الورد

وفى ثغرك المعسول لجز وقرنفل ... وقيل شراب سكر كما الشهد
وعنق كعنق الريم والصدر صادر ... كلوح رخام فيه مقتبل الهند
تهودك كالرمان والبطن نزهة ... منعمة شبه الحرير من الهند
وخصر نحيل فوق أرداف قدعلت ... مرجوجة تحكى ضروبا بالزبد
وكاف وسين لا يرى وهو بارز ... كذا نقلوا عنه المواشط فى الفشد
وأفخاذها مثل العواميد خلتهم ... وسيقانها ساقوا لها نضرة السعد
وأقدامها تمشى بها نحو فارس ... همام يوسم القزح والسعد والرشد
يكاد صبيب الماء يجرح جلدها ... إذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد
وأخدشها لبس الحرير للينها ... وتشكو إلى الدادات من ثقل العد
ولو لبست ثريا من الورد خالصا ... لاخدش منها جلدها ورق الورد
ولو تفلت فى البحر والبحر مالح ... لأصبح ذاك البحر أحلى من الشهد
ولو واصلت شيخا كبيراً على عصا ... لأصبح ذاك الشيخ يغتال الأسد
تهن بها فى الدهر يا فارس الوغا ... بطول المدا والضد الغم والكمد
واستغفر الله العظيم من الخطأ ... إله تعالى فى الجلال وفى المجد

(قال الأصمعى) ولما فرغ الأمير بسطام من شعره وبما نظم من تلك الأبيات المطربات تمايلت لها السادات وانشرحوا ومرحوا فى تلك الروابى وقد شكروه على ما قال من تلك المقالات البديعات ونثروا على رأس عبلة النثار من الفضة والذهب وأخطوا المواشط والمغانى وقد عادوا بعد ذلك بها وهى تتمخطر بينهم كأنها حورية من الجنان وقد غفل عنها رضوان والناس يتعجبون من حسنها وجمالها الذى قد أعطاه الله لها وما زال المواشط يجعلونها إلى أن أتت المكان الذى خرجت منه وقلعوها ما كان عليها من الملبوس والحله الزرقاء والبسوها عوضا عنها حله حمراء وهى مرصعة بسائر المعادن واليواقيت وقد خرجوا بها إلى المواشط والشموع تتقد فى أيديهم وما زالوا يجعلوها حتى وصلت إلى المنصة التى جلس عليها الأمير عنتر الفارس القسور وتورجبينها قد أخجل شمس النهار وقد أذهبت عقول الحضار بما قد شاهدوا من تلك الأنوار فعند ذلك قام الأمير معد يكرب الزبيدى من الرجال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

﴿ تم الجزء السادس عشر ويليه السابع عشر ﴾

(الجزء السابع عشر)

من سيرة عنتر بن شـــداد

تبدت فى ثياب الأحمر وحلتها كمثل الجلنار بوجه مثل بدر التم ابهى
علا فوق والسماو على المنار وحسن قوامها مع لين خصر تزيد لمن يراها فى أفتكار
وهذه ليلة بالفرح جادت فلم نبرح هنا طول النهار لها غنت مغانى مطربات
على جنك ومزمار وطار والحاظ تجرح من يراها إذا ماست لدى خلع عذار
ويحظى بالعروس أبو الفوارس ويتهنى ويعمر للديار
سألت الله يبقيكم جميعا لنا فى العز مع قرب المزار

قال الأصمعى ولما فرغ الأمير معديكرب من إنشاده تلك الأبيات طربت طربت لها السادات وقد نثروا على رأس عبلة من الفضة والذهب وعادت المواشط بالعروس وهى تجلى بين هؤلاء الجلوس وهى كانها طاووس وما زالوا بها حتى أوصلوها إلى المكان الذى طلعت منه وقد قلعوا ما كان عليها من الملبوس والبسوها حلة غيرها وهى السادسة وقد خرجوا بها إلى الخلاء بين تلك الخلائق وهم شاخصون إلى ما أعطاها الله من الحسن والجمال والبهاء والدلال وما زفوها إلى أن وصلت إلى المنصة فعند ذلك قام الأمير عروة بن الورد على الأقدام وأنشد يقول .

تبـــدت فى ثياب اللازوردى ونجم الليل فوق الصدر عقدى
لها وجه يفوق البدر حسنا . ويخجل من سناها حين تبدى
حواجبها كما قوسين ترمى على عشاقها هزلا بجـــد
وأعينها كما عين المهاة لها فى الفرس طردا بعد طرد
لها فم كما خاتم عقيق وريقها كما سكر وشهد
لها صدر كما لوح مربع يزينه بها رمانـــ نهد
باعطاف وأرداف ثقال إذا بانت لمثل صار يحدى
وقد صلت لعنتر وهى تجلى عروس الخيل ذو عز ومجـــد
تهنى بالعروس وعش سليما بطول الدهر فى أمر وسعد

قال الراوى فلما فرغ عروة بن الورد مما أبداه من ذلك الشعر والنظام طربت له جميع السادات ومن حضر فى ذلك المقام وبعد ذلك نثر عليها للنثار ساير الحضار وهى تجلى بينهم كأنها البدر التمام وقد شقت القلوب من جفونها بسهام ثم ساروا بها وأوصلوها إلى المكان الذى خرجت منه وخلعوا ما كان عليها من الملبوس والبسوها حلة أخرى ووضعوا على رأسها التاج الذى أتى به عنتر من عند الملك كسرى والبسوها العصابة الجوهر التى يأخذ ضياؤها بالبصر فصارت مثل البدر إذا بدر وأجلسها المغانى على المنصفة وقد وضعت فى قلوب الناس الف غصه وهى تتباهى بالحسن والجمال والقد والاعتدال وصارت تفضح بطلعتها الهلال فعند ذلك قام الأمير مقرى الوحش من بين الرجال وزاد به البلبال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

عروس مهرها مهج البرايا تبــــدت فى الثياب لها الثنايا
سبت عشاقها عجبا وتيها وكاد العقل يذهب للمزايا
كسلطان تحكم فى البرايا اليه تشتكى عظم البلايا
عروس قد حوت كل المعانى فما أبقيت لحسر من بقايا
تهنى بالعروس وعش سليما أيا بطلا تراعيه الرعايا
ترقى وارتفع درج المعالى فانك ذخرنا معطى العطايا
فهذى ليلة بالسعدى نارت بقبس الرأى ذا ملك البرايا
وعبس كلهم جمعــــا ينادوا له بالنصر من رب البرايا
وأيد عنتر دوما الهى بنصر منك مع - وفر العطايا

قال الأصمعى ياسادة باكرام ولما فرغ الأمير مقرى الوحش من هذا الشعر والنظام شكره الحضار ونثروا على عبلة النثار من الفضة والذهب وقد فرح جميع الأصدقاء والأحباب وزال عنهم الهم والأرتياب قال الراوى فعند ذلك قام الأمير شيبوب وتقدم إلى عبلة فقال له الملك قيس ما بالك يا شيبوب قد أتيت ووقفت قدام عبلة وصرت باهتا كالابله فقال شيبوب وأنا الاخر ياملك مالى نصيب فى رؤية الحبيب فقال له الملك قيس وما نصيبك ياشيبوب فقال له رؤية عبله لأنها تزيل عن القلب الهم والغم والكروب فقال له صدقت يا شيبوب ولكن شبينا من أشعارك الحسان وصف لنا ما أعطاه الله من الحسن والجمال وعلو الشأن فقال له يا مولاى

أنا لا أقدر أن أصف لك ما فيها من المعانى لعجز لسانى ولسان أمثالى لعلى بما هناك من المعانى ولكن يا مولاى اسمع بعض وصفها وما أقول فيها نهاراً كان أو ليل فشعر ما مثل شعر الخيل وهو أسود مثل الليل وله جبين وضاح يحاكى المصباح وعينان تحاكى الغزلان ترشقان من يراهما بالنبال وفوقهما حاجبان كأنهما قوسان ولها خدود موردات صنع مدبر الكائنات ولها أنف كحد الحسام إذا جرد على الفارس الهمام ولها وجنات تحاكى الجلنار وهى تذل الأبصار ولها وجه كالعقيق يسيل منه الرحيق ولها شفتان كالمرجان ولها أسنان كأنها اللؤلؤ المنظوم صنعه الحى القيوم ولها عنق كأنه البلور يضىء منه النور ولها صدر كأنه لوح من الرخام تتحير فيه الافهام ولها بطن كأنها طيات الحرير الذى ليس له نظير وفوقها نهدان كأنهما رمان يتمايل فوق الأغصان وتنتهى منه إلى ردف يقعدها أن هى أرادت القيام تورث به الجسد السليم السقام ولها خصر نحيل يداوى العليل ولها أفخاذ كأنها مصاطب من المرمر يأخذ ضياؤها بالبصر وبينهما شىء لا أقدر أن أذكره مخافة من أخى عنتر وهذا ماعندى من القول والخبر قال فلما سمع الملك قيس هذه الاوصاف من شيبوب هو ومن كان حاضرا معه أعجبهم كلامه وقال له الملك والله يا شيبوب أن هذا كلام ليس له مزيه ولكن نحن نعذرك فيما قلته لانك مثل أخيك فى التذكار ولو كان لك تهم كنت أنشدتنا شيئاً (قال الناقل) كل ذلك يجرى بين الملك وشيبوب وعبلة واقفة السمع فعندها تبسمت وتمايلت فأفتنت العقول وقد أعجب كلام شيبوب وبعد ذلك التفت شيبوب إلى الملك قيس وقال له يامولاى أن كان ما أعجبك نثرى فأنا أسمعك شيئاً من شعرى فقال الملك قيس أسمعنا ماخطرت ببالك نجح الله كل أعمالك فعندها أشار شيبوب فنشد ويقول صلوا طه الرسول

خذوا حذركم من لحظها فهو ساحر ... وليس بناج من رمته المحاجر
ولا تخضعوا من رقة فى كلامها ... لأن لها جـــو القلب مجامر
فمن فى السكرى مر النسيم بطرفها ... سرى أبدا من طرفها وهو عاطر
قلائدهـا تشكر لظماً وشاحها ... إذا أشرقت من معصميها الاساور
بعيدها ما بين الخلخل والطلا ... وذا الطرف عنها ينثنى وهو خاسر

(قال) ولما فرغ شيبوب من شعره الذى ذكره فى وصف عبلة وهى تسمع وصفها فتلالا وجهها بالعرق وفرحت بما نطق به فتمايلت الخلائق على بعضها وقد أعجب عنتر وصف أخيه شيباوب لعبله هذا ثم تأخر شيبوب إلى وراء وقد نثر على عبلة النثار ثم عادبها المواشط

إلى المكان الذى خرجت منه وقلعوها ما كان عليها من الملبوس وألبسوها خلعة غيرها وأخرجوها وهى تجلى بتلك الخلعة فعندها غنت المولدات والمغانى وضربوا بالدفوف والمثانى وقد تقدمت المغانى إلى قوام عنتر البطل القسور واشارت اليه تقول صلوا على طه الرسول .

ياصاح جاء الليل هاك الروح والفجر قد أقبل وبان الصباح
فيافتى انهض وقم قائما نحو الحمى واسع لزين الملاح
واحظى بعبلة وار تشف صغرها وافرح بوصل العانيات الرداح
الله يبقك فى الهنـــا دائما ماغرد القمرى بدون وناح
هذا تمام السعد ياذا الفتى لم يبق الا الحظ والانشراح
فكن إلى عبلة من القادمين وغمد حسامك صاح ما ذمزاح
هذه ليلة بلوغ المرام فانهض ياعنتر لذات الوشاح
واطعن غزال البرياذا الهمام ودع العواذل يكثرون النواح

(قال الاصمعى) فلما فرغت المغنيه من هذه الابيات طربت لها جميع السادات فعندها تقدمت مغنية أخرى إلى قدام الأمير عنتر وأشارت تصف مافى عبلة من الحسن والجمال والقد والاعتدال وأشارت تقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات .

فما فى لحظها الفتان سحــــرا يدل لبطشها الرجل الجلد
تسبي العالمين بوجنتيها كان العالمين لها عبيد

(قال الاصمعى) وبعدها تقدمت مغنية أخرى وأشارت تقول صلوا على طه الرسول
أن قلت بدار فما البدر بهجتها أو قلت شمسا فليس تحكيها
كان يوسف أعطاها محاسنه فكل حسن الورى من بعض مافيها

(قال الراوى) لهذا الكلام العجيب الفائق المطرب البديع القريب ثم أنهم عادوا بها إلى المكان الذى خرجت منه وقد دار المغانى حول الحلة والشموع فى أيديهم والمشاعل بايدى العبيد وقد هوعت الخلائق إلى الفرجة وهم فى فرح بتلك وبعدها أقبلت المغانى وصارت ترهج والدنيا ترتج باصوات الدفوف وهى بايدى الاماء والنظار الذين واقفين لايدرون اهم فى الأرض أم السماء لانهم قد بهتوا من تلك الصور البديعه (قال) وكانت عبله محتقرة لهؤلاء الرجال واستهانت بالابطال لانها قد سبيت مرارا وسافرت الاقطار

فعند ذلك صارت عبلة تتبسم عجبا بنفسها فيلمع البرق من ثناياها وتتلفت يمينا وشمالا فترشق القلوب بضبايات سهامها وتنعطف فتخطف العقول وهى تكلم أترابها فيتمنى الحضار سمع كلامها ولها من جفونها لحظات أحد من السيوف المرهفات كما قال فيها الشاعر

بدوية لعب الجمال بعطفها ... وبطرفها يهتز لين قوامها

وتلفتت فرمت نبال جفونها ... نادت محاسنها إلى عشاقها

لاتجهلوا أو تقلقوا من تيهها ... سبحان خالق حسنها وجمالها

هى فتنة الدنيا بضوء جبينها ... وكمالها ودلالها وكلامها

يجلو ظلام الليل حد حسامها ... تسبى العقول من الملابقبابها

قال الراوى ياسادة ولما أقبلت بها النساء على الرجال وقدروا ذلك الحسن والجمال وأخذت أمها السيف من يدها وأرادت أن تردها عن الخباء ليلوها ثانى مرة فما صبر عنتر بل أخذته الغيرة والحميه والنخوة الجاهلية فهجم عليها هجمة الأسد واختطفها ودخل بها الخباء وصاح بها من داخل السرادق وترك القلوب حرارة وبوارق وقد سبت عبلة تلك الخلائق فعند ذلك زار بالحساد الحسد وذابت قلوب الأعداء من الكبد فعندها قال عمارة لاهناك الله باابن الف قرنان كما بخلت علينا بالفرحة عليها فعندها قال المحبون لعنتر يحق له ياعمارة أن يفعل هذه الفعال ويصون هذا الجمال لأنه قاسى مالا يقاسيه انسان ولا صدق فى مثل هذه الليله أن ينظر بها فما خسرت بضاعته ولا ضاع تعبه فعندها قال عمارة يابنى الأعمام ورب الأرباب ان هذه الليلة ماهى غالية برولان النعم وفاز بها والله هذا الأسود الأهم ثم انه انصرف وفى قلبه بعض مافيه من شدة الحرارات وقد بقى شيبوب وجرير على باب السرادق يحفظها من الطوارق قال وكانت سمية زوجة شداد قد حدثت زبيبة بما أعلمها عمارة بن زياد فوفت له الوعد لأجل العقد قال وكانت زبيبة ناقصة عقل ومعها طرف من غفلة فتركت عنتر ابنها حتى أختلى بعبلة ثم دخلت عليه وأفهمته بما وصل اليه وقالت له يابنى هاأنا أحدثك بحديث عجيب يتحير العاقل فقال لها ياأماه ماهذا الحديث قالت أنك ياولدى تزوجت باختك فى الرضاعة وقد مضى تعبك باطلا فقال لها وكيف ذاك ياأماه فقالت أنى ما كنت أقول أنك لاتصل اليها أبدا لاجل ذلك الشأن والآن وقد كان ما كان وأصبحت على برهان لأنى قد أرضعت عبلة من لبنى مرارا فعندما قالت لعنتر تنغص عيشه وتكدر وقال إذا كنت أختى من الرضاع كما زعمت فانا أكتم أمرى وامرها ولا أتقدم إليها بل أتركها فى أبياتى ولا أدع أحد يملكها ماذامت فى حياتى

ثم قد بجانب عبلة وفى قلبه دبلة وقد صار يفكر فى سهام المصائب فهذا ما جرى لعنتر ابن شداد وأما ما كان من عمارة بن زياد فانه قد مضى فى أبياته وقد أضرمت النيران فؤاده فعندها دعا بولدته كحلا وقد زاد أن يبرد قلبه بنومه معها وكانت أشبه الناس بعبلة وأراد أن يتمتع بحسنها وجمالها قال فلما رأى نفسه كالمعتاد ولا تحركت عليها آلته فافتكر فيما جرى منه فعند ذلك قال لها يا كحلا أظنك غالطتنى وأطعمتينى الدواء الذى أعطيتك أياه وقلت لك أطعميه لعنتر فعندها قالت كحلا ماهذا الكلام ياسيدى أنت قد أبغضتنى لما أبصرت عبلة فقال لا والله يا كحلا فقالت يامولاى أنا أعطيته إلى خميسة أم عبلة وقلت لها أطعمى هذا الدواء إلى عنتر وما أدرى بعد ذلك ما جرى فقال لها عمارة يا لخنا صيرتينى طنجير وقد فضحتينى بين الصغير والكبير لأن خميسة أطعمتنى إيا وقد أتتنى بصفحة ملآنه من الطعام وامصيبتاه من هذه الأحكام واغبناه من هذا الأسود الحجام ثم وقع فى قلبه الوهم العظيم وقال لاشك أنى أكلت الدواء (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح دخلت النساء على عبلة ينظرون ماجرى لها وأمها بالجملة فرأوها على غير الاستواء وسألتها أمها عن حالها فقالت يا أماه ما دنا ابن عمى منى بل سمع حديثا أشغله عنى فما قربنى ولا ابتكرنى فعند ذلك دعت أمها بعنتر وقالت له ياطنجير ايش هذه الفعال أنت تريد تتركنا فضيحة بين العربان وتكسبنا العار طول الزمان فقال عنتر ولم ذلك ياستاه فقالت أنت أخذت بنتنا بالمحال ومنعت عنها الرجال ولا حصلت لك مادنوت منها بفعال وما بقيت أخرج من هنا إلا بالانفصال وبلوغ الآمال فان كنت ماتريدها أخذتها وأن كنت تريد ابنتى فاطلب منها سنة الرجال وأن كنت طنجيراً ألبستك ثياب الأماء وقدمت لك المغزل فتبسم عنتر من هذا المقال وما بقى يمكنه كتمان الحال وقال لها يا ستاه هل رأيت من يتقدم إلى أخته بحال من الأحوال فعندها قالت شريحة أم عبلة وكيف حدثت بهذا الكلام والله ياعنتر أنا ماأعرف لها أخا غير ولدى عمرو فعند ذلك أعاد عليها ماسمعه وهو أن أمه أرضعت عبلة من لبنها مرارا فعندها قالت شريحة لاعاشت العجوزة المشققة لا كعاب ثم أنها أنفذت خلف زبيبة وأحضرتها وقالت لها ويلك يا كشحانة متى أرضعت عبلة من لبن هذا العبد فقالت زبيبة والله ياستاه ماأعلم وماأدرى ما الخبر غير ان مولاتى سمية قد ذكرت لى هذا الحديث الذى تقدم والبارحة افتكرت فيها وفى ولدى عنتر فما علمت منهما الأكبر فعندها تبسمت شريحه من هذا المقال وعلمت أن زبيبة ما لها عقل فقالت اسمية وهى إلى جانبها وقد عظمت مصائبها ياسمية أنا أعرف أن فى قلبك بغضة من

عنتر وما جل ذلك العناد أن يتغير حتى أنك كدرت عيشه وأردت أن تفرق بينه وبين محبوبته فعند ذلك تبسمت سمية من هذا المقال وأن عنترما يعتب على فى هذا المقدار بل يحسب



أن هذه الليلة التى فاتت أنها من بعض الليالى التى سلفت ويقوم يركب هذه الحجرة للعربية ويكتال حتى فيه لا يبقى جلد ولا حيل قال الراوى فلما سمع عنتر بن شداد هذا الكلام أبدى الأفراح والابتسام وزال عنه الهم والغم ونال المرام وبعد ذلك قال للنسوان

اخرجو الآن من هاهنا فعندها خرجوا متبسمات ضاحكات إلا أنهم ما بعدوا عن السرادق حتى سمعوا حس صوت عبلة وهى تتألم وقد اقتنصها عنتر بن شداد كما يقتنص الغزالة سبع الاجم ونزل عنها وقد فرح وتبسم مما لحقه من الطرب وأشار يقول صلوا على طه الرسول

زعمت زبيبة أن عبلة بنتها ... كذبت زبيبة والذى أغواها
فزبيبة مثل الظلام إذ بــدا ... والليل من قدامها ووراهــا
وعبيلة مثل الصباح وحسنها ... يختال من قدامها ووراها
من ذا يشبه بومة بحمامة ... أو من يعيب الشمس وقت ضحاها
فقد أنت أمى بقول منكــر ... والزور فى اثباتها دعواها
تبا لهــا فى قولها من جهلها ... تالله قلت عقلها أغواهــا

قال الاصمعى ثم أن عنتر لما حصل له بلوغ الآمال والمرام وقد ساعده على ذلك الملك العلام فعند ذلك وقع فى الحلة الصيح وزادت بينهما الافراح وقد حركت الولدات الدفوف من سائر الاقطار وقد رقصت البنات والجوار فعندها أتى الملك قيس وأخوته وأعمامه وهنوه بالزفاف وجددوا الولائم والدعوات ورقصت الاماء وغنت المولدات وقد فرحت جميع الناس وأوفى الملك قيس بمقاله وشرب الكاس ولم يزل هؤلاء الابطال فى أكل الطعام وشرب مدام مدة سبعة أيام وعنتر يكرم المدعوين غاية الإكرام إلا أنه كلما أراد أن يشترى خمراً يمنعه الملك قيس من ذلك الحال ويقول له يا أبا الفوارس نحن نحمل عنك هذه الاثقال لانك صرت صاحب بيت وعيال ، ولما انقضت هذه الولائم خلع عنتر بن شداد الخلع المثمنة على الملوك والسادات مثل بسطام وأبيه قيس الشيبانى ومشاجع الخيلانى وعباد القبانى وعلى الملك نعمة بن الاشتر وحجار بن عامر ومعد يكرب الزبيدى ومن معهم من وجوه العشائر والابطال ، ثم رحل كل منهم طالبا أرضه والاطلال وقد فرحوا لعنتر بن شداد ببلوغ الآمال قال الراوى وكان عنتر فى هذه الايام لا يفارق مقرى الوحش وكان أكثر الأوقات لا يقضيها إلا عنده وصار يقضى الليل بالافراح والانشراح هذا والملك قيس يهنيه بما وصل اليه من السرور الذى قدم عليه فعند ذلك قال له الملك قيس كيف رأيت ليلتك يا أبا الفوارس ويا معدن السماح مع ست الملاح فعندها أشار عنتر يقول

فديتك أنى بت فى خير ليلة ... أعانق من أهوى إلى مطلع الشمس

وبات يفوح المسك من نشر عبلة ... وأنفاسها عندى ألذ من العطر
أقبل منها صدغها عند خدها ... يقوم به الدر المنضد فى النحر
توسدنى منها كفعلى بمعصم ... وخد على خد ونحر على نحر
ولست أرى بين الأنام كعبلة ... بوجه لها ابهى من الشمس والبدر
إذا ما أتت يهتز لين قوامها ... كمل اهتزاز الغصن بالورق الخضر
وأقسم أنى ما هويت لغيرها ... زمانى ولا أسلو هواها مدى الدهر
وما عبلة إلا فتاة بديعـــة ... مهذبة الأعطاف طيبة النشر
سرى حبها فى القلب منى وفى الحشا ... كما سار دمعى فى العروق وفى نحرى
فهيهات أن أسلو هواها من الدنا ... بطول المدا حتى أوسد فى قبرى
هى السؤال من كل البرية والمنا ... فلا سلوة عنها إلى موقف الحشر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وإنشاده فعندها طربت له جميع السادات وقد تعجبوا من فصاحته وقالوا سبحان الله العظيم الذى اعطاه الشجاعة والفصاحة ثم أنهم جددوا الولائم ثلاثة أيام وبعد ذلك خلعوا فرسان القبائل والعربان وانصرفوا طالبون منازلهم والأوطان شاكرين حامدين وقد ازداد عنتر بن شداد فى ذكره وتمت هيبته فى قلوب العربان وقد أمنوا من نوائب الزمان وإذا فى يوم من بعض الايام وقد همل الملك قيس ولية عظيمة وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار فلما نظره عنتر بن شداد وثب كانه أسد دار وقد تبعه الفرسان وركبوا الخيول لهم العربية وفى مقدمتهم عنتر بن شداد إلى جانبه مقرى الوحش وعروة ابن الورد وباقى الفرسان وراءه متتابعة قال الراوى فلما قربوا من الفرسان وإذا فى مقدمتهم فارس كانه طود من الأطواد وعيناه تتوقد كانه مشعل ٥ قال وكان هذا الفارس يقال له العقاب بن معمم وكان قد خرج فى هذه الفوارس طالبا أرض الحجاز من بلاد اليمن فما زال حتى وصل إلى بنى عبس فعندها ظهر له بعض الوحش فطلبها فى أصحابه فلم يزل يطرد الوحش حتى وصل إلى بنى عبس وقد ثار غبار الفريقين ووقعت العين فى العين وكان العقاب قد سمع بشجاعة عنتر وما بان منه وما ظهر ثم أن عنتر التفت اليه وقال له أيها الفتى ما الذى أقدمك إلى أرضنا أما سمعت بذكرنا فعند ذلك قال له العقاب ويلك ياولد الزنا أنت تفزعنا ببنى عبس ونحن أسود الفلا فانت من تكون من فرسان بنى عبس فقال له أنا عنتر بن شداد قال فلما سمع العقاب أنه عنتر بن شداد اهتز على سرجه وزعق عليه وقال له ويلك ياولد الزنا أنا طالبك منذ زمان حتى أريح العرب من شرك وأفنى عمرك فعندها صال

وجال وأنشد وقال صلوا على باهي الجمال

أيا عنتر الفرسان وافاك فارس	له سطوة تخشى بسيف مقلد
يقد به رؤس الفوارس والعدا	ويجعلهم صرعى بكل مهند
فكم فارس أرديت فى حومة الوغى	يجر على الأرضين غير موسد
فدونك أتى فارس ذو عزيمة	ولى همة تسمو على كل سيد

(قال الراوى) فلما سمع عنتر بن شداد منه هذه الانشاد أجابه على شعره وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

كذبت وبيت الله ياذا الشقائق	وياذا الخنا وابن اللئام الفواسق
فدونك حربى سوف تلقى صميدعا	له همة فى الحرب فوق الخلائق
له سطوة عبسية عنترية	تهد لأركان العــدا بالحقائق
يجنــدل أبطـــال العدا بمهند	ويجزرهم جزر النياق الشواهق
ويتركهم رزق الوحش وغيرهم	ورزق طيور البر حتى البواشق

(قال الراوى) ثم بعد ذلك حمل وتلقاه وقاربه وداناه وزعق عليه زعقة تهتز منها شوامخ الجبال الأصمعى وأبو عبيدة وكان العقاب من الفرسان المذكورة والأبطال المشهورة لايخاف الرجال ولايهاب الأبطال وكان له وقعات كثيرة وحروب عظيمة بارض صنعاء وعدن قال الراوى وكان العقاب يتمنى أن يلتى عنتر بن شـــداد لأنه سمع بفروسيته شجاعته وكان قدجاء فى طلبه فحمل عند ذلك عليه واشتعلت نار الحرب بينهما وقد طلب بعضهم بعضا وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالصفـــاح قال الراوى وقد دام بينهما القتال وأشتدت الأهوال وصاح كل واحد منهم على صاحبة وقد نظر عنتر بن شداد فارس جيد خبير بابواب الحرب والكفاح بصير فعند ذلك زاد به الغيظ والحنق فزعق عليه وانطبق وضربه بالسيف على مرففة طير رأسه مع شدقيه فعندها خرصريعا يعجاعلقما وقد حملت بنو عبس وفى أوائلهم مقرى الوحش وعروة بن الورد فقتلوا أصحاب العقاب وماتجا منهم إلا القليل الذى كان جواده سابقا ثم رجع الملك قيس وعنتر ومقرى الوحش وباقى الفرسان وقد جمعوا الاسلاب وهم فى فرح إلى أن يعودعن محل تلك الوقعة هذا وعنتر بن شداد قدام الفرسان والأبطال وهو ينشد هذا المقال

صحا قلبي من الكاس الدهاق ... وزال النوم عني بالتلاقي
واسعدني الزمان فصار سعدي ... يشق الحجب مع سبع طباق
أنا العبد الذي القى المنيا ... شديد الباس مر في المذاق
وجندلت العقاب وكان قرما ... غداة النقع اضحى في المحاق
هوى في الأرض مجندلا بسيفي ... يحرق في الدما قدما بساق
واسقيت الفوارس من اسناني ... شراب الموت ممزوجا دهاق
أنا الرجل الذي خبرت عنه ... غداة الروع مر في مذاق
فتى يتلقى الفوارس يوم حرب ... ولا يخشى مقابله الرقاق
ألا يا عبله لو عاينت فعلي ... وطعني بالمهندة الدقاق
ادمت محبتي وشكرت فعلي ... مدام الأيام عن كل الرفاق
وفي سعدي على فلك الثريا ... يفوق لتابع السبع الطباق

(قال الراوي) وقد عادوا إلى الحي والاوطان وقسموا الاسلاب والنهب على الفرسان هذا وعنتر لا يفارق مقرى الوحش ولا يقضى الأوقات إلا به في منادمته ويبالغ في اكرامه وخدمته قال الراوي وقد ترك له مضارب لاقامته وغلمانا برسم خدمته وحكمه في ماله وامتعته قال ولما انقضت الولائم والدعوات وانصرفت المواكب والسادات خرج عنتر في بعض الليالي من عند عبله وقت السحر وقد تمشى يطلب خيمة مقرى الوحش ليسأله عن حاله لانه قد نظرة تلك الأيام مقصرا في الأكل والشراب فعند ذلك علم عنتر أنه منكسر الفؤاد لاجل غربته وبعده عن عزه في دياره وشوقه إلى مسيكة محبوبته فاراد أن يسليه بمنادمته ويوعده بالمسير في صحبته ويعاونه على قضاء حاجة لأن العاشق يعرف باحوال العاشقين ويعلم بمواقع الفراق عند المحبين قال الراوي ولما دخل على مقرى الوحش سمعه وهو يذكر أرض الشام ومضارب مسيكة والخيام وهو ينشد ويقول

نسميك فاح يا أرض الشام ... إذا ما زارني ابرى سقامي
فهي إن استطعت على فؤاد ... عليل يشتكي كرب الغرام
وإن راعيت عهدي فاحمل لي ... إلى محبوبتي طيب السلام
وأن خطرت مسيكة من خباها ... وماست بين اطناب الخيام
عليها أن تمن على وقت ... بطيف تحت استار الظلام
قصدت إلى العراق وقلت إني ... أعود بنعمة الملك الهمام

والتى كل جبار عنيـــد بطعن الرمح أو ضرب الحسام
فلاقانى فتى من آل عبس كأن حسامه برق الغمام
إذا خاض العجاجة يوم حرب يشيب ضربه رأس الغلام
ويقطع سيفه سبل المنايا ويسبق رمحـــه وسل الحمام
همام قد بنى مجدا رفيعا لعبس فى الورى دون الانام
وشيده بفعل شريف مجد وقوى منـــه أركان الدعام
إذا ما سار نحو عداه يوما وفى يده علاقات الحسام
ترى برق المنية منه يبدو ورسل الموت تسرع الحمام
وأن ناديتـــه يوما مخيفا أظل عليك ظلا من غمام
وجاء بنعمة منه وفضل كفيض البحر منه وهو ظامى
علا فخرا على كل البرايا بطعن الرمح أو ضرب الحسام
يبيد عداته يوم التلاقى على خيـــل معودة الصدام
شجاع قد رقى درج المعالى وحاز فضائلا بين الانام
فان فخروا عليه وقد تعالوا وقالوا إنه نســـل الحرام
فقد كذبوا وحق أبى قبيس ورهبان بنـــجران كرام
فأفعال ابن شداد عنتر قد تناهت وفاق بجوده السحب الهوامى
فتى حاز المكارم والعطايا منيع الجار محفوظ الذمام
وقد فوضت أمرى نحو ليث كريم الجد من نسل الكرام
فان جاد الزمان يجمع شمل به وبسيفه العضب الحمام
وإلا همت بين الوحش حتى يذيب الشوق لحمى من عظامى

قال الراوى فلما سمع عنتر هذه الأبيات تناثرت من أجفانه العبرات والحقها بحسرات ورفع رأسه إلى السماء وقال اللهم يارب البيت الحرام اجمع شمل كل محب بمحبوبته ويزد ما به من كربة وحالة بلغه يارب مثل ما بلغنى المنى من بنت عمى وبعد ذلك دخل عليه وسأله عن حاله فشكره مقري الوحش على مقاله وقال وقال أنا فى كل خير وعافية مادمت فى أنعامك فقال عنتر بن شداد لا والله ياوجه العرب لا يشكر الإنسان زمانه إلا إذا كان حبيبه قدامه ونحن على كل حال ظلمناك وطولنا عليك الوعد الذى به وعدناك والآن ما بقى لنا فى الديار حاجة ولا مقام إلا المسير إلى بلاد الشام وخلاص محبوبتك مسيكة بالحسام وإلا فلا

يكون لك قرار ولا يطيب لك مقام فى هذه الديار على أنى ما أتيت إلا أشاورك فى الركوب إلى الصيد والقبص فسمعت ما أشغلنى عن هذا الغرض فاشرت عليك حتى نسير إلى قضاء أشغالك فعند ذلك أنفذ أخاه شيبوب فى طلب عروه بن الورد وابن أخته المطال يامرهم بالركوب فى ثلاثين فارسا بطال وقد قال مقرى الوحش يا أبا الفوارس أخر هذا خوفا من الدهر فعند ذلك قال عنتر لا وحق من شعشع الشعاع وشق الأبصار والأسماع وتفرد بالعلو والارتفاع لا اشتغل بأحد ولا بمضاجعة النسوان عن قضاء حوايج الأخوان حتى أقضى حاجتك وأبلغك مناك والآن بلغنا المناوزال عنا العطنا فقم نقضى أشغالك وأسرع إلى بلوغ آمالك ما طلع النهار حتى ركبت الأبطال وفى مقدمتها عروة بن الورد والمطال بعد ما أوصى الملك قيس على الحريم والعيال فقال له قيس يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا وكن آمنا ولولا أننا نخاف من أمر يتجدد كنا سرنا كلنا معكم لأن بنى فزارة قد جمعها سنان وأخذ حصن بن حذيفة وساروا فى جميع الأبطال والحريم والنسوان يشتكون إلى الملك النعمان وربما يسير الملك النعمان الينا بنفسه فى ساير العساكر والفرسان فقال عنتر يا ملك الزمان أترك من بالك هذا لامر ولا تخف من أجد بعد حذيفة وأولاد بدر لأنه ما كان ينفذ الينا العساكر والقبائل والفرسان إلا حذيفة بن بدر النا كث الغدار ونحن يا ملك الزمان أن شاء الله تعالى ما نبطى فى الشام غير شيء يسير من الأيام إلى أن يرجع سنان من أرض العراق وبجميع النعمان الفرسان من ساير الافاق قال الراوى ثم ودع الملك قيس وعاد إلى بنت عمه عبلة وودعها وأوصى عليها أباها وأمها وأخذا أخاه شيبوب ومقرى الوحش وقد لحق الثلاثين فارسا الذين ركبوا مع عروة ابن الورد والمطال واستقبل أرض الشام ومهب الشمال وقد سلك بهم شيبوب أرض حاجر وضهير وأخذوا فى جدا المسير حتى امسى المساء وقد باتوا هناك تلك الليلة وعند الصباح جدوا فى المسير وقطعوا القفار إلى أن طلعت الشمس وتضاحى النهار فعند ذلك وقف عنتر وتذكر عبلة بنت عمه فعندها تنهد وتحسر وأنشد يقول

هل عرفت الدار رسما محيلا	دارسا بعد جده معلولا
لعبيله كأنه رسم وشم	زاده فله الانيس نحولا
زعزعته الصبا فى كل يوم	ثم جادت له الشمال قبولا
فكان اليهود فى يوم عيد	ضربوا فى خلاله ذاك الطبولا
غير أن السيول والريح جلت	ترابها فى رسومها مخلولا
عمرت دارها تهامه بالامس	وفيها بنى معـــد حلولا

فتراها وأهلها أهـــل صدق ... فى الفنون من الربيع نزولا
حتى تبـــدى لسا عبيلة وجها ... مستنيرا وعارضا مصقولا
لم يكن حبها جديدا ولكن ... كان قديما مخالطا عقولا
قصـــدتنى بسهم إذا رمتنى ... طفله فى الشبالا فى الكهولا
ذات ثغر كأنه نظم در ... ولماها يشفى فؤادا عليلا
كان العنبر والمسك فيـــه ... وفروع الرضاب والزنجبيلا
ما غزال يدعى الصبر ويدين ... نحو صد إذا أراد المقيلا
إذا تبدى لنا بأحسن هنها ... فلربما يمدح الخليل خليلا
ما جزائى أن يقال وبى بانى سرت ... غنهما أقضى حقوق الخليلا
فابشر الآن يا خليلى بطعن ... يترك المرء والشباب كهولا
بسرى إلى الشـــام محشا ... أننى مسرعا لامر عجولا
والفتى فى كتائب جيـــدش ... ضاق سهلها بجرد الخيولا
ودعانى أجـــول فيها عمرى ... حين أبغى البراز عرضا وطولا
ما فخارى إذا لم يكن فى فخار ... لطعن القنا وضرب النصولا
فابشر الآن يا مقرى الوحش ... أنى لك خلا وفيا ونعم الخليلا
إن تكن عاشقا مسيكة إنى ... فى هوى عبيلة غدوت قليلا
واسأل النصر من إله قديم ... دائماً كلما يشاء مفعـــولا

ولما فرغ عنتر من هذه الأبيات طربت لها السادات وقالوا لله در ابى الفوارس وزين المجالس وأما مقرى الوحش فانه تعجب فانه تعجب من تلك المقالات المطربات وقاله له يا أبا الفوارس لافض الله فاك ولا كان من يشناك وبلغك الرب القديم مناك فقد حملتنى من المنن ما يعجز عن حملة البدن يا فارس الزمان وفريد العصر والأوان فعندها قال عنتر البطل الهمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام أنك فارس البطاح وليث الحرب والكفاح وقد انفردت بالفصاحة والكرم وحسن الشيم فقال مقرى الوحش ما أنا إلا طليق سيفك وأمين خوفك ياليث البراز وفارس اليمن والحجاز ثم أن مقرى الوحش أنشد يقول

بات ليلى بالانعمين طويلا ... أرقب النجم ساهرا كى يزولا
وأراعى بنات نعش مع الجوى ... وجسمى قد حان منه النحولا
كيف انساك يا مسيكة أواسلو ... عن هواك وما شفيت غليلا
بل تغربت مشردا عن حماكى ... قد كسانى الغرام منه نحولا

وسقانى من حبها كاس وجد فشربت منه شرابا شمولا
وسبتنى مسيكة بهواها وكذا تسلب الملاح العقولا
فلنفسى زجرت وقلت قولا أطلبى العز فايبلغ المراد ذليلا
وحملنى هواى مسيكة حتى أطلب الفخر فوق ظهر الخيولا
بحد الحسام فى حومة النقع وصـــد الملدم المعسولا
ولقيت الفرسان من آل غسان وأرديتهم بحد النصولا
وخطبت مسيكة من ابيها قال لى أقصر فما لذاك سبيلا
دون أن تأتينى بخيل ونوق وجمال ترضى والأماء جزيلا
فقطعت البلاد غربا وشرقا وقفارا وسهلها وسهولا
ليس فيها إلا العظام وأرض لا يجيب فيها الخليل الخليلا
تسمع الجن فى دوى وحنين أى لا يعرف الدليل الدليلا
فطلبت العراق نحو مليك سيدا ماجدا هماما جليلا
أين ماء السماء من ملك الخلق باحسانه ويعطى الجزيلا
ثم لاقيت منه ليث كفاح أسد يترك العزيز ذليلا
يرعد الضد منه فى رهجة الحرب ويفنى شبابه والكهولا
وإذا أشهر الحسام ترى الموت على شفرتيه حقا يزولا
يا ابن شداد أنت ذخرى وركنى وجنى لكل أمر مهولا
أبدا ترى الفوارس فى الوغى ثم تخضع لك السكماه الفحولا

قال الراوى فعند ذلك تعجب عنتر من شعر مقرى الوحش وشكر الفرسان من بنى عبس وعدنان وقالوا والله ياوجه العرب لقد قلت بعض مافيه قال وكثير من الأبطال لا يقدر يلاقيه لأنه أسد الميدان وفارس الزمان يشكرهم عنتر فى هذا المقال يا بنى الاعمام ماأنا الامنكم وأنتم رجال فى المجالس وأبطال وبسوفكم اضرب وبهمتكم أغلب ثم انهم ساروا وشيبوب يقطع بهم البر والقفار وقد أكثروا عليهم من الزرد والعدد والابكار شايلات الزاد وقد استعدوا للحرب المصايب وأيقنوا بخوض الليل والنوائب فعندها بهت مقرى الوحش ويتعجب من قلة اكتراثه الفرسان وكيف يريد أن يلقى أهل الشام ومافيهم إلا كل فارس همام وأسد ضرغام لانهم أبطال مذكورين وقد التقوا الوقايع وخاضوا المعامع وتفكروا فى خلاص مسيكة من بلاد الشام ودونها فرسان كرام وبعد ذلك فاستكثر له هذا الأمر والعقل والاخاف عليه من لقاء الأبطال لأن السعادة مقرونة بعنتر ولا فارس مثله يوجد والسعادة من الولادة

ولا بد ما يبلغ صاحبها ما يشاء من الارادة ولو لم يعلم أنه قادر على هذا الأمر ما كان سار اليه قال الراوى وكانت هذه الجارية الذى قد سار عنتر فى طلبها يخلصها إلى مقرى الوحش من أحسن البنات الموصوفات بالحسن والجمال وقد اشتهر جمالها على ألسنة الرجال وشاع ذكرها فى سائر الأقطار وقد تعايرت به النسون على المغازل وهى التى قد جسرت مقرى الوحش على الأهوال وأذلته وهو بطل لا يقاس بالأبطال لأنه غرق فى بحر هواها وتمنى الهلاك إلى أن بلغ نفسه معناها إلا أنه لما وقعت هذه الجارية مسيكة بقلبه واشتغل بها خاطره ولبه وكان قليل المال وما كان معه شىء يقترب به إلى أبيها ولا شىء يرضيها ولأجل هذا ركب الأخطار حتى بلغ المنزلة فى الفروسية وقد صار وحيد زمانه وما كان أحد يساويه من الأبطال ولا يضاهيه من الرجال وقد شاع ذكره فى بلاد الشام وقد أحبه الخاص والعام فلما زاد به الغرام منعه من أكل الطعام وشرب المدام ولما كثر هواه وزاد جواه فعندها تقدم إلى أبيها فى بعض الأيام وسلم سلام الكرام وحياه بالاكرام وبعد ذلك قال له أعلم يا عم أننى قد أتيتك خاطب لما رغب أنت عليه من الحسب والنسب والثانى لما فى بنت عمى من الحسن والجمال والأدب فهل أنت راغب فيمن هو راغب فيك ولا تخيب قاصدك وتحسن الظن فيمن أحسنه فيك فلما سمع عمه هذا المقال هذا المقال قال له اكرم من خطب وأجل من فيه رغب وهى لك أمة مسلمة وأنا لك عبد من جملة الخدم فعند ذلك قال له أعلم أنى قد ارتقيت بك الثناء والمجد إذا أنت أجبتنى إلى ما أريد وإلى ما فى مرادى وشفيت غليل فؤادى فعندها قال مقرى الوحش وقد فرج باجابته وقال الذى تريد يا عماه أطلعنى على سرك وبين لى مكنون أمرك وما تريد حتى أقوم به ولو كان ما كان ولو أردت أموال العربان من سائر البلدان فما أنا جبان عند لقاء الأقران فعند ذلك قال له عمه أنا ما طلب إلا شيئاً يعلو به قدرك ويزداد فخرك وهو أنك تسير إلى أرض العراق وتعمل بفرسانها كما فعلت بفرسان الشام من الآفاق وتحضر بين يدى النعمان بن المنذر وتشهر سيفك وتأخذ الطبقة بذلك والمرتبة الثمينة وتأخذ منه الف ناقة من النوق العصافير به الذى ما لا أحد مثلها فى العرب أرباب المناصب والرتب وتفتخر أنت على الفرسان ويعلو قدرك عند أهل هذا الزمان بأنك قد فعلت فعالا تعجز الانس والجان فعندها قال مقرى الوحش سمعا وطاعة وها أنا طالب إلى ما طلبت وسوف يعلمك ما أفعل بفرسان العراق وكل بطل فى الآفاق وأضرب بسيفى أعلام وأبدد أقصام وادناهم وأنا مبادر ومسارع ورب السما وهو المعطى المانع فعندها قد ودعه مقرى الوحش وسارا إلى أن نزل إلى أرض العراق واتفق له الاتفاق وقهره عنتر بن شداد وقطع أياسة من سائر

المواضع وتخلى عن المطامع وانكسرت نفسه عنده وما بقى له جهة إلى عمه ولا للشام وانقطع رجاه ولا بقى له فى الجارية مطمع فعند ذلك صار يأخذها بالسيف كما ذكرنا ويعاونه فيها عنتر بن شداد ولما نظر عنتر بن شداد إلى انكساره وانحصاره وتقصيره فى أكل الطعام وشرب المدام ساروا على ما ذكرنا يقطعون البيداء والاكام حتى أشرفوا على تيميا والقصور وقد عولوا على النزول فيها وأخذوا الراحة وإذا بتلك الأرض ملآنة من الخيام والأعلام وقد أبصروا رايات وخيام مختلفات الألوان وعبيد وفرسان (قال الراوى) فلما نظر عنتر ابن شداد ومقرى الوحش الخيام فعند ذلك قال لعنتر بن شداد يا أبا الفوارس أنا ما كنت أعهد فى هذا المكان ينزل إلا الصعاليك والضعفاء من بنى غسان والرأى أنكم تثبتوا فى أماكنكم حتى آتيكم بخبرهم ومن يكونوا من الفرسان فعندها قال له شيبوب يافارس الصام لا تتعب نفسك فأنا آتيكم بالخبر فعندها قال مقرى الوحش لا يا أخى بل أنا أخبر ببلادنا وأسير على بلوغ مرادى وبعد ذلك أخذ أهبته وأرخى عنان حجرته وقد طلب تلك الأعلام المنصوبة والخيام المضروبة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الجيش الذى فى أرض تيميا والفرسان من أجل مسكة بنت عم مقرى الوحش بنت صاحب حوران الذى عنتر ومقرى الوحش سائرين فى طلبها لأنه بعد مسيره للنعمان فى طلب الصداق شاع خبرها فى كل مكان وشعرت بصفاتها بنو غسان وأتت إلى أبيها الخطاب ولا يلين لخاطب ولا ينعم لطالب بل يقول يا بنى الأعمام أن الإنسان على صدق اللسان يخلف بوعده ولا ينقض عهده لأن الأمر قد فرط من بين يدى لأن ابن أخى مقرى الوحش قد زوجته ابنتى على شرط شرطته عليه وقد ضمن على نفسه أن يوصلنى إياه وقد سار يأتينى به ما يمكن أغدر به ولا أخونه فى مقاله فتعايرنى به الأبطال وقد قصد أرض العراق ليأتى بالصداق وأخاف أفرط فى زوجته فلا آمن على روحى لأن مقرى الوحش ما يؤمن من نكده (قال الراوى) فلما سمعت الخطاب هذا المقال انقطعت بهم الأسباب وعلموا أنه صادق فى المقال قال الراوى وكان الحارث الوهاب ملك الشام والحاكم على الخاص والعام وهو نائب الملك قيصر وكان ملك جبار وفارس مغوار يحكم على سائر البلاد المسيحة والجزائر البحرية وسائر ملوك النصرانية وتمد له أعناقها بالطاعة وتحمل إليه الجزية والخراج من سائر البلدان وكان حسن السير فى بلاده عادل فى رعيته وأجناده وكان أنجد الحارث الوهاب له نائبا فى بلاد الشام وولاه على الخاص

والعام لما نظره فيه من النجدة والحمية والشجاعه والفروسية وقد سكنه دمشق وما يليها من بلاد الشام وولاه على الخاص والعام وحكمه على رقاب العباد قال الراوى وكان للملك الحارث ولد مليح الشباب يسمى غدير وهو مثل البدر المنير وكانت بنو غسان تسميه بدر النصرانية وسراج أهل ماء المعمودية وهم منعكفين محبته قيام فى خدمته وكان من ذوى الألباب ومتخذا من فرسان بنى غسان ندماء وأصحاب وأمراء وحجاب يقضى معهم اللذات ومجالس المسرات بينهم وقد ذكرت مسكة بين يديه ووصل حديثها اليه وما هى عليه من الحسن والجمال والأدب وعلو الجاه والحسب والنسب ولما سمع بدر بهذه الصفه هام فؤاده لما سمع بجمالها وما بقى له جلد ولا مصطبر ومن شدة عشقه دخل على أبيه الوهاب وكثر به الالتهاب وقال له يامولاى الأمر كيت وكيت وقد وقعت محبه مسكة بنت صاحب حوران فى قلبى وأحتوت على عقلى ولبى قال الراوى فلما سمع أبوه هذا المقال صار الضيا فى وجهه ظلام وزاد به الغيظ والغلام وصاح فيه ونهره وقال له أيش هذا المقال وسوء الفعال فنكون نحن الحكام وملوك الشام وسادات الزمان وأمرنا نافذ فى البرارى والبحار ونتزوج بنات حوران التى ما نرضاهم لنا عبيد وغلمان وقال أنا أقسم بالمسيح بن مريم والانجيل المعظم أنى لو طلبك ملك الروم الذى أنا من قبله وطلبك إلى ابنته ويعطيك سيف الملك ويوليك مملكته ما رضيت ذلك ولاضيعت نسبى وشرفى ولا أذوجلا إلا من بنات السادات العاليات فلما سمع عنى هذا الكلام زادت نيرانه اشتعال قال وكنا قد ذكرنا أن لهذا الغلام ندماء وأصحاب من بنى غسان يأكلون معه ويشربون وإلى خدمته يسارعون وأنه لما عاد من عند أبيه أشعلت النار فيه أحضر بين يديه من يعز عليه وقد شرح لهم ما يلاقى من محبة مسيكة بنت مجير وما فى قلبه من الوجد والغرام فعندها لما سمع هذا الغلام فقال غدير رثى لحاله وحق المسيح ما بقى لك فى هذه الجارية وصول خوفا من أبيك ولكن بقى هنا وجه واحد ويزول عناك فعند ذلك قال غدير وما هو أشر على فعندها قال تنفذ لأبيها كتابا من بعض الرجال فيخطبها الا ويرغبه بالمال وتقول له فى الكتاب أن تأخذ بنتك وتسير بها فى العراق حتى أتبعك أنا جماعة من أصحابى وتنزل على الملك النعمان وأتزوج بها ونقيم فى تز الأرض وأنظر ما أعمل فى حقك من الاحسان على أنى ما يفدى فقدى إذا سمع عسيرى لملك النعمان فيمن مضى من الفرسا فإنه يترضانى ويلغنى غاية أمالى وتكون أعز الناس عندى فلما سمع غدير من الغلام ما أشار به من الكلام وقع فى قلبه الفرح والابتسام وقال وحق المسيح لقد أشرت وما قصرت فيما نصحت وذكرت ثم أنه

استدعى بعض حجابه وكان فيه فصاحة وأدب ماهو فى الرسائل والجواب ويصالح بين القبائل وقال له تمضى إلى أبى مسيكة وتعرفه بما جرى بينى وبين أبى من المقال وأوعدة عنى بالغنى وبلوغ الآمال ويبلغنى مسيكة آمالى فعند ذلك أجابه الحاجب ماأراد ومضى إلى أبى مسيكة ودخل عليه وحياه وسلم عليه وتأدب وبعد ذلك قال الحاجب أعلم يا مجير ان الواحد الديان إذا أراد سعادة إنسان فتح فى وجهه الأبواب الحسان ويسبب له أسبابا لم تكن له فى حساب والساعة قد عمرك الله بالإحسان فعندها قال مجير لماذا يا أمير فعندها أعاد عليه الرسالة بالوصف الذى ذكرناه والشرح الذى قدمناه فلما سمع مجير هذا المقال فعند ذلك صعب عليه وقال مالى سبيل إلى هذا امر ولا أتعرض لولد الحارث وأترك أباه على غانب ومع ذلك الذى خطبها وانفذ إلى يطلبها ويريد فعل ذلك بسببها وأنا قد زوجتها بابن عمها فارس النياق وقد سار إلى العراق يأتى بالمهر والصداق من بعد ما أخذ على العهد والميثاق وقد قطعت عليه مهراً ثقيل ثم أنه رد الرسول بلا فائدة فلما سمع غدير هذا الخطاب اشتد به المصاب وانقطع الرجاء من مسيكة فعندها قال له الحاجب يا مولاى لا يضيق صدرك ولا تشغل فكرك فانا أدبر لك أمر يكون فيه السداد فقال له قل حتى أسمع فعند ذلك قال له أعلم يا مولاى أن هنا جندك يا فارس كلهم يحبوك ولو قلت لهم خوضوا البحر لخاضوه والرأى انك تركب عداقى خمسمائة فارس وتظهر إلى أبيك أنك طالب الصيد والقنص وإذا بعدت عن عساكر أبيك اطلب وادى القناك وأقم بأصحابك حتى آخذ خمسمائة فارس وأدخل بهم أرض حوران واكبس ديار مجير والأوطان وآخذ الجارية مسيكة واقبض على ابيها وأقتل كل من يدافع عنها ومن يحميها فان كان أباك يرضى بما فعلت فانه ينفذ اليك ويرجع يترضاك فترجع إلى الديار وتكون قد بلغت ماتختار وإن كان بطل أمرك سرنا كلنا إلى الملك النعمان أو ننزل فى أرض الحجاز على بعض الحلل والعربان لان مالك كثير ورزقك جميل ويدك واصلة إلى كل غنى وفقير فعند ذلك تهلل وجهه وقال وحق المسيح هذا رأى صحيح قال الراوى فعندها انفذ من وقته وساعته خلف ندماه ورفقته وقد أطلعهم على حالته وماقد عول عليه من هذه الفعال فعند ذلك أجابه الكل على مقاله وقال الكل نحن لك طائعين ولقولك سامعين قال وكان للملك الحارث ولد اغيره وكان هؤلاء أصحابه ورفقاه يرجون أنه يتولى الملك بعد أبيه ليوليهم البلاد والضياع ويزيدهم فى الإقطاع لأجل هذا يطيعوه ويسارعون إلى رضاه ويحموه (قال الراوى) ومامضت تلك

الليلة حتى ترتبت الرجال والفرسان ولما كان عند الصباح ركب فى خمسمائة فارس من الخواص والحجاب وصار يطلب أرض القتال ليقيم بها هناك وقد قدم الغلام فى خمسمائة فارس أبطال صناديد متسربلين بالحديد وكل الفرسان يطيعوا ذلك الغلام ولا يخالفوه قال الراوى وكان ذلك الغلام يقال له مساعد بن معين وكان شيطانا من الشياطين معودا يخوض المعامع وضرب البيض القواطع فعند ذلك صاروا يقطعون البر والقفار حتى وصلوا إلى أرض بجير ابن سهل فعندها كبس عليه الجلة فيمن معه من الفرسان وقتل جماعة من الفرسان وأوقع الهيبة فى قلوب الأقبال وقد سأل عن منزل أبى مسيكة فارشدوه على ذلك خوفا من سطوته فعند ذلك هجم عليه وسبى بنته وأخرجها من خباها وأسر أخوتها وقبض على أبيها ولما وصل إلى مراده فعندها نادى فى أصحابه واجناده كفو عن أذى العيال وما أحد منكم يأخذ عقال وصاح فيمن معه من الأبطال ثم أخذ بجيرا وعشيرته وقد أمرهم بالرجوع عن سبى النساء والأطفال قال وكان غدير جالس ينظر هذا الغلام وإذا به قد أتى ومعه مسيكة وأبوها وأخوتها وهى تبكى على نفسها خوفا من الانتهاك فلما حضر الغلام إلى غدير تلقاه وبالسلام حياه وبالنصر هناه وأمر باحضار مسيكة اليه (قال الراوى) فلما نظر إلى بكاها وانتحابها قال لها طيبى نفسا وقرى عينا وقلى من بكاكى ولا تخافى على أخوتك وأباكى فانك اليوم بقيت سيدة كل من كان فى هذه الديار وهذه الأقطار ملكك ثم بعد ذلك وعدها ومناها وهدى فزعها وبكاها إلا أن ذلك اليوم لما دخل عليه الحاجب قال الراوى ووقال ياملك أننا نبعد عن هذه الأطلال والرسوم وحالك مكتوم لأن أباك يظن أنك فى الصيد والقنص كما ذكرنا ونسير من هنا إلى أرض تيميا ونقيم هناك حتى إذا علم أبوك بأحوالنا القبيحه يكون نحن قضينا حاجتنا قبل أن يسمع أبوك الملك الوهاب فيأمر القبائل التى حوالينا تمسك علينا الطرقات ويضيع تعبنا فعند ذلك قال له لا تخف ولا تجزع لأنى ما خرجت حتى تركت على أبى عيون وأرصاد وفى أى وقت عرفوا ينفذوا خلفى وخلف رجالى ويعرفونى قبل وصول العسكر والأجناد فان هو أنفذ إلى خطاب جميل وحلف لى بالإنجيل أنى أعود اليه عزيز وان أراد رجوعى غصبا سرت إلى أرض تيميا وسمت فى البيدا فعندها قال له الحاجب هذا هو الصواب ثم بعد ذلك رحلوا يقطعون القفار ولم يزلوا سائرين إلى أرض تيميا وضربوا الخيام والمضارب وركزوا الرايات والأعلام على غدير فايض بالمياه البسارحات واسع الجنبات فيه من جميع الزهورات وحين نظروا إلى هذا المكان نزلوا على

تلك المنازل والغدران وباتوا تلك الليلة وفى سرور وأفراح حتى أضاء الشرق وأبلج الصباح فعند ذلك أمر بدباحضار أبى مشيكه اليه فلما أتى وأقبل عليه قال له يا شيخ انا أنفذ اليك الأموال وأكون لابنتك خاطب وأرسل رسولى اليك ترده خائب وماوقع فى حقك منى هذه الفعال الا لما سمعت عنك من المقال ثم أعاد يرأف ويزيد له فى الاجلال ويطيب قلبه ويعده بالانعام والمال حتى أنعم بزواج ابنته وأطفى لهيب كبده وطيب قلبه بالميعاد وفى تلك الوقت أشرف عنتر بن شداد ومقرى الوحش وفرسان بنى عبس وقراد ثم بعد ذلك نعود إلى سياق الحديث الذى قدمناه وقد تقدم مقرى الوحش يكشف الخبر ويقف على حلية الأثر وينظر إلى تلك الخيام وينظر من أين هذه الفرسان ولأى سبب نزولهم فى ذلك المكان قال الراوى وكانوا أيضاً فرسان بنى غسان نظروا غبار عنتر بن شداد والفرسان ومن الأبطال والشجعان هذا ومقرى الوحش قد انفرد عنهم فى تلك الساعة فانكروا ذلك وركب منهم جماعة وتقدموا حتى قاربوا أو نظروا اليه وتقدم اليه فارس منهم وقال له ويلك ما أنت فارس النياق الذى مضيت إلى العراق ثانى مهر مسيكه والصداق فقال له مقرى الوحش بلى يا إنسان ولكن عاندنى الزمان وغدر بى وخان ولم أظفر بما أريد وأنتم لأى سبب نزولكم فى ذلك المكان ولماذا خليتم مساكنكم والأوطان ومن هو المقدم عليكم من الفرسان وإلى أين أنتم سائرون فى هذه القيعان وايش عندكم من الأخبار من أهل حوران وعن مسيكه وجمالها الفتان وما الذى جرى بعدى فى الأوطان فقال ذلك الفارس يا مقرى الوحش أما سؤالك فقال له مقرى الوحش وقد تفتت كبده وحسن أن روحه فارقت جسده ويلك من ذا الذى مديده وأخذ مسيكه وقهر أباها صاحب النخوة الحمية فقال المتكلم بدر وكشف له ما كان مغطى وقال له بعد ذلك يا أخى أنا أشير عليك انك تعود من حيث اتيت ولا تكون فى هدر عمرك قد سعيت قبل أن يعلم بذلك الخبر عدير فما يكون لك من يده نصير لأنه سمع انك تحبها فاذهب من قبل أن يعلم بك لأنه أن علم بقدومك يعطبك وعلى بعض الجدران يصلبك فارجع أنت ناجيا بنفسك قال الراوى وما فرغ هذا الفارس من مقاله حتى هاج مقرى الوحش من صميم قلبه لهوهم أن يقتل الفارس فى الحال فعاد يتفكر عاقبة الفعال ثم قال للفارس يا وجه العرب لا شك أن الزمان قد انقلب وصالحنى بعد الغضب والمسيح ابن مريم قد بلغنى الأرب بغير عناء ولا تعب والصواب أن تقضى حاجة يا وجه العرب حتى أكون لك شاكر بين كل العشائر قال الراوى وهو أن نعود إلى غدير بن الحارث الوهاب وتدخل عليه وتأمره بترك

مسبكة من بين يديه فان أجاب إلى ذلك واعترف فقد عفا عما سلف قال الراوى وان لزم اللجاج وطلب الزواج فانا أحسره على شم النسيم والهوى واتركه سريعا فى الفلا واشتت شمله قال الراوى فلما سمع منه ذلك الكلام تغيرت منه الاحوال وداخله الغضب وقال له ويلك يامقرى الوحش هذا الكلام الذى ماأرضاك تتلفظ به فى حق أقل العوام فكيف يكون هذا الحاكم على الخاص والعام وتريد أن نقطع ما بيننا من الانساب وتعادى الحارث الوهاب وتظن فى نفسك أنك تلقى الفين من الفرسان من غسان ومافيهم الا من خاص المعمعة فى الميدان وتعود سالما من نائبات الزمان فاقصر عن هذا المقال فانى أخاف عليك عن العربان لأن الفرسان تحب أشكالها وتحن على أمثالها وهذا الملك الحارث يحكم على بلاد الشام ووراءه الملك قيصر صاحب الكلام وقد نصحتك والسلام قال الراوى فقال له مقرى الوحش ويلك ياولد الزنا ايش هذا الفشار والهذيان فانا وحق البيت والاركان لا أخاف من ترادف الميامن والمياسر ولا من جميع القبائل والعشائر ولا من كثرة الجيوش والعساكر فالقاكم بقوة جنانى وصدر حصانى ولو كنتم الوفا مؤلفة وصفوفا متضاعفة واخلع منكم ثوب الانصاف ولاأصبر على الجور والاسراف وأبددكم شرقا وغربا وأنا اليوم عبسى ما أنا غسانى ولا بقى لى رجعة إلى هذه الديار وقد وصل معى من البيت مندام وأسيد درغام مراده يخرب أرض الشام ويولى من عنده سلطان وسوف تنظروا فى يومنا هذا العجب وتتعلمو الطعن والضرب من فارس العرب ثم أنه أشار اليه وجعل يقول

حلف يمينا بالحطيم وزمزم	ومن طاف بالبيت العتيق المحرم
لاوقدن الحرب فى وهج الوغا	والقاكموا بالسمهرى المقتوم
أؤاخذ أهلى أنها لمصيبة	على وعلى سيفى المقتوم مخذم .
الاتعلمو يا آل غسان انى	علوت بفعلى بين عرب وأعجم
ألا تعلموا أنى اذا الحرب أضرمت	وأشعلت نيرانها بتصرم
اخوض لظاها ثم أطفى لهيبها	وأدرى فى هيجانها كل ضيغم
ويردى غدير الندل فى وهج الوغا	واتركه شلوه ممزجا . بالدم
ويسعدنى ليث هما غضنفر	شجاع كمى فى اللقا غير مقحم
له عز لاينال نظيره	سواه رجال فى الورى مع مكرم
وصلوا على زين النبين أحمد	محمد الهادى النبى المكرم

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره حمل عليهم وطلب وقد فاض فؤاده والتهب وطعن ذلك الفارس فانقلب وثنى باخر فمال عن جواده وضرب الثالث ففاض دمه وانكسب وهاج فيهم كما يهيج الأسد عند الطلب ونفرت الفرسان من حوله تطلب الهرب وانقطع ما بينه وبين الفرسان من النسب ومالت الشجعان من شدة الطرب وولى الجبان وطلب الهرب وقد ضاق فى وجهه كل مذهب وتطابقت على مقرى الوحش من الرجال وضيقت عليه فى الميدان وهو يعطى السيف حقه والرمح صدقه ويطعم الوحش من لحم القتلى ويقابل كل أحد بما يستحقه ويطول عليهم فى الميدان لأن مقرى الوحش كان من الفرسان المعدودين بالفروسية وقوة الجنان وخصه الله تعالى بشجاعته فى ذلك الزمان هذا وعنتر نظر إلى فارس النياق وقدم أقام الحرب على قدم وساق كثر حوله الزعيق وفاق كذلك الفرسان وقد طلبته من سائر الآفاق فقال لعروة ومن معه من الفرسان يا بنى الاعمام ادركوا صاحبه والا قتلوه قبل بلوغ المنا ويضيع تعبنا وها أنا ملكتكم الطريق ومن عاد منهم من المهزمين أعدمه السعادة والتوفيق فادرك أنت مقرى الوحش تحت القتام وأعلمه أنى ما أخاف عليه من كثرة الرجال وتزاحم الأبطال لأنه يلتقى بألف فارس فى المجال ويتركها مطروحه على الرمال قال الراوى ثم أن عنتر أطلق عنان الجواد وقوم بين آذانه السنان ومسك الطريق على بنى عسان وكذلك عروة حمل بمن معه من الأبطال الصناديد وطلب مقرى الوحش فى المجال وقد عظمت الاوجال وهتزت الجبان وتقاربت الآجال وصاح عروة دونك يا مقرى الوحش وهؤلاء الأعداء ولا تخف من الردا يا مقرى الوحش فان وراك ليوث البيدا ثم أنه أنشد وجعل يقول

ألا يا بنى الأنذال من بنى عسان أتتكم ليوث الحرب من بنى عدنان
ونجعلكم رزقا للسباع تنوشكم طيور الفلا من كل نسر وعقبان
بكل حسام يطع البيض والتلا بأسمر عسالى مسقف مرانى

قال الراوى ثم بعد إنشاده حمل عليهم وأجاد فى حربه وجلاده وساعدته رجاله الأبطال بجودة الحرب بالرماح الطوال ونظر مقرى الوحش إلى عروة بن الورد وقتاله فاشتدت أوصاله فعند ذلك ركب بدر النصرانية وهو حردان وقد ذارت به عيادة الصلبان ثم سأل عن الحال وما سبب ذلك القتال فاخبروه بما فعل مقرى الوحش فعند ذلك زعق غادر فيمن حوله من الأصحاب وقال لهم دونكم وهؤلاء الكلام فعند ذلك حملوا مثل أسود الغاب وقد علا الصياح وتمددت الرجال على التراب ونزل على بنى غسان العذاب وقد عاينت من فرسان

الحجاز مايشيب الشباب ورأت مالم يكن لها فى حساب ففرت الأبطال تأخرت الأنذال وعمل الفصال وتقصفت السمر الصقال وغظم الجلاد وانطرحت الأجساد على بسيط المهاد وازدحمت الخيل الجياد وضاق على بنى غسان وسيع الفضاء والصحان وكثر الآلام والأوجال هذا وعنتر قد صار من خلف القتام وهو ينظر من القوم الانهزام ولما أن طال عليه المقام صرح وطلب الأعلام ونثر الأبطال وهو يصول ويجول ينشد هذه الابيات

أنا الفارس الدرغام حين ترانى إذا فر يوم الروع كل جنانى
أبيد العدا فى يوم حربى بالقنا بأبيض ماض الشفرتين يمانى
لى صارم فيه المنايا قديمة وتبدو الرزايا فوق رأس سنانى
ولى سودد لا يستطيع يناله مدا الدهر مخلوق من الثقلان
سلى عن الأبطال يا بنت مالك ولا تجهلى يوم النزال مكانى
تركت رجال الكسورى هزائما وقد ضاق بالفرسان كل مكان
وصلت على الأعجم صوله ضيغم وساعدنى دهرى وصرف زمانى
وخلفتهم فى مهمهة البر جثما وطير الفلا حولهن مدانى
فهذى فعالى مدا الصبح طالعاً مالح صبح أوضامت القمرانى

(قال الراوى) ثم أنه بعد إنشاده صاح وزعق وعلى فرسان بنى غسان قد انطبق وهتكه بحسامه الدروع والدروق وقد داست الخيل على الاجساد والحدق قال الراوى فقال بنو غسان لبعضها البعض ياويلكم لاتعجبوا من هذا الفرسان وانظروا إلى هذا العفريت الذى من ورانا وأباد قضانا وأدنانا لهذا وعنتر يطعن فيهم فولى بنى غسان فصاح فيهم غادر فلم يلتفتوا اليه فسمعه عنتر وهو يرد الأبطال فناداه ياابن الأنذال قد ضاق ميدانك فابشر الآن بحمامك من يد فارس الحجاز ثم أنه استمده بطعنه بين ثدييه طلع السنان يلمع من كتفيه وثنى على صاحب العلم قتله نكس العلم وميله وما انتصف النهار حتى طلبو الفرار وماعاد عنتر من خلف المنهزمين حتى حل مقرى إلوحش الماسورين واطلقهم من الشد والوثاق وحدثهم بما جرى له من النعمان فى أرض العراق وعاد إلى خبر عنتر بن شداد وماجرى له تحت الغبار الجلاد ثم وصف لهم فروسيته وشجاعته وقد شاروهم فى أمر الرحيل إلى الحجاز صحبته مع عنتر بن شداد ومقامهم فى أرض بنى عبس وقراد فقال لما سمع هذا الكلام والله يا ولدى ما بق لنا فى أرض مقالان الحارث الوها لابدأن يطلبنا فى كل مكان ويصب علينا فنون العذاب ويقول ماقتل ولدى إلا أنتم يا كلاب ونحن اليوم نحكمكم

فافعلوا بنا ما تشتهون وأحكموا فينا بما تحبون ففرح مقرى الوحش بذلك وأستبشرو حدث أبو مسكة لعنتر ففرح بهذا الخبر وقال له خذ السكل معك ولا تضيق صدرك ففعل مقرى الوحش يده وشكره ثم أمر العبيد بلم الأسلاب وباتوا فى ذلك المكان وأصبحو اراجعين يطلبون الديار والأوطان وفى أوائلهم مقرى الوحش وعنتر بن شداد وهم فرحون ببلوغ المراد وكيف سهل الله لهم قرب الطريق وكان مجير أبو مسكة ذو فضل وأدب وسيد من سادات العرب محبوب عند الناس لأدبه وحسن صفاته فاحبه عنتر وقربه من قلبه ومازالوا فى جد المسير حتى أشرفوا على منازل بنى عبس والابيات فرآها مقفرة العرصات خالية الجنبات مغيرة الحالات لا شبح فيها يلوح ولا جسد ولا روح سوى الغربان على اطلالها تدور وتنوح فارتاعت الرجال واندهش عنتر وحار وجرت دموعه غوار فقال لعروة مما زاد به من الغرام ما هذا الذى تراه يا أبا الأبيض يقظه أم منام ثم أنشد وجعل يقول

يا دار أين ترحل السكان ... وعدت بهم من بعدنا الأظعان
من أمس كان بك الظبا ... وأصبح اليوم فى عرصاتك العربان
حار الزمان عليك بعد رحيلنا ... حسداً لنا فنزاحل الجيران
يا دار عبلة أين خيم ظعنهم ... لما سرت بهم المطى ودان
إذا انسوا شجر الاراك لقد بكى ... من وحشتى أبكت عليه البان
يا دار أرواح المنازل أهلها ... فاذا ماتت تبكى لها الأبدان
يا صاحبى سل ربع عبلة وأجتهد ... أن كان للربع المحيل لسان
يا عبلة ما تم الوصال لياليا ... حتى دهانا بعدها الهجران
ليت المنازل أخبرت مستخبرا ... أين استقر بأهلنا الحريان
ياطائرا قد بات يندب أليفه ... وينوح وهو موله حيران
لو كنت مثلى ما لبست ملونا ... حسنا ولا مالت به الأغصان
أين الخلى القلب عمن قلبه ... من حر نيران الجوى ملآن
عرنى جناحك واستمر ... دمعى الذى أفنى وما يمن له جريان
حتى أطير مسائلا عن عبلة ... إن كان يليق لمثل الطيران
كم ذا يجرعنى الزمان علاقما ... لا يطيق لحملها الثقلان
ولكن لى جلد شديد على الاسا ... ورسيس وجدى ما به نقصان

يا عروه بن الورد يا من وده ... ما شانه كدر ولا خذلان
أنظر مصابا حل فى أبياتنا ... من بعد عيش قد أتاه زمان
يا مقرى الوحش العزيز ومن له ... يوم الكريهة تخضع الشجعان
وأنا عبيلة قد فقدت جمالها ... وعدمتها وازدادت النيران
لا كنت من عبس ولا من نسلها ... كلا ولا شهدت لى الفرسان
إذا لم أخل الدم أحمر قانيا ... تسقى به الروات والكثبان
وأزعزع النعمان وأهدم جيشه ... بالصارم الهندى والأشطان
وأذل كسرى أن أعان عزيمنا ... وأبيدهم وأهدم الايوان
وأنا ابن شداد الهمام وهمتى ... فوق السماك على كيوان

(قال الراوى) ومازال عنتر واقف حيران وإذا بعبدين قد اقبلوا عليه وقبلوا يديه فتبينهم وإذاهم من عبيد الملك قيس والسبب فى ذلك أنه لما قتل الملك قيس كبار بنى فزارة تخلف حصن بن حذيفة فاجتمعت به النسوان ورأوا رجالهم مطروحين فى القيعان فلطموا خدودهم وشقوا أثوابهم ودموا على ذلك إلى الصباح فنهاهم حصن عن ذلك ودفنوا قتلاهم وركبوا خيولهم وأخذوا جميع عيالهم وعمدوا إلى النعمان وداموا مجدين فى سيرهم والغيرة حتى وصلوا إلى الحيرة فكشفوا النساء رؤوسهم لطموا اخدودهم وثار غبارهم فرأوهم أهل الحيرة فركبوا خيولهم وعرفهم فصاحت البنات والأولاد وامصيبتناه واذلاه وحصن ينوح ويبكى على والده وكان فى الجمله الملك الأسود فلما رأى ذلك قال لهم ما وراءكم وما الذى بشره رماكم فقال ياسيدى ماد هانا غير قيس وعنتر وقد قتلوا أبى وأعمامى وسادات قومى وخلفونى يتيما وها أنا قصدتك فافعل بى ما تختار ولو أنى قصدك غيرك يكون على وعليك ذل وعار فلما أن سمع الملك الأسود خنقته العبرة وحار فى امره وقد بكى حتى كاد أن يغشى عليه ووصل خبره إلى الملك النعمان فخرج له راجلا حتى لاقاه وكان حجابة وأمراه فبكوا لبكاه واشتد منهم على بنى عبس الحرد فحلف أنه مايترك منهم أحد ولا يسير اليهم إلا بجميع الفرسان ويبيع نساءهم فى جميع البلاد ثم أنه أقام فى الحى سبعة أيام وفى اليوم الثامن زاد به الامر وأرسل النجاة إلى سكان القبائل من القطان بعد أن أقسم بالنور والناد أن كان من تخلف عن المسير إلى غزو بنى عبس سار هو بنفسه على ديارهم وقلع جميع آثارهم ولما عرفت المتجردة ذلك خافت على أخيها قيس وقومها من المهالك ولما أبصرت الجيوش والمواكب والعرب الذين قدأقبلوا من

كل جانب أرسلت تعرف أخيها بذلك قال ثم أنهم أحذرا أهبتهم فى الثلاثة أيام ورحلوا وساروا فى البر على الطريق المعروفة ثم تشاوروا فى النزول على أى القرب ويكون فقال الربيع بن زياد الصواب والنزول يا ملك على جبال شهلان وتجاوز بنى حريقة لأن سيدهم رجل جليل له مقام مشهور ولا بيك زهير عليه فضل من قديم الزمان مذكور وهو أنه كان وجده أسيرا مع بنى الريان فخلصه منهم وأعطاه الذمام وسار معه إلى أن أوصله إلى أهله والأوطان فهو يتمنى من فيها إلى الآن أن تكون لبنى عبس عليه حاجة يقضيها ثم أعلم يا ملك أن النعمان فى سابق الزمان قد غزى جبال شهلان وكانت عسكر هذا الأمير الذى تريد النزول عليه ومجاورته قليلة وضعيفة ومع ذلك لم يقدد عليهم النعمان قال الأصمعى فلما سمع الملك قيس من الربيع ذلك الخطاب ورآه عين الصواب جد المسير فى البرارى والهضاب وقطع الروابى والشعاب وهو فى مفتكر فى غيبة عنتر بن شداد ومن معه من الفرسان الامجاد لخوفه على نفسه من النعمان حتى وصل إلى جبال شهلان فانفذ أحد فرسان إلى سيد تلك الجبال يخبره بحاله ويستأذنه فى النزول فى أرضه والأوطان فسار رسول الملك قيس إلى أن وصل إلى الملك الزميم وتادب بين يديه ثم ثنى وتكلم بالدعاء له بدوام العز والنعم ثم قبل يده وقص القصة عليه فى سبب رحيل قيس من دياره ونزوله عليه فلما سمع الملك الزميم من الرسول ذلك الكلام نهض واقفا على الاقدام وصاح فى رجاله بالركوب فركب فى سائر أبطاله وسار لملاقاة الملك قيس واستقباله فلما وصل عانقه ورحب به وسأله عن حاله فحدثه بما جرى له مع بنى فزارة ربما وصل بينه وبين الملك النعمان وعند ذلك قال قيس والله أن النعمان كان قد أرسل إلى يطلبنى مثل القبائل التى أنفذ اليها يستنجد بها عليكم فأبيت لأنى لا أخاف منه ولا التفت اليه ولم يسبق أننا نخشى من ملك أو سلطان وانما سار إليه من خوفه ومن ومن سطوته وخديعته ونحن لا نخشاه هو ولا غيره بطول الزمان ولما حضر عندنا رسوله ما عظمناه ولا جعلنا له قدر أو لا شان لأن جبالنا شاهقة ورماحنا خارقة وسيوفنا بطول الدهر لرقاب أعدائنا قاطعة فاعلم يا قيس أنك صرت فى أمن من جميع أعدائك وبلغت سؤالك ومناك وكيف لا يكون ذلك وأنت ابن الملك زهير وعلينا له حق لا نضيعه وبيننا وبينه ودا لا نقطعه فانزل أيها الملك أينما شئت من هذه الأرض واحكم فى طولها والعرض فهى لك ولقومك وها نحن بين يديك وكل من تعرض لكم أكون انا وقومى لكم فدا من الرداو لا نبخل بأرواحنا عليك فلما سمع قيس منه ذلك شكره قيس وأثنى عليه وقال له زيادة املى فيك وصحبتى معك والود

القديم ماقصدت اليك ثم أن بنى عبس ضربوا الخيام وأمنوا على الحريم والانعام وأخذ الملك الرميم الملك قيس ومن معه من السادة الكرام وسار إلى أن وصل مضاربه والخيام وأضافهم ثلاثة أيام وأكرمهم غاية الاكرام واعطاهم الإمام والذمام قال ثم بعد ذلك رجع قيس هو ومن معه من السادات إلى المناهل والغدران التى ضرب عليها قومه الخيام وهو فى أمان من النعمان وطاب له ولقومه المقام فنظرت قبيلة بنى حريفة أموال بنى عبس فى المرعى فذهبوا لينظروا لبيوتهم فرأوها من القباب العلية والسرادقات الشامية والنياق العصافيرية فقالوا أن هذه النياق جميلة المنظر ويحق لمن ملكها أن يفتخر بها فانها ليست عند أحد من سائر أقران ولا رأينا مثلها عند ملك من ملوك الزمان لانها لم تكن من أرضهم بل كان قد جلبها الأمير عنتر صاحب المهندات الرقاق من أرض العراق قال الراوى فلما نظرت قبيلة بنى حريفة لحسن هذه الأموال كما تقدم وطمعوا فى نهبها لقلة عدد أهلها وطلبوا الشر من العبيد وضربوا الأطفال والأولاد وطردوا من المرعى وكان الذى أعان بنى حريفة على ذلك فارسهم الاخيل ابن عمرو لأنه فيهم نافذ الأمر وكان إذا ركب جواده لا يقاومه أحد فى حربه وجلاده وأراد أثارة الفتن بين بنى عبس وقومه لينهب أموالهم ويبيد أبطالهم ولم يزل على ذلك إلى أن وصل رسول من الملك النعمان للملك الرميم يقول له أعلم ياسيد بنى حريفة أنى أنا ملك العربان القاضى منهم والدان وقد اشتد بغى بنى عبس وقتلوا أولاد عمهم بدر وأكثروا الفساد والغدو وعصوا على وأوصلوا شرهم إلى فجمعت لقتالهم سبعين قبيلة من القبائل التى لها دماء عليهم من غابر الازمان وعولت على هلاك فرسانهم ومن انتصر لهم من سائر الخلان والملوك والاقران فبلغنى أنهم رحلوا من ديارهم إلى أرضكم ونزلوا عندكم فى جبال شهلان فان كنت تعرف قدرى وتحفظ حقى فاخرجهم عن أرضك واطردهم من ديارك ولا تمكنهم من المقام فى ذلك المكان والا أهلكتك معهم فى صولتنا اليهم وقدومنا عليهم فالاحسن أن تسمع كلامى وتخرجهم وإذا قتلناهم لك الجمال والأموال ولنا الاسارى والعيال قال الراوى ثم أن الرسول قال من عند نفسه لاتظن يارميم أن الجبال تحميكم منه فابه حلف بأكبر الأقسام والبيت الحرام أن كل من آواهم وقاتل معهم لابد أن انزل به العذاب الاليم قال فلما سمع الرميم الرسول هذا الكلام خاف على نفسه وقومه من الانتقام وندم على اعطائه لبنى عبس الذمام وكبرت حيرته وتحير أمره وزادت بليته ثم جمع سادات قومه وأكابر عشيرته وكان فيهم الاخيل وأعلمهم الرسالة وشرح لهم المقالة بلا استطالة واستشارهم رد الجواب.

فقال له الاخيل وحق منشى السحاب من إذا دعى أجاب أنك أعطيتهم الذمام وهم قوم لئام غير كرام ولا يستحقوا غير الضرب الرقاب انى قد كنت عولت على نهب أموالهم وقتل رجالهم لان بنى عبس مالهم صديق فى سائر العربان فلما سمع الرميم من الاخيل هذا الكلام قال الرسول الملك النعمان عد أنت إلى ملك العربان وقل له أيها الملك المعظم الشان لا تتعب وتجمع قبائل نحن نخرجهم من أرضنا بقولهم أرحلوا عنا لئلا يصلنا نسبيكم البلا فى والوبال وانظر والكم أرضاغير أصنا وأريحونا من هذه الأحوال فاذا رحلوا جعلنا الناطريقا انهب أموالهم قال الراوى ثم أن رسول الملك النعمان رجع اليه من عند الرميم مغمورا بالانعام والاحسان كان نقض الرميم زمامه لبنى عبس خوفا من عنده وبقية قبيلته أن يخالتفقوا معه على ما عاهد عليه بنى عبس فيقع فى التعس والنكس ويحل به البلاء وتنزل به النقم وكل هذا جرى فى المساء وبنو عبس لاخبر عندهم بذلك الشان قال الراوى وفى صبيحة تلك الأيام قدم الأمير عنتر بن شداد فيمن معه من الرجال بغنايم بنى غسان على ديار أهله فرآها خالية فسالت من أجفانه العبرات إلا أنه لم يطل عليه الحال حتى خرجت عليه العبيد التى تركها قبسر بين الرمال القريبة من الاطلال تنتظر قدوم عنتر لتخبره فصعب عليه وكبر لديه وقال لمن معه من الفرسان وحق مكون الاكوان خالق الانس والجان لو لحقتهم مكنتهم من الرحيل بل كنت أمنعهم وألاقى القبايل التى جمعها النعمان ولو كانت عدد مل وادى كنعان أوجن سليمان ثم أنه رحل من ذلك المكان طالبا آثار قومه والعبيد تدل به كلها وقبيلة أو ظعن سائر نهبو ، وإن مانع أحد قتلوه هذا وعنتر يقول لمقرى الوحش قوى قلبك وأشدد عزمك واعلم أنه مابقى لنا عودة على هذه الأرض وكل ما كسبناه هو على ذمة زوجتك ثم أنشد يقول

طربت وزادنى البرق اليمانى ... تذكر إلى منازل حبى هاتيك المعانى

وأضرم فى صميم القلب نارا ... أشد من ضرب الحسام الهندوانى

لعمرك مارماح بنى بغيض ... تخرن أكفهم يوم الطعان

ولاسيوفهم فيها نبوا ... إذا عرف الشجاع من الجبان

وكل خايض بحر المنايا ... بيوم النقع والحرب العوان

وانى مقيم بابى قبيس ... مع البطحاء والركن اليمانى

وعزمى يترز الابطال تهوى ... وسيفى والقنا فرسى رهان

أعبله لوسالت المهر عنى ... أجابك وهو منطلق اللسان

بأنى قد طرقت الأرض طرا ... وأرديت كل غضنفر يوم الطعان
وخلصنا مسيكة بعد حرب ... به صال الشجاع على الجبان
فرشدى لايغيبه مدام ... ولا أصغى لقهقة القنان
ولا يزيدنى طربا ويشفى ... فؤادى غير ضرب الهندوان
وبضل قد تركته طريحا قتيلا ... كأن عليه حلة أرجوان
طعنت حشاة لما أن تولى ... بطرف مثقف ماضى السنان
فعاد على صعيد الأرض ملق ... عفير الخد من ضرب البنان
وعدنا والفخار لنا لباسا ... نسود به على أبناء الزمـــان

قال الاصمعى ولما فرغ عنتر من شعره طربت السادات واشتدت عزايمهم فى نهب المال ومواصلة السير بالليل والنهار حتى لحقوا قومهم بارض قومهم بهم بنى حذيفة وفرحت القبيلة بسلامة عنتر ووصلوه اليها حتى كان قدومه يوم عيد ثم أنه بعد أن سلم عليهم عتب على الملك قيس فى رحيله عن الاوطان فقال له الملك قيس ياأبا الفوارس أنا ماخرجت من الاوطان إلا خوفا على الحريم والعيال لما وصلنى الخبر من عند المتجردة أختى بما جمعه الملك النعمان لقتالنا من القبائل والعربان ليهلكنا ويشمت بنا سائر العربان لاسيما سنان بن ابى حارثة الخوارزمى ومن معه من بنى فزارة الاشرار فيركبنا بذلك العار ولو كنت أعلم أن عودتك من السفر قريبة لما كنت تغربت عن الديار وأقمت فى هذه القفار فقال الربيع بن زياد والله لقد صدق قيس ياأبا الفوارس اننا مارحلنا إلا من خوفنا من الجموع الكثيرة التى جمعها لقتالنا الملك النعمان وأنت حاميتها وكنت غائبا عنا ولا قدرة لنا مع غيابك بملاقاة الأعداء الكثيرة فصدق عنتر وسكت وتبع رضاه وكانت رتبة عبلة غاية المنى لكنه لم يمض بعد حضوره ولا زمن قليل حتى شكى اليه بعض بنى عبس الضيم والهوان الذى أصابهم من وقت نزولهم فى هذا المكان لاننا من وقت مجيئنا إلى هنا ونحن نطرد ونهان ونبعد عن المناهل والغدران وتساق أموالنا ولانقدر نبدى ولا نعيد لاننا نعلم أننا أن تكلمنا كلامنا لايفيد فى إزالة الهم والتنكيد قال الراوى فتألم عنتر لما سمع شكواهم وقال ويلكم يابنى الزوانى لم تصبرون على الذل والهوان وتذلوا انفسكم لاحد من ابناء الزمان والارض كلهم لنا وأهلهم عبيدنا وخدمنا اذهبوا وزاحموا بابلكم لم الكلام وكل من تعرض لكم فاضربوه وإن عجزتم ورأيتم أحدا خرج اليكم من سادات العربان الانذال فنادوا على وأنا أريكم ماأفعل بهم من قطع هم بهذا الحسام قال فلما سمعت عبيد بنى عبس من عنتر ذلك الكلام رجعوا وتأهبوا الشر بماضى السيوف

المرهفات قال الرواى فهذا ما كان من هؤلاء من الكلام وما اتفقوا عليه من المرام وأما ما كان أمر الملك الرميم والاخيل بن عمر فان الأخيل أرسل ملك بنى عبس الملك قيس يخبره عن لسان الرميم بالرحيل من تلك الأرض خوفا من أن يقع أمر من بعض الجهال فيضيق صدر الملك الرميم مما يقع بكم من الشر ويضيع ما صنعه من الجميل الكبير ولا يعود بعد الفساد الصلاح الحال بل يقع بيننا وبينكم القتال قال فلما سمع قيس من الرسول هذا الخطاب تحير فى رد الجواد ولا بستصوب إلا ما قاله للرسول من أنه يذهب إلى سيده ويفرقه من قيس السلام ويقول له السمع والطاعة غدا نرحل ولا نقيم هنا بالكلية فعاد الرسول للربيع وبلغه ما سمع من الملك قيس قال الراوى ثم أن الملك قيس بعد مسير الرسول أنفذ للربيع ابن زياد ليشاوره فيما جرى عليه وما أرسل به الملك الرميم فلما حضر عنده الربيع وأخبره الخبر قال له ياملك وحق الاله المتعالى فى ملكه ما أرسل اليك بهذا المقال إلا ليجعله سبب الحرب والقتال لأنى أظن أن الملك النعمان أنفذ اليه وأمره بقتالنا فالرأى أننا نجمع فرساننا ونسير إلى اليمن وأن لم تفعل ذلك الكلام وقع بيننا وبين هؤلاء القوم القتال قال فلما سمع قيس ذلك الكلام قال رأيك صواب لكنى أخشى عدم موافقة عنتر فقال الربيع قل له أن هذا الأرض ضيقة وكنا منظرين حضورك وها أنت حضرت فسر بنا إلى اليمن ونقيم فى اطلاطا ولا نخبره بهذا الكلام ونأخذه ونسير إلى هاتيك الأرض والسر على كل الفرسان مهوم قال الأصمعى فما دخل المساء حتى فشى الخبر وبلغ عنتر فزاد غيظة ونما وقال قد ألبسنا قيس لباس الذل والعار بسبب رحيلة عن الديار ونزوله هنا ورحيله وسماعه مشورة الربيع بن زياد مع أن جميع العربان تطمع فينا إذا نزلنا بهاتيك الدهن من أرض اليمن وتسبى عيالنا ثم أن عنتر أرسل أحضرى مقرى الوحش وعروة ابن الورد وأخبرهم بالقصة فقالوا له ياأبا الفوارس دبر أنت ما تريد ونحن لك وبين يديك عبيد فبينما هم فى ذلك الكلام إذ أقبل فدخل قبل يدى عنتر وبكى بين يديه وكان ذلك الرجل من صعاليك بنى عبس فلما رأى عنتر تتابعت دموعه مثل الأمطار فقال له ماقصتك وما حالك فعرفنى قصتك وما جرى لك وأنا أبلغك آمالك وأقضى أشغالك فقال له يافارس أنت تعلم أن بنتى لها جمال فائق وجمال رائق وكنت أخرجها معى إلى المراعى لتعيننى فى السقى فنظر اليها غلام بنى حريفة يقال له غادر بن جفال دأبه عشق الحريم والبنات وصار يقف لها فى الطرقات يرمى عليها الكلام ولا يرعى لى زمام فخشيت على بنتى وتركتها فى الخيام ومنعتها من الخروج إلى المرعى من مدة أيام وفى كل يوم يخرج إلى المرعى فلم

يجدها فلما ازداد به الغرام وأوقفه من حسنها الهيام سأل عنها من بعض الرعيان فأخبروه بانى منعتها خوفا عليها منه أن يفضحها ويزيل بكارتها فى الحرام فجاء إلى هددنى وقال لى كيف تمنعها من المرعى وتتركها فى الخيام وأنا بحسنها قتيل من الغرام لا أنتهى بغرام فقلت له ان كان ولا بد فتزوج بها وان لم ترجع عنها ذهبت إلى سيد كم الرميم وسألته أن يكشف عنى هذا الأمر لأنك تطمع من ابنتى فى الفساد فما ازداد إلا طغيانا وكفرا قال لى والله يا كلب العرب واخس من ضرب فى البيداء طنب ان لم تخرج بها الليلة إلى المرعى لاسقينك كاس العطب وها أنا جئتك فكيف تكون حاميتنا ويركبنا العار وقال الراوى فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام ازداد به الغيظ وقال له يا شيخ اذهب أنت تلك الليلة إلى بيتك ونم بجانب ابنتك وأنا غفيرك الليله من جميع الأنام فقال مقرى الوحش يا حامية عبس ان هذا الرجل آلم قلبى بشكواه وأريد أن أنوت عنك الليله فما ضمنته له وكفيك شر أعداك وأكون لبنت الشيخ حافظا وحق عينى على عبله تنعم لى بهذه الخدمة فقال عنتر لقد أقسمت على بقسم عديم لكن أجيبك بشرط انك أن ظفرت بهذا الشيطان تقتله وتحمله ظاهر الطريق لأجل ان قومه إذا رأوه بعد رحيلنا من هذه الديار يخرجون خلفنا ثم ان مقرى الوحش صبر حتى أظلم الظلام وأخذ بيده الحسام كمن قريبا من ذلك الشيخ فما استقر غير ساعة حتى قوم غادر الملعون الفاجر إلى أن وصل خيمة تلك البنت فرآها بجنب أبيها فقال له اترك لى بنتك الليله وانظر ما يأتيك من النعم وأراد أن يجلس وإذا بمقرى قبض عليه ورفعه حتى بان شعر ابطه وجلد به الأرض فرض عظامه وأجرى دمه على الأرض وتركه وذهب إلى خيمته ونام إلى الصباح فاتى شيبوب وامره بالركوب وقال له لا تركت الا مستعدا للقتال لأن أخى أنفذ خلف عروة يعلمه بالحال وينبه عليه أن يركب والفرسان معه للحرب والنزال لأن بنى حريفة يريدون نهب ما معنا من الاموال قال الراوى فعند ذلك ركب مقرى الوحش بعد أن ركبت زوجته المسكة فى هودجها وسلم زمام ناقتها إلى أبيها واخيها وسار حتى وصل عنتر فوجد العبيد ردت روس النوق إلى بلاد اليمين وسلم عنتر زمام ناقة عبله لأخيه شيبوب واما مالك قيس صار هو ومن معه فى غاية العجب والمراكب وصار تقدمت العبيد بالنساء والاموال وتأخرت الفرسان ثم قال عنتر للملك قيس على أى واد عولت ان تسير وفى أى أرض نقيم فقال له عولت أن أدخل أرض اليمين وانزل فى اطلالها وما يأتيك من البدمن قال الملك قيس يا عنتر انى اراك تقدمت هودج عبله امام الحمول مع اخيك شيبوب فتبسم عنتر وقال له يا مولاى اما تعلم انها قرة العين بل هى

الروح الى ابن الجنين فبيناهم فى الكلام وإذا بغبار قد ارتفع ومن تحته خيل بنى حريفة وفى يد كل واحد منهم سيف ضياؤه شلع وقد ملكوا البر من كل جانب معتدين بالقنا والقواضب وفى أوائلهم الأخيل وعليه درع بن زند وفوق عاتقه رمح مسدد قال الراوى وكان السبب فى خروج بن حريفة خلفهم أنهم سمعوا رغاء جمالهم وقت التحميل وصهيل خيلهم فركبوا خلفهم بعبيدهم فرأوا غادر مقتول فعادوا إلى فارسهم الأخيل صاحين أخبروه بقتل غادر فركب هو وفرسانه وصارت عيناه مثل الجمر ونادى واحرباه قد أردنا أن نبتدئهم بالقتال فبدؤناهم وفعلوا بنا هذه الفعال وقتلوا غادر والقوة على الرمال فوحق البيت الحرام لا بد من قتل ساداتهم الكرام فلما عرف عنتر أنهم اليهم قاصدون وإلى نهب أموالهم وسبى حريمهم طالبون قال لعروة هذا ما كنت أطلب وأريد فالآن أشفى فؤادى من هؤلاء الأنذال فيدرو اعزائمكم وقطعوا أقصاهم وأدناهم ثم أنه التفت إلى مقرى الوحش وقال له كلما جرى بسعادتك يافارس فاليوم تأخذ النياق وتدفع لزوجتك المهر والصداق وتصير صاحب مال ولا يبقى لأحد عليك فضل فقفوا الطعن وراق الدماء ولا تقصدوا أخذ أسير بل كل من أدركته أقتله وأنزل به التدمير فقال مقرى الوحش ياحاميه عبس أنا لا أحتاج إلى وصية ثم أنه حمل وأقتحم الغبار وطلب هو وعروة المسير وعنتر والهطال الميمنة وصدموا الرجان واشتدت الأحوال وصار الطعن يمينا وشمال وحكمت فى الجماجم السيوف الصقال وقر الجبال من القتال وترنح الشجاع فى سرجه ومال وانقطعت من الحياة الامال فلما انتصف النهار ما بقى فى القوم إلا من انتشا وشكى بعد الرى عطشا ومن شدة الغبار أستوى عندهم النهار والمساء وصار الجبان مندهشا لما أكتسى ضوء النهار غلسا وفرق عنتر بسيفه المواكب وكركب الفرسان من المواكب وتلاقى مع الأخيل تحت القتام وهو يجول على بنى عبس بحد الحسام ويصيح يابنى عمى دونكم ونهب أموال هؤلاء الأنذال فلما سمع عنتى مقاله زاد منه البلبال له إلى أين ياسلاله الأنذال فدون سبى الأموال طعن يهد شوامخ الجبال ويشيب مفارق الأبطال ثم أشار يقول

دع عنك يا نذل المحال والطمع ۝ فدون أخذ المال هول نار تطلع

وسيف عبد كلما مال قطع ۝ لو لا الصحر الأصم لا نقطع

(قال الأصمعى) ثم أنه صدمه بعد هذا المقال صدمة الأسد الريبال وطعنه فى صدرة أطلع السنان يلمع من ظهره فصار قتيلا وفى الأرض جديلا ولما نظرته بنو حريفة حل بها

الخوف والوجل وطلب ساداتهم عنترمن سائر الجهات بأسنة السمهريات وهم ينادون شلت يداك ياعبد يازنيم بالشيم لقد قتلت فارسا ماولدت مثله الجرائر فسوف نريك ضربا يحير النواظر ويشتت الفكر ويبهت الخواطر فظمن فيهم عنتر الأسد الكاسر وقال لعن الله من بقي منكم نادي أو حاضر لاجل أن تتعلموا مكارم الأخلاق وتعرفوا حقوق الرفاق وأغمد سيفه الظامي فى قمها وكلاها ولله در مقرى الوحش من أسد ريبال فما أعظم شدته فى تلك الأهوال فكثيرا ماطرح من الأبطال وكذلك بجير أبو مسيكة ومن معه من الرجال ودام الأمر على ذلك الحال حتى ولى النهار واستحال ودنا وقت الزوال فانهزم بنو حريقة وطلبوا الجبال وتركوا الأموال والعيال لأنه وقع بهم مالم يخطر لهم على بال فعفى بنو عبس عن الاموال والعيال وعادوا عند المساء إلى الأطلال وعنتر بين أيديهم مثل الأسد الريبال وبجانبه مقرى الوحش وأبن أخته الهطال وعنتر ينشد ويقول

حكم سيوفك فى رقاب العـــذل ... وإذا نزلت بدار ذل فارحل
وأترك مجازاة اللئام وقربهم ... أن الكرام عن اللئام بمعزل
وإذا بليت بظالم كن ظالما ... وإذا لقيت ذوى الجهالة فاجهل
وأختر لنفسك منزلا تعلو به ... أو مت كريما تحت ظل القسطل
وأسمع مقالة عارف قد جربت ... أفعاله أهـــل الزمان الأولى
وإذا الذليل نهاك يوم كريهة ... خوفا عليك من الرماح الذبل
.فاعصى مقالته ولا تحفـــل بها ... وأحمل إذا حق اللقا فى الأول
فالموت لا ينجيك من آفاته ... حسن ولو شيدته بالجندل
فلقد نكبت بنى حريقة نكبة ... لما طعنت صميم قلب الاخيل
نادوا إلى فما أجب نداهم ... إلا بضرب كالقضاء المنزل
أمست زبيبة فى الظلام تلومنى ... خوفا على من ازدحام الجحفل
وأتت تخوفنى الحترف كأننى ... أصبحت من عرض الحتوف بمعزل
فأجبتها أن المنية منهـــل ... لا بد أن أسقى بذاك المنهل
كـفى كلامك يا زبيبة وأعلمى ... انى أمرؤ سأموت أن لم أقتل
والخيل شاخصة الوجوه كانما ... تسقى فوارسها نقيع الحنظل
أمى زبيبة لست أنكر أسمها ... سوداء يشرق جيدها فى المحمل
الساق منها مثل ساق نعامة ... والشعر منها مثل حب الفلفل

أبى فشداد الحسام المقتضى | عند القراع حدوده لم تفلل
أنا إذا الداعى دعانى ليلة | إحدى ليالى الشر لم أتعلل
أسعى اليه ولا دعانى جاشما | بين النساء مع الجبان الاعزل
وكذا المنية لو تمثل شخصها | لى فى العجاج طعنتها فى الأول
لاتسقنى ماء الحيا بذلة | فى العز أسقى نقيع الحنظل
ماء الحياء بذلة كجهنم | وجهنم فى العز أفخر منزل

قال الراوى فلما فرغ عنتر من أبياته طربت لها السادات وقاله مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس لقد جمعت الفصاحة والشجاعة والبيان وسبقت فى منازل أهل الزمان فشكره عنتر على ذلك الكلام وأعطاه ما غنموه من الأموال فصار لمقرى الوحش نعم عظيمة وأموال جسيمة (قال الراوى) ثم أن بنى عبس بعد أن خرجوا من جبال بنى شهلان قاصدين أرض اليمن خوفا من النعمان تقدم عنتر بين يدى الملك قيس وقال له أيها مقرى الوحش قد فارق بلاد الشام وتغرب معنا فى هذا المكان وقاتل معنا وقتل الفرسان والرأى عندى أن تساعد على زواج ابنة عمه ايزول بذلك همه ويطيب له عندنا المقام وينى بلاد الشام قال فلما سمع الملك قيس هذا الكلام أظهر الفرح والابتسام وقال لعنتر افعل يا أبا الفوارس ما تريد من الأحكام وتحكى فى أموالنا والانعام فأمر عنتر العبيد بذبح الاغنام ففعلوا ونصبوا قدور لطعام فطبخوا ثم صفوا آنية المدام وصار بنو عبس فى لذات وأكل وشرب مدام ثلاثة أيام وكسى عنتر الارامل والايتام وعمر بالخير الخاص والعام وخلع على مقرى الوحش خلعة من ملابس كسرى ما نظر أحد مثلها فى الورى والبست عبلة لمسيكة من أجل ملابسها وضربت قبة الزفاف فى تلك الساعة بلا خلاف وداروا بها الجوارى والبنات وضربت الدفوف من سائر الجنبات ورقصت البنات وتعجبت من جمال مسيكة جميع الحضار وأجلوها عليه فى ذلك المكان وبات معها نقا فرحان وانقضى العرس والمرجان (قال الراوى) وعند الصباح بدوا فى الاتحال وبنو حذيفة تنظر اليهم من أعلى الجبال ويتعجبون من ثباتهم فى الحرب والقتال وقلوبهم فى نار الاشتعال والملك قيس يقول يا بنى اعمام ارحلوا بأمن من هذا المكان حتى نبعد عن ذلك النعمان ولا يعود يسمع لنا خبير على طول الزمان ثم أنهم ساروا واستقبلوا القفار وعروة وعنتر ومقرى الوحش يحرسونهم فى الليل والنهار وما زالوا على ذلك الحال أياما وليالى حتى شكت النساء من تواتر السير والترحال فقالت الجمانه بنت الملك قيس يا أبناه نحن سائرون امام الأرض سائرة بنا لأنى بدى الكثبان وتلال الرمال تسير بنا وقد اخذنا والله التعب والعنا قال فلما

أن سمع أبوها مقالها اسكتى لا تشمتى الأعداء بنا فتصيبنا الفضيحة والعنا قال فلما كان بعد أيام قلائل وقعوا فى أرض يقال لها ذات المناهل وهى كثيرة الماء والعشب والكلا وأسعة الاقطار والفلاوفيها أشجار باسقة وأطيار ناطقة تسبح من له العزوالبقاء وروائح زكية عاقبة ومنازل ومراعى رائقة فنزلوا هنالك وقد أمنوا على الحريم والبضائع وسرحوا أموالهم فى المروج والمواضع وضربوا خيامهم على العيون والمنابع وانفرشوا فى تلك الأرض وابتهجوا فى طولها والعرض فقال الملك قيس هذه الديار نتخذها اناوطنا ونجعلها لأهلنا سكنا ونحميها بسيوفنا ورماحنا والقنا قال الراوى وكان بالقرب من تلك الأرض عرب يقال لهم بنو سعد وهم أهل تلك الأرض من قديم الزمان وكانوا خلقا كثيرا وعلم غزير رفوق وحلل متصلة ببعضها فى الأطلال وكان سيدهم والحاكم عليهم من دون الابطال يقال له معاوية ابن النزال وكان معدوداً من جملة الأبطال وكان بنو سعد مطيعين أمره وسامعين لقوله إلا أنه لما سمع بنزول بنى عبس فى أرضه جمع وجوه قومه وعشيرته وأصحاب الرأى من جماعته وقال لهم يا بنى عمى هذه طائفة بنى عبس وعدنان قد خاضوا بلادنا وزاحمونا فى أرضنا ونزلوا على مراعينا وقد سمعت أنهم هاربون من الملك النعمان وساقوا جميع أموال القبائل والعربان وأخاف أن تدخل العسكر خلفهم تطالبهم بالثار وينزلوا فى الديار وتنهب أموالنا أموالهم وعيننا وعيالهم وعلى أننى ما أدرى على القوم مقيمون أوراحلون لأنى ما أرى أحدا منهم قبل أن يصل الينا بعض قال الأصمعى فاختلف القوم لما أن سمعوا كلام سيدهم فبعضهم قال الصواب أن تدعنا نسير اليهم فى الليل ونكبسهم وتنهب أموالهم ونأخذ جميع مانهبوه وماجلبوه لأن هذا رزق ونأخذ مامعهم من السلب ومافيهم إلا من قال يا ملك الصواب أنك لاتسمع كلام الجهال ولا تفعل الكرام الرجال ولا يدخل عليهم المحال والصواب ياملك أننا نحسن اليهم فى المعاشرة والجوار لأن أفضل الناس من يرد لهفة الملهوف ويحسن إلى الجيران والضيوف ولا سيا هؤلاء القوم الذين ذكرهم فى البلاد والقبائل قد شاع وقد تحدثت الخلق بشجاعتهم فى ساير البقاع والصواب ياملك أنك تمن عليهم بتلك الغدران وتشكر الرب القديم رب موسى وابراهيم الذى أوسع البيدا وأخرج النبات والمرعى وصيرها نسمه تسمى وقد عظم قدر الكعبة الفرار أبى قبيس وجرى وأوسع لك فى الأرض وأحوج كرام الرجال إلى حماك فقال معاوية والله يا بنى الاعمام إنى لست أدرى أن كانت هذه الابطال راحلة ومقيمة حتى أعمل على قدر ما أرى لاتى أخاف

أن يداخل القوم فينا الطمع فيحل بنا الهلع ولا بد أن نكشف أخبارهم حتى تظهر لنا حقيقة أمرهم وإلا أن سكتنا عن كشف أخبارهم فلا نأمن من شرهم على أنى متعجب كيف أنهم عبروا من جبال شهلان وبنى حريقة الشجعان وفارسهم الأخيل سيد الفرســـان ثم أن معاوية قد صرف الجماعة وأحضر بعد ذلك عجوز كانت قد ربته وكان منها الفصاحة فقال لها يا أمى أنا أعرف أنك وافرة العقل حلوة الكلام خبيرة باحوال الناس وأريد منك أنك تركبى ناقتك وتدخلى خيام بنى عبس وتظهرى أنك محتاجة وتحدثى مع نسائهم وتسألين عن حالهم وأى سبب أدخلهم إلى هذه الارض وتنظرى أن كانوا مقيمين أم راحلين لأن النساء يخبر بعضهم بعض بما لا تخبر الرجال نقص العقول فقالت السمع والطاعة ثم ركبت فى الوقت والساعة حين توقد الحر وسارت حتى دخلت على الخيام والقباب فرأت نعما لا تعد ولا تحصى ولا توصف ومازالت تخترق الخيام حتى عبرت على أبيات بنى قراد فرأتها بالحسن والزينة وأكثر جمال فوقفت بالأمر المقدر على باب سمية وطلبت الماء لتشرب فخرجت وأسقتها وأبصرتها فرأتها حزينة فتعجبت وحلفت عليها وأنزلتها عن ناقتها وسألتها عن القبيلة فحدثتها سمية بجميع ما جرى لهم مع بنى فزارة وقصة أولاد بدر وكيف طلبهم الملك النعمـان وكيف نزلوا على بنى حربقـة الشجعان وما فعلوا معهم من الغدر والعدوان وكيف نهب بنو عبس أموالهم وقتلوا رجالهم قال الراوى فبينما هى معها فى الحديث وإذا بعبلة بنت مالك بن قراد دخلت اليهم وهى مزينة بالحلى والحلل والجوهر المكلل وهى كأنها البدر الزاهر وعليها الجواهر والعقود والجواهر فلما رأيت العجوز هذه فقالت لها هذه امرأة غريبة الأهل والدار اعجبنى كلامها فلما سمعت عبلة من سمية هذا المقال التفتت إلى تلك العجوز وقالت لها يا عجوز اخبرينى من هو المقـدم عليكم فقالت يا ستاه معاوية بن النزال فقالت عبلة ولما أتى إلى الملك قيس يسترضاه أما سمع الكلام عليه إذا عدت اليه واطلب منه أن يكرم ملوكنا وأبطالنا حتى اننا نكف عنه الأذية فقالت لها العجوز وهى باهتة إلى حسنها وجمالها ومن أكون انا حتى أصل اليه واشير بهذا الكلام عليه ثم انها أطالت عبلة الحديث وخرجت عبلة إلى أبياتها وبقيت العجـوز متفكرة فى محاسنها وذاتها ثم أن العجوز قالت لسمية من تكون هذه الجارية هل هى زوجة ملككم قيس أو ابنته فقالت سمية لاهى زوجته ولا هى ابنته وإنما هى عبلة بنت مالك بن زوجة عنتر بن شداد وهو عبدها وحاميها وموقد نار حربها ومصطلبها

وهو عبد أسود إلا أن قلبه أقوى من الصخر والجلد ثم أنها عادت عليها فعاله وقائعه ومن قتل من الفرسان والأبطال فقالت لها العجوز ان الملبوس الذى عليها وهى تلك العقود ما يقدر عليها أحد من الملوك فقالت سمية ليس هذا الملبوس والعقود من العرب انما أخذه بعلها من ملوك الروم وملوك العجم والبسها اياه ولها من القلائد والعقود والجواهر والتحف شيء كثير وعندها ايضا تاج الملك كسرى ملك الفرس والأعجام الذى تملك مثله العربان لا أحد ملك ملكه فى سائر الصحراء (قال الراوى) وما زالت العجوز تسمع عجائب الخبر عن عنتر وصفته حتى برد الهوى فقامت إلى ناقتها وسارت إلى بنى سعد ودخلت على معاوية بن النزال فسألها عن بنى عبس هل هم راحلين أم القيمين فقالت له دعنى من هذا الحديث ثم انها اردت علته ما سمعته وما أبصرت وعاينت من محاسن عبله وجمالها وقدها واعتدالها وما رأت عليها من العقود وما سمعت من المقال فتغيرت الأحوال لما سمع ذلك المقال وقد أخذه الوسواس والخبال وصاح من كثرة ما جرى عليه يا للعرب أن هذه الجارية تكن لهؤلاء القوم سبب وانا اذا لم أنظرها وأنال مرادى إلا طال سهادى ثم انه استعاد الحديث ثانيا وثالثا من حلاوته وقال يا أماه أوقعتنى بحر الغرام فقالت له العجوز وكان اسمها حليمة يا ولدى لا تضيق صدرك فان القوم نازلون فى أرضك وان الجويرية قالت لى خل ملككم بعرض أرضه ومراعيه بعد أبطالنا وملكنا وهذا الحديث كان منها وهى موردة الخدود وهو النهود خارجة من تحت البخانق والعقود والأمر يا ولدى كله يرجع ويعود وأنا أبذل لك فى اجتماعك كل المجهود وان عجزت أنا أفعل ما بدا لك ولكن يا ولدى لا تطمع لتقلهم فانى سمعت من المرأة التى أضافتنى عن ابطالهم يحير والفكر والقول فان ازدت هلاكهم فاكسبهم فى الليل وكاثرهم بالرجال والخيل فقال لها معاوية هذا امر ما احمل همه لأنى انى اردت اهلاكهم ما تركت النهار حتى يمضى عليهم وما منعنى عن ذلك الا عقل قومى والساعة فقد حدثتينى بحديث حتى يتليب به قلبى فقالت العجوز قد عولت ان آخذ من عبيدك عشرة وأسير إلى بنى عبس وقت الهجير واكمن بالعبيد فى التلال وادخل إلى المرأة التى اضافتنى واقول لها يا ستى انا عدت إليكى لما اعجبتنى اخلاقك وحسن شيمتك وما أعطاكى رب السماء من الفصاحة وأيضا لما رأيت حسن عبلة وصفاتها وحسن جمالها واريد ان آخذ البنات ومن وضجيج الجمال فقلن لى يا اماه ما فينا احد يقدر يدخل إلى تلك المضارب من الهيبة وقد قعدن

إلى الأرض من شدة الحياء والفزع وقلن ياأما بقى إلا أننا نستريح ونرجع بلا فائدة فلما سمعت منهم ذلك الخطاب تألم قلبي بالعذاب والحسرات ومع ذلك ما خرجن من الخباء وما نظرهن أحد فتركتهن قريبا من الخيام وأتيت لكي أسألكن الخروج معي اليهن لأن افضل مكارم الاخلاق مشي الستات إلى الجار وأفضل الناس من جبر القلوب بعد الانكسار وقال فلما سمع معاوية هذا الكلام خف عن قلبه ما كان يجده من الغرام ولما اصبح أحضر عشرة عبيد جلاد يدخرهم للامور الشداد وقال للعجوز أنا أعلم أن الجارية ما تخرج من الخيام إذا انطلق عليها ذلك الكلام إلا معها جماعة من الاماء والخدام وهذه العبيد العشرة يكونون معي حتى لا يفلت منهم إنسان فقالت العجوز ما بهذا من باس ثم إنهم أخذت العبيد وسارت إلى أن بقيت بظاهر الخيام وقالت لهم اسبقوني إلى المكان الفلاني واكمنوا في نواحيه آتي الكم وسارت العجوز حتى أتت إلى أبيات سمية فوحطت عيلة عندها بالاتفاق ففرحت بذلك وقالت لهن والله ما بقي لي عنكم صبر ياستات ثم قصت عليهن ما ذكرنا من الصفات ففرحت سمية بتلك المقالات والساعة أولادك بظاهر الخيام فقالت والله ياستات وقد تركتهن بين الاشجار فقالت سمية لعبلة ايش تقولي في حبر قلبها والفرجه اليوم على بناتها والعودة عند المساء فقالت لها عبلة ما هذا صواب لأني أخاف من ابن عمي عنتر ان يعتب علي إذا سمع هذا الخبر قالت أنا أكفيك هذا الوجه وأقول أنا الذي اخرجتك لكن اخفي هذا الحال عن بنات عمك فهمت عبلة أن تذهب مع العجوز في البر والآكام وإذا بعنتر قد أقبل وهو يدمدم وهو ملآن غيظا وحرر فقالت له سمية ما حالك يا أبا الفوارس فقال لها ايش يكون حالي والربيع بن زياد والملك قيس قد اتفقوا أن ياخذوا قطعة من المهارة والنوق والجمال ويسيروا إلى معاوين النزال ويبرطلوه بها وإن فعلوا ذلك فما يبقى احد في تلك الديار الا ويطلب منهم مثله وأما ما كان عندي رأي إلا إذا ما كان هو راض بجوارنا والا كنا قلعنا آثره وخربنا دياره وحمينا هذه الأرض بقوائم سيافنا لحفظ حريمنا وأموالنا قال الراوي ثم التفت فرأى تلك العجوز وهي كأنها اللبوة الشمطاء او الحفظ الرقطاء إلا أنها لما رأت عنتر تجمعت في بعضها وبهتت إلى عرض اكتافه وطول قامته فنفر قلبها واصفر لونها فقال عنتر لسمية من تكون هذه العجوز الغريبة فاخبرته سمية بحالها وقالت له يا أبا الفوارس هذه اجتازت علينا أمس وطلبت منا ماء فسقيناها وذكرت أن لها بنات اتوا ينظرون إلى عبلة وهم خارج الخيام ولولا قدومك خرجنا اليهن بغير علمك والآن ما بقينا نخرج إلا برضاك وعن إذنك قال الراوي فلما سمع عنتر ذلك الكلام خفق قلبه على بنت عمه وعاد يكرر النظر إلى تلك العجوز قد زاد به الغيظ وسل حسامه ونهض إلى حمار

وحشى قد اصطاده عمرو ابن عمه وهو على باب الخباء فضربه بالحسام قطعه قطعتين وصاح فى العجوز ويلك ياعجوز النحس أن لم تصدقينى الحديث وإلا شطرتك مثل هذا الحمار بالسيف قصفين أما انت داية معاويه ابن النزال ولما جئتنى هاهنا وعدتى اليه ووصفتى له ابنة عمى فانفذ معكى بعض العبيد لتأخذى بنت عمى بالخديعه والمحال وتسلميها اليه فى الحال احدثينى بالحق يابنت اللئام وإلا جعلتك ملحقة على الآكام ٭ وكان حدث عنتر بذلك الحديث عبد من عبيد معاوية بن النزال وكان يحب أمه من بنى عبس كان تعلق بها لما نزلوا فى ذلك المكان فقالت له العجوز ياولدى لاتفعل فانى امرأة غريبة ومن أنا حتى يسيرنى معاوية إلى ماذكرت ثم أن العجوز تبلت أقدامه وجعلت تتعطف بخاطره فاستحيا منها ومن سمية وقال لعبله احفظيها حتى أعود ثم صاح فى أخيه شيبوب فقدم له الجواد وخرج إلى ظهر الخيام ثم قصد إلى كثبان الرمل وكان العبد وصفها له وإذا بالعبيد هناك كامنين فقال لشيبوب خذ عليهم الطريق التى لبنى سعد فعمل ما امره به أخوه وهم تسع عبيد وكان العبد العاشر قد اختفى وهرب فقال لهم عنتر ياويلكم إن العجوز الذى أتت بكم إلى هاهنا ضربناها فاقرت عليكم فقال العبيد نحن مأمورين والعجوز أطمعت معاوية بالمحال وأتت بنا لنأخذ عبلة فعندها ضرب عنتر رقاب الجميع وعاد إلى العجوز وقد امتلأ حنقا عليها وأخبر عبله بالأمر فخنقها وأتى العبد الذى أخبره وطلب منه الأمة فاعطاه إياها وقال له أقم عندنا فقال شيبوب ياأخى نحن قتلنا هؤلاء العبيد وقلبى حاسب حساب آخر وهو أن العبد الذى هرب فانه يخبر معاويه بن النزال بهذه الفعال ويكون الملك قيس وصل اليه هو وسائر أخوته بالخيل والجمال فيقبض على الجميع ياخذ كل ما وصل معهم وان كان حصل فى قلبه هوى عبلة فالشيطان زين له هذه الفعال ولابد ماتنفر علينا هذه الديار والأطلال وتطلبنا سائر العشائر التى تطيع معاويه بن النزال وتطلبنا بعد قتل سادتنا للقتال فقال له عنتر وقد رجف قلبه من ذلك الحديث والله ياأخى لقد حسبت حساب الرجال وهذا أمر يؤدى إلى الوبال إذا لم تحسن ايه التدبير وإلا أوقعنا رأى الربيع فى أمر كبير ثم أنه أحضر أخاه جرير وقال له ياأخى أن المساء قد أقبل بالانسدال والملك قيس واخوته مضوا إلى معاوية ابن النزال وأنا اخاف عليهم من اهوال فالبس ثياب حيلتك وقد همتك وأذهب إلى بنى سعد واكشف أخبارهم وعد الينا واخبرنا باحوالهم فقال له سمعا وطاعة ثم أنه غير لباسه وسار من تلك الساعة وبعد ذلك ارسل عنتر إلى مقرى الوحش وفرسان بنى عبس وأخبرهم بما جرى وأمرهم بالاستعداد قال الراوى وكان الملك قيس قد ترك مكانه أخاه الحارث وركب هو وباقى أخوته واهله وعشيرته وتبادرت الخيل للمسير فى ذلك الشأن ولم يبق فى الخيام

غير النسوان وقليل من الفرسان إلا أن الليل ما انسدل حتى وصل جرير من بنى سعد حضر قدام أخيه عنتر وقال له والله يا أخى لقد صدق شيبوب وما أخطأ لأن سادتنا الكل فى الأسر والاعتقال عند معاوية بن النزال فقال عنتر وكيف كانت قصتهم أخبرنى بالحال فقال له يا أخى لما وصلوا إلى عند معاوية بن النزال بالشوق والجمال وطلبوا منه الذمام ورقوا اله فى الكلام زاد طمعه فيهم لأنه كان عول أن يغدر بنا ويسقيك دمائنا لكن محبته لعبلة أشغلته عنا لأن العجوز له وصفتها وزادت فى المعنى وأشارت عليه أنه لا يحرك ساكن حتى تحضر بها اليه فجرى ما جرى وأتى العبد وأخبر بالخبر وما جرى لرفقته فتغيرت حالته وقال لأصحابه ويلكم يا أنذال الحجاز تقتلوا عبيدى ودايتى وبعد ذلك تطالبوا حمايتى ثم أنه أمر فرسان عشيرته أن يقبضوا عليهم بعد ما كلمهم الكلام الشنيع وخرق حرمة الجميع وما أتيت اليكم إلا وقد ثارت اليكم بنو سعد من جميع الأماكن وعولوا أن يهجموا عليكم عند الصباح فقال عنتر لمقرى الوحش ماذا تقول فى كبس هؤلاء الأنذال ودهمهم من قبل أن يجمعوا جموعهم من الجبال فقال مقرى الوحش نعم ماذكرت من المقال فقال جرير ما لكم عليهم قدرة بالليل لأنهم خلق كثير مثل الرمل السيال وهم بالقسى والنبال فان كبستموهم فما تبلغوا منهم آمال فقال عنتر يا ابن الزانية لم ندهمهم بالليل وننزل بهم الحرب والوبال وإلا طال علينا المطال ويجمعوا الأبطال وتتعب معهم فى القتال فقال شيبوب أن لم تسمعوا منى ذلك المقال وإلا وقعتم فى الوبال والعنا وأنا أعلم إذا وقعت العين على العين يرمون أرواحهم عليكم ويطمعون فى نهب أموالكم حتى إذا أشرف الاعداء على منازلكم ورأوها خالية زاد طمعهم ويقولوا لما سمعوا بأسر ساداتهم نجوا فى الحال بأنفسهم ثم يشتغلوا بالنهب عنكم لان أكثرهم رجالة ولا يصل اليكم إلا بعض الفرسان فتقاتلوهم وتنزلوا الذل والهوان قال فلما سمعوا فرسان بنى عبس من شيبوب ذلك الصواب رأوه عين الصواب فقال شداد وأى طريق يذهب اليه وأى مكان تعتمد عليه فى حفظ الحريم والأموال فقال شيبوب بين أيدينا مكان يسمى عقبة الفروق وهى شعاب ومضايق ومنها ينزل الإنسان إلى البر المنقطع القليل السكان فالصواب أن تنفذ قدامنا العبيد إلى تلك العقبة بالنسوان والعيال فاذا نصرنا على أهل تلك الديار قطعنا البر والقفار فقال عنتر أتعلوا ما بدا لكم وكل واحد يوكل بحريمه حارسا شديد فعندها شدوا الرحال العبيد وتأخرت الرجال الصناديد وما مضى من النهار ساعة حتى انقضت الأشغال ودارت بنو عبس بالهوادج واستقبلوا عقبة الفروق ونظر عنتر إلى عبلة فرآها تبكى فقال لها لا تخافى يا بنت مالك من أعداكى وأنا وراكى

فلا عاش من يشناكى ثم شدها على جمل وجعل محملها فى أول المحامل وعاد إلى صاحبة وهو ينشد ويقول

حدثى نفسك العزيزة بالأمن ولا تفزعى من الأنهتا كى
وأقلى بكاك ياقرة العين أن فى القلب لوعة من هواكى
فهما يخبراكى عن فعل ليث هزم فى الورى إلى أعداكى
يصيد الأسود فى وسط قفر ويجندل فكل قرن محاكى

قال الأصمعى وفعل مقرى الوحش بزوجته مسيكه مثل عنتر وكذلك فرسان بنى عبس وسار واتحب غسق الدجال وتركوا النوق والجمال هذا ماجرى لهؤلاء الأبطال وأما ما كان من معاوية بن النزال فانه لما أن قبض على قيس وأصحابه وأرسل الخيل إلى الحلل كما ذكرنا وأعلمهم بنزول بنى عبس وأخبرهم بمامعهم من الأموال والذخائر ولما شاع ذلك الحديث زاد الطمع فى رؤس الرجال وتادروا إلى الجنائب وأمتلا البر بالراجل والراكب وأراد معاوية أن يسيرهم فى موكب وأحدفما أطاعوه ولا التفتوا اليه بل تسابقوا يطلبوا القتال ونهب الأموال ولما أن أشرفوا على خيام بنى عبس ورأوا النوق باركين بين الأطناب فقال بعضهم أذل الله رجال عرب الحجاز لأنها ضعيفة الجنان وهؤلاء بنو عبس الموصوفى بالشجاعة والقوة والبراعة الذى كانت تتصل الينا أخبارهم بان العرب تحيرت من أفعالهم وهانحن قدر أيناهم أقدرا أنفسهم باموالهم وخافوا من الهلاكهم ثم أنهم هجموا على المضار والخيام ونهبوا الأموال والنوق والجمال قال الراوى ولهذا المقال فبينماهم على ذلك المنال وإذا بمعاوية بن النزال قد أشرف عليهم وعلم بحقيقة الحال فصعب ذلك عليه وجعل يصيح على الفرسان ويقول لهم دعوا عنكم هذا المال يارجال والحقوا بنو عبس من وراء العيال متأهبه للحرب والقتال إلا أنهم مالحقوا أن يصلوا إلى عقبه الفاروق حتى لحقهم بنو سعد فى أرض يقال لها أرض النقا وهى واسعة الفضا تصلح للحرب والقتال والطعن والنزال إلا أنهم مالحقوهم حتى علت الضجات وصاح بنو سعد من كل الجهات على بنى عبس الأسود الضاريات إلى أين الذهاب ياأنذال الحجاب ابشروا بالموت العاجل وسبى النساء والحلائل ثم طلبوهم بهذا الطمع انتشروا فى هذا المقام انتشار الغمام إذا طلع ولما نظر عنتر بن شداد إقبال عرب اليمن الاوغاد قال لبنى عبس يا بنى الاعمام قد أتاكم

الامر كما تريدون فدونكم وهؤلاء الأندال وجودا وضرب الحسام الفصال حتى أنهم يعرفوا قدركم عند الحرب والقتال وتقع هيبتكم فى قلوبهم ثم اخترق العجاج وحمل فى أقطارها فحملت بنو عبس ورفعت أصواتها ونادت بأنسابها وكان مقرى الوحش فى أوائلها وقد نكس الفرسان وأباد الاقران وقد نزل فى بنى سعد الطعن بالأسنان ولله در بنى عبس عند عودتها فقد شفت القلوب بحملتها وضربت الجماجم فنثرتها وصاح عنتر فى المواكب ففرقها وسفك الدماء وأمرقها فلما نظر بنو سعد من بنى عبس خلاف ما كان فى حسابهم قل نشاطهم وكان معاوية بن النزال قد وقف تحت الاعلام ووقفت من حوله السادات والابطال ولم يزالوا وقوف حتى نظر معاوية إلى بوادر مواكبه قد تأخرت وأبطاله قد ولت وضجات بنى عبس من خلفها قد علت وخيولها قد صهلت ورماحها امتدت والدماء من أسنتها قطرت فخاف عند ذلك على قومـــه من الانفلال فحمل كان معه من الابطال وصاح فيهم صيحة الاسد الريبال فاشتد القتال واختلفت سهام الرجال رجاء الحق وذهب الخال وظل عنتر يبدد شمل بنى سعد فى القفار إلى أن انتصف النهار وصار بعضهم يقول لبعض والله ما على وجه الأرض أجل من معاوية لان القوم كانوا هربوا من أضنا فتبعهم بقلة عقله فاخرق هيبتنا معه (قال الراوى) وكان معاوية لما حمل فيمن يعتمد عليهم من الأبطال بذال لجهود فى القتال وهو تارة يقاتل يميناً وتارة شمال وتارة يرد الخيل والمنهزمين من بنى سعد إلى الحرب والقتال إلى أن صار لقتالهم مدافعة وممانعة فلما علم عنتر أنهم ضعفوا عن القتال جد فى طلب معاوية فتميز ومعاويا وتمقلقل فبان له منه الموت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر ورأى مضاربه مثل الصواعق فخاف على نفسه من البوائق لانه تأمل من رجاله فرآها تنفر من بين يديه كما ينفر القطا من الباشق فقال لمن حوله وحق اللات والعزى ما قلنا أن هذه الطائفة القليلة العدد تفعل هذه افعال وأقول أن هزيمتهم منا فى الاول لما كانت إلا محال وما هو إلا تدبير قبيح الاعمال وأنا وحق من قدر الارزاق والآجال وأرمى بقدرته سوامخ الجبال لا يخرج من هذه الديار أحد منهم لا أبيض ولا أسود لاننى قد انفتح لى باب من المكر والمحال ما يقدر عليه أحد من الرجال ولا بدلى من قطع هذه القبيلة إلى الابد حتى لا يقال جرى جرى على معاويه وعلى قومه أو شم الفعال من هذه الطائفة القليلة العدد وأنا الحاكم على من ضرب طنب ودق وتد ثم أنه قال لاصحابه احملوا أنتم عليهم ولاتها بوهم ثم أنه لوى عنان جواده وطلب الهرب فاتبعه خدامه وقومه وقطعوا البر والسبسب فلما عاين عنتر هزيمة بنى سعد التفت إلى عروة بن الورد وقال له يا أبن

العم خذ معك من قومنا الف فارس أجواد واتبع الحريم والأولاد وأنزل بهم فى أرض عقبة الفروق وأرض المصانع حتى أنى أسير خلف هؤلاء الأنذال وأخلص الملك قيس ومن معه من الأسر والاعتقال ونسترد ما لنا هناك من الأموال فقعل عروة ما أمر به عنتر فى الحال وسار عنتر بباقى الرجال من بنى عبس الأبطال فهذا ما كان من أمر هؤلاء من المقال (وأما ما كان) من معاوية بن النزال فانه لما وصل إلى قومه رآهم فى خيام بنى عبس مشغولين بنهب النوق والجمال وكانوا قد أقاموا الجمع الأموال وهم فى أطراف الخيام إلى أن أقبل عليهم معاوية ورآه قومه وهو عائد مهزوم لا يعقل على نفسه من شدة الخوف والفزع ورأى بنى عبس خلف المنقطعين فاختفى حال بنى عمهم عليهم وعلموا أن ملكهم مكسور فسألوه عن حاله وتلك الأمور فحدثهم بحديث بنى عبس وما لاقى منهم وكبس بلوهم بالتعس والنكس ثم قال لهم فى آخر كلامه والله يا بنى عمى ما أقول أنه عاد معى نصف العسكر ما نجا منهم إلا من كان جواده سابق وكان له أجل مديد وكل ذلك من الأسود العنيد فلما سمع المتخلفون من ملكهم معاوية هذا المقال وقع بهم الاندهال وقالوا له عد بنا اليهم حتى نلقاهم بالفارس والرجل ونأخذ ثأرنا منهم بالسيوف القواصل وقال لهم معاوية ما هذا صواب لأنهم خلفنا يحثوا الركاب وأنا أعلم أنهم ما بقوا يندفعوا عنا إلا بكثرة الرجال وأن التقيناهم مددونا على الرمال وسبوا حريمنا والعيال وقال وإن لم أخدعهم فسيقلعوا آثارنا ويخربوا ديارنا ويسبوا نساءنا فقال العقلاء منهم وكيف ذلك وما الذى تريد أن تفعل وما خطر ببالك فقال معاويه أن الذى خطر ببالى أنى أدخل على سادتهم الذى عندى فى الاعتقال وأظهر لهم التخضع والاذلال واعتذر اليهم فعلت من الأفعال ثم أطلقهم بشرط أنهم يرموا لنا حريما والأموال فان أجابوا ذلك خلعت عليهم وسيرتهم إلى قومهم والعيال وبعد ذلك أسير بكم إلى أرض المصانع لبنى تميم ونأخذ أموالهم والحريم لأنهم قد سيروا العيال إلى عقبة وأرض المصانع فى طائفة قليلة تبعونا بعد ذلك ليخلصوا ملوكهم من أيدينا وما بقينا بنا منهم غرض إلا بهذه الأعمال لأننا إذا تبعنا الأبطال الذين قد ساروا مع الحريم والعيال بفرسان بنى تميم وهال علينا ذلك الأمر العظيم فتبقى حريمنا فى أمن منهم إذا نحر سرناهم لرفقائهم ونرجع بعد ذلك نقطع أقصاهم وأدناهم فلما سمعوا بذلك المقال استصوبه الذين جربوا القتال وأما المتأخرون فانهم استعجزوه وصاروا يقولون والله ما ترك هذه الغنيمة إلا عجز ومهانة فقال معاوية يا بنى عمى لا تقولوا هذا المقال وأطلبوا لانفسكم الفرج من الملك المتعال لانكم تعلمون أنى فارس اليمن وشجاعتى

يضرب بها المثل فى أرض صنعا وعدن ومالى من بقاومنى إلا جابر سيد بنى تميم وقد رأيت ماقد أهالنى من الفارس العظيم الذى لبنى عبس المداميير وأقول أنه زوج الجارية التى وصفتها إلى دايتى وقالت أن إسمها عبلة ومن أجلها جرت علينا هذه الدبلة وجميع المصائب ولا بدلى منها ولو قطعت بالسيوف القواضب لأنى لا أريد شيئا من الغنائم غيرها ولا سواها وأنتم فى حل من جميل الأموال ومع ذلك قد رأيت بعلها لا يقاس بالعبيد ولا يقطع فى جلده الجديد ثم أنهم قالوا حدثنا بما رأيت فصار يحدثهم بما رأى من شجاعة عنتر وما قاساه فى البر الأقفر إلى أن وصلوا خيام بنى عبس وهم بالتعس والنكس فاقبلت عليهم طائفة بنى عبس وهم يجرون زماحهم فى شعاع الشمس فلما قاربوا الخيام زعقوا يا آل عبس الكرام فما وجدوا حتى نقطع منهم الأوصال ونخرب ديارهم والأوطان فقال مقرى الوحش لا تعجل يا أبا الفوارس ولا تفعل ذلك فاننا ما نعلم ما جرى بين أيدينا ونخاف من حيلة علينا والصواب أنك تمهلنا إلى الصباح وتسير بنا إلى بنى سعد الأوقاح ونمكن منهم الصفاح قال فلما سمع عنتر منه ذلك المقال إستصوبه وكانوا بنى عبس لما نظروا الأموال على حالها فرجعوا بوقوع هيبتهم فى قلوب أعداهم وقد قال لهم عنترة والله يا بنى عمى لو عدم إلى أحد منكم عقال لآخذت فيه معاوية بن النزال وأنا أعلم أنهم ما مضوا إلا فى طلب الزمام من الملك قيس على حريمهم والعيال والأموال (قال الراوى) ولما كان عند الصباح ثارت بنو عبس الأوقاح وقد ركبوا الجواد وطلبوا بنى سعد الأوقاح وأقبل عليهم الملك قيس ومن كان معه من الرجال السكل على هذل الخيول والعوال وعليهم الخلع الغوال قال فلما رآها عنتر على هذه الحالة وعلم أن حسابه قد أصاب وأن معاوية قد أخذ من الملك قيس الذمام والحريم والعيال فعند ذلك ترجل عنتر وساير الأبطال وهنوا سادتهم بالسلامة من الاعتقال وسال عنتر من الملك قيس عن حالة فاخبروه بما جرى له مع معاوية بن النزال يعلوهمتك يا أبا الفوارس تخلصنا من الأعتقال والعيال وقد أعطاه الذمام وأعرض بعد ذلك علينا سائر أمواله والديار والأطلال فما قبلنا منه عقال ثم أنهم عادوا معه إلى الخيام وهم فى غاية السرور التام بالنصر على أعداهم اللئام ثم تفرقوا بجمعوا أموالهم وقد قضوا باقى ذلك اليوم فى أشغالهم وقد استرحوا تلك الليلة من التعب ولما كان الغد ساروا يطلبون عقبة للفروق وأرض المصانع ومعهم الملك قيس ولا علام والرايات وأبطال عشيرته خلفه مثل السباع الضاربات وعنتر قدام الجميع إلى جانبه مقرى الوحش أبو المهمات وفرسان بنى قراد ولما تمادى أنشد يقول هذه الابيات

رعا الله ربعا بالحى ظل باكيا — وأصبح منا موحش الدار خاليا
رحلنا وأووحشنا الحجاز وأهله — أيامنا من بعده والليـاليــا
وما بلغ النعمان منا مرادة — ولا نحن قلنا وأشماته لعاديا
وكان لنادون الفرق مواقعـــا — حللنا بها ذكر السنين الخواليا
حلفت لقومى القتل يقرع القنا — يمينا بمن أرسى الجبال الرواسيا
بانى أرد الخيل وهى خليـــة — وفرسانها مابين باك وشاكيـه
وصلت عليهم صولة عنترية — بفرسان عبس أسم أهل المعاليه
وخليتهم فى جنح ليل كانهم — قطائع بهـم فى خلا وبواليا
ومن قال لى أب وعم وقسبه — فسيفى وهذا الرمح عمى وخاليا
ولـكن قتيلا يدرج الطير نحوه — وينهشنى وحش الفلا فى الفيافيا
وأنا عنتر العبس فارس قومه — بنو عبس سادة كرام مواليا
سموت على فرسان عصرى بهمتى — وشعرى وتوكيد لنظم القوافيا

قال الراوى فلما طربت بنو عبس لابياته وعلموا حقيقة ما ذكره ساروا يقطعون الجبال والعبيد تسوق الخيل والجمال (قال الراوى) لهذا المقال وقدذكرنا أن عنتر قال لعروةخذ معك الف فارس من الابطال وتقدم بالحريم والعيال وأنزلهم فى عقبة الفروق والحق الطعن والاموال وكن لهم حافظا ومراعيا حتى نعود فاجاب عروة بن الورد إلى ذلك والحق الطعن والالوان فى عقبة الفروق وإلا ماتسوق الهوادج والمحامل والنسوان متلهفات على الرجال خائفات فعندها بشرهم عروة بن الورد بالنصر وكسر العساكر الذى لبنى سعد وتركهم فى الشعاب (قال الراوى) ولم يزالوا يقطعون الارض حتى وصلوا عقبة الفروق وأرض المصانع فرأها قفرا خراب مافيها داعى ولا يجيب إلا الوحش يضرب فى جنباتها عمى الصواب أننا ننزل فى المكان قريبا من الجبل إلى أن يصل الينا باقى العشيرة ثم أنه نزل بذلك الظعن والعيال والبنات والنسوان وعول على طلب الراحة فى هذه الساحة فبينما هم كذلك إذا رأوا خيلا تسابق فى طلب القنص فحرك عروة الجواد نحوهم وطلب بذلك كشف أخبارهم من فزعه على الحريم والعيال وقال وكان القوم من نو نمير رجل يقال له بن نجاه وكان هذا الفارس أخو جابر الذى ذكره معاوية بن النزال إلا أن داثر هذا هو الاصغر

وقد أتى إلى المكان والأرض التي هو نازل فيها عروة مع الظعن يطلب الصيد والقنص في الف فارس إلا أنهم مازالوا يطاردون الوحش حتى صاروا قدام ظعن بني عبس وابصروه فانكروه في أرضهم فتجارى اليه الالف فارس وتتابعوا من كل جانب ومازالوا يتحدثون في أمره حتى التقوا بعروة بن الورد وهو قاصد اليهم والرجال وصلوا فلما وصلهم وصاحوا عليه ياوجه العرب من أى الناس أنتم ولمن هذا الظعن والعيال فقال عروة هذا ظعن بني عبس وعدنان وأنا من فرسانهم الشجعان ومن أنتم ومن يقال لكم من العربان فقالوا نحن من بني تميم أصحاب هذه الارض والموضع وقد سمعنا أن بني عبس نزلوا على معاوية بن النزال لاجل هذا قعدنا عن طلبهم وأمسكنا عن اخذ أموالهم فاخبرونا ما الذي جرى لهم ولمعاوية حتى رحلهم عن دياره وأرماهم عن جواره فقال عروة بن الورد لانه رجل غدار باغ مكار مفسد لا يعرف رفقة ولا يعف عن حرمه ثم حدثهم بما جرى وكيف قاتلوا بني سعد دون عقبة الفروق وقال لهم في آخر الكلام وقد نزلنا في هذه الارض ننتظر قومنا حتى يصلوا الينا ويختاروا منزلا يقيمون فيه (قال الراوى) وكان دائر مقدم السرية قائما مع قومه يسمع كلام عروة بن الورد إلى أن عرف المعنى لعب به الغيظ والعجب وقال لقومه ياويلكم يفعلوا هؤلاء الانذال بجير اننا هذه الفعال ويأتوا يريدون عندنا منازل وأطلال دونكم وإياهم لا تفعوا عن دماهم وانا أقسم بينكم عبيدهم وأماءهم فلما سمع عروة من دائر ذلك الكلام لم يجاوبه دون أن حمل عليه ومد السنان اليه وطعنه بين ثدييه فلما نظر بنو تميم صاحبهم قتل حملوا على بني عبس وعدنان واشتد الحرب والقتال وما انتصف النهار حتى ولى بنو تميم الادبار وعاد عروة وبنو عبس فرحين بالنصر والظفر فقال لهم عروة يا بني عمى كونوا على يقظة قبل أن يجمع بنو تميم حلفاءهم ويأتوا الينا فباتت العبيد يشعلون النار ويحرسون المال والنسوان إلى الصباح فعندما طلع عليهم الغبار وقد سد الاقطار وبعد ساعه انكشف الغبار وفي الجو تعلق وظهر تحته أسنة الرماح وبيض الصفاح يقدم ذلك والابطال معاوية بن النزال جانبه بطل كانه قلة من القلل فانزعجت بنو عبس من تلك العسكر قال الاصمعى وكان سبب مجيء معاوية انه لما صالح بنو عبس وأخذ منهم الذمام عاد إلى الخيام وهو يتجرع مرارة العشق والغرام ثم جمع عسكره وأبطاله وأرسل إلى جابر مقدم بني تمام وأمره أن يجمع رجال ويسير بهم إلى عقبة الفروق وقال له المــــراد يا جابر أن تأخذ من العسكر جانب وتتبعهم إلى تلك الطرين وان المال والجمال لكم وأنا آخذ عبلة بنت مالك قال فلما سمع جابر هذا الكلام غيره الطمع وأجاب معاوية إلى ما أراد

وركبوا الخيل وطلبوا تلك المهاد فبينماهم كذلك وإذا بالمتهزمين الذى انهزموا من قدام عروة وأقبلوا من كبد البر واخبروا جابر بن نجاد بقتل أخيه دائر على يد عروة بن الورد فلما سمع جابر سيد بنى تيم الخبر كاد أن يطير من عينيه الشرر وخاف أنه لا يبقى من بنى عبس بشر ثم أن الرجال تنافرت ولاعنة خيولها أطلقت وقطعوا بكثرتهم السهول حتى أدركوا بنى عبس فى عقبة الفروق وكان عروة خائفا من بنى تيم فادركوه بذلك الجمع العظيم ولما رأى عروة ذلك الحال نبه رجاله والابطال فعندها أفرغت على أجسادها الحديد وتسربلت بالزرد والنضيد واستقبلت تلك العسكر والابطال وفى دون ساعة جرى الدم وسال وتخضبت البقاع والرمال وتصادمت الرجال بالرجال ولعب الرماح العسال وغنى السيف الفصال وكان ذلك اليوم على بنى عبس الغرر بعد بالف شهر أو أكثر فلله در بنى عبس فى ذلك اليوم الاغبر وما أظهرت من الفعل المنكر ولما أمسى المسا افترق الفريقان من بعضهم البعض وكل منهم نزل فى بقعة من الأرض وكانت بنو عبس فى حال العدم لأجل قتالها لذلك الامم وبات عروة وهو يفتقد جراح الابطال ويسكت الحريم عن البكاء حتى بدت غرة الصباح فتقدم الفريقين فى طلب الحرب والكفاح وكان لهم يوم امر من العلقم وفى ثالث يوم تضعضعت بنو عبس من تلك الامم وقاتلت قتال العدم وعروة صعد إلى الجبل وصعد وراءه الابطال من قومه ووقع النهب فى بعض الخيام وتخاذلت بنو عبس وعلموا أنهم لم يبق لهم من الموت فكاك ولو كان طال عليهم النهار ساعة واحدة لما بقى لبنى عبس نسمة واحدة فعادوا عن بعضهم البعض عند أقبال الظلام وصار الرجل لا يعرف اين يضع الأقدام فلما عادوا بنى عبس إلى خيامهم جمعهم حوله عروة وقال لهم يا بنى عمى كيف يكون الحال وقد أشرفنا على الوبال فقال العقلاء منهم يا عروة لما لا ترسل جرير قومنا عسى أن يحثهم على قطع الطريق لعلهم يلحقونا وينقذونا من الهم والضيق وان لم تشد عزمك يا أبا أبيض فى اصلاح أمرك وإلا اصبحنا طعاما للوحوش والرخم ونحن نخشى من تأخير ذلك السبب وأصواب أن تنفذ العبيد يكشفوا لنا خير قومنا فان كانوا سالمين وعلى آثارنا سائرين صبحنا القوم وقاتلناهم وصبرنا على بلادهم وإن كان قد تم عليهم أمر من الامور وطلبنا الانفس الامان ورمينا سلاحنا لهؤلاء الفرسان لان القتال فى موضع الغلبة من سوء التدبير لاسيما ونحن ما لنا فيه حل ولا صديق قال فعند ذلك دعا عروة بجرير أخى عنتر وطالب منه كشف الخبر وأعلمه بما قد تدبر فسار جرير من وقته على الاثر واقام بنو عبس حتى طلع الفجر وإذاهم بالرجال قد طلعت كل جانب وكان معاوية

أين النزال ومن معه من الرجال يصيحون على بنى عبس ويقولون ياويلكم ما لكم خلاص من بين هذا الجبل سلموا أنفسكم واطلبوا الأمان حتى تكونوا من جملة الأعوان وما تيت إلى ههنا الا وعند قومكم عربان بعدد الرمال لأن قلبي معكم أسير فى هوى من وجهها مثل القمر المنير فقال عروة يابنى عمى قاتلوهم ولا تسمعوا مقالهم فقاتلوا واصبروا ولا تأسفوا على الحياة فعندها قالت الرجال صار كل من طلب الراحة ودخل إلى الجبال برده النساء إلى الحرب والقتال إلا أن يكون مثخنا بالجراح هذا والسيف بينهم والأعداء وقد ضيقوا عليهم وصار فى القتال فى الشعب والمضيق وسدوا على بنى عبس الطريق وقاتل بنو عبس قتال الموت والعدم وأنزلت بهم أهل اليمن والمحن وعلى الحقيقة أشرف عروة ومن معه على الفناالان عددهم قليل وأعداءهم كثير وهم أهل البلاد ووصل اليهم عسكر واجناد ولولا أن بنى عبس رجال أجواد لما كانوا صبروا قدامهم ساعة واحدة لانهم على الحقيقة رجال المنايا والموت الزؤام وما كان يقتل واحد منهم حتى يهلك كثير من الرجال هذا ولما رأى جابر صبر بنى عبس ترجل عن ظهر جواده وأخذ سيفه وترسه وطلع خلف بنى عبس وصاح على ذلك الحى الكثير وصاح أيضا معاوية على بنى سعد يابنى عمى قلبى حرارة منها إلى الابد ماقام قائم وقعد (قال الراوى) فعندما زاد الأمر على حد القياس وتكاثر عدبنى عبس عرب اليمن ووقع بالرجال المحن والقتل فى الرجال والسبى فى الحريم وفى ذلك الوقت سمع أهل اليمن صيحات عاليات من رأس عقبة وصراخ متصل كأنه وعاء الجمال ووقع حوافر خيل على الصفا اشد من الصواعق المصعقات وكان ذلك بعد وصول بنى عبس وأبطال عدنان وفى مقدمتهم عنتر بن شداد والملك قيس وهم راجعون يسوقون الجمال بما عليهم من الاحمال لان البيد مع الحريم والعيال قال الناقل لهذا المقال عنتر حدعنا والله معاويه ولما اطلق سادتنا من الاعتقال وبلغ منا الآمال وهذا كله من أجل عبلة ولابد أن اجازيه على فعله ثم أن عنتر ركض فى أوائل الخيل وقد تتابعت من حلفه الفرسان وترك الملك قيس واخاه ومعه مائة فارس لسوق النوق والجمال وركب جواده وخلاص النهب والعيال ومازالوا كذلك حتى اشرفوا على عقبة الفروق قبل المغيب وكأنه

أول من وصل إلى ذلك المكان عنتر سيد الأبطال وإلى جانبه نازح والهطال ومن خلفه باقى الرجال إلا أنه لما أبصر السبايا تساق والولدان قد أكثروا الصياح والزعيق ورأى عروة ابن الورى يقاتل من دون هودج عبلة ورجال معاوية قدمو اليه أسنة الرماح وأكثروهم من حوله الصياح فاسود فى عينيه وسيم البطاح وقال هذا القرنان معاوية بالله اليوم أوشمه عليه ثم ترجل عن الابجر وسلمه لمن يحفظه وسل حسامه الظامى الابتر لإن المكان ضيق لا يقدد الخيل فيه على مجال وايضا خيل بنى عبس من التعب صارت فى أسوأ الاحوال ولاجل هذا ترجلت الرجال وفعل عنتر تلك الفعال ولما رأوه بنو عبس قد ترحل ترجل الباقى وفعلوا مثل ما فعل ورموا أرواحهم على الاعداء لان قلوبهم حنقة عليهم وكان القضا من السماء وصار يقصد الرجال الذين ساقوا الحريم والاماء وينثر جماجمهم بين الاحجار ويخلص منهم الكواعب والاحرار وأما شيبوب فانه كان على الحقيقة كالبلاء المصبوب لاجل خفة سعه فى الجبال وهمزته من فوق التلال وحسن خبرته برمى النبال هذا والصياح قد ارتفع يمينا وشمال والسيوف تعمل فى المفارق والاوصال والشجاع قد افتخر ومال والجبان وقع به الانذهال واعداء بنى عبس قد غادوا على أعقابهن والسيف يعمل فى صدورهم وأجنا بهم وما كان أكثر من ساعة حتى عادوا بنو تميم وبنو سعد فى أذيال الجبل بعد ما ضربت منهم خمسمئة رأس أو أكثر وانفرجت على بنى عبس تلك فعدوا فى طلب الراحة وصارب فرسان بنى عبس تشرف من رأس العقبة تبصر القتال يعمل فتقاتل ومازال بنو عبس على ذلك العمل إلى أن دخل الليل وبقوا فى أذيال الجبل لان رجاله كانوا من المسير ولما أن أخذوا الراحة وأمنوا على حريمهم وصلت اليهم خيولهم ونوقهم وقد نزل العبيد لحفظها من رأس العقبة وكان عنتر قد طمن بنت عمه وسكن ورعها وطيب قلبها وقلوب النسوان واطمأنوا من ذلك الصياح ويلومون بعضهم من الهوادج والمال أما معاوية بن النزال فانه لما أن عادو نزل قال لجابر سيد بنى تميم كيف ترى من هذه الطائفة عند اللقا والله أن هذه الرجال الذى ذكرتهم لك لا فت منهم الاهوال على انهم اليوم كانوا رجالا وكانوا وصلوا من التعب إلى الغاية فاذا صاروا على ظهر الخيل تنظر منهم معجب فقالوا والله يا جابر لا تصف ما لا تعرف والله ما فيهم اشد بأسا من الفارس الذى ترجل فى الأول ولو لا اشد منه ولا أرجل وهو الذى انزل اصحابنا من على الجبل وساقهم سوق الغنم وهو الفارس الأسود الذى ناره فى الحرب لا تخمد ورفيقه الاشقر

تام الطول والقامة عريض الاكتاف والأوصال هو الذى يقاربه فى أفعاله ويقاتل دون قتاله وكان يعنى بقوله عن فارس النياق الذى لا يوجد مثله فى الآفاق وآخر كلامه قال له يامعاوية لابد من هلاكك وهلاك هؤلاء الانذال وأخذ أموالهم والعيال وأنا الضامن لك إذلالهم فى البراز لا أترك أحد منهم يعود إلى بلاد الحجاز لأنى اذا أخذت هذا العبد الذى لهم وقتلت ذلك الطويل الاشقر هان أمر الباقى وتيسر وتأخذ أنت يامعاوية محبوبتك فقال له معاوية اقتل أنت ذلك العبد وأنا أكفيك شر عشيرته أجمع لأن محبوبتى زوجة ذلك الأسود ولا يتركها حتى يهلك ويلحد وهى والله تستاهل ذلك لأنها تخجل البدر إذا كان الظلام حالك قال الراوى وكان معاوية فى تلك النوبة واقفا فرأى عبلة وهى تصيح بالبكاء بين النساء وتلطم على خدودها خوفا من السبي والانتهاك وتهتف أحسن من حمام الأراك ومازال معاوية يصف عبلة لجابر بن نجد سيد بنى تميم حتى أشغل سره بها وقال فى نفسه أنا اقتل بعلها وآخذها ولو طلبها كل من فى الدنيا قتلته عليها ان كانت كما يصف معاوية من هذا الجمال ولما يصور هذا فى قلبه أراد أن يزهد معاوية فيها فقال له ياوجه العرب تأنف نفسك وأنت سيد بنى سعد ان تحب جعفريه وزوجها عبد فقال له معاوية دع عنك هذا الكلام ياجابر فهذا شىء يرجع اليه أرباب البصائر وحق من كسى الليل حلة السواد وحلق العباد أن هذه الجارية لو تزوجت عشرين رجلا وبلغت من العمر مائة عام كانت أحسن كل من فى البرية من الأنام فلما سمع جابر هذا الكلام زاد به على عبلة الغرام والقلق والهيام وقال أنا أعلم هذه النوبة سبب ضرب رقبة معاوية بن النزال ولا يقتله غيرى ان هو ألح فى طلبها قال الراوى ولهذا الأمر كانت عرب ذلك الزمان تسمى الجاهلية لأجل جهلها بالشرائع وزيادة المطامع إلى أن دين القوم كان الصدق فى الكلام واعطاء الذما واطعام الطعام * ومازالت الطائفتان يحرسون بعضهم بعض إلى الصباح فركب بنو عبس على متون الخيل وانحدروا من الجبل مثل السيل وهم طالبون الحرب والقتال وقلوبهم ملآنة على معاوية بن النزال لأجل ماغدر بهم وفعل تلك الفعال وكان عنتر قد حنق عليه لأجل محبته وتوليعه بعبلة فجعل قصده اليه ومقرى الوحش لجابر بن نهاد سيد بنى تميم وتبادروا فارس لفارس ونطاعنوا كما جرت العادة إلا أن جابر اشتهى أن ينظر قتاله ويجربه فى نزاله فقال لبنى عمه يابنى عمى اصبروا بالحلة على قليل وانظر وامن منكم يخرج للبراز حتى نجرب قتال فرسان الحجاز فى النزال ولعل العبد الذى ذكر معاوية يخرج اليوم يطلب البراز وانظر صناعته بالرمح المسال وضربه بالسيف فى المجال لانه

معاوية وصفه فى القتال ولما تصور هذا فى قلب جابر خرج عشرة من الأبطال وأوسعوا فى المجال طولا وعرض وتدانى بعضهم بعض فنادى واحدمنهم وقد قرب من بنى عبس وقال يافرسان الحجاز هذا يدم الافتخار دونكم والبراز قدام هؤلاء الحضار حتى يبان الفارس المغوار من الجبان القوار قال فلما سمع فرسان بنى عبس هذا الكلام تبادروا إلى القتال والصدام فعند ذلك برز مقرى الوحش فى المجال وحلف وحق الملك المتعال يخرج إلى البراز غيره أحد من الرجال ثم انه قفز إلى الميدان وقال ويلكم ياأنذال العربان وأقل من نزل فى تلك الاطلال والدمن أتحسبون أنكم أبطال وتصيرون على طعن الرماح قطوال فما أنتم عشر رجال تقولوا انكم تقوموا بجيش زائدوها أنا فارس واحد فدونكم والحملة كلكم ثم انه بعد ذلك صال وجال ولعب بمهجهم فلم يكن ذلك إلا قدر طرفة عين حتى قتل سبعة وجرح اثنين وهرب منهم واحد وجابر لفعال مقرى الوحش يعاين ويشاهد إلا أن جابر لما رأى تلك الفعال حمل وقد حل به الويل والخبال بعد ما قال لاصحابه اثبتوا امكانكم حتى أخرج إلى ذلك الفارس ثم انه تأهب للخروج وجال قدام مقرى الوحش وتموج إلا أنه ماخرج وظهر حتى قتل مقرى الوحش عشرة فوارس أخر فصدمه جابر وصده عن الرجال فلما رأى مقرى الوحش إلى جابر وصدمته أشغله عماهو عازم عليه وقال له اسمع ياندل العرب كلام يبقى إلى آخر الزمان ثم انه أنشد يقول

اسقنى ياصاحبى كاس الحيا فضياء الصبح قد لاح مضيا
أسقنيها فى رياض كلما تنسمت أهدت لنا مسكا ذكيا
بين أقمار خلقهن لنا ربنا خلقا سويا آدميا
بخدود كلما قبلتها نشرت من خجل وردا طريا
وثغور تمازج الراح لنا برضاب يشفى الداء الدويا
فابذل النفس لادراك المنى واهجر الذل وعش عيشاً هنيا
لا تظن للموت سيفا يشهرا لا ولا يحتاج رمحاً سمهرياً
انما الموت قضاء منزل قد حكم الله حكما خفيا
فأين غسان والقوم الذين مضوا والدين القويم الازليا
خلق الله السيف بكفى ويدى وضجيعى منذ ما كنت صبيا
وكذلك الرمح صاحبى واختبر نى فرأى قلبى جريا
فهو يشكو عند غيرى عطشا وإذا صاحبنى بات رويا

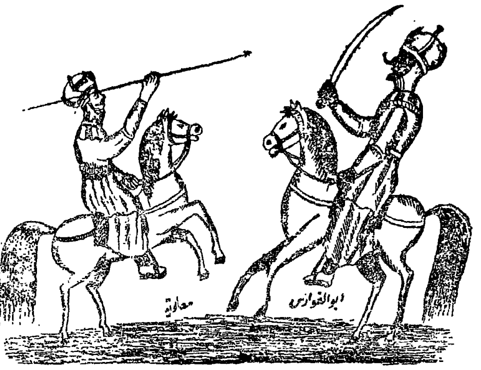
ياسباع البر سير نحونا وأصحبينا تشبعى لحما طريا
وكلى مما تريـــدى وادخرى وبلغى أحيانا سعـــد وطيا
واشعرى الابطال بمن فيهمو بأنا قتلنا جباراً عتياً

قال الراوى فلمافرغ مقرى الوحش من إنشاده أوسع فى ميدانه وطلب بلوغ مراده فأجابه جابر يقول

قد بلوت الدهر حتى بان لى كل سر كان فى الخلق خفيا
وشربت الخمر فى حاناتها ونهبت العمر والعيش هنيـا
وجبت الجيل فى عرض الفلا وعسفت بهـا والليل دجيـا
كم ظـــلام خضته فى مهمة أنظر الأقطار مستورا خفيا
خضته والجـن تخشى سطوتى وسنانى وحسامى المشرفيـا
يسمع السائر فى أقطـــارها ضجيج الغول والذئب عويا
كم شجاع فاتك قـــد قـدته بعد ما كان جباراً عتياً
من رأى أسد الشرى فى غابها ورآنى حقر الليث الجريا
يابنى عبس ابرزوا واحترزوا واحذروا الليث الهمام القسوريا

قال فلما فرغ جابر من هذه الأبيات جالت الفرسان على بعضها البعض وزلزلت حوافر خيلهم الأرض ولم يزالوا فى قتال وضراب حتى كثرت فيهم الأقوال هذا وعنتر أبصر فارس بنى تميم شديد القوى والحيل فخاف على مقرى الوحش من الويل والضياع فصاح فيه وقال له ويلك يافارس النياق استر اعلاك واحذر من الهلاك وكان عنتر ما قال هذا الكلام لمقرى الوحش لانه رأى جابر قليل الخبرة بحفظ رأسه فاعلم مقرى الوحش بذلك الكلام فهيأ نفسه وهز حسامه وأقام قامته إلى فوق فاحترز جابر من خصمه فعند ذلك ضربة مقرى الوحش على رأسه فطير خفة وقد نزل السيف فى رأسه وأعدامه أهله وناسه فلما نظرت فرسان بنى تميم ما قدجرى على سيدهم جابر فحملوا جميعاً على مقرى الوحش وقد قدموا فى أيديهم رماحهم وقد هان عليهم شرب حمامهم والبعض منهم قدجذب حسامه فعند ذلك صاح الملك قيس فى بنى عبس فحملوا ولاعنةخيولهم أرسلوا وقد حمل معاوية بن النزال وبنو سعد الأبطال وكان قدزاد غيظهم على قتل جابر بن نجاد سيد بنى تميم وقد حمل عنتر وبنو قراد وقد تصادمت الخيول الجياد وانكسى النهار حلة السواد وافتخر الشجاع على أقرانه وساد وقد خفقت منهم الارواح وصاروا أشباحا بلا أرواح وصار الشجاع ينادى لابراح

الجبان قد خلى المعمعة وراح وصار ذلك اليوم مثل يوم الميعاد وكان الامير عنتر بن شداد نثر الجماجم من على قامات الأبطال الجياد وصار يقصد رايات معاوية بن النزال ومازال على ذلك الحال حتى فرق عنه الابطال وصاح فيه ويلك يا غدار كيف أردت أن تخطى بعبلة طيبة الأخلاق وتحظى منها بالضم والعناق فنظر معاوية الامر عليه قد ضاق وقد أيقن من الدنيا بالفراق وقد تضاربا بالصوارم الرقاق ودام بينهما القتال وبعد ذلك اختلف بينهما طعنتان فاصلتان قاتلتان وكان السابق بالطعنة معاوية بن النزال إلا أنها طعنة خائف وطار لأنه استقبل وأيقن بالزوال فلما وصل رمحه إلى عنتر مسكه بيده وهمز عليه فكسره وصاح فيه عنتر



وانطبق عليه وكان معاوية قد عول على الانقلاب والهرب فطعنه عنتر فى جنبه قلبه إلى الارض وصار يختبط فى دمه ويطرب وبعد قتلته بذل الطعن فى بنى سعد وقد عاونه على فعله سادات بنى قراد وفرسان بنى عبس الاجواد وقالوا له نحن نفديك بالارواح يا فارس الزمان ثم أنهم حملوا وما كان أكثر من ساعة حتى ولت بنو سعد وأتبعهم بنى تميم وقد أحاط بهم البلاء العظيم فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وفى دون ساعة افترق ذلك الجمع العظيم لأنهم كانوا القدر أو الاميرين قتلوا والقبيلتين بلا مقدمين افترقوا وطلبوا لأنفسهم النجاة وقد

وأوسعوا فى الفلاة وعروة ومقرى الوحش يطرد خلفهم فى القفار إلى أن انقضى ذلك النهار وأقبل الليل بالأنذال وعاد الأبطال يطلبون الاهل والعيال وقد جمعت بنو عبس الأموال وما كان فى ذلك المكان ولما أصبح الصباح تشاوروا فى الرحيل من تلك الأرض أو المقال فقال الملك قيس الرحيل أصوب لنا عن المقام لاننا لا نامن على أنفسنا من بنى سعد ولا من بنى تميم أن يجمعوا لهم جيشا عظيم وينفذوه الينا فعند ذلك رحلوا وقد وقعت هيبتهم فى قلوب أهل وشاع ذكرهم فى هذه المعاهد والدمن قال الراوى وكان عنتر عند رحليهم ركب فى المقدمة هو وبنو قراد أصحاب الوقائع والجلاد وهم يقطعون الوهاد ويتعاهدون حديث معاوية ابن النزال وكيف عاد عذره إلى الوبال وصاروا يتذكرون ماجرى لهم فى أرض المصانع من الأموال والفجائع وأن خبرهم قد أصبح فى هذه البلاد شائع فعند ذلك أنشد عنتر وجعل يقول :

إذا كشف الزمان لك القناعا ومد إليك طرف الدهر باعا
وإن حانت منيتك القيها ودافع ما أستطعت لها أندفاعا
فمت فى ظل معركة كريم ولا تبكى المنازل والبقاعا
ولاتختر فرشا من حرير وتمسى فوقه تخشى النزاعا
وتصبح لا تمن على صديق إذا ما جاء طالب الوداعا
وحولك نسوة يندبن خوفا ويكشفن البراقع والقناعا
يقول لك الطبيب دواك عندى إذا ما جس زندك والذرعا
ولو عرف الطبيب دواء داء نهار الموت ما قاسى النزاعا
وفى يوم المصانع قد تركنا لنا بفعالنا خبرا يشاعا
أقمنا بالذوابل سوق حرب وأشهرت النفوس لها متاعا
روحى كان دلال المنايا نخاض جموعها وشرى وباعا
وسيفى كان فى البيدا حكيما يداوى الرأس من ألم الصداعا
أنا العبد الذى خبرت عنه وقد عاينتنى بعد السماعا
إذا الحرب العوان رمت شرارا أخوضها إذا زادت شعاعا
ولماسمع الجبان قريض شعرى أمسى بعده يخشى الشجاعه
أولو أسلت سيفى من دليل لكن بهيبتى يلقى السباعا
ملأت الارض من حسامى وحربى لاترى فيه أتساعا
إذا الابطال ولت خوف باسى ترى الاقطار باعا أو ذراعا

(قال الراوى) فلما فرغ الامير عنتر بن شداد من هذه الأبيات فاول من طرب لها مقرى الوحش وكذلك طربت لها السادات من بنى عبس الأجواد لأنه كان فصيحا شجاعا فزاد شكن عنتر فيهم إلا من مدحه وأثنى عليه وكان أكثرهم مدحا مقرى الوحش لأنه قال الله يا أبا الفوارس لأخليت لاحد مقالا ولا فعال ولولا سيفك فى أرض المصانع ما نزل أحد منا من الجبل فقال عنتر والله يا مقرى الوحش ما لنا عليك فى هذه الوقعة فضل لانك أنت قتلت فارس وأنا قتلت فارس وهما كانا سبب الكسرة وتفريج الكربة على أن الفارس الذى قتلته أنت أشد واقوى فقال مقرى الوحش وقد تبشم من مقاله والله يا أبا الفوارس ماقتل الاثنين إلا أنت ولولم ترعق على وتدلنى على مقاتلته ما كنت أعرف من أين الضربة ولا كيف أقتله وأهلكه قال الراوى وساروا على مثل ذلك يتحدثون والبر ينظرون حتى وصلوا إلى واد يقال له ماء النعام فرأوا تلك الأرض واسعة الجنبات وفيها مياه سارحات فنزلوا فيها وقال الملك قيس يا بنى عمى نقيم كلنا فى هذه الأرض لانها طيبة المعاهد ونكتفى شر كل معاند فقال عنتر أيها الملك ومتى تخلوا منازل اليمن من السكان والله ما نقدر نقيم فى المكان إلا إذا استغلبنا عليه بمضارب السيوف الحداد والرماح المداد ولا تحمل على وجه الأرض مالا ولا جمالا ولا نياق فقال له الملك قيس أفعل ما بدا لك ثم أنهم اقاموا فى طلب الراحة ولما أستقربهم المقام سأل عنتر أخاه شيبوب عن تلك الارض فقال له يا أبن الام فيها قوم يقال لهم بنى فهد وهاهم منا على أربعة فراسخ ولهم ملك يقال له الجرن بن روضه الفهدى وهو رجل جليل القدر كثير الفرسان وله مروه وذمام وهو صاحب نخوة وذمام ولكن مايخلو من يحرضه على أذيتكم والتعرض لكم فقال له عنتر ومن يحرضه على ذلك ويشير عليه حتى يسير فى طلب المهالك فقال شيبوب أعلم أنه فارس الارض وشجاعتها وأميرها ومقدمها عمرو بن ضمرة القينى فارس جبار وبطل مغوار ويقول فى نفسه انه يلتقى أهل الأرض لانه جاهل وفى طول عمرة يغير على القبائل ويهجج العرب عن الماء والمناهل ويسير فى الليل فارسا وراجل ويسبى البنات والحلائل ويركب الخيول الاصائل وأنا أعلم أنه ياتى إلى الملك الجون ولا بد أن يطمعه فى أمو لكم ويحرضه على قتالكم فقال عنتر يا أبن السوداوذمة العرب لا ينتز عمره ولا تركنه جسدا بلا روح ولا شك أنى ما وصلت إلى هنا إلا لانقطاع أجله وانصرام عمره وخراب بيته من بعده ولا بد لى أن أنفذ جاسوسا يرصده فى أرضه ويطلعنى على أخبارة وينظر مايجرى منه ويعود على الآثار (قال الراوى) فعند ذلك قال شيبوب حيثما الاكذلك يا ابن زبيبة ما لهذه إلا أن أسير أنا وأعود إلا بسائر

الأخبار وما أرجع إلا ببلوغ الآمال ولما قام بنو عبس فى تلك المضارب فى ذلك اليوم وصل خبرهم إلى بنى فهد وعلموا بهم وبنزولهم على ماء النعام وقد كثر عند الملك الجون الكلام وقال العقلاء من الواجب أن تشكر الرب القديم العلام الذى نور الأرض التى نحن فيها وقد جعلها آمنة وأسقاها الغيث وأخرج منها المرعى وساق هذه القبيلة إلى منازلنا فقال لهم الملك الجون يا بنى عمى اعلموا أنى عولت على أن أعطيهم الذمام والمنزل الذى نزلوا فيه ولكنى متعجب منهم كيف أنهم عبروا أرض المصانع وسلموا من معاوية من النزال وبنى تميم العرب الطاعه الخداعة ولا بد ما تصل الينا الأخبار فى هذه الأيام ندبر قدر السماء قال الأصمعى عفى الله عنه ثم انهم أقاموا بعد ذلك ينظرون ما يكون من بنى عبس الكرام أن كان يأتى من عندهم رسول بسلام أو يطيب ذمام فما أتى أحد منهم لا شيخ ولا غلام هذا وقد صلت الأخبار بنزول بنى عبس من الأموال والنوق والجمال ففرح بذلك يا رجال وقال والله لقد انفرجت عنى الهموم والأموال والشدايد وقد بلغت الآمال مما كنت أرجوه من الأحوال قال نجدو ما كان فرح عمرو بن ضمرة من أجل أموال وانما له فى ذلك غرض فى بنى عبس سوف نذكره فى موضعه أن شاء الله تعالى ونسوقه على الحال جرت إلى أنه لما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح عند ذلك وأراد أن يغير على بنى عبس من أول ما نزلوا فقالوا له ماهذا صواب لاننا نخاف أن يكون الملك الجون أعطاهم الذمام وأخذ منهم خفارة وساروا فى جواره ونحن نفعل هذه الفعال فلا نأمن عتبه والملام والرأى عندنا أنك تسير اليه وتنظر ما الذى جرى له مع بنى عبس وعلى أى وجه نزلوا عليه وبعدها نفعل على قدر ما ترى فقال لهم عمرو نعم الرأى فانه صايب من كل الجهات الأول ننظر ما دبره الثانى نعرف حالنا معهم ثم أن عمرو ركب فى خواص قومه وسير بعض العبيد أمامه وما زالوا كلهم سائرين الى أن وصلوا إلى ديار بنى فهد فسمع بخبرها الملك الجون ولما لاقاهم استقبلهم وسلم على عمر بن ضمرة وانزله فى خيامه وعقر له ونحروا كرمه غاية الاكرام وساله عن قدومه فى هذه الأيام قال عمرو وقد زاد بى الهيام إنى سمعت بنزول بنى عبس فى ديارنا من غير كلام واقامتهم فى أرضنا بغير أخبارنا فلما سمعت ذلك فرحت وأردت أن أقضى منهم أشغالى وأبلغ آمالى ولكن خفت من عتبك وملامك قلت فى بالى من قبل أن اعمل ما أردت من أعمالى أسير إلى الملك أنظر جوابه قبل عتابه ما أنا أتيت اليك أنظر أخبارهم (قال الراوى) فلما سمع الملك الجون من عمرو ذلك الكلام قال والله يا عمرو قد طال انتظارى وزادت بى أفكارى

وقد تحيرت أنا أيضاً منتظر فى هذه الأيام أن يأتى أحد منهم ويعرفهم حالهم فما طرق أحد منهم ومن أمس وصلنى عنهم خبر أشغلنى وزاد همى وذلك أنى كنت متعجباً كيف عبروا أرض المصانع وكيف سلم لهم عجائب واهوال ومن يكن فعلة هذه الفعال لا يجب أن يهمل أمرهم ولا يؤمن شرهم فقال له عمرو وحق الهبل الأعلى لقد فرحت بذلك وسر قلبى بنزولهم قال نجد فلما سمع الملك الجوان ذلك الكلام وقال وكيف ذلك ياعمرو وايش السبب الموجب لذلك وماهو الذى بينك وبينهم فهل لك دم تريد أخذه منهم فقال ولا ولكن تزوجت بابنة عمى زهرة بعد ماجرى لى من تحتها شدائد وأهوال وقاسيت من أهلها أمورا وأهوال وقد كان أباها شرط على شرطا وهو أنه لا يزفها الا ومعها من عرب الحجاز وعدنان جماعة يخدمونها وفى هذه الايام كنت معولا على المسير إلى ديارهم وأسبى حرائرهم فلما سمعت بنزولهم هذا شكرت الرب القديم الذى قرب إلى الطريق ولو كنت علمت أن ما بينك وبينهم ذمام كنت قضيت شغلى ومرادى منهم والآن فما بقى غير التدبير فى هلاكهم وأخذ أموالهم واكثرها من نوق بنى عمنا والجمال وقد صار بيننا بينهم دم أن كان كما ذكرنا انهم قتلوا معاوية وجابر ودائر فقال سادات بنى فهد والله ياعمرو ان هذا هو الصواب وهو ان تعود إلى بنى عمك وتجمع فرسانا كثيرة وتغير على هؤلاء الشياطين بعد يومين وتكون قد أنفذت لى مع بعض العبيد بغارتك حتى أركب فى سائر بنى فهد وندهمهم من ورائهم ونضع السيف فى أقصاهم وادناهم ونسوق أولادهم ونساهم وإن لم نفعل ذلك وإلا دخلهم فينا الطمع ويظنون أننا ماقعدنا عنهم الا فزع فقال عمرو بن ضمرة والله ياملك ما كنت محتاجا إلى معونة وأنا ما أقدر أخالفك وأنا ياملك أقنع بأن آخذ ثلاث جوار حرائر من بنى عبس ولك جميع الباقى فقال الملك الجون والله ما حكمك إلا فى الجميع وبالك فيهم قال الاصمعى فقال فى ياملك أن عبلة بنت مالك زوجة ذلك العبد والثانية الجمانة بنت ملكهم قيس والثالثة بنت عياض ابن ناشب وإلا بنت الربيع فقال الملك الجون ياعمرو اما أخترت أنت هؤلاء إلا بنى عبس وهذا مما أطاوعك عليه بل أنى أعطيك واحدة زوجة عنتر حتى أجعلها لبنت عمى خادمة لتنال بذلك شرفا وفخرا فقال له الملك الجون الأمر فى ذلك اليك وأعلم أننا إذا تحكمنا فى الحريم فالكل بين يديك قال نجد بن هاشم ثم انفصل الحال بينهم على مثل ذلك. وكان شيبوب وقف يسمع كل ما اتفقوا عليه من المقال قال وكان السبب فى ذلك ومجىء شيبوب إلى هاهنا أنه لما جرى بين عنتر وبينه ماذكرنا فقال له مايمضى فى ذلك إلا أنا وقد

سار من عنده وأتى إلى بنى فهد وما زال معهم حتى أتى عمرو بن ضمره إلى أهله بعد أن أوصى له الملك الجون أن يكون على أهبة القتال فقال له السمع والطاعة يا سيدى الرجال فعند ذلك عاد شيبوب إلى أخيه الأمير عنتر وأعلمه بما جرى وقص عليه ما سمع من بنى فهد وما اتفقوا عليه وأنهم قد تهيأ كلهم للمسير إليكم تكونوا على حذر من أمركم ولا تغفلوا عن أنفسكم فيبتلوا منهم بالمصائب والاحزان لانهم على كل حال أصحاب البلدان (قال الراوى) فلما سمع عنتر فى نيته وأصر واقطع عمره بالنار بما سمع من هذه الأخبار فقال عنتر والله لاأقابلنا بما أضمر فى نيته وأصر واقطع عمره بالحسام من قبل أن يجعل عبلة بنت عمى خادمته فقال شيبوب وايش فى نيتك أن تفعل فقال اعلم يا ابن الأم أنى أسير إليه فى مائة فارس وأفعل به كما أراد أن يفعل بنا وإذا نحن فرغنا منه عدنا إلى بنى فهد وأمحق عددهم وأسبى حريمهم وآخذ أولادهم ونصير نحن أولاد هذه البلاد فقال له شيبوب يا أخى ما تبلغ من بنى القين مرادك لانهم فى عالم كثير وخلق عظيم ولكن الصواب عندى أنك توصى بنى عبس بالقيظة وتترك عندهم مقرى الوحش وتسير أنت كما ذكرت وأنا أعرف أكمن بكم ولا زال أراعى عمر إلى أن يجتمع كل من فى الحى من الرجال ويسير طالبا لنا كما اشتقر بينه وبين الملك الجون الوعد فقال ومن أين تخرج بنا إلى لقاهم فقال شيبوب أنا أقصد لكم حريمهم وعيالهم وأدعكم تتحكمون فى أموالهم وإذا نحن أخذنا ما أردنا وبلغنا الامل لأن عمرا إذا رأى زوجته معنا وهى مسبية على بعض الجمال وقومنا فى القتال أنقطع عمره وحار فى أمره وقد تمكنت أنت من انصرام عمره فقال له عنتر على مثل ذلك كنت معول وقد أردت أن أقوله لك فسبقتنى أنت إليه وكنت أهدى من غيرك عليه وقد أشرت بما خطر يا ابن الام فى بالى ثم أن عنتر بعد ذلك قام ودخل على الملك قيس وأعلمه بما سمع وبما قد وعول عليه عمرو بن ضمرة فقال الملك قيس والله يا أبا الفوارس ما هذا إلا الأمر صعب ولو كنا علمنا أننا نلتقى هذا الملتقى كله ويحصل لنا هذا التعب والعنا فى أرض اليمن لما كنا دخلنا إلى هذه الديار لاننا كل أرض أتيناها ونزلنا فيها داخل أهلها الطمع فينا وهذا كله تعب وما أقول أننا بعد ذاك نرجع ننظر أرض الحجاز إلا أن تدركنا عناية من رب الارض والسماء فقال عنتر يا ملك إيش هذا الكلام فلا تقل هذا المقال فتقطع قلوب رفاقنا فى الحرب والنزال ولكن يا ملك طب نفسا وقر عينا فأنت ابن كل من فى أرض الحجاز واليمن ما دامت هذه الرأس على أعلى البدن واعلم أنى والله ما أتركك فى بلاد اليمن ملكا يعلاك ولا يكون سواك ولا أترك لهذه الديار نوق ولا جمال حتى أنى أسوقها إليك واعلم أنه قد ثبت عندى أن الرب القديم ما أدخلنى هذه

الديار وهذه الأقاليم إلا لأجل قوم أعمارهم تقارب زوالها ثم أن عنتر أنفذ خلف مقرى الوحش فحضر وأعلمه بالقصة وأوصاه بالاحتراز فقال مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس لو اجتمع حوالينا كل من فى الأرض قدرت أن أطاولهم بالبراز اليوم والعشرة إلى أن تعود وأن كان قلبك غير طيب فاقم هاهنا عند الحريم والعيال وأن أردتنى أن أتكلف لهذه الخدمة فدعنى أسير إلى بنى القليان فى عشرين فارساشدادوأكفيك مؤونتهم ومؤونة عمرو ابن ضمرة وكل من معه من الفرسان (قال الراوى) فلما سمع عنتر من مقرى الوحش ذلك الكلام قال له يا أخى إنما يشفى قلبى معاناتى لأمرى بروحى ومرادى أورى هذا الذى تولع بابنة عمى عبلة وأذيقه كاس الوبال وأعلمه كيف تكون خصومة الرجال ثم أن عنتر عاد إلى مضاربه وأمر عروة بن الورد وأصحابه الكرام أن يستعدوا ثم ركب جواده الابجر وسار فى مائة فارس من فرسان بنى عبس وكان الأمير شيبوب بين يديه حتى أشرف على ديار عمرو وكن بهم هناك ولبس أثواب خلقته ودخل الحلة وسأل عن عبيد عمرو فاخبروه العبيد أنه سار إلى غزو بنى عبس فعند ذلك فرح شيبوب وأطرب وورد إلى أخيه عنتر وأخبره بما سمع وعند ذلك ظهر عنتر من بين الرمال وسارت من خلفه الرجال وأظهروا صوتهم وكبسوا الحلة وقد بدر عنتر الرجال وفى دون ساعة ارتفع الصياح فى الجهات وأنقلعت العبرات وهجت النسوان وبكت البنات المخدرات (قال الراوى) لتلك الاشارات وقد ساق شيبوب أخت عمرو إلى بين يدى أخيه الأمير عنتر وأخذ أيضاً زوجته زهرة التى كانت تريد أن تستخدم عبلة وأخذ تمام المائة من الحرائر والبنات وسمع عنتر بكلامهم فتألم وقال لعروة أترك هؤلاء النسوان لان ما لنا عليهم ثار تستوفيه وامض بنا إلى قومنا حتى نلحق الرجال فعند ذلك أطلقوا الجميع وعادوا راجعين يريدون أهلهم وكان عبورهم على المسارح المواشى قطعة جيدة بين أيديهم من النوق والجمال وساروا وهم مجدين فى السير طالبين أهلهم وقلوبهم على نساءهم فى التهاب وجدوا فى السير عدوا وابتكاراً ولم يركنوا إلى هدو ولا قرار وهلم يحسبون الف حساب قال نجد فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما فعلوا وأما ما كان من عمرو بن ضمرة فانه لما سار هو وأصحابه سار وهو فرحان بما معه من الأبطال ومازال سائرا إلى أن قارب الأرض التى فيها بنو عبس فرأوهم قد أشرفوا على مراعيهم وأموالهم والطلول فرأوا بنى عبس كذلك فركبوا إلا أنهم عارفين بذلك قال وكان عمرو أنفذ إلى الملك الجون يعرفه بوصوله ثم قال عمرو ارجاله أبشروا بالخير الوافر كل هذا رزق أنفذه الرب القديم اليكم ثم حمل وحملت رجاله خلفه وفى دون ساعة أختلطت الرجال

بالرجال وعظم الزلزال (قال الراوى) وكان الملك قيس تحت الرايات وقد مسكوا معهم نصف فرسان بنى تميم وجدت لهم قوة ونشاط ومعهم أيضاً فارس النياق الأمير مقرى الوحش واختلف الطعن والضرب واشتد البلاء والكرب وطلع الغبار فوق الاقطار وهطلت الدماء فكانت مثل الامطار وقد دام الأمر كذلك إلى نصف النهار (قال الراوى) وقد استظهرت بنو عبس على بنى القين وأبعدوهم عن الديار قوة واقتدار وقد جرى لمقرى الوحش وعمر ماحير النظار ويذهل الأفكار حتى كل واحد منهما لو كان حاضرا والآخر غائب لكان كسر الفريق الذى بين يديه وسطا وتغلب عليه قال نجد وعند المسا أشرف بنو فهد بكثرة عددهم وقد أشرق البر من لمع زردهم فرأو القتال يعمل فحملوا بجلتهم فكانوا جملة عظيمة وتتابعوا فى طلب الغنيمة ردوا بنى عبس إلى الخيام وقتلوا منهم جماعة وقد انسد الظلام ولما انفصلوا التقى عمرو بالملك الجون وشكره على أفعاله وقال له وحق اللات والعزى ما لفرسان بنى عبس مثال وطول عمرى ما رأيت أخبر منهم فى القتال ولولا حاميتهم وقع اليوم فى قسمى لكنت كسرت جملتهم ونهبت مالهم وما كنت وصلت أيها الملك إلا والسبى واقع فى نسائهم وأموالهم على أن فارسهم كان وصف لى أنه عبد أسود وذلك الفارس الذى أقاتله رجل أشقر طويل ولكنه خبير بطعن الرمح وكان يبغى السؤال عن أصله ولكن فى غد أخرج إلى القتال واطلب البراز وانجز أمر هؤلاء انجازا سمح لاصحابنا بنهب الأموال (قال الراوى) ثم أنهم بعــــد ذلك القتال نزلوا وضربت لهم المضارب والخيام ونزلوا الراحه والمنام وأكل الطعام وكان اليوم قد أيقنوا ببلوغ المرام فهذا ما كان من أمر هؤلاء اللئام وأما كان من بنى عبس الكرام فانهم لما عادوا عند المسا كانوا قد خسروا غاية الخسران وصار الملك يشكر مقرى الوحش على فعاله ويقول له والله لو كان حصل أمر كان وقع بنا المحاق وكنا تشتتنا فى سائر الآفاق فقال له مقرى الوحش يا ملك طب نفسا وقر عينا وافعل الآن ما تريد وما تختار فانا أنوب عنك واقتل بين يديك جهدى وافعل ما أقدر عليه فى الليلة والنهار على أننا اليوم ما كنا إلا رابحين لولا وصول بنى فهد عند المسا واشتغالى أنا بفارس بنى القين ما كنا خاسرين لكن فى غداة غد خرج إلى البراز وأنا بنفسى وأوريك ما أفعل بفرسانهم وأردهم عنا إلى أن يقدم عنتر ابن شداد الهمام الينا لانه حاميتنا وردنا (قال الراوى) ثم أنهم نزلوا فى الخيام وأخذوا الراحة وأكلوا ما تيسر من الطعام وتولى الأمير مقرى الوحش حرسهم ومعه جماعة من الابطال الذين عليهم المعتمد فى الشدائد والأهوال فهذا ما كان من بنى

عبس وماجرى لهم وأما ما كان من بنى فهد وبنى القين وفارسهم عمرو فايقنوا ان عند الصباح يتفرق شمل بنى عبس فى الأقطار وتسبى نساءهم الأحرار وبات وهو يقول لبنى عمه على ذلك المقال ثم انه تولى حرسهم ولما كان عند السحر وصل اليه عبده من عبيد زوجته وأخبره بما تم فى حلته وماجرى بعد مسيره ومافعل عنتر ومازال يكرر عليه الحديث فقال له وا كربتاه منك يا عبد السوء يالها من مصيبة فوحق اللات والعزى وما ابقى من بنى عبس أحدا قال نجد بن هشام ثم ان عمرو بن ضمره عاد إلى الملك الجون واخبره بماجرى وماتم عند غيابه وماجرى ومافعل بنو عبس مع أهله وعشيرته من الفعال قال الراوى فلما سمع الملك الجون بذلك ضاق صدره وتبلبل فكره واحتار فى أمره عماجرى فعندها قال لعمروا والله لقد أخطر فى سبى الحريم ولكن مافعل هذا العبد تلك الفعال إلا بسبب زوجيه وروحه بعدها لأنه اخطأ معنا بهذه الفعال ولكن أعلم أن الرأى أن تنجز أمر هذه القبيلة عند الصباح حتى إذا عاد عنتر فما يكون له ملجأ ولا حمى بعد ذلك ونقتله هو ومن معه ونخلص منه الحريم والعيال قال الأصمعى ثم أنهم قضوا باقى الليل بمثل ذلك الهذيان والفشار إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعندها ركب عمرو وزعق المواكب فركبوا والحرب طلبوا ولما أن ركبوا وتهيئوا للقتال أعلم عمرو بنى القين بما جرى فلما علموا بذلك اشتعلت فى قلوبهم النار وهاجت فى كبودهم فقال جماعة منهم ياعمرو عدبنا إلى هذا الشيطان نصرم عمره ونقابله على هذه الفعال ونرغم أنفه ونلعن أباجده ونخلص منه المال والعيال فقال يابنى عمى أعلموا أننا ما نحتاج إلى هذا ولا نولى من بين أيديهم ونترك علينا اسم الهزيمة والهرب ونترك بنى فهد تملك هذه الطائفة وتفوز بالذكور وتأخذ الغنيمة وتحتوى عليها ولكن الصواب يابنى عمى أننا نقيم نبدل فى بنى عبس السيوف والفنا ونصبر إلى أن يأتى فارسهم عنتر العبيد الزنيم وأرقكم ماأفعل به وأجازية على فعاله وإلى أن يمضى وأناخلفه ولاله من الوصول إلى هذا اليوم أوغد فاحملوا على هؤلاء وأعلموا أننا كلنا فى الكائنات سواء قال الأصمعى ثم أنهم حملوا على بنى عبس وصاح أيضا الملك الجوان فى مواكبه قال وكانت بنو عبس أرادت أن تطال القوم بالبراز فاوجدا إلى ذلك سبيل وكان أراء مقرى الوحش أيضا ولكن ماساعده إلا أنه حمل وتلقى اسنه الرماح بصدرة واظهر جلده وقاتل قتال الرجال المخبورة قال وكان الملك قيس واقفا تحت الأعلام قبال الجون واما بنو زياد وفرقه أخرى من عبس معهم فانهم اصطلوا نار الحرب والجلاد لأن الحرب دارت ببنى عبس كما ذكرنا فاقترقبوا على هذا

الترتيب وصار كل جماعة تقاتل من ناحيه وا حكموا السيف فى البعيد والقريب وكان ذلك
اليوم مذكور من عجائب معجب سيقت النفوس إلى سوق السماح وقد تناثرت الجماجم من
اعلى غصون الأشجار وقد على الضجيج وا بصرت الفرسان ماحيرها والصياح وا بصرت
واشتهت أن تنظر طريق النجاة وصبرت أبطال بنى عبس على كثرة العدد ومازالت
تقاتل إلى أن قل منها الجلد وضعفت عن حمل الحديد والزرد وتراجعوا لما كثر عليهم العدد
إلى اطراف الخيام وصار القتال يعمل بين اطناب الخيام وصار مقرى الوحش بغير على
الخيل ثم أنه يحمى جانبها وكما مارای طائفة بنى عبس تضعضعت عن القتال وضعفت
يمينها ويلقى عنها النوائب ولما نظر الملك قيس إلى ضعف بنى عبس وعدنان وتاخرهم عن
الحرب والطعان وقلة عزمهم وهممهم لانهم قد خافوا من اعدائهم حمل باخوته واهله وعشيرته
تلك الاحوال إلى أن ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال توقع النهب فى ابيات بنى
زياد وصار الربيع عن نفسه ويمانع وقد جادل مع الاعداء أشدا الجدال وفى ذلك
الوقت نظرت عبيده فرأت الخلل عليه قد ذكرنا ما فى الربيع من القوة والشدة
وقد قاتل الرجال حتى عملت فى جسده الرماح المداد والسيوف الحداد واشرفت
قبيلته على سبى الحريم وباتت القبيلة على ذلك المنهاج إلى أن طلع النهار بالانتهاج
وعلا وثار وسد مناقس الاقطار وأظلم منه ضوء النهار فتبينوه الرجال الاجواد وإذا
هم رأوا من تحته قرن الدولتين حامل القبيلتين فارس الاقطار مشيخ الاطيار الطويل النجاد
الضارب بالسيوف الحداد الامير عنتر بن شداد وصحبته عروة بن الورد ورجاله
الاجواد وقدامهم سبى بنى القين الذين اجوابهم البلاء والشين ولاسيما أمام الكل هودج
عالى قد حازه صاحب المخ والمعالى ومن داخلة زهرة زوجة عمرا بن ضمرة الاانهم لما
اشرفوا فى الساعة تبينوا إلى قومهم فراوهم فى اذيال الخيام وقد ضاقت عليهم المضارب
والاكام فهناك قال لعنتر لعروة بن الورد يا أبن العم وحق الحرام ماعليه من الالهة
والاصنام لولا لحقنا قومنا فى ذلك النهار إلا كانوا فى البرارى والبراوى والقفار نحن
ماكانت غيبتنا بعيدة لكن ياشقاهم من بعدى فقال له عروه صدقت ياأبا الفوارس
من يازين المجالس أنا أعلم انهم بعدو فاتك لم يبق منهم راجل ولافارس لان سعادة هذه
القبيلة مقرونة بك ولم يبق لهم ذكر من بعدك أنا إلا إذا كنت أنت حاضر القى الف والالفين
وان كنت غائب ماأقدر اثبت قدام فارس وأن كنت فى شك من حديثى هذا اصبر ساعة

وأنظر ما أفعل ثم أنه بعد كلامه حمل وصاح حتى تصور للقوم أنه قلب البطاح هنالك التفت عنتر إلى شيبوب وقال له سق خلفي هذا المال رأنا أوسع لك الطريق وأجندل هؤلاء الأبطال حتى توصلهم إلى أهلنا والاطلال فقال له شيبوب نعم الرأى يا ابن الام ثم أنه زعق فى الابجر زعقة تفلق الحجر وصاح شيبوب فى العبيد وأمرهم بسوق المال والرجال التى معهم لهم كونوا من خلفهم حامقة ففعلوا تلك الفعال وساقوا الهوادج والاموال وجمعوا النياق والجمال بأطراف الرماح العوال وفى تلك الساعة تامل عمرو بن ضمرة إلى تلك الفعال فضج عنده الخبر ولما سمع نداء زوجته زهرة طار عقله وتخبل أمره وقال لرجاله هذا العبد الذى كنا فى الانتظار أتينا إلى نهب حريمه فسبقنا هو إلى الديار فدونكم وإياه ومن له قتيل بغاه لاننا صرنا فى البلاء سواء وما عادلنا منها دراء الا الضرب بالسيف الفصال فاطلبوه قبل أن يصل إلى الاطلال وتزيد معه الرجال قال الراوى فعندها طلبت عنتر الاقيال وأقبلوا عليه مثل السيل إذا سال أو الظل إذا مال وفى ذلك الوقت زاد الصياح ولما علم عنتر بهذه الاوال على ما فى ضميرهم رماوهم فاستقبل بهم وترك بنى عبس بهلاك النفس وكلما أتت عليه رجال متتابعة يضرب فيهم ضربات قاطعة ويجعل رؤسهم مقطعة لان ضرباته لا تردها بيض ولا خود بل تفلق الهام وتخرق الزرود وقد فعل فى تلك الساعة فعلا مهول وخل الشجاع مذلول فهذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر الرجال التى تقاتل مع مقرى الوحش فانهم لما سمعوا صياح أبى الفوارس عنتر زال عنهم كل أمر منكر وحملوا نحوه واقتفوا منه الاثر فاغتاظ مقرى الوحش من ذلك وأيقن بالبلاء والمهالك لانه صار وحيدا فريدا إلا أنه مكن من أعدائه الضرب وأشعل بقوته نار الحرب فرجعت الرجعت التى هربت من بنى عبس وقويت شوكتهم وحملوا وأملوا النصر بوجود حاميتهم هذا كله يجرى وعنتر يقتل الأبطال ويجندل الاقيال لسكنه طالت حيه والاطلال لاجل وصول هذا المال من وسط تلك الاعداء الانذال وهو فى أثره وشيبوب تابعه وعروة بن الورد فعل فعلا منكر وحير بضرباته البصر وشاهد تلك الامور عنتر ففرح واستبشر وعلم أن كلامه الذى قاله له فى محله وما زالوا على هذا الحال إلى أن ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال وفى ذلك الوقت وصلوا إلى حيهم والاطلال وما راح من المال ولا عقال وقد انفصلوا عن الحرب والقتال واستقرت فى أوطانها وكان أعظمهم حرقة وأكبرهم مشقة عمرو بن ضمره لاجل سبى

(تم الجزء السابع عشر ويليه الثامن عشر)

(الجزء الثامن عشر)

من سيرة عنتر بن شـــداد

زوجته زهرة وقد تحسر على ما جرى لأنه ما حمل فى ذلك اليوم بل وقف ينظر عنتر وقتاله فاهاله أعماله وكان تعينا لا مقدرة له على القتال من كثر ما عمل فى غياب أبى الفوارس عنتر وكان قد تبعه مقرى الوحش وفى ذلك الوقت أحصى من قتل من أبطالهم فرآهم نحو ثلثمائة فارس من كل بطل مداعس فاشتعلت بقلبه النيران وحل به الذل والهوان وقال يا بنى عمى وا أسفاه على ما فعل ابن الرعاة لكن واشوقاه إلى الصبح وأخرج إلى الحرب والكفاح وأعلموا أن هذه النوبة ما يفصلها إلا أنا من هذا العبد ابن الزنا وما زالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وحمل بنو القين وبنو فهد واعتقلوا بالرماح وأما عنتر فانه لما وصل تلقته الابطال والنسوان وشكر الهما لاقوا من الأعداء فقال لهم أكون لكم الفداء ثم بعدها تقدم إلى ابنة عمه عبلة وسألها عن حالها فقالت بخير فقال لها يا ابنة عمى هذه زوجة من أراد أن يسبيك واضمر فى نفسه أنه يستخدمك فقالت يا ابن العم مادمت أنت تعيش لا أرى بؤسا ثم قبلته فى عارضه ونحره وهو قبلها بين عينيها وفى ثغرها وعاد من وقته وساعته إلى الملك قيس وهناه بالسلامة وإزالة البؤس والندامة فقال له والله يا عنتر ما كان حامينا بعدك إلا فارس النياق الذى فاقت شجاعته على جميع الورى والآفاق وباتوا فى هناء وسرور إلى أن ولى الليل واستحال وأقبل النهار وهنالك تأهبوا للحرب والقتل والطعن والنزال وركب أيضا الأمير عنتر جواده الابجر وتقلد بحد الكوت الاسمر وركبت بنو عبس بكليتها فرحا بقدوم حاميها وقد انحدروا إلى الميدان ومحل الضرب الطعان وهم مثل البحار الزخرات والسبيع والضاربات (قال الراوى) إلا أن أول من طلب الطعن والضرب والقتال والحرب عمرو بن ضمرة كان راكب فى ذلك اليوم على حجرة مكركرة وفى يده قنا مقومة ومتقلد بصفيحة وقد أفرغ على جسده زردية ثم أنه تقدم إلى بنى عبس وأظهر لهم الدلال والاعجاب وقد أغتم بسبى بنت عمه

وهو زائد بها غمه ولما أن صار بين الصفين وجال بين الفريقين وأنشد يقول

لاتلمنى قد قادنى كل هم وغم وصبح عندى
وفؤادى بنار اللهيب موقدة من عظم وجدى
لأنه قد سبا مهجة قلبى عبد أسود وابن عبدى
وأنا فارس قحطان سطوتى فى أرض نجدى
فابرزوا لى عنترا لا ريه التعدى
منه أشفى ما بقلبى ثم أطفى لهيب وجدى

قال الراوى فلما فرغ عمرو من هذه الابيات وسمعها عنتر ورأى جماله قال لاشك أن هذا الذى بسببه تلك المصائب والنوائب لم يزل فى جهله حتى تدوس الخيل على قلبه ويتقاسم الوحش لحمه ويذوب جلده وعظمه ثم أنه بعد هذا الكلام قاربه وأجابه على عروض شعره وهو يقول

حقا أنا عبد وابن عبد وجميع ما تطلبه عندى
وما أنا عبد إلا لربى فهو الواحد الفرى الصمدى
وإذا ذقت ضرباتى سريعاً تعرف عمى وجدى
لاتقل جدى فلان وأنا عمرو بن معدى
كم أمير وابن أمير جاءنى للحرب يبدى
فى كتائب مع مواكب فوق جرد من خيل نجدى
حين يروا أجرى أقيل مثل سبع البر يقدى
ولى منى شاردا وما قدر يقدر لعندى
أنا طعان الفوارس جميعاً وأشبع الاطيار لعندى
وأما أنت يا ابن ضمرة سوف أوريك التعدى
واقتلك قتلة شنيعة واجعلك على الارض مردى
انده إلى عمك وجدك يلتقونى اليوم وحدى
وإن عدت منى سليما فالتقى من شئت بعدى

قال الراوى فلما فرغ الامير عنتر بن شداد من هذه الابيات وعمرو يسمعها على تلك الصفات حمل الاثنان على بعضهما البعض واقتتلا طولا وعرض وقد أوسعا فى الميدان وأحاداً وكان ضربهما تتعوذ منه فروخ الجان وقد جرت الخيل بهم جرياً رحيبا حتى رأت الفرسان منهم العجيبا وكان قتال عنتر مع غريمه قتال من ضاع حريمه وقد وقع بعد الاياس بغريمه وكان عمرو بن ضمرة أعظم حنقا وأشد من عنتر قلق لانه يقرب من بنى

عبس وسمع صياح زوجته وهى تقول يافارس بنى القين ويامن إذا رأيته تقر منى العين نمت عنى وتركتنى فى يد الأعداء أضرب وأهان وأقاسى من العذاب الوان بعدما وعدتنى بخدمة عبلة العبسية صرت أنا مسبية وأجلب اللبن وأضرم لها النار وأخدمها ليلا ونهار وأنا عندها مثل بعض الجوار فما هذه عادتك وماهذه همتك أيهون عليك يا ابن العم أنا فيه نخود الطعن والضرب وأعمل على خلاصى من هذا البلاء والكرب (قال الراوى) وماسمع من زوجته هذا الكلام حتى صار الضيا فى وجهه ظلام وأشتد على قلبه الحرب والصدام لأن كلام زوجته كان عليه أشد من ضرب الحسام إلا أن الحرب لم يزل بين الفارسين حتى حمى الحرب وأوهج البر وقد تطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالصفاح حتى أثخنوا بالجراح وقد رأى عمرو من عنتر شيئا فى حسابه وقد تقطعت به الأسباب وأنسدت فى وجهه جميع الأبواب وضاقت عليه الأماكن والرجال وهان عليه الهلاك والذهاب إلا أنه أرتمى على عنتر وطعنه طعنة عظيمه وأظهر فيها قوته والعزيمة وطلب بتلك الطعنة جنب عنتر الشمال وأراد قتله والارتحال فصبر عنتر على الطعنة إلى أن قربت منه وقد أخذ ذلك الطعنة من الهوى بشدة حيلة والقوى وهزها حتى لم الموت من سنها وقطعها قطعتين ومسك نصاب السنان وطلب به صدره وأراد أن ينجز أمره فولى من بين يديه هارب والنجاب طالب لأنه مابين يديه وقد التفت إلى ماكان حواليه وقال والله يا بنى عمى ماكان تعرضنا لهذا الفارس الظالم بصواب لأنه والله جعله الله سبحانه عذاب وأن فارسنا الذى كنا نعتمد عليه قد أشرف على الذهاب وأنا كنت أقول ما على وجه الأرض أفرس منه قبل ما أنظر هذا الفارس العبسى وفارسنا معه على خطر ونخشى عليه من قلع الأثر والصواب ياوجوه العرب أننا ندبر قصتنا من قبل ما يعظم أمرنا وأنه هو الآن تبع فارسنا فارسنا فما نعرف أيش يجرى عليه منه فقالوا له أيها الملك المهاب أحمل بنا عليهم حتى أننا ننجز أمرهم قبل أن يرجع فارسهم لأنه جبار ولا يقع له على عيار وما القضاء عليه من سلطان لأنه تفزع منه الشيطاطين الجان فقال لهم الملك الجون ماهذا صوب لأننا أن حملنا رجع الينا أبادنا ويقوى القتال ويعظم النزال وإنما عندى بهم النحس والنكس قال الراوى فبينما الملك جون مع رجاله فى مثل هذه الأقوال إذا بصيحة عظيمة من تحت الغبار واحد الفارسين ينادى ياأهل عبس وعدنان لاشقيت أبدا أنا حبيب عبلة طول المداد وقد بلغت المراد من هذا الطاغى بن الأوغاد وكان السبب فى هذه الزعقة أن عنتر لما أراد أن يطعنه بقاطع حربته وإلى هارب وإلى النجاة طالب فتبع عنتر

منه الأثر إلى أن لحقه فى هذا البر الأقفر وسل سيفه الظامى الأبتر وضربه ضربة هاشمية أطاح رأسه من بين كتفيه فوقع على الأرض مثل الممدد وصار كأنه من بعض العمد ولما أن إنكشف عن عنتر الغبار وبان للنظار صال وجال وأنشد يقول

ماشهر السيف فى كفى وأغمده ... إلا وفى حده للضرب آثار
المهر يشهد أنى أخوض به ... بحر العجاج وفى أطرافه النهار
ضربت عمرا على الخيشوم معتمد ... وهكذا الدهر أقبال وأدبار

قال الراوى ولما فرغ عنتر من هذه الأبيات حتى ماجت الصفوف من بنى فهد وبنى القين لما علموا بأن عمرو أذاق العذاب المهين وأطلقوا الأعنه وقوموا الأسنه وصرخوا وللحرب أسنة بلوا على القتال عنتر عولوا فبينماهم كذلك وإذا بالملك الجون أقبل عليهم فى عشرة فوارس من أرباب دولته ورؤس عشيرته لما خرج من تحت علمه ورأيته فلما قرب من الصفين وصار عند الفرقتين قال لهؤلاء الرجال ردالطوائف عن الحرب والقتال لأن مرادى أطلب من بنى عبس الصلح بحسن الملاطفة لأنا أن طلبنا حربهم ما يبقو منا نسمة ثم مر عليهم رجلا جليل المقدار إلى أن وصل اليهم وردهم عن الحرب والقتال وأخبرهم بما أمر الملك المفضال فرجعوا عن ماعزموا عليه من الأعمال وقد قصد إلى بنى عبس الأقيال إلى أن وقف قدام عنتر الفارس الريبال وحياه بالسلام والتحية والأكرام فاجابه عنتر إلى التحية وزاده فى الاكرام وقال له ما حاجتك أيها الحاجب الجليل ولاشىء بعدتى عز بلوغ قصدى وأعقتنى عن مطى فقال لا ياسيدى الفرسان وعروس أهل هذا الزمان أجب مقدم القوم وأمهل علينا قليل لحين ننظر منه ما يقول الأسر بنا إلى المقدم عليكم المشار اليه فيكم حتى أبلغه الرسالة وأخبره بما هى من المقالة فان قبلتموها كان وإلا فما بيننا وبينكم إلا الحرب والطعان قال الراوى فلما سمع عنتر من الحاجب هذا الكلام عاديه عاجلا إلى الخيام فتعجب فرسان بنى القين مما رأت وحارت من هذه الأمور لما شاهدتها وإذا هم بالملك قيس جالس على سرير مملكته وحول أهل دولته وباقى الرجال واقف فى خدمته إلا أن الحاجب لما صار قدام قيس سلم وترجم وأحسن ما به تكلم وقبل يد الملك قيس وخدم ودعا له بطول البقاء والنعم وازالة البؤس والنقم وقال الله الملك المهاب وأدام سعادته والأقبال ونشر عدله فى سائر الأماكن والبلدان أعلم أيها الملك المطاع والقرم المناع أن صاحبنا وملكنا الملك الجون يقول لك أن صحاب المنازل العوال وسادات العرب أهل الكمال لاتكمل احسابهم ولا يتم نسبهم إلا بالانصاف وترك الجور والأسراف والعفو عند المقدرة عمن أساء وجفا الذم ثم أنه ياسيد الفرسان سيدى الملك الجون أرسلنى اليك فى ترك الحرب والقتال والطعن

والنزال والرحيل من ديارنا والأطلال لأن ما بيننا وبينكم دم ولا مطالبه تحوج لهذا الأمر والعناد وما حملنا على قتالكم إلا عمرو بن ضمرة وقد تهرم عمره لأنه كان رجلا جاهل فلولاه ما وقع بيننا حرب ولا قتال وما كان جواركم لنا إلا أحسن الجوار وما أمركم الملك الجون بالارتحال من هذه الأرض والأطلال إلا خوفا من الجهال أن يثير والفتنة ثانيا وأن



لا يطيب لنا ولكم عيش * فلما سمع الملك قيس هذا الكلام قال هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر البطل الهمام والأسد الضرغام فانه حين سمع منه هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام واحمرت عيناه أربد شدقاه فلما رأى قيس من عنتر هذا الأمر خاف أن يبطش بالرسول ويقتله فما زال يلاطفه إلى أن هدأ روعه وسكن وزعة والتفت إلى الرسول وقال له ياوجه العرب لأى شىء ما كانت هذه الرسالة من الأول لكن صاحبكم قد داخله فينا الطمع لما رأى قلتنا وظن أننا من فرسان اليمن نحن لولا اعلم أننا كفء لكم ما كنا نزلنا بأرضكم وما نحن مقيمين إلا بقدر راحة العيال لأننا ما أعجبتنا هذه الأرض والأطلال وأيضا أعمك أننا لو أعجبتنا أرضكم لاخذناها منكم وكنا نبيدكم بالحرب والطعان وكنا نشتتكم إلى أقصى مكان ولا نترك منكم

انسان ولما أن فعلتم تلك الفعال وباديتمونا بفعائل الانذال أراد حامينا أن يشتتكم إلى أقصى البلدان وحلف أنه لا يبقى منكم صغير ولا كبير ولا غنى ولا فقير ولكن لما أرسلك سيدك بهذه الرسالة أجبنا إلى ما أراد لأنا نحن أصحاب الزمام وجارنا ليس يضام ولكن عد إليه من وقتك وساعتك وأعلمه بهذا الحال وقل له يعود إلى ماله من الأطلال قال الراوى فعاد الحاجب بهذه الرسالة وبلغ الملك الجون تلك المقالة فلما وقف على هذا الخبر فرح واستبشر وأمر رجاله بالرحيل وسرعة الجد والتحويل ومن وقته وساعته ركب وسار إلى دياره وبلاده وامصاره وقعد فيها وقد قر قراره فهذا ما كان من أمره وما جرى له وأما ما كان من الملك قيس فانه مازال قاعدا بأبطال عشيرته ورؤس دولته وعنتر معتاظ على ما فعل وصار يلومه على هذا العمل ويقول له لاى شىء أيها الملك المهاب والأسد الوثاب أجبت هؤلاء الكلاب فى الصلح بعد ما أشرنا على أخذ أرضهم وقتل فرسانهم وهلاك عيالهم فقال يا أبا الفوارس ويا زين المجالس نحن ما قلنا لهم هذا الكلام خوفا من غلبة ولا من قهر ولكن بر اليمن قد امنا واسع وفيه أراض كثيرة ومنابع وقبائلها ما يعلم لها أول من آخر وما خشيت إلا أنهم يرسلوا ويستنجدون علينا بهم فيتواتر علينا الحروب ليلا ونهارا ولا يبقى لنا عدو ولا قرار والصواب أننا بدو المنامل والمنازل وننظر المراعى والاماكن حتى نقع فى أرض من يعرف قدرنا ولا يجهل أنا فافعلنا أن نقع على من فيه نخوة وحمية أو نقع فى أرض ونتخذها لنا سكنا ووطنا قال الراوى ثم أن بنى عبس باتوا تلك الليلة يتشاورون فى أمر الرحيل إلى أن أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح فاتاهم الخبر بأن بنى تميم وبنى سعد قد اجتمعوا من أرض المصانع وعقبة الفروق يطالبوهم بثأرات ملوكهم فلما علم الملك نقع به الخوف والاندهال وفى عاجل الحال التفت إلى بنى عبس وقال يا بنى عمى ويا من بهم يزول همى وغمى من مثل هذا يخاف الإنسان لأن الزمان كثير الغدرات والآفات وأيضاً أعلمكم أنه بقى علينا فى أرض اليمن دماء ومطالبات وصرنا أعداء ملوكها والسادات فالصواب عندى أننا نسير من هذا المكان نترك الأرض والوديان ولم نزل كذلك إلى أن نقع بمكان يحمينا قبل أن يسمع بنو القين وبنو فهد تيرجعوا الينا يعقبونا وبالحرب اشغلونا إلى أن تأتى أولئك الرجال فينهبوا أولادنا والمال فانهضوا يا بنى عمى واقضوا جميع أشغالكم قبل أن لا يصير لنا فى هذه الأرض ولا قرار ولا يبقى منا ديار ولا من ينفخ النار هنالك نهضت الفرسان وجمعوا أموالهم وأصلحوا شأنهم ورفعوا رحالهم وساروا

من يومهم وقطعوا الآمال من ديارهم ووسموا فى البرارى والقفار والسهول والاوعار ليلا ونهارا وغدوا وابتكار حتى أنهم قاربوا أطراف التلاد وأتوا على ساحل البحار فوصلوا إلى قوم يقال لهم بنو كلب بن وبرة فرأوا فيها ديارة عامرة وأنهار واسعة فامرهم الملك قيس بالنزول فى هذا المكان والإقامة فى هذه الأوطان وقد قال لابد أننا إذا استقر قرارنا نتعرف بصاحبها ومن يقال له من الملوك أن نسير اليه أن ونطلب منه الذمام على أموالنا والعيال لأنى أيست على نفسى ولاعدت أنزل فى أرض ولا مياه حتى أتعرف بصاحبها وملكها لأجل أن نكفى من أذية أهلها (قال الراوى) فلما سمع الأمير عنتر منه ذلك المقال قال له والله إن تدبيرك بئس التدبير لأننا إذا كنا أقمنا فى الديار ما كان النعمان يأتينا بمثل من لاقينا من الأبطال فسكت الملك قيس حتى مضت ساعة من الزمان ثم رفع رأسه والتفت إلى عنتر بوجهه وقال ياأبا الفوارس الآن قد جرى القلم بما هو كائن وهذا الأمر قد فات ومضى ثم أن الملك قيس بعد كلامه مع عنتر التفت إلى شيبوب وقال له فى أى أرض نحن ياأبا رباح وما اسم هذه الأرض والبطاح ومن ملكها من الرجال ما اسمه بين الأبطال فقال شيبوب يامولاى نحن قاربنا البحار وبين أيدينا مياه يقال لها مياه عراعر ولهذه الأرض ملك يقال له مسعود بن مصاد الكلبى وهو ملك عظيم الشأن واسع السلطان كثير العسكر والغلمان وهو معروف فى هذه الأرض بالجواد والاحسان وأبوه كان كذلك من قديم الزمان وهو فارس جبار لايصلى له بنار ولا يفدى له على جبار كبير الهامة طويل القامة يقاتل بسائر السلاح ولا يعجز من ضرب كفاح وحوله من الفرسان نحو عن خمسين الف فارس وعنان والكل مستمعين لقوله يركبون لركوبه ينزلون لنزوله والرأى عندى ياملك أنكم تقصدوه وتطلبوا منه الذمام والأمان على عيالكم وأموالكم والنسوان وأعلم أنه لم يبق قدامك إلى بلاد السودان (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس من شيبوب هذا الكلام التفت عاجلا إلى الربيع بن زياد وقال له ما الذى عندك من الرأى والصواب الذى لايعاب وما تشير علينا به هل نسير اليه ونطلب منه الذمام وإلا نقيم على رغم أنف كل بطل همام فقال الربيع مسيرنا اليه أصوب وقدمنا عليه أوجب وكثير من الناس حصلت لهم الشدة ثم أنهم أقاموا بعد ذلك اليوم فى مثل هذا الكلام وباتوا ليلتهم بالتمام (قال الراوى) وكان لذلك القوم الملك الذى قدمنا ذكره ومقام عند رأس الماء الذى يقال له عراعر وكان فياض ومن خلفه مكان يقال له رياض يهب له نسيم فى الاسحار أذكى من العطر لكثرة الأزهار والنبات والأشجار وغرائب الثمار وهى أرض طيبة المزار

لا يوجد مثلها أرض ولا أطيب منها دياسادة فسار الملك قيس وبصحبة الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد ومن صحبهم من الأجناد وما زالوا يتفرجون على هذه الأماكن ويخترقوا الحلل والعشائر حتى أنهم وصلوا إلى مياه عراعر ونظروا إلى تلك المياه والغدران التي ما رأوا مثلها في سائر البلدان ثم رأوا قبيلة كبيرة وخيرة عامرة وخيراتها وافرة فعلموا أنهم وصلوا إلى ديار القوم فلما دخلوا بين المضارب والخيام فعارضتهم العبيد والرجال وقصدهم جماعة من الأبطال وسألوهم عن حالهم فقال لهم الربيع بن زياد ياوجوه العرب نحن قوم من عرب الحجاز وقد أجدبت أرضنا واقحطت بلادنا فجئنا إلى حيكم وقصدنا ملككم والجوار لكم والنزول في أوضكم فلما سمع الرجال مقالهم قالوا لهم أهلا ومهلا بكم ومرحبا أبشروا ياوجوه العرب بطيب الذمام والمزار وعظم النخوة وجلالة المقدار وإذا صرتم في جوار هذا الملك العزيز السلطان عادوا من شئتم من سادات الربان وإذا عارضكم عارض ناديا باسمه تأتيكم رجال كأنها أسد الدحال إذا ركبت خيولها تهتز لها البراري والقيعان فلما سمع بنو عبس من العبيد هذا المقال فرحوا بهذه الأحوال ودعوا له بعلو القدر أن وما زالوا سائرين إلى أن وجدوا خياما مضروبة ورايات منصوبة وفساطيط ملونات وسرادقات مزينات فانذهل بنو عبس بما رأوا وتحيروا مما أبصروا والتفت قيس إلى الربيع وقال له والله يا ابن العم أن صاحب هذه الأرض ملك عظيم الشأن وما خاب والله اليه ودخولنا عليه ومثل هذا الملك لا يكره أن يكون مثلنا تحت ذمامه ومن جملة رجاله وأعوانه هذا وكلما أقبلوا على فريق من الرجال بقوموا لهم ويترحبوا بهم ويعظموا قدرهم ثم قالوا لهم لم يكن حاضرا في هذا المكان بل أنه ركب عند الصباح وطلب الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص وقد قرب وقت عودته وها هنا من ينوب عنه في جميع أحواله وما تروا يابني العم إلا ما يسركم ويطيب خواطركم على مدى الشهور والاعوام طول ما أنتم في جوار هذا البطل الهمام والأسد الضرغام ثم أن العبيد بسطوا لهم الفرش ونصبوا لهم الكراسي وأنزلوهم في الخيام وزادوا لهم في الإكرام وأخذوا خيولهم وقاموا بحق واجبهم هذا والملك مسعود سائر في المقدمة وعلى رأسه علم أصفر وهو سائر مثل الاسد الغضنفر وكان عظيم الخلقة هائل جسم طويل عن الرجال مقدار ثلاثة أذرع بوجه مليح ظريف الثياب شجاع القلب مهاب فلما نظر الملك قيس قام له على الاقدام هو وكل الرجال الكرام مع العبيد والخدام ولما أن قرب منهم تقدم الملك ابن الكرام ودعا له بالعز وطول المقام على

مدى الزمان والأيام وادامة المسرة والانعام وازالة البؤس والانتقام وقد اطنب له فى الدعاء والثناء فشكره الملك مسعود على ذلك وقال له ابشر بنجاتك من المهالك ولكن أخبرنى من أنت ومن يقال لك ومن هم عربك وهؤلاء الذين معك فقال له اعلم اننا من أرض الحجاز أصحاب الحرب والبراز ولكن غربنا الزمان وكرهتنا الأوطان لما غضب علينا الملك النعمان وعادانا بعد الامان وأحوجنا أن ندخل هذه البلدان وكلما تنزل فى أرض ياخذ أهلها فينا الطمع وبيننا وبينهم الحرب يقع ونحن الان قد وصلنا إلى جنابك العزيز بعد ما ضاق الخناق ووقع فينا النقص والمحاق ومرادنا أن نعيش فى ذمامك ونقعد بنا تحت كنفك فى بلادك فان قبلتنا نزلنا باهلنا فقد ولى سعدنا وعندمنا وعدم ارشدنا وعادانا زماننا قال الراوى فلما سمع الملك مسعود ذلك الكلام رق قلبه وتزحزح عن مكانه وخبر قلبه بلين الكلام وقال أهلا وسهلا أيها العرب الكرام أصحاب الجواد والانعام فوالله ان هذه الارض لكم ومن الان لا أنزل فيها الا بامركم فانا لكم الفدى من كل سوء وانزلوا فى أى محل يعجبكم ويليق بكم ثم أنه فارقهم ودخل إلى منزله بعد ما أمر العبيد ان يذبحوا الجمال والأغنام وان يزيدهم فى الاكرام مدة ثلاثة أيام فى اليوم الرابع اخرج لهم الملك مسعود الخلع الحسان وأمنهم من دون العربان وقعد يتحدث معهم مقدار ساعة من الزمان ثم سألهم من أحسابهم أنسابهم فقال له الربيع بن زياد أعلم أيها الهمام والفارس الضرغام اننا من بنى عبس الكرام وهذا الملك قيس بن زهير الفارس القمقام سيد بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان واخته المتجردة زوجة الملك النعمان سيد ملوك العربان الحاكم على كل القبائل والبلدان وهو من قبل الملك كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان ما كنا عنده الا فى أعز مكان وانما الزمان له غدرات والسادة لها آفات الأيام لها حسرات متتابعات ثم انه أخبره بما جرى لهم مع بنى فزارة من أول الديون كيف انهم قتلوا أولادهم ولما أخذ ثارنا منهم مضوا إلى الملك الأسود أخو النعمان لانه صهرهم فشدد معه ايضا الملك النعمان وغضب علينا من رجل هذا الامر والشأن ونحن ما لنا قدر ان نقيم فى وجهه سلاح ولا نقدر نباشر قدامه ضربا ولا كفاح قال الروى فلما سمع الملك مسعود من الربيع هذا الكلام ففهم المضمون وبشرهم بالامان بعد الخوف وأراد ان والأحزان يضيفهم تلم السبعة أيام فما رضى الملك قيس بهذا المرام بل قال له نحن ما بقى لنا غنى وها نحن نازلون فى ارضك وكل هذا من خيرك وانعامك كفاك الله شر زمانك وايامك فلما سمع كلام الملك

قيس أمر لهم بالجنائب فركبوها وعادوا إلى أهلهم وعيالهم ولما وصلوا اليهم أخبروهم بما جرى وتحرر فلما سمعت الرجال ذلك الكلام فرحت واستبشرت وبما تهم إلا من صار يختار له منزلا على عرضه هذا ما كان من أمر الرجال وأما ما كان من الربيع بن زيادة فانه قال للملك قيس أيها الملك الهمام نحن قوم كثير الأعداء فالرأى الصائب عندى أن ننزل بعيدا عن القوم لئلا يطمعوا فينا ويكون بيننا وبينهم مقدار يوم لأجل أن لا تزاحم فى أرضهم ومراعيهم ولا تدع للجهال علينا مقالا لأنهم إذا نظروا أموالنا يطمعوا فيها ويخرجوا املكهم أو ينقض العهد والذمام قال الراوى فلما تكلم الربيع بهذا الكلام قال الملك قيس والله يا ربيع إن هذا هو الرأى السديد والقول المفيد وفى عاجل الحال أمر الملك قيس أن ينادى فى الأبطال أن تكون مراعيهم بعيدة عن هذه ففعلوا ذلك الوقت والحال ونصبوا خيامهم وركزوا أعلامهم وسرحوا نوقهم وجمالهم ولما استقامت أحوالهم وقر قرارهم وهدأ روعهم أحضر الملك قيس قطعة من الجمال وأيضا قطعة من النوق العصافيرية وكساها بالجوخ الملون وأخذها وأخذ الربيع بن زياد وإخوته وجماعة من أكابر عشيرته وسار بهم نحو الملك مسعود بن مصاد وما زالوا سائرين إلى أن قدموا عليه ووقفوا بين يديه فقام لهم على الأقدام واجلهم عز مقام وزاد لهم فى التحية والإكرام ثم قدم له قيس تلك النوق فقبلها منهم وشكرهم على فعلهم فقال له قيس هذا ما هو إلا بعض أنعامك علينا أيها البطل الجليل والفارس النبيل واعذرنا لأننا غرباء وهذه الأرض ليس لنا فقال له الملك مسعود أيها الملك الأعظم والليث الأفخم لا تقل هذا المقال هذه الأرض لكم وأنا نزيل عندكم ولكن أخبرنى أين نزلتم فقال له الملك قيس نحن آخر المرعى خوفا أن تضيق منازلكم فقال مسعود لأى شيء هذه الفعال فنحن الله أرضنا واسعة ومياهها كثيرة متتابعة فقال الربيع أعلم أيها الملك المفضال وليث الحرب والقتال أن المحب إذا كان فى الشرق لا تبعد عليه المسافة والقلوب عند بعضها فقال الملك مسعود شانكم وما تريدون فان الأرض أرضكم وأى محل أخترتموه فهو لكم وأتعهد لكم إذا أتاكم عدوكم دفعته عنكم فشكره الملك قيس على هذا المقال وابتدأ يمدحه بهذه الأبيات .

أتيناك أيهـــا البطل الهمام ... فاسمع لنا من جودك بالذمام
واعلم إنمـــا أبطال عبس ... كرام لا نزال عن الدوام
نخوض إلى الحروب وكل قفر ... ولا نخشى بما فى حرب من حمام

ونخوض البحر إذا ما تلاطم … موجه من كل حام
خلقنا للقنــــا من كل فج … ونحن الهاشمين إلى العظام
ولا نرضى المذلة والهوانا … ولانرضى بفسخ من ذمام
ونجير المستجير إذا أتانا … ولولا شربنا لأجله كاس الحمام
ولا نبخل إذا عطينا … ولا نخشى من قوم اللئام
تركنا الحى من أجل المسمى … بنعائنـا ملك الأنام
وقد جئنا اليك لتحمينا … من الأعدا فكن للقوم حام
لأنك من ملوك الأرض أقوى … وانك للعدا فى الحرب حام
فلا تخشى الملامة يامليك … لأنك فارس بطل الأنام
وإن أتى من أعداك أحــــد … فنحن فرسان الزؤام
فنضرب بين يديك لكل قوم … ولانخشى من جميع الأنام
ونحن نسمى بفرسان المنايا … وسيوفنا رسل الموت الزؤام
فلا تسمع فينا كلام الأعادى … ولو أتى به كل بطل همام
لأن الشخص ان لم ينصفه زمانه … نجربه فرسان الأنام
وإن صرت علـى ما أنت فيه … من حفظ العهد مع الذمام
تعلوا على كل الملوك جميعاً … دائمـا طـول الدوام
وتدعو لك فى كل ليل … ويوم عند أدبار الظلام
بان يبقيك ربك دائما … وينصرك على أعاديك اللئام

قال الراوى فلما فرغ الملك قيس من هذا الشعر والنظام وما أبداه من كلامه شكره الملك مسعود وزاد له فى الإكرام وقد أرادوا العودة لحلف عليهم أن لايخرجوا من عنده إلا بعد سبعة أيام وأعطاهم عطايات كثيرة واليوم الثامن ساروا إلى أهلهم ورجع الملك مسعود من بعدما ودعهم إلى محله وجلس بين أهله وأقاربه قال الراوى كل هذه الأمور تجرى من الربيع بن زياد والملك قيس بن الأجواد وعنتر لا يسأل عنهم ولا يحاشرهم ولا يعبأ بهم إلى أن بلغه أنهم أخذوا قطعة من ماله ونوقه وجماله فصعب عليه وكبر لديه وقال والله العظيم إنه هذه الغنيمة العظمى كيف يؤخذ مال الإنسان وهو بالحياة غصبا عنه فلو مات كان يغدر ولا هذا شىء لايصلح من الملوك وأيضاً أن هذا المال لاينفع إلا للبذل والعطاء للفقراء والمساكين وأما من يعطى ماله لاعاديه فلا خير فيه فقال له مقرى الوحش دعهـــم يفعلوا مايشتهون وإن الهدايات جرت بين كثير السادات فقال عنتر إذا كانت القلوب متحابة يليق

لها الهداية وأما هؤلاء فاعطيها ومافيهم أحدالا ويتمنى أهراق دمانا وقد أقاموا على ذلك الحال مدة أيام وليالى حتى هناواطمئنا ولما كان فى بعض الأيام أتت نحوهم رعيان بنى كلاب ابن وبره وأشرفوا على مراعيهم ونظروا جمالهم ورأوا حسن حالهم قداخلهم الحسد وذاب منهم الجسد ولكن هيبة ملكهم منعتهم من ذلك الحال فلم يقدروا أن يأخذ لهم عقال ومن أعجب العجب والأمر المطرب الذى يجب أن يكتب ويؤرخ أن الملك مسعود بن مصاد اتفق له أنه كان فى الصيد والقنص وأراد بكثرة الصيد فى هذه الأيام أن يفعل وليمة لقيس ويعقد معه على الغدران وأمر عبيده أن يرفعوا قدور الطعام إلى المكان الفلانى ففعلوا ذلك ولما أن رجع من الصيد أراد أن يدعوا قيس فانفذ له فى الحال من عنده بعض الرجال فقيل له ماهو حاضر فى الأطلال بل هو فى الصيد وكان خطر ببال قيس أنه يصطاد ويصنع وليمة لأجل أن يدعوا فيها الملك مسعود ولما رجع القاصد قال له ماهو حاضر ياسيدى بل هو فى طلب الصيد فقال الملك مسعود يا عرب وكيف حالهم فى هذه الأيام فقال له فى خير وانعام وأنا أقول أن ما على وجه الأرض أحسن منهم حال ولا أكثر منهم ما قال الراوى فلما سمع مسعود تلك الأقوال أراد أن يحقق ذلك بالعيان فقال لمن حوله سيروا وها أنا فى أثركم متابع لكم ففرحت رجاله وساروا طالبين أرضهم والديار وأما الملك مسعود فانه عطف على خيام بنى عبس لينظر حالهم والشأن وما زال سائر إلى أن أشرف على مراعيهم وتعجب من كثرة مالهم وحسن حالهم واعتدالهم قدهان ملكه عنده حتى ما بقى يسوى حبه واحده ولما أن وصل إلى خيامهم ونظرها فرآها قبابا مصنوعة من الديباج وحبالها من الابريسم الغال الأثمان ورأى لهم شيئا تعجز عنه الأكاثرة والقياصرة فاراد العودة إلى دياره فلاحت منه التفاتة رأى مضربا عال كبير وحوله عشر مضارب مثلة لكن هذا يفوقهم ومنصوب على رابية عاليه عنهم وهو من الديباج الأخضر عبرة لمن اعتبر وفيه يختار النظر وقد رأى أيضا في بابه جارية قائمة وهى من داخلة وعلى الجارية ثلاث حلل ملونات محبوكة بالذهب أضاءة المكان وعلى نحرها ثلاث عقود من الجواهر وهى متكئة على بعض الجوار المولدات تمايل عجبا كأنها غصن بان أو قضيب خيزران ولها لفتات كلفتات الغزلان وتضحك على من بين يديها من الاماء فلما رأى الملك مسعود بن مصاد تلك الجارية التى نحن فى ذكرها وهى فى الأبيات العاليات يقصر عن وصفها الواصفون غاب عن الموجود وبقى حاضرا فى صفة مفقود وقد رجفت أعضاءه وحش من ساعته ببلاة وان سهام جفونها وقعت فى

حشاه ولا بقى له فى الدنيا وجود مما جرى عليه من تلك اللواحظ السود ثم أن الملك مسعود ثبت جنانه وقوى قلبه وتقدم إلى ضار بين المضارب والخيام ثم أنه نادى بالجارية المتقدم ذكرها ورأى تلك العقود التى على نحوها وهى فى نفسها غنية عن حليها ولما رآها زاد به عشقها وغرامها وقال لها يا بنت الملوك والسادات الكرام بالله عليك من بعض الفضل والاحسان ناولينى شربة من الماء أن كان عندك مبرد فى الهواء فقد الهبنى العطش والظمأ ولك الأجر من باسط الأرض ورافع السما لانى قد أضر نى الهجير والظمأ فقالت له تلك الجارية حبا وكرامة اصبر قليل حتى آتيك بما تشتهى نفسك وتشفى الغليل ثم أنها ولت قتلا طمت أمواج أعطافها وأردافها بالملك مسعود الهيمان ثم أنه قال لها بالله عليكى لا تبعثى لى بالماء مع بعض الجوار فانك ان فعلت ذلك تأبى نفسى الشرب بل أتمنى إحسانك وأتيانك أنت به فقالت حبا وكرامة ثم دخلت إلى الخباء وعادت كانها بدر التمام ولما أن أتت بالماء تقربت منه وقالت خذ يافتى هذا الماء المبرد واشرب وأتهنى وان أمكنك عندنا النزول فانزل هاهنا على الرحب والسعة والكرامة حتى يبرد الحر والقيلولة وبعدها سر إلى أهلك فى أمان واطمئنان ولا تخف يافتى من غير الزمان فعندها أخذ الملك مسعود الشربة من يدها وصار يشرب وهو ينظر اليها ويظهر التشرق والغصص وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت حتى صار كطير فى قفص ومن طول تأمله وتغصصه بالماء وعيناه تاج بالنظر إلى الجارية فما خفى عليها حاله وعرفت منه محاله فقالت له لما ضجرت من الوقوف قدامه أعلم يافتى ان شربك فى الماء ليس هو شرب ظمآن وما هو إلا شرب بطان فان قصدك الماء فها أنت قد رويت وأن كنت ضالا عن الطريق عد إلى قومك وعربك من حيث أتيت ولا تطل النظر فيطول تلهفك وتحسرك ولا ينوبك بما أنت مؤملة شىء فهذا منك قبيح لا يقال فيه مليح وأعلم أن الناس ماهى كلها سواء فانه قد يموت الانسان بعلة لا يوجد لها دواء ولقد سمعت يافتى المثل السائر يقول من أطلق نظرة أتعب خاطره وما أحسن قول الشاعر اللبيب فى مثل هذا المعنى حيث يقول:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا ... لحبك يوما أتعبتك النواظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

(قال الأصمعى) ثم أنها تقدمت اليه واخذت الماء من يده وعادت وتركته قائما لا يرد جواب ولا يبدى خطاب ولم يجد للماء إلا عطشا والتهاب ولما غابت عنه الجارية صارت الامام

يتضاحكن عليه وقد هانت عنده نفسه وعاد بلا قلب وضاقت فى وجهه الأرض ولما وصل إلى الأحياء كان قد أمسى المساء عند دخوله إلى الخباء زاد به العشق والغرام وما أكل طعاما ولا عبر إلى أجفانه منام ولما طال عليه الليل تأوه وناح وبشوقه قد باح ثم غلب عليه العشق والجوى وتباريح الهوى وما وجد لصبره دواء غير انه أنشد وجعل يقول .

قد قلت لما طار عنى الكرى ... أيا ليل قد طلت أما تصبح
وكيف يلتذ بطيب المنام ... من قد بدى سقمه المبرح
فيا آل قومى قد رمانى الهوى ... وأصبحت والله لا أفلح
هويت عزيزة ذا غـــرة ... عزيزة قوم بهم تصبح
فاصبحت لا أرعوى لداع ... دعانى ولا لقول من ينصح

قال الأصمعى وكانت أمه أتت اليه فى تلك الليلة زائرة فابصرته على غير الاستواء فانكرت حاله وقالت ياولدى بالله لا تخف على شىء لانك قد ركبت إلى الصيد وأنت مثل الأسد وعدت لا تعرف منا أحدو بنى عمك وصلوا قبلك وأخبرونى أنك دخلت إلى خيام بنى عبس وأراك قد عدت بحال التعس والنكس وقد تغير حالك فبالله عليك ياولدى أكشف عن خبرك ودعنى أدبر نصلك فقال ياأماه ما أظن اقصتى دواء ولا من دائى شفاء ثم أنه حدثها بما جرى ووصفه لها الجارية فلما سمعت أمه كلامه صعب عليها وكبر لديها وقالت ياولدى وأنت جرى عليك هذا المجرى من أجل جارية مسبية فوالله قد أهنت نفسك بين أهلك وأصحابك والله ياولدى أن هذا الأمر لا أرضاه لك ولا نصل أنسابنا نسابهم ولا أرضى أن تكون زوجتك منهم لأن ساداتهم يزوجون عبيدهم بالحرائر وقد طعنت فى أنسابهم سائر القبائل وأنت ياولدى نسبك فاخر وحسبك صحيح وافر وحكمك نافذ فى البوادى والحواصر فاصرف عنك هذا الجال ولا تذل نفسك بالمحال وتجعل زوجك رهينا الغرام وتترك بنى قحطر رهينا ان يضربوا بنا سائر الامثال فلما سمع من الملك مسعود من أمة ذلك المال زاد به الغرام البلبال وقال لها ياأماه لا تعذلينى فى هذا الحال ولا تزيدينى بعد ذلك جنون ولا تهونى على ما لاية ول فلا بد لى من هذه الجارية ولو أنها أمه ترعى الجمال وأنا إن لم أراها فى أبياتى وفى حكمى من قبل طلوع الشمس والا صرت من الهالكين فقالت أمه ياولدى فاذا كان الامر ينتهى إلى الهلاك فانا أجعل روحى فداك وسعى لك فى بلوغ مناك وأزيل عنك تعبك وعناك ولكن بعد سيرى فى حالة الانفراد والاختفاء وأرى هذه الجارية تسوى هذا التعب والعناء ولها بعل أم لا ونحن بعد ذلك نسير على ما قد نرى ثم أنها أشغلته

بالكلام حتى ولى الظلام والملك مسعود كلما يتذكر الجارية يزداد به البلا والاشتكا قال ولما طلع النهار قالت له أمه ياولدى صف لى صفاتها ودلنى على أبياتها فوصف لها صفات الرابية العالية وآل الخيام وبعد ذلك قال لها ياأمى واما صفة الجارية فما تخفى عليك ما عليها من الملبوس الفاخر والعقود والجواهر فعندها تحققت ذلك أمه كله بالصفه وحققت الجاريه ومن شدة خوفها على ولدها ركبت ناقتها وسارت وأخفت حالها وتزيت بزى العجائز والكبار وسارت تقطع الطريق بالهموم والافكار ولم تزل سائرة حتى أشرفت على خيام بنى عبس وعرفت المضاسب بالصفة التى وصفها ولدها فقصدتها فرأت عبلة واقفة على باب المضرب فاندهشت من ذلك الحسن والجمال وقالت فى نفسها والله ماهذه الجارية امن بنات الملوك ثم أن العجوز نزلت عن ناقتها وسارت تطلب المضارب بوقاحتها وكانت الجارية التى وصفها الملك مسعود واقفة على باب مضربها ولما سمعت حس العجوز وثبت اليها وظنت أنها أتت زائرة فترحبت بها واكرمتها وعادت قدامها إلى صدر البيت وامرت الاماء بخدمتها والقيام بواجبها وكانت أم الملك مسعود حلوة المحادثة والكلام والمزاح طيبة اللقا والانشراح فلما حجبتها ونظرتها فوجدتها غريبة الجمال بديعة الحسن والكمال ملفظها سحر حلال لانها أن تكلمت أفتنت وأن تبسمت قتلت فقالت أم الملك مسعود فى نفسها والله لاألوم ولدى على ذلك الهيمان وأن هذه الجارية ليست غالية بالمال والارواح ثم قالت فاستاه ما اسمك فقالت أنا يقال لى عبلة بنت مالك بن قراد قالت لها نعمت أماك والله وساريت فبالله عليك أنت ذات بعل وحما أم ذات خدر وخبا فقالت لها عبله والله ياامااه ماانه لاذات بعل وحما ولكن ما الذى تريدين بسؤالك عنى أن كنت ذات خدر او ذات بعل فهم عندك من تزوجينى به فقالت لها أى والله أن كنت خالية من البعول وكان قولك جد فان ابواب النجاح قد فتحت بين يديك والخير والاقبال قد نزل عليك فقالت لها عبلة وكيف ذلك ياخالتاه لعله يكون لك ولدا واتيت تزيدينى له عروسه فقالت لها إى والله يابنية ولكن أقول لك من هو ولدى أما رايت الفارس الذى عبر عليك بالأمس وطلب منك الماء البارد فاسقيته فقالت لها عبلة والله عرفته وهو على النسب كريم فقالت يا بنتى اعرفك به هو الملك مسعود والله من قلبى وحشاشة كبدى ومن حيث شقيته الماء وما روى واعلمى ياجارية انك قد ملكت فؤاده وبقى فى يدك قياده فأن كنت ذات خدر بالحقيقة بشرى بالسعد وحسن الطريقة وإن كنت ذات بعل فاجعلى بينك وبينه ميعاد ومكان وانظرى

بعد ذلك ما يصل اليك من الهدايا والاموال والتحف النوال وتبقى عنده أعز ما يكون من الأهل والعيال قال فلما سمعت عبله من أم الملك المسعود ذلك الكلام صار الضياء فى عينها وقد نشف ريقها وتغير لونها واضطربت مفاصلها ووقع بها الانبهار وصار وجودها عدم وورد خدودها مثل البهار وهو بلون الأصفر وقالت لها ياعجوز سألتك بالله أنت أم الملك مسعود قالت لها نعم وذمة العرب لولا سبق لك منى الاكرام لكنت خنقتك والسلام ولكن سيرى اليه وقولى له أن لم ينثنه عن هذا الامر والشان أشكوه إلى بعلى عنتر يقطع منه الامر ولا يدع له ذكرا يذكر وهذا آخر ما عند والسلام قومى لا كنتى ولا استكنتى ولا عمرت بك أو طان فعندها قامت العجوز وهى تقول لعبله والله لا بد لقومك من القلعان وأنت تكون السبب فى هذا الشأن ثم أنها سارت إلى أن وصلت الحلة ليلا ولما وصلت إلى ولدها وهى تقاسى فنون الوبل والعناد كان ولدها قد قتله الانتظار حتى يسمع ما يتجدد من الأخبار ولما أن عادت عليه أمه ما جرى لها من عبلة زاد لهيبا وشوقا وغاب الصوات وبقى كأنه مجنون أو مصاب تارة يقول أنقض ما بينى وبين هؤلاء القوم من الذمام وآخذ هذه الجارية بحد الحسام الصمصام وتارة يقول قبيح على قدرى وأخاف من عاقبة أمرى قال ومن شدة ما جرى على قلبه من الحيرة نفذ خلف رجل عن اصحابه وكان يقال له جندله وكان رباة فى أيام صباه وبامور الدهر خبير وهى داهية من دواهى الزمان فلما حضر عنده فى المكان أعاد عليه الملك مسعود ما جرى علته من عبله ووصف له حسنها وفصاحتها وحسن كمالها وقال وأنا قد عولت على فسخ الذمام وآخذ أموال قومها بالحسام لان ما فى العشيرة أحد الا وقد اشتكالى من جورهم وأنا اكف الاذى منهم رحمة منى اليهم وارعى الذمام الذى سبق منى لهم والآن تشير واعلى بما يكون فيه الصواب لانك أهدى منى اليه ومن كل الاعراب قال فلما سمع الشيخ جندله من الملك مسعود هذا الخطاب تعجب من هذه الأسباب وقال ياولدى قصدك ماهو من أفعال الكرام وطلب نساء الأبطال حرام فى حرام وعاقبته الخزى والنكال وهذا امر الذى وقعت فيه اجعله من جملة المحال ولا تجعله لك على بال واصرف عن قلبك هذا الحال واعلم ياولدى إن هذه الجارية إذا لم تقتل بعلها بسبب من الاسباب وإلا وصولك اليها غير صواب والرأى أن تبقى مع قومها على ما انت عليه وتصبر حتى أدبر أنا على هلاك بعلها بأى وجه كان فاذا صارت

هذه الجارية خالية من الازواج تنفيذ أنت إلى أهلها ثم انك تتزوج بها على رؤس الاشهاد ولا يقع عليك لوم من أحد من العباد ولا تكسب المذمة بفسخ الذمم ويقال عنك أن الملك مسعود بن مصاد أعطى قوما عهدا وميثاقا ونقضه من أجل جارية ذات حيض وأولاد قال فلما سمع الملك مسعود ذلك الكلام بهدأت ناره من الغرام وقال يا عم كيف يكون التدبير في هذا الأمر الخطير فقال الشيخ أنا آمر زوجتي أن تسحرها وتجمع بينك بينها في الحال كلما سمعت أنت عنها فقال الملك مسعود يا جندله إني قد سمعت عن زوجتك عجائب وأمورا واريد منك أن تحضرها بين يدى قال الراوى وكان لذلك الرجل زوجه كهينة ساحرة مكارة يقال لها البقاء بنت الزرقاء فانفذ خلفها فلما حضرت العجوز قص عليها الملك مسعود قصته وطلب منها المعونة على بلوغ مراده فقالت يا مولاى أخرج الليلة معى وأنت وحيد فريد حتى تقارب خيامها وأنا آتى بها إليك تمشي على أقدامها قال فشكرها الملك مسعود على مقالها وأقام ينظر أقبال الليل حتى يهدأ روعه مما هو فيه من الويل قال الراوى ومما جرى من الاتفاق العجيب المطرب البديع القريب أن الملك قيس بنى عبس وعدنان أنفذ ثلاثة من أخوته الأعيان خلف الملك مسعود بن مصاد يدعوه إلى وليمته وتحضر لدعوته فى كامل من يعز عليه من أهله وعشيرته وسأله الاجابة فى ذلك فقبل ولم يخالف وقبل مسيره أجتمع بالساحرة وأخبرها أنه ماض فى وليمة بنى عبس وما يدعنى الملك قيس ان أعود من عنده إلا بعد ثلاثة أيام واريد منك عند خروجى من الوليمة الليلة مثالثة تبلغينى إرادتى من هذه الجارية محبوبتى فقالت يا مولاى أجعل الوعد بينى وبينك كثيب الصفاء لأنه قريب الرابية التى عليها مضارب محبوبتك ولكن تأت فى الصحراء وعندما تطلع الجوزاء أسرع تجد الأمر تيسر وهان قال الراوى وكان الربيع بن زياد قد البس أماء الحى من الثياب والحلى مفاخرة وأمرهم أن يضربوا بالدفوف والمزاهر وجردت السيوف والخناجر وكان لهم يوم مشهود لقدوم الملك مسعود فاكرمه واجتمعت سادات بنى عبس وقدأتى هذا الملك قيس إلى عنتر وأعمامه ومقرى الوحش وعروة بن الورد وسائر بنى قراد وفرسانهم الاجواد فلما نظر الامير عنتر وأعمامه إلى ما فعل الملك قيس فى حق الملك مسعود بن مصاد زاد به الغيظ والحنق وتمنى أنه لم يكن خلق لان كانت حدثته بجميع حديثها وما جرى لها مع مسعود بن مصاد لما سقته الماء وأخبرته بحضور العجوز والحديث الذى تقدم لها وإن عنتر شاور نفسه فيما يفعل فقالت له عبلة الصواب عندى يابن العم كاشف عنى الغم أن تسير هذا

الحديث عن جميع الخلق وتسير إلى دعوة الملك قيس ولا تكدر عليه وليمة فعندها سار عنتر ومعه عروة بن الورد ومقرى الوحش وجماعة من أبطاله وأبوه وأعمامه ولما أن حضر خدم ودعا للملك قيس بدوام العز والنعم فتزحزح الملك قيس وأجلسه بجانبه ولما أن استقر به المقام وحضر بعد السادات الكرام وبنو زيادة وسائر بنى عبس وعدنان ومن كان له فى المقام مكان وبعدها قدمت العبيد والخدام موائد الطعام وما أعد الملك قيس للملك مسعود من الأكرام قال الراوى وكان الملك مسعود كلما أقام وقعد يدير عينيه إلى ناحية خيام عبلة فقال عنتر لمقرى الوحش أما تنظر إلى هذا الشيطان وهو يطيل النظر إلى نحو خيام عبلة بنت عمى فلا بد من قتله وانصرام عمره فقال له مقرى الوحش الصواب أنك تصبر حتى تفرغ وليمة الملك قيس ويرجع هذا الشيطان إلى الديار فاذا عاد نلحقه أنا وأنت وعروة بن الورد ونقتله شر قتله ولو كان معه الف فارس من قومه فعندها طاب قلب عنتر بهذا الحديث ولما أبصر الناس قد اجتمعوا واشتغلوا مع بعضهم البعض قام عنتر وأخذ مقرى الوحش وعروة بن الورد وعاد إلى مضاربه وهو ينشد ويقول

لقد أنكرت بعد عرفانها عبيلة مواثيق إيمانها
من العرب وهى ترعى جار وعاداتها حفظ جيرانها
وماضرها لو وفت بالعهود لداع لها تريد اختيانها
كأن قلائد نظمت بدأ دموعى ومرجانها
ألا يا راكب العيس مستحيا يبرق بان لين زمامها
وسائر لسان تلك الديار لان الديار بسكانها
رياض بهازهت كالرياض ليالى صفت بين أخوانها
تحكى الخدود لتفاحها وتحكى الغصون برمانها
وأخفى حديثنا لحادث تضيق الصدور بكتمانها

(قال الراوى) فلما انتهى عنتر من شعره ونظامه قضوا ليلتهم على التمام وما زالوا على ذلك الحال تمام الثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع طلب الملك مسعود أنه إلى أهله يعود فقدم له الملك قيس المهرة والنوق العصافيرية وما كان أعده واعتذر اليه فى التقصير فحمده وشكره ثم أنه أخذ من الجميع سيفا بارق ومهرا سابق ورمحا حديدا خارق وأراد بذلك جبر قلبه وكان الملك مسعود قد صرف أكثر رجاله وما ترك عنده أكثر من خمسة رجال مع جنيد له زوج الساحرة وسار الملك مسعود المفتخر ينظر طلوع القمر قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الخبر وأما ما كان من الأمير عنتر فانه صار حتى أمسى المساء وخرج معه عروة بن الورد ومقرى الوحش وبعدوا عن الخيام وكمنوا

قريبا من الطريق التي يعرفون أنه لا بد أن يعبر منها الملك مسعود بن مصاد وإذاهم قد رأوا بالقرب منهم نارا وهي تضرم في لجف جبل فقال عنتر لعروة سل سيفك واقصد هذه النار وانظر ما عندها من الأخبار فعندها سار عروة وما غاب غير ساعة وعاد وهو غير الاستواء فقال له عنتر ما الذي رأيت يا أبا الأبيض فقال لي رأيت شيئا ما أبصرته وسمعت شيئا قط ما سمعته وهو وذمة العرب من أعجب العجب لأني دنوت من النار فرأيتها وهي تضرم ورأيت عندها عجوز شمطاء زرقاء العيون سمراء عابسة اللون وقد شمرت عن أذيالها ودارت حول النار القت فيها شيئا من حوافر الدواب وأضلاع الغنم وتكلم كلام لا يفهم وإلى جانبها مقاطع من حديد وتماثيل مختلفات الصور كلهم من الرصاص والواح من النحاس وغير ذلك من الانجاس وكلما أشارت إلى النار تحركت وجرت التماثيل بحركات وتوعجها العجوز بأصوات منكرات مذعرات تذهل عقل الانسان وأنا والله لقد حرت في ذلك لما رأيت وانذهل عقلي لما سمعت وأنا أقول إن هذه العجوز ما هي من بني آدم ولو أنها أبصرتني ماقدرت أن أهرب ولا انتقل ولا اتحرك لأنها قدها لفني صورتها وما صدقت بنجاتي من صوبها قال الراوي فلما سمع عنتر هذا الكلام من عروة تحير وقال لمقرى الوحش هذا والله خلاف ما نحن فيه من العمل فايش تقول أنت يا أخي في هذا الكلام فقال مقرى الوحش أقول أن هذه العجوز ساحرة وماكرة وقد أتت إلى هذا المكان تعمل تدبير أو حيلة وأكثر ظني أنها تأخذ عبله ومسيكة وتقدمهم إلى الملك مسعود يعمل بهم ما يشاء والرأى أننا نسير اليها ونتفرج عليها وبعد ذلك نقتلها فقال عروة وأن علمت بنا قبل أن نقرب عليها تصيح في الجن الذي حولها فيثبوا علينا ويخنقونا وتكون قد خرجنا نقتل مسعود فنموت موتة القرود ويشمت بنا العدو والحسود فقال عنتر البطل الهمام ايش ياعروة هذا الكلام والله لو اجتمعت جنود ابليس وقبائله على قتالنا وحربنا ونزالنا لقطعت آجالهم بهذا السيف اليماني وسار بك ما أفعل في هذا المكان قال الراوي فعندها حرك عروة رأس جواده وسار تبعه عنتر الأسد الضرغام ومن خلفه مقرى الوحش البطل الهمام وقد سترهم الظلام واحاقيف الرمال وابصروا ما قال عروة كشفوا عن حقيقة الحال فرأوا العجوز تسرح في العزائم والكلام وكلما دارت حول النار سبع مرات ترمى إلى المضارب والخيام الى فيها عبلة بنت الكرام وتنادى باسمها واسم أمها وتشير إلى الأبيات بكمها وتقول أقسمت عليك ياسمعان الذي خلق الأنس والجان الأكوان وأظهر البرهان وتكلم بالبيان بين لي بيانك واظهر لي برهانك ودور على جميع الجان في سائر الدور والقيعان يامخرج

المخدرات من القصور والعذارى من الخدور أخرج لى عبلة بنت شريحة أسرع من البرق الخاطف ومن هتف الهاتف وهى شاخصة البصر كثيرة الفكر القيت شعر عبلة بنت شريحة فى النار فالتهب القلب وطار وارتعد وسار وأسند البحر وغار وجاءت عبلة بنت شريحة بإذن الواحد القهار وانفتح فى الأرض سراديب وخرجت وهى مشقوقة الثياب فلاقوها شمر عفريت كبار وساروا قدامها وخلفها ومن تحتها وفوقها وقالوا لها زادك الله نار على نار قل صبرك وزاد لهيبك فى محبة مسعود بن مصاد سحبناها وجلبناها إلى هذا المكان بقوة الملك الجبار لا يأخذك ولا اصطبار سلطت عليك زوبعة ومن معه من العفاريت الأربعة هيازع وزعازيع ومتمتع الجبال أجيبوها واجلبوها الوحا الوحا العجل العجل والساعة الساعة (قال الراوى) فلما سمع عنتر بذكر عبلة تغيرت أحواله وابيضت شفتاه بعد السواد ومابقى ينظر بين يديه فقالوا له ياأبا الفوارس ماذا رأيت قال يا بنى عمى هذه مصيبة منصوبة ـ ولو لم نخرج هذه الليلة ونطلع على تلك الأمور والأسباب ساقت أهلنا هذه إلى الخنا وأقول أن هذه المصيبة مسعود بن مصاد ألا تروا إلى هذه معجوز وهى تنادى باسم بنت عمى كلما تكلمت فى القيام والقعود وقتل هذه العجوز أحسن من من قتل مسعود فقال عروة ترفق على نفسك ياأبا الفوارس قدر ساعة حتى نبصر كيف تعمل ويتبين الدليل ونتفرج عليها فقال عنتر أخاف على بنت عمى بذهل عقلها وادون يحسرتها ثم انه هز حسامه وهجم عليها وقال لها ويلك يا بنت اللئام ايش بينك وبين عبلة من الخصام حتى تفعلى بها هذه الفعال وتسلطى عليها الجن يطيروا عقلها وهم أن يضربها بالحسام ويسقيها كاس الحمام فعندها صاحت فى وجهه صيحة عظيمة أوقفته عما كان عازما عليه وعرفت انه من العبسيين فقالت له ياوجه العرب ترفق بنفسك والايحل بك الندم اما تدرى بعد قتلى على ماذا تقدم غير انك تعطب ولاتسلم لأن عمارة تلك الأرض كلها حولى ينتظرون أمرى وأن الغيرة والحمية التى أخذتك على بنت عمك غيرتى انا أشد منها يا ابن الكرام وهى التى أحوجتنى أن أفعل هذه الفعال لان ابنتى زوجة مسعود بن مصاد وهى احسن من الشمس وهلال الاعياد انها لم تزل معه فى نعمة زائدة حتى نزلتم انتم فى أرضنا وابصر مسعود بن مصاد عندكم هذه الجارية العبسية فهجر بنتى فاسقمتها الغيرة وامرضها هجره لها واتصاله بغيرها فلما رأيتها وقد قل صبرها ضاق صـــدرى عليها ورصدت بعلها حتى أتى إلى عودة ملككم الملك قيس ورأيته يقرب للجارية التى يهواها فعلمت أن ذلك الوقت يصلح البغضة بينه وبينها فاتيت وفعلت هذه الفعال حتى تقع البغضة لعبلة فى قلب مسعود بن مصاد

يعود ولا يبقى جميع الفرح والسداد (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام انخدع لها وعول أن يتركها ويعود فصاح عليه مقرى الوحش وقال يا أبا الفوارس ما الذى سلب عقلك ومن الذى يمنعك عن هذه الملعونة أيدخل عليك المحال وزخارف المقال وأنت خير الناس بهذه الأحوال ثم أن مقرى الوحش تقدم إلى العجوز وضربها السيف رماها نصفين وجعلها على الأرض قطعتين وبعدها التفت إلى عنتر وقال والله يا حامية عبس ما تحدثت هذه العجوز الذميمة بكلمة صحيحة وأنها كانت تريد أن تجر بنت عمك إلى الفضيحة (قال الراوى) وكان عروة بن الورد لما رأى ذلك الحال كاد أن يغشى عليه من الفزع ولا بقى يعرف ما بين يديه فقال عنتر لا تخف يا أبا الأبيض فوالله لما ابصرت هذه الشيطانة كاد عقلى أن يذهب وأيقنت بالعطب لانى لما رفعت يدى بالسيف خدلت مفاصلى ولا قدرت ضربها ولا أتمكن منها فقال مقرى الوحش صدقت ولأجل هذا قتلتها لانى علمت أنك لا تقدر تدنو منها لان معك مثل ما معى فقال عنتر إيش الذى معك من الاحتكام يا أخى فقال مقرى الوحش على ساعدى كتاب كتبة القسوس الذى فى الشام من أيام الصبى وهو نافع لهذه الاشياء ولا يقرب لحامله شيطان بداو لولا قوة قلبى به ما كان لى ثبات مع هذه الفعال فقال عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام أنا حرزى إلا هذا الحسام الذكرى الذى لا يبقى ولا يذر فقم بنا سريع إلى ما كنا فيه من أمر مسعود بن مصاد وان لم أقتله لا يطيب لى فؤاد (قال الراوى) ثم أنهم عادوا على عجل يطلبون الطريق الوضح فبينماهم كذلك وإذا بالأمير شيبوب ينادى عليهم وهو غير الاستواء وقد حلت به الكروب وعقله مسلوب فقال عنتر والله أنى تركتها فى حالة العدم وهى مرعية بين الاطناب والخيم وحولها نساء أعمامك وجماعة من الخدم ولا نعلم هل كانت فى وجود أو فى فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وحس بان قلبه قد انفطر مما حصل عنده من الغيظ والكدر وقال أى شى جرى على عبلة ونحن قتلنا العجوز والنحس وأنزلنا بها التعس والنكس فقال شيبوب والله يا أخى أن هذا أشد القتل لان بنت عمك قد عدمت عقلها وتغير حالها عن ما كنا نعهد منها الا كنت من لهيب النار وإذا بعبلة وهى حاسرة بغير خمار هاجة على وجهها فى القفار فانكرت أنها من ذلك غاية الانكار ولحقت بها أسألها عن حالها فرأيتها مثل السكران الطافح من الخمر وهى تنظر تلك النار ولا ترد جواب ولا تبدى خطاب بل كل ما أسألها عن حالها تقول النار النار وإنى لما زدت عليها فى اللجاج وأردت أن أردها بغير احتجاج صاحت وأرمت نفسها إلى الارض وهى لا تعرف الطول من العرض فتركتها بين الخيام لا تعقل كلام قال نجد بن هشام

فوالله ماانتهى شيبوب من هذا الكلام حتى غاب عقل عنتر وحس بأن قلبه قد إنفطر وعلم أن العجوز كانت تعمل على أخذ عبله وأراد أن يرمى نفسه إلى الأرض مما جرى عليه فا مكنه مقرى الوحش من ذلك بل أنه طيب قلبه وسلاه عن أحزانه وقال له يا أبا الفوارس لاتخف على بنت عمك وأبشر بما يسرك فسر بنا اليها هذا الكتاب يزول عنها العارض وتعود على ما كانت عليه من الصواب ولولا هذا الحرز الذى معى وإلا كانت هذه العوز بنت الاوغاد ساقت نساءنا إلى مسعود بن مصاد وأنا أعلم أننا من حيث قتلناها مضت عن عبله العيار ومابقى منها الاخيالات فعدبنا اليها حتى أريك كيف أفعل بها (قال الراوى) ولم يزل به حتى برد نيرانه والفؤاد ورده عن ما كان عازما عليه من قتل مسعود بن مصاد وما زالوا حتى دخلوا إلى فريق بنى قراد فابصروا عبله بين المضارب والخيام وهى لا تعقل كلام وحولها جماعه من الاماء والكواعب الاتراب وقد أكثروا من البكاء والانتحاب فعندها أخذها أخذ مقرى الوحش الكتاب ثم علقها على عبله ففتحت عيناها من ساعتها وعلقت بما أصابها لاستحت وردت كمها على رأسها وعادت إلى خيامها والمضارب ففرح أهلها بخلاصها من تلك النوائب وسكروا الرب القديم الذى رد عليها ورشدها وبعد ذلك حدث أبوها فقال لاأدرى إلا أننى كنت قاعدة فى البيت وشخصان قد دخلا على ولهم رؤس مثل الدواب وأرجل مثل أرجل الكلاب فى أيديهم حرب تنهب بالنار فسلبا عقلى وسحبانى بغير امرى وقد غاب صوابى وما تنفس عنى وما تنفس عنى كربى وهدأ خفقان قلبى إلا من حين فتحت عينى ورأيت عنتر لما رد اليه عقله يابنت العم هل كنتى ترى فى جسدك فتور قالت نعم والآن كا كنت عهد العافية من نفسى فالحمد لله الذى صرف هذا الأمر العظيم فعندها طاب قلبه بذلك وعلم أن كتاب مقرى الوحش نافع وأخبر عبلة أنه قتل العجوز الساحرة التى فعلت بها تلك الفعال (قال الاصمعى) فهذا دعوة الملك قيس وقد عزم على المسير إلى دياره وقد أراد الملك قيس أن يسير فى خدمته حتى يصل إلى أبياته ومضاربه فلم يطاوعه مسعود على ذلك بل أن حلف عليه ورده ولما أن بعد عن المكان وعدل إلى الموضع الذى فيه العجوز الساحرة وطلب صور النار وجندلة زوج الساحرة معه وهو يقول ياملك أريد منك حق تحب زوجتى التى جمعت بينك وبين محبوبتك عبله والساعة تزل عنك المضرة وترى فيها الفرح والمسرة فقال مسعود ابشر ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى كثيب الصفا ودنوا من النار فابصروها خمدت والعجوز

عندها مرمية قطعتين وقد احترق بعضها من النار واللهيب ولاجل ذلك بقيت النار إلى تلك الساعة وكان مسعود كلما أبصر النار يزيد به الفرح والاستبشار إلى أن تحققت الحقائق وعرف جندلة وزوجته الساحرة ورآها على تلك الحالة فنزل اليها واطم على رأسه حتى انزعج سائر حواسه وتعتمت أضراسه فسكت مسعود وطيب أنفاسه فقال جندلة وحق اللات والعزى ماقتل زوجتي إلا العبسين وإذا لم تأخذلي بالثار وتزيل عني العار من مكمودا وزالت عني جميع السعود لأنها في حاجتك قد بذلت المجهود ولولا قضاء حاجتك ماقلت في هذا المكان ولا بعدت عن الأهل والأوطان فقال مسعود وقد آيس من عبلة وحلت به الف دبـــلة أبشر ياجندلة أنا آخذ لك بالثار وأبغك من قبائلهم ما تختار وأما عنتر بن شـــداد فانه عول عند الصباح أن يعلم الملك بما تم له فما مكنته عبلة من ذلك وقالت له ايش تريد أن تصنع يا ابن زبيبة تريد أن تهلكني بين العباد وتقول ان مسعود بن صامت عشق بنت عمي وسحرها وغيب عقلها وتدعني معيرة بذلك طول الزمان والله ان فعلت ذلك قتلت روحي وسكنت ضريحي وانك اذا علمت الملك قيس بفعال الملك مسعود لاتنال بذلك مقصود ويتجدد الغيظ وتكش الحقود من الوجوه الأول أن قيس قد عمل هذه الوليمة بالامس لمسعود ووداده من أجل وأجلك مايعانيه والثاني انك لو حلفت بعد انتهاء خبري بكل يمين ان عقلي قد ذهب ورد إلى ماصدقك أحد من العباد ولاشك أهلي حسبوني من بعض المجانين والصواب ان تكتم سرنا إلى أن يضجر هذا القرنان وينقطع أمله مني فعندها سكت عنتر على مضض وبقي كل يوم هو ومقري الوحش وعروة بن الورد يخرجون إلى البر ويشرفون على رعاة النوق الجمال والانعام وينفذوا العبيد قدامهم بالطعام والمدام ويخرج عنتر مع عبلة ومقري الوحش مع مسيكة ويخلوا بانفسهم في تلك الصحراء إلى وقت المساء ويعود إلى الأحياء وكان يشكوا من جور الأعداء وخوفه على عبلة فقال له عروه ياأبا الفوارس أي شيء هذا الكلام والهم الذي يجدك منه مدافع وانت بالك واسع وسيفك قاطع وما منا إلا من هو لقولك سامع وكلنا تحت أمرك فاشرح صدرك وواظب بنت عمك ولا ترجع تفارقها وتبعد عنها حتى تنظر مايكون من هذا القرنان ولا بد من تحرك الساكن فتنزل به الذل والهوان وتدبر على قلع أثره وأثر قومه فقال لها مقري الوحش والله لقد قلت الصحيح ياأبا الأبيض ونحن كل يوم في هذه القيعان نخلوا بانفسنا على أرض الربوات ونقضي الأوقات بالخلوعات مع من

يمر علينا من السادات ونستمع من الجوار والآماء هذه الأصوات الحسان إلى أن نبصر ما يحدث الزمان وندبر ما قد تربح من العشيرة الشكر والثناء (قال الأصمعي وأبو عبيدة) وصار عنتر يخرج ببنت عمه عبلة وكذلك مقرى الوحش بزوجته مسيكة ويخلوا بأنفسهم كما أشرنا فى هذا المكان إلى وقت المساء ويعودوا إلى الأوطان قال الراوى كل ذلك وأهل القبيلة يتعجبوا من فعل عنتر ويحسبون فى حساب ما يعملون فيما قد جرى من الأسباب بل العقلاء يقولون هذا رجل يحب ابنه عمه وقد قاسى من تحت رأسها مالا يقاسيه أحد وما يريد الا أنه يخلوا بها ويشبع من حديثها وكذلك الملك قيس يقول مثل هذا المقال ثم انه بعث خلف عنتر وأحضره وعاتبه وقال له يا أبا الفوارس اشتغلت عنا وكل أحد بمقرى الوحش وما بقيت تلتفت الينا فقال عنتر يا ملك انى أينما كنت أكون فى افضالك وتحت كنفك وأما مقرى الوحش فهو على كل حال رجل غريب وقد هجر الشام وصلى أهله والاطان وقاتل بين أيدينا مرار وان لم نجبر كسر قلبه انكسرت نفسه قال الراوى وجعل عنتر يحتج بمثل ذلك على الملك قيس وأعمامه وأخواته وهم يصدقونه فى ذلك لأجل انهم يعلمون ان محبته فى بنت عمه زائدة وفى بحراها غارق وما أحد من أهل الحى يلومه على ذلك الحال أيام وليالى وبعد ذلك بايام خرج هو وعبله ومقرى الوحش ومسيكة وعروة ورجاله والهطال وأبطاله على ما جرت به العادة وجلسوا يشربوا الخمر العقار وهم بمعزل عن النساء الاحرار فبينماهم على ذلك الحال وإذا بالخيل قد طلعت من الفدافد وهى دائرة بفارس واحد طالبين له ودماره وقد أثخنوه بالجراح بعوامل الرماح فتبينه عنتر البطل التحرير وإذا به الحارث بن الملك زهير وكان محب عنتر ويريد له الخير فلما رأى عنتر ذلك الحال ركب جواده وأدرك الخيل وكشفهم عنه بعد ما أنزل بهم الذل والويل قال الراوى كان السبب فى ذلك ان الحارث قد عمل وليمة عظيمة لبنى زياد واجتمع فيها خلق كثيرا فاكلوا الطعام ودار بينهم الكلام بعد أن سكروا من المدام ودار بينهم حديث عنتر الاسد القسور فوصف الحارث شجاعته ونخوته وبراعته فسبه عمارة وشتمه وساعده أخوه الربيع وعاونه فاغتاظ الحارث من ذلك لأنه كان من محبى عنتر الاسد الفاتك قال لهم يا اولاد زياد بعد هذا الزمان طول الأيام ماذهبت من قلوبكم بغضة عنتر بن شداد أتشتموا فارسا قد حماكم من الأعداء مرارا وصان حريمكم بعد الانتهاك والدمار ولو لا هيبته شمل هذه القبيلة فى سائر الأقطار قال الراوى وما زال يصف مكارم عنتر بن شداد حتى زاد بعمارة النصب وصاح بالحارث وقطع عليه كلامه وقال يا ابن زهير أما تستحى تذكر العبد الزنيم والوغد اللئيم

وتفضله على كل سيد كريم وحق اللات والعزى أن ذكره عار وفضيحة وشنار وإن كان قد قاتل كما ذكرت وسلم من الوقعات فاسلم إلا باجلة من النائبات وهو على كل حال عبد معود بالشقى ولوهم به أحد منا وطلب قتاله تركه فى البرملقى فقال الحارث والله ياعمارة أنك كاذب وغير صادق وإن كنت نسيت أفعاله فنا أذكرك ببعض أعماله أما هو الذى حملك على يديه لما خرجت تطلب عبلة ورماك على الأرض وضحكت عليك النسا لما أحدثت فى ثيابك ثم أنشد يقول

دع الهذيان زياد وأذكر ... مقامك بين أهل المسعانى
وقد أطلقت رأس رعاك خوفا ... ورحت تجر أذيال الهوان

قال الراوى ثم أن الحارث بن زهير كان ذكره على سبيل المزاح ومنادمة شرب الراح وأما عمارة بن زياد فانه زادت به البغضة لعنتر بن شداد وقد حمى مزاجه وانتفخت أوداجه وغير السكر أحواله فطلب الحرب ثم سل حسامه فصاح فى أخوته وهان عليها قتله وأبصر الحارث فعاله فوثب إلى جواده وركب وعول على الهرب فادركوه ولما رأى الهلاك دفع عن نفسه حتى أنهم أثخنوه بالجراح وما أدركه عنتر حتى أشرف على الهلاك إلا أنهم عندوصوله اليه كفوا عنه وأراد عمارة الهرب فادركه عردة وأسره أسر مقرى الوحش أخاه الثانى والرطال أخاه الثالث وبذلوا السيوف فى العبيد فقتلوا منهم ثلاثة وانهزم الباقون هذا وعنتر قد رسأل الحارث عن القصة وسببها الذى أوجب القتال بعد المنادمة فقال ياحاميه عبس ما يلومك أحد على معاداتك لبنى زياد وقد رأيت مافعلوه لأنهم قوم لئام لايحفظون ذمام وأقل مافعلت من الجميل فى هذا اليوم أنى حملت لهم الزاد فاكلوا وأحضرت لهم الشراب فشربوا الى أن سكروا قاموا إلى ليقتلونى والسبب فى ذلك أنهم ذكروك وسبوك وشتموك وقد ذكرت أنا لهم شجاعتك وردبت عيبتك ففعلوا بى هذه الفعال قال فلما سمع عنتر هذا الكلام زاد به الغرام وقال ياحارث أنا أعلم أن بنى زياد يبغضونى ولابد إلا أقطع منهم الآثار وأشتتهم فى القفار ولكن فى هذا المكان لأننا عندنا مشاغل لبعدنا عن الأوطان والغربة وقلة الانصار والاعوان ومابقى الأمر ياحارث إلا أن نسوق غرماك إلى بين يدى أخيك الملك قيس ونخبره بماجرى عليك قال الراوى ثم أنه أمر أخاه شيبوبا أن يكشف عمارة وأخوته ويسلمهم إلى الحارث ففعل ذلك وسيرهم معه وعول على الرجعة فقال عروة بن الورد بحق الله عليك ياأبا الفوارس تمهل على حتى أعود إلى عند الحارث وأحمل العبيد ماقد فضل من طعامهم وشرابهم حتى لايحظى به من لايستأهله فقال له عنتر أفعل

مابدا لك فما أخالف مقالك ثم تقدم يطلب المكان الذي ذكرنا والحال الذي وصفنا؟ وخرج من بعض أودية الوادي خيل متسابقه وفرسان متراعقة بأيديهم الصوارم البارقة والرماح الخارقة فوقف عروة بن الورد ونظرهم ، إذا هم ينادون يا آل كنده يا آل كندة يا آل بني القين اين تنجو يا عبيد الزنا وتربية الخنا ونسل الأما وبعدها أطلقوا نحو عنترة وقوموا الأسنة وتقسموا عليه فرق ومواكب وداروا به من كل جانب ولما علم مقرى الوحش بهذه النوائب قال هذه خيل قد تبعتنا من ماء النعام تطالبنا بثأر عمرو الذي قتلته وسبيت زوجته زهرة واليوم أشفى منهم قلبي فقال عنتر لمقرى الوحش إن كان كم يسير خلفنا غير هذه الطائفة فهذه أمرها قريب وقد ساقها أجلها إلى تلافها ولكن قلبي يحدثني أن مائة فارس من بني كندة وبني القيان ماتجسر أن تدخل خلفنا إلى هذه الديار وقد أبصرت من فعالنا لهيب النار وأنا أقول أن بوادر هذه خيل كثيرة وأنا خائف على عبلة ومسيكة من ذلك الامر لأنهم في واسع البر الأقفر وإذا كان الأمر على ماذكرت فالتق أنت وعروة والبطال بهذه الخيل حتى أعود إلى النساء والعيال وماتم عنتر بن شداد هذا الكلام حتى طلع حتى طلع موكب آخر من بين تلك التلال والرمال أكثر من الأول عدداً وأغزر مدداً فانطبقوا مع الفرقة الأولى وبدوا بالصياح وانتشروا في تلك الربا والبطاح فقال عنتر والله يافارس النياق وأنا ما احسب إلا احسب الرجال أهل الخبرة بالحرب والقتال وماطلبنا هؤلاء الأنذال إلا وقد علموا أننا أكثر منهم في الحرب والنزال النزال ثم ركض عنتر وشيبوب خلفه والأعداء من كل جانب تصيح عليه وهم يقولون سلم نفسك وأقطع من عبله طمعك قبل أن ينهب جسدك بالسيوف قال فلما سمع عنتر هذا الخطاب مارد عليهم جواب بل تم على حاله في حمية قتال فقال لهم مقرى الوحش كذبتم ياأنذال يانسل غير حلال فدون عبلة سيوف حداد تسبق الآجال فدونكم والقتال ثم حمل على الميمنة والبطال وعروة على الميسرة وطعنوا في صدور الأبطال واختلفت الضرب بشفار الصفاح الصقال واختلفت المنايا وزادت الأهوال وكشف الأسنة ستائر القلوب فصارت طاحون الحرب دائرة والجماجم من على الأبدان طائرة أما عنتر فانه ركض حتى غاب عنهم فقارب المكان الذي كان فيه النساء فأبصر هناك طائفة أخرى ساقوا عبلة ومسيكة تسبوا المولدات في الهودج باكيات متلفتات إلى أقطار الفلوات وهم يسكبون العبرات وفنتظرون الفرج من رافع السموات الذي يعلم مامضى وما

هو آت (قال الراوى) فلما أن أبصر عنتر لهذه الحالات تغيرت أحواله وعلم أن مقرى الوحش صادق فى مقاله ثم أنه قال لشيبوب دعنا ورب الكعبة من كل جانب ورمانا الدهر بسهام المصائب ثم أنه طلت الخيل وهدروز مجروح ونادى ويلكم من أى الناس أنتم أخبرونا قبل أن تطير جماجمكم من على أغصان الأعناق وترو الطعن فى المحاجر والأحداق قال الراوى وعند وصوله قتل منهم عشرين فارس وأنزل بهم الضر والوساوس فتشتتوا فى قدامه خوفا من المعاطب فى البر والسباسب قال الراوى وكان المقدم على هذه السرية جندله زوج الساحرة بأمر الملك مسعود بن مصاد لأنه لما آيس من عبلة وزاد به العشق والغرام هجر المنام وصام عن الطعام وذلك بعد ما كان ملك مقدام وهان عليه فسخ الذمام وذلك كله لأجل عشقه لعبله



جندلة قائد جيوش مسعود — الملك مسعود عاشق عبلة وصاحب الجيوش والجند

بنت الكرام ثم أن مسعود استشار جندلة فيما يفعل فقال له الرأى عندى أيها الملك أن تجتنب هؤلاء القوم ولا ترجع تلم بهم لأنى بعد عودتى أردت أعرف من قتل زوجتى فانفذت ابنتى وقلت لها امضى إلى بنى غبس فى زى سائله حتى تعرفى من قتل أمك ومن فعل بها هذه الفعال فمضت وأقامت فى أبياتهم ثلاثة أيام عادت إلى وقالت لى ما قتل والدتى إلا عبدهم الزنيم لأنه كان خرج فى جماعة من فرسانه حتى وصلوا إلى أمى وهى فى عملها وشغلها

فقتلها ولو لاشغل قلبه على بنت عمه عبلة وما جرى لها وعودته ما كان خروج هذا الشيطان شغل. إلا القتل فلما كان الملك مسعود وما كان عاد من بين يديه سالم قال الراوى وكان جندلة أراد بهذا المقال. تحريض الملك مسعود على فسخ الدم الذى بينه وبين بنى عبس وطلب بالك أخذ ثأر زوجته وإثارة الفتن فعندها قال الملك مسعود يا جندلة لقد كان الرأى معك لما قلت لى الصواب أنه أن لم يقتل هذا العبد ولد الزنا ما تبلغ مت زوجته منا والآن لا بد لى من قتله وأريد من اليوم أجعل عليه العيون والأرصاد وأرسل اليه من يضرب رقبته ويخمد حسه وإذا أرسل إلى الملك قيس وعتب على أقول له هذا أمر ما علمت به حتى فات والخطأ من عنتر لأنه قتل من أهلنا امرأة جليلة القدر بغير ذنب فاجتمعوا أهلها وأخذوا بثأرها منه كما جرت عادة العرب. فساروا اليه وقتلوه فقال جندلة إذا كان عزمك يا ملك قد قوى على ذلك فاذن الأمر قد سهل فى قتله لأنى قد بلغنى فى هذه الأيام أنه ما يفارق عبلة لا ليل ولا نهار ومن خوفه عليها كل يوم يأخذها ويبعدها فى أواخر المروج والغدران ويأكل ويشرب إلى الليل ويعود فى وقت الظلام والصواب أنك ترسل قدر خمسمائة فارس ليقطعوا من عنتر عمره ويخفون أثره وتأمرهم أن يكمنوا له فى ثلاثة مواضع وأوصيهم أن لا يخرجوا اليه حتى يقبل الليل لأنه يكون سكران من شرب العقار وأنهم يبادرون اليه ويضربون رقبته ويجيبوا اليك زوجته وان عتب عليك الملك قيس تقول هذه الخيل ما كانت من عندنا ونحن لا نعرفها ولا شك أنها من بنى كندة وبنى القين لأنهم أتوا يطالبون عبدكم بالثأر لفارسهم عمرو بن ضمرة ولا بد ما أنفذ اليهم من أبطالنا من ينهب أموالهم ويسبى عيالهم إلى ويقتل أبطالهم إلى أن تنطفىء الفتنة وتكون قد ظفرت بالفرصة فلا يكون مثلك من الأرض وكيف تبقى فى قلبك غصة وأنت صاحب هذا الإقليم وصاحب الحسب الكريم قال الراوى فلما سمع الملك مسعود هذا المقال زاد به البلبال وقال يا جندلة كلما أشرت به صواب إلا قولك خمسمائة فارس لعبد واحد فهذه الكثرة لأى شىء الحاجة اليها فقال جندلة يا ملك الزمان لأن رجال بنى عبس مشهورين وهم فى الفروسية مذكورين خصوصاً ذلك العبد الزنيم لأنه فارس مغوار وبطل جبار وله فروسية ما عليها غبار ولم يخرج بعبلة وحده بل لا بد أن يخرج معه جماعة من فرسان قومه وكلهم أبطال وأقيال ما لهم فى الحرب مثال وقيل أن معه فارس مغوار وهو يسمى مقرى الوحش. ويلقب بفارس النياق وهو أثبتهم عند الحرب والكفاح وأضربهم بالصفاح فدبرت هذا التدبير لأن فلما ونة فى التدبير عائدة على الإنسان بالتدمير * فلما سمع الملك مسعود هذا الكلام قال له افعل ما بدالك لأننا لا نخالف مقالك ثم أن الملك مسعود دعا من خواص قومه.

أربع رجال واطلعهم على هذا الحال فوجد عندهم لبنى عبش من الحسد ماقدملأالقلوب وفاض من الصدور وماصدق القوم أن يسمعوا هذا الكلام حتى أجابوا وقد عادوا وكل منهم انفذ خلفه رجاله وابطاله وأمرهم بأخذ الاهبة واطلعهم على هذه القضية وصار كل رجل مع اصحابه وجندلة معهم ولما وصلوا بنى عبس كمن بهم فى هذه المواضع التى ذكرناها وكانوا الكل فزارى بنى فهد وبنى القين وقصدهم قتل عنتر وكان غرض جندلة بتفريق الاماكن إذا بلغ الفريق الأول واتبعه عنتر واصحابه وبقيت عبلة ماعندها أحد. قال الراوى وفى تلك الأمور والفساد جرت قصة الحارث مع بنى زياد وماجرى كاذكرنا وأبصر جندله عبلة وقد بقيت وحيدة لما بعدوا عنها فقال جندلة هذا وقت انتهاب الفرص وهاقد أتانا الأمر كما نريد فدونكم وهذا العبد الشيطان المريد اقتلوه ومددوه على الصعيد اهلكوا من معه من الفرسان الصناديد حتى ناخذ محبوبة الملك مسعود بن مصاد ونعود ثم أنه طلب عبلة فى بعض الفرسان الذين كانوا معها فوجدها وحيدة فسباها وأخذ معها أيضا مسيكة ومن كان معها من مولداتها وعاد جندلة بالفرح والسرور فالتقى بهم عنتر وقتل منهم عشرة فوارس وجرى من القصة ماجرى واستخبرهم عن حالهم وكان المقدم عليهم رجل يقال له سعدان بن علوان الذى أجابه قائلا يا ابن الأمة الحرام نحن بنو القين وقد اتينا لطلب الثأر ونكشف العار وعبلة قد سبيناها كما سبيت أنت زهرة ثم انهم صاحوا عليه وقصدوه من كل مكان قال ولما رأى عنتر ذلك الحال طار برى الاقلام وصار معهم تحت القتام وقتلهم حتى اتسع عليه المجال وعاد إلى الرمح وقد طعن به فى صدور الرجال وأول من قتل منهم المقدم على السريه سعدان لانه حنق عليه وطعنه فى صدره نكسه عن جواده فلما ابصر الفرسان طعنته تفسحوا عنه وتجنبوه وصار تارة يطلبهم وتارة يطلبوه وجندله ساق عبلة سوق العجلة واخذ بها فى عرض البر ومعه عشرة من الفرسان فعلم شيبوب بهذه الفعال فتبعه ورمى رجاله بالنبال التى كانت معه وما زال يعوقهم عن المسير حتى قتل منهم فرسانا لهم قدر وقيمة وحازاهم على البغى والغدر وبعد ذلك ادركهم عنتر وكان قد سمع صياح عبلة فانتحى لها وطلبها خوفا عليها وعلى اخيه شيبوب من أعداء قال ولما رأى جندلة عنتر ونخوته خاف من الهلاك وقال لمن معه من الفرسان يا ويلكم أن هذا الشيطان ما يقابله الامن حضر أجله فاطلبوا بنا يا بنى عمى النجاة والإلاعاد علينا شره ثم أنه ترك عبله وعدل عنهم فى تلك الطريق وطلب أثر المهزمين

ووصل عنتر إلى بنت عمه عبلة فرآها تتبسم من فعاله وهزيمة الأبطال من يديه وقد ظهر على وجهها السرور بعد الخوف وهدأ قلبها بعد الخوف فزاد عجبه من ابتسامها وفرح بشكرها وكلامها فأمر اخاه شيبوب فقاد زمام ناقتها مسيكة وسار بهما حتى وصلوا إلى المكان الذى كانوا فيه فعند ذلك قالت مسيكة ياحامية عبس أيطيب على قلبك أن تعود إلى الحى وتخلى اخالا مقرى الوحش مع اعداه فى هذا البر وحيد وبين يديه خلق كثير فقال عنتر أما مقرى الوحش فما بين يديه من يخشاه لان قدامه مائتين فارس اندال ومعه عروة والهطال وانا لابد لى من العودة اليهم ثم أنه أوصى اخاه بحفظ النساء وقال له إذا رأيت بنى عبس ركبت إلى نصرتنا فردها وقل للملك قيس ماهناك أمر يوجب أن اعاجلك ثم عاد يركض على ظهر الابجر إلى أن وصل إلى مكان المعمعة فرأى الحرب قائم على قدم وساق وزادا الأمر عما كان يعهد ومقرى الوحش يهجم على الأعداء هجات الأسد والورد وابن اخته الهطال قد اثخن بالجراح وعروة بن الورد قد خفق صوته من كثرة الصياح (قال الراوى) وكان السبب فى كثرة الأعداء أن المهزومين لما عادوا من قدام عنتر لحقهم جندله وامهم من أقطار الفلا وقال لهم فنينا وحاجة ماملكنا ماقضيت لأن هذا الأسود المشؤم خيب طريقنا وزاد تعويقنا وانا كنت أسمع عنه هذه الفعال وكنت اظنه محال حتى انى حققت ماسمعت بالنظر وحق الرب القديم أن الجن تفزع منه وتعجز عن مقاتلته وأنا قد عذرتكم واستصوبت رأيكم فى عدم الهجوم عليه وأقول أنه قد اشتغل بمحبوبته عنا ولا ماكان عادمنا أحد والصواب اننا ننظر لبنى عمنا ونعينهم على أصحابه ثم عادوا إلى المكان الذى قدمنا ذكره فوجدوهم يدافعون عن انفسهم مدافعة الاذلال فقال جندلة ياويلكم اترضون لانفسكم بالهرب من ثلاثة رجال وانتم مائتان وخمسون فارسا ابطال ثم حمل فيمن كان معه فعند ذلك اشتد الطعن والضرب وزاد الحرب والكرب فبذل أصحاب عنتر الارواح وجادوا بالضرب والصفاح حتى اثخن الهطال بالجراح وخفق صوت عروة بن الورد من كثرة الصياح ولولا مقرى الوحش وشجاعته وحسن معرفته لكانوا هلكوا وشربوا كأس الممات إلا أن الأمور مازالت متضاعفة والأسباب متلاطفة حتى لحق بهم عنتر بن شداد ورأى اصحاب على تلك الحالات التى ذكرناها فحمل وصاح وعرفهم بنفسه فوقع فى قلوب الأعداء الهيبة وانقض عليهم مثل القضاء وكانت حملته أشد من حملة الأسد إذا خرج من الأجمة وطعن صدورهم طعنا أمر من الجمر فعند ذلك فرق شملهم فى البيداء ونظر عروة بن الورد اليه فقويت نفسه على

الأعداء وعليهم هجم وعادوجودهم إلى عدم فانهزموا واجتمع مقرى الوحش بعنتر وسأله عن زوجته مسيكة فحدثه بسلامتها وماجرى له لما عاد وخلص عبلة فشكره مقرى الوحش على فعاله وقال له ياأبا الفوارس ماقوى قلبي إلا بك ثم إنهم عادوا يطلبون أهاليهم وما بقى قدامهم أحد من تلك الرجال وبعد ذلك أنشد عنتر وقال

أرى كل يوم من زمانى ... عتابا فى البعاد وفى التدانى
يريد منزلتى ويدور حــــولى ... بجيش النائبــات إذا رآنى
كأنى قد كبرت وشاب رأسى ... وقل تجلدى ووهى جنــانى
ألا يادهر يومى مثل أمسى ... وأعظم هيبـــــة لمن التقانى
وما أسفى عليكم غير داع ... دعانى وهو فى كرب الطعان
وناداني وخيل الموت تجرى ... فما أدرى نادى اسمى أم كنانى
ففرقت المواكب عنه كرها ... بسيف كأنه البرق اليمانى
وكم قوم تركت الطير تأوى ... اليه وهو مخضوب السنان
خضبت خدوده بدماه حتى ... أعدت جواده كالأرجوان
ولا أوهى مراس الحرب ركنى ... ولا وصلت إلى يد الزمان
ولا دنا شخص الموت إلا ... كم يدنى الشجاع من الجبان
أنا عنتر ولى قد شاع ذكر ... فى الحروب وضرب الهندوان

قال الراوى ولما قاربوا الديار ركب الملك قيس ومعه جماعة من الأبطال وكانوا لهم فى الانتظار وكأنهم من أجلهم على مقالى النار إلى أن الملك قيس كان كلامهم بالمسير بمنعه شيبوب من ذلك كأمره أخوه عنتر لما أنفذه مع عبلة ومسيكة لأن الخبر ماوصل إلى الملك قيس إلا فى أواخر النهار وماركب هو ومن معه حتى أمسى المسا وكلما هم أن يخرج من الخيام فى طلب عنتر بمنعه شيبوب وتشاغله بالحديث والكلام حتى قدم أخاه فالتقى القوم بعضها البعض وحدث عنتر الملك بما جرى وقال له وحق من أنبع الماء وأجرى واحتجب عن عيون الخلق والورى ما كانت هذه الفعال الامن صديقك مسعود بن مصاد ولسوف ترى ولابد له من يوم تفارق فيه الأرواح الأجساد فقال الملك قيس يا أبا الفوارس وأنت ايش بينك وبين الملك مسعود حتى تسكن لك الفرسان والجنود وبيننا وبينه الأيمان والعهود فقال عنتر بينى وبينه شيء ما أسلمك عليه فقال الملك قيس وما هو ياأبا الفوارس أتخفى منى حالك فقال له أنه تولع بعبلة وقد تصور له أن يقتنى وأنا أعلم أجله قد

اقترب فقال الملك قيس وقد تبسم العجب يا أبا الفوارس تنغص على نفسك عيشك مع أنك لا تلام لأن المحب مولع بسوء الظن ويتصور له أن كل حبيب يحب حبيبه والصواب أنك تصبر حتى ينكشف لك خبر هذه الخيل ولا تعجل فى الأمور فتحمل أثقالها لأن أخاك شيبوب ذكر لنا أنها من بنى القين وبنى فهد وانهم قد دنوا خلفك يطالبوك بالثأر فقال عنتر يا ملك أخى تحدث بما سمع وأنا أعلم أن هذا محال ثم أن عنتر كتم باقى القصة وعاد إلى مضاربه وهو حائر فى أمره وعاد الملك قيس وقلبه قد اشتغل بما سمع من عنتر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك مسعود بن مصاد فان فرسانه وصلوا اليه وحدثوه بما لاقوا من النائبات فزادت حرقه وكثر قلقه وقال والله يا بنى عمى ما بقى بينى وبين القوم ذمام ولا بد أن أبذل فيهم الحسام وأملك هذه الجارية بدر التمام وإلا قتلنى الغرام وأريد منكم أن تشيروا على بما



مسعود فى دهشة لما علم أن جيوشه اليمنية التى أفناها عنتر

مشير الفتن

أفعل فقد قتلنى الهوى وكيف يكون التدبير قبل أن أكاشفهم بالعداوة فقال رجل منهم وهو شيخ كبير وكان من جملة المنهزمين وكان قد قتل له فى هذه الواقعة أخ وابن عم وكان يقال له مشير الفتن أيها الملك السعيد وحق اللات والعزى ما نقعد عن ثأرنا ولا على من قتل منا

وقد رأينا أموال بنى عمنا معهم فى المرعى ونحن نتحمل ذلك من أجلك ونحفظ ذمامك أما سمعت شعر عبدهم لما عاد من جهينة وقتل سيدهم بشروا فتخر بنهب الأموال وقد ذكر ذلك فى شعره وهو يقول :

سلوا عنا جهينه حين باتت ... تهيم من المهابه فى رباها
رأت طعنا فولت واستقلت ... وسمر الخط تعمل فى كلاها
وما خليت فيهم سفرى ... سوى الغربان تحل فى رباها

وبعد ذلك عاد إلى خثعم وسبى الحريم والنعم وأنشد يقول .

جلبنا الخيل والأبطال حتى ... خشيا الحى من ابنا مرادى
وخثعم قد صبحناهم بكورا ... وشعبا عند مانادى المنادى
وعدنا بالبنات وبالسبايا ... أسرناهم يقادوا فى الصفادى

وبعد ذلك أيها الملك فى نوبة وقعة خالد بن محارب لما أن سبى زوجته الجيداء وقتل خالد وكسر معدى يكرب ورجع أموالهم معه قد ملأت البيدا وله وقعات تشيب الأطفال وهى مذكورة عند السادات ووقعة جبال الروم ووادى الرمال حاضر فيها الملك النعمان وفى وادى السيل لما قتل الحاجب وردشان وأسر حجار بن عامر الكندى وغير من الفرسان وله قابع لاتحصى ياملك ومن أعظم المصائب أيضا والمحن أن رجع هذا العبد سالم من بلاد اليمن على أننا ما بقينا تأمن عليك من شره ولا أن تب تواقيت عبه فما يقعد عن أذيتك لأنه ياملك عرف أنك تهوى بنت عمه فما بقى عنك ولاينام عن أخبارك فلما سمع الملك مسعود هذا الكلام زاد به الغيظ وزين له الشيطان فسخ الذمام وقال والله يا ابن الأعمام ما أنا متفكر بأى حجة أثير الحرب والقتال وأنا قريب العهد من دعوة ملكهم قيس لكن فعال هذا العبد ولد الزنا صابر وأن لم أحض بزوجته لم أبلغ المنا فقال الجندله ياملك أنا قد انفتح لى باب قال له ياملك أخبرنى فقال له ياملك أن كنت أنت قزعان من فسخ الذمام وخائف من معيرة العربان فانا قد رأيت من الصايب أننى أمضى غدا إلى بنى عبس فى زى زائر وإذا حضرت قدام ملكهم قيس أقول له على أن الملك مسعود انفذنى اليك أهنيك بالنصر وبسلامة حاميتكم عنتر من هؤلاء الأعداء والملك مسعود قد حلف لابطا أن يخرب ديارهم فاذ انطلى هذا المحال أنا أعرض له بخطبة عبلة واطلبها على اسمك والجواب ولا أرجع منهم يكون سبب الحرب والقتال ولايبقى عليك عتب ولاملام وهذا آخر ماعندى والسلام قال الراوى فعندها طاب قلب الملك مسعود بهذا

الخطاب ورآه عين الصواب ثم أنه مات إلى الصباح وجمع وجوه عشيرته وشاورهم فى ذلك الايضاح فقالوا ما بهذا من بأس ولا حد من الناس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك قيس بن زهير فانه قال لاخوته والربيع بن زياد من كان يعتمد عليهم فى الأمور الشدائد اعلموا يا بنى عمى انى قد أصبحت غريب فى بلاد اليمن وكلام عنتر أنا مشكك فيه وأن كان كما ذكرنا فانحن والله إلا على غاية الخطر فقال الربيع والله أن هذه قصة مشككة وكيف تسمع من بنت عمه عبلة فان كان سكت اليوم فلا يسكت غدا ولا يلا فيما يفعل وأنا قد حرت فى هذا الكلام فقال عمارة يا ملك أن جاهرتم هذا الرجل بالعداوة فما يبقى لنا مقام ولا تخلى العرب منا لا شيخا ولا غلام وهذا الرجل ما لنا طاقة لانه على كل حال ملك وجاهل بأمور الزمان وعاشق وإن كان قد وقع فى قلبه هوى عبلة فهو سبب القلعان والبلوى وأنا يا ملك الرأى عند أنكم تأخذوها من عنتر شاء أو أبى وتزوجوها بهذا الملك الجليل القدر لأن عنتر قد قضى منها وطرا ونال من وصلها الحظ الأوفر ولا سيما أن صار هذا الملك صهرنا ارتفع قدرنا وهابت القبائل أمرنا فاحمدوا الرب العظيم على خلاصكم من هذا الأمر الخطير فقال الحارث هكذا يا عمارة إذا أحد عشق أختك وامرأة أخيك أو أحد من أولاد عمك تسلمها للعاشق وتبقى تحت المذلة والاحتراق فقال عمارة إيش هذا الكلام بلا نخوة ولا حمية فقال الحارث وكيف يسلم عنتر زوجته فقال عمارة يا حاث لا تعد العبد الحقير مثل السيد الخطير فقال الحارث وكيف والله أن العبد الحقير هو الذى يهرب من اشتباك الرماح وأما عنتر فقد شهدت له الأبطال الملاح بانه أوحد الزمان وفريد العصر والأوان (قال الراوى) وما كان مراد الحارث بهذا الكلام إلا غيظ عمارة وذلك لأجل ما تقدم من نوبة ما لقاهم وهم فى القتال لما جمع عليه عمارة بن زياد الانذال وخلصه وسلمهم الله حتى ساقهم كلهم إلى الحى وصاروا قدام الملك قيس فاطلقهم وأصلح بينهم (قال الراوى) فبينما هم فى ذلك الكلام وإذا بعنتر قد دخل عليهم ثم سلم ومنهم تقرب وقد نظرهم بزكاوة عقله وإذا بوجوه القوم تلعب فعلم عنتر أنهم كانوا فى مشورة وسبب فاراد عنتر أن يسألهم عن ما كانوا فيه وإذا بجندلة زوج الساحرة قد أتى عند الملك مسعود بن مصاد فى زى رسول وهو راكب على ناقة عالية السنام لابس ثيابا واسعة الأكمام وعلى رأسه عمامة كبيرة منقوشة الأعلام ولما صار بين الخيام برك ناقته وأمر عبده ان يعلقها بفاضل الذمام ثم انه تقدم إلى بين الحاضرين وحياهم باحسن التحية والاكرام ولما سلم على جميع السادات الكرام وجه إلى الملك قيس وسرح له الكلام وقال أيها الملك الكثير الجواد والأنعام إن الملك مسعود

أين مصاد فقد أنفذني اليكم أهنيكم بسلامة فارسكم وحاميتكم عنتر البطل الهمام من هذه الخيل الغائرة التي أتت نحوكم متبادره وهو يقول لكم أننا ما علمنا بها إلا وقت المسا وجود الليل الحالك وقد ركبت من عندنا الفرسان وأخذت في أثر الأعداء وإلى الآن ما رجع منهم أحد وملكنا قد حمل من ذلك هم عظيم وغم كبير وأمر جسيم وقد مت بنو نهد القين إلى هذه الارض وتعرضت لكم وأنتم تحت كنفه وذمامه وأنه قد عول أن يغزو ديارهم ويخرب أطلالهم إكراما لكم ورغبة في قربكم قال الراوي ولم يزل جندلة يترنم بمثل ذلك الكلام حتى دعا له كل من كان حاضرا ذلك المقال وحمدا الملك قيس صاحبه الملك مسعود بن مصاد وشكره وأثنى عليه وقام الملك قيس إلى جندله وأخذ بيده وأجلسه بجانبه وقد استخبره عن قومه وعشيرته وسأل عن الملك مسعود صاحبه فقال جندله يا ملك أن صاحبي اليوم حبلي بحل هؤلاء القوم حتى افتخر بذلك ولا يبقى على لوم وأيضا ما بني أحد يتعرض لهم ما دامت أناسهم والسبب في ذلك أن الملك مسعود رأى عندكم جارية يقال لها عبلة بنت مالك بن قراد وسمع أن بعلها عبد يقال له عنتر بن شداد وأنه في الزمن الأول أخذها من أبيها غصبا وهذا نكاح لا يصح ولا يحكم به أحد من العرب قال الأصمعي فلما سمع عنتر ذلك ما أمهله أن يتم خطبته حتى عمل حيلة ووثب إلى جندله وتقرب منه وقبض على حلقومه رض رخشط طوله في العرض فترشش دمه على بسيط الأرض يعول على الانصراف وهو لا يبدي ولا يعيد وصارت عيناه مثل لظى الجمر وما بقي يعرف ما بين يديه فخاف الملك قيس من غضبه فقام بنو عبس كلهم وقالوا أحسنت يا أبا الفوارس فيما فعلت في هذا القرنان ماله جواب غير القتل والعذاب ثم أنهم تفرقوا إلى منازلهم والخيام ثم نهض عبد المقتول وشده على ناقته وأخذه وسار وهو غادق في دماه وأخبره بما جرى وبقتل مولاه فانقلب الحي بما فيه وأنفذ الملك مسعود خذوا أهبتكم للحرب والقتال واتهبوا من بني عبس الأموال والحريم والعيال قال الراوي وعلى الحقيقة باتت مياه عراعر تموج من سائر الروابي والتلا حتى أن امتلأ بالجيوش والأبطال وكان للملك مسعود خال يقال له عقاب وكان ناقص عقل وأدب إلا أنه كان جبار لا يصطلى له بنار فقال الملك مسعود يا خالاه ما لهذا الأمر غيرك وأريد منك في هذه النوبة تقضي حاجتي وتأتيني بمحبوبتي وإن رأيت

القوم أطاعوك فاعف وأصرفهم بجميل فقال له خاله إيش يا ملك هذا المقال ولا يعرف هذا الأمر إلا أنت تعلم إذا سللت حسامى فلا أبق على أحد يقف أمامى ولا أغمد سيفى حتى أرى الدم يجرى قدامى وما يهدأ لى سر حتى أفعل ما هو مرادى فارسل فى هذا الأمر أحداً غيرى وإلا أن فعلت شيئاً فلا تلمنى فقال الملك مسعود يا خال أفعل ما تريد لأن القوم قد أرسلت إليهم رسول فقتلوه وأقول أنك لم تلحقهم فى المكان الذى كانوا فيه ولا بد أنهم رحلوا فى الليل فزعاً منا لأنهم ندموا على ما فعلوا من الفعال فى حقنا فقال له خاله أين يهربون وأنا خلفهم ثم أنه أعتد وركب وكان الوقت ضحى نهار وسارت من ورائه الكتائب والمواكب وأسنة رماحها قد سدت شعاع الشمس فى المشارق والمغارب وعقاب أوائل الفرسان كأنه الأسد الغضبان وما زالوا سايرين حتى أشرفوا على المكان الذى كانت بنو عبس فيه نزول فوجدوهم قد رحلوا بالماء والعيال والأنعام ونزلوا فى جبل الغمام ونصبوا فيه الأعلام والخيام وأدخلوا من داخله الحريم والعيال وبقوا جرائد على ظهور الخيل قيام وهم ينتظرون القتال والصدام وكان هذا كله من تدبير الملك قيس لأن عنتر لما قتل جندله وفعل به ما فعل وقد رأى القبيلة قد استصوبت فعاله وركبوا لركوبه وعولوا على المسير لقتال الملك مسعود وذلك تبعاً لعنتر بن شداد فقال الملك قيس تمهل على يا أبا الفوارس حتى تحسن التدبير فإنى قد رأيت من الرأى السديد أننا أولا نلتجى إلى ذلك الجبل الأسود ونحصن فيه العيال والمال ونظر أمورنا بعد أن ندبر أحوالنا وبعدها ننهض فى الانتظار ما يتجدد لأن من حولنا قبائل كثيرة يتوقعوا لنا غدرات الزمان ومن الصواب والتدبير قال ولما اتفقوا على ذلك توكل كل واحد منهم بحريمه وعياله ثم أن عنتر دخل إلى عبلة فوجدها تبكى مما نالها من الفزع فقال لها لا تحزنى يا ابنة العم ثم أنه طيب قلبها وأمر عبيده برفعها على جمل بازل وسار بها العبيد فى أول الحامل وهو ينشد ويقول .

يا ابنة العم قد جرت الزمانا وكان الدهر صعب على فلانا
حاربتنى صروفه والرزايا فرأتنى أشد منها جنانا
فاسكتى يا نور عينى ثم قرى واضمنى للنسا منى الأمانا
وإذا ما رأيت خيل الأعادى جائلات تطلب الميدانا
فوحق البيت الحرام ومن طاف ولبى ثم قبل الأركانا
لا أترك النفوس تباع إلا بيع من لا يرى الهوان هوانا
يا سباع الفلاز وردنا غداه الحرب خماصاً تهوى بطانا

واحضرى وانظرى ولية عبد طيب الاصل يكرم الضيفانا
وإذ ما سألت بعد مسيرى سلا الاسلى عن حديثى العقبانا
فهى تخبرك اننى تحت ظلى من غبار اطاعن "فرسانا

(قال الراوى) فلما سمعت عبلة ذلك الكلام طاب قلبها وانشرح صدرها قال الراوى وبعد ما نزلت الفرسان واتخذت إلى ابن وبرة مقبله وفى المقدمة الفارس الضراب والاسد الوثاب المسمى بالعقاب ومن خلفه العساكر والجنود وقد أيقن من تجبره أنه قد احتوى بنى عبس وأخذ أموالها وقتل أبطالها ولا يعلم بان دون أموالهم رجالا من السباع الضاربات وكل فارس منهم يلقى قبيلة ويكون على قتالها رابح غير خسران فقال عقاب لمقدمى العساكر يا بنى عمى اعلمو أن الاموال كلها لكم مباحة الجارية زوجة عبدهم الأسود فالكم فيها نصيب لانها من قسم الملك مسعود فقالوا له وكل الأموال تساق اليه حتى يفعل بها ما يريد قال وكان فرسان بنى عبس قيام كما ذكرنا على متون الخيول متقلدون بالنصول وحاميتهم عنتر فى أوائلهم وهو راكب على جواده الابجر متكى على رمحه الأسمر متقلد بسيفه الظامى الابتر الذى لا يبقى ولا يذر وهو امامهم وقد رتب عسكره ميمنة وميسرة فعندها صاح وزمجر لما رأى تلك العسكر التى كانها البحر الزاخر الا أنهم ما اختلطوا حتى غسق الظلام وزاد سواده من شدة القتام وصارت بنو كلب بن وبرة ينادون على بنى عبس يا غدارين يا مكارين أظلتم انكم تقتلون الرسول وتنجون من الهول فقال عنتر لاصحابه لا تجيبهم بجواب ولا تبدى لهم خطاب بل تحمل عليهم ونجود الضرب بالسيف القرضاب وأنا الضامن قال الراوى ومن الاتفاق العجيب الذى يلتذ به السامع ويطيب أنها كانت ليلة مظلمة وما يسمع فيها الاوقع حوافر الخيل الضوامر واصطكاك القنا والبواتر وقل خطاب المخاصب وأظلمت المشارق والمغارب وعزت فى ذلك الوقت المطالب وزعق عقاب على الفرسان وحمل وفعلوا وكذلك بنو عبس عملوا مثل ذلك العمل ولاقى بعضهم البعض والتحموا فى جنبات الأرض ووقعت العين عن العين وقد تصارخت الطائفتان والتقى العسكران وحان الحين وزعق على رؤسهم غراب البين وتطاولت منهم الاعناق وشخصت منهم الاحداق ونظرت بنو كلب بن وبرة من كان معها من الشجعان إلى قلة بنى عبس وعدنان فطمعت فيها لاجل قلتها فاستقبلهم برماحها وأسنتها وتحدر بنو عبس من ذروة الجبل ووطنوا أنفسهم على ذلك العمل فانقلبت قطار الأرض واهتزت جنباتها طولا وعرض وحمل عنتر على العسكر يمينا

وشمال وفرق الأبطال والاقيال وأجرى مجارى الدماء وما بقى يعرف هو فى أرض أو فى سما وزادت نيران الحرب تضرما وتلهف كل واحد على شربة من بارد الماء وصلصل الحديد وبرق الزرد النضيد وجال فى تلك الوقعة كل فارس صنديد وليث شديد وشجاع جليد وقعد الجبان البليد وجالت العسكر فى تلك البيد وطحنت أرجل خيولهم الحصاد والجلاميد ولان الاطفال فى تلك الليلة شابت والرؤس طارت والعيون غارت والاكباد ذابت والدماء فارت والطيور حامت والقيامة قامت وبريق الصوارم للمفاصل قطعت وسهام المنايا رشقت وقد عمل السيف اليمانى والرمح المرانى إلى أن طلع الزبرقان وأدبر الدبران واشترط السرطان وضربت الجوزاء اشراق الفجر فانصدع بعد ما كان كالسنديان وهب نسيم الحرب فالم الخلائق حتى اشتد الطعان وهجم الأسد فانفلق الصباح وبان حصدت السنبلة مناجيل السيوف ومالت كفة الميزان وتعطل السنان وجرى على الجدى من الثور ما يعهد من كواسر العقبان وانخرط الدلو عند فقد ايانه من اصحابه والخلان وتزحزح زحل عن موضعه وطلب من بهرام الأمان وانباع المشترى بابخس الاثمان واهريق دم المريخ بالسيف اليمان فانجرح قلبه وتخضبت بأدميته الفرسان وتقدمت الزهرة إلى سائر الكواكب وهى تطلب لنفسها الذمام والامان وطار عطارد الفجر فضمخ بالنجيع القان وقام القمر بارواح الابطال ومهج الفرسان والشجعان وامتد الضوء من مشارق الجو إلى كل مكان فهذه قدرة الإله الواحد الديان الرحمن الرحيم مكون الاكوان وملون الالوان وجاعل السماء ايوانا والأرض ميدان الذى حكم على هذه الخلائق بالفناء والانتقال إلى دار الآخرة حكم الإله الديان العظيم السلطان الذى لا يشغله شان عن شان فسبحان رب الأنام الملك العلام قال الاصمعى هذه والرؤس طائرة والسيوف جائرة والغبرات ثائرة والشجعان هائجة والانذال حائرة والقيامة قائمة والرماح حاطمة وكل هذا والأمير عنتر هايج فى المعمعة يصدر جواده الابجر يلتقى تلك الكتائب وتلتقى صدره عوالى الرماح ويبذل نفسه إلى مضارب والصفاح وكان تارة ينادى بعروة بن الورد البطل الهمام تارة ينادى بمقرى الوحش فارس الشام على ابن اخته المطال وهو يحرضهم عند الصدام ويصيح فى العساكر صيحات الأسد الضرغام فيشتتوا منه فى البرارى او كأنهم لما يسمعوا زعقاته مثل الرعد فى خلال الغمام وكان تاره يطعنهم بالرمح اللهذام وتارة يضربهم بالحسام هذا شيبب ويزعق فى الرجال من خلفه ويرمى بالنبال فيصيب بهمقاتل الابطال فتفرق بين يدية يمينا وشمال

وكان عنتر ينادم عروة ابن الورد بهذه الأبيات

يا عروة بن الورد ليث عبسى   كن آمنا من غلبات الإنسى
واشهد بأنى قد بذلت نفسى   للموت حتى يطمئن عرسى
وقد عاهدت صارمى وترسى   إن لم أر النصر ما خلعت لبسى

(قال الراوى) ومازال القتال يعمل والدم يبذل إلى أن طلع الصباح فعندها وقع عنتر بعقاب خال الملك مسعود وسمعه وهو يقول دونكم يابنى الأعمام وبنى عبس اللئام وهو يصيح على الأبطال فطلبه عنتر وقاتله حتى كلت مناكبه وصاح فيه وأتعبه وأكربه وطعنه بالسنان خرق أمعائه وبدد أحشاه فمال عن الجواد إلى الأرض والفلاة وبعد وقع الفنا فى بنى كلب بن وبره ورأت من بنى عبس فعال من لا يحيط به خبره وانكسرت وعادت والاسنة فى ظهورها خرقت وهى هاربة لا تصدق بنجاتها من العطب وكان ذلك الوقت ضحى نهار فرجعت بنو عبس حتى قاربت الديار وهى فرحانه وهم يشكرون عنتر ويثنون عليه ويصفون مافعل من الفعال وماقتل من الأبطال وكان من جملة وصفه عمرو أخو عبلة لأنه قال والله ما كسرى الجيش إلا عنتر فقال الملك قيس لأخوته ولعمرو والله انك صادق فيما تقول مع ماعلموا وتحققوا أن عنتر اصطلى نار الحرب بنفسه وأفنى أكثر القوم حتى لا يبقى عليه عقب ولا لوم ثم انهم عادوا إلى الخيام والمضارب ومعهم من الخيول والاسلاب والجنائب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ودخل عمرو على أخته عبلة وهو كثير الثناء والشكر على عنتر الأسد القسور وهو يصف لها مارأى من عجائبه وماعاين من طعانه ومضاربه وقال لها يا أختاه لقد فعل الليلة بعلك فعال تعجز عنها صناديد الرجال ولولاه لاصبحت مسبية فى ايادى الأعداء الأنذال وسائر الحريم والأولاد وماكان يخلصوك بنو زهير فعندها تبسمت عبلة لما سمعت هذا المقال من أخيها عمرو عن بعلها وقد زادت فيه محبة ومنزلة حسين سمعت فروسيته وشجاعته وبراعته فعندها مشت بنفسها اليه وسعت بين يديه فابصرت الدما يسيل من على رمحه فقبلته فى عارضه ونحره وقالت الحمد لله على سلامتك يا ابن العم الذى عدت سالم غانم ورجعت من هذه الأهوال العظائم فقال لها عنتر أى وحياة عينيك رجعت سالم بعد ماقتلت من أعدائك كل ظالم وتركت فارسهم عليه الطير حائم ولا قصدى الملك مسعود فى دياره وأخلى منه ومن قومه الربوع والمعالم وأضرب رأسه بحد الحسام الصارم أو أطعنه بالرمح الهادم واترك لحوم فرسانه رزقا للوحوش وطعاما للنسور القشاعم وان كان فى قلبك شك من مقالى فسلى أخيك عمرا عن فعالى ثم انه أجابها يقول

سلى يا عبلة عمرا عن فعالى ... بأعداك الذى طلبوا قتالى
سليه كيف كان لهم جوابى ... ان شك قلبت من مقالى
أتونا فى ظلام على جياد ... مضمرة الخواصر كالعسالى
وفيهم كل جبار عنيد ... شديد البأس مفتول البسال
ولما أوقدوا نار المنايا ... بأطراف المثقفة العوالى
طفاها أسود من آل عبس ... بسيف باتر حسن السقال
إذا ما سل سال دما طريا ... وأحرقت ناره صم الجبال
ورمحى كلما رفعته يدى ... يلوح سنانه مثل الهلال
تراه إذا تلوى فى يمينى ... تسابقه المنية من شمالى
ضمنت لها الامان ضمان صدق ... وأتبعت المقالة بالفعال
وفرقت الكتائب عند ضرب ... تخر له صناديد الرجال
وما لى شجاع القوم إلا ... وبين يديه شخص من خيالى
ملات الأرض خوفا من حسامى ... فبات الناس فى قيل وقال
ولو أخلفت الوعد معك قالوا ... بنى الأندال ذع عنك السؤال
أمشى عمارة فى معال ... يريد حبائك ياذات الجمال
لأصبح لحمه للطير رزقا ... وأنت مع السبايا فى الحبال

ولما سمعت عبلة هذه الأبيات قالت له وحياتك أنا ما سمعت ذلك إلا من أخى فقال لها أنا ما ذكرت عمارة فى هذا الكلام إلا لما أتى جندلة زوج الساحر قرسول الملك مسعود لأن عمارة أشار على الملك قيس ان يأخذك منى ويعطيك للملك مسعود من فزعه وجبنه وما سعى إلا لأجل حماك احمل له ولقومه الضيم وهم لو قدروا على لحمى لأكلوه ولو تمكنوا من دمى لشربوه ولكن أصبر فالصبر نعم الناصر ولكل أول آخر ثم أنه اخذ الراحة قدر ساعة وإذا بعقرى الوحش أتى اليه وقال يا أبا الفوارس قم نحن نسبقه ونجتهد فى قلع آثاره مادام قد صحت بيننا وبينه العداوة وأن تهاونا فى أنفسنا جمع علينا هذا القرنان كل فارس وشيطان وكل من فى بلاد اليمن وأخذ ثارة منا وثار الفتن فقال عنتر والله يا أخى لو كان الأمر لى ما نزلت عن ظهر الابجر كنت جديت فى هلاك الملك مسعود وقلعت منه الاثر وانما لما رأيت أصحابنا قد أصبحوا تعابا وفيهم جماعة جرحى فقلت لنفسى أمهل عليهم حتى يأخذوا لأنفسهم راحة من

كرب الكفاح وأسير غداة غد عند الصباح فقال لهمقرى الوحش دبر كما ترى ولا تنم على من لا ينام عنك أبدا فلما مضى النهار ركب عنتر وأرسل استأذن الملك قيس فى المدير إلى مياه عراعر والحجاز أمر الملك مسعود قبل أن يجمع علينا القبائل وتأتينا قبائل اليمن وأنا يا ملك لم أدع هذ القرنان يملك فينا فرصة ويا ملك انت واخوتك تريحوا أنفسكم ونحن نبلغكم المقصود ونكفيكم أمر الملك مسعود فقال الملك قيس والله لا رضيت أنا لنفسى بالتأخير ولا بد ما أبذل المجهود فى لقاء الملك مسعود خائن الايمان والعهود وأنا فى الأول كنت ألوم عنتر على ما يقول فى حق هذا القرنان حتى صار لنا هذا الأمر عيان ثم انه ركب من وقته وساعته وصاح فى قومه وعشيرته فركبوا وتركوا فى البيوت الربيع بن زياد واخوته وسارت بنو عبس من أول الليل وقد اكثروا من الجنائب والجيل (قال الأصمعى) وكان الملك مسعود منتظر خاله عقاب ان يعود اليه بسبايا بنى عبس وأموالهم وتحدث عن عيلة بكل حساب ولم يحسب تقلبات الليالى والايام وما زال على هذه الاحكام حتى وصل اليه المنهزمون وهم قوم قدر عشرة أو عشرين وأخبروه عن خاله عقاب وكيف قتله القسر الكاسر أبو الفوارس عنتر فلما سمع الملك مسعود هذا الخبر حسن ان قلبه قد انفطر وغاب عن الوجود وبقى حاضرا فى صفة مفقود وقال يا بنى عمى ما كان ظنى اننا نلقى من هذه القبيلة هذا الملتقى والا ما كنت ذكرت عشقا ولا غيره أبدا على اننى أنا الذى فرطت فى أمرى بقعودى عنكم وإلا لو كنت سرت معكم كنت ا. حتكم من هذا العبد الأسود الذى طغى وتمرد وفعل بكم هذه الفعال وأهلك الرجال وأفنى الابطال والآن ما بقى غير مسير معكم بكل من فى الاحياء والا شمتت بنا الأعداء لان هؤلاء القوم ما يغفلوا عنا لكن لا يغلبونا إلا بالمكاره وقلة النصفة داداموا على هذه الصفه فقال رجل من قومه وحق ذمة العرب يا ملك لو سرت إلى هؤلاء القوم بكل من فى الأرض لقبضوا أرواحهم وأخذوا أموالهم وسلاحهم مادام فيهم ذلك العبد الأسود والصلد الانكد فلعن الله وجهه الاغلس وأنفه الافطس والصواب انك تجتمع فى هذه الليله كل من فى هذه الأرض من القبائل والفرسان والجحافل وتحرسوا أنفسكم قبل أن يدهمكم هذا اسود وينزل بكم النكد فقال الملك مسعود بن مصاد لا بد ما أريك ما أفعل بهؤلاء والاوغاد فان سائر سكان اليمن لاموا على مصادقة هؤلاء الشياطين وعابونى كيف أنى أعطيتهم الذمام ولولا خوفهم منى وهيبتى لكانوا قطعوهم من شهور وأعوام ثم انه أقبل على قومه وقال لهم الرأى عقدى اننى انفذ لهؤلاء القبائل وأجمع على هؤلاء القوم كل فارس وراجل ثم انه أنفذ النجابة تعلم ملوك اليمن وسكان الديار والدمن

وأيضاً أنفذ إلى الحلل القريبة منه فما أصبح إلا وحوله سبعة وعشرون ألف فارس من الأبطال راكبين على الخيول العربية ولما رأى الملك مسعود هذا الجيش الكبير عول على المسير ونشرت على رأسه الأعلام والرايات ودات من حوله الملوك والسادات وارتفعت الاصوات وأظهر الشجعان النخوات وقويت عزائمها على أخذ الثار وفى تلك الساعة أشرفت بنو عبس وهم مثل السباع الضاربات إذا خرجت من الغابات وطلعت غيراتها الناثرات من وقع حوافر خيولها العربيات ولمعت الصوادم المشرفيات قال ولما وقعت العين على العين وحصل تقابل الفريقين فعندها زادت الأحقاد الكامنة حين تقابل الفريقان وزادت الصرخات وعلت الضجات وكان عنتر فى مقدمة بنى عبس وفى قلبه من الملك مسعود بن مصاد حرارات واحقاد ولما أن رآه واقفا تحت الرايات هانت عليه البليات والآفات وصاح مقرى الوحش وحمل فاهتز لحملته السهل والجبل وكذلك فعل عروة بن الورد الليث البطل وفعلت عبيدة مثل ما فعل وفى مقدمتها أبو الموت البطل ومقرى الوحش بلا كسل ولا مهل وحمل الفتى الهطال ابن أخت عنتر وحمل نازح فحمل الرجال وماقصر وحمل شداد بن قراد أبو عنتر وعمه زخمة الجواد الفتى القسور وحمل مالك أبو عبلة وولده عمرو وحمل عياض بن ناشب وصابر عاطب وحمل بنو عبس الشجعان الأطايب وحمل بجير أبو مسيكة صاحب حوران واخوته الشجعان وكامل عن بنى عبس وشد ناز وقد تماسكوا بالاذقان وعلا الغبار إلى السهل والجبل وظهر الشجاع البطل وانهل سحاب العذاب ونزل وبطلت الأسباب والحيل ووقعت أسنة الرماح فى الأحداق والمقل ونثرت الجماجم نثر الحرمل وصار الغبار قسطل وذهب الحياء والخجل وضجت نساء الحلل وضربت بالقوم المثل عمل عنتر مالا تعمله الجبابرة الاول فلله دره لأنه نثر الجماجم من على الابدان نثر الحرمل وأمقرى الوحش بما عمل وكذلك عروة بن الورد البطل وكذلك شداد وأخوه مالك وزخمة الجواد فانهم يطحنوا الفرسان على المهاد وكان شداد يحمل أمامهم وهم يحمون ظهره ويصيح أنا فارس عصرى وحامى النسوة أفرق على الفرسان بولدى وعنتر يحمل على الفرسان فى المنية يقلبها على الميسرة أو ما الهطال فكان يسمع له فى الحرب همهمة وزمجرة وأما عنتر فانه كان يضرفهم ضرب من له فى الحرب معرفة وخبرة وينثرهم بحسامه خمسة وعشرة عشرة وأما جواده الأبجر فانه كان يلطم الحصان الذى قدامه بحافره وعنتر من فوقه يقاتل ويطلب الملك مسعود بن مصاد الذى من أجله هذا الحرب والعناد ويريد قتله لأجل ما تعرض لابنة عمه عبلة وخان العهود والإيمان ونقض ما كان بينه وبين قومه من الذمام

كان فارس الشام فى ذلك الوقت عن يمينه يطعن طعنات متداركات يشك بها الأضلاع والكبود أبو الموت مقدم العبيد عن شماله كأنه أسد من أســـود وعروة بن الورد المطال يحمون ظهوره من الاغتيال إلا أن عنتر ما زال يقاتل تحت القتام هو ومن معه من الرجال الكرام حتى فرق المواكب بالحسام وزعق فى الأبطال فتنافرت من بين يديه كما تنفر الغنم من الأسد الهجام وما وصل إلى الرايات والأعلام حتى أقبلت عليه جيوش الظلام وكان حول الملك مسعود الرجال الذى يعتمد عليهم فى الشدة وهم بنى كلب بن وبرة وجماعة من بنى كندة وما زالوا يقاتلوا عنتر حتى أظلم الظلام واعتكر فعندها نادى المنادى من قبل الملك مسعود بالانفصال فرجعت بنو عبس إلى الجبال ومنهم من نزل حول الاعداء من سائر الجوانب وأحاطوا بهم من كل جانب وأما بنو كلب فانهم اجتمعوا للمشورة واتفقوا كلهم على حفظ الحريم والعيال وتحصينهم فى الجبال قبل أن تسبى الجميع عند الصباح ويكثر فينا البكا والنواح لان فرسان هذه القبيلة ما تلتقى ولا سيما هذا العبد الأسود الذى تعرض لنا ملكنا لزوجته وقد أبلا بشجاعة قبيلته فقال الملك مسعود وقد اشتد عليه مقالهم وعظم عليه بالهم يابنى عمى هذا المقال ما ولكم عليه لأن الإنسان لا يحمل ما لا يطيق وأنا لا بدلى من معادات هذه القبيلة وما بقيت أسكت عنها ولا عن أذيتها وأنتم تعلمون أنى أرسلت النجابة إلى سائر القبائل والعشائر ولا بد أن يقصدوا الينا ويطلبو معونتنا مع أبطال اسلل وترون الذل بهذه قد نزل والرأى عندى أنكم تفعلوا ما أشرتم به من تحصين العيال فى الجبال حتى يصبح الصباح وتكونوا جرائد على ظهور الخيل وتجتهدوا فى قتال هؤلاء القوم وما زال مع أصحابه على مثل ذلك الحال حتى طابت قلوبهم للقتال والحرب والنزال وأخذوا فى وقع أموالهم والعيال فاصبح الصباح إلا والكل متحصنون فى الجبال وأبصر بنو عبس فعالهم فعلمو بحالهم فقال عنتر لعن الله من يترك الملك مسعود بعد هذا اليوم إلى قومه يعود ولو كان معه كل من فى الارض من الفرسان والجنود ثم أنه صاح فيمن كان يعتمد عليهم فى قتاله وحمل بنو عبس خلفه وصاحت صيحات أزعجت السهل والجبل ونكس بحملته الاعلام والبنود واشتغلت فى ذلك نيران الوقود حتى عادت الوجوه بعد البياض سود وقاتل عنتر بن شداد وبذل المجهود الجلود وخيم الغبار على رؤوسهم مثل الغمام الممدود وتقطعت العلائق والكبود وما كان نصح فى ذلك القتال منع الملك مسعود غير أربع عبيد سود فداروا به فى ذلك اليوم من كل جانب وأظهروا

الأهوال والعجائب وكانوا يضربون بالصفاح وتارة يطعنون بالرماح وإذا اشتد القتال رشقوا بالسهام فلما رأوا عنتر قاصداً إلى سيدهم زمجروا وزحفوا اليه أربع حراب من حديد فوصلت واحدة إلى مقرى الوحش جرحته والثانية فدوقعت فى جواد عروة والثالثة راحت خائبة والرابعة وقعت فى عنتر فاسالت دماه بعدما اصلت فى حديده فلما احس بها زعق زعقة عظيمة تطير عقل من يسمعها وطعن العبد بها فى صدره مرقت تلمع من ظهره فضرب العبد الثانى بالظامى على هامته شقه إلى نصف قامته وقتل شيبوب العبد الثالث وطعن مقرى الوحش الرابع وأما عروة فانه ركب جواد عير الذى قتله العبد من الخيول الشاردة وأراد أن يتبع عنتر



ابن شداد وإذا بعنتر قد أدرك الملك مسعود وهاجمه مهاجمة الأسود وضربه بالسيف على صدره طلع يلمع من ظهره فأبصر عروة فعاله فصاح فى رجاله وأجاد قتاله ولاح النصر لبنى عبس ففتكت فى أعدائها فتك وسفكت فى دماها سفك وعلمت فرسان مياه عراعر بقتل ملكهم مسعود فاقشعرت منهم الجلود وتبادرت وانهزمت تطلب الشعاب ومددوا أكثرهم على التراب وزعق فيهم اليوم والغراب وتصايحت الكواعب الأتراب وعلا البكاء والانتحاب وبطل الطعن والضراب وجمعت بنو عبس الغنائم والأسلاب وقد

صار وقت الضباب فعندها قال الملك قيس لبني عمه عودوا إلى الحريم والعيال فان هؤلاء القوم التجأوا إلى الجبال وما فيهم من ينزل إلى الحرب والقتال إلى أن تأتي اليهم فرسان القبائل والبلاد الذى أرسل اليهم مسعود ويكون لنا يوم تشيب فيه الأولاد فعندها استصوبت الجماعة رأيه ورجع عنتر فى مقدمة الفرسان وهو فرحان بقتل الملك مسعود وافتقد جراح مقرى الوحش فرأى شيبوب قد شدها وكان الليل قد دخل وعنتر سائر أمامهم ينشد ويقول

بصدر سنان السمهرى المثقف	أطفأت لظى قلبى ونار تلهفى
وقد كان فى قلبى هموم كثيرة	إلى أن هوى مسعود من حد مرهف
تركت طيور الجو تحجل نحو	وتقسم فى أعضاه قسمة منصف
بغى فسقاه الله كاسات بغيه	وسر إله الخلق فى الباغى خفى
حلفت يميناً للذى أنا عاشق	وقلت مقالا صادقا غير مخلفى
بأنى أرد الخيل ثم رددتها	تقوم وتكبو وفينا من مثقف
ضيقت أرض الهائلات فاصبحوا	يرون كان الارض دارات أجنف
فعلت فعالا يوما فى مياه عراعر	تشفى أنفسا إن كانت النفس تشتفى
وخلفت مسعودا طريحا على الثرى	يعض على يديه كالمتأسفى

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت بنو عبس من تلك المقالات ولم يزالوا سائرين حتى أنجلى الظلام وعند الصباح اشرفوا على جبل الغمام وعلموا بهم العبيد والإماء فعجبوا فرسا بالنصر والظفر على الاعداء والتفت النساء بالرجال وتقاسموا الاسباب والاموال ونزلت الرجال فى الخيام والمضارب وضجت الاقطار من رعى الجمال وصهيل الخيل والجنائب وفرحت الرجال والغلمان بزوال المصائب الملك قيس كلما اجتمع من وجوه القبيلة وسمعهم يتشاورون عن النزول من جبل الغمام ويتحكون القيعان والآكام فيقول لهم يا بنى عمى أنا ما أطاوعكم على ذلك حتى أنظر ما يكون من أمر القبائل والفرسان الذين أنفذ اليهم الملك مسعود بن مصاد لانى أعلم أن كل من فى بلاد اليمن يقصدنا ويطلب تاره قنا وما نقدر نتحكم فى هذه البلاد حتى نكسر أهلها فى هذه الكرة ونذل رقابها وقد عرفت قدرنا ودخلت تحت أمرنا وكان عنتر إذا سمع ذلك بصدقه فى الكلام ويوعده بالنصر وطيب المقام (قال الراوى) ما مضى على ذلك إلا أيام قلائل حتى أتت القبائل والجحافل وكان أول من صل إلى الغمام بنو طارق ثم بنى العنقا أصحاب [illegible] اح الخوارق وتتابعت بعدهم القبائل يتلوا بعضها بعض وهى تأتى وتنزل وكان بنو عبس [illegible] لوا على النزول إذ قد اشرفت

عليهم القبائل كما ذكرنا حتى ملأت البر والآكام وداروا بهم من كل جانب ومكان حتى صار جبل الغمام كأنه مركب فى وسط بحر زخار وضجت بنو عبس واضطربت وخافت مما عاينت وأبصرت فلما نظر الملك قيس إلى ذلك قوى قلوب الرجال وقال لهم يا بنى عمى وأهل عشيرتى أما لكم أسوة بى ولم يزل الملك قيس مثل ذلك حتى قويت قلوب الرجال فقال عنتر أيها الملك أن هذا الكلام قد صح وما بقى خلاص أرض اليمن أن لم تضرب بالسيف وهل رأيت يا ملك أحدا قبلنا خلد وبقى فى الفلوات ما قتل ولا مات والحرب ما يصعب إلا على البنات والنسوان لا على من يطعن برمحه فى الصدور ويضرب بسيفه فى النحور لأنه ليس يفزع من الموت والنشور بعد هذا فقلبى يحدثنى بالغلبة والقهر وأقبال المسرة والنصر ولو كانوا بعدد ورق الشجر وقطر المطر فنيتهم بحسامى الظامى الأبتر ورمحى المكعوب الأسمر وسوف ترى من عبدك عنتر ما يكتب من بعدى ويسطر قال ففرح الملك قيس بكلامه واستبشر وانشرح صدره بكثرة العسكر ثم أن الملك قيس قبل صدره وشكره وأثنى عليه ثم أن بنى عبس تواثبوا من وقتهم فى إصلاح عددهم والسلاح وآلات الحرب والكفاح فبينما هم على مثل ذلك إذا وصلت اليهم فرسان الحلل والقبائل وبرقت أسنة الرماح الدوابل وداروا بجبل الغمام وكان له أربع جوانب وكل جانب منها مليح عال مالو خيل عليه من مجال هذا وبنو عبس قد نزلت إلى البر بعد ما تأهبت للكر والفر وكانت عند إشراقها معتدة للحرب والكفاح وفى مقدمتها عنتر الفارس الجحجاح وأبوه شداد وأعمامه ومالك وزخمة الجواد وطائفة بنى قراد إلى جانبه مقرى الوحش وعروة ابن الورد وأبو الموت وعبيدة الموصوفون بالحرب والقتال والرجال الذى يعتمد عليهم فى الشدائد والنوائب وهم يتحدثون فى كثرة الأعداء وازدحام المواكب ومقرى الوحش يقول والله يا أبا الفوارس أن بارزونا وطلبوا منا الأنصاف فرقناهم ولو أنهم على أمثالنا وأضعاف وأن عمدوا علينا بهذه المئات والآلاف خشينا على فرسان القبيلة من التلاف وإلا فنحن تقدر نخلص أنفسنا منهم إذا زاد علينا العدد ونزيد عليهم بقوة الصبر والجلد فقال عنتر وقد تبسم والله يا فارس الشام ما اتركهم يصلون إلى فارس من بنى عبس بل أطلبهم بالانجاز وأسر ساداتهم فى البراز وأنا أقسم بالرب القديم رب موسى وإبراهيم لى أنى أكون وحدى ولا يكون عندى من أحمل همه ولا يشغل قلبى قدرى أقاتلهم يوم عشره ولا أنصرف عنهم حتى أملأ الأرض من قتلاهم على أننا لابد أننا نعجل فناهم ونفرق جمعهم ونقل عددهم (قال الراوى) وكانت سائر الطوائف التى أقبلت قد عولت على النزول والراحة فما صبرت بنو كلاب لما فى قلوبهم من الأحقاد على بنى عبس الأجواد لما قتلوا ملكهم مسعود بن مصاد فحملت من كل

جانب وهزت القنا والقواضب فالتقاهم من بنى عبس الصبيان أولاد الفرسان الذى نشؤا فى ذلك الزمان لان بنى عبس لما دخلوا فى تلك الذمن كان عدتهم أربعة آلاف فارس فقتل منهم فى هذه الوقعة خمسمائة فارس همام وكان الذين نشؤا من أولاد الفرسان خمسمائة وستين من الصبيان الذين تعلموا الضرب والطعان لان عنتر كان هذبهم وعلمهم الضرب والطعن فطلع واحد منهم بطلا نجد وهما ما أوحد فاقتتلوا فى ذلك اليوم حول جبل الغمام وفعلوا فعل أولاد الكرام فعندها تزايد عليهم العدد وكثر المدد فلما رأى عنتر إلى ذلك حمل هو مقرى الوحش فارس الشام وحمل أبو الموت البطل الهمام وعروة بن الورد شجاع الزمان وجال كل فارس همام وحمل الهطال الأسد القمقام وحمل أبو عنتر الامير شداد فحملوا عليهم وجالوا فيهم وصالو وأستقبلوهم بأسنة الرماح وبذلوا فيهم صفاحهم وصالوا على شجعانهم وأظهروا فيهم قريحتهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأبلوهم بالذل والتعتير وأما عنتر فانه ساق الأبطال قدامه سوق الجمال وجندل الاقيال وأستطال على الرجال ومازالوا فى قتال وصدام حتى أظلام ورجعت كل طائفة إلى مضا ربها والخيام وفى اليوم التالى جرى بينهم حرب لا يوصف حتى أيقنت الفرسان بالتلف ودافعت بنو عبس عن أنفسها ومانعت لله در عنتر وما فعل فانه نثر الأعداء نثر الجرمل واغرق سنانه فى نحورهم لانه فى ذلك اليوم حمل فى الجانب الدى سلم اليه فحماه كما تحمى السباع الاشبال وترك الاعداء مطروحين على الرمال وكان قدامه ثلاثة طوائف يزيدون عن عشر ين الف فارس وكان هو فى خمسمائه فارس وكانت هذه الفعال كلها من تدبير قيس فقال الملك ياأبا مقوارس كيف يكون التدبير فى هذا الخلق الكثير وداروا بنا وقد عدلوا أن يقتلونا من سائر الجنبات وانهم لم يقدروا يقاتلونا الامن ثلاث جهات والرب القديم قد كفانا مؤنة الرابع لانه على كل حال عال مرتفع الجنبات كثير الصخور والاوعار والصواب اننا نحترز على أنفسنا وندبر أمرنا فقال عنتر الرأى عندى يا ملك أن يكون مقرى الوحش وعروة بن الورد فى الف فارس فى جهة من الثلاث جهات وتازح بن أسيد وزخمة الجواد وعمر واخو عبلة على الميسرة فى الف فارس وتكون أنت يا ملك فى القلب فى خمسمائه فارس والف تحت الرايات والأعلام ونا ياملك القى القوم فى خمسماية فارس لاغير فقال له ياأبا الفوارس وتخالطأنت القبايل فى الخسماية فارس فقال له عنتر نعم أيها الملك وأبددهم وجبرهم فى أمورهم وإن رأيتنى

قصرت عن الطعن والضرب فاحمل أنت خلفى بالخمسمائة فارس التى تحت الأعلام حتى تعلم العدا يا ملك أن لنا خيلا مستريحه وابطالا صريحة وما نحن محتاجين اليها وهذا كله يكون أكثر من يومين أو ثلاثة وتنكسر عددهم ويزول طمعهم وبعد ذلك نخرج إلى برازهم ونكسر بالذل أنوفهم وأعزازهم قال الراوى فلما سمع الملك قيس كلامه فرح وجرى من القتال حرى وكر عنتر بالخمسمائة فارس على الأعداء وصبر أجسادهم أكوام فى عرضة البيداء وهدروز مجر وصار يلتقى الرماح بصدره وأظهر جلده وأظهر خبره وجال عليهم وبذل فيهم قوته وقتل منهم خلقا كثيراً واكثر القبائل تنظر اليه وقد أشبعهم ضربا وطعنا ملأ قلوبهم رعبا لانه قبل ما يصل بالأبطال قال لاخوته شيبوب وجرير وياكما مدونى انتما بالرماح حتى أفرج الملك قيس على الحرب والكفاح ثم أنه صار يلتقى بالفرق التى تحمل عليه ويطعن المقدمين منها ويتمطى فى كعوب الرمح ويترك الآخر ملقى ويأخذ غيره ويطعن فى صدر الرجال طعنا يقطع الآجال قال الاصمعى لقد أخبرونى من اثق به وأعتمد فى كلام الصدق عليه وهو انى صادق فى حديثى هذا ولا قلت الا حقا ولا تكلمت إلا صدقا وقال يا اصمعى أنى كنت فى هذه الوقعة حاضرا وناظر ولقد شاهدت بعينى فرأيت العجائب وقدر رويت على قدر جهدى واقتصرت غاية الاقتصار وهو ان عنتر بن شداد ذلك اليوم اظهر فى قتاله العجب وكسر اثنين وخمسين رمحا مكعب وكانت الطوائف والسادات فى فرسان العرب والقبائل من عرب اليمن إذا رأت تلك الطعنات والرماح المعتدلات تعلم سائر القبائل والفرسان المجتمعات لان الذى يطعن بهذا أوحد الفرسان وفريد العصر والأوان لأن الطعنة ما تقع فى مقتل وتعمل هذا العمل لأن من قلب غير فزعان قال الراوى فانفرج عن قلب الملك قيس اليوم الغم والهم والكرب وتعجب من قتاله واندهل من حربه ونزاله وما فعل من أفعاله وأعماله قال لمن حوله والله يا بنى الأعمام أن الزمان ما بقى ينتج مثل هذا الأسد القسور ولا أعفى منه ولا أعرف بالحرب والقتال فى وقت الزحام فى المجال ولما رأت فرسان اليمن منه ذلك تجنبته وصارت الخيل تجفل من ضربته وصدمته وتولى من زعقته وأما فرسان اليمن صارت تصيح ولا تقربه ولا تقف بين يديه فعند ذلك عاد عنتر إلى عند قيس وهو يهمهم ويزمجر ويخب فى بطون القتلى بجواده لما أن عاد إلى الملك قيس قال له أحفظ أنت هذا المكان بهذه الفوارس الذى معك لانها مستريحة فان الأمر قد هان لأنى عولت أن المرف على عروة ومقرى الوحش واعود لأن الصياح عندهم عال مرتفع ومرادى أن أمضى إنحوهم واقوى

عزمهم ثم أنه نزل عن ظهر الأبجر وتركه يلوك فى لجامه والدماء تقطر من جنبيه وحزامه وركب من بعض خيله الجياد وأخذ أخاه شيبوب وخب فى عرض الصفوف يطلب مقرى الوحش وعروة بن الورد ورفقاهم هذا والرجال هاربة من بين يديه وما منهم من أحد يلتفت إلى أحد ولا يعن عليه وصارت ترمى أرماحها بين الصخور ثم يستريحوا من هول المعمعة وهو ذلك اليوم ومنهم من ينزل إلى بطون الأودية ومنهم من يتعلق برؤس الجبال مما قاسوا من تلك الوقعة من الأهوال هذا وعنتر طالب مقرى الوحش إلا أنه ما لحق أن يمتل عنانه إلا وقد أبصر الأمير عمارة الوهاب قد أقبل عليه وهز أردانه وأعطافه وهو راكب على حصان أشقر عال وله بين عينيه غرة تزهر وعلى ظهره تحاتف من الحرير وعمارة عليه راكب وقد تخيل فى نفسه أنه دولة الملك كسرى ولكنه لابس من فوق قماشه ثوبا أحمر ومتقلد برمح أسمر ومعه سيف أبتر ثقيل من الفولاذ الجوهر ونحت فخذيه حربة منها يشتعل النار وهو يصيح قف يا أبا الفوارس لاتشغل سرك من جهة أصحابك والرفاق عروة بن الورد وفارس النياق فان المكان الذى سلمته اليوم محفوظ ما عليه باس وأما أنا فقد أشرفت عليهم وكشفت عنهم ما لقيت قدامهم من الأعداء وأنى رأيتهم خير كثير وهم وعلى أعدائهم مستظهرين وإن زاد عليهم العدد فرقت عليه النفير ونصرت منهم الكبير والصغير فقف أنت يا أبا الفوارس مكانك ولاتخلى العرب يستصغروا شأنك وأمسك المكان الذى سلم اليك ولاتخل مثل أخى والملك قيس يعتبون عليك واحفظ حق الملك قيس وقومه وقم بواجب خدمته وارع جانبه وأمسك حرمته لأن الأعداء من هذا الجانب الذى جئت منه كثيرون وجمعهم غزير وقف حتى أننى أعود أيضاً إلى مقرى الوحش وعروة بن الورد وأن كثرت عليهم الأعداء أعنتهم ورددت عنهم العرب الذين طلبتهم رعاية لما بينى وبينهم من القرابة والودادة فعند ذلك قال عنتر بن شداد يا أمير عمارة يا وهاب يا مهاب لاعدمتك من بين القرابة والأصحاب لأنك عزنا وكبيرنا وأنت المشار اليك فينا فلا عدمناك من أمير ومحامى ونصير ثم أن شيخ العرب عمارة بعد كلامه لسيده عنتر أطلق عنان جواده الأعور وجرد سنانه فى ذلك البر الأقفر فبينما هو سائر فى تلك البرارى والاكم إذ أوقع بين يديه سرية خيل من عساكر اليمن وكانت قد أقبلت من ديار الملك مسعود بن مصاد

وهى تنادى وتريد تعين أصحابها على الحرب والطراد وملاقاة الأبطال الشداد فنظروا إلى عمارة وهو سائق فرسه ومن شدة الكد والجدكاد أن ينفطر فأرادوا أن يسألوه عن عساكر بنى عبس وما جرى لهم مع فرسان اليمن وما وقع لهم من الحرب والطعان فعند ذلك وقف عمارة وقد أحاط به الهم وأيقن بالذل والخسارة وقال لهم ما خبركم ومن تكونوا من ذوى الرتب فعند ذلك نظر اليه رجل منهم لما أن أقرب منهم وحاذاهم فعرف أنه من بنى عبس فعند ذلك صرخ الرجل فى أصحابه وقال لهم وقعنا من أعدانا بانسان ورأى عليه ثيابا حمراء ملونة وهو كانه طنجير ولحقته العاهات والأمراض فلما أن سمع الفرسان تلك المقالات أقبلوا عليه فى عاجل الحال فتطلع اليه رجل وقال هذا يقال له عمارة وله أخ يقال له الربيع وقتل لى أخا رأين عم أول ما دخلوا هذه البلاد وهذا أخوه وما أتيت من ديارى إلى هنا إلا من أجله ولا بقيت أسيبه ولا أفارقه من هذا المكان قال الراوى فعند ذلك تقدموا اليه ونزلوه عن فرسه من غير حرب ولا قتال لأنهم كانوا جمعا كثيرا وسلبوه القباء الأحمر وأخذوا من وسطه المنديل الأصفر وقلعوه عمامته وضربوه الضرب الوجيع حتى كادوا أن يقطعوا أنفاسه فعند ذلك قالت العرب صحاب القتيل باوجوه العرب من حيث أخذتم فرسه وعدته وأخذتم ما عليه من السلب فاطلقوه وخلوه يذهب إلى حال سبيله وأحبسوا أنتم ما وقعتم به قال الراوى فعند ذلك دخلوا على بعض العربان فاطلقوه عريان فسار عماره وهو كيوم ولدته أمه وكان الليل قد أقبل والنهار قد ولى وأرتحل فجعل يمشى تارة ويقعد تارة وصار يسب الزمان كيف أوقعه فى هذا الذل والهوان والمشقة والحرمان وبقى فى تلك القضية حيران فزعان ربما ينظره أحد من بنى عبس وعدنان على تلك الحالة وهو عريان خصوصا إذا نظره عنتر بن شداد وبنو قراده وهو ذليل حيران جيعان فزعان إذا وقع فى فرن عريان فتنابحت عليه الكلاب من كل جانب ومكان ودارت من خلفه ومن بين يديه يخمشونه باظافيرهم حتى سال الدم من سائر جسده وأنسلخ من الخمش فى ذراعيه وركبه فعند ذلك أنتبهت الخلائق على جس الكلاب وأتى اليه العبيد من كل جانب ومكان ومسكوه وداروا حواليه وبهتوا فيه وتاملوه طويلا فنظروا الإنسان اغبر عريان مكشوف الرأس بادى الحواس وسال من منخاريه المخاط وعلى أكتافه وأجنابه أثار الضرب بالسياط وسائر جسده مخدوش من نهش الكلاب فمسكه العبيد والأحرار الأنجاب وعملوا فى رقبته حبلا طويلا طوله عشرين ذراع وقالوا هذا والله السلال الذى

كان يدور حول مضاربنا والخيام ويحرمنا من كل ليل أن ننام ويريد يسرق خيلنا والمتاع ثم إنهم كتفوا يديه من خلفه واتوا به إلى عند مضاربهم والخيام وقد قفلوا فى حقه مالا يرام وقدموه إلى بين يدى مقدم القبيلة وقالوا له يامولانا وقعنا بهذا الرجل فى هذه الليلة ونظن أنه من سلالين الخيل الذى أحرم العرب أن تنام إن كان فى النهار أو الليل وها هو يا ملك قد أتينا به اليك فافعل به ما تريد فقال له ويلك ياشيطان أين الجـــواد الذى سللته البارحة من هذه الابيات وانك قد أتعبتنا وأتعبت خيلنا خلفك فى البرارى الواسعة القيعان وذمة العرب إن لم تأتنا بالجواد الذى سرقته البارحة وإلا صلبناك على قرون الجبال بعدما نذيقك أنواع العذاب والنكال فقال له عماره والله ياموالى ما أنا سلال ولا حرامى محتال بل إننى أمير من أمراء العربان ولكن غدر بى الزمان وخاننى ورمانى بالذل والحرمان أهاننى واذاقنى النكال فقال له مقدم السرية تكذب ياشيطان يامهان بل أنت كل ليلة تدور حول مضاربنا والخيام وتستغفل عبيدنا لما يغرقوا فى المنام وتسل خيلنا فى غسق الظلام وتبيعهم بابخس الاثمان يا ميشوم ثم أنه أمر ان يبطحوه على وجهه ويضربوه فبطحوه فعند ذلك ربطوه بأربع شكك حديد وسحبوه حتى ظن كل أحد منهم أنه اهالك من الضرب الشديد ونزل عليه عبدان شديدان يضرباه وعمارة ويستغيث يقول ارحمونى يا وجه العرب والسادات الله ما أنا سلال ولا محتال وما أنا إلا من أكابر السادات ولا تقال فى حقى هذه المقالات فلم يسرق واحد منهم بحال من الأحوال ولم يزالوا يضربوه حتى أن عماره سكت حسه وهد نفسه ويتبدل عليه الغلمان إلى أن حن عليه النسوان ورحموه فاجتمع جماعة من النسوان ودخلوا على القبيلة وصاحوا بأعلا لسان والله أن هذا المسكين ماهو وجه سلال ولا ورامى محتال وهذا ماهو الا وجه مطنير مؤنث مذلول من أنذال اما تنظر إلى فعله وماهـــو إلا قد غربه الزمان فاطلقه يامولانا لاجل الرحيم الرحمن قال الراوى فقال لهم سيد القبيلة أكرمته لكم ايها النسوان واعتقته من القتل والهوان ولكن ماخاالفه حتى آمر هؤلاء العبيد العبيد ينادون عليه ويجرسوه بين العربان واشهره واتوا به ثم امر بتجريسه فاخذه والغلمان ووضعوا فى رقبته حبلا طويلا وصاروا يشحطو بذلك الحبل الذى فى رقبته ويدوروا به من مكان إلى مكان ينادوا عليه وهو بما جرى عليه ذل وقد قل منه القوى والحيل وهم يقولون هذا جزاء واقل من جزاء فهذا الذى يسرق الخيل فى ظلام الليل ويمشى بين المضارب والخيام ومازال العبيد به بين المضارب والخيام والابيات وهو يستغيث فلا يغاثه

وحل به التعس حتى قربته المقادير إلى خيام بنى عبس فلاحت من عمارة التفاتة فرأى عنتر وهو واقف بين يدى الملك قيس يحرس الفرسان ويحرضهم على القتال والحرب والجرد فصاح عليه عمارة من شدة الفرح لما أبصر قومه وعنتر وقال يا ابن العم أدركني وبما أنا فيه خلصني لأن لم يكن لنا أحد يخلصنا إلا أنت يا سيد العرب فأنا عمارة وقد صار لى سوء كان أصعب على من القتل أغثنى وإلا حل بى القتل والهوان وكان أخوه الربيع بن زياد معدن الغدر والفساد مع الملك قيس وهو يحدثه بفقد عمارة الوهاب وعنتر يوعد الربيع ويقول له عند الصباح نكشف خبره وفى هذا الوقت والتفت عنتر لينظر من الذى يشيح وإذا به يرى صياح العبيد عالى وعياطهم متلالى ونظر إلى رجل فى رقبته حبل طويل وأدميته من سائر جسمه تسيل وهو قد شرف على الهلاك والوبال فعند ذلك تأمل الربيع بن زيادة فرآه عمارة أخاه القواد وهو على تلك الحالات فعندها تقدم إلى عنتر بن شداد وقال له يا ابن العم ويا كاشف عنا وعن قومك الهم والغم هذا أخى عمارة فادركه قبل أن يحل به الخسارة فلما رأى عنتر عمارة فى هذه الخسارة سر قلبه والفؤاد وشق من عمارة القواد لكن ظهر خلاف ماعنده وصاح واحرباه عليك يا وهاب ثم أن عنتر سل سيفه الظامى الابتر وهو به على العبيد فتهاربت من بين يديه وقد احترقت مهجته عليه وقد أسيلت دمعته وتقدم اليه ونشف دماه وساله عن الهم الذى اعتراه فقال له يا أبا الفوارس ماهو إلا إنى رددتك عما كنت تريد تفعل وعن رواحك إلى عروة ابن الورد وفارس النياق وسرت أنا إليهم أتقدمهم وبصحبتك لهم أعلمهم فوقع بى هؤلاء الى نذال الكلاب ووقع لى معهم مايكن لى فى الحساب من الاهانة والعذاب ولولا وقعت بى أنت فى هذا المكان وقع بى الذل والهوان فقال له عنتر أنا قلت لك مرارا لاتسر الهم الهم ولايقدم عليهم لأن جميع الآفات مايخلص الإنسان فيها من الآفات لأن الأعداء فى هذه الأرض كثير ثم أن سار بعمارة إلى مضاربة والخيام وأوصى عليه العبيد والخدام وبعد ذلك سار يطلب مقرى الوحش وعروة بن الورد وهو يضرب بحسامه فى المناكب والمواكب إلا أنه لما وصل اليهم حتى ملا الأرض من القتلى وتركهم وأشرف على القوم فوجدهم فى أعظم حرب ومقرى الوحش يفرقهم يمينا وشمالا فصاح به عنتر أحسنت يا همام فلما سمع مقرى الوحش كلامه زادقتاله وحمل عنتر وعاد إلى الملك قيس فوجده ترك من ضعفه عمه السيد يربعض اخوته وكان الملك قيس فارس مذكور حمى جانبيه بهمته وزعزع المواكب وهو ينادى يا آل عبس يا آل عدنان أنا قياس بن زهير صاحب

النصر ومازال كذلك حتى أتى اليه عنتر وسمعت القبائل زعقته فتهاربت من بين يديه وقد قاتل الفارس الهمام الغضنفر إلى أن أقبل الظلام وهجم الليل على سائر الأنام وانكفت الطوائف عن بعضها البعض بعد أن تكاومت القتلى فى جوانب الأرض ورجعت وهى تصف مارأت من عنتر ويتعجبون من صبره ويقولون هؤلاء مايعمل فيهم إلا الكثرة وقلة النصفة ولو لم تكن هذه الفعال فعالهم ماكانوا عادوا مثل الملك النعمان وما كانوا قدروا أن يدخلوا بلاد اليمن ويفعلوا هذه الفعال لأنهم فعلوا ببنى حريقة أفعالا قبيحة وأضيق المسالك والمصانع حازما رعقبة الفروق وفتكوا ببنى القين وبنى فهد وقتلوا فارسهم عمرو بن ضمرة وسبوا زوجته زهرة وقتلوا الملك مسعود بن مصاد صاحب مياه عراعر وشتتوا بنى كلب بن وبرة ونزلوا فى جبل الغمام وها أنتم فى هذه الأيام نظرتم أفعالهم وكيف سبوا تلك القبائل وساقوا نوقها وجمالها فقال عمرو ابن نفيل ياوجوه العرب الكرام ذكركم الذى ذكره سيد قضاة الزمان السيد عبد المطلب ابن هاشم سيد أهل مكة والصفا وهو خير من على الأرض مشى وقد أنشد فيهم هذه الابيات

قوم ضياء البشر فى أبصارهم ... يحكى شعاع الشمس فى الاشراق
دلت على أسلافهم أخلاقهم ... وكذا الفروع ذكية الأخلاق
أن سئلوا فعطاهم سيل وإن ... سئلوا الجواب فالصح النطاق
وإذا العدو أتاهم فرماحهم ... رسل المنون تشك للاعناق
قوم تلاقى المرهفات صدورها ... فى يوم معمعة ويوم سباق
لايخشون من الجراح لأنهم ... ساروا فى الورى بالفضل والاشراق

(قال الراوى) فلما سمع الحاضرون منه ذلك الكلام تكلم منهم شيخ شجاع يقال له ابن دفاع وقال ياعمرو متى سمعت السيد عبد المطلب قال فى حق بنى عبس هذا المقال يا ابن العم قاله عند عودته من أرضهم حين أصلح بينهم وبين بنى فزارة فلما سمعت فرسان القبائل وحماة العشائر هذا الكلام داخلها الحسد لبنى عبس حتى كادت أن تنفطر مرائرهم والكبود وفيهم من قال ماجهد بنى عبس وماتفعل اليوم بذلوا كلهم المجهود وفيهم من بات لا يقطر يرفه بيده ولا يعود قال الراوى إلا أن بنى عبس قد عادت معطلة الصوارم من وقع المرهفات على الجماجم لكن قد باتت فيهم النقص لأجل قتلهم إلا أن الجراح كانت فيهم قليل وما نظر لا رجل منهم قتيلا ولا ذليل وذلك لعظم شجاعتهم ومع ملك جعلوا يعللون أنفسهم بالنصر ويحدثونها بالغلبة والقهر ولما جن الليل واعتكر الظلام أخذوا الراحة المنام بعد أن

أكلوا من الطعام وبعد ذلك جمعهم الملك للمشورة فقال عنتر يا بني عمى أما هذا الجمع الذى اجتمع فنحن نقله وعليه ونطلبه لأن أكثرهم ما أتوا إلا لانهب الأموال وإن هلاكنا صعب على من يطلبه وليس لهم إليه وصول فقال الملك قيس والله يا بنى الأعمام ما فينا إلا من يقاتل حتى يبقى مطروع ويضرب بالسيف حتى يبقى جسداً بلا روح فقال عنتر يا مولاى أن من دون ذلك عبدك عنتر يحمل عنك الأثقال والمهالك وحق من تعالى وحتجب وأضاء بقدرته النهار وأظلم الغيب بحق النبي الذى يبعث فى آخر الزمان الذى يظهر بين زمزم والمقام سيد العرب والعجم وأفضل من مشى على ساق وقدم أنى قادر على أن أخوض ويل المعمعة وآخرها ونحن اليوم أسرنا أبطالهم وحقنا ساداتهم لأن كلما قتل من العشيرة واحد أتألم لفقده وأبذل المجهود حتى آخذ تاره فقال عروة بن الورد ما تقول أننا بعدها نرجع إلى أرض الشربة والعلم السعدى لأن عرب اليمن تقصد إلينا وتجتمع بجمعها علينا الجموع لأنها إلينا متتابعة مثل العيون النابعة ونحن ما نسلم أرواحنا إلا لأسنة رماحنا فى أيدينا شفار صفاحنا ونحن قادرون على هلاك أعدائنا وأنا والله ما بى غم إلا من شماتة الأعداء لأن أخبارنا تصل إلى أرض الحجاز وتشمت بنا بنى فزارة لأنهم من جملة الاضداد والحساد ثم بكى على أخته سلمى التى كان يسميها بأم حسان ويعير ويعرض فى شعره باسمها فضحك عنتر من كلامه وعظم عليه مرامه وقال له ويلك يا أبا الأبيض إذا كان هذا حالك وأنت الآن مستظهر فكيف يكون حالك إذا أبصرت عين العبلة والقهر فقال مقرى الوحش يا أبا الفوارس إذا كان حال عروة وبكاه على أخته سلمى وما هى هاهنا حاضرة معه فكيف حالنا نحن إذا رأينا عبلة مسيكة مسبيات مع الأعداء يساقان بجملة العبيد والنسوان والبنات وأنا لابدلى فى غداة عند الصباح أتى أنوى الخروج إلى الميدان وأبارز الأبطال والشجعان وإذا قتلت أنا تحت الغبار أكون قد أخذت لنفسى بالثار ثم أنه قام يطلب مضاربه والخيام فقال عنتر وأراد أن ينشرح مع مقرى الوحش حيث أنه رآه فرغ من عرب اليمن وقال هذا المقال فقال إلى أين يا فارس الشام أما تتولى الحرس معى فى هذا الظلام فقال لا والله يا أبا الفوارس أنا الليلة ما أنا رفيقك فى الحرس وأنا أريد اشبع من زوجتى مسيكة وولدى سبيع اليمن وكان مقرى الوحش رزق بهذا الولد فى بلاد اليمن وسماه هذا الاسم الحسن وقال لأن عروة بن الورد قد قطع ظهرى حزنه وأن عشت إلى الصباح بدلت أتراحه بأفراح قال فلما سمع عروة ذلك علم أنهم قد احتقروه لما سمعوا كلامه وفزعه فأقسم بيمين العرب الصعبة أنه لا يحرس الليلة إلا هو وحده ولا يتبعه إلا رفقته ثم نزلوا إلى ذيل الجبل واعتقلوا بالرماح بعد ما قال لعنتر ودع أنت الآخر لعبلة يا أبا الفوارس

فانا أنوب عنك إلى الصباح فتبسم عنتر من كلامه وعلم أن الفزع غير حاله لسكنة رجع عن شأن إيمانه وعروة أخذ أصحابه ونزل بهم إلى أسفل العقبة خوفا من الأهل والأقرباء هذا وعروة جعل ينظر إلى ناحية أرض الحجاز والعراق وهو يهيم إلى أخته سلمى ويحن إشتياقا ويتحسر على فراقها ويعلل قلبه بارياح الصبا ويبردها على نيران الصبابة والجوى ويشير إلى البرق إذا لاح وأضاء وهو مع ذلك ينشد ويقول

إذا هبت الأرياح من علم السعدى ... طفى بردها حر الصبابة والوجدى
وإذا لاح ضوء البرق من أرض عالج ... ذكرت به ربها على العلم السعدى
فبالله ياريح الحجاز تحملى ... رسالة مشتاق يحن إلى نجدى
وهي على تلك المعالم وأخبرنى ... لما كنها إنى مقيم على العهدى
وإن سألت عنى سلمى وتربها ... فقولى غريب يشكو من البعدى
ومن حوله جيش إذا ماج بحره ... أثار غبار بالمثقفة الجوى
وعند ضياء الفجر تفهة العدى ... بعزم شديد البأس كالحجر الصلدى
وأطعن بالخطى حتى يخوننى ... سنانى وتجرى الصافنات على خدى
وتسمع عنى أم حسن أننى ... قتلت مع الأشراف بالصارم الهندى
فتندبنى فى كل غاد ورائح ... وتبكى على حال الصعاليك من بعدى
ألا أيها البرق اليمانى إلا انجلى ... أذقتنى نارا حرها زايد الوقدى
وقد بت أشكو ما لاقى من الهوى ... اليك وأخفى فى الحشا ضعف ما أبدى
وعند بنى عمرو من الضعف والأسا ... ومن نائبات الدهر غير لذى عندى
ونحن جميعاً قد أسينا من اللقا ... ولكن أنا المشتاق من دونهم وجدى

قال الراوى ومازال عروة على مثل ذلك حتى بدت غرة الصباح وتحدرت اليه الفرسان من العشيرة من سائر البطاح وكان مقرى الوحش قد نزل ذلك اليوم إلى جانب عنتر وهو يقول أرجع أنت يا فارس الشام إلى أصحابك الذى كانوا يقتلون معك أمس واحفظ الميمنة كما قد حفظها بالأمس ولما سار عنتر عروة بن الورد قال له أرجع يا أبا الأبيض وخذ لك راحة من تعب الليل والسهر فى هذه الأرض والجبال ودعنا نطلب من القوم النزال ونكفى أصحابنا بناشرهم فيهون علينا أمرهم واجتمعت مقدمة الخيل لأنهم باتوا يتحدثون بفعال بنى عبس وفعال فارس الشام وهم ينادمون بذكر هؤلاء الاقيال وأصبح مقدموا اليمن والشجعان يطلبوا براز عنتر وفيهم من يطلب الفرجة على قتاله مع الفرسان لأنه قد صار

حديثه مع القوم بعد أن أنفصلوا من القتال واجتمعوا للمشورة فى ذلك المكان وصاروا يضيفون شجاعته وقوته وبراعته فقال مقدموا العساكر وقادات الجحافل يابنوا الأعمام لا كلام حتى يذهب الظلام ونبارز هذا العبد ونجرب أرواحنا معه فى الصدام فكان الأصل فى عدم حملتهم وكان هذا من سعادة بنى عبس وعنتر وأتاهم الأمر كما يريدون ولما رأى عنتر بحالهم والطوائف كلهم مقصرة عن الحملة فرح بذلك الحال وأراد أن يخرج ويطلب البراز والمجال لأنه علم ما فى قلوب الأعداء وإذا بمقرى الوحش قد خرج من حجزته وهو غائص فى سرجه وعدته متقلد بلامته ومعتقل صمصامته على رأسه خوذته بين كتفيه درقة قدام القبائل من العرب ونادى بأعلى صوته وقال ياسادات اليمن وأصحاب المعاهد والدمن أنتم سكان الأرض وأهل هذه الديار على كل حال ولكم المنازل العالية فى الفروسية والاقتدار ونحن قوم قليلين الأنصار وعلى قلة عددنا نحن أقوى منكم فى الحرب والبراز ولا تفتخر الفرسان الكرام إلا بالبراز والأنصاف فى مقام الحرب والطراد وهاأنا من فرسان بنى عبس وعدنان فليبرز الينا سادتكم فنحن لصدنا الانجاز ونحقن دماء قومنا وقومكم وبالأمس أفرس منكم وأقوى جلد وأكثر عدد لأن أضعف فرساننا تلقى القنا القنا وشجاعتنا تلقاكم صفا صفا وأن أردتم الحملة فعلينا إثارة الفتنة فانى كفؤ لجمعكم ولى قلب يلاقيكم ويفنيكم باسركم وأنا لابدلى من قتالكم ونهب أموالكم وسلب أرواحكم أن رحلتم أو قمتم ثم أنه أوسع فى مجاله وتذكر أوطانه ومحبوبته مسيكة فانشد وقال هذه الأبيات :

مسيكة قبل بينك ودعينا … ومنى بالوداع وزودينا
وأن جد الفراق وكان حتما … وجاء البين فينا فاندبينا
ربوعا فى الشام لنا قفار … بنا كانت تسر الناظرينا
كثيرات الظلال عذاب ماء … أنيسات أنيقات الفنونا
أناس أنزلونا فى محل … من العليا لا على الطالبينا
رأينا كل ليث قسور … ولكن مثل عنتر ما رأينا
سكنا فى القفار بكل أرض … يبيت دليلها فيها حزينا
فقرى يا مسيكة وأطمئنى … ولا تخشى من الأعداء علينا
فنحن القاصدون إذا قصدنا … ونحن الغالبون إذا التقينا

ونحن العادلون إذا حكمنا ونحن المنصفون إذا قضينا
ونحن الشاربون الماء صفوا وشرب غيرنا كدرا وطينا
ملانا سائر الأقطار خوفا وبتنا نحن فيها آمنينا
تطيع أكفنا سمر العوالى وعنتر سيد الفرسان فينا
همام كلما كثر الاعادى رأيناه لنا حصنا حصينا

(قال الراوى) فلما فرغ مقرى الوحش من شعره ونظامه فعند ذلك قصد أبطال اليمن فازدحمت عليه الابطال وتقدمت اليه سائر القبائل وكانوا أكثرهم من مائتى فارس ولما رأوا كثرتهم أستحيوا من البغى والكثرة والاسراف فتراجعوا وطلبوا العدل والانصاف ثم خرج اليه فارس من بين الصفوف وكان من عرب يقال لهم بنو بارق وبيده رمح خارق ومتقلد بسيف ماحق وكان يقال بن طارق ثم أنه صال وجال وأنشد وقال

توقف لا تسرع البغى علينا ودونك والمجال إذا التقينا
وانظر من أتاك وكن حذورا ولا تك من رجال أرذلينا
وكن من السادة الغر العوالى ذوى الإحسان ثم الا نسبينا
ستلق اليوم فى حربنا كل بأس تصير له الجبابرة أضعفينا
وتبقى فى الفلاة رهين رمس عفير الخد مخضوب الجبينا
لأنى وارق بطل مسمى وطارق عمر وابن الاجدينا
علوت على الأنام بعظم مجد شريف فائق للعالمينا

قال الراوى فلما فرغ من شعره وإنشاده صبر عليه مقرى الوحش حتى هدأ شعث الحصان وكان راكبا على جواد أبيض يبلغ صاحبه عليه مايريد وهو أبيض قرطاسى كما قال فيه الشاعر هذه الابيات

وطرفا مثل رجع البرق جريا يسابق فى مجاريه الظلالا
شددت له حزام الحزم لما حللت إلى الوغا منه الشكالا
تضيق عنه صدور الأرض جريا فيوسع السماء له مجالا
فما أسرجته إلا هلالا وما حللته إلا حلالا

قال الراوى وكان معه رمح خارق كما قال فيه الشاعر

أصم ردينى كان كعوبه أنابيب فولاذ تحاكى الكواكبا
عليه سنان كالصباح كأنه شجاع تبدى ألسنا وعقاربا

قال الراوى إلا أن وارق بن طارق لما جال مع مقرى الوحش مادام معه أكثر من ساعة

حتى اختبر وعلم ماهو عليه من الفروسية والشجاعه ثم قاربه مقرى الوحش وركزه بعقب الرمح قلبه وهو غير مكترث به فتعجب الابطال من ذلك الطعن والثبات وقصده فارس ثان يسمى وثاب بن ناهض وكان يكنى بأبى باغض فصاح فيه وحاربه وقاربه ولما أن رآه مقرى الوحش مستيقظا للحرب محترزا من الطعن والضرب طلب معه الانجاز فى البراز دهمه وأوهمه ورجله وحيره وأذهله وسلمه إلى أخيه فشدة كتاف وقوى منه السواعد والأطراف لأنه كان خلفه حذرا عليه ولما أن رأى الفرسان تتواثب اليه وتتقدم عليه وكان من الفرسان الأجواد إلا أن الفرسان ما انتصفت مقرى الوحش فى ساحة الطراد إلا بقطر ماأخذ منها عشرين فارسا أجاد وبعد ذلك تكاثروا عليه لما رأوا أفعاله وعظيم قتاله وصاروا يحملون عليه من العشرة إلى العشرين وأكثر من ذلك فابصر هو قلة أنصافهم فاعتمد على تلافهم وصار لايأخذ فارسا أسيرا حتى يقتل عشرا أو عشرين قال الراوى وماانتصف النهار حتى قتل مائة فارس كرار وأسر سبعين بالأخيار ووقفت عنه الرجال لما أبصروا منه هذا القتال والأفعال ورأوا القتلى مطروحين يمينا وشمالا وهم فى غرصات المجال ففرح عنتر بفعاله وقربه منه غاية التقريب وقال والله ماخلق مقرى الوحش إلا للبراز وطعن الرمح العسال ولو كان قتاله فى ازدحام المواكب مثل طعنة وقتاله فى البراز والمجال ما كان مثال قال الراوى وقد ذكرنا فى مقرى الوحش من الفروسية وكم قهر فى أرض الشام من فرسان النصرانية وأخبرنا بما جرى له ولما وصل إلى الملك النعمان وكيف سائر إلى بنى عبس وعدنان قال وزادت فروسيته وزادعزمه فى الحرب والجلاد وأضعاف ما كان عليه من تلك البلاد من خين صاحب عنتر بن شداد إلا أنه وحمل بين صفوف القبائل والجان وكانت قبائل تلك الحلل عليه حنقة وفرسان أهل اليمن على قتاله وهلاكه متفقة فحملت عليه الكتائب وتطابقت اليه المواكب وطلبته الأبطال من كل جانب فصاح وبربر وحمل وزجر ولحق بالعساكر على الأثر وطلب عنتر الفرقة التى طلبت مقرى الوحش لأن عنتر رأى قلة نصافهم فخاف على مقرى وحمل وزعق زعقه دوى السهل وحمل عروه بن الورد البطل الأمجد فى رجاله الكرام كذلك أبو الموت بعد حمل وسود انه تبعوه فى العمل وحمل الفتى الهطال ابن أخت عنتر البطل القسور وحمل نازح بن أسد عم الملك قيس فخل الرجال وبذلوا القنا والصفاح عياض ابن ناشب وجلاح بن ثابت وشداد بن القراد وأخوه مالك وزحمة الجواد وحملت بنو قراد

من خوفهم بنوز ياد مع أخوة الربيع وتتابعت بنو عبس مثل البحر السائح ولمعت الاسنة وحمل بنوز يادمع أخوة الربيع وتتابعت بنو عبس مثل السائح ولمعت الاسنة اللوامع وصاح فى القوم بالهلاك صايح ولم تسمع الجهال مقال الناصح وتكردست فيه القتلى فصاروا مثل الزبائح وبطل فى هذا اليوم نصح للناصح وبان النصر ولاح وعلم السعادة قد مدلبنى عبس جناح فلله درعنتر الأسد الفارس والغضنفر فانه ساق الأعداء قدامه سوق البقر ونثرهم تنثر أوراق الشجر وهو يصيح صيحات تفلق الحجر وكان القتال قد أشد فى القلب وعظم الكرب وهان كل صعب وزاد البلاء على الأطراف وعظم الفزع والمخاف واشتد البلاء والكرب وعظم البلاء والمخاف و اد الهلع والارجاف وجرى بين القوم ساعة يالها كانت ساعة من ساعات التلاف وطارت جماجم أحقاف وقد كان عنتر خرق الصفوف وشتت الكتائب وطحطح الالباب والمواكب ونثر الرجال عن المواكب ومازال بحصانه جائل إلى أن أدرك مقرى الوحش فرآه قتل باسنة الرماح الدوابل وهو واقف على قدميه يدافع عن نفسه ويمانع روحه وقد أحاطت به أبطال الحلل وصاروا حواليه مواكب وجحافل فصاح عنتر ونادى وأحرباه هلك والله فارس النياق ولم أدركه إذنهبته الاعداء بالسيوف ثم أبه طعن ذلك الجمع فتفرقت الجيوش والجحافل من حوله وتهاربت الفرسان لما رأيت طعناته خارقة فتخلت عن مقرى الوحش كل الفرسان ونادى من وقته بخواد فركبه وعادمعه يمانع عن من يطلبه ومازال السيف يعمل حتى انقضى النهار وأدرك الناس فافترقوا عن ضرب الحسام وكان عنتر قد أوصى فرسان بنى عبس يأخذ الاسارى فعادوا ومعه أوفى من مائتين وكان بنو عبس على قلة عددهم انتصروا على تلك الخلائق الكثيرة ولما ساروا فى حبل الغمام شدوا الاسارى فى بعضهم البعض وقال عنتر لعروة بن الورد طاب قلبك واندفع عنك الهم والمرض ابشر بالنصر والامان واجتماعك باختك سلمى ام حسان فقال عروة بن الوردمادمت تعيش لى ونبقى ماأرى بؤسا ولاشقا فقال له عنتر والله ياعروة ماقصر مقرى الوحش فارس النياق لأنه أسر فى الميدان من فرسان اليمن جماغزير وعند الصباح أخرج أنا إلى الميدان وقد تيسر الامر وهان فقال مقرى الوحش أنك فعلت مافعلت وكان على بديك خلاصى ولولاك ما كنت رأيت أنا فرجا من قناصى فقال الملك قيس يابنى عمى ومن بهم يزول همى لقد كنا فى غنى عن ذلك وعن هذا التعب ولو كنا علمنا أننا تلتى هذا الملتقى أوكنا

حازمين برأينا ما كنا برحنا من أرضنا لأن الملك النعمان ما كان ينفذ الينا أكثر من هذه القبايل بعد قتل أولاد بدر ولا ينالوا منا بطايل وربما كانت أختى المتجردة سألت بعلها فى اصلاح حالنا إذا طلعت على أحوالنا وأطلعيه على طول المدا وكنا استرحنا نحن وقومنا من هذا الأمر المهول فقال له عنتر يا ملك هذا الأمر ما يفوتك إذا عولت عليه لأن الليلة باتت عندنا أسارى نخلص بهم أنفسنا ونرجع إلى البلاد الحجاز وعند الصباح آتيك بمثلهم فقال الملك قيس هذا أمر قد فات لأننا صرنا فى هذه الفلوات وما يصلح أمرنا مع بعلها غيرها ونرسل خلفنا رسولا يخرجنا من هذه الديار والبرارى والطول والافاية الشرية والسرية والعلم السعدى وأين أرض اليمن ومياه عراعروكم جهد ما تلقى من القبائل والعشائر لاننا أول دخلنا هذه البلاد كنا جاهلين وكانوا أهلها عنا غافلين والآن قيد أصبح كل من فى بلاد اليمن لنا عدوا ولا بدلنا ما نبذل المجهود فى الأعداء ثم أنهم باتوا على مثل ذلك وباتت القبايل تموج حولهم وهم يقولون وحق اللات والعزى ما كان صواب براز أصحابنا لهؤلاء الكلاب وما فى الأمر إلا تكاثرهم عند الصباح بالراجل والفارس وتضيق عليهم غاية الضيق فقال رجل منهم يقال له سهل إلا أن يكون حى فقال آخر وكان شيخا كبيرا وقد عمر سنا كثيرا وحق الرب القديم ابن السلال يا بنى عمى ايش هذا الحاو والمقال من أين آدمى فى الأرض يقتل ولا يموت رب موسى وإبراهيم لقد سمعت عن عنتر أنه فى يوم خمس مرات وقطعت رأسه سبع مرات وعاش بعد الممات وفرق القبايل التى كانت حوله من ساير المواضع المفرات أما هو الذى قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

أن كنت تجهل وصفه فاسأل به	من كان حاضرا للقتال تقولا
هذا الذى لولا اتباع مقـــاله	ما كان يدرك عاقلا معقولا
من تحتـه مهر كليـل حالك	وبكفه ماضى الفرند صقيلا
والرمح ضمان الـكعوب بحاله	للموت فى قبض النفوس رسولا
لا يخشى يوم الحروب اضامه	لو أن ما يلقاه عزرائيلا

(قال الراوى) فلما سمع الحاضرون هذا المقال تعجبوا من تلك الفعال وأخذهم التعجب والانذهال وقالوا أن ملك الجن لاقدرة له على هذه الفعال وما زالوا فى قيل وأتراح حتى أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وركبوا على الجرد القداح واعتلوا بالرماح وقد اتفقت ليهم خمس قبايل آخرهم يزيدون على عشرين الف فارس يوم من أطراف وأقطار بلاد اليمن.

وهم عرب لاتعرف خالق ولا تسجد لصنم بل أنها تعبد البحر إذا زخر وتسجد له كلما هاج وهدر وكانت قدأتت فى طلب المكسب ونهب الأموال لأنها سمعت ماجرى لبنى عبس مع قبائل اليمن وانها طائفة كثيرة الأموال وقد حازت من قبائل اليمن الأموال وقدوصل معهم فارس عظيم البأس قوى المراس وكانت أهل اليمن تسميه عازيت السواحل وكان يسبي الحلائل وشتت العرب عن أماكنها يحب الفرسان ويكره كل ذليل جبان والسبب فى حضور هذا الفارس المنتخب لأنه بلغه حديث بنى عبس وذكر عنتر وماجرى له مع ملوك اليمن فى ابتداء حديث بنى حذيفة وقتله فارسهم الاخيل بن عمرو ووقعة عقبة الفاروق وقتله معاوية بن النزال وحديث بنى فهد بنى القين الفرسان وقتلهم فارسهم عمرو بن ضمرة وماحصل لهم مع الملك مسعود بن مصاد فلما بلغه الحديث تعجب من ذلك وقال أن دام هذا الفارس ملك الاثار فاهل اليمن يحتقروا بى ولا آمن على نفسى منه فلا بد من أن أسير اليه وأقطع رأسه من حد كتفيه وأهلك عشيرته التى تعتمد عليه واحظى أنا بالذكر بين الأنام ثم أنه جمع هذه الطوائف وسار بهم ولما وصل عرفته القبائل فمالت اليه وسلمت عليه وانهم علموه بما جرى لهم مع فرسان بنى عبس فقال لهم عفريت السواحل هذا أمر هين ولكن اكتموا اسمى فيزيد معهم عنادى وابلغ منهم مرادى فاجابوه إلى ما قال ثم انه قال لهم وما مرادكم أن تفعلوا فى هده الساعة وكم يكون هؤلاء اللئام وكم يبلغ عددهم من الأبطال فقالوا له أما سؤالك عن أفعالنا فان مرادنا قبل حضورك ووصولك الينا ان نحمل كلنا على أعدائنا حملة رجل واحد أما سؤالك عن عددهم فما يكونوا أكثر من أربعة الف فارس لكنهم اسود عابس فتعجب عفريت السواحل من ذلك وقال هذا أمر ما سمعته أبدا بطول العمر والمدى فوالله هذا عجز منكم وشرف لاعدائكم وهم على مملكم هذا يستحقون المدح عن غيرهم قال الراوى لهذه السيرة كان بنو عبس قد انحدروا من الجبال يطلبون الحرب والقتال فلما رأوا هذه الطوائف أقبلت وملأت البر وتلك البطاح وقد وقفوا ينظرون مايفعل هؤلاء وإذا وجدوا أفراحهم عالية وهم يموجون فى بعضهم البعض فعلم بنو عبس أن القوم وصلت لهم نجدة من فرسان اليمن لان الفرسان واصلة مثل العيون النابعة فقال الملك قيس والله يابنى عمى هذه نوبة صعبة ثم انه شاور قومه فى النزول فى الجبال فقال له الربيع ابن زياد ماهذا صواب لأن أكون أكثر الناس هربوا والباقون مشرفون على الهلاك وأن

فتهم هذه الطائفة أفنتهم ومافى هذا الأمر لأننا نترجل عن خيولنا وندور حول حريمنا ونقاتل حتى قال الراوى وكان عنتر قد نزل إلى أسفل العقبة ومعه خمسون فارس من كل ليث مداعس لأنه كان فى تلك الليلة قد تولى الحرس فلما أصبح الصباح رأى الطوائف القادمة فتأهب الكفاح ولما أن رأى عنتر إلى وقوف الملك قيس دون العقبة وقلة نزوله منها مع الفرسان لما سمع مشورة الربيع القرنان عاد وهو طالب الملك قيس وقال له ياملك ماهناك أمر أوجب انزعاجك ووقوفك وتريد أن تطمع فينا عرب اليمن ويقولون أنهم قد أحاط بهم الذل والمحن من شرذمة قليلة والرأى عندى أن ننزل من على الجبال وتصف الأبطال فان الذين أتوا ماهم إلا أكلة الجائع وعبدك ياملك فيه الكفاية لكل من فى الأرض ومازال عنتر يهون الأمور على الملك حتى قبل ونزل من ذروة الجبل والخيل متابعة مثل العيون التابعة وكلهم من حواليه وهم ينادون يا آل عبس ياعدنان لأن عنتر قوى قلوبهم واصطفوا من حول جبل الغمام وتقدم عنتر البطل الهمام ونزل مقرى الوحش فارس النياق وعروة بن الورد شجاع الزحام والهطال ابن أخت عنتر البطل القسور وعبده أبو الموت وسوداته وأبوه شداد وأعمامه وتتابعت الابطال ووقفوا يريدون من أعدائهم البراز وإذا هم بنابح بن النهاش المسمى بعفريت السواحل قد تقدم إلى الجيش وهاأمهل وصار بين السادات الاول راكبا على جواد عظيم فى مشيته ترتيب وهو جواد أدهم لكنه معود على خوض اللجج له طول مثل العاج وقوائم مافيها أعوجاج وهو كما يقول الشاعر ابن حجاج هذه الابيات .

قطعت الارض مجتازا وتخشى جواد ينهب الارض انتهابا
وكان البرق أمرى مبادى إلى فلم أرد له جوابا

قال الراوى وعليه زرديه ترد أسباب الرزية وعلى رأسه بيضه مكملة حليه وتحت فخذه أربع حراب إلى رسل المنية لانه كان يقاتل بسائر السلاح وكان خبيرا بطعن الرمح وضرب الصفاح ولما أن توسط الميدان بعدما لين عريكة الحصان وسار قدام الخيل يادى برفيع صوته وقال ما بالكم يابنى عبس اغتصمتم فى الجبال الشامخات وماتوا بالبنات خوفا من شرب كاسات الممات فان كنتم فزعتم من الكثرة فما عليكم لوما وعذركم فيها واضح لانكم أنتم فى قلة وجمعكم يسير وهؤلاء أعدائكم عالم وأنا الذى منعت هؤلاء من الحملة عليكم وذلك من شفقتى عليكم لانى علمت ما فى هؤلاء القوم فارس له خبرة بالحرب والطعان يبرز إلى الميدان أحداً من فوارسكم الشجعان وأنا وحق البحر إذا زخر أنى سأشبعكم

انصفاف وأسقيكم كاس التلاف لأنى أعلم أن ما يفضل منكم أحد ويرجع إلى الأرض الحجاز ويتحدث ويقول لقد اجتمعت علينا طوائف اليمن وسكان تلك الأراضى والدمن وكنا أربعة آلاف فارس جسور ولا علينا إلا بالمكاثرة وقلة الانصاف وما قتل منا فارس حتى قتلنا كل فارس مشهور وبطل مذكور والآن فقد برزت لكم فى الميدان ولا بقى لكم عذر عند أحد من العربان وأنا لم أترك لأحد على ملام ولا أزال فى الميدان حتى أنكم تطلبون منى الأمان وأنا وحق دينى إن أرم لكم فيما تريدون وإلا فابرزوا إلى فرسانكم وشجعانكم لأجل ما تتحدثوا عنى بكل خير فلما سمعوا كلامه رأوا الأمن كاطلبوا فعندها فقز منهم فارس شديد وحمل عليه حملة الصنديد إلا أنه ما قارب منه حتى طعنه عفريت السواحل قلبه وخرج اليه الثانى قتله فأبصر فعله عروة بن الورد فطلبه وجال معه رضا بقه هذا وعنتر رجع إلى الجبل المنيع فرأى الملك قيس واقفاً فى فرسان بنى عبس فقال له أطمعت فينا الأعداء بهذا التدبير وقطعت ظهر الكبير منا والصغير ومازال واحتى نزلوا بنا فى العشيرة وعاد عنتر يطلب المقدمة فوجد عفريت السواحل قد أخذ عروة أسير ورأى مقرى الوحش أنه متأهب للخروج إليه فقال عنتر يافارس الشام لم سمحت امروة بالخروج إلى هذا الشيطان فقال له مقرى الوحش أنى ماعلمت به حتى صار معه فى الميدان ولكن ياأبا الفوارس لا يضيق صدرك فأنا آخذ له بالثأر ثم طلب الميدان وعنتر يوصيه ويقول له إن قدرت عليه فلا تقتله بل إئتنا به أسير لعله أن يفدى نفسه بعروة بن الورد وإلا انهدم منا ركن (قال الراوى) والتقى مقرى الوحش مع عفريت السواحل وقد لاح للموت بينهما علائم وتحدثت فيهم ألسن القبائل لأنهما لعبا بالرماح وأوسعاً فى البطاح وبأن عليهما تلاف الأرواح وتعجبت منهم القبايل فوقعت فى قلوبهم هيبة عظيمة وقالوا والله اليوم تبين الحق من المحال هذا وأن مقرى الوحش وصار ينشد ويقول

إلا هكذا توفى الكرام ذوى الجدى	وتعلوا منار الغر بيض الظبا الهندى
وبسرى إلى نيل المنى كل أذرعى	يسبق رجع الطرف بالضمر الجردى
وكم أخرجت ناراً من الزند قادحا	ولو كان يدرى ما أثارها من الزبدى

وقال الراوى وطاف من الاثنين المحال وتحيرت من اختلاف طعنهم الرجال وأكثر على بعضها الوصال وسمع عنتر صيحات نايح بن نهاش فعلم أنه فارس شديد البأس قوى المراس بطل شديد الزلزال والزحام فخاف عنتر على مقرى الوحش وقال لمن الرجال والله لقد

خاطرنا نحن بفارس ريبال ودام القتال بين الفارسين حتى انقضى نصف وتطاولت منهم الأعناق إلى الغبار ورأى نابح خصمه مقرى الوحش فارس عظيم الاخطار فاظهر له الكسرة واطعنه فى جانبه حتى مد السنان إلى صدره وأراد مقرى الوحش أن يطعنه فدنا بيده إلى حسامه فجرده وضرب رمح مقرى الوحش فبراه تطيرا علاه فزعق عليه ففاجأه فأخرج من تحت فخذه حربة فاراد أن يضرب بها فؤاده فوقعت فى فخذ مقرى الوحش فارمته إلى الأرض

أسر مقرى الوحش



والمهاد وقد وقع وكاد أن يهلك فتواثب اليه أصحاب عفريت السواحل وشدوه كتافا وقووا منه السواعد والأطراف قال فلما أن ابصر عنتر هذا الامر سكر من غير مدام وسقط من على جواده فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من بنى عبس فانهم لما نظروا عروة قد أسر ومقرى الوحش قد قهر وعنتر أغمى عليه تقطعت ظهورهم فعندها تجمعوا كلهم عند الملك قيس وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له يا ملك ما رأت بنو عبس مثل ما رأت من الملك النعمان فان يا ملك حماة القبيلة قد أسروا وعنتر قد غشى عليه ونحن صرنا لا نسمع ولا نرى فلما سمع الملك قيس هذا الكلام لطم على وجهه والتفت إلى فرسان بنى عبس وقال لهم اعلموا أن أصحابنا البعض منهم مجروح والبعض مأسور وجاهيتنا قد شق عليه ذلك فلما تكلم الملك

﴿ تم الجزء الثامن عشر ويليه التاسع عشر ﴾

(الجزء التاسع عشر)

من سيرة عنتر بن شـــداد

قيس بهذا الكلام تقدم اليه عمارة بن زياد وقال يا ملك إذا كانوا أصحابنا بجروحين أقمنا عندهم من يحفظهم وعاينا أمورنا بأنفسنا وقاتلنا أعداءنا حتى لا تقول العرب أن بنى عبس كانوا بعنتر ثم أنه التفت إلى أخيه الربيع بن زياد معدن الغدر والفساد وقال إن صح موت الاسود الزنيم تزوجت أنا بعبلة وأجيب منها الاولاد ولما تكلم عمارة بهذا الكلام قال له أخوه ما الذى أقول فيك يا مذلول الشارب والله لئن مات عنتر وأنقبر لا تترك العرب منا من يخبر بخبر ولا أحد يعود منا من هذه البلاد ولا يبقى من بنى عبس من ينفخ النار فبينما الناس فى قيل وقال وإذا بعنتر قد أفاق من غشيته وفى الحال مد عينيه إلى ناحية المعمعة فرآهم شدوا مقرى الوحش كتافا ومضوا به إلى الخيام فعند ذلك نزل عفريت السواحل وسط الميدان وجعل يصيح ويجول فى وسط الميدان عرضا وطولا وهو مع ذلك ينشد ويقول

أنا الذى فخره بالذكر قد علما ... بنيت لى فى العلى بيتا شدته كرما
أنا الذى سجد الشمس والضحى له ... على السواحل ونجمى قد علا وطما
ولى حسام إذا جردته بيدى ... بحده ينثر الهامات والقمما
وكلما جردته كف مصقله ... أعدت فيه بضربى للدما قلما
أنا الذى شردت منى بنو مضر ... من خوف باسى وعادت تطلب الأجما
كذاك الجن تحت الارض تحذرنى ... خوفا كما يحذرنى الليث فى الاكما
أبن يسمى بنهاش وليس له ... ينيقكم آل عبس الضرب والالما
والآن قد حضر العربت عندكمو ... وقد علا عزمه فوق العلا وسما

(قال الراوى) وما تم أبياته حتى أنطبق عليه عنتر أنطبق العدو والانتقام فايقن عفريت السواحل بالهلاك والاعدام فتقنزز من الارض وعاد إلى سرجه فى الحال فرأى عنتر أفعاله فجد فى قتاله فتارة يكون فى الميمنة وتارة يكون فى الميسرة وما زالوا مثل ذلك الحال حتى انقضى باقى النهار وأظلم الليـــل واعتكر غاية الاعتكار وعلم كل واحد منهم أن ماله فى رفيقة مطمع وعاد عنتر إلى جبل الغمام وفى قلبه على عروة ومقرى

والوحش الفلا الذي لا يطاق وكان الملك قيس يسأل عن عنتر عن صاحبه فقال له والله ما هو الا فارس
عظيم ويحق للعرب أن تتبجح به عفريت من الجن لا أرى مثله في الأرض ولا رأيت ما لقيت وفارس النياق
ما كان دونه بطل ولا يحصر بعد وهو غافل غير متيقظ وأنا خائف عليه من الجرح الذي أصابه في
الليلة التي ... وتحيّر فقال له الملك قيس أعلم يا أبا الفوارس أن لهم عندنا من كل قبيلة جماعة
ووعدنا الصباح أن نقول لهم أطلقوا الأسارى رجلاً برجل فقال له عنتر والله إن طلبوا منا يا ملك كل أسير
عندنا أطلقناه لهم ولولا أن الليل قد هجم لأنفذت إليهم هذه الرسالة لأن قلبي خائف على
أصحابي لأن كل واحد عنده حسرة وكل من في البلاد باقي قال الراوي ولما أمر ذلك دبّر الأمر
وصاح بأخيه شيبوب وقال له يا أبا رياح أريد أن تروح في هذه الليلة وتريني أعمالك وتختفي وتختلط
مع القوم وتنظر ما يجري لعروة بن الورد ومفرج الوحش وعد إلينا بالخبر اليقين وإن
رأيتهم عدوا على الملاك ... فاسرع في العودة بالعجل فقال شيبوب والله يا أخي ما همّ إلا في
في خاطري كثير ... ثم إنه بعد ذلك قام على قدميه وقدّم بين يديه آلة
حيلته ولبس ثيابًا سودًا وعصب رأسه بعصابة صوف وخرج ... جسده
ووجهه ووقف في الهواء حتى جف الدم ولبس ثيابًا ... فنظر إليه أخوه عنتر فتعجب وقال
في نفسه أعوذ برب الفلق من هذا الشيطان وما يفعل من الدواهي والحيل ثم إن شيبوب
فارق بني عبس وصار في كهف الجبل حتى صار خلف الأعداء ودخل إليهم من طريق بلادهم
قال الراوي فلما صار في الخيام وجد العرب في خصام وجدال من أجل ما جرى من الهوان وعنتر
ابن شداد فوقف شيبوب يسمع ما يقولون وإذا بقائل يقول وحق ذمة العرب أن عنتر
أفرس من صاحبنا الكردي بأمور الحرب والضرب وقوم يقولون وحق البيت الحرام وحق
زمزم والمقام ما على وجه الأرض أفرس من عفريت السعلاة ... وجماعة يفتخرون
على عروة بن الورد ومفرج الوحش ... وقوم ...
شعرائهم للأجل ... هذا عفريت السعلاة ... على ركبتيه مثل الشيطان
الكبار وقدميه مثل الأسطوانة الطويلة ... فوقف شيبوب ونظر إلى عفريت السعلاة
فقال يا وجوه العرب أنا ما أتيت من دياري إلا طالب القتال والافتخار والتقدم
على الفرسان وأنني أريد أن أظهر في تلك الساعة بين هؤلاء القبائل شجاعتي في هذه الأرض
العبسية التي ذاع صيتها ... ملوكها وفرسانها ونهبت أموالها ...
به مدى الأيام وأني عولت أن أملك بشجاعتي فرسانها لكن لا يصح هذا الا بعد أسر عبد بني

عبس الأسود الذى خرج أمس إلى الميدان وقتل بفرسانكم تلك القتال ولولا أنا رددته شره عنكم وبرزت إليه البارحة لأنى رأيته فارسا جبارا وأخشى أن يطلق هؤلاء الأسارى واقع فى يده فيا خجلتى أسيرو بطال الذى بهالك أقدر عليه فيحل فى الوبال مع هذا العبد الجبار ثم أنه بعد هذه الأخبار صار يتحدث مع العربان حتى غلب عليهم المنام وطلب كل واحد منهم مضاربه والخيام ولم يبق عند عفريت السواحل أحد من المقدمين إلا الخدم الذين يخدموه وقد أوصاهم بحفظ عروة ومقرى الوحش وأراد أن يدخل إلى المنام فلاحت منه التفاتة فنظر شيبوب لابدا بين المضارب والخيام وعليه ثياب أسود خلقة وهو يتأوه من قلب مكمود ويشهق ويبكى وينوح فتفكر عفريت السواحل فى أمره امتنع عن الدخول والتفت إلى عبيده وقال لهم ائتونى بهذا العبد المريب فما كان من قليل حتى مثل بين يديه فقبل الأرض وتقدم وقال بلسان فصيح العبارة حيا الله الأمير الكبير أمير الأمراء والحاكم على هذه المياه والمناهل أدام الله سعدك ونشر بالعدل قواعد مملكتك وعزك فأنت صاحب الأحكام وأنت سيد وهمام وصاحب أحلام ومالك جبل الغمام وقائد العساكر والجنود وصاحب الكرم والجود ومغنى الفقير والمنقطع الحزين وعمدة المساكين قال الراوى فلما تكلم شيبوب بهذا الكلام أعجب عفريت السواحل وبهت إليه وقال له من أين أنت يا وجه العرب فقال له يا مولاى انا من ديار بنى كلاب بن ربيعة فقال له وعلى من أنت لابس السواد فقال له على سيد مسعود بن مصاد لأن هؤلاء العبسيين دخلوا إلى بلادنا وأعطاهم سيدى الدمام واعتق العبد اليتيم لده حسان يقول وضيفك الحرص على من وقع فى يدك من فرسان هذه القبيلة ويعطيك من الأموال ما تريد وأوفى مزيد وان وقع أسودهم فى يدك فابشر بما تقر به عينيك فقال له عفريت السواحل يا وجه العرب إذا انشق الفجر ابرز إلى الميدان سمعت عن هؤلاء القوم العبسيين مع أنهم أعداء الملك النعمان وهو من فعالهم على مقالى النار وأنا قد عولت أن أسيرهم إليه بين يديه الفارسين الأسيرين وآخذ منه الخلع والأموال الروائح قلبى من قتال هؤلاء الطوائف المجتمعة فعند ذلك قبل شيبوب الأرض بين يديه وقال له يا مولاى أن أكثر طلب النعمان أن يقع فى يده هذا الذى ذكرته وهو العبد الأسود الزنيم من عنده الاوانت ملك كبير لأنى سمعت هذا الكلام من ملككم قيس أنت أحد الفرسان وفريد العصر والأوان اذا قهرت هذا العبد الشيطان الذى أذل الأملاك والعربان وما قال شيبوب

هذا المقال حتى رغب عفريت السواحل منه فى المقام لانه أراد أن ينفذ الاسارى إلى الملك النعمان قال الراوى فلما تكلم شيبوب بهذا الكلام أعجب عفريت السواحل هذا المرام وقال وحق البحر إذا زخر لقد صدقوا العرب فيما ذكروه فى هذا الاسير الاشقر لانى عند قتاله أورثنى تعبا ورأيت أنه خبير بطعن الرمح وماقدرت عليه الا بالمخاطبة والان أنت قويت قلبى على القتال وبذل المجهود مع هذا البطل الاسود الاغبر الذى يسمو عنتر لاجل أعجل له الممات والوبال فلما تكلم عفريت السواحل بهذا الكلام قال له شيبوب وحق ذمة العرب بهذا أردت أن أشير عليك ولكن خففت من غضبك فلما نظر عفريت السواحل إلى سرعة جوابه اعجبه كلامه وسرعة أقدامه فقال ياغلام ما اسمك وما تكنى به بين العبيد والغلمان فقال له يامولاى أقول أنا أسمى شعيب وإذا مزح معى سيدى يقول لى ياأبا رياح وفى بعض الأوقات يقول لى ياأباجناح ولكن يامولاى بحق نعمتك الواصلة إلى وفضلك لاتهون برسالة مولاى الملك حسان بل تقضى له حاجته وتأخذ له بالثار وتمحو عنه العار والشنار لانه ماله فارس سواك وذلك بما يعلم من صداقة ودك من قديم الزمان مع أبيه ولا تجعل لهذا الملك اتكال إلا على الله ثم عليك قال الراوى فلما أن تاب على نابح المنام قال له قم الآن ياشعيب وارقد عند هؤلاء العبيد الموكلين باعداك وعنهم وهددهم على مافعلوا فى حق مولاك فقبل شيبوب الأرض بين يديه وقال يامولاى أنا خائف إذا بت الليلة عندكم من سيدى حسان ولكن يامولاى لى حجة واضحة البيان أقول له يامولاى بن البارحة عند مولاى نابح بن النهاش ووكلنى باسراء الذى عنده حتى أسلمهم فى الصباح بين يديه وهم واحد منهم فى أرض الشام وأما رفيقه يقال له عروة بن الورد ويقال له عروة الصعاليك وأى شىء ذلك العبد الذى يسمو عنتر يامولاى وقدمته إلى الملك النعمان ثم ان عفريت السواحل دخل إلى خيامه وبعد ما أوصى عبيده باكرام شعيب وبعدها اندرج فى فراشه وأما شيبوب فانه وثب على قدميه حتى عبر إلى الخيمة التى فيها الاسارى بعد ما سكر عفريت السواحل بكلامه وشقشقة لسانه (قال الراوى) لما أقبل شيبوب على العبيد تواثبوا اليه وأكرموه وبجلوا قدره وتحدثوا معه فرأوه فصيح اللسان وكان أول مادخل عليهم الخيمة عرفه عروه بن الورد لانه قرى الوحش فدا أن فرغ شيبوب من حديث العبيد قال لهم يابنوا الخالة أيهما فارس الشام من هؤلاء الكلبين فقالوا هذا هو الطويل الاشقر الازرق العينين العريض الكتفين فقال لهم شيبوب لله دره ما أنجبه فلعن الله بطنا حملت به ولقد نويت

إلى طلبه من مولاى عفريت السواحل حتى احمله إلى مولاى حسان بن مسعود الذى قتله عبدهم ملعون الآباء والجدود واعذبه حتى إلى قومه لا يعود لانى أريد نحره واذبحه من قفاه واترك هذا الكلب موعظة إن يراه وإن وقع ذلك العبيد الزنيم اللئيم والأسود عنتر وقد بلغنا الامل والعرض لأنه هو الذى قتل سيدى مسعود وأشمت بنا المعاند والحسود وأن اصل هذا العبيد الردى الأصل ملعون الآباء والجدود لاوقفه بين يدى مولاى الحسان وأزيل عنه الحظ والسعد ومازال شيبوب بمثل ذلك حتى ثارت النخوة فى رأس مقرى الوحش وهم أن يتقوى ويطلق يديه من الكتاف فرأى السلسلة حاكمة عليه فعندها قال يا ابن العبيد اللئام وتربية الحرام أن هذا لا تبلغه أبدا ولا بد لعنتر أن يفرق شملكم وشمل هذه القبيلة ويفنيكم برمحه وحسامه الظامى ويخلصنا من الاسر والاعتقال والآن قم من قدام وجهى فما رأيت أوحش من صوتك ولا اشنع من خلقتك فلعن الله صورة رؤيتك فقال له شيبوب ويحك يا مسكين هذا الحديث الذى تقوله ابصرته فى المنام وإن هذا منا لا يصح لاحد لانك يا هذا أشقر أزرق العينين ومن تمام شقاوتك وقلة قيمتك وتعاستك سمعت انك تعبد الصلبان وتقبل الصور المصورة فى الحيطان وانتم لو كان لكم عقول كنتم تتكلموا بهذا الكلام يا عباد الصلبان هذا إلا أنه اضغاث أحلام ولكن فاصبر قال الراوى واخذ شيبوب مع مقرى الوحش فى المخاصمة والكلام والمهاجمة كان النباق واصبر على غصتك وتأنى فى أمرك فهذا شيبوب أخو عنتر بن شداد عسى إذا نامت هؤلاء العبيد يخلصنا من الاسر والاعتقال فقال له مقرى الوحش يا أبا الابيض أنت ما بقى معك من العقل محصول كيف يقدر شيبوب يخاطر بنفسه بين هذه القبائل انما هذا شيطان عبيد حسان بن مسعود أما ترى انه لابس على مولاه السواد فلعن الله اباه وامه ولا كتب الله عليه سلامة ما أسود وجهه كيف هذا الشيطان يجسر أن يتكلم بهذا الكلام فقال شيبوب سوف يفنى ما فيكم بالرمح والحسام ولا يترك منكم شيخا ولا غلام ومن اسره منكم يبيعه بيع الهوان قال الراوى ثم أن شيبوب لج على مقرى الوحش فى الكلام والحديث والمخاصمة وكان عروة بن الورد إذا سمع من الكلام يقول يا فارس الشام طول روحك ولا تطل معه حتى يخلصنا الأورب قال مقرى الوحش اما انت يا أبا الأبيض قد خرفت وذهب عقلك وذهل لبك وهذا عفريت اعرفه وحققه تراه من

جهة مولاه مسعود بن مصاد الكلبي صاحب مياه عراعر وما أتى هذا الشيطان إلى المكان إلا أن أطلبنا إلى مولاه حسان ليأخذ منا بالثار وأنا والله يا أبتاه إلا أنتقض ما أصبر على خطابه وما لي هم في الدنيا إلا من مفارقتي لزوجتي مسيكة وولدي سبيع اليمن وصاحبي عنتر وأسفاه على الخلاص والرواح قبل طلوع الصباح قال شيبوب أبكي على روحك يا قرنان وعدد كما تعدد النسوان والله يا أشقر يا أزرق العينين لا تزال بعد ذلك في الأغلال يا أقبح الوجه كما فجعتني في أصحابنا وكانوا رجال أقيال وفرسان عوال (قال الراوي) فعند ذلك قالت له العبيد قم يا شعيب وخذ ثارك وثار سيدك من هؤلاء الاثنين فوالله إن أدخلوهم إلى أرض اليمن فقد أرعب قلوبنا وصدع أفئدتنا فاقتل هذا الأشقر فلا كتب الله عليه سلامة فعند ذلك وثب شيبوب مثل الذئب الأمعط والثعبان الأنقط وأندق على مقري الوحش وصار يصفعه في مرافقه وأكتافه ويقرصه في أوراكه وينهش وجهه ودردمته ويعض أكتافه وظهره ومقري الوحش يستغيث فلا يغاث وفي الحال نط وقعد يحارسه بطول الليل فهذا ما فعل شيبوب من ضيافته عند عمرية السواحل من الخيل وأما ما كان من طوائف اليمن وبني عبس فإنهم ما باتت تلك الليلة أحد إلا وهو غارق في الحديد إلى الصباح فعند ذلك تواثبت الأبطال والرجال والفرسان إلى ظهور الخيل لما ذهب عنهم الليل واصطفت القبائل واعتدلت الجحافل وجردت النواصل وهزت الذوابل تقدمت بنو عبس تطلب الحرب بالأخبار وعلموا بفقد عروة ومقري الوحش ذل وانكسار إلا أن الصفوف ما تعدلت والأبطال ما تصففت وترتبت حتى خرج عنتر بن شداد وطلب القتال والحرب والجلاد وكان قد أصبح كثير الهم والأفكار من وجوه عديدة أحدها لأجل مقري الوحش الفارس والغضنفر وعروة بن الورد الوجه الثاني لأجل انقطاع خبر أخيه شيبوب عنه وكيف أصبح الصباح وما عادوا إليه والوجه الثالث بكاء زوجة مقري الوحش مسيكة وانكسار قلبها وغربتها والوجه الرابع تذكر بعد قومه وغربتهم عن ديارهم وانكالهم عليه وكثرة الجمع الذي بين يديه فخرج ذلك اليوم في صورة وغره إلى الحرب والقتال فجال بالأبجر وطلب المبادرة وسأل الإنجاز وجعل يقول هذه الأبيات

ما يطفي اليوم نيراني ولا حرقي ... إلا اختلاف القنا والطعن في الحدق

ولا أزال همومي غير منقطع ... تسيل فيها الدما كالعارض الغدق

وإذا لم أخل طيور الجو حائمة ... على الغبار فلا بل الندا رمقي

وأرمي الهام بالعضب الحسام كما ... ترمي العواصف منها يابس الورق

وأترك الخيل في الأقطار شاردة ... تدوس من جيف القتلى على الحدق
تغد وخفافا خلاه من فوارسها ... عبس مغبرة الألوان بالعرق
ياساقي الموت أدر كاس الحمام فقد ... أصبحت أشتاقه من همي ومن حرق
وقد عاهدت حسامي أن أصبغ له ... عمدا من الراس ومن خالص العنق
فبارزوا وانظروا طعنا تشيب له ... رؤس المفارق من خوف ومن قلق

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات برز اليه فارس طويل معتدل القوام إلا أن عليه ثوب خام قصيرا لا كام ضيق اللثام خالي من الزرد عليه للفروسية دلائل وعلائم وهو حافي الأقدام غير متأهب إلى الحرب والصدام ولما برز قدام عنتر وصاح فيه ورأى هذا الحال وقاربه أنكر أمره فقال في نفسه وقد زاد به الغيظ والغضب ما هو إلا أن الفراعنة الكلاب احتقروا بي عند الحرب والقتال والا ما كانوا أخرجوا إلي هذا الفارس الصعلوك وان لم أملاهم في الميدان بحفظ قدري عندهم وهان ثم أنه صاح بالفارس صيحة الغضب وهم أن يطعنه وإذا به قد اعترضه فارس آخر ثاني ولكن أعظم خلقة من الأول وأشد نشاط فطلبه عنتر مثل القضاء المنزل وصار معه مثل السهم المرسل فلما قاربه صاح فيه وأراد أن يطعنه فكشف عن وجهه اللثام وقال جئت يا أبا الفوارس وهناك الله بخلاص أصدقاك من شر أعداك فتأمل عنتر من المتكلم وإذا به صديقه ورفيقه مقري الوحش والفارس الأول عروة بن الورد فلما تحقق عنتر معرفتهم خفق فؤاده من الفرح وانسع صدوده وانشرح وقال يا بني عمي لقد خففتم بذلك كربي وأرحتم سري ولبي وقلبي فكيف كان خلاصكم من الهلاك والوبال فقال عروة وكان سبب خلاصنا أخوك شيبوب المحتال ولولا هو ما كان أصبح الصباح إلا ونحن في أرض بعيدة قال عنتر أنا ما لي أخ يقال له شعب فقال عروة وهو شيبوب إلا أنه أتى إلينا بنحو عليه ثياب سود وتسمى بهذا الاسم وقال أنا عبد الملك مسعود وما زال يخدعه حتى وكله بنا وقد تحدث معنا حتى نام العبيد فقام الينا وأطلقنا وسار بنا على غير طريق حتى خرج فاعلمنا من الحرس وقال لنا اركبوا من هذه الخيل فشاردة وتفرقوا بين هذه الطوائف إلى أن يصبح الصباح وأقبلوا إلى الميدان من جملة الطوائف كأنكما تطلبان البراز والطعان فعلنا مثل ما أمرنا ونحن متعجبون فيما جرى وأتينا اليك كما ترى فلما سمع عنتر ذلك زادت أفراحه من أفعال أخيه فقال عنتر وشيبوب أين تركتموه فقال عروة تركناه حول مضرب الذي أسرنا لأنه قال لنا امضوا أنتم

ويطلبوا من الله الفرج وأنا ما أبرح من حول مضرب هذا القوتان حتى أذبحه وأكفى الناس شره فتركناه وما ندرى بعد ذلك ما جرى له وما ظننا إلا أنه قد سبقنا إلى هنا فقال عنتر لا والله ما رأيناه وإنى خائف عليه أن يعرفه هذا القرنان فيهلكه ثم أنه قال لمقرى الوحش إذهب أنت إلى زوجتك وأرها وجهك حتى يذهب عنها الهم والغم لأنها البارحة ما نامت وأقم عندها حتى تبرأ جراحك ثم أنه سأل عن الحربة لئلا تكن أفسدت صلاحه فقال لى ما هو شىء أبالى به ولولاك ما كان ظفر بى هذا الشيطان وأنه والله من الفروسية فى أعلا مكان ثم أنه طلع وبل شوقه من زوجته وولده برؤيا وجهه ورجع إلى الميدان يطلب البراز وقد حارت مما جرى جميع الشجعان وما فيهم من علم كيف سلمت الفرسان نفوسها إلى عنتر من غير قتال وقد كثر فيهم القيل وفى الحرب من ظن أنهم جواسيس لبنى عبس وقد عاد اليهم ومنهم من قال الآن بعض الأسارى هرب هذا وبنو عبس قد ضجت على الجبل بالأفراح بخلاص عروة بن الورد ومقرى الوحش وعنتر لما أبصر فرسان العرب ووقوفها عن القتال حمل على بعض القبائل وأضرم نار الحرب فحميت وازداد الاشتعال وارتفع عليه الصياح ومالت عليه الأبطال وكان فى قلبه النار من كثرة الجموع فبذل حسامه فى الرجال وطعن فى الصدور طعناً يسابق الآجال ويمحق الأعمار الطوال وما خرج من تحت الغبار ارتفعت الشمس وتعالى النهار وأهلك سبعين فارساً جباراً وخلاهم عبرة بالصارم اليمانى وعاد إلى الميدان وقد روى الأرض من الدماء وعاينت القبائل ما حير الأذهان وهو يجول يطلب البراز وانتخب الفرسان لنفوسها وقد صارت تخرج اليه وتقصده بسيوفها ورماحها وهو عبر عليه نصف النهار واعتدل فوقفت الفرسان وسادات الحلل وكان قد أسر فى ذلك الوقت مائة فارس ما منهم إلا كل ليث بطل الذى قتلهم مائة وعشرين وكان آخر من برز اليه بن النهاش الذى كان أسر عروه بن الورد ومقرى الوحش وما كان آخره افتقدهم فما وجدهم بل أنه رأى العبيد نيام فنبههم وسألهم عن الأسارى فقالوا وذمة العرب ما عندنا منهم خبر حتى سار وقت السحر وهب علينا نسيم الهوى فنمنا كما ترى ولا نعلم أيش جرى فقال نابح إذا كان الأمر على هذا فقد أخذهم شعيب القرنان ومضى بهم إلى مولاه وما أظن أن كلامه كان معى إلا خديعة وهذيان وأنا أقسم بالبحر إذا زخر والموج إذا هدر وتلاطم وبدران كان هذا الأمر صحيح لأضربن رقبته وأسلب نعمته لأجل أدخاله على المحال وأضرب رقابكم معه يا بنى الأنذال فأنتم أتكلم على

شعيب العبد ولد الزنا وغركم بمحاله فأمنتم اليه على أن قلبي كان نافر آمنه لما سمعت لغته حجازية ولكن قلت ربما يكون مولاه اشتراه من أرض الحجاز ورآه عاقلا فربه وإلا ما كان علينا المحال (قال الراوى) فبينما هو مع عبيده في الكلام وإذا بثلاث فوارس قد وصلوا اليه من عند الملك حسان بن مسعود وسلموا عليه بعد ما قبلوا الارض بين يديه وخدموه وقالوا له أيها الملك الجليل ملكنا حسان بن مسعود يسلم عليك ويقول لك لا تقطع ما كان بينك وبين أبيه مسعود من الصحبه والمودة والعهود وقد علمت ماجرى عليه من هذه الطائفة العبسية التي أذلت ملوك اليمن ويريد منك أن تحفظ الاسارى الذين في يدك وتخرج اليوم إلى البراز وتجتهد في أسر عنتر حتى تأخذ منه بثأر أبيه ويعطيك من المال والجمال ما تطلبة وتشتهيه ولا تحوجه إلى غيرك في أخذ الثأر وكشف العار ومن البارحة كان عول أن يرسل اليك من قبل هذا المعنى وإنما رأى فرسان القبايل قد مالت اليك فخفف عن قلبك وعلم أنك لم تنس صداقة أبيه ولا يرى منك إلا ما تشتهيه فلما سمع نايح هذا المقال زاد به الويل والخيال وقال للفرسان الذين أتوا اليه وهل الاسارى ما وصلت اليكم مع عبدكم شعيب فقالوا له لا والله أيها الامير قال فحدثهم بما تم عليه فقالوا هذا حديث ما سمعناه إلا منك أيها الامير فقال لهم أما تعرفون أن أميركم له عبد يسمى شعيب فقالوا له والله ما نعرف لاشعيب ولاقضيب وأن كان قد أتاك أحد وتسمى بهذا الاسم فما هو إلا من تلك القبيلة الغريبة العبسية وما قصدك إلا لاجل خلاص أصحابك من يدك فلما سمع ذلك تحقق صدق حديثهم وزاد به الغيظ على عبيده فضرب رقابهم فرأى عنتر وقد فعل تلك الفعال وقتل من قتل وأسر من أسر فخرج اليه وطلب النزال والحرب والقتال فلما رآه عنتر وأبصره سالما آيس من أخيه شيبوب هذا ونايح يقول يا غدارين يا محتالين يا مكارين نحن نقتنصكم في الميدان ومقام الحرب والطعان ونذيقكم الهوان في المجال وأنتم تخلصون بالاحتيال وحق معبودى أن وقع في يدى أحدمنكم لا أبقى عليه فلما سمع عنتر هذا المقال عرف معناه وأن اخاه شيبوب بالحياة لانه لو كان قتله كان ذكر في الكلام هذا ونايح قد جال في المجال وجعل ينشد ويقول

وحق العيون الجاريات من البحر	وما فيه من موج وما فيه من درى
لئن وقعت عيني من أتى لنا	بحيلة محتال وما خاف من شرى
فان كان خلصه بحيلة مكره	فسوف آخذ الجمع في ظلمة القفر

وآسر الشيطان عنترة الذى ... ترى اسمه قد شاع فى السهل والوعر
وأجمله النعمان قهرا مكبلا ... ليجعل لى شانا من العز والفخر
أقودهما للاسر فى حومة الوغا ... وتخلصا منى بالخداع والمكر
ولا بد ما أسرى لشرق ومغرب ... وأملك ما أحتاج فى البر والبحر
أنا تابع المشهور فى كل معرك ... أبيد الأعادى بالمهند البترى
لأننى بعفريت السواحل كنيته ... لأنى ملكت الأرض جمعا مع البحر

قال الراوى فلما سمع عنتر هذا الشعر والنظام أجابه على عروض شعره يقول

أيا من سعى فى حتفه وهو لا يدرى ... ثان واسمع وزن ما قلت من شعرى
إذا نظرت عينى إلى طعن فارس ... مزجت له كاسا أمر من الصبر
ملكت بفضل الله كل مليحة ... وتوجنى ربى بتاج من النصر
أطهر هذى الأرض من كل طامح ... إلى أن أتى المبعوث بالنهى والأمر
لقد كان حبل الكهان إلى أن يوم محمدا ... يكون له نور يفوق سنا البدر
وإن كان من أعداه الكل يوم جحوده ... نجوت به والله من ظلمة الكفر
أما قتلت أعداه من كل جاحد ... وأمحو لأهل الظلم بالسيف والسمر
أنا ما سمعت أذاك أفعل من فعالى ... وقد شاع فى الآفاق بين الورى ذكرى
أنا عنتر الموصوف سيد قومه ... أموت ولا أنسى إلى موقف الحشر

قال الراوى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذا فى الجلاد حتى طلع الغبار وتحيرت ما جرى لهما الأبصار واختلف بينهما طعن وضرب يحير الأبصار والأفكار ويشيب من هوله الأطفال وقل منهم الصبر والقتال وجال كل فارس وصال وما زال الاثنان على مثل ذلك حتى انقضى النهار وحل بنابح التعب وندم على مقامه فى الديار وعلى خروجه إلى هذا الرجل الجبار وقال فى نفسه ما منعنى عن المسير إلى ذلك العبد العيار وكنت اشتهى أن أقع به لأذيقه الهم والبوار وأغنى بقتله ما يصلى من النار ثم أنه وقف عن المجال يستريح من كرب القتال وقال له أمهلنى على أن أشاورك فيما يكون لك فيه من الصلاح والإخلاص فقال له عنتر وقد أمهله قل ما تريد فقال له أول ما أريد منك خبر العبد شيبوب أخى العبيد الذين خلص أصحابكم ما كان منه وبعد ذلك أسألك أن تبقى على حتى أعود إلى أهلى وأرحلهم عنك وأكفيك أمرهم وأمر عشيرتى ولا أخرق ناموسى فى بلاد اليمن وأسيرى وإن كنت ما تفعل ذلك فأنا فى غداة أجل عليكم بهذه العوالم ولا أبقى منكم قاعد

ولا قائم لأن الليل قد أتى والنهار قد مضى ولم يبق لنا غير الانفصال والعودة إلى قومنا فقال له عنتر يا قرنان ويا مهان أنت تدعي بما ليس فيك وإنك فارس الذي تطلب الإقالة من عبد قد أذل ملوك هذه الأطلال والله من وأي انفصال ههنا إذا كانت هذه نيتك ثم زعق زعقة الأسد إذا جاع وطعنه بالرمح دعق منه أربعة أضلاع فانصرع ومن على جواده إلى الأرض ووقع فوقف على رأسه حتى تدركه أخوه جرير وإذا بأخيه شيبوب قد أقبل مثل القضا المنزل وصار على صدر نابح مثل البرق إذا برق وقال له أدر أكتافك يا كلب العرب ثم شد وثاقه قدامه وعنتر من فعال أخيه متحير فقال له ويلك وأين كانت غيبتك يا شيبوب فقال له في طلب هذا الكلب لأني لما طلقت مهري الوحش وعروة بن الورد صرت من بعدهم أرصد هذا القرنان وأرتحك منه وأقتله فما قدرت عليه لقطته وفي الصباح اختلطت في هذه القبائل المجتمعة وقلت ما أرجع حتى أنظر ما يفعل هذا الشيطان إذا خرج إلى براز الفرسان وإن وقع أحد في يده من أصحابنا خلصته منه ما دام أمري معه مكتوم وحالي غير معلوم ولا زلت على ذلك حتى رأيته قد وقع وانخذل بين يديك وحصل له ذلك العذاب ووقع فعلمت أن الشر عنا قد اندفع فأتيت أشتفي بكتافه وعذابه فلما سمع نابح كلام شيبوب عرفه وقال له ويلك ما أنت شعيب عبد حسان الذي أردت البارحة أن تمضي معي إلى الملك النعمان فقال له شيبوب نعم يا ألف قرنان كلما تحدثت معك فهو زور ومحال حتى خلصت من يديك فرسان عدنان وأبطال الزمان فلما سمع نابح ذلك تعجب وقال وحق ديني والبحر إذا زخر عمري دور القبائل والحلل قط ما سمعت من اسمه شعيب وما رأيت من يفعل مثلك يا كلب (قال الراوي) فارتجعت بنو عبس بالنصر والظفر إلى جبل الغمام وباتت في سرور واطمئنان بخلاف الليالي الأول وباتت القبائل تموج كالبحر الزخار واجتمعت سادات الطوائف وقد عجزوا عن لقاء هذا العبد الأسود وعند الصباح زحفت عليهم القبائل وتقدمت إلى جبال الغمام ونزلت بنو عبس إلى ذلك الجبل وعنتر يوصي أصحابه يجدوا في القتال ولم يعطوا إهمال وقال لهم يا بني عبس هذا اليوم يوم الانفصال فلا تخشوا من كثرة الأعداء والأنذال وفعلت بنو عبس مثل فعالها الأول وكانوا قد أصبحوا كثير من الفرح والانبساط بخلاص أصحابهم وأسر نابح بن الناعس فجردوا الصفاح وصاحوا صيحة عظيمة ارتجت لها سائر البطاح وزعقوا زعقة واحدة زعزعت الجبال وجاوبتهم قبائل اليمن وجردوا في أيديهم النصال

أرادوا الحملة على بعضهم ماثاروا للحرب حتى أبصروا غبارا قد من ناحيه أرض المصانع وتحته هدير بوقات ودق كاسات وصهيل خيل صافنات فبينماهم ذلك الحال إذ بغبار ثان قد طلع من نواحى سواحل وله زعقات وتحته رجال مثل الامطاو وقد نظروا اليه وتفكروا فيه وإذا هم بغبار ثالث وقد طلع من نواحى أرض اليمن تحته الصياح وزعقات وهو يدل على فرسان مثل الأسود مقبلين على عجل فاخذا الجميع مازالوا على تلك الحال حتى انكشف تلك الغبرات فحققوا الغبار الاول وإذا تحته رايات وأعلام مرتفعات وقضبان من ذهب وفضة عليها تماثيل طيور وشيء تعجز عنه ألسن الواصفين وفرسان الجيش كلها مسربلة بالحديد المطلى بالذهب الأحمر فلما قاربوا جبل الغمام رأوا قبائل بنى عبس على نية القتال فتجارت منهم الفرسان وساروا بين الصفين وجردوا السيوف وصاحوا على قبائل العرب ارجعوا عن إثارة الفتن واستعملوا الآدب قدام الملك عمرو بن هند أخو الملك ملك العرب من بعد منها ومن اقترب فانه من أجل بنى عبس قد دخل إلى هذا المكان لأنهم صهاره وسيوفه القاطعة وقد رضى عنهم بعدما كان غضبان عليهم وأنفذ خلفهم يردهم إلى ديارهم والاوطان ويحسن لمن أحسن وأولاهم الاحسان ويقاتل من تعدى عليهم بالظلم والعدوان أما الغبار الثانى فكان عشرة آلاف فارس من كل بطل ممارس وملكهم نعمه بن الاشتر وهم ينادون عن لسان واحدا يشر يا أبا الفوارس بالنصر على العدى فنحن بنو الاشتر قد جئنا لنعادى من عاداك ونكون من الأ...ى فداك ومن أجلك قد دخلنا بلاد اليمن فلا كان من يشناك فنحن بنو الارقط سكان أرض السواد وجبل الدخان وأما الغبار الثالث فانه ظهر من تحته الملك غاباد ومن حوله فرسان بنى القيان الضاربين الحسام والسنان وتقدم منهم الفرسان وهم ينادون عن لسان واحد ابشروا يابنى عبس بالنصر والامان وأدعوا بحياة أبى الفوارس والشجعان وسيد الفرسان وقاهر ملوك هذا الزمان عنتر بن شداد فارس اليمن كثرة قدوم هؤلاء المواكب والكتائب وهم مقبلين من كل جانب بهتت نواظرها وتحيرت فى أميرها وقل نشاطها وعمها وعلموا أن تلك الخلائق القادمة إعانة لبنى عبس وخدمة لابى الفوارس عنتر وعولوا على الفرار والهوب وخافوا من العطب لولا مجيء أخى النعمان ما كان بقى منهم إنسان لكن لما ابصروا الملك عمرو بن هند قويت عزائمهم وأقاموا ينتظرون الاخبار وعاشت أرواحهم بعد الممات وماالسبب فى وصولهم وهم الملكان نعمة بن الاشتر

وعياد سيد بنى القيان النجابة الذى ارسلهم الملك مسعود بن مصاد الكلبى فى أول الديوان كما ذكرنا وأرسل الكتب فسارت بهم النجابة إلى قبائل أهل اليمن حتى بلغ خبر تلك الوقائع الى صنعاء وعدن وبلغ أيضا إلى ملك أرض السواد وجبل الدخان فجمع من قومه عشرة آلاف فارس من الشجعان وسار بهم طالبا نصرة عنتر إلى أن وصلوا إلى جبل الغمام وكذلك فعل عباد مقدم بنى القيان لما بلغه ذلك فى السير اجتهد لخوفه على ابنته أن تسبى فى بلاد اليمن لأنها كانت زوجة الأمير نازح بن أسيد بن جذيمة فجد فى مسيره ومعه أربعة آلاف عنان إلى أن وصل إلى هذا الغبار الأول غبار عمرو بن هند أخو الملك النعمان من أبيه وكان هو الاصغر الا أنه كان عاقلا كامل المروءة والادب يحب الإنصاف ويكره الجور والإسراف وكان السبب فى دخولهم أرض اليمن إلى بنى عبس سبب عجيب وهو أن المتجردة زوجة الملك النعمان أخت الملك قيس لبست بعد أهلها السواد وجعلت تبكى عليهم آناء الليل وأطراف النهار وصارت ترثيهم بهذه الأشعار ومن جملة ماقالت هذه الأبيات

هل أنت مبلغ أيا نسيم ... سلاما من قلب السقيم ... إلى ديار رحلت عنها
والقلب أهلها مقيم ... أرواحها راحت وقلما ... عاشت بلا أرواحها الجسوم
انفاسها فى جنتى وعندى ... من حر انفاسى الجحيم ... راق لشعرى النسيم لكن
باب غرامى هو الغريم ... لاتسألوا عن حديث شوقى ... فانـــه حديث عظـــيم
قضيت دين الاما ولكن ... ان هيامى هو الهموم ... صاحب ذا قربكم وصالا
لو انـــه كالهوى يدوم ... لكن همومى لقد تلاشت ... مهجتى من جوى الحميم

(قال الراوى فصارت المتجردة تبرطل العبيد بالأموال ليأتوا لها بجميع الاحوال والاخبار وهم يذكرون لها ماوقع لبنى عبس من الاخطار وأخبروها من ابتداء دخولهم بلاد اليمن والوقائع التى صارت حتى وصلها حديث جبل الغمام ومن اجتمع فيه على بنى عبس الكرام ويقال أنها من ساعة ماغضب الملك النعمان على قومها ما دخلت حمام ولا استلذت بطعام ولا بمنام ومازالت كذلك حتى تغير عليها ناموس الملك إلى أن أتى أيام نعمته وسروره وانصرفت ايام نقمته وهمومه وقد ذكرنا فيما تقدم من الكلام انه قد كان له هذين اليومين النعيم والبؤس فكان فى يوم البؤس يسفك الدماء ويصادر الأغنياء ويهجر اللذات ويغلق الاسواق وفى أيام النعيم يقضى الحاجات ويعمل الدعوات ويأمر بزينة البلد أما سبب دخول اخيه إلى بلاد اليمن لانه فى يوم سرورة دخل على زوجته المتجردة ليلة النعيم

وهو سكران فرآها مشهورة العين كثيرة الحسرات لما لاقيا ما جرى لأختها وفي عاقبة الفرقة وما بعض المصائب وتغيرهم من الوقائع كما ذكرنا فزادت بها الأوجاعات وزاد بها الهيمان وفي ذلك الوقت دخل عليها الملك النعمان وهي تنشد وتقول هذه الأبيات

لو كان لي من يساعدني على حزني … ما ذاب جسمي ولا هو الضنا دنفني
ويلاه من أنفاس أرددها … شوقا إلى عرصات الدار والدمن
يا طائر بات طول الليل منتحبا … يردد النوح في سر وفي علن
إن كنت تندب أليفا قد فقدت به … فقد فقدت أنا في الأهل والوطن
عرفني بحلمك يا طير الأراك عسى … أرى الأحبة في صحبا وفي عدن
وذكر النعمان عهد هوى … فخفوه والدمع جار على الوجن
وخوفه تركه الأقطار آمنة … ولو خلت منه ما تحركت من فتن
ولو رأى قلقي في الليل أمسكها … من شدة الاشتياق كأن يرحمني
وكيف يضعف أهل الهوى كلهم … ببعده ويرى ضعفي فيرحمني

مثال الملك النعمان وزوجته المتجردة



المتجردة في شكل الزهرة — الملك النعمان

قال الراوي فلما سمع الملك النعمان زوجته المتجردة تنشد الشعر الأنظام من هذه الأبيات

أ ... حضرت ... الصبر ... لأنه كان ... عظيمة ... [illegible]
لم نر ... الناس و ... الملك ... البلاد ... [illegible]
... حضرت ... [illegible]
و ... [illegible]
... [illegible] ... عيسى ... [illegible]
قبل أن ... أبواب ... أهل ... الملك ... [illegible]
... على كرسي مملكته وحضرت ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
... عيسى ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
... عيسى ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

إلى بنى عبس والملك قيس صهرة فاجابوا بالسمع والطاعة فاخذ مايحتاج اليه من كل مايحتاج الملوك وسار والنوق تحمله حتى دخل بلاد اليمن فعلمت به فرسان تلك الحلل والدمن فخدموه وصاروا يضيفونه ويكرمونه وقدسار معه من كل قبيلة عشرة وعشرون وأكثر من ذلك وسار حتى أشرف على جبال الغمام وكان قد سمع باخبار بنى عبس فجد فى مسيره حتى وصل اليهم إلى خدمته الملـــكان نعمة بن الاشتر وعباد سيـــد بنى القيان لما علم انه أخو الملك النعمان ونظر ماعلى الجيش من الهيبة والوقار وشاع الخبر أن قدوم بنى الأرقط وبنى القين لبنى عبس وعنتر فتقدم فرسان القبايل وحماة الجحافل إلى عمرو بن هندوخدموه ودعوا إلى أخيه الملك النعمان بطول العز والبقاء على الدوام فقال لهم عمرو ياوجوه العرب الكرام ماهذه الفعايل وعلى من تجمعتم أما كان فيكم عاقل يرد الجاهل عن جهله وعن أقارب الملك النعمان أماخشيتم المعيرة والذمة بين القبائل والعرب بان يقال أن ملوك اليمن وفرسانها وأبطالها اجتمعوا على جبل الغمام فى خلق كثير لاتحصى على شرذمة قليلة من العربان وقد أوقعوا بكم الذل والضير وما كان وصل اليهم هذا المكان بهذه العساكر التى قد ملأت الفضا وسدت بين الشمس والمستوى ولولا حضورى فى هذه الساعة ما كانت تبقى منكم بنو عبس فى هذه النجده شيخا ولا غلام وتسبى حريمكم وتشتتكم عن أوطانكم ولكن اشكروا الرب القديم رب زمزم والحطيم وإله الخليل ابراهيم الذى أرسلنى اليكم والا كان فنى أكثركم ودارت عليكم لان كل أحد يعلم أن هذا الملك نعمه ماأقامة فى الملك الذى هو فيه إلا عنتر بن شداد وانه ما أتى فى هذا الجيش إلا وفى نفسه لايبقى منكم أحدا وكذلك عباد سيد بنى القيان صهر بنى عبس وعدنان لان ابنته متزوجة بنازح بن أسيد ولووصلوا اليكم قبل وصولى ماأبقوا منكم انسانا فقالوا له وحق من أوسع البيدا ماتعرضنالهم حتى أنهم قتلوا الملك مسعود بن مصاد صاحب تلك الاراضى وما يخفى عليك أيها العظيم ماصنعوا فى دفنة فروق المصانع وقتلهم معاوية بن الغزال وفى فهد وما فعلوا بالرجال فانهم قتلوا عمرو بن ضمرة القينى وعملوا شيئا يذكروافيه مادامت الشمس والقمر بالمداح ونحن باقامة الفجر ولولا حضورك أيها الملك الجليل كنا طلبنا منهم الاقالة وخصوصا من حاميتهم بن شداد الذى ساد بفعله على جميع العباد وأنه أدس قبلى حضورك أيها الملك الكريم اسر من شجعاننا وفرساننا أوفى من مائتى أسير وآخر من أسره فارس اليمن وصنعاء وعدن عفريت السواحل نابحه بين النهاش وصار عنده فى الذل والوبال أيها المفضال ولو لانعلم أن أخاك

كان غضبانا عليهم ما تعرضنا لأننا ماقتلنا أحدا منهم حتى قتلوا منا عالما عظيما ولاسيما حاميتهم الأسمر المسمى بعنتر فانه مثل النار ذات الشرر التى لاتبقى ولاتذر والان بلغ الأمر منتهاه ومضى ما مضى مادام أخوك قد جاد عليهم بالرضا وان نامع القوم أسارى رأموا الانملأ الصحراء فيطلقون لنا الجميع وينحلون ويسيرون من جبل الغمام ويبعدون عنا بسلام قال الراوى ثم أنهم شرحوا له ماجرى عليهم وتالهم مما ذكرنا وليس فى الاعادة أفادة فتعجب الملك عمرو بن هند من ذلك وعظمت بنو عبس فى عينيه وصدق كلام الوزير فى حقهم لأنه شك فى وصف الوزير فيهم ثم أنه ضمن لهم أطلاق أسراهم وأبعاد بنى عبس عن جبل الغمام وأنفذ اليهم وأعلمهم بذلك الكلام فنزلوا عن الجبال إلى الصحراء بالأضعان والأموال وفرحوا بعودتهم إلى الديار وتقدم الملك قيس وأخوته إلى الملك عمرو بن هند ودعوا له ولأخيه وعلموا أنه قد أصلح الأمر والشأن فاخبرهم أن ذلك كله سؤال أخته المتجردة لزوجها الملك النعمان وعلموا أنه أرضى بنى فزاره وأنه قد أقطع لكم عوضا عنها ديار واسعة فى أرض بنى عامر أهل الثناء والمفاخر وأمركم بالنزول لتسرحوه لكم فى جزائها وفى نواحيها ولما سمعت بنو عبس ذلك رضوا بقال الملك عمرو ودعوا له بالعز طلب الراحه من معادات قبائل اليمن وكان أفرح الخلق بذلك الأمر عماره قال الراوى ثم تقدم الملك نعمة بن الأشتر بين أيادى أبو الفوارس وقبل صدره وبديه وقال له ياأبا الفوارس لماذا عبرت أرض اليمن ولم تقصد بقومك أرض السواحل وجبل الدخان أما تعلم أنها بلادى وفتحت بسيفك وأنا وأولاد عمى أمنا من سطوتك ثم أنه بعد ذلك أشار يقول .

أعنتر مابرحت قرير عين من اليمن فى ظل الجبال ۔ فليس لمجد إلا ما بنته
ظباء الهند والأصل العوالى وليس العز إلا ما جنته باطراف القنا أيدى الرجال
فى أول من تشاء تجده سهلا يسير خطبة وافى المقال ومن أولاك والله امامانى
بلغنا فيك ما نرجو ونلنا مناماك من قبل السؤال
قدم بسيادة مع ظل عز كنهر سيل ينزح من توالى

قال الراوى فلما سمع عنتر من الملك نعمة ذلك الكلام شكره وأكرمه غاية الاكرام وعرفه أن بنى عبس لما دخلت اليمن كان بأرض الشام ولو أنى كنت فى أرض الحجاز ماكنت تركت أحدا من بنى وعبس يطرق هذه الديار وكنت كاثبت الحلفاء والأصحاب والاخوان والتقى

بهم عساكر الملك النعمان ولو أن معهم الانس والجان أو جن سليمان (قال الراوي) وتقدم بعده عباد سيد بني قحطان وقال له يا أبا الفوارس لا تحسب أنني نسيت جميلك والاحسان فاني حتى لو أحصى النجوم وأمسح الجبال وأعلم مقادير الارزاق والآجال ولو أطلع الشمس وأنا بالهلال من يوم وصلتني الاخبار ما أخذني هدو ولا قرار بل أخذت معى عمى ومن كان حاضرا في الديار وسرت بهم حتى وصلت هذه الاماكن ثم انه أشار يمدحه هذه الابيات

قد نلت فضلا ممكنا ببيان ... حتى كل عنه نطاق كل لسان

وعلت فعالك عن مقالة مادح ... ماذا ينال معاينا بمعاني

في كل يوم يعتليك من العلا ... ما لم يحل في خاطر الامكان

ماذا يقول الواصفون بوصفهم ... في وصف مجدك لو أتوا ببيان

أوليت احسانا فانك مادح ... الحالي وقد أربى على حسان

ولقد عتيتك من الشمال ... منح السماح وضوعها الهتان

وكفاك ما خضبت به بيض الظبا ... في الروع فوق قوانس الفرسان

فاسلم ودم في عيشة مع غبطة ... مشفوعة مقرونة بأمان

قال الراوي فلما سمع ذلك الكلام شكره وأثنى عليه وقبله في صدره وبين عينيه وتقدم اليه زوج ابنته مازن بن ملوح أسيد وهناه بالسلامة من الاعداء وكيف يكون الحال فقال لهم عنتر والله يا بني الاعمام أن عودتنا الى هذا الحال مدة ومقامنا في أرض غيرنا هي المصيبة العظمى وتترك أرضنا لعدونا وتشمت الاعداء بنا فان هذا الرأي ليس بصواب ولا يرضى به أحد من الاصحاب وان أهل الديار كلها تطيعكم وتدخل تحت الديار والاطلال حتى نرجع عن هذا الحال ولا سيما وقد قدمت الينا هذه النجدة في أربعة عشر آلاف فارس من كل بطل ممارس وقرم مداعس فنهض الامير عمارة بن زياد يا الله عليك خلنا من رأيك فان ان قعدنا ها هنا الى تمام شهر فانا منه في حيرة لا سيما وقد دارت بنا هذه القبائل والابطال قد عنا يا ابن شداد نرجع الى أرضنا والديار ويكون علينا قال الربيع بن زياد صدقت يا عمارة يا هارب فان هذا القول صواب وربما يكون هذه البلاد قد طابت لحاميتنا عنتر بن شداد وهو بشانه أخبر قال فلما سمع عنتر كلام الربيع عرف أنه يريد قربهم وهم يريدون بعده فاستغنوا عنه ولم يقولوا له اذا احتاجوا اليه وأراد القرب فأخفى ذلك في قلبه وقال لهم الملك قيس يا ابن العم دعونا فان كل من

في هذه الأرض أعداء لنا ولك يا ابن العم أن الأصوب الرجوع إلى أرض الحجاز فلما أصبح
الصباح ركبوا إلى المسير ودق الملك عمرو بن هند أخي الملك النعمان وسلموا عليه فرحب بهم وقال
لهم أعلموا يا وجوه العرب الكرام أنه ما بقي لكم في هذه الأرض مقام بعد قتل ملوكها والسادات
فاقضوا لهم الكرم فيها من الأشغال وأطلقوا ما في أيديكم من الأسارى ففرحت العربان وتباشرت
الأمراء والقبائل والأبطال فعندها دقت الطبول وتباشرت العساكر بالخلاص وأمر الملك عمرو
بفتح صناديق الخلع فخلع على الملك قيس وإخوته وعلى عنتر وأبيه وعمومته وعلى الربيع بن
زياد وأخيه عمارة القواد وعلى أصحاب عنتر مثل مقري الوحش وعروة بن الورد البطل
الهمام وخلع على الأبطال سيد بني غطفان وعلى عياض بن ناشب على قرواش ابن عم الملك قيس
وعلى نعمة بن الأشتر وعلى مقدمي عساكره وعلى أبناء القبائل وعلى السادات والملوك وفرسان
اليمن وبعدها رحل كل واحد منهم طالبا دياره وقضى بنو عبس أشغالهم وباتوا تلك الليلة
في أماكنهم يدبرون أحوالهم ولما كان الغد أمر الملك عمرو بدق طبل الرحيل فرحلوا
وقد تركوا في قلوب أهل اليمن النيران لأن أكثرهم ما رضي بما جرى عليهم من قتل فرسانهم
ولا سيما ما فعل عنتر بعفريت السواحل وكيف كان خلاصهم على يد عمرو بن هند ولما غلبت
على أهل اليمن المقدمون رحلت بنو عبس وأموالها بين أياديها وقد دخلت في
البراري والقفار وقد ذكرنا ما قطعته بنو عبس عند دخولهم أرض اليمن من المنازل وقطعوا
عند عودتهم أطول الرمال لأجل هذا كانه في مسير بنو عبس وأما عنتر بن شداد فإنه كان
سائرا بجانب الملك عمرو وإلى جانبه الملك قيس بن زهير وهم يتحادثون والجيوش يطوي بهم
كدوي البحار وقد اشتاقوا إلى أرض الشربة والعلم السعدي ثم إنهم رحلوا عن ديار الأعداء
لأن الملك عمرو بن هند قد أشار على الملك قيس بن زهير سيد بني عبس وعدنان أن لا يدع أحد
من قومه أن يتركن إلى الحرب والحرب وكونوا على أهبة من أمركم حتى لا يتعرض لكم عدو وسوء
فتبحر بحرنا معهم لا أخرنا قبيلة وكشف الحجاب في أرض اليمن وتوجهوا معهم إلى المنهاج
الأول وأعلموا أن الأخ النعمان الراحي يمنا في مثل ذلك فأجاب الملك قيس إلى ما ذكرتم أن الملك حدق
المسير المشية والتدبير حتى أنه نزل في منزل ليلها عرب بان جابر ومياه الرباب فنزل في
تلك المنزلة لطلب الراحة وقد أضر بهم من التعب من كثرة السير والسرى في تلك البراري
وما قاسوه من التعب في تلك الآكام وقعدوا ثلاثة أيام قال الراوي وما أن ضربوا
مضاربهم والخيام التفت عمرو بن هند إلى فرسان بني عبس وجمعهم إليه فلما جلسوا بين يديه

قال لهم اعلموا ياوجوه العرب ، ويافرسان الزمان من ذوى الرتب انى أعرف انكم فرسان المنايا وأبطال الزمان وشجعان القبائل من آل عبس وعدنان كم تتركوا فى هذه القبيلة من أحد إلا أذقتموه العذاب وآذيتموه وأخذتم ما كان له من الذهب والأموال والبوق والجمال والصواب أنكم تحفظوا أرواحكم وأموالكم وترموا الحديد عن أبدانكم لأنى أشتهى ان أكون فى فريق ويغلب منكم أن تقبلوا رأيى ولا تخافونى حتى تخرجوا من هذه الديار فلما سمعت بنى عبس هذا المقال علموا أن قوله صواب فصاروا كل يوم يخرجون فى الصحراء ويقولون لبعضهم كل من له مال أو جمال يركب ويسير إلى المراعى ويكون للقوم حافظا وحارسا حتى ان الملك قيس صار يخرج فى جميع أخوته وكذلك صار يفعل الربيع ابن زياد يا لاقران وأما أموال الأمير عنتر بن شداد ومقرى الوحش فارس النياق والاقران وأموال عبله فان عروة بن الورد حلف بالايمان التى كانت تحلف بها العرب لا يركب أحد جواده ولا يخرج إلى المرعى أحد غيرى ولا يحرسها إلى أنا وهن متمرضات فامنكم عندهم أصوب ثم ان عروة بن الورد قسم رجاله قسمين وصار يخرج ويأخذ منهم كل يوم خمسين فارس يخرج مع الأموال والجمال وصار عروة على ذلك المنهاج أول يوم والثانى والثالث وفى اليوم الرابع خرج مع رجاله على حسب العادة وآخر النهار عاد رجاله بلا مقدمهم وكان عنتر انتظره عند المساء يعود من المرعى كما جرت عادته فابطأ عليه فاشتغل عليه قلبه فالتفت إلى مقرى الوحش وقال له يا فارس النياق ان قلبى قد اشتغل من غياب أبى الأبيض عروة بن الورد هو ورجاله فانه قد تغير معاذهم وأنا أقول لا بد أن يكون جرى عليهم أمر وما من المروءة ان نقعد عنه وعن أخباره بل نركب ونسير إلى ملتقاهم فان كانوا فى خير هنيناهم وان وجدناهم فى ضيق أعناهم فقم وانجدناهم فقم بنا يا فارس النياق نكشف أخبارهم قال الراوى فبينما مقرى الوحش وعنتر فى الكلام وقد ركبوا الخيول وإذا باصحاب عروة بن الورد قد قدموا وقالوا يا أبا الفوارس نحن خرجنا على العادة ومقدمنا أبو الابيض الامير عروة معنا فاز لنا سائرين إلى الصحراء وتفرقنا فى نواحى المرعى وأخذ مقدمنا عروة فى طرد الوحش وقد أوسع فى البر ونحن نقول انه عند المساء يعود فما عاد وقد تغيرت الوقت والميعاد واشتغلت قلوبنا عند غيبته يتفرقنا فى أقطار البر ودرنا فى جنبات الصحراء حتى أقبل علينا الظلام وقد عدنا إلى هاهنا ولم نقع له على أثر ولا أعطانا أحد عنه خبر وهذا كان السبب لى فى اعاقتنا إلى هذا الوقت قال الراوى فلما أن سمع عنتر كلام أصحاب عروة خبر ق قلبه عليه وأصابه غم عظيم وحصل له خطب جسيم وقال انه قد حبسه حابس أو أسره آسر أو قتله قاتل لان قبائل

اليمن من حولهم مثل النبات وما فيهم إلا من يتمنى لبنى عبس الممات فقال مقرى الوحش أن صاحبنا قد خرج فى خدمتنا و تتوأنى عن كشف خبره ولا تتبين له أثر هذا شىء لا يصح أبدا ثم أن عنتر ومقرى الوحش ساروا ومعهم شيبوب وكل الأمير عنتر قد قال لأبيه شداد إذا نحن أبطينا عليكم وطلب الملك قيس الرحيل فدعوه يرحل ونحن نتبعكم إلى ديار بنى عامر وقد صار عنتر ومقرى الوحش عاصوا فى البرارى والقفار قال الراوى فهذا ما كان من الملك النعمان فانهم باتوا تلك الليلة فى الحى وأصبحوا معولين على السفر والرواح وعند الصباح وصل إليهم الخبر باخذ أموال بنى زياد وبعض أموال الملك قيس فعند ذلك اضطربت القبيلة غاية الاضطراب وركبت الرجال وتجهزت إلى الحرب والقتال وركب الملك قيس بن زهير فى سائر أعمامه وأخوته وكذلك الربيع بن زياد وركب الأمير عمارة الوهاب وركبت بنو قراد وركبت بنو عبس ولم يتخلف عن الركوب إلا من لا يقدر على الركوب وقد خرجوا من الحى والمضارب إلى ظاهر البيوت فلما أنهم وسعوا فى البرارى والقفار والسهول والاوعار افتقدوا الأمير عنتر بن شداد أن يخرج من اريق بنى قراد فما خرج وأيضا عروة ابن الورد ومقرى الوحش فما ظهر لأحد منهم خبر ولا أثر فعند ذلك سأل الملك قيس عن عنتر من أبيه شداد بن قراد فقال له شداد أعلم أيها الملك العظيم الشأن صاحب الجود والاحسان وسيد ملوك هذا الزمان ولدى عنتر قد سار مع مقرى الوحش فارس النياق فى طلب أمر من الامور قال الراوى فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الملك عمرو بن هند فلما سمع ذلك الكلام جرى عليه مالم يجر على قلب بشر وقد التفت إلى الملك قيس بن زهير وقال له هذا الحساب الذى حسبته ومن هذا كنت أخاف عليكم وما كان الصواب إلا قطع الارض من قبل أخى الملك النعمان قد أوصانى بذلك وقال لى لا تفارقهم حتى توصلهم إلى ديار بنى عامر أصحاب الثناء والمفاخر وقد أعطانى كتابا إلى ملاعب الاسنة ورداد الاعنة غشيم بن مالك وإلى سيدهم الاخوص بن جعفر وأما الوزير الكبير والهمام المشهور وزير الملك النعمان فانه من أكبر المحبين للامير عنتر بن شداد وإن المتجردة أخت الملك قيس زوجة الملك النعمان هى التى كانت السبب وسبب خروج بنى عبس هذه الديار والاوطان ورجوعهم إلى الحى على رغم الاعداء والحساد واعلموا أنها أوصتنى بذلك أغلى الوصية وأكدت على بكل التأكيد فى هذه القضية وأنا ماأشتهى

أن أكون أنا المقدم عليكم ولا نقصي لأحد عقال بعير فإذا حصل ذلك يكون فينا نقصان
المروءة قال الراوي فقال الملك قيس ما كان هذا صواب وأما الملك عمرو فإنه التفت إلى
الملك قيس وقال له هذا هو الحساب الذي حسبته من هذا الأمر وما كان الصواب إلا
قطع هذه الأرض والإضراب ثم إنه ركب في الجيش الذي صار معه في أثر العدو الذي
طرقهم وتبعه الأبطال قال الراوي وإن الذي كان ساق أموال بني عبس شيخ العرب دريد
ابن الصمة صاحب العزيمة والهمة ومعه أخوه عبد الله وزوج ابنته سبيع بن الحارث وكان
قد خرج في خمسين فارسا من شجعان العرب إلى بلاد اليمن في طلب المكسب ونهب الحلال
وما زالوا يقطعون الأرض وتلك المهاد حتى وصلوا إلى غدران جابر فرأوا أموال بني
عبس ضاقت بها البلاد وملأت الدنيا وجنبات البيد فقال دريد بن الصمة هذا المال
كنت أعهد فيه أحد نازل وأنا أشتهي أن أعلم من نزل فيه من أهل اليمن قبل ما نأخذ مالهم
فقال سبيع بن الحارث ايش هذا المقال يا صاحب الرأي والنظر من خرج في طلب المعاش
يسأل عن البدو والحضر لا نسير في ديار العدا وما معنا أحد من خلفنا ومع هذا لو أني
وقعت بمال أبي نهبته وإلى من قومي خليت عندهم قوت يوم واحد ما كان عندي
ضيعة وهيبة لأن أموال العرب لي مباحة ويحفظونها من أجلي قال وكان سبيع هذا
ابن الحارث المسمى بذي الخمار وذلك أنه كان إذا خرج إلى الحرب وموقف الضرب يشد
خمار زوجته على قفاه فسموه ذي الخمار وكان فارسا جبارا وأسدا هدارا وشجاعا مغوارا
وبطلا قهارا لا يصطلى له بنار وهو الذي عاش حتى تلاقى مع ابن أبي طالب مظهر العجب
كرم الله وجهه ورضي الله عنه وأراد هذا اللعين بجهله أن يقاويه ويقاتله فدمره علي رضي
الله عنه تدميرا وتركه بذي الفقار مجندلا عفيرا وكانت العرب قد اختلفت في سبيع
بن الحارث وقالوا أنه كان يعد بسبعة آلاف فارس وكان تزوج بنت دريد بن الصمة وكان
دريد من شجعان العرب وكانت العرب تسميه راحات الحرب وقد ذكرنا ما عاش من العمر
الطويل وما كان له من الاسم الكبير الجليل لأنهم لما أشرفوا على أموال بني عبس أشاروا
فيها واتفقوا على أخذها برأي ذي الخمار فقال للخمسين فارس الذين معه سوقوا أنتم هذه
الخيل والنوق والمال ما قدرتم عليه من الأنعام ظلموا الديار والأطلال ودعوا يرد عنكم
من يتبعكم قالت الفرسان وساقوا المال وفعلوا تلك الفعال وساقت الأموال وهي من
أموال بني زياد وأخذوا معها من قيس قطعة جيدة من النياق وعادوا وفرحوا بكثيرة.

الأموال وقرب الطريق والتلاق إلا أنهم ما بعدوا عن الديار حتى ثار من خلفهم غبار
وعلا أثار وكان أول من رآه شيبوب فقال له دريد يا أبا النظر ها قد جاءت الخيل وتبعك
أصحاب المال وما تحتاج لكشف أخبارهم ولا نتعب في معرفتهم فعندها وقف دريد
وأخوه عبد الله بن الصمة وعشر فوارس آخر مع ذي الخمار وتقدم باقي الرجال بالمال
فلما انكشف الغبار وبانت الخيل الخطار قال دريد لشيبوب انظر وصف لي هؤلاء الفرسان
الذين تبعونا من خلفنا الآن فأنت أقوى مني نظرا وأنا قد ضعف بصري من طول السنين
والكبر ولكن أعرف كل قبيلة وعشيرة إذا ركبت البر الأقفر فقال شيبوب ما أرى إلا
جيشا متتابع سربا وفرق وفي أوائلهم رجال على خيل حمر وبأيديهم رماح سمر لكنهم
قد تركوا الأعنة بين آذان خيولهم وهذا يدل على خوفهم ونزالهم فقال له دريد هذه
صفة لا أعرفها إلا في بني زياد وهم فرقة من بني عبس وعدنان إلا أن تكون فرسان
اليمن قد صارت تفعل مثل ذلك فانظر يا شيبوب ما وراءهم فقال وراءهم طائفة أخرى
على خيول دهم مثل الظلام ورماحهم تجر من ورائهم بغير اكتراث وهم أهدى من
الفرقة الأولى وأكثر ثبات فقال دريد هذه صفة بني قراد الذي تشاهيها عنتر فانظر إن
كان قدامهم غيرهم أحد قال نعم أمامهم فرقة أخرى رماحها مسلولة على أكتافها
وهيبة الملك تبدو عليها وهم يدفعون الخيل دفعا ويقلعونها من الأرض قلعا فقال دريد
واحرباه هذه والله صفة الملك قيس بن الملك زهير وإخوته ومن يتبعه من فرسان الأجواد
فإنه إن صدق حذري ولم يخطئ فهمي بالنعمان قد رضي الله عنهم وأنفذ خلفهم إلى أرض
اليمن وردهم إلى الديار والوطن فإن كان هذا الحساب صحيح فالرأي عندي بأننا نرد
الأموال والنوق والجمال ونعتذر لهؤلاء القوم ولا يقع علينا عتب ولا لوم من الملك
النعمان في ذلك الأمر المذموم الذي لا يحصل فيه إلا التعب فقال شيبوب والله يا دريد لقد
غيرك الكبر وأذلك الزمان الذي عليك غبر وكنت تسمى راحات الحرب ورحى الحرب
القديم لو حضر الملك النعمان بنفسه إلى هنا لما رديت منه عقال وما مكنته منه إلا بعد
حرب تهد شوامخ الجبال فإن كنت تفزع من بني عبس وعنتر والنعمان فاتبع الأموال
واتركني قال الراوي فوافق على هذا المقال عبد الله أخو دريد وتابعوا الحرب فاحتاج
دريد إلى موافقتهم وأخذ أهبة الحرب فقال شيبوب أشير بالنصر عليهم لأنهما إذا كان فيهم
عنتر فقال ما فيهم أحد يذكر له نسبا ولا حسبا ويبدي كلاما ولا نظاما وحلو أمرنا
مخفي إلى أن ينسدل الظلام ونسير تحت غياهبه ويبعد كل أحد منا صاحبه فقالوا

هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ثم أنهم تقدموا يطلبون الحرب والكفاح هذا وخيل بنى عبس قد جاءتهم مثل هبوب الرياح والدنيا قد تزلت ثم ارتجت من ركض الصافنات وانقلبت باختلاف اللغات والأصوات وكانت بنى زياد فى أوائل الخيل لأن المال الذى كان لهم وهم أصحاب القريحة والاحقاد فتلقاهم سبيع بن الحارث بقلب لايهاب الرجال ولايفزع من لقاء الابطال واشتد بينهم القتال وخف حمل الاثقال وهانت الشدائد وعظم الوبل الخيال ولم يخطر الموت لاحد منهم على بال وصارت بنو عبس تطلب رد الاموال فنجد بين يديها سبيع بن الحارث خيلا لايقاس بالجبال وأسد لايشبه بأسد الدحال وفى دون ساعه جرى الدم وسال وتمددت القتلى على الرمال وجالت الابطال يمينا وشمال وطرحت الافيال فى المجال وسأل النجيع مثل الرمح العسال أو الرمل السيال ووصل الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان فابصر جيش بنى عبس قد انكسر وعليهم الفترة لفقد عنتر فتعجب ذلك غاية العجب وقال لمن حوله ياوجوه العرب كل أحد يتحدث عن بنى عبس ويصف شجاعتهم وفعالهم مع عنتر فقال أصحابه أيها الملك الارض ولادة كل من قال أنا أوحد العصر خانه الدهر على أن هذا الفارس الذى فى وجوههم ما رأينا مثلة ولاعاينا شكله ولارأينا أحداً من العرب يفعل كفعله لاعنتر ولاغيره وما نظن أن عنتر يقف قدامه ويبيت لحرابه وصدامه ياسادة ودام الامر على ذلك الحال حتى اقترب وقت الزوال فرأت بنو عبس الليل قد أقبل ولا بلغت أعداها أمل فانتحت لنفوسها وبغضت حياتها وإن بنى عبس أطلقت خيلها على عبد الله أخى دريد بن الصمة وكان أسبقهم إليه رجلا من بنى زياد يقال له ذوات بن اسمى فهجم عليه وطعن عبد الله بن الصمة بالرمح فأخرجه من أحشاه وقلبه عن فرسه وهو يصيح إلى أخيه دريد بن الصمة فلما سمع أخوه وعلم بقتله حمل وأظهر عجائبه وأراد أن يخلصه من تحت أرجل الخيل فسبقه أنس الحافظ أخو الربيع وضربه بالسيف ضربة جبار فقضى عليه ناصر دريد أخاه على تلك الحال فحمل على الهطال حتى أهلك من بنى زياد فرسان. وفى حملته التقى بعمارة أخى الربيع وسبق إليه وطعن دريد بن الصمة ولو لاتحصيل الآجال ما كان جرى على دريد بن الصمة وأخيه عبد الله هذه المحرة من عمارة بن زياد وابن اسمى وإنما الله عز وجل أنفذ عليهم أحكامه وأما سبيع فان الفرسان الذين كانوا قدامه من طائفة بنى عبس وأنهم ذاقوا مرارة طعنه واضراب ماحير نواظرهم إلى أن هجم الليل وأقبل الظلام وهو كلما رأى فارسا من الفرسان وقد قارب عليه عاد إليه وناشبه فاشبعهم

حزباً وبددهم شرقاً وغرباً وقد ردها بسيفه وخاف أن يأخذ غنيمته من يده بعد ما احتوى عليها وما أحد من الفرسان يقدر يقف أمامه ورد عزمه على بنى عبس. وصار يتنهد ويتحسر على ذلك وبنو عبس قد أشتهت أن تفعل به وبفرسانه أقبح الفعال وما رأت على نفسها أن تخلى بنو عبس أن تكل حالها إلى رجل واحد ولا ينظرهم الملك عمرو بعين النقصان وأن بنى عبس لما رأت العودة فقاتلت إلى أن هلكوا الرجال الذين كانوا مع سبيع ابن الحارث المسمى بذى الخمار وذو الخمار رأى بعينيه الهلاك من قتال بنى عبس وقد صار يقاتل بنى عبس يوماً كاملا وتعجب بنفسه وهو سالم ولو كان أحد غير بنى عبس كان كسرهم ذو الخمار وأخذ غنيمته ورجع منهم سالما ولكن قد أبصر من فرسانهم حولا صادقا لم يره من غيرهم فعرفهم لاجل ما لاقى من البوائق وأيضا أبذلوا المجهود فى قتال ذو الخمار وخلصوا أموالهم منه بعد قتل أصحابه قوة واقتدارا وأيضا خافوا من معيرة العرب لهم وأول ما كان يعايرهم الملك عمرو بن هند فصدقوا فى القتال وكان ذى الخمار قد صار وحيدا فريدا فهانت نفسه عنده ووقف منهم بالبعد فرأى الاموال راجعة وأصحابه مطروحين فى البيداء وقد هجم عليهم الظلام فستر هم من عيون بنى عبس وما زال واقفا حتى عادت بنو عبس عليه بأموالها وكانوا قد علموا أن أخو النعمان يراهم بعين العجز والنقصان وأنها قد اشتهت أن تعرف من فعل بها تلك الفعال فدخلوا على مكان المعمعة وتقدموا إلى القتل فرأوا الأرض ملآنة بالرمم وتبينوا بنى عبس وغيرهم فرأوهم من بنى هوازن وحشم الملك قيس وذمة العرب وشهر رجب نحن ما دهينا إلا من دريد بن الصمة وأن صدقنى حذرى فان الفارس الذى نجا من بين أيدينا ما كان إلا ذو الخمار وأن كان هذا صحيح فانحن والله خاسرين لأن العرب كلها قد أجمعت على أن يلتقى من الفرسان سبعة آلاف فارس ويكون عليهم رابح ليس خاسر لاسيا أن كان معه دريد فقال الملك عمرو بن هند ياقيس يكون سبيع بن الحارث فى طبقة أسود كم عنتر عند الحرب فقال نعم يامولاى وفى بعض الأوقات يفعل عنتر فعالا يعجز عنها ذو الخمار فقال الربيع ابن زياد ايش هذا المقال ومن هو عنتر عند هذا الفارس الريبال وحق ذمة العرب ما يقف بين يديه عنتر ساعة وما غاب عنتر إلا من سعادته فما أتم كلامه وإذا بلطمه من الدهر على أصول رقبته كدم الأرض بخلقته وأرمت من على رأسه عمته ففتح عيونه لينظر الذى لكمه وإذا به شداد أبو عنتر وهو يقول لا باد ويشكم ندم ولدى فى غيبته وتنافق عليه فى حضرته وتفضل عليه من هو دونه ولا يعد من فرسانه ومن الأبطال ولو كان عنتر حاضر ا لشاهد

ذلك بالعيان ما كان أحوج أحد منكم إلى حرب وطعان أما نظرت عيناك فعاله وما فعل في بلاد اليمن وكم دفع عنك من كل شدة ونحن نفرق بينهم الملك عمرو وقال لا بد أن أدع أخي النعمان عند عودتي وأتركه يبارز بين الاثنين ثم أنهم جدوا في المسير وطلبوا المنزل الذي كانوا فيه نزول واستراحوا من التعب قال الراوي وكان سبيع بن الحارث قد نزل عن جواده وقد قصد بين يديه في الليل البهيم حتى انقطع عنه حس بني عبس وخلاله الدرب بقي مفكرا فيما جرى كيف تؤخذ غنيمته منه غصبا وما زال إلى الصباح وعول على الانصراف وفي قلبه النار التي لا تطفأ لأجل قتله دريد وعبد الله فلما عول على ذلك فما طاوعته نفسه ولا طاب له أن يروح ويخلي دريد عددا بين القتلى فحدثته نفسه أن يحمله إلى الأحياء وعاد على الأثر ووجد في سيره حتى وصل إلى مكان المعمعة فدور بين القتلى على دريد فرآه ملقى ودمه يسيل وهو يصيح ويطلب النهوض فلا يقدر على ذلك قال الراوي وكان السبب في ذلك أمر عجيب وحال غريب في ذلك أمر عجيب وحال غريب وذلك أن الملك قيس وسادات بني عبس لما نظروا إلى دريد وهو ملقى وقفوا عنده لأجل أن يعرفوه وقد حققوه وانصرفوا وتركوه وكان آخر من وقف عليه عمارة بن زياد وأخوه أنيس وقد نظروا إلى عظم خلقته وكبر جسمه فتعجبوا منه وقال عمارة ما كانت هذه الطعنة إلا طعنتي وفي الحال ترك سنان رمحه في ما كان الطعنة وهو يرتعش وينتفض ثم أنه قوى قلبه وكبسها بجلادة سواء فقال عمارة هذه طعنتي وذمة العرب ورافع السما ثم أنه كبسها ثاني مرة في هذا المكان وصار الدم يجري مثل فم القربة لأن الدم كان قد حبس في جوفه وسار عمارة إلى أبياته فلما ظهر الدم من جسد دريد أفاق على نفسه وفتح عينيه وصار من حلاوة الروح يطلب الجلوس وهو لا يقدر على ذلك فوصل إليه سبيع بن الحارث بعد انصراف عمارة من عنده فوجد دريد على هذه الحال فشد جراحه وسنده حتى قعد وتكلم وقال له يا سبيع ما ظن الذي طعني إلا مريض أو متجر من متاجرة العرب فلو كانت طعنة شجاع كانت أخرقت أحشائي فقال له سبيع يا أبا النظر الآن كان الذي كان وسوف أريك ما أفعل ببني عبس وعدنان بعد ما قتلوا أخاك عبد الله وحق الكعبة الغرا إلا أبقيت منهم أحد ثم ركب دريد على بعض الخيول الشاردة وقد فرح بسلامته (قال الراوي) هذا ما جرى لدريد وأخيه وسبيع بن الحارث وأما بني عبس فباتوا في منازلهم تلك الليلة وفي الصباح استشاروا الملك قيس في أمر الرحيل فقال لهم اتركوني فقد حرت فإني أخاف على عنتر أن يرجع فلا يراني وإن قمت هنا فما أدري ما يطرقني من

النوائب قال الراوي فلما تكلم الملك قيس بهذا الكلام فقدم شداد بن قراد وقال له أيها
الملك إن كنت عولت على الرحيل فارحل ولدي عنتر وأصابني بذلك وهو يا ملك
والحقنا إلى ديار بني عامر وأنه ما يعود حتى يكشف خبر عروة بن الورد فلما تكلم
شداد بذلك وقال الملك والله هذه عادته ما يعالج لأموره إلا بنفسه من غير أن يعلمنا
وأنا أرحل من ههنا حتى أسمع خبره فقدم عمارة بن زياد إلى الملك قيس وقال له ما أنا
أصوب من الرحيل وأما عنتر فإنه ما يبالي ما دام معه مقرى الوحش وأخيه شيبوب
قال وكان عمارة بن زياد قد نظر إلى نفسه بعين عظمة لما رأى دريدا مطروحا من
طعنته وكان إذا خرج من المضرب يهز أكتافه ويخلع أطرافه ويلعب بهم ولما قال
هذا الكلام قال أخوه الربيع بن زياد هذا هو الصواب الذي ذكره عمارة على مثل ذلك
حتى استحى الملك قيس بن الملك زهير وأقام بالناس في ذلك المنزل بقية الثلاثة أيام ولما
أن مضت تلك الأيام رحل وقلبه عند الأمير عنتر بن شداد تحدث فيه أمر من
الأمور لأنه لم يسمع له خبر ولم تبلغه عنه جلية أمر قال الراوي وعند الرحيل أوى تولى الحلال
ابن أخت الأمير عنتر خدمة الأميرة عبلة بنت مالك بن قراد ومسيكة زوجة الأمير
مقرى الوحش فارس النياق وأخوها عمرو وشداد بن قراد فارس جروة وحامي النسوة
ورجال عروة بن الورد قال الراوي فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى من الأمر من
الأمور فأخذ صحبته مقرى الوحش وأخاه شيبوب وساروا ولو كان لهم أجنحة
لطاروا فما طلع عليهم النهار إلا وهم في الأرض التي كان يقصدها عروة وضاع منها
فعند ذلك افتقد شيبوب أثره وسار يركض الأرض يمينا ويسارا وتصاعد يسأل عنه من
السفار في الليل والنهار في البراري والقفار والسهول والأوعار ويرجع إلى أخيه عنتر
الفارس الكرار قال الراوي ولم يزل كذلك فلما أن كان اليوم الرابع ترك أخاه عنتر
ومقرى الوحش في بعض الأودية وأطلق قدميه للرياح وطلب البر الفسيح وسار كأنه الريح
الهبوب إلى أن خفي عن الأبصار ثم إنه طلب البر فرأى مضارب وخياما فطلبهم ليأخذوا
أخبار الأمير عروة بن الورد وما زال يركض حتى أنه قارب الخيام واختلط بعبيدهم
وصار ينادي ورفع صوته يا بني الخال حييتم وحيي عرب أنتم منها فأنتم السادات العظام
والفرسان الكرام وأنا يا وجوه العرب رجل فقير الحال وذو عيال وحيد وليس لي سند
وقد ضاع لي خمسة من الإبل النياق السمان وفحل من الإبل عظيم الشأن وقد شردوا مني من

بين المضارب والخيام وأصبحت من أجلهم هائمة في البراري والآكام فقالوا له وذمة العرب الكرام يا ابن الخالة ما رأينا من ذلك هذا وقدر أوا من حواليه وسألوه عن حاله وعربه ومن يقال لمولاه فقال لهم إعلموا أنني من بني دوران وصاحبي يقال له مابيل بن عبد اللات وهو يقال من تلك الأرض ثم أنه بكى وأن اشتكى وقال لهم يا بني الخالة أعلموا أنه كان قد سلم إلى أمواله ونوقه وجماله وقد الزمني بحفظها ورعايتها ومدارتها والدوران بها وألزمني ما ليس لي به طاقة وما زلت على مثل ذلك حتى غفلت عن النوق فخرج منها عشرة وشردوا وقد خرجت أدور عليهم في تلك الأماكن إلى أن رمتني عليكم المقادير وأعلموا أني ما أطلقني الراوي ثم أنه بعد ذلك الكلام أظهر لهم الذل والانكسار أجرى دموعه وصار يبكي ودموعه غزارة فلما رآه العبيد على ذلك الحال رقوا له وقد رحموه وأخرجوا له من زادهم وأطعموه وبعد ذلك جلس يحادثهم وينادمهم ويطاولهم الأشعار ويحكي لهم على ماجرى للرجال الذين تقدموا من الحكايات وأسماء قال الراوي هذا وقد نظر شيبوب إلى دخان وحبور وصياح عال وهم يزعقون فقال شيبوب الواحد من العبيد اليوم عروس أو وليمة من بني عبس رجل وقال أنه مالة شيء من المال يشترى به نفسه ومن غيظ صاحبنا صميد لما بلغه عنه وعن قومه وما فعلوا في أرض اليمن قد عول على هلاكه وقال ما أقتله حتى أعذبه بالنار وأشفي منه قلبي وقلب أهل هذه الديار والدخان الذى نراه من شأن عذابه لأن الامير صميد قد أمر عبيده أن يوقد النار وأشفي منه قلبي وقلب أهل هذه الديار والدخان الذى تراه من أجل عذابه لأن الأمير العبسي ينسر لحمه من عظمه فلما سمع شيبو ذلك الخبر احترق قلبه على عروة بن الورد وقد فرح بظهور خبره ثم قال للعبيد والله يا بني الخالة قد أخطأ صاحبكم في حرب هذا الرجل بالنار وان حرقه جلب لكم البلاء والدمار لأني أنا اليوم التقيت بطائفة من بني عبس يدورن عليه ويسألون عنه فقال لي فارس منهم طويل أسود بعد ما شرحت له حالي وضيعان جمالي وقال ان وقعت بصاحبنا على خبر ووقعت له أثر خلفنا عليك ماضاع منك وأعطيناك ما تشترى به لنفسك وتعيش به باقي عمرك وها نحن في هذا المكان مكمنين حتى نسمع له خبر لاننا قد أنفذنا جواسيس إلى سائر المحلات ولا بد ما تقع بالحلة التي تراه فيها وتدمرها تدمير وأنتم تعلمون ان المال محبوب وأنا رجل صعلوك منكوب ولكني ما اختار به بني عبس على أهل اليمن ولا تتكامد الافراح حتى انه لم يخرج أحد منهم من أرض اليمن ويرجع

سالما لأجل مافعلوا بأهلنا والصواب عندى أن يركب صاحبكم برجاله ويسير إلى هؤلاء العبسيين بالطائفة الذين معه ويكبسهم فى الكمين ويضع فيهم السيف ومن وقع فى يده منهم يحرقه بالنار مع هذا الشيطان أو يبيعهم بالمال لأن أموال اليمن قد عادت كلها مع بنى عبس وهم فى أرضنا غابرين وفى سيرهم مجدين ومافيهم من يلتفت إلى صاحبه من شدة التعب ولو لم يكن هذا الرجل عندهم عزيز ماكانوا انفذوا خلفه هذه السرية قال فلما سمعوا العبيد هذا الخطاب والكلام من شيبوب فرحوا فرحا عظيما واستحسنوا ماذكر قالوا له والله ياغلام لقد خرجت من بيتك فى وقت سعيد نحن نعلم سيدنا صميد يعطيك كل ماتريد إن أنت أوقفته على سرية عبس لأنه عليهم بتجوع مثل المرأة الثكلى أو كالحية على المقلى لاسيما أن فيهم حاميتهم عنتر فقال شيبوب يابنى الخالة أنا ما أعرف منهم أحد لكننى نظرت مع هؤلاء القوم عبد أسود طويلا عريضا غائصا فى الزرد النضيد والذى معه سد من حديد ءان كان لصاحبكم غرض فامضوا إليه واعلموه بهذا الخبر ولو قولوا له يركب فيمن يريد حتى تدركهم وتدرك هذا العبد الأسود الذى قلتم أنه عنتر قال فعندها تجارت العبيد تطلب الحلة واحد من العبيد يريد ان يسبق الآخر لأجل أن يأخذ البشارة وصياحهم قد علا وعجيج البيدا قد ضاقت منه أرض الفلا فلما ابعدوا على شيبوب عاد هو على أثره وأطلق رجليه مثل الريح الهبوب وطلب أخاه وكان غرضه بذلك المقال اشتغال القوم عن حرق عروة بن الورد تقع المهلة عليه إن أن يعود هو إلى الأمير عنتر ويخبره بذلك الخبر (قال الراوى) وكان السبب فى وقوع بن الورد فى يد هذا الفارس أنه كان قد أخذ أصحابه وخرج على حرس الأموال وحفظها كما ذكرنا وأراد التخفيف عن قلوبهم وترك رجاله فى المرعى وتولع بالصيد وأخذ فى طرد الوحش حتى قارب زوال الشمس وأراد أن يركض ويعود إلى أصحابه وكان قد بعد فى البر عنهم واتسع فى الفلوات الخاليات فاتفق له هذا الشيطان وهو عائد من بنى هوازن ومعه الفرسان وأموال كثيرة وهو فرحان فلما رأى عروة وهو فى البر بهم فقال الفرسان الذين كانت معه وكانت أوفى من ألف فارس ياويلكم هذا البر ما اعرف أحد فيه سا كما وأرى هذا الفارس فيه وحيد فريد فدونكم وإياه ولا تعودوا إلا به حتى نبصر حاله ومن أى العرب هو فعندها تجارت الفرسان إلى عروة بن الورد ودارت حوإليه الرجال والشجعان وكان عروة من الصيد تعبان وصار يدفع عن نفسه ويمانع حتى جرح وأخذ بعد قتل جواده وساروا به قدام سيدهم صميد فقال له من الناس أنت فاختى عروة نفسه فزعا من عطبه وقال يامولاى أنا رجل من أرض العراق من

أصحاب النعمان وأنا ما دخلت هذه الأرض الا فزعا منه لأني قتلت له قتيلا يعز عليه وإن هذا الملك مطاع وعليكم أن قبائل العرب تطيعه ولا أحد يجيرني من يده فلما سمع مقدم السرية صميد كلامه رق له وأراد أن يطلقه فعرفه بعض أصحابه وقالوا له يا أمير لا تسمع كلامه فإنه محال وهو أشد أبطال هذا يقال له عروة بن الورد العبسي وأنا قد رأيته في بلاد الحجاز مرارا وأبصرت قتاله تحت القتام والغبار ولو لم يكن تعبان وجواده مقصر وقاتلناه ما قدرنا عليه بوجه من الوجوه وكان يهلك منا أكثر من نصفنا وهو في الشجاعة في مكان عظيم وفي البراعة بقلب جسيم قال فلما سمع صميد بن مانع هذا المقال انزعل سرجه وما وقال يا لكما من طريق ما كان أسعدها وأقلها خطر وذمة العرب هذا صديق بني عبس عنتر بن شداد ثم أنه أوقف عروة بن الورد على ذلك فأنكر ولا عاد عن قوله الأول ولا بدل ولا غير فقال صميد ابن مانع لأصحابه شدوه على ظهر جواده وإياكم أن تقصروا وأن أقوا رباطه وشداده ولا تتوانوا عن ذلك حتى أنه يقر بالذنب الذي هو فيه ويتكلم بالصحيح ويخبركم بما كان فيه من غير تلويح ثم أنه أخذه معه وسار هو وقومه ولم يزل سائرا حتى أنه وصل إلى دياره وقد قر قراره فعند ذلك أوثق وثاقه ما قدر وقيده إلى قومه ثم أنه بعد ذلك فرق عليهم المال الذي أتى معهم وما زال كذلك إلى أن فرغ قلبه ما كان فيه ثم أنه عاد إلى عروة بن الورد ونزل عليه بالضرب الشديد والعذاب الأكيد حتى أنه قر من كثرة الضرب أنه من عبس وعدنان أسود الغاب ورجال الطعن والضراب التي تصفهم العرب بفرسان المنايا والموت الزؤام وقال له أنا كنت قاصد إلى الملك النعمان ملك العرب رسولا من عند صاحبنا الملك قيس بن الملك زهير سيد بني عبس وعدنان وكان معي كتاب إلى أخته المتجردة زوجة النعمان يسألها من قومها وتسأل بعلها الملك النعمان يردهم إلى أرض الحجاز لأننا ما دخلنا إلى أرض اليمن إلا خوفا من سطوته وها أنت قد أعقتني وعن طلبتي عوقتني وأنت أن قتلتني خلفي من يأخذ بالثأر ويكشف العار الذي يقطع الأصول ويطفي لهيب الأكباد وهو الأمير عنتر بن شداد حامية بني عبس الأجواد وسيد آل قراد (قال الراوي) فعند ذلك قال صميد بن مانع يا كلب بني عبس لو أنك أنت تكون الملك النعمان بن الملك المنذر ما عدت تريت من الأسر إلا أنواع العذاب والنكال وعاداتنا نلتقي الأبطال في البر بأسنان العوال وأنت بعد ما سمعت بصميد وأصحابه ولا ذقت طعنه ولا ضربه ولا ابدانى

تذوقوه منه فوحق البيت الحرام وزمزم والمشاعر العظام لأشفين منك ومن أصحابك قلب كل من في الادلين ولأشربن من دمائكم كما يشرب الانسان الماء لأن حديثك وحديث صاحبك عنتر الاسود والبطل الانكد عبد بني عبس وصل الي بالتمام والكمال وأيضا سمعت عنكم كم من حلة قلعتم وكم من جموع فرقتم وقول أسودكم عنتر هذه الابيات .

إذا كشف الزمان لك القناعا ... ومد اليك صرف الدهر باعا

فلا تخش المنايا واقتحمها ... ودافع ما استطعت لها دفاعا

وفي أرض المصانع قد تركنا ... لنا بفعالنا خبرا مشاعا

أقمنا بالذوابل سوق حرب ... وأشهر بالسيوف لها متاعا

ومهري كان دلال المنايا ... فخاض جموعها وشرى وباعا

ولو أرسلت سيفي مع ذليل ... لكان بهيبتي قوما شجاعا

قال الراوي ثم قال يا عروة وأما أعظم الذي ما كنت في هذه الواقعة حاضرا حتى كنتم تنظرون حقيقة الحرب وقد بلغني بعد ذلك ما جرى لكم وما وقع بينكم وبين الملك مسعود بن مصاد وسمعت أبيات عروة وهو يصف لك عنتر بن شداد كيف كان يصول على الناس وعنتر يخوض الحرب وهو يقول هذه الابيات .

عروة بن الورد ليث عبسي ... كم آمنا من غائلات الانس

ألا تراني قد بذلت نفسي ... للموت حتى يطمئن عرسي

وهذه الابيات ما تقول يا عروة عني فهي الا انني اتقي بهذا العبد وأكافيه على ما كان منه فقال عروة يا صعيد ان شاء الله رب هذه السماء الزرقاء أن يجمع بينك وبينه وتشاهد منه عيانا خبرا ما تتعوذ منه الإنس والجان والله يا صعيد ان هذه البغضة التي قد ثبتت في قلبك هي التي تكون سببا لضرب رقبتك لانني أعلم أن مرادك تقتلني وان سمع عنتر خبري فلا بد يأتي ويأخذ بثاري وسوف ترى رجلا لا تشابهه الاسود من الرجال ولا تشابهه الا رواسخ الجبال ويكون ذلك يا صعيد قدامي حتى أني أذكرك بذلك لأن هذا الرجل إذا كان قدامه الألف أو الألفين أو العشرة بالسوا لأنه أسد أزعم يبدد شملهم كما يبدد الذيب شمل الغنم وفي ذلك الوقت ترى والله وتندم حيث لا ينفعك الندم إذا قابلت هذا الفارس الأدهم الذي قد أذل ملوك اليمن وقهر امامه وما كنت أشتهي الا أن أكون بعد هذا الكلام بالحياة وأنظر بعيني تشتيت شملك في الصحراء غربا وشرقا وتبقى أنت للوحش



الملك النعمان وزوجته المتجردة

البر رزقا وبعد هذا افعل ما تشاء وما تختار قال الراوى فلما سمع صميد ذلك الكلام زاد غضبه وكثر غيظه وأقسم بربه أنه لابد أن يحرقه ثم أنه أمر غلمانه أن يجمعوا له الحطب ويحموا له الصخر الجم وقال إن أنا أمهلت عليه يقولوا العرب أنى قد فزعت من عبدهم الاسود وقد تركته بالحياه حتى أفدى به نفسى ولا يدلى ما أبرد كبدى بحريق كل من وقع فى يدى ولما قال لعبيده ذلك المقال أوقدوا النار على الصخرة حتى صار مثل لظى الجمر وما وصل العبيد إلى سيدهم صميد إلا والصخرة قد صارت ممزوجة بالغضب وبقيت شبه النار التى توقدو ما بقى إلا أن يحملوه ويتركوه فوقها حتى أنه يذوب فقال له العبيد ابق امولانا على هذا الرجل العبسى لقد أتاك من يرشدك على رفقاه وأتاك الامر كما تريد وقد وصل رفيقة الاسود الشيطان المريد وقد أتاك من يرشدك عليه ويوصلك اليه وتأخذ زوجة من بين جنبيه ثم أنهم أخبروه بحديث شيبوب فكاد قلبه من الفرح يذوب فركب وصاح فى الخيل فتبادرت اليه الأبطال وقد اعتدت للحرب والقتال وسألوه فاخبرهم بما سمعه من عبيده من المقال ابقى عن عروة العذاب والنكال ثم سار إلى المرعى والمناهل النابعة والخيل خلفه متابعة فلما وصل قال للرعيان واين العبد الذى أخبركم بهذا الحال ائتونى به وبشروه منى بالغنى إذا هو وصلنى إلى بلوغ المنى فعند ذلك سارت العبيد فى أثر شيبوب وتفرقوا فى طلبه فما رأوه فزاغت اعينهم فى البر والفم وقالوا السيد ها هنا تركناه فقال وحق الملك الكبير ما كان هذا العبد إلا مكار

تحتال فان صدقنى حذرى فانه من عبيد بنى عبس وما أتى إلا جاسوس من الكمين الذين قد ذكره لكم والساعة ترون الجيش وقد ظهر وفى أوائلهم زعقات الأسود المسمى بعنتر (قال الراوى) ثم أنه فرق الأبطال الذى حوله فى أقطار الأرض وقال لهم دوروا على هذا العبسى الذى طرق هذه الديار ثم خرجت الرجال تطلب الاودية ورؤس الجبال وكان عدتهم يومئذ الفا ومائة فارس فانقسموا إلى ثلاث جهات وخبوا فى أقطار الفلوات وكان شيبوب قد عاد إلى أخيه عنتر وأخبره بالاخبار وقال له ياأخى الحق عروه بن الورد إلا ما تلحقه إلا وهو محروق لان هذا الشيطان قد ظفر به وأراد أن يحرقه وأنا تحدثت إلى عبيده حديث وقد ساروا يعلموه به وأنا أقول أنه عنتر يشتغل عن هلاكه ورب مار كب هو وأبطاله فى طلبنا فدبر الآن ماترى فقال عنتر وايش بقى هنا تدبير غير طعن الصدور وضرب الاعناق والنحور ولكن ياشيبوب كم يخرج من الحى فرسان لانى اعرف انك خبير الابطال بالعدد ولكن مالك على لقاهم صبر ولا جلد فقال شيبوب وقد أغتاظ من كلامه والله أنا اشجع منك ياأسود والله لاعرفنك قدرك واجازيك على قولك فعلم عنتر انه اغتاظ فطيب قلبه ومسح أعطافه إلى أن هدأت أخلاقه فقال شيبوب أما الجملة يا أخى فيخرج منها الف فارس ومائتان من الصناديد غير العبيد وأما أنا فانى أقوى منك وأظهر فى الامور الشداد لانى إذا لقيت الاعداء قاتلت جهدما اقدر عليه وإذا كثر على نجيت واخلى الديار إلى أهلها وأما انت إذا قتلوا الاعداء جوادك بقيت مثل الحرمة إذا اعتلموا اسيقانها انت وغيرك واريد من اليوم أن اعرفك واخليك تتلقى المصايب بنفسك حتى انظر هذه الشجاعة الذى أنت فيها وبعد ذلك أقول أن الخيل الساعة تطلبكم وتفرقت حولكم فرق وانا أى فريق رايته اقدر اشتته فى البر الاقفر لان الفرقة التى تكون قسمى وقفت بالبعد منها واومى اليها وأسير إلى بعض الجهات واعدو بين يديها والوح بكمى اليها كانى ادلها على الكمين واحليهم فى البر مشتتين لانهم إذا أتوا على فما يلمقونى ولا يقفون لى على خبر (قال الراوى) وبعد هذا المقال ركب عنتر ومقرى الوحش وخرجا إلا انهما ما انبسطا فى الصحراء حتى راوا حسيس البغال فى اقطار البيدا فقال شيبوب دونكم الآن والاعداء فصاح عنتر وقصد إلى بعض الطرق ومقرى الوحش فى أثره اما شيبوب فانه سار إلى بعض الفرسان وكان قد بقى من القوم خمسمائة فارس مع مقدمهم صميد فلما رأى عنتر ومقرى الوحش قال ويلكم هذا أول الكمين واليوم اريكم قتال الهجين فدونكم واياهم وهما الاثنان وإن طلع غيرهم نأخذهم على اطراف

القنا حتى تنظر حديثهم فاطلقوا نحوهم الأعنة وقوموا الأسنة فالتقاهم وحده مقرى الوحش ووقف عنتر الفارس الغضنفر فلما طلع عليهم الغبار مادام غير ساعة واحدة حتى قتل منهم مقدار خمسين فارس وتأخر عنه الباقون وقد طلبوا الفرار وإذا قد ظهر غبار الخمسمائة فارس الذى كانوا اخلف شيبوب وقد حمل عنتر فى أوساطهم وقد ضرب فيهم وفرق شملهم فلما نظر مقدمهم صميد إلى هذا الحال حمل على مقرى الوحش بجنانه وبرز لقتاله وحملت معه أصحابه فتلقاهم مقرى الوحش بجنانه وجرد فيهم حسامه وأبرى بسيفه أعناق الرجال الذين قصدته عن يمينه وشماله فرأى ذلك اليوم منه عنتر فاشتد ظهره وأزال همه وعلم أنه يقدر على الخيل التى احتاطت به ولكن أراد الانجاز فزعق فى ذلك الجمع فتبدد وقل عن مقرى الوحش العدد وما وصل إلى مقرى الوحش حتى أنه قتل سبعين بطل وطلب صميد مثل الأسد وصاح فيه صيحة ارتجت منها السهل والجبل وقال له ويلك ياقرنان أنت الذى عزمت على حرق صاحبي بالنار ابشر بخراب الديار وقلع الآثار وحلول الدمار فأنا عنتر الفارس الكرار مبيد الفجار والأشرار ثم أنه طعنه بعد ذلك الكلام شك سنان الرمح فى أضلاعه فخرق أحشاه وبدد أمعاه وصار عبرة لمن يراه وبعد ماقتله فرق مقرى الوحش أصحابه وخلانه وقد نفروا من ضرباته وصاروا يطلبون الخيام والطعن فى ظهورهم يسابق رسل الحمام إلا أنهم ماقاربوا الديار حتى ظهر من بين أيديهم فارس كريم وقد انحط على الرجال أخف من ذكر النعام وهو يصيح إلى أين ياأولاد الزنا تطلبون الهرب وقد نزل عليكم البلاء والغضب (قال الراوى) وكان هذا الفارس هو عروة بن الورد وكان السبب فى خلاصه شيبوب وهو أنه لما خرج أخوه من الكمين وقد أبصر الناس عن الخيل متفرقين فى أقطار البيدا فقصد هو إلى بعض الطرقات وصار يصيح بأعلى صوته ويشير اليهم بأكمامه فظنوا أنه يدلهم على الكمين فتبعوه ولم يزل بهم حتى ضيعهم فى البر الاقفر ورجع هو إلى الاحياء لما علم أن القوم قد اشتغلوا بالقتال وقد وجد عروة بن الورد مشدود بالقيد مقيد وبالكتاف موثوق وهو فى أشد الضيق فدنا منه وقطع كتافه وأتاه بجواد من خيل صميد وعدة كاملة من عدد القتلى المطروحين ولما خلص عروة وصار على ظهر الجواد عاشت روحه بعد الاياس ورجعت روحه اليه وقد التفت إلى الأمير شيبوب وقال لله درك ودر أخيك عنتر الفارس القسور والفتى المشهور (قال الراوى) ثم همز الجواد وقد خرج من الحى وطلب البر والآكام والحى قد انقلب بالصياح والبكاء والعديد والنواح حتى أنه ملأ الأرض والبطاح فلما رأوا عروة بن الورد وقد خلص طلبه العبيد من اليمين الشمال وداروا به

من جميع الأماكن والجهات وقصده من سائر الفلوات فلما رآهم عروة قال لهم والله خابت آمالكم وصار يطعن فيهم برمحه ويضرب بسيفه وشيبوب من بين يديه يضرب بخنجره وقد صاح فيهم فطلبوا الهرب وما زال يركض خلفهم بالجواد حتى أنه رأى فرسانهم رجعوا على الأعقاب وهم يندبون على الأهل والأصحاب وقد عرفوا أن لا طاقة لهم بحرب أبي الفوارس عنتر بن شداد وقد عاينوا الموت من صورته وتعجبوا من صولته وفروسيته وهجومه على الفرسان في المجال وقد ارتجفت منهم القلوب وكادت أن تذوب وتقطعت الأكباد وكثرت منهم الزعقات قال الراوي فعندها سمع الأمير عنتر بن شداد صوت أخيه شيبوب وقد علم أنه خلص عروة بن الورد هلاكه ورأى المهزمين قد داروا من كل جانب ومكان فحل عليهم حتى انه أدخلهم إلى الابيات والمضارب بعدما قاسوا منه الهموم والمصايب واجتمع الأمير عنتر بعروة بن الورد وهناه بالسلامه وقال له يا ابن العم وحق ذمة العرب ويحق شهر رجب والرب القديم لو كان تم عليك أمر من الأمور ما خليت في هذه الأرض فارس يدور قال الراوي وقد علمت فرسان الحلة بقتل مقدمهم صميد فنادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور وخافوا النساء والبنات من السبي والانتهاك فخرجوا إلى بين يديه مرخيات البراقع منشورات الشعور يطلبون من عنتر الأمان على مد الدهور والازمان وكان عنتر قريب المرحوم وعلى النساء غيور فقال لمقرى الوحش يا أخي أن صاحبنا خلصناه ومن حرقه أنجيناه وعدوه قتلناه ونحن طالبين الديار والأوطان والمسافة بين أيدينا بعيدة وأقول أن أهلنا قد رحلوا من المكان الذي خليناهم فيه وإن اشتغلنا عنهم بسوق الجمال والنياق فما تدري إيش يتم على قومنا في هذه الديار والأوطلال وأنا الرأي عندي فيه الصواب ولا يذمه أحدا من الناس عودتنا وقطع الطريق الذي ما لنا فيه خل ولا صديق ولا رفيق فقال له مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس لو أنهم أعطوني نوق ما في الأرض ما سقتها لولا أخي عروة ابن الورد لما كنت طئتها ولا كنت خليت مسيكة ولا فارقتها ثم عادوا وقد عفوا عن الحريم وما تعرضوا لها بشيء سوى قطعة من الخيل الغوال حتى انهم يركبوها ويرعوا خيولهم بجانبها ثم انهم جدوا المسير في الطريق وهم راجعين على أعقابهم وركبوا الطريق الواضح وهم لا يصدقون أن يروا قومهم وعيالهم وعروه بن الورد لا يكل لسانه نالمدح في عنتر وقد أشار يقول

أبا الفوارس أنت الضيغم البطل مردى الأشاوس بالعسالة الذبل

وهازم الخيل والأبطال قد نشرت ... منها الجماجم يوم الخوف والوجل
وطاعن الفارس الحامى كتيبته ... وناصر الجار من بؤس ومن ذلل
لولاك ماافتخرت بنو عبس وما شرفت ... على القبائل فى سهل وفى جبل
ولا غدت قمة الجوزاء تحسدها ... على علاك ولا المريخ من زحل
ولاسيما ذكرها فى العرب أجمعها ... ولا علا ذكرها لولاك من رجل
فكل من رام حربا أنت قاهره ... بالسيف والرمح فى قلب وفى القلل
كم وقعة لك الأبطال أجمعها ... تبغى الفرار ونار الحرب تشتعل
يا طاعنا بالقنا فى كل معركة ... يا مشعل السيف تحت النقع فى القلل
كم جحفل عرموم فرقت شملهمو ... فانجلا نظمها من سيفك الصقل
وكم من فريق بغى فرقت شملهمو ... وصاروا حيارى من شدة الوجل
وأنت أشجع من يرجا إذا حميت ... نار الوطيس ونار الحرب فى الحلل
وأنت أشجع من فى الناس كلهمو ... يوم الحروب بطعن مذهب الأجل
لولا سنان سيفك الظامى لما رفعت ... أبناء عبس عمادا قط فى الدول
خلصتنى من حياض الموت مقتدرا ... وكنت لى أملا يا غاية الأمل
فلا عدمتك ما ناحت مطوقة ... ورقاو ماهطلت سحابة الغيث بالبلل

قال الراوى فلما فرغ عروة بن الورد من شعره ومدحه لعنتر شكره واثنى عليه ولا زالوا سائرين حتى وصلوا إلى مياه جرمل فنزلوا هناك للراحة واستشوروا فى أمر بنى عبس أن كانوا يلحوهم أم لا فقال شيبوب وحق من علم آدم الأسماء وأتقن الاشياء إن كانوا اقدرحلوا من بعدنا بثلاثة أيام وسمعوا عن أخى عنتر خبر أنا ألحقكم بهم فى البر الاقفر بعد يومين فقال عنتر ويلك كيف تفعل اعلمنا فقال ما أبين لك ذلك حتى نقع على آثارهم ونعلم باخبارهم والرأى عندى أن تقيموا أنتم ها هنا حتى آسيرانا على نواحى جبال صاروخ ورمال عالج ومن هناك أكشف الآثار ثم بعد هذا اخترق الظلام وهام كاذكر النعام وصار عنتر يلوم نفسه ويقول لو كنا بعد خلاص عروة بن الورد عدنا إن الغدان والمياة التى تركنا قومنا عليها كان أريح إلى قلوبنا ولكن التفريط كان منا لاننا ماجعلنا بيننا وبينهم موعدا نلتقى فيه فقال مقرى الوحش لاشىء فى هذا فايشق علينا إلا إذا قطعنا منهم الاياس فان قصدنا ديا نا بنى عامر والاطلال فانه لابد منها على كل حال فقال عنتر هذا شىء لاأعرفه ولا أفعله ولا أرضى لنفسى أن أنزل على قوم دماؤهم طرى

على سيفي وأنا الولاية راعاني للملك قيس وحياتي من عمرو بن هند اخي الملك النعمان .ا كنت خرجت من بلاد اليمن وتلك المناهل والدمن بعدما أذل فرسانها وشجعانها وكنت ملكت بسيفي سائر البلاد وكانت الغفارة تحمل إلى من بنى قحطان و.ا زالوا على مثل ذلك حتى أصبح فاخذهم القلق لاجل شيبوب لانهـــم انتظروه إلى الوقت الذى قال لهم عليه أن يعود فيه فاعاد واشتغلت قلوبهم فقال عروة بن الورد ما أظن إلا شيبوب قد أصيب فى هذا البر الأقفر وانفق ما أنفق له من القضاء والقدر ونبقى نحن فى هذه الأرض الذى ما نعرف فيها طريق ولا لنا هاهنا صديق فقال مقرى الوحش والله ياعروة لقد قطعت ظهرى وزدتنى فكرا على فكرى على إننى ما أتأسف على نفسى وإنما أتأسف على مسيكة زوجتى وسبيع اليمن ولدى وكان قد رزق من زوجته فى أرض اليمن هذا الولد وسماه هذا الإسم الحسن ثم أقاموا فى تلك وفى قلب عنتر النار والمسعرات على أخيه لهيبا وحسرات فبينما هم كذلك وإذا بشيبوب قد طلع عليهم مثل ريح الهبوب كأنه النسر الاردع من نحو جبال صاروخ ورمال عالج والوحوش تركض من بين يديه والعيون لاتستطيع النظر اليه فلما رأوه فرحوا وأرادوا أن يسألوه غيبته وإذا به قد أتاهم وهو اشعث اغبر مما قاسى فى تلك البر الاقفر فقال له عنتر ويلك يا شيبوب اضجت لغيبتك القلوب ايش معك من الاخبار أما سمعت لبنى عبس آثار فقال شيبوب يا أخى بنى عبس قد عبروا الشعاب ولكن المنايا خلفهم تعلو فى المنازل والرحاب ولولا مسيرى من عندك واطلاعك على هذه الحال كان قد تم عليهم شىء ما كان فى حساب فقال مقرى الوحش لم ذلك ياابن الأموات أما عبلة ومسيكة سالمات وهن مع شياطين العرب مسبيات فقال شيبوب لا تسأل إلا عن شىء يعنيك فقال مقرى الوحش ياعروة هذا شىء قد تم على قومنا فى غيابنا ولا لنا فيهم صديق ولا خول ولا رفيق فدعنا من هذيانك حتى نسمع ايش جرى لحريمنا فقال شيبوب انصتوا أنتم واسمعوا الخبر اعلموا أنى لما سرت من عندكم وقت السحر وأنا كثير الفكر وصلت إلى الشعاب والليل قد بقى منه اليسير فافت إلى الصباح لعلى أقع لقومنا على خبر وإذا أنا قد سمعت حوافر الخيل وضجة عظيمة وكثرة فرسان فقلت فى نفسى لاشك هذه الخيل خيل بنى عبس وظعنهم قد وصل وكان بينى وبينهم ميعاد فى هذا الجبل ولما ايقنت بذلك أمنت حتى إنى أسمع كلام أحد أعرفه وإذا أنا رأيت فى أوائلهم فارس كانه العتيق وهو على جواده عتيق وهو غائص فى الحديد والزرد النضيد فعولت أن أدنو منه وأتقدم بين

يدية واسأله واقص القصة عليه وإذا له همهمة مثل همهمة الأسد ويتكلم بغيظ وحرد ويقول يارب البيت والحجر وبحرمة الركن المطهر مكن سنان هذا الرمح الأسمر من صدر عبد بنى عبس المسمى بعنتر ليزول عنى عارى ثم تنهد بحرقة وقال آه وأسفاه عليك ياعمرو بن ضمرة كيف تمكن هذا العبد بن اللئام منك وأنت الأسد الهمام والفارس الضرغام ثم أنه يا أخى تنهد وتحسر وصاح وأنشد يقول

ياجفونى بفيض دمعك جودى … واندبى فارس كريم الجدود
فارسا كان يلتقى حوادث الدهر … بقلب أقوى من الجلمود
كان فارسا لكنه وحماها … يكد الحديد فوق الجلود
فرماه صرف الزمان بسهم … قاطع من أخس العبيد
عنتر لا شفيت قطر الفؤادى … غير سم مفتت الكبود
أنت أفجعتنى بعمرو وبقيت … كما أفجعت عين الحسودى
قسما بالذى أمات وأحيا … وتعالى عن قول أهل الجحود
لاقيمن فى ديار بنى عبس … ضجيجا بالنواح والتعديد
تصير النساء به حيارى … من جوى الحزن لاطمات الخدود
بحسام إذا رأته المنايا … فى يمينى أومت له بالسجود
كم دحال هجمتها فى ظلام الليل … وحيدا على كبار الأسود
وقنصت السباع فيها بكفى … مثل قبض الفارس الصنديد

قال الراوى ثم أن شيبوب قال يا ابن الأم فلما سمعت بذكرك فى أعقاب هذه الأبيات علمت أنه من بعض أعدائنا فاشتهيت أن أعلم من هو من فرسان العرب فصبرت للجيش حتى أنه عبر وقد حررته بعينى فرأيته فى الف فارس فتبعت فرسانهم وسألت بعضهم عن حالهم فقال واحد منهم ياوجه العرب نحن من قبائل وطوائف شتى قد اجتمعنا وسرنا خلف بنى عبس نطالبهم بالثار ونقلع منهم الاثار ونجازيهم على فعالهم ياهل هذه وفينا فارس اليمن زاجرة بن ضمرة القينى الفارس الهمام الذى قتل عنتر أخاه على ماء النمام سبى زوجته زهرة وأنشد يقول

ما أشهر السيف فى كفى وأغمده … إلا وفى حده الضرب آثار
ضربت عمرا على الخيشوم معتمدا … بصارم فى حواشى خده نار
فعاد يهوى ذليلا بعد عزته … كما أن للدهر إقبال وإدبار

ثم أن شيبوب قال يا ابن الأم فلما سمعت ماقال شكرت الرب القديم الذى عرفنا هذا الحال والا كان هذا الشيطان احل بقومنا الخيال والنكال وبعدها عدت يا أخى على الأثر فلما سمع عنتر ذلك تعجب غاية العجب وقال شيبوب إيش هذا القرنان أين كان ولاى شيء ما كان طالنا بالثأر ونحن فى بلاد اليمن حتى كنت أسقيه كاس الحمام ثم قال له ويلك يا شيبوب تقدر تلقانا عليه قبل أن يدرك بنى عبس ويغتنم الغفلة ويرجف قلب مسيكة وعبلة فقال شيبوب وحق ذمة العرب أنى القيكم عليه فى أقل مايكون سيروا أخفى حتى أريكم العجب فى ضوء النهار وإلا فى ظلمة (قال الراوى) وكل زاجرة أخو عمروا وابن ضمرة بطل مغوار وفارس جبار وكانت أمه يقال لها سارحة من قوم يقال لهم بنو نمر فلما قتل أخوه عمرو ووصل له الخبر أمر فرسانه بالتاهب للمسير فما مكنته والدته من ذلك وقالت له ياولدى نفسى مشغوله بالنظر إليك فى هذه الأيام فاذا أنا مت أو حدث لى أمر فافعل بعدى ماتريد ومن كثرة خوفها عليه صارت تنظر له المنامات الرديه وتقصها عليه فما خرج من عندها هذا العام حتى ماتت وكانت ولدها يحكم على الفين فارس وأنه ماصدق بموت والدته حتى أنه عول على المسير للقاء بنى عبس وكانت بنو عبس قد خرجت من بلاد اليمن طالبين أرض الحجاز فلما بلغه ذلك صعب عليه وكبر لديه فقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لاتبعهم لآخر الدنيا ثم أنه سافر فى ذلك الجيش الذى رآه شيبوب وكان خلف بنى عبس رجالا شياطين من عشرة وعشرين يطلبون المعاش والمكسب لاجل قلة بنى عبس والتقوا بقوم زاجره الطماعة وساروا معهم يقطعون البرارى والقفار ومازالوا سائرين وزاجرة يجد السير حتى بقى بينه وبين بنى عبس واحد فاشرف عليهم شيبوب وقد قطع بأصحابه السياسب فلما نظر إلى خيلهم ترعى قال ياأبا الفوارس هاأنت قد أدركت الأعداء فتشاور أنت ومقرى وعروة بن الورد فى أمر القتال فقال عنتر الصواب أننا نطلب خيلهم ونجعل بيننا وبينهم يوما تذكره الأبدال فقال مقرى الوحش هذا مايتم لنا بثلاث رجال فقال عنتر ولكن شيبوب يقاومه بنصف رجل فقال عروة وخلوا شيبوب ولا تغضبوه فقال شيبوب ويلك ياعبد السوء ماهذا وقت مزاح وأنا اقسم بمن يعلم عدد الجراد إذا انتشر وخالق الصور وانزل القطر والمطر لئن لم تقصر عنى لاتركنك تسأل عنى من غاب ومن حضر فقال عنتر لاتقسم يا أبا رياح فما قولى لك إلا مزاح والان يا أبا رياح ما الذى ترى من الفعال فقال الرأى عندى اننا تحمل عليهم فقال هذا هو الصواب والصحيح لأن معهم فارسا جبار ولابد مايتكلف به واحد

منكم فى الحرب ويبقى الاثنان ما يلقوا الفتن فقال شيبوب وما أنا عندى تدبير الذى هو أحسن من الاول لكن يا أبا الابيض عندى رأى لو تعلموه فاتكم تتركونى أنا وأخى هاهنا مختفين وسر أنت ومقرى الوحش إلى عسكر الأعداء حتى تقاربوهم وإذا سرتم معهم وسألوكم عن حالكم فقولوا لهم نحن قوم من زوايا اليمن وقد سمعنا بخروج بنى عبس من هذا الديار وما من أحد إلا له على بنى عبس دم وثار وكنا خائفين من فرسانهم فلما سمعنا بمسيرة الأمير زاجرة إليهم فسرنا وقوينا وأتينا إلى هاهنا فعندها يتقدم منكم واحد إلى زاجرة ويسلم عليه ويضربه بالرمح فى صدره ويدعه يطلع من ظهره فعندها يقع السيف فيهم وتنادون يا آل عبس يا آل عدنان فعند هذه المناداة يقع السيف فيهم ولا التفت أحد إلى أحد فاذا رأينا نحن ذلك نخرج بالخيل التى معنا ويزعق ويصيح فيها بزعقاتها أخى عنتر ويقول يا أوغاد غير انجاد أنا عنتر بن شداد فارس الحرب و الجلاد مع زعقيه وغبار الخيل تظن الأعداء أنها خيل بنى عبس ويكون مقدمهم قتل يتطلب السهل والجبل فقال عنتر أحسنت يا شيبوب يا مفرج الكروب فلاعدمت من أخ ورفيق لأنك معينى فى كل شدة وضيق قال الراوى ثم أن مقرى الوحش أخذ عروة بن الورد وسار حتى أنه أقل على ذلك الجيش فصاح زاجرة فى الفرسان فتقدم اليه مقرى الوحش وعروة بن الورد فقال زاجرة من أين انتم فصاح مقرى الوحش كانه يخاطبه وطعنه جندله فعندها صاح عروة يا آل عبس يا آل عدنان وقد حملوا على الجيش وجردوا فى أيديهم الصفاح وإذا عنتر خلفهم وقد حمل حملة تهد الجبال وزعق زعقة أذهل منها عقول الرجال فلما نظروا إلى مقدم الجيش وقد قتل وغبار الخيل قد أقبل ومن تحته صاح عنتر قد دوى له الجبل وشيبوب يطردها وهو يصيح فى أعقابها وغبارها قد ملأ القفار فقالوا هذا جيش كبير ثم أنهم قاتلوا ساعة واحدة حتى تبطنوا فى البرارى والقفار وطلبوا الأهل والديار واجتمع عنتر ومقرى الوحش وعروة بن الورد وهنوا بعضهم البعض بالسلامة ثم أنهم جمعوا الخيل والأسلاب وساروا خلف بنى عبس إلى أن قاربوا الجيش عند انبساط الشمس ففرحوا بالقرب من الأحباب فلما قاربوا أصحابهم اعتد بنو عبس للحرب فالتفت عنتر فرأى عمارة وهو يجر رمحه أمامه قال الراوى فلما نظر عروة فقال لعنتر يا أبا الفوارس انظر هذا صديقك ورفيك الأمير عمارة قد أتى فى أوائل الخيل لان قومه ظنوا أننا أعداهم فدعنى حتى اقتل جواده وإذا نظم الامر أقول لهم نحن كنا فى مزاح وأعرفهم بنفسى فقال له عنتر لا يا أبا الابيض لا تفعل

ذلك لأن عمارة لايعرف مزاح وأيضا أن قومنا على خوف وخيل وتخاف أن تعظم الأشياء معكم مع حماقته وكراهته لنا وإذا أنت قتلت جواده تحمل عليك أخوته أنهم لايرجعوا بسمعوا كلامك فقال له يا أبا الفوارس إذا عرفته نفسه كشفت عن وجهى اللثام وإذا رأيت الامر قد تعسر فيها بعدردنى أنت ياعنتر فقال له عنتر أفعال يا أبا الأبيض مابدالك فزعق عروة بن الورد وقال ياابن الأنذال أبشر بقرب الأجل واستعدوا الحرب فقد تبعتكم فرسان اليمن بعد قتل عبدكم عنتر وأصحابه الذين كنتم تعتمدون عليه ثم أنه أستقبل عمارة صاح فيه وأذهله وطعن حصانه قتله ومن على ظهره نكسه فلما أن رآه أخوته قد وقع حملوا من كل جانب وأسهروا القنا والقواضب بعدما خرقوا الثياب وأرخو العمائم فى الرقاب ونادوا يا أسفاه عليك ياوهاب لوأنهم طلبوا عروة ومدوا عليه عوامل الرماح واضطربت بنو عبس ورجعوا على حس الصياح ورجع الملك قيس فى جميع الفرسان وكذلك الملك عمرو وقد أهتز الربا لشجعان وتزاعقت الفرسان فقال عنتر لمقرى الوحش هذا الحساب حسبته لأن قومنا على خيفه وقد أزعجناهم ثم أنه سل حسامه وزعق فى الجيش وكذلك فعل مقرى الوحش ومازال الاثنان كذلك يردوا الخيل حتى أنهم كشفوا عن عروة الفرسان وصار عنتر بصيح يابنى الأعمام كفوا أيديكم وأعلموا أن هذا الأمير عروة مافعل ذلك إلا أنه يمازح الأمير عمارة قال الراوى وكان عمارة قد جرد سيفه لما رأى أخوته من حواليه وجعل يحمل على عروة بن الورد فمنعه بنو عبس عن ذلك وقالوا هذا صديقك ورفيقك عروة وما أراد معك إلا المزاح فقال لهم والله يابنى الأعمام ماأرادعروة إلا هلاكى ولولا فى أجلى تأخير لكنت فى الحفرة سائر ولايدلى من أخذ الثار منه فصعب ذلك على قيس بن زهير وخاف من إثارة الفتن فقال له الملك عمرو بن هند والله ياقيس مكانك بين العرب مشهور ولا عليك هيبه ملك ولا وقار فقال له والله يامالك لقد عجزت من هذه الطائفتين ولم ينتهوا عن بعضهم البعض حتى يصيروا حديثا لأهل الأرض وأنا أعلم أن هذه الفتنة من عنتر بن شداد وأيضا أنه حرض عروة قال الراوى فلما نظر وسمع الملك قيس هذا الكلام اشتد غضبه على عروة بن الورد وعنتر وأيضا أنه كان استحى من الملك عمرو بن هند أخو النعمان أن يصير عنده فى النقصان فعند ذلك التفت إلى عنتر بن شداد وقال له أن هذه الدماء التى ثارت بيننا وبين وبين العربان من قديم وجديد أنت الذى كنت فيهم السبب ولولم يدركنا أخو الملك النعمان فما كانت أهل اليمن تركت منا أنسان وأنت ترى نفسك بالمحل العظيم

وانت ترى نفسك بالمحل العظيم لانك تقول انك فارس شجاع وقرم مناع وانا اعلم انك اتيت معنا إلى ديار بنى عامر وكلاب جددت بيننا الدماء بحماقتك والصواب يا ابن شداد انك تدبر نفسك كيف تشاء وتبعدنا انا وانت ومن ارادك من الرفاق وتأخذ اموالك وسائر اصحابك فلولا مالك علينا من الخدمة القديمة ورعيك جمالك لكنت جعلتك فى القيود والاصفاد وتركتك ترعى النوق والجمال حتى تموت مكمودا مقهورا وذلك لاجل آخرافك بالامير عمارة بن زياد وخرق حرمته بين الاصحاب لان الامير عمارة اراحنا من شيخ العرب دريد الصمة (قال الراوى) فلما سمع الامير عنتر بن شداد الكلام المعنى حيث سمع بذكر دريد بن الصمة فقال له هذى اخلاقك يا ملك لو كنت انت ارسلت لى مع بعض العبيد ولا كنت سمعتينى هذا الكلام الشنيع الذى لا يفيد ولو انت وابوك الملك زهير ما ارتفع عند الناس قدرى ولا شاع فى جميع الآفاق ذكرى ولكن يا ملك انا ارحل وانت ايها الملك وعمارة واخوته فى فريق لاجل ان ينشرح بذلك صدرك تستريح من معادات العربان ببعدى عنك ايها المنضان وبهذا اخاطرك ثم بعد ذلك الوى عنان جواده الابجر إلى الطعن وامر اخاه شيبوب ان يقطع عيلة من المحامل ويلووا رؤسها على المسير ففعلت العبيد ما امر وفى دون ساعه اختلفت بنو عبس وعنتر فعل مقرى الوحش زوجته مسيكة مثل فعل عنتر وابوه شداد وايضا اعمامه واصحابه وباقى بنى قراد وقوم عروة بن الورد وجماعته وابو مسيكة من تيمه وصار عنتر نحو عن اربعمائة وخمسين فارسا كرار فقال مقرى الوحش العنتر يا ابا الفوارس ما فى نيتك ان تفعل بهؤلاء القوم المناحيس كم تحسن اليهم وهم يؤسون عليك وانى وذمة العرب لولا اخاف النته ويشعل قلبك لاقتلن عمارة بن زيادة واخاه الربيع النكيا دوبنى زياد واذ تكلم الملك قيس خرقت به غاية الاكراه وضربت بهذا الحسام والفصال وجعلته اول مقتول وهو صريع ولكن سوف يندمون يا ابا الفوارس تحتاجوه ثم جود ثم قال يا ابا الفوارس هان عليك الامر وانت ما مرادك الدنيا الا عيلة وانا قد اخترتك على جميع اهلى واصحابى واينما سرت فنحن تتبعك بين ايدينا واسعو سيفك قاطع ورمحك خارق فقال عنتر بعد ما شكره واثنى عليه والله يا فارس البيداء لو فعل الملك قيس اضعاف ذلك ما اخالفه لانى عبده وعبد ابيه من قبله وما بقى يا مقرى الوحش الا على جبل فمانهو صار وزمانى قضيته بركوب الاخطار والمطامع وبعد ذلك سمع كلام عمارة والربيع (قال الراوى) فتعجب مقرى الوحش من حلم عنتر على قومه وكرم أصله وعلم انه لو اراد اشمت شماتهم

وابل بنى زياد بالشتات فزاد فيه محبة فى العشيرة وقال لوكان فى الزمان انصاف ما كان هذا الفارس إلا ملكا من الملوك المشهورة أصحاب الرتب هذا وقد شاع فرق عنتر من بنى عبس فى سائر البقاع قال اليه كل بطل شجاع ومابقى فى العشيرة غير كل جبان يكره القراع والذى تبع عنتر فرسان جليلة كل فارس منهم يقال أنه يلقى قبيلة فيه سوى عروة ورجاله ومامعه من بنى غطفان وسار الملك قيس وفرحت ببعد عنتر بنو زياد فعند ذلك قال عمرو بن هند للملك قيس بن زهير من خلقه مثل أخى الملك النعمان يهين نفسه لعبد لاقدر له ولاشأن من عبيد العربان فقال قيس باملك ماكان لى به حاجة وإنما كنا نرعاه لأجل وصية أبى الملك زهير فى حالة حياته فسار يتجار أعلى الفرسان والسادات ولايهاب أصحاب النسب والعزمات وأنه مر يوما ودخل على بنت عمه عبله ووقعت فى خاطره وذكرته الناس بالفروسية والرشاقة والآن فقد طردناه لقرب أجله لأن العربان كلها أصبحت أعداءه وإذا سمعوا أننا قد طرناه طلبوه من سائر الأقطار فيعود اليباوهو أقل من كلب زوبار (قال الراوى) ومازالوا سائرين أيام وليالى تمام حتى أنهم قاربوا ديار بنى عامر وعنى وكلاب فقال عمرو بن هند انزلوا ههنا حتى أننى أتقدم وأنظر ماتجدد من أمر اخى الملك النعمان وهل أرسل جوابا إلى بنى عامر كما قال أم لا فقال الملك قيس أفعل مابدا لك فما أحد فينا يخالفك مقالك وافعل مافيه الصواب فسار فى خمسمائة فارس إلى أن وصل إلى ديار بنى عامر وعنى وكلاب فركبت اليه سائر فرسان القبائل والعشائر وساروا حتى أنهم قد عرفوه فترجلوا إليه وتقدم إليه عامر بن الطفيل فارس الخيل وتقدم اليه عشم بن مالك ملاعب الاسنة ورداد الأعنة وسيد القوم الاخوص بن جعفر وهنوه بالسلامة فقال لهم الملك عمرا أنى أتيت فبنى عبس من بلاد اليمن وقد يركبهم خافى لانظر بأوون اليه ويجعلونه لهم منزلا فما أتاكم رسول يعلمكم بهذا الشأن فقال الاخوص بن جعفر أتى رسول من عند الملك النعمان وهو يقول لنا أنى نفذت خلف بنى عبس انزلهم فى دياركم وأريد منكم أن تزيلوا الحقود القديمة ثم قالوا نحن أيها الملك متفكرون فى هذه القضية من حين ما أتانا كتاب الملك النعمان وانت تعلم ايها الملك هؤلاء القوم قد تحملوا دم اهل اليمن ولالهم فى هذه الأرض صاحب وقد اتفق راينا ان نخلى لهم ديارنا لأجل سؤال النعمان ولم يبق لهم علينا ملام وانت تعلم ايها السيد الهمام ان عنتر قد نشا اسمه فى جميع الأقطار ولأجل سؤال النعمان تحفظهم من العدا والحساد وإذا جاء لهم احد من اهل اليمن يريدون

قتالهم نساعدهم ونقاتل معهم وأما أهل الحجاز فما تقدر تقاومهم لأن إلسابنا بالملك متصلة بهم هذا أن كفينا شر عبدهم عنتر فقال لهم عمرو اعلموا أن عنتر قد طرده قومه وابغضوه وابعدوه والملك قيس طرده أيضا وأن عاده إليهم عنترقتلوه وأما قولكم أن العرب تطلبهم فهذه حجة لانسمعها لأن أخى النعمان منهم وهم اصهاره على كل حال ولا يقدر أحد يذكرهم لابشفة ولا بلسان فيكون أخى خصمه والسلام وأنه يخرب أوطانه ثم أنه حدثهم بحديث طرد عنتر ففرح به بنو عامر وعلموا أن بنى عبس بعد عنتر تذل واتها تدخل تحت طاعتهم فعاهدهم أخو الملك على أنهم يكونون لبنى عبس أعوان وجيران ويكفون عنهم أذية من يقصدهم من شياطين العربان فأجابوه إلى ذلك الشأن واضافوه ثلاثة أيام وعاد إلى بنى عبس واخبرهم بما جرى له فقالوا نحن ما نريد منهم معاونة ثم رحلوا إلى جذع الطوف واجتمع سادات القبيلتين وجددوا لبعضهم الولائم ومضت لهم أيام كلها أعياد ومواسم وقد جدد الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان بينهم العهد والميثاق وبعدها طلب المسير إلى أرض العراق فركب لوداعه من كل قبيلة جماعة ولما أن عادوا إلى مواطنهم وجدوا بنى عامر قومهم فى حديث بنى عبس واكثروا فى وصف ما معهم من الأموال فقال الأخوص بن جعفر ياقوم دعونا من ذكر النوق فانه بلغنى خبر ان بنى عبس عند عودتهم من بلاد البمر قتلوا شيخ العرب دريد واخاه وسبيع بن الحارث قاتلهم يوما كاملا ونجا بنفسه فانا لو كنت سمعت هذا الحديث ما كنت انزلتهم هنا فقال ملاعب الأسنه والله إن كان هذا جرى لايترك سبيع من بنى عبس ديار ولا من ينفخ النار وهذا امر لابد منه ونحن ماضمنا لهم المعاونة إلا على اهل اليمن فقال عامر بن الطفيل ياوجوه العرب لابدلى ان ابعث عبيدى يكشفون لنا اخبار عنتر وينظرونه ابن نازل حتى اسعى إليه واقطع اثره لأنه اسرنى وانا صغير فلما بلغت هذه المنزلة بقيت متأسفا الذى ما اخذت ثارى منه فقال ملاعب الاسنة ان القوم ياعامر مالهم فى جوارنا مدة فاصبر فان سبيع مايسكت عنهم ولا بد مايجمع عليهم العرب فقال عامر فقال عامر ماقلت إلا الصواب لأننا نعلم ان بنى عبس هالكة على التحقيق قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من ابى الفوارس فانه لما فارق قومه وجرى خلا بنفسه وتفكر ما جرى عليه فاشار يقول .

رمتنى صروف بالجور والغدرى ومن ذا الذى فى الناس خال من الكدر
وكم قد اتبنى نكبة بعد نكبة ففرجتها عنى ولم يمسنى ضرر

أيادهر لا تبغى على فان لى دموعا تجرى كما النهر
ولو بان لى شخص الحمام تركته كامس تولى إلا يبين له أثرى
إذا صاغنى الرحمن ضدا لمن طغى ودانت لى الدنيا وشاع لكم ذكرى
ولا سنانى والحسام وهمتى لما ذكرت عبس ولا نالها فخر
بنيت لهم فى المجد بيتا من العلى يعلو على الجوزاء والفرع والنسر
وكم لى عتيق من حسامى عتقته بأن ليس يحصيه بعد ولا حصر
ويعد منال واستشهار ورفعه وسير وتجد يعاندنى دهرى
ولما رحلنا اليوم أسلمت قصتى إلى من له الحكم بالنهى والأمر
ستذكرنى قومى إذا جد جدهم وفى الليلة الظلماء مفتقد البدر
يعيبون لونى بالسواد سفاهة ولولا سواد الليل ماطلع البحر
وأن كان لونى أسود ففعائلى بيض وكفى أسخى من القطر
محوت بذكرى من كان قد مضى فسدت فلا زيد يقال ولا عمر

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره التفت إلى أخيه شيبوب وقال له أما تعرف لنا مكانا فقال له نعم اعرف منزلا فى هذا البر إلا فقر بعيدا عن الجوار ولكن يخشى علينا من طوارق الليل والنهار فقال له عنتر نحن لا تخشى من كل جنى وشيطان وجبار ولا من سائر البرارى والقيار مر بنا وخل البر ينفخ علينا من كل جنى وشيطان النار فلو أنى أخاف من من جن سليمان ماركبت على ظهر حصان فقال شيبوب أعلم يا أخى أن يميننا ثنية بنى غيلم وتحتها أرض تسع مثلنا أمم وفيها شعاب ومياه سباحة ومروج وأزهار وعيون وأنهار وأطيار وغزلان ترعى فلما سمع عنتر من أخاه أمر العبيد أن يسوقوا النوق والجمال وتبعتها الرجال الاقيال وشداد يتحدث بما جرى لهم فى عودتهم من بلاد اليمن مع سبيع بن الحارث وكيف كسر العساكر وحده قتل عمارة دريد بن الصمة فقال عنتر صدقت فلا جل هذا أنتفش سباله وفعل معنا من أجله قيس ذلك الشأن والآن قد كان لك ما كان ونحن قد انفردنا عن القوم وأنا من له البقاء والدوام أن يغنيهم عنا بعماره بن زياد وكيف عمارة يقتل دريد أو هذا من العجب العجاب ولكن الاجل يأتى على أهون الاسباب وأما قتال سبيع لكم يوما كلا ملا فما هو كثير لأنه فارس شهير وبأمور الحرب خبير فقال لهم عمرو أخو عبلة والله يا ابن العم أنى ساهدت له حملات هائلات وطعنات ثائرات ماشاهدت مثلها إلا لك أفعاله تشبه أفعالك فقال له عنتر صدقت ياعمرو من كون الأرض ولادة الأوقات لما

سعادة والأيام تأتي بالعجائب ولكن ما يبان الافتخار إلا عند المعاينة والاختيار وإذا اجتمعت أنا وذو الخمار يعلم الفارس الكرار من الجبان الفرار ومازالوا سائرين وعنتر يتحدث بمثل ذلك حتى أنهم وصلوا إلى ثنية بني غيلم وبانت لهم الأرض والنعم فرأوا أرضا منقطعة عن العمار والعمران بعيد العهد من سكان فقال عروة والله ماهذه قريبة ولا بعيد ثم أنهم نزلوا هناك وضربوا الخيام وعولوا على الانقطاع قال الراوي وكان مقرى الوحش قد صعب عليه فعل بني عبس بعنتر وسار يشكو لعروة بن الورد ويقول له أنا عولت أن أنفذ بعض العبيد إلى بني عبس لاعلم في أي المنازل نزلوا وأسير اليهم وآخذ نوقهم وجمالهم وأذل فرسانهم ولا التفت إلى أحد من البشر ولا اسمع كلام عنتر فقال له عروة افعل ماتريد وأنا أنفذ جماعة من الرجال وهم رجال من غير علم عنتر وأنا أساعدك على ماتريد وافعل مايبدالك وأن وقع عماره في يدي سقيته كاس المنية واترك مع بني زياد عداوة أصليه فلما سمع مقرى الوحش كلام عروة اشتد عزمه ونفذ عبدا إلى ديار بني عامر وأمره أن لايعود إلا بالأخبار فاجابه العبد بالطاعة وساعة العبد كما أمره مولاه فما غاب أكثر من يومين حتى عاد فقال له مقرى الوحش ما الذي أدركته فقال له يامولاي بنو عبس نزلوا في جزع الطوائف وأما انتم فاحذروا لأنفسكم وخذوا حذركم من قوم كثير بن الجواد قليلين الانصاف لأنني لما سرت فمت ذلك اليوم سائرا إلى أن لقيت عبدا من عبيد بني عبيد بني عامر فلما رآني تقدمت اليه وسلمت عليه فرد السلام وسالني عن حالي ومن أي الاماكن أنت فقلت له أنا من بني هوزان وقد أنفذني مولاي ذو الخمار سبيع بن الحارث أكشف له عن بني عبس الأخبار حتى يسير اليهم ويأخذ لدريد وأخوه عبد الله منهم بالثار ولي غائب مدة أيام أدور الراوبي حتى وقعت بفرقة منهم مع عنتر بن شداد وهي أربعمائة فارس وخمسون صناديد فقلت في نفسي ما أعود حتى اعلم أخبار الباقين وكنت سألت بعض العبيد عن سائر القبيد فذكر وأنها في ديار بني عامر وقلت له لو لم تكن عبدا مثلي ماذكرت لك ذلك ولا أطلعتك على هذة الحالة فلما أن سمع العبد مني هذا الكلام قال لي ابشر يامولد العرب بقرب الطريق وراحتك من التعب والتعويق أن بني عبس نزول في جزع الطوائف وفي أي المنازل عنتر المزل فقلت له حول ثنية بني غيلم فما تريد منه فقال لي اعلم أبي عبيد بني عامر ومولاي عامر بن الطفيل فارس الخيل وهو الذي انفذني آخذ له أخبار هذا العبد ولد الزنا حتى يرسل له الخيل ويسير اليه ويبلغ منه

المنى والرأى عندى أن تعود إلى مولاك وتعلمه بهذه الأخبار وتقول له بنو عبس نزلوا بجزوع الطوائف وإن عدد فرسانهم ثلاثة آلاف فارس وأن بنى عامر ما نزلوهم فى أرضهم إلا لسؤال الملك النعمان فيهم بعد ما شرطوا عليهم أنهم لا يعينوهم على عرب الحجاز وسكان تلك المنازل تمكنوا من شرب دمائهم لقطعوهم وأهلكوهم فاقصدوهم وخذوا ثأركم من رجالهم واسبوا نساءهم وأطفالهم وهذا الذى سمعته من عبد بنى عامر وها أنا عدت اليك لتدبر ما ترى (قال الراوى) فلما سمع مقرى الوحش ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال والله لولم يخطر لى هذا الخاطر لكان دهمنا بنو عامر وهذا الخبر لا أبقى كتمانه عنتر ثم أنه قام وأتى لى عنتر وقص القصة عليه فصارت عيناه مثل الظلام وقال ما بنو عبس فعلى فرسانهم ونساؤهم أخبروا امانحن فيجب علينا أن نحترز لأنفسنا وإذا وصل الينا عامر الطفيل قابلناه على فعاله فقال عروة بن الورد إذا كان الأمر مثل ذلك فرتبوا الحرس كل ليلة خمس فوارس فقال شيبوب ناموا أنتم ولا تغيروا ما كنتم عليه فانى أبعد عنكم يومين أو ثلاثة أيام فتقى لكم الآثار وأرصدوا الأعادى على بعد من الديار فاذا رأيتم قربوا منكم عدت اليكم ودبرتكم لشىء يعود نفعه عليكم لأنهم إن كانوا عزموا على كبسكم وقصدهم يحوطون بالخيل خرجنا على أعلى هذه الثنية بالعيال ونترك المنازل خالية ولا نعارضهم حتى ينزلوا فى بطن هذه الثنية ونطبق عليهم من كل فقال مقرى الوحش وذمة العرب لقد نطقت ياشيبوب بالرأى السديد والقول المفيد ثم أنهم أقاموا على مثل ذلك يدبرون ما ذكرنا من المقال وقالوا إن كانوا يريدون القتال بالنهار يأتونا لهؤلاء وأما ما كان من عبد عامر الطفيل فانه وصل إلى مولاه وأخبره ان عنتر نازل فى ثنية بنى غيلم ففرح بذلك وانشرح ثم جمع من أصحاب العشيرة سبعمائة فارس من كل ليث عارس بالخيول العربية والسيوف الهندية وأخبرهم بما عول عليه ففرحوا كلهم برأيه وأعلم بذلك أن خالته ملاعب الأسنة فقال هذا هو صواب ولكن اصبر ودعنا ننظر من يتعرض لهم من الشجعان وترى ما يفعل فى حقهم الملك النعمان فقال عامر أن هذه القبيلة قد دنا منها الهلاك وأول من يبادر إلى المعنى حتى يصير الذكر لى فقال له ملاعب الاسنة ياعامر لا تفعل فانى أخاف عليك أن يظفر بك عنتر ويعظم الأمر وربما احتجنا إلى بذلك أخفاء أمره ويعلم أن استعداد له صار يعلل نفسه بالظفر حتى فارق قومه وقرب من الثنية التى التجأ اليها عنتر وعاينه شيبوب وصـــاح الخبر فسار بقية يومه الذى كان رآهم فيه وقصد عنتر وأعلمه بما شاهده من الخبر فجمع

عنتر رجاله وقال لهم يا بنى عمى الرأى عندى أن ترفعوا العيال إلى رأس هذا العلم حتى تسكن قلوبنا عليهم مطمئنة ففعلوا ذلك وما أتى آخر النهار حتى فرغوا من أمر العيال وانجزت الاشغال فقسم القوم ثلاثة أقسام وقدم على كل فرقة فارساهمام وكان مقرى الوحش فى فرقة وشداد فى فرقة ثانية ومعه عروة وتقدم هو فى الفرقة الثالثة كانة المصيبة الحادثة ثم قال لى بنى عمى هذا الليل قد أقبل وبعد ساعة تكبسكم الأعداء فاطلبوا عرض البيداء وخلوا الخيام خالية ولا تخرجوا حتى تروهم فى وسط الأطناب فخذوهم وأدهموهم بالصياح لكن يا بنى الأعمام أقبلوا منى ما به أشير وهو أنى أريد كل واحد يقلع سنان رمحه ويركبه على قربوس سرجه فاذا خرجتم أوهموهم بالطعن وخذوهم أسارى فقال عروة يا أبا الفوارس هذه وصية ما نقبلها فكيف يطلبون سفك دمائنا وأخذ أموالنا وتعفوا عنهم ولا بد لنا أن نقاتلهم فقال مقرى الوحش دعنا نشتفى من هؤلاء الكلاب الذين أتونا لهذه الرحاب فقال عنتر بالله يا بنى الأعمام هذا يورث الخصام ولا تؤاخذوهم بما فعلوا وما زالوا على ذلك حتى انفصل الأمر على أنهم يخرجون اليهم بلا أسنه الرماح وإذا رأوا منهم غلبة يردونها إلى رماحهم ثم تفرقوا على الأماكن وما لبثوا أكثر من ساعة حتى قدمت الخيل كانها الظلال فهجموا على الخيام ونادوا يادوابا ولاد اللئام فما أجابهم أحد فقال عامر أن القوم حسبوا حسابنا ونصبوا لنا فخا يريدون هلا كنا فبينماهم فى الكلام والصياح أخذهم من كل جانب وأقبلت بنو عبس تنادى يا بنى عامر ما بقى لكم ملجا يا كلاب العرب وتساحبت عليهم الكمناء فاحتاروا ولا بقى أحد يعقل على أحد واحتاطت بهم بنو عبس من جميع الجهات ورماهم العبيد بحجارة مثل قطع الحديد وما زال الأمر فى تكذيب وتصديق حتى ظهر عنتر وزعق يا أولاد اللئام عبيد انجاد كرام أما تعلمون أنى عنتر البطل الهمام فسمع بنو عامر صوته مع الهيبة التى وقعت لهم منه فانقطع منهم الرجاء وضاقت فى وجوههم البيداء وما بقى يسمع للمنادى نداء ولا خطاب بل انهملت سيول الدماء على التراب وعامر بن الطفيل يحمل تارة يمينا وتارة شمالا وقد أخفاتهم الزعقات من سائر الجهات فطلب من قومه قضاء الاشغال وقد رأى بنو عبس يقاتلونهم بلا أسنة فعلم عامر ابن الطفيل أنهم ما خطر والبنى عبس على بال وإلا كانوا قاتلاهم بالاسنه والنزال وما زالوا على ذلك حتى بدت غرة الصباح وهم فى حرب وطعن وبعد وقرب حتى كانت بنو عامر وبانت عليهم الخسائر والناس فى صدام والزام وتجريع الموت بالحسام حتى تعبت

الخيل والبهائم وقربوا الموت سائم فبينما عامر بن الطفيل فى أشد الجلاد وإذا التقى به الأمير شداد بن قراد وتقاتل معه إلى أن أتعبه فاراد عامر أن يأسره وإذا بزعقة أرعبت الاثنين وفرقتهما من بعض فالتفت عامر لينظر من زعق هذه الزعقة وإذا به فارس شديد البطش فقال له عامر من تكون ياجبان فقال له أنا القرى الوحش قال دونك القتال والطعن والنزال فما هذا الحال فتجالد معه أشد جلاد فبينماهم كذلك إذا بصرخة قلقلت الجبال والأودية والتلال فغشى على الأبطال من هذه الصرخة وقد نظر الفرسان لمن زعق هذه الزعقة وإذ به ميتم الأولاد ومخرب البلاد عنتر بن شداد فلما رأى مقرى الوحش قال أعوذ برب الكعبة من هذة الزعقة فبينما مقرى الوحش ينظر إلى عنتر وإذا به أنطبق على عامر بن الطفيل وضربه بعقب الرمح قلبه من غير اكتراث ولاخوف ولافزع فتقدم جرير أخيه وقال لاباس عليك ياحامى بنى عامر وشدة كتاف ومن بعده. قع على قومه العذاب والتلاف وقد طرح عنتر فى ساعة منهم سبعين فارسا وتركهم ممدين فبينماهم كذلك إذا بمنادى ينادى يابنى عامر عن من تقاتلون وفارسكم ابن الطفيل قد أندرس تحت أرجل الخيل فلما سمعت بنو عامر هذا النداء نادوا عن آخرهم بلسان واحد أرفعوا عنا السيف كى نعود إلى ديارنا والذى قد بغى علينا لقى بغية فلما سمعت بنو عبس ذلك أخرجوهم إلى وراء الجبال وصار الرفيق لايلتفت إلى الرفيق والطعن فى ظهودهم أمر من نار الحريق وما طلع النهار حتى ولت بنو عامر الآدبار ولابقى منهم ديار وعادت بنو عبس لم الأسلاب وعامر ينظر ذلك وعيناه تدمعان من شدة الخوف وجمعوا الأسار فراوهم مائتين عرضوهم على عنتر بن شداد فاشتفى قلبه منهم وكان من جملتهم عامر بن الطفيل فعاتبه عنتر بن شداد وقال ويلك ما الذى بلغك من ذليا حتى أتيت حربنا ما بلغك ماجرى لنا فى بلاد اليمن حتى اتبعت نفسك وجئت إلى ها هنا فقال عامر يا أبا الفوارس ها نحن بين يديك افعل بنا ما تريد فقال عنتر يا غلام لو اردنا ان نقابلكم على فعالكم القباح ما كنا عندقتنا لكم لنا قلعنا اسنة الرماح ولاكنا نسامحكم إذا اعتذرتم راقررتم الخطأ وان كنتم قد اتيتم تحاربونا بشفار السيوف فنحن نعفو عنكم لأجل اهلنا عندكم ضيوف قال الراوى وبعد ذلك قال عنتر لأخيه شيبوب حلهم من الاعتقال وقل للعبيد يروجو لهم الطعام ففعل شيبوب ذلك وحل الجميع ورد عليهم خيولهم وسلاحهم فعند ذلك تقدم عامر بن الطفيل إلى عنتر قال له يا أبا الفوارس والله ما كان زاد ولا طعام إن لم تبلغنى المرام فقال عنتر قل

ما تريد ياغلام فقال له يا أبا الفوارس تمهل حتى أركب جوادي وأتناول عدة جلادي وأحمل على وأنا أحمل عليك وتجارب أنا ومقدار ساعة من النهار ولا نفترق عن بعضنا البعض حتى تشهد الفرسان الغالب الكرار لأن نفسي تأبى الذل وأنا لم أطاوعها على ما تشتهي في الكل فلما سمع ذلك قال له دونك وما طلبت فركب الاثنان على الجوادين وتجالد أشد الجلاد وأظهر الزبد على أشداق عنتر بن شداد وهجم على عامر بن الطفيل فلما رأى ذلك عامر رمى الرمح من يده وترجل وأقبل في عاجل الحال إلى الأمير عنتر وأعتنقه وقبل عارضيه وباس في الركاب قدميه وقال له يا أبا الفوارس غرق جهل في بحر حلمك قد عفوت عنى بكرمك وأصلك وأريد من أحسانك وفضلك أنك تسير معى من هذا المكان إلى مكاني وربعي لان لى أرضا واسعة ومراعى شاسعة وقد حميتها بهمتي ولا أحد يقربها من هيبتي ولا ينزل فيها أحد بغير ارادتي وأشتهي من أحسانك وفضلك وأمتنانك أن ترحل وتنزل فيها من بعد ما أشهد على أهل عشيرتي انها لك وإني نزلت عنها لك وانك اخذتها بسيفك وملكها لما اسرتني فديت نفسي بها وهذا كله يا حامية عبس رفعة لجاهك وعلو القدرك لأني لو شالتك المسير معى قبل قتالك كنت تأبى ذلك ولا ترضى لنفسك ان تكون نزيل احد لا بيض ولا اسد والان ما اخذتها إلا بسيفك والسنان ياسيد جميع الفرسان وان لم ترحل معي من هذه الأرض والمقاطع الخراب والا آكل لك طعاما وحق رب الأرباب قال فلما سمع عنتر هذا الخطاب استحى من فرسان الأعراب وقال ياعر لقد اقسمت على بقسم عظيم حتى تريدان تكلفني أمرا جسيما من وجوه شتى الأول انى ما كان في نيتى قرب بنى عبس والثانى اخاف من قومك إذا هم راونى يتذكرون الدم القديم ويسير بيننا الحرب ويصير الأمر صعب فقال عامر ما هذا المقال ومن فى قومى يخالفنى فى حال من الأحوال او يجردنى وجهى سيفا او نصال وانا ما بقى لى عن مفارقتك اصطبار فدع عنك الاحتجاج وارحل من هذه البرارى والفجاج وما زال معه حتى انعم واجاب بعد ماشاور من معه من الاصحاب فقال له ابوه شداد والله ياولدى هذا الامير ما يفرط فيه سيد قبيلته وفارس عشيرته وان كنت تخشى معيرة بنى عبس انك عدت طالب قربهم لحجتك فى هذه واضحة لانك سرت إلى ارض ملكتها بسيفك واختها فدية اسيرك وصاحبها رضى ان يكون نزيلك وباقى بنى عبس فقد سل فيهم قال ثم انهم عادوا إلى الخيام وقدراح الطعام وراق المدام فاكلوا مع بنى عامر وشربوا وأكرم عنتر عامر واجلسه بجانبه وتركه نديمه وصاحبه واعرض عليه امواله وساله

قبولها وأن تكون من بعض هداياه ومواهبه فقال لا وحق المتعال ماقبلت من هداياك عقال ولا نوقا ولا جمال لاننا جميعا سائرون وفي أرض واحدة نازلون وأموالنا ببعضها تخلط ولم يبق بيننا غلط وأنا أخترتك عن أهـلي وعشيرتي وحكمتك في أموالي ومهجتي قال ولم يزلوا على مثل ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الله بالصبح وركبوا جميعا وساروا طالبين أهلهم هذا ماجرى لهؤلاء من لامر والشأن وأما ما كان من بني عامر فان الخبر وصل اليهم أن عنتر أسر حاميتهم فقامت عليهم القيامة ووصل الخبر إن كنشة أم عامر فنالها من ذلك عظيم وفزعت على ولدها من القتل والهوان وعلمت أن عنتر ما بقي عليه مثل مافعل سابقا في غيره من الفرسان فاقلبت لابن اختها غشيم بن مالك وشكت أمرها اليه فقال لها طيبي نفسا ولا يأخذك من هذا الأمر خوف ولا فزع ومن هو هذا الأسود الزنيم حتى يتجرأ على أمراء العرب وها أنا الساعة أرسل اليه فان لم يطلقه فانا أعلم أن الفتنة تقع بيني وبين بني عبس ولا أخلي منهم لا فطيم ولا رضيع واعرفه أن حاميه قبيلتنا عامر بن الطفيل كان قد غزا أرض اليمن في جماعة من الفرسان فوقع به عبد شداد في الليل كاثره بالرجال والخيل وأخذه أسيرا ونبدى عذرنا عنده على كل حال وارسل إلى قيس قبل كل شيء بهذا المقال فاذا انفذ إلى عبده وخلص حامتينا من يده فقد استرحنا من القتال والحرب ثم طيب قلبها وصرفها وأقام يوما وليلة وكل ماهم أن يسير إلى قيس فتعز عليه نفسه ويابى المذلة والهوان ورضى بالتعلل والمحال حتى وصل عامر وعنتر وعلم بنو عامر بصحة الخبر فركبوا إلى لقائه وبشروا أمه بسلامته هذا وعامر قد أنفذ الخيل التي كانت بصحبته وأمرهم يحكموا عنتر في الأرض طولا وعرضا وذهب إلى بني عمه وعشيرته ليشرح لهم قصته فقال له ابن خالته ياعامر نحن كنا سائرين اليك لان المنهزمين أخبرونا أن عبد بني عبس قد أسرك وتراك عدت سالما وقد حضر معك فقال عامر ياغشيم إن كان عنتر عندك عبدا فهو لي مولى لانه ملكني مرتين اعتقني وقد وهبته أموالي وأرضي وجعلته من الدنيا حظي ثم حدثه بما جرى له من الأمور والأحوال ووصف له مكارم عنتر البطل الريبال وقال من كان يحبني من عبد ومن حر فلا يرجع له قلب ولا يضيق له صدر قال ولما انتهى إلى آخر حديثه ومقاله تعجب جميع رجاله وأبطاله وعشيرته من حسن وفائه ومودته وأما ملاعب الاسنة فانه قال وقد آلم قلبه هذا المقال ويلك ياعامر ماهذه الفعال أترضى لنفسك أن تقول فرسان العرب الاجواد

حامية بنى عامر أسره عنتر بن شداد وماقدر قومه على خلاصه حتى بذلوا فيه أرضهم ومراعيهم وماقدروا على ملاقاته فقال عامر نعم وإن كان عنتر قد اسرنى فقد أسر من هو أعلى منى قدرا وشانا وارفع مكان وأذل فى هذه المرة ملوك اليمن وأبطالها وان أدعيت أنى ألاقيه فى الحرب كاذبا والكذب أكبر عيب فى الإنسان وقد رأيت من كرم نفسه وطيب أصله وشجاعته مارأيت مثله من بشر مع مارأيت أنت من شجاعتى التى لاتحتاج معها إلى خبر وان كنت تقول له نسب فان نسبه حسن فعله وأدبه وأنا قد راضيته لى معينا وصاحبنا فى الشدائد والنوائب ياقوم ماهو الذى قال فى حقه مالك بن مواثب حيث يقول

يروعك فى الميدان منه المضرب	همام شجاع فى الحروب مجرب
وماشرف عبسا ولاغطفان غيره	وكان له بين القبايل منصب
وماغلبت عبسا لفرسان عصرها	إلا لان تدعى لإليه وتنسب
شجاع فلولا جـــده وجلاده	وصولته فى المجد ما كان يرهب
بنى لنـا دار الشجاعة منزلا	عليه راوق العز وهو المطنب
وإن مقالى لهو صدق ولم أزال	على هذه الاحوال لا أتكذب

قال ومازال عامر يصف لقومه ماابصر فى عنتر من المناقب حتى اجابوه وسارا جميعا إلى عنتر وخدموه وعرضوا أموالهم بين يديه وأثنوا عليه وفضلوه وفى قبولها سالوه فقال والله ياوجوه العرب أن عامر أغنانى عن كل قاص ودان لانـــه زآنى شريدا طريدا فاكرمنى وسمح بمالايسمح به لسانى قال ولم يزل عنتر يصف عامرا ويشكر مكارمه حتى تحيرت قومه من حسن ادبه وفصاحة لسانه وتعجبوا من عذوبة كلامه وفوه جنانه قال ولما كان من الغد صنع عامر وليمة واحضر فيها سادات بنى عامر ووجوه القبائل والشائرفا كلت الرجال الكرام ودارت عليهم أقداح لاطام قال فلما شربوا وسكروا وطربوا وأخذت بعقولهم الخمر ودار قكلام بينهم قام عامر على الاقدام ووقف بين السادات الكرام واعترف لعنتر بالجميل وكيف أطلقه من الوثاق بعد الغلبه والقهر وأنشد يقول

أبا الفوارس قد أوليتنى نعما	جزيلة ذكرها فى البدو والحضر
لله در بنى عبس لقد شرفت	إذا أنت منها محل السمع والبصر
يافارس الخيل ياحامى الحريم ويا	مغنى الفقير ويا غوثى على الضرر

أمان لما فى للبر ماجد أسد ... يوم الكريهة يعفو عند مقتدر
فكم حللت حمى قوم على غضب ... أجريت فيه نجيع الدم كالمطر
وكم هزمت شجاعا ومقتدرا ... يوم النزال بحد الصارم الذكر
وكم سمعنا بفعل ذكره حسن ... فى اليوم نظرى قد أغنى عن الخبر
لو يعلمون بنو عبس بفعلك بى ... جازوك بالروح بعد المال والدور
فيا بنى العم أنى قد لقيت فتى ... جلت مناقبه عن سائر البشر
قد شرفت منزل الجوزا مناقبه ... برفعه الشمس فى العلياء والقمر
يا راكبا للعلا فوق السماك ويا ... فخر القائل من عبس إلى مضر
أطلقتنى وعفوت الآن مقتدرا ... لاندرك الشمس فى الافلاك بالبصر

فعند ذلك طربت الفرسان وشكره عنتر واثنى عليه وخلع على ساير أصحابه وعليه وما خرج أحد من الوليمة إلا عليه خلعة عظيمة ودامت الأفراح وقضوا أياما كالاعياد وكانت كبيشة أم عامر وافرة الدهن ضاحكة السن فسلبت عقل عبلة وسبيكة ونسوان بنى قراد وخلعت عليهم الخلع الملاح وصارت أم عامر معهم ليلا ونهارا تخدم عنتر وتمازحه لاجل عفته عن ولدها وعنتر يكرمها وأما ما كان من بنى عبس فانهم سمعوا بعنتر فى بنى عامر فقال الملك قيس إن بنى عامر ما أنزلوا عنتر فى أرضهم إلى نكاية لنا لعلهم انا طردناه وهذا كله بغض لنا فقال الربيع هو وقع على حريمهم وبكى بين أيديهم بأنهم يسترضوك لأنه يا ملك فى هذه المرة نظر الموت بعينيه وأى العرب تحويه وهو الذى نزل عليهم وإذا أتاك كل من فى الدنيا وطلبوا منك أن يرجع فقل لهم أن لا أدخله ديارنا حتى يلبس العباءة على حاله كما كان ويرعى جمالنا والاغنام حولا كاملا أو نصف عام وبعد ذلك أقبل سؤالكم فيه لان ركوب الخيل هو الذى على نفسه عليه فقال قيس وعلى مثل هذا كنت معولا يا سادات وفى تلك الايام وصل كتاب دريد إلى غشم بن مالك والأخوص بن جعفر وكان فيه يا بنى عامر أنتم أمراء العربان وأنتم أولاد عمنا من قديم الزمان والمراد منكم أن تخبرونا عن بنى عبس وعدنان نزلت على أى القبائل من العربان حتى أركب عليهم وآخذ بثار أخى عبد الله والسلام فقال الأخوص الحمد لله على سلامة ذلك السيد العظيم نحن قد سمعنا يا عبد الخير بقتله هو وأخوه عبد الله ونسأل أن لا يفجعنا فيه وبعد ذلك أن بنى عبس قد انزلهم النعمان فى أرضنا غصبا وإذا ركب دريد عليهم فنكون يا عبد الخير لا لهم ولا عليهم فهذه غرماؤه فى أرضنا وتلك الوهاد فليطلبهم فى أى وقعة

أرادونحن دمانا عندهم طرية وزبما نظر نادريد وقد أتاهم بالفرسان واحتاج الينا وربما تكون له عونا على القوم اللئام قال وأرسل ذلك العبد بهذه الرسالة وذلك المقال والقيل وسمع بهذا الخبر عامر بن الطفيل فما هان عليه بهذه الأحوال فأعلم عنتر بهذا الأخبار وقال يا أبا الفوارس دريد قصده يركب على قومك ويقلع منهم الآثار فارسل من عندك يخبرهم بهذه الأخبار فقال له عنتر يا أخى عامر إن أردت محبتى معك تدوم على طول المدى لاتذكر لى بنى عبس أبدا وسكت الجميع ولم يردوا خطاب ولا أحد أجابه بجواب ولما عادوا إلى الخيام التفت مقرى الوحش إلى الأمير عنتر وقال له يا أبا الفوارس هذه الليلة احتاج أخوك عامر الخمر فانفذنا إلى تاجر الحلة يشترى منه فلم يجد عنده ولولا ابن خالته ملاعب الأسنة أنفذ له فضلة خمر كانت عنده وقد سار عامر فى طلب المدام من وقت تفرقنا للنام فقال عنتر هذا شيء ما علمته ياأخى إلا فى هذه الساعة وإلا لو علمنا كنا سرنا معه وكان أخف لقلبه ولكن أنا الحقه وقت السحر فى طلب شراء الخمر ولا أكلفه إلا مايقدر عليه من ذلك الأمر فقال مقرى الوحش هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ثم صبروا إلى وقت السحر وأنفذ عنتر أخاه شيبوب إلى عروة يأمره بالركوب فى خمسين فارسا همام وأعلم أباه شداد بماهم معولين عليه من المرام وأوصاه بعبلة ومسيكة وساروا فى طريق أرض الشام وعند الصباح لحقهم عروة بن الورد ومعه ابن أخت عنتر الهطال وفى اليوم الرابع نظروا جمالا وخياما ورايات منصوبة فى البر والآكام فعلموا أنهم من تجار الخمر وقد أتوا من بلاد الشام فاشترى عنتر كل ما كان معهم بالربح الكثير فشكره على فعله الكبير منهم والصغير وقالو ياأبا الفوارس لاتعد بعد هذا اليوم تتعب نفسك مع أحد من القوم فنحن نأتى ببضائعنا اليك ولا نبيعها إلا وعليك وكان تجار الخمر إذا أتوا به فى زمن الجاهلية بعد أن ينصبوا خيامهم ينصبوا الرايات على باب مضاربهم فتعلم الفرسان أن التجار أتوا بالخمر فيأتون من البر الاقفر ويشترون ما معهم من الخمر وإذا تولت الراية عن مضاربهم يعلم العرب أن الخمر فرغ وما كان عنتر فى زمانه يجوز لتجار الخمر ويبقى لهم راية لأنه كان يشترى منهم جميع ما معهم إلا أن عنتر لما اشترى الخمر وقلنا ماله من الأمر عاد راجعا حتى قارب أرض بنى عامر وهم فرحون بما معهم من الخمر فقال مقرى الوحش ياأخى قد حصل معنا كثير من الخمر ونريد شيئا من النوق لأجل النحر وقد عولت أن أنفذ هذه الاحمال والمهمات إلى أبى شداد فى الأبيات

وأسير في طلب غنيمة تنفقها في الولائم والدعوات فقال مقرى الوحش افعل ماتشاء وسر بنا إلى ما أردت من الفلا حتى لانكلف صديقنا عامرا أكبر ماكلفناه فعند ذلك أفرد عنتر للخمر عشر فوارس وسيرهم به إلى الحي وسار في بقية أصحابه طالبا جبال بني طي وأرض شهلان وصار شيبوب يقصد بهم المنازل العامرة يجدها خاليه من الاهل والسكان فانكر ذلك وحار في سبب خلو تلك الديار فعلم عنتر منه تلك الاحوال لما رآه يقصد رؤس الروابي والتلال الخراب المتباعدة من الأهل والأصحاب أو تقضى الأيام بغير فائدة فقال له شيبوب والله يا ابن الأم ما كنت أعهد هذه الأرض إلا عامرة بأهلها قبل دخولنا إلى اليمن وأرها اليوم قد تبدلت وخابتها صروف الزمن ولا بقي قدامي يا ابن الام إلا قوم يقال لهم بنو هلال وكنت أعهدهم بجملين الحال كثير المال والرجال والصواب انكم تنزلون هاهنا وتقيمون في انتظاري حتى أشرف عليهم وأعود فان كانت أرضهم مثل هذه الارض مقفرة عولنا على العودة والرواح ولا نفلح في طلب مالا يصلح إلا بما أريد ولو أن الارض ملئت رجالا وفرسانا صناديد لان رماحنا خارقة وسيوفنا ثم أقاموا في تلك الارض وكانت كثيرة الغدران واسعة المروج والقيعان مياهها نابعة ووحوشها رائعة وروائحها عاطرة سابغة فاشتغلوا فيها بالصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص ومضى شيبوب في ذلك البر والطلل يدور لهم على حلة من الحلل وكان قد فارقهم ضجرة النهار فعاد اليوم والشمس قد لبست ثوب الاصفرار قال فلما رأوه تباشر بسرعة عودته وسالوه عن أخباره وقصته فتبسم ضاحكا وقال لاخيه والله يا ابن الام لقد سبقك أخوك إلى ما كنت له طالب وعاد بما يريد وعدت أنت خائب فقال له عنتر ومن هو أخي وما هو المقال فقال شيبوب إنني لما سرت إلى أرض بني هلال فرأيتهم وقد تعلقوا برؤس الجبال ودرت أرضهم فوجدت آثار المعمعة رؤوسا عن الابدان مقطعة ووحوشا في الجثث راتعة وطيورا على الاجساد مجتمعة وهم في أسوأ حال ونساؤهم يندبن على الرجال فسألت بعض العبيد عن ذلك الحال فقال لي يا أخي من مدة ثلاثة أيام غارت علينا فوارس مع عامر بن الطفيل لانه كان دائر يشن الغارات إلا ارضنا فقتل رجالنا ونهب أموالنا وسبي حريمنا وتركنا كما ترى فقاتله الله سريعا ولا أمهله لانه ترك ديارنا اقفارا واخلاها من السكان والجوار وانى لما سمعت كلامه تعجبت من هذا الاتفاق فقلت له يا ابن الخالة وأنتم كيف وقعتهم في هذه الديار من بعد سكانها الذين افناهم عامر بن الطفيل بكثرة الغارات وهج أهلها في البراري والفلوات فقال لاننا كنا اذا سمعنا بخبرة

نصعد إلى رؤس الجبال ونحصن فيها الأموال والعيال إلا فى هذه المرة انقطعت عنا اخباره مدة من الزمان وسمعنا أنه قد اشتغل بمصاحبه عنتر بن شداد وعمل الولائم ومواضبه شرب المدام فأمنا ونزلنا إلى الصحرى فجرى علينا ماترى ثم قال شيبوب لأخيه عنتر فى آخر كلامه والله يا أبا الفوارس أن عودتنا أصلح لنا وقد أعلمتكم بالحال وأمرتكم بالارتحال قال فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال لشيبوب نعود إلى أهلنا بعد النصب والتعب بلا مال وحطام ولا ذمة العرب عرج بنا ولا يأخذك الضجر الرزق كثير تارة يسهل وتارة يتعسر ثم إنهم باتوا بتلك الأرض وهم يتحدثون فى شجاعة عامر بن الطفيل ويتعجبون من فروسيته وكيف أخلى تلك الأرض بهيبته ففرح عنتر بمصادقته ومصاحبته قال وباتوا تلك الليلة مالهم حديث إلا فى الشجعان والأبطال والفرسان وأخذ القوم يثنون على عامر بن الطفيل ويصفوا اعظم هجومه على الخيل وخوضاته الحرب فى النهار والليل فقال واحد وحق ذمة الكعبة الغرا وأبى عن هذه الديار وهج فى البرارى والقفار وإلا ما كان لعامر اسم يذكر فى الأقطار فقال عنتر يا ابن العم والله لقد سمعت به ويطوف من شجاعته وقوته وبراعته كيف أنه رحل عن هذه الديار وطلب سكنى البرارى والقفار فقال الملك يا مولاى من عظم تجبره وتكبر لأنه يرى الناس دونه الأرض كلها فى قبضته أن يسكن القفار والسبايب والأوعار وانتزح عن الاهل والديار وقال أنا مالى فى البلاد قرين ولا أحتاج إلى مساعد ولا معين وأنا حسامى أغنانى عن الاصحاب ولا أنتاج إلى قرين من الاندال ولا أسكن إلا البرازى والرمال مثل مايسكن الاسد الريبال ولا أخاف من الابطال ولو كان البريسيل على كله رجال وأقيال ثم أن الرجل أنشد وقال :

سكنت قفار البر ثم السباسب ... وقد عفت نفسى عن قرين وصاحب

فلا صاحب لى فى البلاد أريده ... ولا مؤنس إلا حسامى بجانبى

إذا ماعسفت البر انظر وحشه ... واسده ما بين جاء وذاهب

لان جميع الاسد فى القفر تختشى ... مقامى تتمدوا عنه وقع مضاربى

فكيف بجال الانس فى حمة الوغا ... إذا مرت وجهى عند النجائب

وقد حكم الكهان أنى هماما ... وليث الورى فى شروقها والمغارب

ولا اختشى إلا إذا جاء فارس ... شرين عفيف من بنى آل طالب

قال ولما انتهى الرجل من كلامه وإنشاده شعر عمرو بن ود العامرى قال له عنتر وما

رجعت سمعت له قط من خبر فقال لا وحق البيت والحجر إلا أنى سمعت كلامه من بعض زوار البيت الحرام وبعضهم قال أننا رأيناه فى بعض الأعوام عند الركن والمقام لان الكهان ذكروا أنه فارس دهر وفريد أوانه وعصره أن سلم من فارس يظهر من آل طالب ويكون فارس المشارق والمغارب وقد تشاعده على سعادته الكواكب فقال مقرى الوحش وحق خالق العباد وجاعل الجبال أوتادا ما يقدر أن يقف قدام عنتر بن شداد الطويل النجاد الرفيع العماد الذى على سائر الشجعان وساد على الكرام الأجواد وقهر بالسيف جميع فرسان البلاد فشكره عنتر على ذلك وأثنى عليه وباتوا على ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الصباح وركبوا ظهور الجود القداح وساروا فى البر والبطاح يطلبون أموالا ينهبونها ورجالا يقتلونها وقد أخذ بهم شيبوب فى عرض البر ذلك اليوم أجمع واليوم الثانى أشرفوا على مرج بزهور فائحة ومياه سائحة وطيور تسبح رب البرية وذلك المرج الموصوف بما ذكر كأنه من مروج الجنة الهينة وفى وسط روضة بهية بهجة كافورية وتلك الأرض أزهارها لم يسمع ودائر حدوها جبال أربع متعلقة بالسحاب المهمع فسبحان الذى خلق وأبدع فلما نظرها عنتر ها تعجب من حسنها وتحير مما رأى وأبصر معانيها وهى كما قيل فيها

منزل قد صبت به الأنهار ... وتغنت فى دوحة الأطيار
فرح الوحش به والطيور جميعا ... وكساه من المهيمن الانوار
خير أرض يحل فيمـــا ... أعنى منزلا نعم المزار

(قال الراوى) فامرهم عنتر بالنزل فيه فنزلوا فى ذلك المرج الفائن وباتوا فيه إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنور ولاح وعلوا على الرحيل والرواح وإذا بغبار قد ثاره وأقبل يحدقون إلى ذلك الغبار وينظرون ما تحته من الاخبار فقال مقرى الوحش أنظر ياأبا الفوارس ماهذا الغبار وما يكون تحته من الاخبار فقال عنتر يافارس الشام وأى شيء علينا نحن من الغبار والقتام ولو أن من الأرض يكون علينا ثار ما لهم عندى هيبة ولا مقدار فان كانوا أصحابا فيا بشراهم وأن كانوا أعداء فنبناهم ومن كؤس الردى سقيناهم ولو أتهم مل‌ء هذه البيد ثم التفت إلى شيبوب وقال له ماوقوفك أمض اليهم وخذ لنا خبرهم وبشرهم أن كانوا أعدا بهلاكهم ودمارهم فعندها القى ساقية فى البر الاقفر ساعة وغاب البصر فرأى جيش جرار فيه كل ليث مغوار ويقدمهم فارس همام

مضيق اللئام كأنه أسد ضرغام لاتهو له المصائب وخلفه فوارس كأنهم الكواكب على خيول مثل السلاهب وغبارهم يحكى الغياهب متقلدين بالصوارم ولهم من تحت الغبار عائم دمادم قال فلما رأى شيبوب إلى ذلك القوم فنادى بعدما تقرب منهم حيتكم اللات والعزى وحصتكم النصر من الهبل الأعلى أخبرونا من تكونوا من الفرسان بين العرب وبمن تعرفوا من أصحاب الحسب والنسب فما استتم كلامه حتى ناداه فارس منهم وكشف عن وجهه لثامه وارخى لجواده وقال له يا ابن اللئام مالك بالسؤال عن فرسان الزمان وملوك العصر والأوان ارجع ثكلتك أمك إلى من أرسلك من قومك اللئام وأمرهم أن يتقدموا إلى خدمة فارس البيت الحرام وحامى حوزة الأرباب والأصنام قبل أن يسقيكم كؤس الحمام لأن هذا الفارس الليث الكرام والبطل المغوار ومن تفرغ منه وأقاربه البرارى والقفار المعروف بعمرو بن والعامرى والذين معه كلهم أولاد عمه وأقاربه قال الراوى وكان هذا الفارس قد نشأ من صغره وصباه ويقهر من الفوارس جميع من لاقاه وكان سبب عجيب وأمر مطرب غريب تقدم ذكره على الترتيب بعدما نسمع من يصلى على النبي الحبيب ويعلم السامع كيف كان حديث العرب ومنشا الفرسان لأن مثل هذا الفارس لايهمل أمره ولا يجب على المؤلف تركه وكيف لا يكون فارسا مذكورا بطلا مشهورا وقد بارز الأمام الأدرع والبطل الصميدع الكمى الأنزع أمام بنى طالب والد السبطين على بن أبى طالب وذلك يوم غزوة الخندق وقد شهد له الرسول المحقق لأنه يعلم أن مافى زمانه مثله ولا من عشرين منه وعمر ذلك الملعون مائة وعشرين منه وجرى له مع الأمام ماجرى لما ضربه ضربة بذى الأمام على لحاذ عن ضربته بحسن شجاعته فخرجت مثل الريح الهبوب أو الماء إذا تدفق من ضيق الأنبوب فوقعت فى خيمة من خيم الأنصار وكان فيها رجلان من الصحابة الأخيار فاصابهما الفخذ فقتلهما وكان بينهما أكثر من ثلاثمائة خطوة ولما بارزه الأمام على رضى الله عنه نصر الله عليه الملك العلام ولو عاش عنتر إلى أيامه لصار من جنده وأعوانه وإلا كان أسقاه كاس الحمام وقال ذلك أن هذا الفارس الذى نحن فى ذكره كان يسمى ودين سنان وقد جرى بينه وبين أخوته خصومة وكلام فرحل من قبيلته الأصنام وطاب له هناك المقام وأقام مدة من السنين والاعوام المبغضين وكانت الكهان تبشر الولد كل حين وتوعده بالبنات والبنين تزوج بامرأة من قريش يقال لها حلميه بنت الحارث المخزمى ولم يكن فى زمانها أحسن منها

فعمل لها عروسا ومهرجان وحضر فيه الخاص والعام وتقدم ودالعامرى إلى الأوثان والأصنام وقدم لهم النذور والحسان وسألهم أن يرزقه الملك العلام بولد يكون بطلا همام ودخل بزوجته وأوقعها فحملت من ليلتها ففرح بذلك فرحا شــديدا وأخذها فى بعض الليالى إلى البيت الحرام وطاف بها سبعا وقد أستقبل الأصنام وقال يارباه أنى أشهدت هذه الأوثان وإن وضعت زوجى ذكرا كان هبة منى اليك ثم أنه شد على ذلك وقوى يقينه إلى أن أتاها المخاض فولدت ولدا كأنه الأسد مفتول الذراعين الشجاعة لائحة بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه فلما رآه بهذه الصفة فرح به فرحا شديدا ماعليه من مزيد وسماه عمرا وعمل له وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وتكرم وبذل الأموال والنعم وخلع على الأصنام وكسى الأرامل والأيتام وعم الناس بالاحسان وعكف على تربيته إلى أن كبر ومشى ومرت عليه الليالى والأيام واجتهد أبوه فى تأديبه وفرسيته فاكتسب الشجاعة والبراعة حتى قهر جميع الشجعان والفرسان واستطال على جميع العربان المخالفين لطاعته وسماه فارس الهيل وكان مثل قطعة من الجبل ومات أبوه وأخذ مرتبته وسار بسيرته وكان أكثر غاراته إلى بلاد اليمن وكان موصوفا بحسن الأخلاق وبلغ من الشجاعة كثيرا ولا فى غزواته الأقران وقهر عددمن الشجعان وكلما بلغته أخبار عنتر بن شداد يقول لفرسانه يا بنى الأعمام هذا رجل مسعود لا يقاتله أحد إلا يموت مكمود ومن يقدر يمع الأمن العميم إن أسعد الرب القديم عبدا زنيم والوجة الثانى أن يقاتل عن البيت الحرام ويحامى عن الأصنام وأول اجتماعه بعنتر فى هذا المكان وكان أنفذه الشيخ عبد المطلب إلى الملك النعمان فى طلب حقوق البيت الحرام واستخلاص اموال الأرامل والأيتام وكان عليه رسم فى كل عام على وجهة الهدية والاحترام وسار عبد المطلب بن هاشم فى مائتين من الفرسان البواسل من بنى عمه الكرام وفرسان البيت الحرام فلما أن انقضى أمره وأخذ من الملك النعمان رسمه أقبل على الفرسان الذين معه من بنى عبد المطلب وقال امضوا أنتم بهذه الأموال فى البر والسبسب إلى البيت الحرام وأسبقونى بها إلى زمزم والمقام وأنا أسير بهؤلاء المائة فاس الذين هم من قومى وبنى عمى عسى أن تلق غنيمة نكسبها أو قبيلة عاصيه ننهبها فودع بعضهم بعضا وأخذوا الأموال وافترقوا من تلك الأرض وسار كل منهم فى طريقه وعرج عن الطريق والآكام وقصد جهة أرض الشام فى طلب الكسب والحطام وقطع فى البرارى أيام فامر على طائفة إلا ونهبها ولا حلة إلا وكسبها حتى اكتسب

أموالا عظيمه لها قدر وقيمة وكان له عبد يقال له أبو الخير وكان يقال له فى الشجاعة والبراعة وكان أحيل من شيبوب وأمكر وأخبث وأشطر فامره عمرو أن يحفظ الأموال والنوق والجمال وأفرد معه جماعة من الأقيال وأمرهم أن يسيروا بها إلى الاطلال وسار هو فى البر والمهاد إلى أن التقى بعنتر بن شداد ونظر غباره هو ومن معه الأجواد وأنفذ عنتر شيبوبا يكشف له الخبر كما ذكرنا وخرج له ذلك الفارس كما قدمنا وخاطبه بذلك الخطاب وورد عليه الجواب قال سمع شيبوب من الفارس ذلك الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام فرماه بسهم فى فاه خرج يلمع من قفاه فوقع من ظهر فرشه وقد انقطع من نفسه فلما رأت أصحابه إلى لاحد به من شيبوب تصايحوا عليه ومالوا جميعهم اليه وطردوا خلفه مثل الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب فعاد شيبوب أسرع من الريح الهبوب فاندهلوا منه وقالوا إن هذا الشيطان من البادية فلم تكن إلا ساعة حتى عاد وخلفه فارس كانه طود وهو ينادى أنا عنتر أتركوا الاظعان وإلا حل بكم الذل والخبال وان كان فيكم أبطال فدونكم الحرب والقتال والنزال قال فلما سمع عمرو بن ود صياح عنتر وكلامه ورأى هجمه وأقدامه نادى بعلو صوته يالعرب هذا الفارس المنتخب الذى سمعت به ويخبرو كنت منتظر النظر وثم أمر قومه بالانعزال عن الحرب والقتال وقال لهم قفوا يارجال ودعونى أجرب روحى هذا البطل الذى قد امتلأت الدنيا بذاره ثم أنه صاح وقال مهلا يا أبا الفوارس لاتغتر بالزمان فان للبغى مرارة وأنه مصرع للرجال الغدارة فلما سمع عنتر كلامه ورأى قلة افتخاره وسرعة جوابه علم أنه فارس همام وليث قمقام فتبسم عنتر عند ذلك الكلام وقال أيها الفارس المعتز بنفسه أى بغى رأيت منى وأى عجب صدر حدثت به عنى وأنا المنصف على نفسى ولا أجل على أبناء جنسى فدونك والميدان والضرب والطعن ومقام الفرسان وأظهر ما عندك من الشجاعه والحمية وبادر فى طلب الفداء إن كان لك نخوة واعلم أن الفرسان تتفاصل فى الحرب لاتتقابل ثم أن عنتر التفت إلى مقرى الوحش وأصحابه وقال لهم على رسلكم دعونى أنا وهذا الفارس فانه ليث عابس وبطل مداعس وشد على ظهر جواده الأبجر من بعد ما حل له حزامه وتفقد له لجامه وغاص فى عدته واستوى على ظهره وفعل عمرو كفاله وأدخى لجواده عنانه وصرخ عنتر فى جواده وقال له انتبه تومك ياأبجر فما أقول أنك لاقيت مثل هذا الفارس التى شجاعته لاتنكر ثم صال وجال وأنشد وقال .

شربت القنا من قبل أن يشترى القنا ... ونلت المنى من كل أشرش عابس
فلا كل من يشرى القنا يطعن العدا ... ولا تحتوى كل الفوارس فارس
وقلت لمهـــرى والقنا يفرع القنا ... تنبه ياذا المهر إلى إن كنت ناعس
فجاوبنى مهرى الكريم وقال لى ... أنا من جياد الخيل كن أنت فارس
فقلت لمهرى أيها المهر أنت أبى ... خبير كما أنك جوادى مؤانس
ورمحى إذا ما اهتز فى يوم معرك ... تخر أسـد الدحال الفناعس
وما هابنى ياعبـلة فيك مهابة ... ومارعانى يرم الطعان الفوارس
أنا الفارس المرهوب فى حومة الوغا ... بسيفى ورمحى آخذ بالمنافس
ولالك عنـدى فى الحرب مهابة ... وسوف أخلى رأسك اليوم ناكس
وإن لم تسكن ياعمرو رب حمية ... فانت من القوم اللئام الاراجس
وسوف أدعوك اليوم ملقى معفر ... بوجه الثرى كبوا برغم المعاطس
أنا عنتر العبسى فارس قومه ... فريد وحيد فى غير ناكس
وسعدى علا فوق السماكين ورفعة ... وشق جميع الأفق للجو قابس
فعالى كضوء الصبح نورا ورفعة ... ولونى يحاكى ليــل الحنادس

(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام وسمع الشعر والنظام صار الضياء فى عينيه ظلام لأنه ما كان يظن أن أحدا يخاطبه بمثل هذا الكلام وأنه أشجع من جميع الأنام إلا أنه نظر عنتر نظر مر له معقول ثم أجابه على شعرة ويقول .

إذا قلت فى دعراك أنك قاتلى ... وأنك ياعبـد اللئام مجالس
قد حرت القنا قبــل كل من ... شراها وأنت المبتدى بالمنافس
فانى صحبت السيف من قبل آدم ... وكان ضجيعى قبل خالق الأبالس
ورمحى إذا ماأهتز فى وسط راحتى ... تخر له أسد الشرا والدواعس
وسوف ترانى همام غضنفر ... يهزم فى الوغا كل الفوارس
فان كانت الأصنام حقا تعيننى ... عليك فانت اليوم واهى المطالس
وأن قلت فى ذا اليوم أنك هالكى ... كذبت وهذا قول زور هاجس
لان جميــع الخلق من كل كاهن ... حكيم عليم بالامور النفائس
يقولون أنى سوف أبلغ منتهى ... سنين عديدات أبيد الفوارس
وأبقى إلى أن يظهر المطهر أحمد ... واصحابه الأخيار زين المجالس

هناك يكون المنتهى بى لمدتى صحيحا حقيقا لا أقول هاجس
فدونك منى أدرع متغشرم أبيد بسيفى كل ليث شارس
شمس نـــور الأراضى جميعها تضىءوتجلى فى الظلام الحنادس
وأنا ابن ود ليس ينكر موقفى إذا أزدحمت سمر القنا عند التلابس

قال الراوى فلما فرغ عمرو بن ود من شعره نادى لعنتر ويلك أنت تقول أنك أحق منى بالشجاعة وعظم الشأن أو يغرك حديثك أنك قهرت الفرسان وما لقيت لك مقام فى هذا الزمان وأن الأصنام لم تعجز أن تسبب لك من يقهرك فى هذا المقام فوحق الملك العلام أنى ما تركت المسير اليك فى هذه الأيام إلا احتقار بك وبامثالك لانك هجين ودنىء فى النسب وموكوس العرض بين العرب وقد اخبرنى الكهان أنى أقاتل السادات والاصفياء فكبرت نفسى أن أقاتل أبناء الاماء ولا خطر قتالك لى على بال ولا قلت أن حالى يرجع معك إلى هذه الاحوال لانك ما أنت من أشكالى ولا تعد من أبطالى قال فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال له ياعمرو وحق من خلق من كل نطفة أنسان وجعل هذه الصور تنطق بكل لسان ما أحد من هذا الزمان يخطر لى على بال فدع عنك الهذيان والمقال ثم أن عنتر صال وجال وأنشد وقال

ياابن ود العامرى الخائب دونك حربى والتقى مضاربى
السيف أدنى نصرة من صاحبى ومن بنى وكل أقاربى
دونك حربى أننى الصميدع لا أختشى فى الحرب ذات محارب
أعطانى الرب المهيمن قـــوه القى بها الاعجام والاعارب
سعدى قرينى أينما سرت سار بى وان اقم فهو لى مصاحب
وإن هممت بالمسير لم اكن إلا كنجم فى السماء ثاقب
والارض ملكى والملوك فى يدى وكل ما فى الارض جمع كتائبى
نجمى على السبع الطباق صاعد حتى علا نجمى على الكواكب
فان كنت حقا ابن ود فارسا فابرز لتلقى منى العجائب

قال الراوى فاجابه عمرو على شعره يقول

يادهركم تهدى لنا من عجائب وأحوالنا بين مخط وصائب
وجدت لى عبدا لئيما فاجرا لا يبصرون لعاذل وعاتب
قد قالت الكهان انى لم امت حتى ارى ليث الحروب الغالب

وقاهر الأبطال فى يوم الوغا   وفى الحروب مظهر العجائب
الطيب الأصل الرفع قـــدره   مؤيد من خير قوم طالب
وما أرى الا لثيا أسودا   مشوه الخلقة نـــدل كاذب
أن صح هذا منه حقا أننى   أبقيه لنا طول الزمان مصاحب
وأهجر أهل العلم جمعا دائما   وأتبـــع الكهان بالنـــوائب



قال الراوى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه والتقى منه الضرب بالقواضب وأبدى كل منهما العجائب وهدر كل منهما كالاسد الهدار والبحر الزخار وعلم عمرو أن عنتر بطل مغوار وفارس جبار فصرخ فى وجهه صرخة الغضب حتى اهتزت لها الاقطار ونفرت منها الجن والعمار هذا وقد زعقا زعقات متواليات كادت أن تزول منها الجبال الراسيات وتتابعت اليهما الصرخات والعيطات إلى أن بقيت القلوب مرتاعة وكانا بطلين عند الشجاعة ظن الحاضرون أن السماء انشقت والمواعيد حقت وأن الأرض تزلزلت والجبال تدكدكت إلا أنهما بعد الانطباق أخذا فى الانفساح كانهما كباش للنطاح أو كانهما بحران فاض كل منهما على الآخر وساح وكان لهما ساعـــة تقشعر منها الجلود ويلين

من حرها الحجر الجلود ويعرف الانسان منها مرارة العدم من حلاوة الوجود لأنهما تصادما تصادم الماء في أيام الزيادة وكل من نظر لقتالهم ظن أنه طار فؤاده ومالا عن ظهور الخيل من فوق السروج حتى تعلمت منهما الأبطال حقيقة الدخول والخروج ولم يزالا في طعن وضرب هما تارة في الميمنة وتارة في الميسرة وهما كأنهما النيران المسعرة وهما في كر وفر وصدور وهزل وجد وبعد وقرب وكان كلما فتح بابا سده الآخر بحسن صنعته التي يختبرها لأن كل واحد منهما كان وجهة ترسه وصارمة قلبه وكانا الاثنان أسدان ضاريان لا يغفل الواحد عن صاحبه طرفة عين حتى آيست منهما الطائفتان وانكسر منهما الريحان وأشرفا على ذهاب الروحين وأقاما على تلك الأخطار من الصبح إلى آخر النهار وذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وسقطا على وجه الأرض بعد العراك والفرسان ينظرون بالأحداق وخشيت عليهما الطوائف من الهلاك وأضرمت في قلوب أصحاب عمرو النار وقد تقدموا لينظروا ما يجري مع هذا البطل الجبار وقد نوى كل واحد منهما إن أصابه شيء عول على الفرار والتشتيت في الأقطار وكذلك فعل أصحاب عنتر مثل فعلهم ومقرى الوحش في أوائلهم وهو يقول أن حل أصحاب هذا الفارس على عنتر حملنا نحن عليهم ونفرقهم في هذا الليل الدامس ٥ وكان عمرو بن ود قد كل ومل وعنتر حين أبصر منه التقصير ترجلا عن ظهور الخيل وعرفا أنه قل منهما القوى والحيل فاستطال عليه عنتر فلما تحقق خصمه منه ذلك الأمر قال له ما قولك في الانفصال والرواح إلى أن يصبح الصباح ونعود إلى الحرب والكفاح فقال عنتر لا وحق مسير الرياح وفالق الأصباح ما بقي لنا براح إلا أن ذهبت الارواح ولا لنا غنى عن ضرب الصفاح لأني أدهم والليل أدهم رجوادي أدهم ثم وثب عليه مثل الأسد الضيغم فلما سمع عمرو كلامه بهت وتحير وحصل له الغيظ والضرر وأشتد حرقة وزاد غيظه وحنقة وخطف سيفه وركب على ظهر جوادة الغمام وقام وخرق ذمة العرب الكرام لاسقينك كؤس الحمام في حنادس الظلام أتظن أني أفر من الحرب أو أمل من الطعن والضرب لا سيما وقد حكم لي الكهان ما على موت في هذه الازمان ولا أخاف من هذا الاوان لاني أعيش إلى ان يظهر المبعوث من عدنان ومعه فارس الزمان وسيد الشجعان وألتقيه في حومة الميدان ٥ وكان عمرو بن ود العامري اخبر الخلق بضرب الحسام وقد استطال به سائر على الأنام ولا خلق قبل سيدنا محمد أحد في طنقته ولا قاومه في الجلاد إلا عنتر بن شداد الذي أخمد ذكره وعليه

(تم الجزء التاسع عشر ويليه العشرون)

الجزء العشرون

من سيرة عنتر بن شداد

ساد ولا ترك ذكرا ولا حديثا يشتهر لأن عنتر كان أكثر حربا وأقدر وقاتل كل جبار غشمشم من العرب والعجم ومارس الطوائف والأمم وكان كثير الاسفار فى الأقطار وكان يحب السبق إلى كل مكان وأحوجه حب عبلة لملاقاة الفرسان وكان يسمع بذكر عمرو على ممر الأيام الأيام ويراقبه لأجل محاماته على البيت الحرام ولولا ذلك مارماه القضاء والقدر إلى ذلك المرج الأخضر وما عمرو ويطلب للقتال مع عنتر وإنما كانت الكهان تبشره بقتال فارس عدنان فكان يوفر روحه على ممر الأزمان وتكبر عليه نفسه على ان يقاتل أحد من الفرسان وكان يطلب الغلى وتصغر عنده الفرسان إلا انه لما خطف الدرقة كان أقبل الظلام وقد خطف عنتر من عمرو والآخر سيفه الهنداوى وحمل عليه كانه الأسد الغضبان فالتقاء الآخرة فى حومة الميدان وتدانيا من بعضهما الاثنان فتضاربا بالسيوف واخذ الناس عليهما القلق ولم يزالوا الوافى كر وفر إلى ان صبح الصباح وطلع الضوء ولاح وبنوره قد اشرق وانهزمت عساكر الدجا والغسق وما بقى وما بقى فى أيديهما غير مقابض الدرق فاخذا فى المقابضة بقوة السواعد وقاسيا الأهوال والشدائد واعتركا واشتبكا والتزما واصطدما حتى طلعت عليهما الشمس وهما فى صدام والزام حتى جثيا على الركب واضربهما التعب وايقن الاثنان بالعطب ولم يبق فى الطائفتين احد إلا وبهت منهما وتعجب هذا وعمر قد تحير من فروسية عنتر واخذه التعب والضجر وتعجب من صبره على الاهوال وجلده على الحرب والقتال والطعان والنزال ورآه فحلا ذكر لايمل ولا يضجر وأبصر نفسه معه فى مقام الخطر فخاف انه بعد الربح يخسر فصاح ياابا الفوارس تمهل واصبر فى هذا المقام المنكر فانت فى زمانك اوحد البدو ثم الحضر ولا تطمع نفسك انك ترمينى قتيلا وعلى الثرى جديلا فا لى ولا لك فى هذا الزمان عديل إلا انى الفارس القليل وانت الفارس منبيل وقد بشرنى الكهان انى اعيش إلى زمن النبى العدنان المبعوث بأشرف الاديان واحارب فارسه المشهر للايمان وقد كفينا بما لقينا من الحرب وتحيرت من افعالنا الشجعان ولا بيننا اخذ ثأر ولا كشف عار ولا زاحتك على عبلة

فى قلبك منى دبلة وانا مقر لك بالفروسية والشجاعه والحمية وغرضى أن أتخذك صاحبا ورفيقا وركنا وثيقا عند نوائب الزمان وطوارق الحدثان لانك أوحد الزمان وقد يكفيك قولى بين هذه الفرسان ماعدت أركب حصان ولا أضرب بحسام مادمت أنت فى العصر والآوان إلى أن يظهر النبى العدنان الذى دينه ينسخ الاديان ويكسر الاصنام وانظر ماقالته الحكماء والكهان ورأيت منك مالا أراه من الخلق قال فما صدق عنتر أن يسمع هذا المقال لانه أراد أن يطلب منه الإقامة فقال له عنتر وحق ذمة العرب أنا الذى أسرفت منك على العطب ثم أنهما تعانقا وتحالفا وأقسما أنهما لا يخون بعضهما بعض والتأم شملها وباتا فى تلك الأرض ومازالا فى حديث ومزاح إلى أن أصبح الصباح بنوره ولاح فعزم على الرحيل والرواح وودع كل واحد صاحبه وزالت من قلوبهما الأحقاد شداد عمرو بن العامرى وهو يمدح عنتر بن شداد وهو ينشد ويقول هذه الابيات .

لقيت الهمام الأسود اللون فى الوغا	رأيت هماما بين أسد ضراغم
فلاقيت منه كل صعب وأنه	شديد القوى فى الضرب والحرب قائم
جرى قوى أسود اللون حالك	كمثل ثناء المسك عند النظائم
كان نقا أسنانه فى سواده	بيض الضياء فى حالك النقع قاتم
ولولا سواد المسك ماكان غالبا	كمثل سواد الرمح بين اللهاذم
ولكنه عبد سعيد وقد غدا	بأفعاله كسادات قوم أكارم
ومن كان ذا ولا فضل عنده	ولا خير عده كبعض البهائم
هنيئا لمن كان الزمان مساعد	له فى الموالى بين أولاد آدم
ولما اصطحبنا فرق الدهر بيننا	ومازال حكم الدهر ضربة لازم

قال ولم يزالوا سائرين فى الآكام إلى أن أصلوا إلى البيت الحرام أما عنتر بن شداد فانه فرح بما جرى له من الإيرادمع عارو بن ود العامرى من الوداد فسار وهو يصف لقومه شجاعته ويقو يا بنى عمى مارأيت قط أشجع من عمرو بن ود العامرى وقد فرحت بمصادقته وكفينا شره وشرقوته ثم أنهم سازوا وعنتر ينشد ويقول

اقسمت بالفلك العظيم الدائر	وبما حوى من كل نجم زاهر
واللات والعزى واصنامنا	وحق خالقنا الاله القادر
لا التقى فى الحرب من أسد الوغا	ليثا حكى مثل بن ود العامرى

يا عبلة قد كذبوا بما قد بلغوا عني العداة بقول زور فاجر
ها قد أتيتك سالما فاستبشرى وأملى قلوب الأصدقاء ببشائر
وقلوب أعداك اللئام ضغائنا حتى تفيض بدمعها المتحادر
من بعد ما لاقيت عمرا فى الوغى وسلبت منه وهو ليث كاسر
عمرو بن ود المرتجى يوم الوغى للقاء الإمام الأبطحى الفاخر
لا تختشى يا عبلة منى واعلمى أنى لأقهر كل ليث قاهر
وأنا ابن شداد الذى قد شاع لى طيب الثنا بتورد وتفاخر
ما زلت للحرب العوان أخوضها وأزور منها كل بحر زاخر
ولقد نصرت على الليالى والعدا بعزائمى وبحـــد سيفى الباتر
وبرمحى العسال فى يوم الوغا وبأبجرى يوم الغبار الثائر
من رمح العسال أفصح ناظم وحسامى الهندى أبلغ باتر
لا يفتخر غيرى بفضل فى الورى وأنا الحقيقى بكل فاخر
وعفوت عن بعض العدا فى القدرة ليرون كيف يكون عفو القادر
ما زلت فى كل الأمور مسددا انهى وآمر كل ليث آمر

(قال الراوى) فصاروا يطلبون أموالا لينهبوها ورجالا يقتلوها وأخذبهم شيبوب فى عرض البر ذلك اليوم والليلة إلى ثانى يوم إلى أن تضحى النهار وإذا قد أشرف عليهم أعرابى من بين تلك التلال والروابى وهو يعسف فى تلك الصحراء على ناقة حمراء وقد انطوت من كثرة السير فبادر إليه شيبوب حتى قاربه وتأمله وإذا هو من بنى عامر يقال له الحطيئة الشاعر قال وكان هذا الرجل من شعراء العرب وفصحائهم المذكورة ومن أصحاب الدواوين المشهورة فلما عرفه شيبوب سأله عن حاله وقال له من أنت يا وجه بنى عامر وإلى أين أنت سائر فقال له دعنى يا فتى من السؤال وهننى بالسلامة والعودة إلى الأهل والعيال فانى قد خلصت من قبضة الأسد وعاينت الموت الأسود ثم أنه تأمل شيبوبا وأطال إليه النظر وقال له يا مولد العرب أنت شيبوب أخو عنتر فقال نعم يا وجوه العرب فقال له هل هو حاضر معك فى هذا المكان فقال له ما الذى تريد منه يا ابن الكرام قال كى أخبره بالذى جرى على أخيه عامر بن الطفيل من الأسر والويل وكيف وقع فى قبضة زيد الخيل ثم أسرع فى السير حتى قارب عنتر وترجل عن الناقة أسرع من لمح البصر وبكى حتى فاض دمعه وانحدر وقال له يا أبا الفوارس أدرك أخاك عسى أن تخلصه من قبضة الهلاك وقع فى يد الأسد الفتاك

والبطل الهتاك الذى لا يوجد له فى هذا الزمان ثانى ولا يرى له مقام ولا مدانى وهو زيد الخيل بن المهلهل النبهانى ثم زاد فى بكاه وتتابعت دموعه على وجنته من شدة جواه واشار إلى عنتر يقول

يافارس الخيل يوم الطعن بالسمر ⁂ وضارب الهام بالهندية البتر
لولاك ما أمنت عبس ولا برحت ⁂ من خوف أعدائها إلا على حذر
يامن إذا قلت هذا القول تشهد لى ⁂ كل البرية أنى من أصدق البشر
بادر أخاك فقد أضحى على خطر ⁂ مع فارس قلبه قد من حجر
ليث إذا سل فى الهيجاء صارمه ⁂ سال القضا على حديه بالقدر
سطا علينا بعزم من شجاعته ⁂ همام له عزم كالصارم الذكر
وساقنا بعـــد ماأفنى فوارسنا ⁂ بالطعن تحت غبار القطل الكدر
والشعر خلصنى من اسره وبه ⁂ نجوت من شرك الآفات والقدر
شرحت حالى له لما تملكنى ⁂ فرق لى وعفالى عفو مقتدر
وقلت لى حرم فى مضرب خلق ⁂ يسحبن للفقر أذيالا من الحقر
والشعر قد كسدت أسواقه وغدا ⁂ مضيعا فى البدو والحضر
ولا بقى أحـــد ترجى مكارمه ⁂ ولا يرق لمن يشكو من الضرر

(قال) فقال عنتر ياوجه العرب ماأمرك لنا أكشفه وماحديث عامر ابن الطفيل فبينه لى على الحقيقة حتى أعرفه فقال الخطيئة الشاعر اسمع ماجرى لأخيك عامر بن الطفيل مع الأمير زيد الخيل ثم انه قص عليه القصة من أولها إلى آخرها وكشف له باطنها وظاهرها حتى كان كانه حاضرها قال وكان السبب فى ذلك أن عامرا طلب عنتر بعد رواحه إلى طلب الخمر فاوجده الشام ليشترى منهم مايكون من المدام فلما علم عامراً أنه سار فى هذا لوجه علم أنه أراد يحمل عنه الكلف ولما سمع هذا الكلام عاد إلى أبياته وجمع رجاله وندماه ومن يعز عليه من أنصارة وأعلمهم بمافعله عنتر واستشارهم فى الغزاة فقالوا له أفعل ماتريد فنحن بين يديك مثل العبيد فان كان عنتر سار فى طلب الخمر فنحن نسير فى طلب النياق فقال عامر هذا الذى كنت أريده منكم يابنى الاخيار ثم تأهب فى عشرين فارساً كرار وقصد بهم الأرض التى طمع فى أصحابة وفعل بهم تلك الفعال وانجز الأشغال حتى وقع فى بنى هلال وفعل بهم ماذكرنا من المقال لما عاد اعجب بنفسة وطلب الزيادة وما أرادان يقيم فى الديار وعنتر غائب عنها فارسل النوق مع عشرة من الفرسان وسار مع العشرة الآخر يقضى الزمان حتى وصل إلى

بنى أسد وكان وصوله اليهم وقت السحر فعدل إلى الغدير وقال لأصحابه الاصوب أننا نقيم فى هذا المكان حتى يتعالى النهار وتسرح النوق والجمال وتوسع فى هذا المرج الفياح ونأخذ منها حاجتنا ونعود إلى حلتنا ولما أشرف الغدير وجد عليه جوار من بنى أسد قد خرجن يطلبن الفرحة والنشاط وكان معهن جارية يقال لها هند بنت ذراع وكانت زوجة زيد ان الخيل وفى تلك الليلة كان دخوله عليها وخرج حين رأى طلعتها إلا أنها كانت موصوفة بالجمال ولها وجه مثل الهلال (قال) وكان السبب فى دخول على هذه الجارية أنه غار على ديار أغار على ديار أبيها وسارق القبيلة عن آخرها وعاد إلى دياره فلما أعرض السبي عليه وقعت عينه عليها وتسمى هند من جملة المسبيات فوجدها مثل القمر وأحسن من الشمس وأنور فأخذت منه قلبه وسبت عقله فدنا منها وقال لها يا جارية من أبوك وهل هو سالم من القتل أم لا فكلمته هند بكلام يشفى السقيم وضحكت عند سماع كلام الوخيم وقالت له يا مولاى أن أبى سالم وهو معك من جملة الأسرى يقال له زراع بن عياض ثم أنها اشارت بيدها اليه فاحضره زيد الخيل بين يديه وحل وثاقة وهد روعه وطيب قلبه وأركبه جنيبا من جنائبه وقال له اعلم يا شيخ أننى وقعت عينى على إبنتك بلا قصد ولا اتفاق فوقع حبها فى قلبى وزادنى احتراق وأريد أن تزوجنى بها واطلب من المهر ما شئت والصداق ولا تطلب شيئا تستقله الابطال فقال له يا مولاى كيف أزوجك بنتى وأنا على هذا الحال من الذل وشغل البال فاذا أردت الجارية أطلقنى أنا وسائر من معى من الأسر ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحساد واخطبها بعد ذلك ولك الخير والسداد • فعند ذلك حل زيد الخيل الرجال من الحبال وخلع عليهم فى عاجل الحال وذبح الاغنام وروج الطعام وصفت آنية المدام فلما تمكنت الخمرة فى رؤسهم وعابوا فى سكرهم قام ذراع على قداميه وقال اعلموا يا سادات العرب إن هذا الأمير زيد الخيل قد طلب منى بنتى وقد أجبته إلى ما طلب ولكن اشتهى منه أن يعود إلى قومه ويأتى منهم بثلاث أو أربع مشايخ ذوى قدر وشأن يخطبوا منى بنتى بحضرة الفرسان حتى يطيب قلب الجارية ويسر منها الفؤاد حتى لا تقول الفرسان عن ذراع أنه زوج بنته وهى مسبية وأفدى نفسه بها من شرب كاس المنية فقال زيد الخيل السمع والطاعة أنا أفعل هذا فى هذه الساعة وآتيك بمهر يذكر طول الدهر فعاهده على ذلك فزعا من الغدر وعاد إلى الاطلال وأخفى عن قومه الأحوال وعزل الف ناقة من نوقه الغوال وأظهر ما كان مدخرا من الجواهر والأموال وقال لكبراء عشيرته يا بنى عمى أنه قد بلغنى حديث هند بنت ذراع وقد وصفها لى بعض الفرسان فصرت فى أمرها حيران وقد عدلت على خطبتها

وأريد منكم المعونة على قضيتها فأجابوه على هذا الحال وساروا معه جماعة من بني عمه الأقيال وعشرون عبدا تسوق والجمال والخيل الغوال وساروا يجدون السير في الفلا إلى أن قرب إلى بني أسد ووصلهم الخبر فخرجوا إلى لقاه وفرحوا عند ملتقاه وقاموا بواجب خدمته وأكرموا مثواه وكذلك من معه من رفقاه عملوا له وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وأكثر فيها من الطعام وشرب المدام مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك خطب زيد الخيل الجارية من أبيها وأثنى على أبيها بالشكر فلما سمع ذراع من زيد الخيل ثناءه عليه لما خطب قد أجابه لما طلب وقبض المهر وضربت خيمة الزفاف وما بقي بينهما خلاف وزفت هند بكمال جمالها والأوصاف ودخل بها وقرت عينه بقربها قال فلما كان وقت السحر خرجت الجارية مع أترابها تتغسل فوقع بها عامر بن الطفيل بالاتفاق فسباها ومن معها من الرفاق وقال لاصحابه هؤلاء أجود إلينا من الجمال والنياق فليأخذ كل واحد منكم واحدة وراءه وأطلبوا بنا السلامة والنجاة فأجابه الفرسان إلى ذلك وأردفوا الجواري خلفهم وجدوا في مسيرهم حتى تعالى النهار وانبسطت الشمس في الاقطار ونظر عامر إلى هند بنت ذراع فرآها أحسن من البدر ليلة أربعة عشر فقال لها وقد بلت برقعها بدمعها يا جارية على من هذا البكاء والنواح فأخبريني إن كنت ذات بعل أم ذات خدر فقالت أنا ذات بعل وهذه الليلة التي مضت دخلت فيها على بعلي فقال لها ما يقال لبعلك من العرب فقالت له بعلي أشد العربان بأساً وأفخرها نسباً الذي ماله في زمانه من يقاومه ولا يثبت بين يديه إذا سل صارمه وهو المعروف بزيد الخيل وخائض الليل حامية بني نبهان وسيد شيوخها والشبان وحاوي قصب الرهان قال فلما سمع عامر كلامها علم أنها ذكرت بطلا موصوف وفارساً معروف وقرما الايهاب كثرة الالوف إذا هجمت الصفوف لان اسمه قد شاع في قبائل الحجاز ووصف بالشجاعة والافتراز فلما ثبت عنده معرفة بعلها طيب قلبها ورق لها وقال يا جارية لا تحملي هم أسرك فأخذك من يهينك وما تكونين عندي إلا مكرمة حاكمة على كل حرة واجعلك رهنا عندي إلى أن يبعث زيد الخيل فداك وإلا اصطفيتك لنفسي ثم أنهم ساروا حتى تعالى النهار وإذا قد ثار من خلفهم غبار وبان من تحته خيل جرار وهي لبعضها بعض متلاحقة والفرسان على ظهورها صايحه وكان السبب أن زيد الخيل انتظر زوجته عند الصباح ما رآها عادت ولا الذي معها فمضى إلى الغدير فما رآها ومن معها ووجد أثر حوافر الخيل على جانب الغدير فعلم أن الاعداء قد سبوها وفي دون ساعة شاع خبرها ولم يخف أثرها فركبت الفرسان

من كل جانب ومكان وصح عند زيد الخيل زوجته غالبتها صروف الزمان فركب بعض الجنائب ولبس العده التي يحترز بها من المصائب وركض في أقطار البر والسباسب وكان زيد الخيل قد ركب في مائتي فارس فتفرقت أربع فرق إلا أن زيد الخيل ما كان فيها فرجع إليهم عامر وحده بعدما أمر أصحابه أن يسقبوه وينحوا بمن معهم رعاد يطلب الخيل أشد الطلب فطلبهم مثل السلهب فهتك صدور الفرسان ومدد الرجال على الصحصحان وظن انه عفريت في صورة إنسان وتركهم يختبطون بدمائهم يميناو شمال فلما رأى باقيهم هذه الاحوال عادوا متفرقين وإلى باقي الفرق طالبين فلما رأى هزيمتهم من بين يديه فظن أنهم لا يرجعون ولا له يطلبوفلحق باصحابه وحدثهم بمافعل وإذا قد ثار من خلفهم الغبار وتقسطل ولمع القتام من بوارق أسنة الرماح الذبل وهرب الوحش من جنبات البر وتجفل وبانت سائر الفرق لما انجلى الغبار وتفرق ولمع حسام للمنايا وبرق ظهر زيد الخيل في أوائل الجيش على حوادي يسمى الورد صهيله مثل الرعد وعلى جسده درع مانع لم تقطع به شفار السيف القواطع وعلى رأسه خوذة كانها مرجل لمعانها قد اشعل وفي كيفه سيف عريض بتار ورمح رديني خطار * ولما أن رآه عامر قد أقبل وحقق ركبته عرف صورته فقال هذا والله زيد الخيل واليوم يبان الجبان في حومه الميدان وتنظرون ذلك بالعيان ولابد مايجرى بيننا حرب يبقى ذكره طول الأبد ماقام قائم وقعد ثم تقدم يطلب الحرب هو وأصحابه بعدماوكلوا بالسبي فارسين وعادوا إلى القتال فسمع زيد الخيل وهو ينشد ويقول

يامن سبى هند جهلا من بني أسد	أما سمعت بزيد الخيل في العدد
تسبي حريمي وكل الأرض تفزعني	والانس تحذر من شرى ومن نكد
يركبني يفتخر الجواد إذا علا	على الخيل يوم الحرب بالمدد
والسيف يشهد أني ماضربت به	يوم الكريهه إلا لابس الزرد
كلمابات رمحي يشتكي عطشا	سقيته من دم الاضلاع والكبد
حميت قومي بني نبهان مجتهدا	وماتوكت لهم كلا على أحد
والطفيل منا إذا عدت فوارسنا	في الحرب تبدوبه في أول العدد
وفي تميم توكت الخيل شاردة	ويوم طي وهذا اليوم في أسد

قال فلما سمع عامر شعر زيد الخيل صح له الخبر ونادى والله يازيد الخيل قد خاب أملك وأخطأ سهمك وإن كنت كسرت بني طي وتميم فاليوم أسقيك من حسامي كأس الحمام فقال

زيد الخيل يافتى من يقال لك من الأبطال حتى تلفظت بهذا المقال فقال له حامية بنى عامر وغيثها الماطر فتبسم زيد الخيل وقال ياعامر والله لقد كنت فى غنى عن مدح نفسك والصواب أنك تتخلى عن هند قبل أن تدور عليك الدوائر قال فبينما يتكلمان بهذا الشأن وإذا بهند تشير إلى بعلها بالبنان والكف والدمع على خدها جار من الطرف ونادته برخيم الكلام مع غاية اللطف فلما سمع زيد الخيل من زوجته ذلك النداء أسودت فى عينيه البيداء وضاقت عليه الدنا وظن أن الأرض قد سقطت عليها السماء فقال لفرسان بنى أسد لايبرح أحدمنكم من مكانه حتى أهد من الشيطان أركانه ثم أنه حمل على عامر بقلب قد تعود على القتال وجنان قد لقى به الشجعان الأبطال وتلقاه عامر كأنه أسد رئبال وكان قد أمر أصحابه بالثبات وطلب من خصمه الانصاف كما تطلبت السادات هذا ولما التقى عامر بزيد الخيل وخاض الاثنان فى بحار الوبل وعاد النهار كالليل وتعجب من قتالهما الفرسان وكل عن وصف ماجرى بينهما اللسان وخرجا عن حد صو والإنسان وهما كأنهما عفريتان من عفاريت سيد نا سليمان ولم يزالا كذلك نصف النهار وسطا زيد الخيل على على عامر بن الطفيل ومال عليه كل الميل وصاح فيه فتخبل ولا صقة فتململ وحك ركابه ودنا منه ومسك بيده جلباب درعه وجذبه فاقتلعه من سرجه وفى دون ساعة أسر ستة من رفقته وساقهم إلى أصحابه بشدته وعاد بعد ما خلص البنات وزادت هيبته فى قلوب السادات الذين هم من بنى أسد وهنوا أباهند الذى اتصل بهذا البطل الامجد ثم عادوا يطلبوا الديار وزيد الخيل يمدح بنى أسد الاخيار وهو يقول

يا هند قرى ولا تخشى ولا تخفى … فدونك اليوم ليث غير منحرف
ياهند لو نظر عيناك ما فعلت … مضاربى فى أعالى البيض والجحف
وقد اسرت هماما طال ما أسرت … يداه أسد الشرا فى موقف التلف
أسرته وغبار النقع مرتفع … والطعن أسرع من أنفاس متلهف
ياهند هذى فعالى لا أغيرها … ولا أحل ضيفى ثقلة الكلف
ياهند كم من غبار خضت ظلمته … والخيل تمشى على القتل والجيف
فحمته وهو مثل الليل منعكف … وعدت وهو صباح غير منعكف
عشقت طعن القنا والخيل جائلة … فصرت أبلغ محاسن العليا والشريف

قال فلما فرغ زيد الخيل من أبياته تعجبت بنو أسد من فصاحته وقوة شجاعته وعلموا أنه بطل الأوان وفارس الزمان . وكان الخطيئة الشاعر الذى تقدم ذكره من جملة المأسورين

فقال لزيد الخيل ألا يافتى أنت قد أسرتنا وصرنا أسراك أخبرنا إلى أين سائر بنا وما الذى تريدمنا فقال أنا سائر بكم إلى ديار قومى بنى نبهان أشددكم وأعذبكم العذاب المهين فقال الحطيئة الشاعر والله يافتى نحن نستاهل مثل هذا وأوفى لأننا سبينا حريمكم وتعدينا عليكم وسبقت منا الأذية إليكم لكن ياوجه العرب لا تظلمنا ولا تطالب منا إلا على قدر أحوالنا فأما فرجل شاعر فقير قليل المال ولى عيال كثير ومن منذ خلقت ماقليت عقلى ولا رأيت غارة ومات عليها ولا رجالا وتقدمت اليها إلا فى هذه المرة لما عدمت الأجواد وخابت المقاصد وأصبح سوق الشعر كاسدا فخرجت مع ابن عمى عامر بن الطفيل من شدة الفقر والويل وقلت لعلى أكتسب شيئا أعود به إلى زوجتى مع البنات فوقعت فى هذه البليات وأنا أقسم بمن بسط الأرضين ورفع السموات العالم بما مضى وما هو آت ما خرجت من بيتى وعندى شىء به أقتات فان كنت تقنع منى بشىء من الشعر ولا تقتلنى هاهنا ولا تتعب فى حملى إلى بنى نبهان وتقضى الأيام فى الهذيان لان فرسى أخذتها أنت أهلكتها وسيفى ورمحى وعدتى عارية وأنت قد أخذتها وما أملك الساعة إلا ما على جسدى وهذه الحبال قد أتعبت رجلى ويدى فقال له زيد الخيل المناسب وحق ذمة العرب ماترى فرجا منى فى يومك إلا كنت تمدحنى وتهجو قومك فقال له يامولاى هذا أمر هين ثم أنشد وقال

وقر الشيب فالمشاب وقار ... واغتنم المدح فالمديح فخار
كن رحيما إذا ملكت فقيرا ... وحليما إذا أعداك جاروا
إحذر صروف الزمان يا زيد ... ربما لاتجد لديها انتصار
إن صفى يوما وراق لقوم ... غيرته قبل المسا الأكدار
أعاذك الله من بلاه يازيد ... مدى الدهر ليل أونهار
يافريد الزمان يا فارس العصر ... يا من له العلا والافتخار
لك سيف يقد حادثات الدهر ... فهو فى حده لهيب ونار
وسنان تدب حوله المنايا ... كلما اهتز منه الخطار
وجنان وعزة مثل موج ... كالبحر مالحدود فيه قرار
قد علمنا يا زيد قد جنينا ... ما لجانى القبيح إلا الإعتذار
وما بنو عامر وأنتم سواء ... فهم ليل داج وأنتم نهار
وأنت ليث الثرى ونحن ذئاب ... وقتال الذئب لليث عار

أنت بحر ونحن خليجات منك تروينا إذ جفتنا البحار
فاغنم المدح والثنا من فقير لادرهم معــــه ولا دينار
فارس كلمـــا رأى نار حرب تلظى يقول طاب الفرار
وسيفه الغمد من ظلمة لم يزل عليه من الصدم الثلم واصفرار
وإذا نظرن لى حريمات فقر زاد منهم لنحوى الانتظار

قال فلما سمع زيد الخيل شعره ضحك كيف ذم قومه ومدحه وخاف من مذمة الشعراء والمشايخ الكبراء فاطلقه واعطاه الناقة التى تحته وقال له اذهب إلى قومك وقل لهم يعجلوا فى فدية أصحابهم وإلا ضربت رقابهم أعلم أنى جعلت جائز قصيدتك إطلاق مهجتك ولو لا أنك تيقنى محارب لاغنيتك واغنيت من خلفك من الأبطال والأقارب على أننى فى هذا المكان غريب بنفسى ولا أملك غير عدتى وجوادى قال فشكره الخطيئة الشاعر على مقاله واثنى عليه ثم تقدم إلى عامر بن الطفيل ورجاله فقال لهم ما الذى أقوله وما الذى توصونى به إلى أهلكم وما أقول لهم إذا سألونى عن حالكم فقال عامر لا تقول لك يا ابن العم إلا قد كسوتنا عاوا لا يمحى أبدا نهجوك لنا ومدحك للاعداء ولكن أنت عذرك واضح الذى فى رأسه عقل يكون لك مسامح لأنك رجل فقير ووقعت مع الأعداء أسير ومالك خلاص إلا بهذا الوجه الحقير فاذهب إلى عنتر واعلمه بما جرى من قصتنا وحدثه بما رأيت من ثابتنا إن سألك قومنا عن حالنا فلا تحدثهم بما جرى لنا حتى لا تشمت بنا أعداؤنا فانى أعلم اليوم أن من عظم أعدائى ويطلب لى المهالك ابن خالتى غشم ابن مالك فقال الخطيئة الشاعر والله ما رمانا فى هذا البلاء إلا أنت يا عامر لاننا كنا أول الحال قد ظفرنا بأموال بنى هلال فما قنعت أنت بذلك بل سرت بنا إلى المصائب والمهالك وعدة بسرعة المودة فسار يقطع البرارى والقفار حتى التقى بعنتر فى ذلك المكان وحدثه بما جرى وكان فلما فرغ من شرح هذه القصة دخل على قلب عنتر غصة وأى غصة فقال لقد كان عامر غنيا عن هذه الفعال لأننا ما فارقناه إلا بغير علمه إلا لنخفف عنه الأثقال ولكن محمد رب السماء الذى التقيناك هاهنا واسترحنا من التعب والعنا حتى لا يطول على عامر المطال ولا يقيم لى والاسر والاعتقال فعد بنا من هاهنا إلا بنى نبهان حتى أريك ما فعل بزيد الخيل ومن معه من الفرسان واخلص عامرا من قيد قيد الاسر والهوان واطلقه من ذلك الاسد الهدر الذى امتلات بذكره القفير لانى أتمنى لقاه ورؤياه ولكن كثرة من الحرب منعتنى عن نيل المطلوب والآن قد سهل ما تعسر والذى قد طلبته تيسر فلما سمع الخطيئة الشاعر هذا المقال وقع به الاندها فقال يا مولاى أنت فى أربعين من الفرسان تريد تسير إلى بنى

تيهان وتخلص عامرا من يدذلك الجبار الشيطان الذى قد اسعده الزمان ياوجه العرب ماأنا بمن أشر عليك بهذا السبب ولا أتبعك فى طريق ولاأكن لك برفيق لانى أرفعت هذه المرة فى أسر زيد الخيل أنزلنى الذل والويل ولايعود يطلقنى من الهوان ولو مدحيه بكل شفه ولسان وإن كان ولابد لك من المسير إليه والقدوم بهذه الفرسان عليه اكمنوا فى أرضه لعلكم أن تصلوا إليه ولا ابقوا كما كنتم هذا المكان واكمنوا فى بعض المكان من حتى أسير إلى بنى عامر وارسل لكم بعض أصحابكم على الخيول الضوامر وإن شئتم الفيت فى فى القبيلة النفير وسيرت اليكم الكبير والصغير على ان عامرا قد اوصانى أن لا أعلم أحد بقصته فقال عنتر ياوجه العرب ماهذا الكلام فوحق الذى ارسى الاعلام ورفع قدر البيت الحرام لامكنك من هذا المعنى ولا بد لك أن تسير معنا باختيارك ليكون طبق المرام ولا كيفنك وآخذنك بغير احترام حتى تنظر قتيلنا وتتفرج على وقع مضارب أسيافنا ولك أسوة بنا وأى شىء جرى علينا يجرى عليك مثلنا فقال الشيخ وقد أغتاظ أنا علمت والله أنه نهارى عجيب ولقد كانت سفرتنا مع عامر من ايشم السفرات لاننا عندما نجونا من التلف تصادمنا من يشدمنا الساعد بالكتف وياخذنا على رغم الانف فقال عنتر ياوجه العرب عدمعنا ولا تخف فاننا نسلم نفوسنا حتى تلعب الخيل برؤسنا فما نحن مثل غيرنا ومن حين انتسبنا وارفقنا جبان ضعيف الجنان فقال الشيخ يامولاى أن كانت هذ النية نيتكم فلا تاخدونى صحبتكم لانى جبان ضعيف الجنان ومذ ركبت الخيل ماحضرت قتالا ولاناشرت حربا ولانزالا ولاعمرى لاقاتلت ولادعانى أحد إلى براز ولاسئمت ثم قال

وفارس مــــا مثله فارس يهزمة ضعيف من القمل
إذا جرى فى الجيش اغنامهم بطرطة فيهم عن الطبل
يضبط أقدامه حــــذرا من هوج فيـــه ومن خبل

قال الراوى عندى انكم تمضون إلى حال سبيلكم وتدعونى امضى إلى حال سبيلى واحسبوا انى ماالقيتكم ولا لقيتمونى فتبسم عنتر اوقال وحق ذمة العرب ماتبرح من هذا المكان إلا أن تسير معنا فى ذلك الامر والشأن ولا بد ما أعطيك شيئا من أموال بنى تيهان تكفيك أنت وعيالك طول الزمان ثم أمر شيبوبا فاحضر لة فرسا من جنائبة وطيب قلبه ووعده بنيل مطالبة فقال يامولاى كونى أريد أن أعود سالما وأعيش فقيرا الى عن الأموال والتدمير ثم أنه سار معهم وهو يعلل نفسه بعدى ويقول أنا أعلم أقتل فى هذه السنة واجتز اصباح والمساهذا ماجرى لهؤلاء من الامن والشأن واما ماكان من زيد الخيل فانه بعد اطلاقة

للشيخ سار فى البر والفدفد حتى وصل إلى بنى أسيد وأقام وعندهم يومين وفى اليوم الثالث ودعهم وسار بزوجته حتى وصل إلى دياره وأشرف على قومه وعشيرته فوجدهم فى حرب شديد وقتال يشيب منه الأطفال والوليد وأى بنى سليم قد أغارت عليهم خلق كثير وادخلوهم إلى الخيام والمضارب ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم قال فلما تحقق زيد ذلك الحال وعرف الصحيح من الحال صار يهمهم كما يهمهم الأسد الرئبال ووكل بزوجته والاسرى من كان صحبته من العبيد والرجال فعند ذلك لبس درعه وركب جواده واعتد فى آلة حربه وحمل على بنى سليم حملة الأسد هذا وقد عرفت بنو نبهان صوته فتصايحت وقويت عزيمتهم بعد ما كانت أشرفت على الذهاب وأخذتهم الحمية وأخذوا الطعن والضرب قال وكان زيد قد أشرف عليهم نصف النهار فما شرك المساء يمسى حتى رد بنى سليم وأخرجهم وفرقهم وهم فى عرض البر والفلاة وخاض الأموال والأحرار واجتمع بسادات عشيرته وحدثهم بما جرى ففرحوا بذلك وزادت عندهم الأفراح وباتوا على ذلك الايضاح إلى أن أصبح الصباح فنزل زيد الخيل وطلب من بنى سليم الحرب والكفاح وكان مقدم بنى سليم مرادس بن جابر وهو الذى مسكهم إلى اليوم الثانى ووعدهم بقتل زيد الخيل وبرد الغنيمة التى أخذ منهم ومايعود إلى أرضهم حتى يفنيهم ولا يترك منهم انسان وكان حسابه فيه نقصان وعاقبته خسران لان زيد الخيل لما حمل للحرب أستقبل سمع وقع فى مضاربه فى صدور أقوامه فاستدل عليه بحملاته وصياحه ومازال يطلبه حتى وقع به فى الميدان وجرى بينهما ساعة تتعوذ منها الإنس والجان وتزهق منها قلوب الأبطال والفرسان من صعوبتها وشدة أمرها ولهيب جمرها وزاد الامر حتى اختلفت بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة زيد الخيل فوقع السنان فى صدره خرج يلمع من ظهره وبعد ، وقع الذل على بنى سليم فقاتلوا إلى قرب المساء وولوا الادبار تحت الظلام وعادت فرسان بنى نبهان بالغنايم والأموال وما فيهم إلا من يدعو لزيد الخيل ويثنى عليه ويصف قتاله وفعاله وكان مهلهل أبو زيد الخيل سيد القبيلة وقدم العشيرة فجدد من الغد عرس ولده وشرع وليمة عظيمة جمع فيها السادات والامراء الكبار والصغار وما بقى م الحى أحد إلا وأكل من الوليمة وبات فرحان شبعان ريان وشكر والمهلهل وزيد الخيل على ذلك الشأن فلما كان عند الصباح تبدلت أفراحهم بأتراح وسمع فى مضاربهم بكاء وصياح وتعديد ونواح فسأل زيد الخيل عن ذلك وقد انزعج وقال ما الذى دهاكم فقيل له أسرا كهر بواه عامر بن الطفيل وما أصبح لهم فى الديار خبر ولا أثر وما ندرى فى الليل هر بوا أم فى النهار لان العبيد الذى كانوا ابهم وكانهن

قدأصبحوا على الأرض مطروحين قال فلما سمع زيد الخيل هذه الأخبار طار من رأسه السكر وطار من عينيه الشرار وصاح صياح الفهر وصارت عيناه مثل الجمر وقال لبعض عبيده آتى بالجواد المطال حتى الحق عليه هؤلاء الأنذال وانهب فى النوبة اجسادهم على أسنة الرماح الطوال ولو بلغوا منازلهم والاطلال فعندها مضى العبد وعاد وهو أصفر اللون مسلوب الفؤاد فقال له زيد الخيل وبلك أين الجواد إيش جرى عليك حتى عدت على هذا الحال يا بن الأوغاد فقال جوادك قد سرق والذى كان يحفظه بمدد فما أدرى من قتله فزاد به الغيظ ولطم على رأسه من شدة الاحتراق والآلام وخرج بنفسه إلى بين المضارب والخيام وتقلد بسيف عريض مهند وركب جوادا أجرد وانقلب الحى عند ركوبه ووقع فيه الصياح والانزعاج وشا الخبر بما جرى وركبت الفرسان وخرجت إلى الصحراء وركب المهلهل أيضاً على أثر ولد وكانت بنو نبهان أوفى من خمسة آلاف عنان فتسابقت وتتابعت وطلبت رؤوس الروابى والقيعان وتفرقت فى جميع الروابى والوديان وكان وزيد الخيل فى أوائل الرجال يركض يمينا وشمالا ويتفقد الحوافر والنعال فبينهام كذلك وإذا ببعض الفرق قد لحقته وقالوا له أيها السيد أعلم أننا عيرنا ونحن نطرد على وادى الجماجم فرأينا فى جنباتها قوعا من أصحابنا قد قتلت والحجرات التى كانت فيه من المهارة قد أخذت وأصبح الوادى عنها خالى الآثار من الحجرات والأمهار قال وكانت هذه الخيل والمحجورة التى ذكرناها أزيد من ألفى فرس ويتبعها مهارتها وكان فيها زيد الخيل وأبيه ألف حجرة والباقى لسادات القبيلة ومقدمى العشيرة وهى التى كانت بها بنو نبهان تفتخر على سائر العربان وكانت من أعلى الخيل الجياد ولما بلغه من أخذها زاد به الجنون ولطم على وجهه حتى كان أن يطير منه العيون ثم هام فى جنبات البر الأقفر ليقتفى من الأرض الأثر فلما أبصر أبوه حاله شق عليه ما جرى له ياولدى ترفق بنفسك الامن بنى عامر وما فعال هذه الفعال إلا جماعة كثيرة وقد طرقت ديارنا وطلبت قلع آثارنا والصواب إنك تصبر حتى يصح عندنا الخبر وننفذ عبيدنا إلى سائر القبائل تكشف لنا أنهم أتوا فى خص بنى عمهم فرأونا مشتغلين بالأفراح والولائم فبدلوا افراحنا ترح وهذا جزاء من تهاون بامور العظايم أنهم عادوا إلى وادى الجماجم وافتقدوا آثار الخيل التى أخذت وصارت الفرسان تركض حتى أمسى المسا وعادوا وقد تبينوا حوافر الخيل فرأوها طالبة نحو ديار بنى عامر فقال زيد الخيل لأبيه ماقلت العامرون هم الذين دهونا

وأخذوا أموالنا وسبونا فقال المهلهل يا بنى ماقلت إلا الصواب بنظرك المستطاب والرأى عندى أنك تعود بنا إلى أرضنا حتى ندبر غير هذا التدبير وإلا حل بنا الامر النكير وحلت بنا الخسارة من وجوه كثيرة أحدها أن غرماءنا قد فاتونا ونعلم أنه ليس معهم نوق ولا جمال حتى نقول أننا نلحقهم إذا جد بنا فى آثارهم ولا أخذوا إلا خيولا تسابق الأطيار مايلحق لها غبار والوجه الثانى أن الليل قد أقبل ونخاف أن تسير على غير أثر فيضيع من المرء أيامه كمن القى نفسه فى التعب والوبل وأن تعبنا بنوع آخر ونحن هكذا على ظهور الخيل يبلغوا منا المراد بلا أمهال ونكون قد فعلنا فعال الجهال من الرجال وبنو عامر خلق كثير وفيهم فرسان الموت وأبطال المنايا خصوصا ملاعب الاسنة غشم بن مالك وهم لملاقاته قبايل على ماء واحد وفى هذا العام جاورهم بنو عبس وعدنان وأنا أعلم أننا إن سرنا اليهم مسير الطامع خسرنا وفى المهالك نقع وإنما الصواب عودتنا إلى الديار ولا بد لى أن أنفذ إلى بنى طى واعلمهم بما جرى علينا واطلب منهم فرسانا تسير بين أيدينا وأجمع حلفاءنا فلا أسير إلا ومعى عسكر جرار حتى لا ينكسر عزنا ولا نهان فلما سمع زيد أبيه هذا الخطاب واستحى وأجاب وعلم أنه بعد أتى بالصواب والامر الذى لا يعاب فرجع وهو يأكل كفيه ندما ولا يعلم كيف كان هروب الأسارى مع عامر ابن الطفيل وكان السبب فى ذلك أن عنتر لما جرى له مع الخطيئة الشاعر ماجرى وأخذه معه وطلب ديار بنى نبهان فجد فى السير حتى شارف ديار القوم وانفذ اخاه شيبوب ايكشف له الاخبار وتفكر من أين تدخل عليهم المصايب ويبصر ماتم لفرسان بنى عامر وما جرى الأسرى فسار شيبوب وقد ترك عدته عند أخيه فى المكان الذى أوصاهم أنه يكمنوا فيه ومازال سايرا على هذا الشأن حتى قارب ديار بنى نبهان ورأى المضارب والخيام قد ملأت الصحصحان وعبيدا وغلمانا وأبطالا وشجعان ورجالا وفرسان والكل مشغولون بشرب المدام عاكفون على الخمر واللذات وسماع القينات هذا وقد حضرت الغلمان وهم آمنون من نوايب الزمان غافلون طوارق الحدثان قال الراوى فلما رأى شيبوب هذا الامر علم أن القوم صرفوا الهم فى تناول الخمر وسماع صياحهم قد قلب الفكر فقال هذا وقت اغتنام الفرصة وما أريد من القصد بالاتفاق والليلة أخلص عامر من الوثاق ومن معه من الرفاق وافرج عنهم ماهم فيه من ضيق الخناق فلا احوج أخى إلى تعب ولا أكلفه هم القتال والنصب ثم عاد إلى غدير الماء وجلس بجانبه وجعل يحك رأسه ويفلى

ثيابه وهو كانه قائم من منام وهو ينظر المساو قدوم اللام وإذا بجماعة من مولدات الحى قد أقبلن فى طلب الماء فقال لاحدا هن يامولدات العرب عندكن جارية تزف على بعلها أم هذه عادة بنى نبهان على طول الزمان لأنى أرى الحى منقلبا بشرب الراح والصياح والأفراح فقالت الجارية كيف لا تكون الأفرح عادا تناو الأمان فى ديارنا بوجود فارسنا الأوحد وسيفنا المهند وحامينا الذى ما مثله فى الحرب بوجد زيد الخيل بن المهلهل النبهانى الذى كمل بالوصف والمعانى الذى قال فى حقه حسان بن هانى .

همام كمى فى الحروب مروع   تهون عليه فى المعانى والكبائر
بصير إذا الأبصار زاغت مهابة   ولم يبق إلا ماخلا الرمح ناضر
عليه من الصبر الجميل تجمل   يرى دراعا من توبها وهو خامر
يخاطر بالأمر الجليل بنفسه   ولم يدرك الاخطار إلا المخاطر

قال ثم أن الجارية حدثته بزواج هند بنت ذاراع وعودته بفرسان بنى عامر وكسرهم لبنى سليم وأعلمته ان هذه الافراح والولائم من أجله وقالت له فى آخر حديثها وأنت يافتى مالك قد قنعت من ضيافتنا بالماء والنظر فدونك والخيام فان الخيام فان الخير فيها كثير وقد شبع واحمل ما نطيق مما يعينك على قطع فقا شيبوب ياجارية وعل هذا معول وما نزلت هاهنا إلا لطب الراحة لأنى اليوم قطعت أرضا بعيدة إلى المكان المعهود للفرح وعادت إلى جملة الاماء وملات القرب وبقى شيبوب مكانه حتى اسود الظلام ودخل الناس فى المضارب والخيام وهو يتوكا على عصاو يجر رجله من الأمام إلى القفا ولما توسط الحى رأى أكثر أهله نياما والباقون لا يقدرون على القيام ولا على الكلام وما فيهم من يقدر يتحرك من لذيذ المنام كما قال الشاعر حيث يقول .

جلبنا تحت أستار الظلام   عروس الكرم ما بين الكرام
ونام الدهر عنا فانتهبنا   مع الطاسات أقداح المدام
يصير أميرنا فى الحى عبدا   ويرقد بين أطناب الخيام

قال فلما رأى شيبوب القوم على تلك الحالة امن على نفسه وقصد أبيات زيد الخيل فرآها خالية لانه كان فى أبيات أبيه وأعمامه وجواره وخدمه نائمون قد شيبوب نظره إلى خيمة فعرفها بذكائه ومعرفته فقصدها وتحققها وإذا فيها عامر بن الطفيل ورفقته وعندهم ثلاث عبيد نيام وكل منهم غلب عليه السكر والمدام فرمى نفسه على باب المضربه

والعبيد غطيطهم قد علا وزاد فعند ذلك فرح شيبوب وعلم أنه قد بلغ قلنا وسمع عامر ان الطفيل وهو يقول لأصحابه يا بنى عمى لو أن لنا فى هده الليلة من يخلصنا ويقطع أكتافنا لكنا خلصنا وقطعنا البيداء من غير أن يشعر بنا أحد من وإذا بشيبوب قد دخل عليهم وقال ها قد أتاكم من قطع عنكم حبالكم ويقضى شهواتكم وتبلغون آمالكم ثم عرفهم بنفسه وأعلمهم أن أخاه عنتر آتى فى طلبهم ثم قطع أكتافهم وقال لهم اطلبوا المرخ الذى فى طريقكم من تخافون من انكار واسرعوا فانى لاحق بكم إذا أخذت لعامر ما يركب من هذه الخيول التى ما رأيت مثلها فى حلل العرب فقال عامر شيبوب أن لزيد الخيل فى هذا المضرب الذى بجانبنا حواد يقال له الهطال ثم سار مع رفقته وما فيهم من يصدق بالنجاة وبعدما ذهب عامر ولحقوا برفقائه مال شيبوب على العبيد الثلاثة وذبحهم ليأمن أمرهم وقصد بعد ذلك المضرب الذى فيه الجواد والهطال ودخله وهو هائم فرأى فيه عبداً نائماً فنام بجانبه وذبحه أيضاً لأنه كان معه خنجر أمضى من السفر وأسرع من لمح البصر ثم أخذ مفتاح قيد الهطال من رأس العبد ودنا منه ليفتح قيده وإذا بزيد الخيل قد أقبل ومعه جماعة من العبيد والاماء وهو مثل ثنية الجبل طافح من السكر يمايل من كثرة ما نهل إلا أنه لما أراد أن يدخل الخباء وإذا هو بالجواد صهل فلما سمعه زيد الخيل انكر أمره وقال يا عبد الخير لاى شىء يصهل فى هدا الليل فقال شيبوب يا مولاى ما أدرى وأقول أنه الساعة فقال شيبوب يا مولاى أنا الليلة أريد أن أسيره فى الفضاء لان لك اياما ماركبته ولاجل هذا زاد وغضبه وانا لاأقدر أقاربه إذا لم اتعبه فقال زيد الخيل إذا كنت تعرف هذا منه فأخرجه إلى ساحة الفضا واركض به جهد قدرتك علافه فقال شيبوب وحياة راسك يا مولاى لاسيره طول هذه الليلة لانك تعلم يحبق له دون خيل الحلة ثم صبر حتى دخل زيد الخيل المضرب الذى لزوجته هند وحل الحصان وخرج من الحلة بأمان ولما أن صار به فى الفلاة ركبه وطلب به اخاه وقد اخذ به فى عرض البر الأقفر والمهمه الأغبر خوفاً من آفاقة الأسد الغاشم وركض به فاتى طريقه على وادى الجماجم وكان هذا الوادى حصناً من أرض بنى نبهان وفيه كانت تبيت الحجورة ومهارتها الحسان سوى الخيل التى كانت لسادات العشيرة إلا أن شيبوباً دخل فيه فرآه يموج بتلك الخيل المسومة فقال شيبوب هذه غنيمة لها قدر وقيمة ولا بد وأن أحتى بسوقها بين يديه ويعوض المال الذى أخذه من بنى عامر وتم على هذا الحال

فى الليل حتى وصل إلى أخيه عنتر قبل ما يصل عامر بن الطفيل وأصحابه الذين كانو معه كان أكثر من ساعة بقدر ماحدث أخاه بما فعل وإذا بعامر قدوصل فرآه أنه سبقه فقال له ياشيبوب أنت من بعض العفاديت الطيارة ويلك كيف سبقتنا ونحن تركناك وراءنا فى الخيام وماقينا الأمن ركض حتى ورمت منه الا الأقدام فقال شيبوب أنا سبقتكم على ظهر الهطال بعد ماذبحت جماعة من العبيد الانذال ثم أعاد عليهم ماجرى له مع زيد الخيل فضحك عامر بن الطفيل وقال جزاك الله ياشيبوب عنا كل خير ولقد قضيت شهوتى وفرجت عنى كربتى وأنقذتنى من هلاك مهجتى ولكن ياشيبوب إذا ركبت أنا هذا الجواد ما الذى يركبه رفقتى فعندها حدثهم بحديث الحجورة والمهارة التى رآها فى وادى الجاجم ووصفها لهم وقال رأيت من الرأى أنكم تتبعونى حتى أدلكم عليها من جهة بنى نبهان وأعلم تسوقونها وتذبحون العبيد الذين عندها وتطلبون الديار مادام الليل راخى الأستار فقال عنتر ويلك ياشيبوب كيف تترك الخيل الذى فعل هذه الفعال بأخى بن الطفيل سالما ولم نذقه ألم التعب والويل فقال شيبوب الرأى عندى انكم تمضون وأنتم سالمون وأما أن أثرتم حربا لقيتم تعبا وكربا والصواب عودتكم وأنتم رابحون من كل جانب حتى لا يغركم الطمع بحبال النوائب وتجتمع عليكم المواكب والكتائب وتقصدكم العرب من كل جانب وترجعون تخاطرون بأنفسكم حتى تخلصوا أرواحكم وتفوتوا الغنائم ويعود كل واحد منكم وهو نادم فقال الحطيئة الشاعر ياشيبوب لقد صدقت ولا يقع موضع الخسران إلا من أنقطع أمله ودنا أجله وأما زيد الخيل أنا أعلم إذا أصبح لصباح وأبصر ماقد جرى عليه تبع آثارنا مع جميع قبائل العرب من بنى طى وسار خلفنا إلى ديارنا لأنه يعد نفسه بالبطل العظيم وأبوه المهلهل رجل مطاع كريم فى هذه الديار وعز ومقدار ونحن إذا صح هذا الحساب وسار معنا الأديار بنى عامر بلغنا المقصود ولو جاء الينا أهل عاد وثمود فقال فلما سمع عنتر هذا الكلام قال لاخيه شيبوب دعنا الساعة من هذه الملام وسر بنا حتى نسوق الخيل الذى ذكرتها وترجع ومامضى من الليل ساعة حتى حطهم على وادى الجاجم من ناحية بنى نبها وفرقهم ثلاث فرق حتى لا يلفت من الوادى أنسان وساروا يطلبون الأهل والديار وقالوا أعلموا أن الإنسان ينال بالتدبير مالا يناله بالصارم الذكر وصار يدلهم على الطريق الواضح وتجدبهم السير فى البرارى والقفار طالبين الأهل والديار قال وركب زيد الخيل كما ذكرنا وجرى كما وصفنا وعاد راجعا كما قدمنا ودون مشورة أبيه المهلهل نزل

والنار فى قلبه تلتهب وتشتعل وأرسل ساير العرب من بنى طى وطلب منهم النجدة على بنى عامر وأقام يتأهب لها وأما عامر بن الطفيل وعنتر بن شداد من معهم من الرجال الأجواد فانهم ساقوا الخيل وأوصلوا سير النهار بسير الليل وكان عنتر قد اشتاق إلى عبلة وأقلقه الهوى وتباريح الجوى وكلما لاح له نور الصباح يهيم تحيا إذا أذهب عليهم نسيم محبوبته عبلة عند الدجا فتنفس وأبدى لوعه قلبه وأنشد يقول :

كيف أصطبار طيب العيش مسبول ... بعد الأنيس ودمع العين مسكوب
شوقا ووجدا وأشواقا مؤبدة ... وبعد الف عدا بالبين محجوب
ولوعه كل وقت لانقضاء لها ... بين الضلوع لها وهج وتلهيب
وعبلة قد أدناها البعد عن ناظرى ... وقد غدوت حزين اقلب متعوب
بكيتى لى رحمة ياعبلة حين غدا ... ثانى المزار بنار الوجد ملهوب
أن كنت جاهلة ماقتلته قسلى ... يوم النزال الحرب مسحوب
فى يوم كنا على وادى الجاجم فى ... حرب تصير لها شباتها شيب
والخيل قد رجعت من خيفتى هربا ... والسيف بالدم مصبوغ ومخضوب
سلى الفوارس عنا يوم قام لنا ... سوق النزال وأضحى الليث مرعوب
وقد أخذنا خيل القوم حين بغوا ... حتى غدوا بين مقتول ومنهوب
وعامر كيف خلصناه حين عدا ... عنا أسيرا عن الأبصار محجوب
إذا تعلمى أن لى عزم أقد به ... كل الجموع إذا ما القرن منهوب
كم من كمى لقد صيرت مهجته ... يوم الكريهة رزق الوحش والديب
لو أن عين القضاقرن ينازلنى ... صيرته فى رخاه الحرب معطوب

قال الراوى ثم أنهم ساروا وجدوا فى المسير حتى أشرفوا على ديارهم والمنازل فما صدق عنتر أن تظهر له الخيام ويرى عبلة حتى يبل شوقه منها ويقبلها تحت اللثام وبين عينيها فلما قابلها سألها وكيف كان مقامها فى ديار بنى عامر فقالت والله يا ابن العم مازالت طيبة العيش فى حظ وافر مابرحت من عندى كبشة أم عامر تؤانسنى وتهون علينا أسباب الردىء والخطر وأما بنى عبس فانهم الأمر وما ترك لهم دريد بن الصمة ذكر يذكر ولهم ثلاثة أيام وهم يرسلون فى طلبك وأنى من عند الملك قيس جماعه من الرسل يسألون عنك وأنا أردهم خائبين وأقول لهم والله ماأدرى ابن مضى من حيث أنفذ جهال الخبر وقدسمعت يا أبا الفوارس أنهم فى شدة شديدة وعمارة بن زياد أسره دريد وأنزل به كل مكيدة وقد عول على

صلبه إذا فرغ من عبس وينزل به التعس والنكس وقد حلف انه لا يبقى عليه ولا على بنى كلهم فقال عنتر انا اعلم شؤ مهم على الملك قيس واخوته وأما إنا ذهم خلفي وارسالهم إلى فانا منهم وما هم مني وما بقي بيني وبينهم قرابه وماطردوني إلا أنفا على أنفسهم من عبوديتي فبأي وجه ينفذوا خلفي ثم أقام عند ابنة عمة يطفي نار أقرانه كلما نظر اليها ويبل شولة منها هذا ما جرى من حديث هؤلاء وأما ما كان من حديث بني عبس وعدنان فانه كان حديث عجيب وأمر غريب نسوقه على الترتيب بعدما نسمع من يصل على النبي الحبيب لانهم سمعوا أن دريد سالم من طعنه عمارة إنه جمع قبائل العرب وعول على غزوهم ويطالبهم بدم أخيه عبد الله فتفكروا في ذلك ولم يصدقوا بل رجعوا واتفق رأيهم على إرسال الجواسيس إلى بنى جشم وهوازن وكشف الأخبار عن حديثها فارسل الملك قيس ثلاث عبيد من عبيده وأوصى الربيع بسرعة العودة فساروا وعابوا أياما وعاذوا يخبرون بصحة الحديث الذى بلغهم عن دريد أنه صحيح وأنه قد جمع فرسان القبايل وأتى فى خمسه عشر ألف مقاتل وأنه سار إلى نحو ناطالب قتالنا وقد كاتب اللقيط ابن زرارة وقال له النقيني على بنى عبس الذين نزلوا على بني عامر حتى أخرب ديارهم ونأخذ منهم بالثار قبائل العرب ماتعاير نا بلباس العار قال فلما سمع قيس ذلك المقال أنذهل وتحير وجمع وجوه العرب وأخبرهم بذلك وقال يا بنى عمى هذه خمسة عشر ألف فارس سائرين الينا وفيها مثل دريد بن الصمه وسبيع بن الحارث وإن نحسن التدبير وإلى وقع بنا الهلاك والتدمير فقال بعض الجواسس يا ملك سبيع الحارث لاتخافون منه فانه مريض جريح وقد تخلف على المسير من دريد لانه غزإلى بلاد اليمن مع خمسمائه فارس وأغار على الملك الريان بن معمر صاحب أرض معمر وأخذ أمواله ولما عاد تبعه فى خمسة آلاف فارس وأرادوا اخلاص الغنيمة فماقدروا على ذلك وكسرهم وقتل أكثرهم فرسانهم المذكورة وعاد وفيه ثلاث جراحات وقد وعدد دريد أنه يلحق به إذا برىء جراحه فقال قيس الله لا يشفيه ولا يورينا وجهه لانه والله لايلقى ولا يخاف جيشا عند اللقاء وهذه محبة أعاننا الله منها ولا بقى الا التدبير لأن الموت قدم على الحريم واجتهاد فى دفع الغريم فقال الربيع مرادنا نعلم فى نفوس بنى عامر ماأن كانوا يعينونا أو يتخلوا عنا فقال الملك قيس بنى عامر لانراسلهم ولا نبعث خلفهم فانا أعلم انهم علينا أحقد من الاعداء ولاقدروا على أذايتنا لما تركونا ومصواب اننا ناخذ حذرنا منهم ونترك لنا عليهم عيون الارصاد قبل أن يدهمنا دريد ويقع القتل والجلاد لانى أعلم أنه إذا قارب أرضنا أرسل لهم مرساله ودروا على قلعنا ثم أخذ قيس فى التدبير والتأهب للحرب وصار يبات ويصبح متفكر يقاسى

الهم والكرب فهذا ما كان من هؤلاء أما ما كان من دريد فانه لما برىء من جراحه له من قومه خمسة عشرة ألف فارس من كل قرم مداعس وسار بهم يجد المسير فى ذلك العسكر الجرار والبحر الزخار بهمة لا تقاس بالهموم وعزم لو صدم به جبل لاهتدم ولما بعد عن أرضه وابصر طول عسكره وعرضه فرح بذلك وجد فى مسيره وهو يقول

أتتنى جياد الخيل عن أم معبدى ... بعافية أم أخلفت يوم موعدى
وبانت ولم أحمد لديك جوارها ... ولم ندع فينا أردة اليوم أم غدى
كان حسول الحى إذا طلع الضحى ... تناصفه السخنا وعصبة مزودى
فقلت لهم ظنوا تألف مزجج ... سرا تهموا فى السابر المتشردى
أمرتهموا امرأ بمتوج اللوى ... فلم يستجيبوا النصح منى إلى غدى
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى ... غوايتهـــم أو اننى غير ندى
وهل أنا إلا عاذر قوما وإن غوت ... غويت وإن ترشد به غير أرشدى
تناخا وقالوا أردد الخيل فارسا ... فقلت أعبد الله أحى وارشدى
فان كان عبد الله أحـــلى مكانه ... فا كان وقافا ولا طايش اليدى
تراه خميص البطن من غير حاجة ... عنيدا ويغدو فى الحروب ويرشدى
نظرت اليه والرماح تنوشه ... كوقع الصياح فى الفسيح المنضدى
دعانى أخى والخيل بينى وبينه ... فلما دعانى لم يجدنى بمنجدى
فطاعنت عنه الخيــل تبددت ... إلى أن علا من حالك الليل أسودى
فانزلت حتى جرحتنى رماحهم ... وعدت رهينا فى البقاع بمددى
فعال امرىء أفدى أخاه بنفسه ... ويعلم أن المرء غير مخلدى
واهون وجدى ونبى لم أقل له ... كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى
أعاذل كف بعد لومك مقصراً ... وان كان عالم الغيب رأى فارشدى
أعاذل أن الدهر مهلك خالد ... ولا غدر فيمن أهلك الدهر عن يدى
فقالت الا تبكى فقلت وما البكا ... عروف يا حداة للزمان المبدى
أعالى كل امرىء منه مانع ... كزاد منع من ركب غير مرددى

قال وما زال يقطع القفار يسير بهذا الجيش الذى يحاكى البحر العجاج حتى بقى بينه وبين الأرض بنى عامر ثلاثة أيام وقال لاخيه خالد كن انت مقدمه فى المسير وارفق بهم حتى اتقدم بين أيديكم وازور الأخلاص بن جعفر سيد بنى عامر واساله عن بنى عبس ومن انجدهم من العرب وهل علموا بمسيرنا اليهم ام لا واسمع ما يقول فى حقهم وإن كان يشق عليه هلاكهم وأيسره

لأن الملك النعمان قد رضاه بهم وأ كشف ساير الأحوال قبل القتال حتى لا يبقى من بنى عمنا كلام ولا ملام وقام من وقته وساعته دعا بعشرة من الرجال وكان هؤلاء الرجال من أولاد عمه الذى يعتمد عليهم لأجل كشف همه وغمه فركبوا وساروا وكان بينهم وبين جذع الطوائف يوم أو بعض فجدوا فى مسيرهم وركضوا بالخيل وكان مرادهم الدخول فى الليل حتى لا يعلم أحدبهم ويعود إلى عساكرهم قال وسار دريد مع العشرة فرسان إلى أن قرب من الديار فسمع حس رجان وركض خيل فقال لقومه أكشفوا الخبر وما هؤلاء القوم الذين سائرون فى ظلام الليل المعتكر فما تم كلامه حتى أتى منهم فارس وسار قدامه وقال لهم من أنتم من الفرسان وكيف أنكم سائرون تحت ستور الظلام قال وكان هذا الفارس الذى يخاطبهم الربيع بن زياد وكان السبب فى ذلك الإيراد أن الملك قيس من حين ما سمع بركوب دريد أمر الربيع ابن زياد أن يأخذ فى ليلة مائة فارس ويبعد بهم فى الصحرا ولم يزل كذلك إلى الصباح وكان تلك الليلة دائرة ومعه المائة فارس ولم يزلوا سايرين إلى أن مضى من الليل الربع الأول أن يرجع فسمع حس رجال تركض الخيل وإلى تلك الديار قادمة فى الليل فقال الربيع لمن معه نظرتم الذى أنا أنظره فقال بلى يا أمير هذه خيل عندنا قادمة وقاصدة فقال الربيع ما يكشف خبرها إلا أنا ثم أنه حرك جواده حتى قارب الخيل وأنتم يا سادة تعلمون ما كان فى الربيع من المكر والخبث والخداع إلا أنه لما قارب الخيل وسألها فتقدم اليه دريد وقال له يا أخا العرب اننا قوم من بلاد اليمن ولكنه ما حققه بل أنه استند على الأقوى وقال يا وجه العرب نحن من بنى عامر والمقدم علينا غشم بن مالك وأننا كل يوم وليلة نخرج ونطوف أطراف الجبال ننتظر فارس الأقطار ومشبع الأطيار دريد بن الصمة لأن مقدمنا الزمة النعمان ينزل أعداه فى جواره وهم بنو عبس الذين قتلوا خالد بن جعفر وتركونا عليه نتحسر ومن حرارة مقدمنا فى كل وقت من الأوقات يفرق الفرسان فى سائر الطرقات لأجل كشف أخبار زاحات الحرب وشيخ العرب دريد بن الصمة وما نحن سائرون مع أخيه طراد فى مائة فارس حتى لا يعلم بكم أحد من بنى عبس ونحن كما ترى مجدين فى هذه الأمور فأنتم من تكونوا من العرب وأى أرض أنتم طالبون تحت ظلام الغيب فقال دريد وقد فرح فرحا شديدا أبشر يا وجه بنى عامر فقد قرب عليكم الطريق ووصلتم إلى من أرسلتم اليه بلا تعويق فأنا دريد بن الصمة وتركت خلفى العساكر تملا القيعان ألقى بها بنى عبس والملك النعمان ولو كان معه ساير العربان وما جئت أرضكم إلا بهذا المعنى زايراً ومستخبراً وإلا ما كنتم لقيتمونى

قريب الديار وكنت عدت إلى قومي وما أضيع تعبي ولا بد من زيارة بن عمي الأخوص بن جعفر لان زيارته واجبه علي وهو مثل الفرض فعد إلى صاحبك طرادو أعلمه بما سمعت حتى نعود جميعا وندبر هلاك أعدائنا رفيعو وضيعا فعندها عاد الربيع وينادي بكرة ودهاه ابشروا يا بني عمي. فهذا سيد العرب أتاكم زائر ولكم معينا وناصرا ومعه قاتل وعساكر لم تدمغ من بني عبس سامعا ولا ناظرا وما زال كذلك حتى صار مع بني عبس وقال لهم يا بني عمي هذا دريد بن الصمة ومعه عشر فوارس وطالب أرض بني عامر ليدبر على قلع آثارنا وقد جرى معه كذا وكذا والصواب أنكم تظهرون الفرح بلتقاه ويترجل اليه منكم عشرون فاسا ونكون قد ملكناه ونحمل بعد ذلك الخير التي معه وإلا أن صحنا وطلبناه وعلم أننا من أعداه ما نقدر عليه ولا نصل اليه لانه كما تسمى راحات الحرب وما فينا من يقدر يقاتله إذا كان متأهبا للطعن والضرب هذا إن طلب قتالنا وان توهم أننا خلق كثير نجا في الليل. ويجمع علينا العرب من سائر القبائل لانه ما ثم في البر قبيلة إلا وفيها مكرمة وفضيلة من سائر الفرسان وأباب والطعان فلما سمعوا كلامه قالوا الله رأيك صادق وما في الأمر غير ذلك. ثم ان الربيع أخذ منهم جماعة وأتوا إلى دريد وداروا حوله ولما علم ان الدريد ما بقي له سبيل إلى النجاة صاح دونكم يا بني عمي ثم صاح بالعيس يا لعدنان فلما سمعه كلامه أراد أن يجرد حسامه فما مكنه الربيع وأمسكه وتكاثروا عليه وقتلوا جواده ثم أخذه أسيرا وداروا بقية بني عبس بالخيل التي كانت معه وقتلوا منهم ثلاثة وأسروا سبعة وعرضوا الجميل على الخيل وعادوا طالبين بني عبس في ظلام الليل فلما بقي بينهم وبين جذع الطواف ساعة تقدم الربيع وأرخى عنان جواده قاصداً إلى الملك قيس يعلمه باسر دريد بن الصمة فلما وصل الخبر إلى الملك قيس فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وركب في سائر اخوته إلى لقاء الربيع وركبت بنو زياد إلى لقاء أخيهم وفرح الحي وفرحا بذلك الأخبار وخرجوا إلى أذيال خيام الكبار منهم والصغار والتقى قيس بالربيع وشكره على هذه الفعال له يا ابن العم بهذا الفعال تنال والمقصود وتتفرق عنا العساكر والجنود وإن لم يأمر دريد عساكره بالرحيل عنا هدمنا بقتل دريد ركن العسكر وكان دريد سامعا هذا الكلام فقال له يا قيس ان أردت أن تقتلني دونك وما تريد واترك هذا الكلام فانا أهون ما عندي شرب كاس الحمام لاني قطعت من العمار بمائة وخمسين عام ونفسي كرهت مر السنين والأيام وأنا أعلم بعدي ما يبقى لكم ذكر بذكر ولا بد ما ينقطع منكم الأثر لان خلفي خمسة عشر الف فارس مع أخي خالد وفي غد يكون عليكم قادم ولا أحد إلا وله عندكم دم وخلفي أيضا صهري سبيع بن الحارث الذي

رأيتم أفعاله وسمعتم بأعماله وكذلك اللقيط بن زرارة يطلبكم بنى مشاجع وأنا أعلم أن مايطلع لكل خمسمائة رجل من أعداكم واحد منكم إذا ثارت نار الحرب واشتد الطعن والضرب والصواب أن تقتلونى وتقتلوا كل من معى وكل من وقع فى أيديكم وخذوا بثأر أنفسكم قبل فناكم فلما سمع الملك الكلام احتار وعلم أنه جبار من الجبابرة الافيال لايبالى بقرب الاجال وما يخطر له الموت على بال فقال له أنا ما أقتلك فى هذا الوقت وإنما إذا قدمت هذه القبائل اللاتى هددتنا بها ثم أنه شده فى بعض الخيام وأقام عليه الحرس وقال الملك قيس يا بنى عمى الصواب أننا نتأهب من اليوم غد ونسير كلنا وإذا لاح لنا غبارهم انقسمنا فرقتين ونترك فرقة تنادى بالعبس بالعدنا والفرقة الثانية تنادى يا لعامر الشجعان حتى يظن العدا أن بنى عامر سارت معنا لأجل الجوار وأنهم قبضوا على دريد لما أتاهم زائر وركب طريق الاخطار لتنفذ به الأقدار فلما سمع الربيع هذا الخطاب قال والله يا ملك أشرت بالصواب فاعلم رجالك بما خطر ببالك وأبشر ببلوغ آمالك وقو عزمك لتنال النصر والظفر وتعلم سادات القبائل أن عنتر كان بنا ما كنا نحن بعنتر فارسل الملك قيس عبيده إلى رجاله ليعلم فرسانه بحاله وباتت القبيلة يتهيؤا للقتال وينعقدوا العدو الزرد للمجال وما أصبح الصباح حتى خرج كلامنهم إلى ظاهر المضارب وترتبوا كتائب وانقلب البر من صهيل الخيل وبريق السيوف وركب الملك قيس فى موكب كبير من بنى عمه والأقارب ودارت حوله فرسانه وعشيرته وركب الربيع فى سائر أخوته وما فى القوم إلا من خرج على نية الحرب والجلاد بعدما ودعوا الحريم وساروا وهم ثلاثة آلاف كأنهم الأسود العوابس وكان سيرهم بلا عجل لأنهم سمعوا من دريد أن العساكر تشرف عليهم ذلك اليوم أو غدا فوقفوا بالخيل حتى تعينهم عند اللقاء ويجادلون بها الأعداء فى الملتقى وما زالوا يقطعون الآكام حتى اعتكر وظلام فنزلوا وباتوا إلى الصباح فما سمعوا للعدا خبر ولا وقعوا لهم على أثر فقال الملك قيس أرحل بالناس يا ربيع فسيما بعدنا عن الأوطان والأطلال تقع هيبتنا فى قلوب الشجعان والأبطال إذا علموا بأحوالنا يقولون لولا أنهم فى غاية الاستظهار ما لجوا فى طلبنا وساروا فى القفار فرحل الربيع فى المقدمة وتبعه الجيش وكان سيرهم فى المرحلتين الذى رحلوها دون المرحلة الفارس المجد ثم باتوا على مثل ذلك وزاد بينهم الحديث والافتكار حتى مضى الليل وأقبل النهار وساروا إلى أن انبسطت الشمس فى الاقطار فساروا وقت الضحى ومدوا أعينهم فرأوا غبار وقتام قد علا ونما وصعد إلى عنان السما وله جلبة ولمعان أسنة ورماح وبريق صفاح وأمور تدل على حرب وكفاح وجيوش سدت الآفاق وملأت

الطرقات وسدت البرارى والفلوات كما فيه القائل هذه الأبيات :

جيش إذا صاب الارض عارضه افنى المصارع آخرة واولاه
بعيد ما بين اولاه وسابقه كالبحر لاتدرك النظار اقصاه
والسابقات تبارى تحت ناروغا تجرى عليها من الهامات اقواه
والبقاشقات إذا نشرت كواكبها رايت اسفل ما فى الفرق اعلاه
كذا النبال تبارى عند رشقها مثل الجراد إذا ما ساو مرعاه

فلما راى الملك قيس ذلك قال والله إن هذه مواكب الأعداء وإن صدقنى حذرى فقد وقع بينهم امور وهذا سبب انطائهم عنا ثم قال لبعض الفرسان ياابن العم حرك جوادك واتنا بالاخبار وابصر لنا ذلك الغبار حتى ندبر على قدر مانرى فيه الصلاح فاطلق الفارس عنان جواده وطلب القتام وماغاب إلا قليلا وعاد يركض بالجواد فقال له الملك قيس ماهذا الخبر وماحال هؤلاء فقال يامالك حاله غير مبارك عليهم وإذا برجل خرج مجروح وهو يطلب اقطار الصحراء لاجل يشم الهوى فقلت له وجه العرب كيف حالكم وماهذه الطوائف المتقابلة على اى شيء وقع بينهم الحرب والقتال فقال لى يافتى اما انا فلا تسأل عن حالى فانى قد جرحت واحذر محى وقتل فرسى واما هذه الطوائف يتقاتلوا على حطام الدنيا التى يطمع فيها كل احد والسبب فى ذلك اننا خرجنا من بنى كريم ابن صارم مع صاحبنا الكايم ونولنا على بنى غراب وتركنا ديارهم قفرا خراب وعدنا نطلب الديار فالتقانا هذا العسكر الجرار الذى ماتقع له على غبار فابصروا الغنائم معنا فتبادر الينا مثل الذئاب وارادوا اخذ الاموال منا فقاتلناهم ومارأينا على انفسنا ان تفوت غنائمنا ولنا يومان فى هذا القتال والقبائل التى سدت الاراضى والجبال وهى تضربنا بأمواجها من كل جانب ولولا فارسنا وشجاعنا الكايم بن صارم ما بقى منا لاقاعد ولاقائم وهذه قصتنا يافتى شرحها لك فلما سمعت قصته ضمنت له النصر ورجعت وهذه اخبارهم قال الراوى لما سمع الملك قيس هذه الاخبار قال لأصحابه هذه الاسباب قوة لنا وضعف لأعدائنا ولكن الصواب اننا نقيم على مانحن عليه من التدبير وتنقسم فرقتين فرقة تنادى بالعبس بالعدنان وفرقة تنادى بالعامر اشجاعان وتحمل على هذه الفرسان لعلنا نكسرها ويكن الأمر قد هان فقال الربيع هذا هو الصواب والراى الذى لايعاب ورب البيت قد بعث لنا من يعيننا بغير حساب وانا اعلم اننا إذا حملنا وراى هذا الفارس فعالنا وصارت له معونة منا فانه على الأعداء يعاونا ثم انهم انفسموا

قرقتين واطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة (قال الراوى) وكان هذا الفارس الذى قدمنا ذكره فارس مذكور وبطل مشهور من أبطال العرب الاقليل إذا عدت الأبطال يذكر فى أول الرجال ويحسب من الاقيال وكانت الفرسان تسميه الهلاك ومرج المنايا وكانت قصته كما ذكرنا فى هذا الكتاب أنه عند عودته من غزوة بنى غراب جرت له هذه الأسباب وقاتل عساكر دريد كما ذكرنا أول يوم إلى آخر النها ولما رأى كثرتهم طلب منهم البراز فقاتل معهم إلى المساء وقتل منهم خمسة وسبعين وحملت عليه تلك الفرسان فردهم بالسيف والسنان وحمل أصحابه وثبتهم للطعان فانهم كانوا أرادوا أن يطلبوا الهزيمة ويتعكوا لاعداءهم التنيمة فطيب قلوبهم ووعدهم بالنصر على أعدائهم وقال لهم بالله عليهم يا بنى عمى اصبروا على قليل حتى اشبع من الحرب مع هذه العسكر واترك لى ولهم حديث يذكر ما بقيت الشمس والقمر مادام أنهم مقيمون على براز وأن تكاثروا على أحموا أنتم ظهرى وأنا أظهر فيهم عجائبى وأفرجكم على طعانى ومضاربى ولم يزل على مثل ذلك الحال حتى طابت قلوب أصحابه وباتوا يصلحون رماحهم وأما خالد أخو دريد فانه لما عاد من القتال جميع فرسان القبائل والمتقدمين على الجحافل وقال لهم ضيعتم اليوم والنهار واخطأتم بمبارزة هذا الفارس الجبار لأن الفرسان الجبابرة ماتغلب إلا بالمكاثرة لاسيما هذا الفارس الذى أذل الشجعان ورمته الأرض الينا من أبعد مكان ولو لم يكن ذو قوة ظاهرة ماسمى بين الفرسان بحر الهلاك والرأى أنكم عند الصباح أقصدوه كلكم باسنه الرماح ثم انهبوا جسده ومن معه بشفار الصفاح وإلا التى الهيبة فى قلوبكم ويكسبكم عار مادام الظلام وطلع الصلاح لاسيا أخى دريد وراءكم وطلبكم فكيف تنفروا من فارس واحد فى البراز فهو عليكم عار وأنتم أبطال الحجاز وأخى أراد أن يلتى بكم فرسان بنى عبس وهى قبيلة الصياح بحمل كلنا فى سائر القبائل وتقصدة بالرماح الدوابل وننجز أمر نا مع هذا الجمع اليسير وتساق غنائمهم بين أيدينا وتسير ماصدقوا بان الليل ينقضى والصباح يضى حتى ثار الفرسان مثل إلا بالس وقصدوا الكليم وأصحابه الألف فارس وأخذوا معاهم فى القتال وطلبوهم بكل صارم فصال فعندها حمل "كليه عليهم وجال فيهم وهو يمانع ممانعة العقاب القاتل ويبرى بسيفه الرماح الدوايل وصارت أمواج المواكب تلطمه كيف مال وهو يخطف الأرواح من الأجساد وينثر الرؤس تحت الأقدام حتى قتل أوفى من مائتين فارس تمام

وكثرت عليه الاقوام وساعدوه أصحابه من بنى الكرام فما كنت ترى إلا دما فائر أو جواد غائرا ورأسا طائرا وعظمت المصائب والكبائر ودارت بهم الأبطال العشائر ثم طلبهم أمواج العساكر وخسرت الأوائل والأواخر وطلع الغبار الثائر وايقنت بهلاك الكليم وأصحابه الضمائر ولا بقى يدرى لمن يحارب يبادر وخالد يحس عليه العساكر وما بقى إلا أخذه بالكف فاقبل الملك قيس فى أبطال بنى عبس واسنة رماحهم حجبت ضوء الشمس ونظروا إلى القتال فحملوا من سائر الجهات بعد أن تفرقت قبائلهم ثلاث فرق وزعقت فرقة يا لعدنان وفرقة يا لعامر وفرقة يا لغطفان له شروا بالهلاك والخسران يا ويلكم دريد قتلناه وعلى جاز بناه وقد امتثلنا أمر الملك النعمان وقبلناه قال الراوى وكان هذا من تدبير الربيع بن زياد حتى يلقى الهيبة فى قلوب الأعداء والاجناد فلما سمعت القوم هذا النداء تفرقت فى جنبات البيداء هذا وبنو عبس باعت النفوس بيع السماح وعلا منهم الضجيج والصياح وسد فى وجوه الجميع أبواب النجاح حتى تثلمت الصفاح وتفرقت الرماح فانكشفت عن الكليم الغمة وبرق برق المنايا من حسامه ولاح وتفرقت عنه العرب واخذوا فى الهرب فقال خالد يا ويلكم يا بنى عمى تهدموا مجدكم بالفرار وستندمون إذا بانت لكم حقيقة الأخبار على أن أخى دريد سالم عن قريب تروته اليكم قادم فاجتهدوا ولا يلتفت الحبيب إلى حبيبه وعاد الصبير منقلباً وصار النهار وأظهر الكليم عنه وعلم أن هذا الاتفاق من سعادته قد اتفق فصاح وزعق ولمع صارمه وبرق وسأل الدم وامتلأ غيظا ومازال الأمر كذلك حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعاد كل جمع عن الآخر وافترق وانزلت بنو عبس فى وسط الأعداء وملأت جنبات الأرض بالقتلى قتل منها إلا نفر يسير وأخذ من بنى عبس خمسين فارسا أسير لأن خالد صاح فى الرجال وقال لهم كل من قدر على عبس لا يقتله بل يشده كياف ويحفظه حتى نفدى به أخى دريد من الاتلاف ووقع كإذ كرنا فامتثلوا أمره ومقاله وكان هذا رحمه لهم ولما وقعت الاسر فى يد خالد احضرهم بعد الانفصال من الرب والقتال وسألهم عن أخيه دريد بن الصمة فقال له العقلاء منهم والله يا وجه العرب ظفرنا به وهو سائر إلى بنى عامر وعند فراغنا طمعنا فيكم وقلنا نبدد شملكم وكان الذى كان ولولا فعالك ولم شمل الناس كنا طمعنا فيكم فقال خالد ومن الذى خلفتموه فى الديار لما رحلتم لحفظ المال والعيال بعد مسيركم فقالوا له أيها السيد أهلنا فى أمان من تغير الزمان وأكثر القبيلة تحالفت

حين خرجتم من بلاد اليمن أكثر من هذا الجيش ونحن ما سرنا فى طلبكم حتى صح عندنا أخباركم وسمعنا أن عبدكم الذى كنتم تتكلمون عليه غضبان عليكم وإن القبائل كلها فقالوا له صدقت ياوجه العرب أما الذى حدثكم بغضب عنتر فهو صادق ولكن عند مسيرنا اليكم صالحناه وتركناه عند خيامنا ومعه الفرسان الحماة مثل مقرى الوحش وعروة ابن الورد وابن اخت عنتر الهطال وعبده أبو الموت سيد السودان وجماعة من بنى غطفان وهذه فعال ملكنا قيس خوفا من بنى عامر لانه فزع منهم أن يضيعوا حرمته عند غيبتنا لما بيننا وبينهم من الدما (قال الراوى) وكان السبب فى كون العبسى قال هذا المقال خوفا على الأهل والعيال لأجل ماسمع من هذا المقال إلا أن خالد سمع من بنى جشم يقال له سابق بن ثابت وقال يا ابن العم سر بهذا الجيش من وقتك هذا ولا تفتر ولا تهذ لعلك أن تصبح مضارب بنى عبس صباحا وتخلص أخى دريد ويكن انفصل الحال وبلغنا الآمال فقال له ومن بقى عبس حتى تبعثنى اليوم فى هذا الجيش فقال له اخبرنى بعض الاسارى أن عنتر هناك ومعه طائفة قوية فان كان الأمر صحيحا فهذه خمسة آلاف تدهمهم وتكسرهم بها وإن لم يكن الأمر صحيحا فانزلوا فى خيام القوم وخلصوا دريد والذى يامركم به الشيخ دريد افعلوه لأنه على قدر ماروى يفعل فقال سابق السمع والطاعة ثم تقدم أمام الجيش وسار يقطع الأرض تحت أذيال الاعتكار وبقى خالد فى دون معشرة آلاف فارس ينتظر الصباح وبعد الابطال بالنصر والمال المباح فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس فانهم لما نزلوا عن ظهور الخيل عند إقبال الليل اتاهم الكليم فارس بنى كريم وشكرهم على فعالهم وسلم على الملك قيس وحياه وكان حوله سادات بنى عبس مثل الربيع بن زياد واخواخوته فقال لهم لاتظنوا ولا بد ما أقاتل حتى تنهب جسدى السيف القواطع لانكم احسنتم إلى وفرجتم عنى الكروب على أننى لو كنت اطلب النجاة كنت نجوت ولكن نفسى لم تحدثنى بالهرب وماسرت فى بنى عمى إلا لاجل المعاش والمكسب وها أنا الترمت وكان الذى ولابد من تفرق هؤلا القبائل والفرسان كى لا أبر عندهم حديثا على طول الزمان (وقال الراوى) فلما سمع الملك قيس كلامه عجب وقام اليه وأجلسه بجانبه وقال له يافتى لو كان هنا انصاف كنا كلنا سعينا بالاسعاف لانك نصرتنا على الاعداء والجميل لمن بدا ونحن والله تسببنا فى معونتك قصدا وإنما اتفق لنا هذا الاتفاق والهدى من سعادتنا وعلو جدنا وإلا ما كنت تخلصت فى أمسك وكانون أعدهوا رفقاك لاجلك ولا كانت أهلك تراك

فكفاك مالقيت من الحرب في أمسك ويومك فخذ لنفسك الراحة من هذا الصدام واطلب النجاة برجالك تحت استار الظلام ونحن دعنا نقاتل بقاتله من هؤلاء اللئام من بلينا بقتاله فقال الكلم لا وحق مسير الغمام لا أفارقكم حتى اشتت هذه القبائل في البرارى والاكام أو اشرب معكم الكاس الذى تشربون منه والسلام فقد صار لى على هؤلاء ثار أطلبه ودين أخلصه ولا أتوانى عن سببه فشكره الملك قيس والجماعة وقال بعضهم لبعض يا أخوادا خلف الله علينا عوض عنتر بن شداد هذا الفارس هو أثبت من عنتر في الحرب والجلاد ومعه ألف فارس شداد ثم قدموا لهم الطعام وصار بين القوم حرمة وذمام والزموا حولهم النيران وما أظلم الظلام حتى أخذوا في المشوره والتدبير والحيلة في تفريق هذه الاعداء والجيش الكبير فقال الملك قيس الرأى عندى أننا ناخذ الراحة ساعة من الليل ونعود إلى ظهور الخيل ونحفظ حريمنا بالاحياء ونجعل قتالنا قدام الحريم بلا امتراء ولا نامن من خالد أن يرسل أحدا من فرسان هذه القبائل حين يأتى الظلام الهائل فيسوقون الكواعب وتعظم علينا المصائب لانهم أن فعلوا هذا وعادوا علينا وصاروا من خلفنا وبين أيدينا تعظم الامور علينا وهذا الحساب خطر ببالى وقلبى منه خائف وأن دريد ذكرنا لو أنه ارسل إلى لقيطين زارره واعلمه أنه يلاقيه على أرضنا ويشغل قلوبنا ونحن ههنا ويطول المطال فتهلك الحريم والعيال وتملك ديارنا والاطلال والأهل والعيال الذخائر والأموال وتفتضح بين القبائل فى الأرض والجبال فلما اتى الملك قيس من هذا الحديث علم جميع رجاله واصحابه أنه أصاب وأن خاطره قد حدثه بالصواب فقال الربيع بن زياد يا ملك لقد حسبت حسابا مناسب لخيلهم ولابد سارب من اللبلا تحت ظلام الغياهب فسر بنا أيها الملك على الاثر حتى نرى أحوالهم وأعمالهم فلما سمع الكلم بهذا الأمر العظيم قال لهم ارحلوا أنتم الساعه واطلبوا أهلكم حتى أسير أنا خلفكم على أثركم كفيتكم امره وقطعت عمره فعندها رحل بنو عبس الكرام طالبين المضارب والخيام تحت أستار الظلام وتركوا النيران على حالها زائده ومن معه بسيوف حداد ورماح مداة ولما أصبح الصباح صبحت قبائل العرب أرضهم فلم يجدوا لبنى عبس فانذهل خالد وتحير وعلموا أنهم طلبوا الديار فعندها أقبل خالد على رفقاه وبنى عمه وأقرباه وقال لهم لابد ان بنى عبس علموا ما دبرناه وسمعوا بخبر الجيش الذى سيرناه ورحلوا على أثره خوفا على مالهم وحريمهم وعيالهم ونريد نحن نلحقهم والى ضيقوا على دريد لانهم علموا أن المصائب من أجله فساروا عليه باسم الهزيمة وها نحن

الجزار الذى كأنه البحر الزخار وفى قلبه على أخيه دريد لهيب النار وجدوا على هذا الحساب فى الروابى والهضاب وكان أول من أشرف على خيام بنى عبس ثابت بن واثب الذى سار فى الأول يطلب خلاص دريد من الأسر والعذاب فلما قرب من الأحياء فرق الجيش فى سائر الجنبات وانتظر أن يخرج اليه احد من بنى عبس القناعس فلم ير إلا دورنا المابتين فارس ظهرت فى أذيال الخيام وهم مع نوفل أخى الملك قيس إلا أنه لما رأى تلك المواكب والكتايب تفرقت من كل جانب وأحاطت بالحريم وصارت بين المضارب ورفعت الصياح من المشارق والمغارب ورجفت قلوب النسوان على فقد الحبايب وانقلبت وانيا بضجيج البنات الكواعب واختلطت الأحرار بالعبيد وقاتلوا القتال الشديد ومانعوا عن الحريم والعيال وقد ظهر ب من سابق وأصحابه الأهوال فصاح وأعتنى بالصياح وقال عليكم بأبيات الملك قيس باستعجال فما يكون سيدكم دريد إلا هناك فيمن معه من الرجال ومتى خلص انصلح الحال وبلغنا الآمال فعند ذلك مالت الأبطال وعظمت بين الأطناب الخيل الرجال الأهوال وركضت بين واشتد على الملك قيس القتال وبوكب النصال فما كان أكثر من ساعة على هذه الأحوال حتى أقبلت بنو عبس مواكب وسراب طالع غبارهم مثل الزواج ورأوا القتال داير بين أطنابهم وشائع فصار الغيظ فى قلوبهم متتابع وصاحوا صياحا منكرا وأقبلوا مثل موج البحر إذا زخر وفى الحال صار وامع أعدائهم فى الخيام وحارت الأفهام وأظلمت الأقطار مثل القتام وما تضاحى النهار حتى عادت بنو حشم إلى القفار وأخرجتهم بنو عبس من خيام قوة واقتدار ونهبت منهم نفوسهم وطيرت رخسهم وأدركهم فارس بنى كريم فى الالف فارس المقدم ذكرها ورأى القتال يعمل فاقبل هو ورفقته وجودوا العراك واشرف بنو حشم وبنو هوازم على الهلاك وعلمت أنه مابقى لها من الموت فكاك وقاتل سابق قتالا شديدا وأكثرت الآلام بينهم والبوائق ومانجا إلا من كان جواده سابق وهلك من نفذ فيه الحمام الماحق وانقسمت المواكب فى سائر الجنبات ونفخ على بنى هوازم وجشم برق الشيات وبقوا فى هزيمتهم حيارى وبعد الربح عادوا فى خسارة وفى ذلك انقت أشراف عليهم اللقط بن زرارة فى خمسة آلاف فارس من كل مدرع ولابس ورأوا غبار الحرب داير وقتال المعمعة فاير فالوا عليه وحملوا على بنى عبس وطلبوهم من كل المواضع لأنهم حارسون أنفسهم باشد المواقع ودارهم لا يقصد إلا من له على بنى عبس ثار وقصده هلاكهم والدمار وكان عندهم علم أن الأقطا فلما نظرهم بنو جشم مالوا اليهم وأخبروا اللقط بحال سيدهم دريد وان اخوة خالد أرسلهم لأجل أن يخلصوه من أسر بنى عبس فلما سمع اللقيط ذلك الكلام صاح فى أبطاله وحثهم على حرب بنى عبس وركب فى أوائلهم جواد النوبة وقلبه ملآن بالحنق والحرق

لأننا ذكرنا سابقا ما بينه وبين بنى عبس من الثأر وما جرى لهم من الحرب القديم خوف العار فطالب بنى عبس بفرسانه وحمل عليهم بشجعانه وكان قد وصل معه عشرة من اخواته لأنهم كانوا تسعة عشر اخا من أم واحدة وأب واحد والكل فرسان وأبطال خبيرون بالطعن والنزال ورماحهم طوال فتفرقوا خلف الهاربين فى رؤس الجبال وعاد بنو عبس خوفا على الحريم والعيال واجتمعوا لما رأوا ذلك الجيش الذى هو كالرمل السيال والتقوا أعداءهم على هذا الحال وصاح الملك قيس يا بنى عمى هذا اللقيط بن زرارة أتانا بهذا الجيش الكبير فافنوهم قبل أن يصل الينا الذين تركناهم خلفنا فتكاثر علينا العدد وتشتد مصائبنا وعلى الحقيقة اهتزت أرض جزع الطواف وتزلزلت النواحى ومثلت البطاح وبيعت النفوس بيع السماح وتحطمت الرءوس والاكتاف وقطعت الأيادى والأعضاء من خلاف رفزع الجبان من الموت وخاف وحمل الكلم فى بنى عبس وعدنان وصار يقاتل بالسيف والسنان وكان بحر الهلاك وموج المنايا كما سمعته الفرسان ففتك فى بنى دارم وأذاقهم الهوان وما زال القيال يعمل حتى تضاحى النهار وبنو عبس على قلة عددها قاتلت ونصحت فى قتالها الا انها أيقنت بهلاكها وبالهاوى فى تلك الساعة وصلت عساكر دريد مع أخيه خالد وقد ذكرنا أنها عشرة آلاف الا أنها رأت الغبار ثائر والحرب وطلبت القتال وما أمهلت وكانت بنو عبس من القتال وتشبثت عند ذلك عادت إلى الخيام وقد أظلم على الناس الظلام وبات بنو عبس سكارى من الصدام أقوى مما يسكر من شرب المدام ولما أخذ الراحة واستقروا فى الخيام أخذوا فى المشورة والتدبير وكانت قلوبهم قدية بالكليم وأن يأخذوا ما اراده وقومه ويعول على الارتحال فى الليل فابى وقال وحق من جعل الليل سكنا والنهار معاشا وفى عالم غيبة قد احتجب لا رحلت وروحى أصحابى لكم الفداء ثم قال الكليم أعلم يا ملك انى من قوم يحفظون الوداد ويعرفون حق الزاد وعند الصباح أنا أخرج إلى البراز واطلب منهم الانصاف فان بارزونى بلغت منهم المقصود وباتوا فى انتظار الصبا وافتقدوا آلة العدد والسلاح وهم يدبرون أمرهم للكفاح وتقرب الكليم من قلب الملك قيس وعول أن يزوجه بنته الجمالة من أن نوع قلبه من هذه المصايب ودارت حولهم القبائل واحتاطوا بهم من كل جانب والقى خالد معاللقيط بن زرارة وأخذوا يتشاورون فى خلاص دريد فقال اللقيط عند الصباح تنهب أموالهم والحلايل ولما كان عند الصباح تبادرت الفرسان من كل جانب وضيقوا على بنى عبس المذهب وقاتلوا بنى عبس فى أذيال المضارب واشتدت الأهوال والمصايب وبطل خطاب الخاطب

وفاضت بحار الأعداء على بنى عبس سواكب لأنهم اجتمعوا عليه فى عشرين ألفاً مابين ماش وراكب واوهموهم بالصياح وأغلقوا فى وجوههم باب النجاح وكان لهم يوم عظيم الشأن صار من الضرب بالصفاح والطعن بالرماح كما قال فيه الشاعر حسان فى الأبيات الملاح .

ويوم طال فيه الافتكار   به نار يلوح لهـا شرار
وخيل تحرث الميدان حرثا   وأقحاف الرؤس لها بذار
ودم السيف مثل سيل   ومن حد القنا تروى القفار
فشق به المفارق عن شقيق   يظل مبرقعا منه النهار
ربيع به لم يشم فؤادى   ولم تشمم يرابحته عـذار
وقد عادت سماء النقع أرضا   بهم تهوى إلى جهة القرار
وأجساد هنـاك مطرحات   وللقمرات طي وانتشـار
هتكت بجابه بيريق سيف   وهامات تطير يستطار
وخيل للغبـار مشردات   وقد أبدت أنينا اختوار

قال الراوى ولولا الكليم فارس بنى كريم ما كانت طايفة بنى عبس أتى عليها الظلام ولا بقى منها مشايخ ولا علام وإذا كان فارس جيد فى طائفة ضعيفة حماها وجزاها على الثبات إلا أن الليل مادخل حتى قتل من بنى عبس أوفى مائتى بطل وباتوا وهم حيارى فى غاية الخذلان يودعون الأولاد والنسوان وأما الكليم فانه قال يابنى عمى لو علمت أمرنا ينتهى إلى هذا الحال كنت أنفذت إلى قومنا رسولا يعلمهم بمصائبنا ويأتى بهم إلى نصرتنا وأولادهم والله لاتخليت عنهم حتى تلعب الخيل برأسى وابقى تحتهم لا أعرف ما أقاسى قال الراوى وقد قاتلوهم فى ثانى يوم يوما كاملا وهم بين الخيام والأطناب ودافعوا عن الكواعب والأتراب وتمددت وتفتت الأكباد وصارت النساء أرامل والأولاد أيتام وماصدق بنى عبس بدخول جيش الظلام حتى تفرقوا ووقع الانفصال فقال الملك قيس للربيع بن زياد ما بقى ياابن العم إلا أننا ندخل دريد بن الصمة ونسأل فى الصلح ونطلقه من الاسر وأن طلب منا الفداء أعطيناه ولو طلب منا ما نملكه لبذلناه لنطلق سبيله وتنصرف عنا وجعله عبدا فى الفلاة بالفعلة ماتزول مر قلبه ولا ينساها إلا أن يطمعه فى المال وترق له بالسؤال وإلا جمع علينا كل الفرسان والأبطال فانه رجل على القدر فى القبايل والحال وأمره مسموع وممتثل والمال الذى يأخذه منا أن عشنا رجع الينا واستخلف وأما

الأرواح فلا ترجع بعد الهلاك والتفت فقال الربيع ماهذا إلا نعم الرأى فافعله أيها الملك حتى يكون على قدر جوابه التدبير وأما أنا فلا أقع فى عينيه حتى لا يلزم اللجاج لأجل مافعلت من الانزعاج فأخذ قيس جماعة من عشيرته ودخل على دريد وسلم عليه وقال له إعلم ياسيد بنى جشم أترك بيننا العناد وترميل النساء وتيتيم الأولاد فاطلب ماأردت فدا أخيك حتى أننا نحمله اليك ونبلغه الإن ولا تكن من أدق الرجال فلقد أعطيت هذا العمر الطويل وتفعل فعل الجهال وقد سألناك ألا تبغى علينا ولا ترد السؤال لأن الدهر مادام لأحد على حال طبعه التغير والانتقال وأمرك ياشيخ العرب أولى وأنت إلى طريق الصواب أخرى فلما سمع دريد بن السمة ذلك خاف من عاقبة البغى والنكال وقال للملك قيس أسمع ياقيس أما الأحوال التى فعلها بنو زياد فقد ملات قلبى احقاد وأما كلامك أسمعه وحق سؤالك لاأضيعه وأما قولك تعطينى مالا أقبله فالمال مردود عليك ولكن أريد منك أن تسلم لى الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد وطائفة بنى زياد حتى آخذ منهم دم أخى عبدالله فانك تعلم أن الربيع فعل معى هذه الفعال ورمانى فى الاعتقال بالمكر والاحتيار ولا ترك لى بين العرب رأسا تشال ولا عادت العرب نسمع لى مقال وإذا أطلقتنى أطلق كل من كان معى أيضا فى الاعتقال بغير فدا ولا مال وبعدها تكافح أنا وبنو زياد حتى أستوفى دم أخى منهم بالحسام الفصام أوهم يقتلونى ويبالغون لقتلى الإمال وأن كان يصعب عليك بنى عمك وهم بنو زياد وتخاف من مصيرة العباد فلا تلام على هذا الايراد إنما أنفسهم بعيدا عنك فى البر والمهاد أنا أطلبهم فى كل شعب وراد وإذا كانوا يحتجود بالمكاثرة وقلة الانصاف فأنا أبارزهم فارسا لفارس بلا إسراف فلما سمع الملك قيس هذا الكلام قال لا بد من المشورة فى هذا المرام وقام الملك قيس من عنده وأتى إلى الربيع وأعلمه بذلك فقال عمارة أطلقه ودعه يطلق أسرانا فان رجالنا أنفع لنا فقال الملك قيس أن أطلقه فما عندنا من يقاومه فى الميدان ولا يثبت له فى جولان فقال عمارة ياملك أطلقه هو من المضرة وأنا على به أيضا فى هذه المرة ولا تخش ياملك من بأسه وسوف إهدم اركانه بن إساسه واقطع يديه مع راسه فان ما اسرته فى مقام الطراد ما كنت انا الأمير عمارة لقواد وإلا فأعد من الأوغاد ولا احد ينادينى يا امير بل اكون بين العربان كالطنجير واتفق الراى على اطلاق دريد والمبارزة بينه وبين بنى زياد ثم ارسل الملك قيس إلى دويد من يأخذ عليه العهد والميثاق ويطلقه من الوثاق فاطلقه وخلع عليه واعطاه عدته وسيرة وجواده وسيره إلى اخيه وكان وقت السحر وما اصبح الصباح

إلا وهو عند قومه وعشيرته وحدثهم بما جرى ففرحوا بخلاصه وما طلعت الشمس حتى اطلقوا كل أسير لبني عبس ووردوا عليهم خيلهم وعددهم فقال أخوه خالد لو كنت صبرت اليوم كنا خلصناك بلا فدا وأهلكنا جميع العدا فقال دريد خفت يا أخي من عاقبة البغي والردى لأن الملك قيسا دخل علي وتذلل بين يدي فاجبته في اطلاق اسراه وأن هذا لا ينفعه ولا ارضاه ولا بد من أخذ الجميع وأصنع بهم أقبح صنيع أن مانعوني عن عمارة وأخيه الربيع ثم أنه أمر ذلك اليوم بترك القتال لأجل السلام على الفرسان والابطال ولما كان من الغدا اصطف سادات العرب في المجال وعرفوا ماهم متفقون عليه من البراز والنزال وركبت طائفة بني عبس وبني زياد في أوائلها فارسها شيخ العرب عمارة المنتخب وسار وعزم على براز دريد بن الصمة حتى يصدقوه الناس في مقاله ويعدا جناسه وكان راكبا على مهرة حمراء يقال لها خضراء ومعتقلا بقناه سمر افسار يمشي قدام القوم ويجرر محه من ورائه جرا وينتظر خروج دريد حتى يخرج إلى لقائه ليسقيه شرابه مرا فبينما هو كذلك وإذا بدريد برز إلى الميدان وجال وصال كما تجول الفرسان وتذكر انقلاب الدهور والأزمان فعندها أنشد وقال :

قطعت من الدهر عمرا طويلا ... وأفنيت أجيالا وأبقيت جيلا
هذبني الشيب حتى عرفت به ... أمان الصديق وصرت به خليلا
شبت وما شـــاب عزمي ولا ... أوهن الدهر من حيل وبيلا
ما بت إلا وظهر الحصان مقبلي ... إذا قل عني المقيـــلا
فيوم تراني قتيل المدام ... وبين الرياحين أمسي جيلا
ويوم تراني رويحات الحروب ... أجود الطعان وأشفي العليلا
أنا من نائبات الزمان الذي ... أذل العزيز وأوقعة ذليلا
وجاري مجاري من النايبات ... وخصمي صريع في معامعه قتيلا
وفي السلم لي في المعاطي فخار ... وأهب المال والملك الجزيلا
ولي همة في نهار الطعان ... ترى الخصم منها عفيرا جديلا
واحتقر الجمع عند القتال ... وعند كثير الاعادي قليلا
وإن أردت بالليل ردع العدا ... لذي الصبح لم ترى لهم مقيلا
فقل لمن ساقني بالخداع تالما ... وصار بأسري يجري الذبولا

إذا كنت يوم اللقاء فارسا يهز القنا فوق ظهران الخيولا
فبـــارزنى لتلق فتى شرسا لتنظر نهارا عليـــك ويلا

وقد عنى بالبيت الأخير الربيع بن زياد لما خدعه وأسره هذا وعمارة لما نظر إلى دريد وسمع مقاله هز رمحه وحرك جواده وصار بين أعطافه فسبقه ذواب بن أسماء من فرسان بنى زياد المذكورة وهو الذى قتل عبد الله أخى دريد وصار مع دريد فى المجال وضرح فيه وزجر وقال له ويلك يا دريد أنت تدعى أنك فارس شجاع لا تكل من القراع ولا تفزع ولا ترتاع وتفتخر بما أعطيت من العمر الطويل مع أنه لا يطول الاعمر من كان جبانا ذليلا ولو كنت فارسا شجاعا وقر ما منا عافانا أفرس منك فى الحرب والقراع فأنى أنا الذى قتلت أخاك فى منعرج اللواء ومنتظر لا وافتخرت بفروسيتك فى السهل والجبل وهذا يدل على أنك ذليل مهان لأن الشجاع لا يكون عمره طويلا وعمرك قد دنا واليوم أذيقك كاس القنا وأجابه على عروض شعره يقول :

لقد خضت فى الجهل عرضا وطولا وجاوزت فى الدهر عمرا طويلا
وغرك طول الأمل والزمان وجردت للبغى سيفا صقيـــلا
ولا يخشى عاقبات الزمان فوسط المعامع يمسى قتيلا
أما تستحى بعد فقد الشباب تمد إلى الجهل باعا طويلا
وجسمك قد انحلته السنين وغادر الدهر وسما وقيـــلا
فما قتـل الدهر شجاعا ولا وهب العمر إلى ذليـــلا
فبادر حملتى تكون صبورا فانك خصمى ولا لك مقيلا
قتلت أخاك بهـــذا السنان وأنت به اليوم تضحى قتيلا

فلما سمع دريد بن الصمة من ذوات اسماء ما قاله ما قاله وما انشده من الشعر والمقال علم ان هذا الذى قتل اخاه على كل حال وبأن له الصدق من المحال وهذا هو خصمه وما بقى يمكن امهاله وعلم ان هذا ذوات بن اسماء وقد غابت عنه الأرض والسما فرمى الرمح من يده وجذب الحسام من غمده وهزة فى يده حتى دب الموب فى فرنده ومنعه الغيظ عن الكلام فطلب خصمه كما يطلب الصقر ايراح الحمام وضرب رمحه بالحسام براه برى الأقلام ثم قاربه وانحط عليه انحطاط جبار قاسى الضرائب والأخطار وفتح باعه ومد بالحسام ذراعه وضربه ضربة اشبعه بهمته فنزل حد الحسام إلى وسط قمته فقطعت البيضة والرفادة ونزل السيف إلى

تصف قاميه وزيادة فال وانقلب وصاحت فرسال العرب وتعجبوا من ذلك الضرب كل العجب ولما نظر عمارة غار فع بذوات بن اسما فابتلى بداهية عظما ورفع رأسه إلى السما وأدركه الويل والعمى وطارت من رأسه الشجاعة وبقى فى غايه الخوف والضراعة وذهب عنه قشنره وعجبه وأراد أن يولى دبره فاستحى من العربان فثبت جنانه فى الميدان وهو قاتله القعل حيران فقرى جنانه وأطلق سنانه وقوم سنانه وتلقى دريد وقال فى نفسه أن الفزع مايفيد فاخذ معه فى المجال واستقبله دريد ولما أبصر عمارة أن دريد قد قاربه وحمل عليه قاتله فصار عماره فزعه يأخذ فى الميدان عرضا وطول ويحاول خصمه وخصمه عنه لايحول ولايزول ولما زاد عليه العيار أراد أن يطاول دريدا بنشيد الأشعار فانشد يقول

اليوم طاب الضرب بالقرضاب ... والطعن بالسـنان والحراب
دونك حربى يادريد فاننى ... أنا عقاب الطعن والضراب
أنا عمارة الفارس الندب الذى ... أدعى لدى الحرب بالوهاب
صبور لطعن القنا يوم اللقا ... ولم أكن من العدا هراب
أبى زياد وأنا عمارة ابنه ... ذو الفضل والاحساب والانتساب
كم من فوارس فى اللقا قهرتهم ... وقدتهم فى الحبل مثل كلاب
فاخى خاى بنى عبس الذى ... يدعى الربيع الفارس المنهاب
وسوف القيك فى الثرا مجندلا ... معفرا الخدين بالتراب

قال الراوى فقال له دريد يانذل بنى زيادة تعسا لك ولاخيك وأملك وأبيك المثل تقول هذا الـكلام الذى تذكر به نفسك فى شعرك قطع الله أملك وفرعك خسارة فيك الكلام لأنك نذل من دون عرب الأنام فعندها انحط الأمير دريد انحطاط الباشق الجسور على أضعف الطيور وعقد على رؤسهما الغبار الربيع بتطاول وينظر إلى أخيه وهو محتار وقد علم عمارة أنه فى مقام الاخطار والربيع خايف على أخيه من القتل والدمار ويتمنى له الأسر ويدعواله بالنصر إلى أن تعالى وانجلى الغبار عن الفارسين وإذا بعمارة قدام دريد أسير وهو يسوق الجمير لأن دريد أتعبه واكربه وطعنه بعقب الرمح قلبه وكانت طعنة من رجل جبار فقصفت ضلعين من جنبه اليسار وتبادرت فرسان بنى جشم ونادوا بالثار هذا والربيع لما رأى ذلك بمطى فى شعر ذقنه نجله ونزل على وجهه وقدم عقله وشق ثيابه وعمامته ولم يدر مافعله وصار يلطم وجهه ورأسه حتى كاد أن

يقلع أضراسه وصار يقول واذل بنى زياد بعدك يا عمارة لقد شمتت أعداؤك بما أصابك من الخسارة وصاح جميع بنى زياد وأسفاه عليك يا وهاب لا طابت لنا بعدك الحياة ولا فينا من يريد المقام فى دنياه ثم حملوا عليه من كل جانب ومدوا إلى دريد الأسنة والقواضب ولما أبصر دريد ذلك حمل عليهم حملة الليث الواثب وصار يضرب فيهم ضربا مثل صواعق العذاب وصاح وقال طالب الموت يا كلاب وخاض فيهم بطعن مستقيم وساعد فى الضرب منطلق وصار إذا طعن فارسا رماه وإن قبض على أحد اعدمه الحياة ومازال كذلك حتى قتل سبعة عشر وأسر خمسة وكان نصف النهار قد عبر فلما رأى الربيع بن زياد ذلك الحال زادت ناره اشتعال فقفز إلى دريد فى الميدان وقاتله بهمة وهجم عليه الربيع كما ذكرنا فارسا شديد الباس لا يقع بهمال إذا اشتد المراس فبقى مع دريد حتى أقبل الليل ورجع وهو يشكو عدم القوى والحيل فتلقاه الملك قيس وهناه بالسلامة وقال له كيف رأيت خصمك فقال يا ملك ماهو إلا كاسمه راحات الحرب لأنه لا يخاف من الطعن ولا من الضرب ولكن زيادة فى حباله وأنا خائف عليهم من الهلاك لأنه إن هلكهم بعدم أخيه لبقنا العار إلى الممات وتركنا بعدهم نتقلى على الجمرات فقال أسيد بن جذيمه عم الملك قيس الخطأ فى الأول كان منكم فى أبعادكم عنتر بن شداد لأنه سعادة هذه القبيلة العبسية ومذ غاب عنها فارسها البلية وكان حاميتها وجامع شملها وأنتم ما عرفتم قطره وكرهتم ذاته ومهره فاف بنى عبس ما ثبتت فى هذه الأيام وقاتلت إلا غصبب وكانت معولة على الحرب فلو كان حاميها هنا لم يقدر أحد إليها يتقرب واعلم يا ربيع إن كل من كان فى القبيلة من كبير ووضيع يدعو عليك وعلى قيس ابن أخى حيث كان لك مطيع وقد فرح فيك وفى أمر اخوتك العداو أحبوا أن يقتلوهم ولا اطلقوهم لما لهم عليكم من النار من إبعادكم عنتر الفارس الكرار ولا بقى لكم ذكر يذكر فقال الملك قيس صدقت ياعماه والرأى عندى أن تنفذ إليه وتأخذ بخاطره وتطلب منه النصر على الأعداء وتذلل بين يديه حتى يرتضى فقال أسيد هذا هو الصواب بان تنفذوا اليه وتعتذروا له من أفعالكم الرديئة فان أجاب كان ذلك خيرا منه وكرما وإن لم يجب هو معذور لأن الطراد أعظم مايكون فى الامور فقال الربيع وإن كان الأمر كذلك فانا أسير اليه وأقبل يديه ورجليه واتذلل له وأبذل له ما تملكه يدى ونسأله أن يعاونى على كشف بلوتى فقال الملك قصدى أن أرسل اليه رسولا أسمع منه مايقول ثم أنهم أنفذوا اليه بعض الفرسان ومشاهد الاخوان فسار الرسول اليه وهم باتوا تحت الظلام يحرسون أنفسهم ويتشاورون فيما نزل عليهم من الأحكام هذا ماجرى لهؤلاء وأما كان من دريد بن الصمة

فانه إلى عاد إلى قومه وكان أشفى فؤاده فرح بأسر أعدائه وأخذ ثاره وأشار إلى خالد بأن يقتل من وقع فى يده من بنى عبس وبنى زياد وان رأينا الملك قيس حامى عنهم بذلنا فى بنى عبس سيوفنا ثم أنه بات ينتظر الصباح فلما ذهبت أذيال الدجا وأقبل الصبح متلجاز عقت الخيل وترتبت القتال فقال اللقيط بن زرارة أصبروا اليوم حتى أن الشيخ دريدا يأخذ غرماه وينال ما تمناه ويبلغ من بنى زياد مناه ونحمل نحن على الخيام والمضارب ونسبى النساء والبنات الكواعب حتى لا نكون قد أتينا من بلادنا المتباعدة ونعود بلا فائدة وترجع بنى عبس عن هذه الحالة المقدم ذكرها وكان أول من خرج وطلب البراز دريد بن الصمة ونادى يا بنى عبس اخرجوا إلى غرمائى كما وقع الاتفاق بينى وبينكم ثم أنه صال وجال وانشد وقال

يا نديمى اسقنى كاس الحيا ... فى ثنايات الحمى من كف ريا
بين روض ونبات مزهر ... حسنه أهدى لنا مسكا زكيا
من كل عذرا جنوب قدها ... يخجل الأقمار والشمس المضيا
قد شذت كاساتها من قرقف ... فتعيد الميت للذات حيا
يا نديمى اسقنى واجتهد ... ودعانى أبصر الشتمين شيئا
ففؤادى قد صحا من سكره ... واشتفى الداء الخفيا
ليت عبد الله خلاه الردى ... فى نعيم أو يعود اليوم حيا
ليته يرجع كما أعهده ... حسن القامة وصاح المحيا
ليرى أعداءه مع وحش الفلا ... تنهب من جسمهم لحما طريا
زرتهم والخيل تركض فى الحما ... وعليها كل جبار عتيا
فتركت الأرض فى عرضاتها ... تدعى بعد الظما شبعا وريا
يا بنى عبس لقد أورثكم ... قتل عبد الله ذلا سرمديا
فوحق البيت والركن ومن ... طاف بالاركان والحجر النقيا
لا تركت اليوم فى أرضكم إلا من ... كانوا شمطا أو شيوخا منحنيا

وكان دريد يقول هذه الأبيات والربيع يتأهب لقتاله والملك قيس عن ذلك ينهاه ويقول لا تخرج إلى هذا الشيطان فانه إن ظفر بك أهلكك وأهلك ولا دعيك وأنا أعلم أنه ما بقى عليهم إلا حتى يظفر بك فالصواب حتى يعود رسولنا من عند عنتر وإذا أتى معه فرج عنا ما نحن فيه من الغمه ودفع عنا شر دريد بن الصمة فبينماهم فى المجادلة وإذا بالكليم فارس بنى

كريم تقدم إلى الملك قيس وقال أيها الملك ما هذا التوقف عن هذا الشيخ المتكبر على أبناء جنسه وأنا ما تأخرت عن براز إلا لأجل الشرط الذى بينكم وبينه إلا كنت برزت اليه فقال قيس يافتى جزاك الله خيرا أما أنت فقد أوليتنا من الجميل ما لا نقدر على حمله ومع ذلك فاننا خائفون على ابن عمنا الربيع أن يظفر به فيهلكه هو شيخ القبيلة كلها وقد عولنا أن نتعاون اليوم حكم ما كنا أول مرة ويساعد بعضنا ببعض حتى لا نصير معيرة فى سائر الأرض فقال الكليم إن كنتم عولتم على ذلك فاصبروا حتى أجرب روحى مع هذا الشيخ الذى فى قلبى منه النار ثم إنه قفز إلى الميدان مثل السلهب وانتخى نخوة العرب وامتزج بالغضب ثم أنشد هذه الأبيات

يا حسامى آن لك أن تراعى الذماما ... وتوافى العهود والصداما
وتقد القدود ظهرا وبطنا ... وتريق الدما وتبرى العظاما
لحرام على أن عدت فى النقع ... أشهر السيف أو أسل الحساما
قد نزلنا بحى قــــوم كرام ... أكرمونا وودونا أحتراما
والتقينا معهم صدور الأعادى ... وكان أكثرهم قوم لئـام
ما لهم ناصر على مادهاهم ... ونهلكهم وإن كانوا كراما
قسما بالبيت الحرام ومن حج ... وزار من بعد الطواف مقاما
لا تخليت عن حماهم بجهدى ... حتى أمسى بالفلا رماما

قال الراوى فلما نظره دريد قال له أنت لست من بنى زياد بل أنت الكليم فارس كريم فما سبب نزولك هل أنت تنقض الشرط الذى بينى وبين قيس فقال الكليم دونك والميدان لا تحتج بما يكون وكان انطبقا انطباق الجبال واقتتلا قتال من لا يهاب الرجال وداما كذلك حتى عبر نصف النهار وانحصرا تحت الغبار غاية الأنحصار وكان لكل واحد من هذين الفارسين محبوب وأنصار فتعلقوا القلة معرفتهم فى الأخبار وفى تلك الساعة وصل الرسول الذى كان أرسله الملك قيس فى طلب عنتر وأعلم أنه غائب فاشتدت على بنى عبس المصائب وقالوا ما بقى لنا من يفرج كربتنا غير الكليم قال وكان دريد قد تعجب من فروسية الكليم فوقف عنه وكان عبر نصف النهار فقال يا كليم فاى شى رأيت من بنى عبس من الخير حتى تعرضت للهلاك وكان أبوك أصدق الناس إلى وأحظاهم لدى فوقف الكليم عن قتاله واعتمد مكره واحتيا له وقال يا راحة الحرب الذى أحوجنى إلى القتال

مع بنى عبس سبب مايمكننى أطلعك عليه فقال له دريد وذمة العرب أن قلت لى قصتك إلا وصلتك إلى غرضك وأرد اليك وغنيمتك مع أعطك من أموال بنى عبس ماتحتاج ولا تماد لمثلى وتلزم اللجاج بين هذه القبائل التى كأنها البحر العجاج لأن الشرط الذى بينى وبين بنى عبس أنفك بخروجك وفى غداة غد آمر القبائل بالجملة عليهم وأنهبهم بأطراف الرماح الذوابل وأنت تندم حيث لا ينفعك الندم فعد برجالك الينا وأجعل معولك علينا وأبشر بمايسر فؤادك أن صدقتنا وان كنت هويت بعض بنات العرب فانا أجعلها خادمة ولو كانت الجمانة بنت ملكهم قيس وغيرها من سادات قبيلتهم حتى نقلع النهم الآثار ونأخذ حيث حدثة فى حديثة بما كان عول عليه من بنى عبس وأضمر فى فؤاد فتبسم وقال درك ياأبا النظر لقدفقت بالفصاحة فى حال مكبر والصغر لانى فى هذه الأيام نظرت إلى الجمانة بنت الملك قيس فهام قلبى بحبها وماخرجت إلى قتالك إلا من أجلها ودخل عقلى أنى أقدر عليك وأتقرب إلى قلب أبيها قيس وجدها الربيع واخطبها منهم إذا انكشفت هذه الشدة عنهم والآن فقد خاب ظنى فى أمرك وعجزت عن اسرك واستحيت من علو قدرك لكنى ما آمن غدرك إلا ان تعطينى يدك وتحلف لى بالرب المعبود انك لا تزول عن الايمان والعهود حتى انى احول معك فى هذه الساعة التى بقيت من النهار واعود وإذا كان غدا اجتهد فى معدتك بكل آمالى إذا اشتغلت قلوبهم بأخذ ملكهم حملتم انتم بعدى عليهم وانفضت تلك الأشغال وبلغنا الآمال وإذا لم تفعلوا ذلك طال عليكم المطال وتنقضى الأيام والليالى لأنهم فى الليل انفذوا المال إلى الفرسان المذكورة فى القبائل تأتيم الفارس والراجل وتملأ عليكم الأرض كتايب وجحافل وارسلوا أيضا يسترضون فارسهم الأحد وحسامهم المهند الذى ما له مثله فى الزمان يوجد وهو عنتر بن شداد الفارس الأسود فلما سمع دريد مقاله انطلى عليه محالة وانه وقد انخدع وبذلك حدثته نفسه وقال هذا رجل غريب ومار كن لبنى عبس إلا من أمر عجيب وظن ذلك الحسن وظن انه يكون من حربه ان يبقى معينه على تصاريف الزمن وأما الحكيم فانه حسب حساب آخر وقال هذا رجل اسعده الزمان والوصول اليه بالطعن والضرب على غير الامكان وكان الشيخ دريد فعل دريد كفعاله ولكنه ماخفى عليه من رجفان الكف والزنود وانزعاج الأحشاء والكبود وعاد الاصلاح بينهم مفسود وصاحا صيحات الرعود وتجاذبا مجاذبة الأسود وكان لهم وقت مشهود يشيب منه كل طفل مولود ويذهب منه الصخر الجلمود

ومازال على مثل ذلك حتى تعبت منهم الخيل ووقعت إلى الأرض من شدة التعب والويل وتراكضا فى الميدان حتى ضجت من أفعالها الأبطال والفرسان وحار من أفعالها الأقران وظن الكليم أن دريدا يتعب عند المعركة لأنه دخل عليه الأسا من ملاقاة الفرسان شيئاً ضايقه فرآه عرقاً لا يلين ومضاربه كالأسد العرين ودأما على المواثبة والمجاذمة حتى آيس كل واحد من صاحبه من الحياة عند المقاربة فقال له الملك قيس لمن صحبه يا بنى عمى ماهو من المروءة أننا نتخلى عن هذا الرجل الذى أحسن الينا وبذل نفسه دوننا ونتركه مع هذا الجبار فى مقام الأخطار والصواب أننا نحمل عليه حملة واحدة ونخلصه إلا وأهلكه وأهلنا وشرعت أسنتها وأشهرت سيوفها ونادت واغربتاه واقلة ناصراه فأبصرهم خالد فحمل القبائل من ساير المواضع فعندها حمل الملك قيس وركضت أبطال بنى عبس وعدنان من كل جانب ومكان لم يتخلف منهم ماش ولا راكب وارتجت الأرض بما عليها من المواكب وظنوا أن إسرافيل قد نفخ فى الصور وبعث الله أهل القبور وثبت الصنديد الغيور وولى الجبان الخايف المذعور وعن الحسام على الرقاب والريح فى الصدور وفاض الدما على اللحى والشوارب وطارت الرؤوس بشفار القواضب وقد غاصت الأسنة فى البطون إلى الكواعب واشتد الأمر المهول وكان بنو كريم قد أدركوا صاحبهم وأركبوه على بعض الخيول ونازلوه عدة الجلاد وكذلك فعل بنو جشم أركبوا دريد بن الصمة وأعطوه آلة الحرب ولما ركب الفارسان قاتل كل واحد منهما مع عسكره وفرسانه حتى مضى النهار وأقبل بالاعتكار وكانت بنو عبس قد خسرت لقلة عددها وقل صبرها وجلدها وفرحوا بخلاص الكليم وهنوه بالسلامة من يد دريد بن الصمة وهو يقول يا وجوه العرب ما كنت عن خصمى بعاجز وما كان رابحاً لما كان لى مبارز وخدعته لاتجاز أمره وقطع أثره واكف عنكم شره لأنه رجل كبير وبضرب السيف خبير وقصدت هدر كنه بالمعاركة لأبلغ منه الأمل بالمشابكة وظننت أنى آخذه على عجل فرأيته لا يبالى بقتال ابن شداد وقال لها كشف خبر ابن عمنا لعله يكون قد عاد فهذا ما جرى هؤلاء قال الراوى أما دريد بن الصمة فانه لام خالداً أخاه على حملته وقال له يا خالد أى أى شيء جرى على حتى حملت أنت فى العسكر وحق ذمة العرب ما كنت مع خصمى إلا فى غاية الاستظهار وكنت قادراً على مصارعته ومقارعته باقى النهار وما كنت أرجع من الميدان إلا أن آخذه أسيراً فقال له اللقيط بن زرارة يا أبا النظر دعنا من لوم أخيك والعتاب فما كان

فعله إلا صواب وما بقى لنا نية فى براز ولا مجال ولا نحمل إلا كلنا سواء كى ينجز الأمر والحال وإلا طال علينا المطال وانقضت الايام والليالى وربما أتى إلى بنى عبس ناصر من بعض القبائل والعشائر ويصالحون أسودهم ويعظم علينا شرهم وكيدهم ولو كان الاسود حاضر فى بنى عبس ما تخلى عن مساعدتهم ولا طال علينا حربهم وسالت من الاسارى فأخبرونى أنه غائب والرأى عندى أن تغتنم الفرصة بهذه الكتائب الذى جمعناها من أقطار البلدان قبل حضور عنتر الشيطان قال الراوى وباتوا على أنهم يزحفون عليهم بسائر العساكر والدساكر والفرسان وما زالوا يتقلبون تحت مشيئة الرحمن إلى أن أصبح الصباح وتبادرت الرجال مثل العقبان زحفت جميعها الى بنى عبس وعدنان واقتتلوا بالصارم اليمان وتطاعنوا بالاسنة حتى جرى الدم من الابدان وسال كانه طوفان وفنيت العدد الغالية الاثمان ودافعت بنو عبس عن الحريم والولدان وعمل السيف اليمان والرمح المران إلى أن طلع النيران وغابت الثرايا والميزان وتسرطن السرطان وتفرقد الفرقدان وحمل الحمل ضغيم الليل فلاين سواده وطابت الابراج الامان وضربت الجوزاء بشروق الفجر فانصدعت كالسندبان وتحرك اسم الحرب فاعى الحلاق واشتد المجال وكثرت العوائق وجاوبت الرعود زعقات البوائق وهجم ضغيم الاسود فانفلق الصباح بأنوار الشرق وبان وحصدت السنبلة بمناجل السيوف وانكسرت الخود وانقطعت البنان وجرى على الجدى من الثور ولم يزالوا على ذلك الحال حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار رجعت بنو عبس بالصبر والعيش المر وداموا كذلك ثلاثة أيام والرسل تسير إلى عنتر وتعود بلا خبر وفى اليوم الرابع صار معهم القتال فى الخيل المضارب وكثر على بنى عبس العدد وشبكت فيهم أنياب النوايب ودافعوا عن أنفسهم إلى أن ظلم الظلام وعادوا وهم سكارى من غير شرب مدام وكان آخر من مضى إلى عنتر قرواش بن هانئ بن عم الملك قيس فرآه عاد من السفر من عند زيد الخيل مع عامر بن الطفيل فهجم عليهم فى السرادق وبكى وانتحب وصاح وقال يا أبا الفوارس أطلت الغيبة وتركتنا من بعد الصيحة بالخيبة وإن لم تدركنا وإلا فما بقى لنا ولد ولا حرمة ولا قدر ولا قيمة والحراير تسبى سبى الاما ثم حدثه بما جرى لهم من دريد بن الصمة وما فيه من الكربة والغمة وقال فى آخر الكلام يا حامية عبس ما تريد تصنع والعرب طمعت فى قومك أى مطمع فبادرهم لعلى أن تلحقهم وفيهم رمق

وإلا تشتت شملهم وتفرق وقل عددهم وانمحق وهم وقد ندموا على معاداتك ونادوا إلى محبتك ووادك وحلفوا أنهم يكونون لك عبيداً ولا يفعلون إلا ما تريد لاسيما بنى زياد فإنهم ندموا كثير الندم وعزم كل منهم أن يكونون لك من الخدم وهم ينادونك تجيرهم من العدم لأنهم من يوم أبعدوك ويا كانوا كفوفهم أسفاً يا مكرم ومرادهم يسترضوك ولو تطلبت أمو الهم يعطوك وبأرواحهم يفدوك وعمارة وأخوته فى العذاب الشديد والذى اسرهم دريد أذلهم ذل العبيد وما بقى إلا الربيع ودريد بن الصمه معول على صلب الجميع وأما الملك قيس فلا تسأل عن حاله فإنه خابت آماله وقتلت رجاله وندم على فعله فالعجل العجل قبل قدوم الأجل وانقطاع الأمل قال الراوى وكان قرواش يحدث عنتر بهذا الكلام منكس رأسه يسمع ولان قلبه وخشع وركع طرفه ودمع وأراد أن يشاور عامر بن الطفيل ويسير هو وإياه فتفكر طرد الملك قيس وكلام الربيع وما سمع من الكلام الوجيع فقسا قلبه عليهم وقال ياهو ولاى أنا سمعت هذا الحديث من بنت عمى عبله وأخبرتنى بما جرى لهم من دريد بن الصمه فلو كان لى فيهم نية كنت سرت اليهم بالكلية ولكن يا قرواش كم أهان واسمع وكم بطردنى وازجع والتقى روحى فى كل نائبه وتعود أعمالى معهم خائبة وأنت أكبر شاهد بما فعلت فى أرض اليمن ببنى حذيفه وبنى كنده وبنى سعد ومعاوية بن النزال وبنى تميم وبنى كلب بن وبرة فى مياه عراعر ولولا سيفى والسنان ما كان عمرو بن هند ابقى منه إنسان وما كان نفعهم الملك النعمان ولما وصلوا إلى ههنا وسلموا من نوائب الزمان فعلوا معه تلك الفعال وأصير بين القبائل والاحياء متهتكا وبعد ذلك يا ابن العم ما أنا من فرسان دريد بن الصمه ولا اقدر أقف قدامة إذا سل حسامه وهو المسمى براحات الحرب ولا سيما ومعه جشم وهوزان فارجع إلى قيس وحدثه بما أنت به سامع ولا تتعب على فيما أنا مانع قال الراوى فرد قرواش على عقبه ودموعه على خده تسيل وكان قد خرج من بنى عبس فى أول الليل فرجع إليهم وقت السحر واعلم بنى عبس بما سمع من عنتر فارتجف الملك قيس وتحير وقال يا ابن العم ما بقى المساد فينا رمق وما بقى لنا غير الهرب وإلا هلكنا هؤلاء العرب ثم أن الملك قيس احضر الربيع بن زياد وجميع أعمامه أعلمهم بالحال وما قال قرواش من المقال فأخذتهم الحيرة والانذهال فقال الربيع ما بقى فى الأمر إلا أننا عند الصباح نجتمع فى موكب واحد وندع الخيل الجياد إلى أبيات عنتر بن شداد فإذا نحو صلنا اليه طرحنا أنفسنا عليه واحوجناه أن يقاتل معنا ويعيننا على الأعدن فان القبايل لابد أن يتبعونا فقال قيس يا ربيع ما أظن أن يصل منا من المائة واحد لأن

المكان بعد ونهب الأموال ولا نستفيد وأنا أعلم غير هذا وهو أن ترسل لعنتر جماعة من النساء الأحرار والبنات الأبكار وتوصيهم إذا وصلوا اليه ان يكشفن رؤسهن بين يديه ويقبلن رجليه ويطلبن من صيانة الحريم والمساعدة على هذا الأمر العظيم لأني أعلم أنه شديد الغيرة على النساء والبنات فقال الربيع هذا هو الصواب فافعل ياملك ما أشرت به من الكلام وأرسلهن إلى عنتر الهمام لعله يدركنا قبل تلف أرواحنا والأجسام وها أنا أيضا أرسل له بنتي وزوجتي ونساء اخواتي مع نساء أكابر العربان نفعله بلين قلبه بهذا الشأن وما مضى من الليل غير ساعة حتى اجتمعت ثمانون امرأة من حريم بنو عبس وأعلمهم قيس مايظن لعنتر وماهم فيه من الأمر المنكر وشدوا الهن على الخيل فركبن وسرن فى الظلام الليل وكانت القبائل دائرة بنى عبس من كل جانب وماتركوا امكانا إلا ومسكره إلا طريق بنى عامر فانهم تركوه وان كان نفر بنى عامر لحق من جملة الأعداء وما زالت النساء تقطعن البر والآكام تحت أستار الظلام وأخفين حسهن عن الكلام هذا ما جرى لهؤلاء وأما عنتر فانه لما أصبح الصباح أتاه عامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعروة بن الورد والهطال ولما دخلوا عليه وجلسوا يشربون المدام ويتذاكرون عبس وماهم فيه من الشدة والقتال وما منهم إلا من هو متعجب من قساوة قلب عنتر عليهم وصبره عن مافعلوه فى حقه فبينما هم كذلك وإذا بالنسوان أقبلت فى الأبيات ونزلت وهن متهتكات بمدامع منهملات وغرقن البراقع ولم يلتفتن إلى بشر غائب أو سامع وعقدن النواح وكشفن الوجوه وأرخين الشعور ونادين بالويل والثبور وأشرنا جميعا إلى عنتر وقلن له يا أبا الفوارس بحق ذمة العرب وما بيننا من حرمة القرابه والنسب لايمنعك عن نصرتنا الغضب ولا تؤاخذنا بذنوب غيرنا فاننا أشرفنا على السبى ومالنا أحد غيرك يحرسنا لأن رجالنا هلكوا وساداتنا ملكوا والذين طردوك وأبعدوك قد ندموا ولاموا أنفسهم على فقدك وأصابتهم نوائب الدهر لما عاندوك لأجل مالقوا من آفات الزمان وطوارق الحدثان فارحم من بقى فى الحى من يتيم ويتيمه وأجرنا على عاداتك القديمة ثم تقدمت الجمانة بنت الملك قيس وقد ذكرنا أنها أعطيت من الملاحة والفصاحة فوقعت فى صدر عنتر وفاض دمعها وانحدر وقبلت يده وأشارت له تشتكى تنشد وتقول

حامية عبس ياابن السادة النجبا ... يامن له الفخر والاحسان والأدبا
حامية عبس لا تبس مودتنا ... واحفظ لنا حرمة الود الذى ذهبا
أجرنا فقد أصبحت خيل العدا سربا ... من حولنا ينهبو المال والسلبا

حامية عبس لو أبصرتنا سحرا — بين المآرب تشكو الويل والحربا
منهتكات تنادى أين فارسنا — اغضبتموه وما راعيتم النسبا
أبعدتموا رجلا لولاه ما ذكرت — عبس ولا ضربت بيتا ولا طنبا
لوكان الحى ما حاط العدو بنا — ولا استقام لدينا فى ساعة هربا
ليث إذا سل يوم الحرب صارمه — أعاده بدم الأبطال مختضبا
وان تفاخرت الفرسان قال إنا — قد اتخذت حسامى صاحبا وأبا
حامية عبس قد خاب الذى قدموا — يبعدك لما عاينوا العطبا
قد غدا بعضهم فى البر منطرحا — تهوى الطيور عليه كلما انقلبا
والبعض فى الأسر لا يرثى له احد — إذا بكى من عذاب الشد وانتحبا
فلا تؤاخذنا بالقول من رجل — غرقان فى جهله لا يعرف الادبا
فيا عمارة من يرجى المكرمة — ولا له هيبة تخشا إذا غضبا
فارحم بكانا ولا تنس مودتنا — فقد بكت لبكانا أعين الغربا
عودتنا العز من بعد الهوان فلا — تنس الوداد ولا تشمت بنا العربا

قال الراوى فلما فرغت الجمانة من شعرها تناثرت الدموع من أجفان الحاضرين ورموا من أيديها اقداح المدام وعلا منهم الضجيج والكلام ورمى عامر بن الطفيل من يده القدح وبكى وانتحب وقال للأمير عنتر وحق ذمة العرب الكرام ما بقيت آكل معك زاد حتى تصير إلى نصرة قومك الأمجاد لخذ الأهبة من يومك لاننى آنى بكاء النسوان ونسائى ما جرى لى طول الزمان وكذلك قال مقرى الوحش وعروة بن الورد وباز الوامع عنتر حتى جرى دمعه وانحدر وقال ياوجوه العرب وحق من فى علم غيبه احتجب ما بقى بعد هتك الحريم الرواح الملاقاة دريد الفارس الجحجاح قال الراوى ثم أنه صاح فى اخيه شيبوب وأمره فى ساعة الحال أن يشد الأبجر ويحضره عدته وكذلك سائر الفرسان تاهبوا للسير فى صحبته فعندها ارتفع الصياح فى الحى من النساء والبنات الكواعب وركب الرجال على الجنائب وتقلدوا بالسيوف القواضب واعتقلوا بالرماح الكواعب وانقد عامر بن الطفيل إلى أصدقائه فاجتمع معه خمسمائة فارس ابطال قنا مر تعودوا خوض الحروب فى المهاد وركب بنو قراد على الصافنات الجياد فلما هو ... والـ ... أمر عنتر النساء أن يقمن عند بنت عمه عبلة وقال امامه ... عندى ان تشاور فى رحيلك معى ابن خالك غشم بن مالك والأخ ... بن جعفر وتعلمهم بالمسير إلى

دريد بن الصمة لأن ذلك أظن ما يعجبهم ويوجب عليك لومهم وعتبهم فقال عامر يا أبا الفوارس أين غشم وغيره من العرب الكرام وحق الملك العـــلام خالق الضياء والظلام لو كان من بني عامر الذى يعادونك لوضعت فيهم الحسام وأحرمتهم لذيذ المنام فانك عندي أعز من أهلي وأقاربي فشكره عنتر على مقالته ثم ركب وسار فسار معه عامر في أبطال عشيرته وكان من جملتهم الخمسمائة فارس الأسود العوابس وكلهم في الحديد غواطس وهم الخيول الصواهل والسيوف الفواصل والرماح الذوابل وجدوا السير باقي النهار وتمام الليل وفي مقدمتهم عنتر وعامر بن الطفيل ولما قربوا من جزع الطواف نزلوا للراحة لما عول الليل على الانصراف ورحلوا طالبين بني عبس الكرام فرآهم كأنهم أشباح بلا أرواح بما نالهم من الحرب والكفاح وكان وصولهم قبل الصباح ومدوا أعينهم فرأوا الثلثمائة خشبة منصوبة على رؤس الروابي والتلال وتحت كل خشبة واحد من المأسورين من الرجال وعماره وأخوته بجملتهم مربوطين تحت الأخشاب بالحبال. فرسان بني حشم حولهم بالسيوف الصقال منتظرين إذن دريد بن الصمة في قتلهم قبل وقوع الحرب والكفاح وهذه العبارة كان السبب فيها اللقيط بن زرارة لأنه قال لدريد بن الصمة يا أبا النظر أنت شيخ كبير وما تحتاج إلى مدبر ومشير وما الذى تنظر في هؤلاء الاسارى أضرب رقابهم وأرى رؤسهم لاصحابهم بهذا نقطع ظهورهم فعول على هذا إذا ملكت أصلب الجميع في هذه الديار وأفرق عليهم نساءهم ليكونوا لكم جواز وأقلع منهم الآثار ولكن ما أخالف لك مقال ولا أرد لك سؤال فاني أعلم ما في قلبك من هؤلاء الانذال وعند الصباح خذ منهم القادات واضرب رقابهم بالسيوف المشرفيات ثم أن دريد أمن عبيده أن ينصبوا لهم الاخشاب من الليل فايقن جميع الاسارى بالكرب والويل وكان في أوائلهم الأمير عمارة بن زيادة وكان ذلك التدبير في الليل وفي الصبح أشرف عنتر بن شداد وكان دريد قد أخرج الاسارى للصلب من حنقه عليهم وغيرته وقارب بهم أبيات بني عبس وأوقف كل واحد تحت خشبته وجعلته ثلاثة أقسام وعز أن يسقيته كاس الحمام وقال الرجال وعشيرته إذا رأيتموني صلبت عمارة بن زياد وأسقيته كاس منيته فكل من معه أسير يضرب رقبته قال الراوى ولما نظرت بنو عبس إلى هذه الفعال خافت وماجت كما تهيج الجمال وماجوا يمينا وشمالا وقد صاحوا خوفا الكشف همي وغمي ثم أراد أن يحمل أقارب المأسورين حتى يخلصوهم عما هم فيه العذاب المبين وإذا قد أشرف عليهم في ذلك الوقت عنتر بن شداد ومن معه من الرفاق

الأجواد ونظر بنى عبس محصورين بين الخيام ليسوا قادرين على الكلام فحمل بمن معه بقلوب ملانة حنق وصاح فى أوائلهم عنتر وزعق وأطلقوا رؤس الخيل فقال عنتر لا بيه شداد وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش جودوا أنتم الضرب والطعن ولا تشغلوا أرواحكم بأسر ولا بنهب وجدوا بنا حتى تخلص هؤلاء المأسورين الذين أشرفوا على الهلاك وتجرد عليهم بالفكاك ونبعد الأعداء عنهم فى فسيح البر وبعد ذلك لنا تدبيرا آخر قال الراوى وأن قبائل العرب ارتخت عزائمهم وضعف منهم الحيل لما رأوا ذلك الجيش وعلموا أن هذا عنتر ووراءه عامر بن الطفيل وعلموا أنه صالحهم وما بقوا له قعود عنهم فعند ذلك ترتبوا للقتال وقال اللقيط يا دريد هذا الحساب الذى حسبناه وأما كنت أقول لك فى غيبته أطلب الانجاز وأنت تطاولهم فى البراز فقال دريد وما الذى تغير علينا وبعد ساعة تفنى هذه الطوائف التى قدمت علينا وأقول ما هم أكثر من خمسمائة فارس وفيهم طايفة من بنى عامر وأتوا إعانة لهم على ما نزل بهم وأنا أريك فعلى بهم وبنى عامر من بعدهم وما أنزل بهم من التعس والنكس بل ما أفنى بنى عبس ثم أنه صاح فى فرسانه ووكل بالاسارى جماعة من العبيد وأوصل الطعن بسن الأصل واختلاف الضرب تحت الغبار والقسطل وفرحت بنو عبس بالأمير عنتر فصاحت وكادت قلوبها من الصياح أن تنفطر وخرجت من بين المضارب والخيام وجل الأعداء الأشرار وساعدوا من ثاركم يعيكم ويحفظ أموالكم فناد وكلهم بلسان واحد يا ملك قيس ما بقى لنا حجة تمنعنا عن القتال ومن لم يجود الطعن والضرب فما هو بولد حلال ثم أنهم تبادروا يركضون بالخيل وانتخبوا نخوة العرب وماج البر وانقلب وانزعجت جوانبه وأسود من الجو مشارقه ومغاربه وماج الجيش واضطربت مواكبه وصاحت الخيل بالصهيل وضاق على الهارب فسيح البر وسياسبه وسدت طرقه ومذاهبه وشاب الطفل الصغير وابيضت ذوائبه وانعجم اللسان عن رد الجواب لمن يخاطبه هذا وأبو الفوارس حامية عبس عنتر اظهر عجائبه وشاهدت الشجعان طعناته ومضاربه وما زال هو ومقرى الوحش وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل ورجاله أقاربه حتى ردوا القبايل إلى الفجاج وضعضعوهم وساقوهم أفراد وازواج وبانت الأخشاب الذى نصبها دريد للاسرى وصارت من وراءهم فى البر والفلا ونجو جميعا بشجاعة عنتر حاميهم من الصلب والبلا وجعل كل من له قريب يحله من كتافه بعد ما كان ايقن بتلافه وطاب كل واحد أهله واقاربه لا يصدقون بالنجاة وكان من جملة الذين خلصوه الأمير عمارة وهو الذى كان أصل هذه العبارة فار تحت مقاصلة وزادت به خسارة وما بقى يساوى بين الفرسان شعرة جماره فاقبلوا عليه وقنو عبس وحلوه من لحيته بسحبوه فوجدوه ما حصل به حرمان فاشتبك

ثوبه في الخشبه فشقه وصار كانه عريان ولكنه تخلاصه من القتل فروان بقي يجري ويلفته من خلفه كانه لدغه ثعبان ونظر دريد وهو يجري في القيعان وعورته مكشوفة وحالة لم يسر إنسان فعند ذلك التفت دريد إلى بعض الفرسان وقال له الحق هذا الرجل الهارب واسقه كاس المعاطب وإن لم تدركه فاضربه بنبلة يهلكه وحسر عليه ناسه فان هذه الفتنة من تحت رأسه فانطلق الفارس الجواد والعنان وطلب عمارة مثل الشيطان ونظر عمارة ذلك الفارس قاصداليه فشدعزمه وهو خزلان وبقي من شدة خوفه يجري مثل الحصان فا كان من الفارس إلا أنه أخرج نبلة من كنانته وضربه بها من حرقته وبجره وبالمصادفة أتت عمارة في ديرة فنحملها عمارة هاربا حتى دخل الخيام وداربه العبيد والخدام وهنوة بسلامته وصبره وأخرجوه النبلة من دبره فزادت فرحته ومسرته بعد أن أيقن بنزول قبره قال الراوى هذا ما كان من الاسارى وشيخ العرب عمارة وكيف حل به من الخسارة وأما ما كان من بني عبس وبني عامر وما فعلوا في ذلك اليوم من الهول الغامر فان عامر بن الطفيل عمل في بني مشاجع وبذل هو وبنو عمه فيهم السيوف القواطع ودام الضرب مختلف والغبار منعكف والدماء ترفرف حتى أقبل الليل ونزلوا عن الخيل وتباشروا باللقا وشاروا يبكون ويدعون له بالعلور الارتفاع ويقولون له يا ابن العم سامحنا عن ما سلف ولا تواخذنا بما جرى من العيوب اليهم وقبل صدورهم وقال يا ساداتي ما أرحل إلا إذا طردتموني لأجل التخفيف عن قلوبكم ولو أعلم أنكم تردواعني بعد يوم أو يومين مثل ما تفعل الحبائب ما كنت أغيب عنكم ولا أكون غاضب لو قطعت جسدي بالسيوف القواضب ثم أنه دخل إلى المضارب وكل من بني عبس تقرب اليه حتى لساء الحي أعظمته أعظم حي وهم يدعون ويثنون عليه ويقبلون يديه وصدره ويقولون لا أوحش الله منك ياسفنا القاطع ودرعنا المانع وبات بني عبس تلك الليلة فرحين غير حيارى بخلاف الليالي الماضية لأجل الاسارى واطمئنوا على البنات العذارى ولما غسق الظلام قدموا ألوان الطعام وافتقد عنتر لعروة بن الورد فارأى له خبر وسأل عنه فاأعطى عنه أحد خبر فتنغص عيشه وتكدر والتفت إلى من عنده وقال الليلة ما أخوفني علنه من يقتله فقال شداد رأيته مع دريد بن الصمة يقاتله ويجاداله وما أدرى أمرة اقتلة أم أنزل به شيئا من النقم فقال عنتر أن فعل ذلك لاقتله أشر قتلة واهلك بني هوزان وجشم وأذبح الجميع الغنم وبات عنتر ضيق الصدر على عروة وما يدرى ماحل به من البلوى وأما دريد بن الصمة فانه رجع وقد خسر في ذلك اليوم أعظم خسارة وباتحوهو بعض يديه

اسفا على مافاته من قتل من الاسارى وكيف كان خلاصهم وكذلك جرى على اللقيط بن زرارة من أجل قتل أخوته وماجرى عليهم وصار ويقول لمن معه من الرجال يابنى عمى لابد ما أبذل المجهود وأجمع العساكر وفرسان اخيار حتى أقلع من عبس الآثار وكذلك بنى عامر الاشرار ولو تعلقلوا بالفلك الدوار وكذلك جرى على دريد من معرفة عامر ابن الطفيل لعنتر وما صدق أن الفجر قد انفجر حتى خرج إلى الميدان وطلب البراز وأراد بذلك الثبات لمن معه من الفرسان لأن أكرهم عولوا على الهرب والارتحال وعند مجيء عنتر قد خابت الآمال فخرج دريد يصطلى نار الحرب بنفسه وبروحه وينظر صهره ذى الخمار وسبيع بن الحارث لا تناذكرنا أنه قادما على أثره إلى هذه الديار فبرز إلى الميدان وصال وجال وطلب البراز والقتال وإذا بمقرى الوحش أن يبرز اليه فمنعه من ذلك عنتر وقال له يا رس الشام أنا أعلم أن ثبات هذه القبائل كلهـــا الشيخ ولولاه ماثبتوا وان ظفر بواحد منكم عادت عزائمهم قوية كما أتوا فعد أنت للملك قيس وعاونه على ترتيب الصفوف ولا تزالوا واقوف حتى ترونى أخذت هذا الجبار الموصوف فاحملوا ذاك الوقت بحملة صادقة بنية موافقة ونكون قد بلغنا المنى لأن الرجل ما يخفى عليه من أبوابه ما أودنا لاحل ما قاسى من الفرسان فى هذا العمر الطويل من العنا وإن لم يبرز له عنتر بن شداد ما أحد يبلغ منه مراده لأنه جبار فتبسم مقرى الوحش من كلام عنتر وعلم أنه بمثل هذه الأمور أدرى وأخبر لاختباو الفرسان بين يديه حين تذكر فتأخر مقرى الوحش وتقدم عنتر إلى الميدان ولما قارب الاعداء صال وجال حتى حير عقول الأبطال ثم تذكر ما جرى من الاحوال فانشد يقول هذه الابيات

سكتت فغر أعدائى السكوت ... وظنوا أننى أهلى نسيت
وكيف أنام عن سادات قوم ... وفى افضال نعمتهم ربيت
أنا عبد لهم إن أبعدونى ... بعدت وإن هموا رضوا رضيت
وإن دارت بهم خيل الاعادى ... ونادونى أجب كرها أبيت
بسيف حده نقم المنايا ... ورمح سنه الموت المميت
أنا العبد الذى ألقى الاعادى ... بفرح فى لقـــا الهيجا ثبوت
ففى الحرب العوان ولدت طفلا ... وفى حجر المماجم قد ربيت
أرى الدنيا تحت اقدامى تزلزل ... وتهتز الجبال إذا مشيت
فما للرمح فى جسمى نصيب ... ولا للسيف فى الاعضاء قوت
خلقت من الحديد أشد قلبا ... وقد بلى الحديد وما بليت

وأهوى الطعن بالسمر العوالى ... وعيناى بها وبها أموت
ولو أنى شربت دم الأعادى ... بأقحاف الجماجم ما رويت
ولى بيت على فلك الثريا ... تخر لعظم هيبته البيوت
وأنى قد برزت اليك حتى ... أذيقك من يدى الموت المميت
أنا عنتر بنى عبس المسمى ... إذا دعيت فوارسها دعيت



(قال الراوى) فلما سمع دريد بن الصمة كلام عنتر وشعره صاح فيه وقال له ويلك يا أسود البدان عدت وذلت لبنى عبس بعد ما طردوك وأنكروا نسبك وما حمدوك والآن أحضروك وفى قتالى أطمعوك فقال عنتر يا دريد ما بقى لك من الخلاص سبيل الا ان كنت تعتذر لى قبل أن يقطع عمر الطويل وأتركنك فى هذا البر قتيل واما قولك انى رجعت إلى قومى فما هذا وقت جدال بل هذا مقام القتال وفى هذا اليوم يبان الرابح من الخاسر فدافع عن نفسك

بالسيوف البواتر والاتبقى طعما للوحش والنسور الكواسر قال ثم أنه نطبق عليه وصاح وقد اشتد بينهم طعن الرماح وتكافح الاثنان أشد كفاح واندهشت منهما المقل الصحاح والحمام أوسل بينهما سهام وملك الموت سل على رؤوسهما حسام واختلف بينهما الضرب والصدام وقل منهما الكلام وكان دريد بن الصمه عرقالا يلين فلان وأبصر فارسا ما نظر مثله فى سالف الأزمان فاعهر الجهد حتى تقطعت الرماح فرمياها وتقاتلا بالصفاح التى هى أقرب إلى نهب الأرواح ودام الأمر بينهما على ذلك الحال حتى اعتدلت الشمس فى قبة الفلك وتعب كل واحد منهما وهلك وما كان أكثر تعبا وملل إلا دريد بن الصمة لكثرة ما فعل لأنه أحسن أن مفاصله قد انفصلت نخاف أن تحط منزلته عند قبائل العرب ويقال عنه أنه أسره عبد لاقدر له ولا نسب فقال دريد وقد وقف للراحة وقال أعلم يا حامية عبس أن مثلى لا يدخل عليه المحال والصدق عند العاقل أحب الأشياء والانصاف من أعلى مراتب المروءة وأنا وحق ذمة العرب أصدق من نفسى ولا أتخلق بالكذب ولا أرضى به وأنا قد قل منى الحيل والقوى واسودت فى عيناى أقطار الدنيا ورأيت منك ما لا رأيته من أحد إلا أن يكون من صهرى سبيع بن الحارث المسمى بذى الخمار وهو الذى شاع ذكره فى الاقطار وأريد منك أن تستر حالى وتخفيه ولا تظهر لاحد ما نحن فيه حتى لا تحط منزلتى بين القبائل وتخالف الفرسان أمرى وجميع الجحاقل فتفعل ما أقول لك وتخلينى لا تحط عدة عند كل نائبة وشدة وتتركنى أعود سالم وعلى جاهى قائم فان الشجاع ما يكمل الشجاعة حتى يكمل بالمروءة والكرم والقناعة وأريد منك أن تقاتلنى شاعة وتعود عنى وتظهر لسادات قومك أنك طلبت الاقالة منى ثم تشير على الملك قيس أن يأتى ويسألنى حتى أعود عنكم بهذه القبائل وأفرقها إلى غدرانها والمناهل وتكون عودتى عودة المذلول ترى بعد ذلك ما يصل اليك من الانعام وفى حقك أقول بين محافل الكرام إن كنت ظنى أن هذا الكلام خداعا أو غفول ولا دخل فى أذنك والمعقول فانا أسلم روحى اليك وأبقى أسيرا بين يديك حتى يأتى صهرى سبيع ويخلصنى بالمال أو بالحرب والقتال وانما يفوتك صداقة مثلى وتندم حيا ما سمعت قولى فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذه الانبهار ورغب فى صداقة هذا الجبار والاسد الكرار الذى تطيعه سائر السادات وأراد ان يبنى له بذلك مجد ويكسب شكرا وحمدا فقال له افعل ما بدا لك وان كنت طلب الاقاله فان عنتر قد أقالك لأن مثلى لايخيب سؤالك ولا يرد مقالك ولا يخالف أمثالك على أننى وحق ذمة العرب لو أردت قتلك من أول النهار لقتلتك وتركتك رزقا لوحش القفار وإنما

أردت أسرك ليلا أونهارا لما سمعت ذكرك فعظم على أمرك وأنك فارس كرار فغلب على الحياء وعاملتك بالاعتبار وبعد ذلك أراد عنتر أن ينزل إلى دريد ويضمه ويقبل صدره وإذا بالمواكب تتابعت وأقبلت الخيل وخالد قدامها يزعق وهى مثل البرق إذا لمع وهم طالبون عنتر من كل موضع ولما أبصر عنتر إلى هذه المصائب علم أن دريدا كاذب وأنه خدعه وطلب أخاه يقاتله معه فقال له يادريد على مثل ينطلى هذا المحال قطعت شيبتك وقطع منك المحال وأما أنا فلا بد لى أن أفرق هذه الجيوش فى البرارى والتلال ثم صاح به صيحة أرجف بها فؤاده وضربه بالسيف رمى به عنق جواده فوقع دريد واشتغلا بنفسه واستقبل عنتر الخيل القاصدة إليه ويرمى أكثر رماحها بحسامه ونزل عليه باهتمامه وحمل مقرى الوحش وعامر بن الطفيل وصاح الملك قيس فى باقى الرجال والخيل الجياد وقد عملت الصوارم الجداد وعاد الصلاح فسادا وتمددت من القتلى الأجساد على الأرض والمهاد قال الراوى وما كان قول دريد الاحق لأنه لما رأى شجاعة عنتر اشتهى أن يكون له صديقا وجيرا ولكن جرت الأحكام بخلاف الضمير لأجل آجال تقاربت وأعمار تناهت والأصل فى ذلك أن خالد أخا دريد كان يعرف مله إذا بارز بعض الفرسان وطال معه فى الميدان وأبصره يحدثه لأجل أن يخدعه فيشغله إلى أن تحمل الفرسان وفى حماتهم أما أن يقتله وأما أن يأسره وكانت هذه إشارة بينهم حتى لا يقال عنه أنه ناكث العهود فلما دارت الحرب ضربه فالقاه جيران ولما وقع على الأرض تضعضع وأنهان وكان وقوعه بشدة وما أفاق على نفسه حتى أدركه شيبوب وشده كتاف ولم يزل السيف يعمل بهم حتى مضى النهار وطلبت القبائل الغريبة الفرار إلى الأهل والديار وأراد اللقيط الهركل فادركه مقرى الوحش وطعنه بعقب الرمح قلبه وأخذه أسيرا وما أقبل المساء حتى ماقى من القوم نسمة وأخذه قدام بنى عبس إلا بنى هوازن المصائب ونطلب الحرب والنجاة من النوايب ونبقى حديثا بين الأعراب اصبروا باقى اليوم على الأثقال لما ننظر على أى شيء ينفصل الحال وجاميتنا سيبيع لابد مايصل الينا فى الحال وأخى دريد لا بد له يصالح بنى عبس ونرجع بسلام وأن لم تتم هذه الأمور ورأينا الغلبة هربنا لأن الهرب مايفوتنا ولامعنا شيء يعيننا وداموا على مثل ذلك حتى من القبايل التى يلزمها من دريد ملزم مثل بنى عبس وجشم وأما بنو سليم وبنو مشاجع أقاموا مع أخى اللقيط ينتظرون مايكون من أخيهم وكان عروة معهم أسيرا فعولوا على أن يفادوا به وقتل منهم من قتل وأسر من أسر وهرب هذا ماجرى (قال الراوى) واما ما كان

من بنى عبس فانهم عادوا مسرورين بالنصر والظفر ومامنهم إلا من يشكر عنتر وهو مشغول قلبه لأجل عروة فاحضر دريد وسأله عنه فقال وذمة العرب ماهو عندى بل عند اللقيط ابن زرارة أن خلاصه هين مادمت أنا فى يدك ولكن من الرأى أن تتخذنى صاحبك لأجل الصلح حتى آخذ هؤلاء القبائل وأرحل بها عنكم قبل أن يصل من لا يقبل مصالحة ولا يعجز من المكافحة وهو ذو الخمار لأنه وصل وأنا فى الاشر سفك الدمار هذا الرأى لكم فيه الحظ الأوفر من وجوه عديدة ولو لم تقع حيتك فى قلبى ماقلت لك هذا المقال وما كنت صالحتك بعد هذه الفعال وأريد أن اتخذك لى صديقا على مر الأيام والليل فقال عنتر يادريد مابقى يتطلى على خداعك والمحال بعد مافعلت الذى فعلته فى القتال واشغلتنى بالمحال حيى حمل على أخوك خالد فى فرسانه والأبطال وماقولك عن سبيع وتخويفك لى منه فهذا شىء لا يدخل فى قلبى منه خوف ولا بدلى ان افضحه بين الصفوف وآتى به كثيرا أو اتركه على الأرض طريحا عفيرا وأن عاقته الاقدار عن دخوله إلى هذه الديار سرت إلى بنى حمير واقلع منهم الأرض منهم الاثر ولا أخلى أحد غيرى بالفروسية ولا يذكر ولا يوصف فى قتال واسود بذلك على جميع الافيال فحلف له دريد بن الصمة أن خالدا ما كانت حملته باختياره ولا أراد حملته ولا أمره بذلك ولا استشاره وإنما ياأبا العوارس هذه أقدار وآجال كانت تقاربت عندها الأعمال قال الراوى فبينماهم كذلك وإذا بجرير أخى عنتر أقبل من بنى عامر ودخل على عنتر وعلى وجهه آثار تدل على أنه فزعان له فقال له عنتر ويلك ياجرير مالى أراك فى هذه الحالة وهذه الخبلة فاخبرنى عن تركته عند عبلة فقال له جرير ياابن الأم أن نوائب زيد الخيل أحاطوا بنو وبنى عامر وانزلوا بناو بهم البلاء العامر وداروا حول القبيلة بالخيول ضوامر وتدفقوا مثل موج البحر الزاخر لأنهم قبائل جتمعة وعشائر وأول مافعلوه نهب الأموال وسوق الخيل والجمال واوقعوا بين القوم الحب والقتال وزيد الخيل اجرح ملاعب الاسنة جرحا قد اشرف منه الوبا ونسف بعده الأبطال وساق بنى عامر بالحسام حتى درهم إلى ازيال الخيام مخضبين بدماء الروابى والإكام وترك بنى عامر مشرق على الهلاك ولا بقى لهم من الموت فكاك ولالو كبشة أم عامر بن الطفيل لكان سقانا زيد الخيل كؤس الوبل لأننا لما كنا فى أطراق الخيام واختلطنا بأهل الحى بغير أمر الأحوص بن جعفر ونحن فى الليل والنار ياأخى فى شدة الخوف والحذر فقال له عنتر أن بنى عامر ينظرون فقال عنتر أنلم يكونوا راضين بجوارنا فانا أخليهم يرضوا عنا ثم أن عنتر دخل على

الملك قيس وقال يا مولاى أنت تعلم أن حريمكم فى بنى عامر ونحن جميعاً بين أيديكم وفى هذه الايام قد طرق أرضهم زيد الخيل مع بنى نبهان وإذا سبيت حريمهم سبو حريمنا معهم وأنا لابد أن أدركهم وها أنتم مستظهرون على خصامكم ولا بقى عندكم من تحملوا همه وإذا حضر الفارس ذو الخمار ولا لكم به طاقة فصالحوا دريدو هو يرد هذا العدو عنكم وأنا لا أغيب إلا مسافة الطريق فقال عامر بن الطفيل يا أبا الفوارس أهل الميت أولى بالبكاء وأنت أقم عند أهلك وأنا أمضى إلى بنى عامر وأتحمل هذه الكبائر فقال عنتر هذا الآن لا يكون ثم أنه أوصى مقرى الوحش بالحرب والقتال وأوصى الملك قيس بالتدبير والأحوال وبعد ذلك اعتد وسار اول من الليل هو عامر بن الطفيل وابوه شداد وتمام المشرة فوارس من بنى قراد وكان قد ترك ابن عمه مالك عند عبلة يحفظها فى نفر قليل من الأبطال ولما ابعد عن منازل بنى عبس وعسعس الليل صار يذكر الحروب التى تواتر عليه والنوائب التى تتابعت فأنشد يقول .

حار بينى يانائبات الليالى — عن يمينى تارة والشمال
واجهدى فى عذواتى وعنادى — قرز اياك لا تلم ببالى
لى قلب أشد من عزم الحديد — وعزم أقوى من راسيات الجبال
وحسام إذا ضربت به الدهر — تنجلى به القرون الخوال
وسنان إذا انعسفت فيه ليلا — هدانى وردنى عن ضلال
وجواد إذا ماسار بارق البرق — أراه يعدوا أثر النضال
أدهم يحجل الدجا بسواده — بين عينيه غرة كالهلال
يفديننى بنفسه وأفتديه — بحروبى ومهجتى ثم مالى
سباغ العلا الحرب لما اشعلت — نارا أذابت لشاهقات الجبال
ويقول حذوا من اللحم قوتا — لبنيك الصغار والأشبال
واشكروا واذكرو ما رأيتم — واحمدوا واشهدوا لى الفعال

فلما فرغ الأمير عنتر من هذه الأبيات أطرب من كان حوله من السادات وما منهم إلا من تحرك حواسه ومالت به نخوة رأسا وصار الموت عنده الذمن الشهد وصار حتى حصل لكل منهم الجهد إلى أن تنصف الليل ونزلوا حتى استراحت الخيل وركبوها إلى أن صبحوا أرض بنى عامر صباح إلا أنهم ماقاربوا الخيام حتى سمعوا الضجة والصياح وبأن لهم بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وعلموا أن القوم فى حرب وكفاح وتبينوا أحوال الطائفتين

فرأو فرسان بنى عامر خامدة الأصوات قريبة الحركات وهى تقاتل بين المضارب والأبيات وتدافع عن النساء والبنات وملاعب الأسنة تارة يحمل يمينا وتارة يحمل شمالا وهو موثوق بالجراح والمواكب تصدمه من كل تصدم الغريق الموجات وزيد الخيل ينادى فى أوائل القبائل ويقول هيهات يا بنى عمى الأطايب ابذلوا أيديكم النوم فى ضرب القواضب ولا تبقوا على معاش ورا كب فاليوم تملكون المضارب والنساء الكواعب قال الراوى فلما سمعت الرجال كلام زيد الخيل تدفقت من كل جانب لانهم كانوا عالما كثيرا بعدد الكواكب وقد ذكرنا سابقا ما جرى لزيد الخيل مع عامر بن الطفيل لما أسره وأخذ خيله القوم من وادى الجماجم وعاد عامر بن الطفيل من أرضهم بالاموال والغنايم وأحوج زيد الخيل أن يجمع هذه القبايل ويسير بها إلى ديار بنى عامر وكان قد أشرف على قلع آثارهم وخراب ديارهم لولا وصول عنتر بن شداد فى أبطال بنى قراد ولما نظر القتال عمال والدم يبذل قال لمن معه البدار يا بنى عمى البدار فبادروا قبل أن تسبى الأحرار ويعتريكم العار فأنا اليوم أترك بنى عامر نسترضى عنى وتحمد لعلى آخذ الثار وإن لم أجيد لذلك سبيلا وإلا أشغلته عنك إلى أن تلتقى الحيبه فى قلوب الأعداء وتبيدهم فى البيداء فقال عنتر إذا كان لا بد من أشفى قلبى وقلبك من زيد الخيل وأفرق هذه الطوايف قبل قدوم الليل ثم أن عنتر صاح صيحة الغضب ودشل تحت غبار الغياهب وغاص فى قبائل العرب فرق جموعها وحمى شيبوب جواده بنباله وقد أبصر من ذلك اليوم ما هاله هذا وعامر بن الطفيل قد حمل وكل فارس قومه كما ذكرنا وحامية عشيرته كما وصفنا ففعل ذلك اليوم الرجال وكذلك شداد ومن معه من فرسان بنى قراد هذا وبنو عامر لما أبصرت فارسها ارتفع صياحها وعاشت بعد ما موتت أرواحها بعد أن لم يبق من الأبطال إلا شباحها واستوى تقدم افسادها وصلاحها وهربت الأنذال ورضيت باقتضاحها ورأت سلامتها أجل أرباحها ومازال عامر بن الطفيل حتى وصل إلى زيد الخيل وتزاعقا وتلاصقا وأوسع فى المجال حتى بعدت عنهم الرجال وأخذ فى الصدام والالتزام وتجريع الموت الزؤام إلى أن زيد سطا على عامر سطوة الجبابرة وأيقن عامر بالممات وما أشغل زيد الخيل إلا صيحة علت من تحت الاعلام فالتفت فرأى الاعلام مالت وعنتر فعل فيهم كما يفعل الذئب والغنم فخاف على ابيه المهلهل فعاد اليه وترك عامر بن الطفيل قال الراوى وكان الذى ميل أعلام بنى نبهان وفرق جموع القبايل والفرسان عنتر بن شداد لما حمل هو وأخوه فى طلب الاعلام ووصل اليها بعد نصف النهار

وقد ترك الأرض مملوءة من القتلى مخضبه الوجود بالدمار ولما وصل إلى الاعلام جرح أخوه شيبوب وقع على الأرض مطبوب فرجع اليه عنتر كالريح الهبوب وأجلسه وهجم على الفرسان بعطعن في غاية الامعان فوقع شيبوب ثاني مره واطبقت عليه الفرسان فرجع اليه عنتر كالأسد الغضبان ففرق الخيل من بين يديه ومن حواليه وزعق فيه فقام على قدميه ويرميهم بالنبال حتى وقع في الموكب الكبير فلما علم عنتر ذلك صرخ في صاحب العلم الكبير وطعنة فانصرع وتفرقت المواكب وأبصر المهلهل هذه الأمور فجعل يقاتل عن نفسه وكان حوله أبطال المعامع وارتفع الصياح من سائر المواضع ومازال عنتر يدافع الأبطال ويطعن في صــــدور الرجال حتى التقى به زيد الخيل وتواصلت معه الكتائب والعشاير وبان الحق من الباطل وتناثر الجاجم مثل الحصى والجنادل فوقعت الرجال من على ظهور الصواهل وكان زيد الخيل قد وقع بعنتر عند المساء وقاتله حتى انفصلب المعامع وافترقوا في قلب كل واحد منهم لهيب النار كيف ما بلغ من خصمه ما يختار على أن عنتر لولا أنه تعبان من الضرب والطعان ما كان فارقة إلا بالانفصال ولما رجع دارت به فرسان بني عامر وقد زال الحقد وعر فوا قدره وقد صفت لبني عبس نياتهم وعاد عنتر هو وعامر بن الطفيل إلى أبياته واجتمع مع ابنة عمه مالك وسالها وأعلمها أن مقرى الوحش قد تركه عند بني عبس يحفظهم وبات النسا يشكر ون عنتر وأما زيد الخيل فانه عاد إلى بني نبهان وهو مثل الأسد الغضبان وهو يقول لهم لولا هذا العبد ولد الزنا وهجومه اليوم عليكم اليوم كنا قد عرفنا من هؤلاء القوم فقال المهلهل يازيد الخيل لا تقول هذا عبد ولا تحتقر باحـــد الواحد الأحد لم تلد مثلة في النساء ولقد رأيت منة عجايب فقال زيد الخيل وحق من أتى بهذا الليل لا نثرن عمره عند الصباح ولو أن هذه تمسك الفلاح وتدرك النجاح وإلا فرجتك علي حتى ذهب الليل الحالك واطلع الصباح الضاحك وركبت الفرسان واعتدلت الصفوف وكانت بنو عامر قد باتت طول الليل حول ابياتها وكان عنتر قد دخل عـــلى أخيه شيبوب عند الصباح وقـــد سأله عن ماهو فيه من ألم الجراح فقال له والله يا أخي ما بت إلا وأنا مسكين لان جراحي مشطبة وقد توهم منها قلبي مــن أجل منام رأيته فزاد كروبي منه فقال له عنتر وما الذي رأيت شيبوب فربما يكون اضغاث أحلام لأني بت مكروبا فقال يا ابن الام ما كنت عن نفسي مغلوبا إنما صبرت على ألم الجراح إلى وقت السحر غلب على النوم فنمت من أجلها وأنا كثير الهم والفكر فرأيت إنني عند الكعبة الحرام

وأشكوا الأصنام واطلب منهم العافية من الآلام وكان الصنم المسمى بالهبل يقول لى ابشر فان جراحك تبرأ عن قريب ويكون لك ولأخيك حديث عجيب وعند الصباح تنتصرون على بنى نبهان وتظفرون عليهم بالطعام وتتفرق عنكم العربان ولكن لأخيك يحسن إلى زيد الخيل ولا يبيه وأن ظفر به لا يؤذيه لأنهما يخلصا كامن الغلبة إذا ظهر عندهم الرجل المكنى بالأسد الرهيص ويكون على قتلكما حريص ويبدل حياتكما بالتنغيص ويبطل عليه أخوك بعض أعضاء وفى ساعة واحدة يموت هو وإياه وهذا الأمر بارادة الله وقد اقترب الأجل وفى أثرة تطلع الشمس ويظهر الرجل كريم النسب ويدل الناس على الطريقة الواضحة وينال الطالب المطلوب ويرى هذه الأصنام من على البيت الحرام ويرتفع عند الناس قدر شهر رجب ثم بكى شيبوب وانتحب وقال يا ابن الأم أنى أخاف أن أجل أحدنا قد اقترب استحى هذا الصنم أن يخاطبنا بالصحيح ونتعلم منه طريق الهدى ونكون من جملة أعوانه أو غلام ومالى الا انى أعتمد على أخذ الأسارى واسلم أمرى إلى صاحب هذه القبة الخضراء فاكتم أنت ياشيبوب هذا المنا حتى إننا من هذه النوبة ونقصه على بعض الكهان تسمع تأويله ثم أنه افتقد جراحه وشدها وغاد على ظهر الجواد وأخذ أخاه جريز أو خرج من المضارب وجد الصفوف قد اصطفت فقفز من بين الصفوف الأمير عنتر وحال وصال وهو على ظهر الجواد الأبجر وهو متفكر فى المنام الذى رآه أخوه شيبوب وكان قد سار وهو كثير الفكر فسلم نفسه للقضاء والقدر فخطر فى نفسه أبيات تناسب أحواله فجعل ينشد ويقول .

إذا كان أمر الله أمرا مقـــدرا ... فكيف يفر المرء منه ويحذرا
ومن ذا الذى يرد الموت أو القضاء ... وحربته مسمومة لا تعترا
وقد هان عند الدهر مما عرفته ... على إنى فى ذى الملمات أخبرا
فلبس سباع البر مثل ضباعها ... ولا كل من خاض العجاجة عنتر
سلوا من صفوف كانت ملمة ... فرجتها والموت فيها مشهرا
بصارم حد لو ضربت بحـــده ... ظلام الليل ولى وهو بالصبح يفترا
دعني أحد السيف فى طلب العلا ... وأعلوا ولا أموت واقبرا
وكم من مناع قد أتاك عـــذرا ... وكان رسولا بالسرور مبشرا

قفى وانظرى ياعبلة فعلى وعاينى ... طعانى إذا طار الغبـــار مكدرا
ترى بطلا يلقى الفوارس ضاحكا ... ويرجع عنه وهو أشعث أغبرا
ولا ينثنى حتى يخلى جماجهم ... تمر بها ريح الجنون فتعسرا
وأجساد القوم سكن الطير حولها ... إلى أن يرى وحش الفلا فينفرا
هذا فعالى ياأبنة العم دائمـا ... وإنى بما دون البرية أخبرا

قال الراوى ولما أنفرغ الأمير عنتر من هذه الأبيات تبادرت اليه الفرسان من سائر الجهات ومدت نحوه أسنه المرهفات لان جملة القبائل باتت تشتغل بفعالة وتنظر الصباح حتى تخرج إلى قتاله ولماأن أبصرهؤلاء الأبطال نحوه تبادرت خاف من بنى عامر أن تحمل إلى معاونته وتبطل عليه مبارزته فامر أخاه جريران يرجع بنى عامر ويوصيهم بالامتهال علية ولاتقى هو والشجعان المبادرة اليه وطلبها مثل ماطلبته ثم أنه كفها بحسن خبرته ومعرفته وماعاد اليه جرير حتى طرح على الأرض عشرة وجماعة فلما القى الهيبة فى قلوبهم وابعدهم عنه واتسع عليه فى المجال وأخذ معهم فى الطراد إلى عبر نصف النهار فامر ما يتبين فارسا وكان زيد الخيل كلماهم أن يبرز اليه يمنعه أبوه المهلهل من شمفقته غليه ومازال يمنعة إلى أن بان من عنتر ما بان واسر من أسر من الفرسان هذو زيد الخيل قدزاد به الغيظ وصار النهار فى عينه مثل الليل ومن شدة ماجرى عليه اطلق عنان جواده وخرج من غير أمر أبيه وكان تحته جواد مسميه الورد فانطلق به مثل الرعد حتى صار مع أبطال قومه فاقسم عيهم وردهم إلا انهم قد ملو وقصروا ولما رجعوا أظهر حسامة وهز بقوة اهتمامه ماطاب عنتر وهو يقول هذه الابيات

إذا جرح كفى حساما مهندا ... نخض موج البحر منه وازبدا
واطرق وجه الأرض جر لهيبة ... وفرق ما بين النفوس وابعدا
ونحن طرقنا أرض عبس بخيل ... عتاق لانخاف من الردى
وصلنا عليهم صولة بعزيمة ... بنينا بها فى العز حصنا مشيدا
ولما رأونا قد تركنا ديارهم ... لوحش الفلا فى عرضه الدزامو ردا
أتانا بنو عبس بعبد يعزهم ... ويصلح والعبد مازال مفسدا
لقد علمت نبهان أنى حميتها ... وأنى جمعت الشمل أن يتبـــددا
وكان جوادى كلما مال ميسلة ... أقويه حتى يرى الموت أسودا

قال الراوى فلما سمع عنتر كلامه ورآه قد أركز رمحه أيضا فاستقبله بفؤاد ملآن. وأجابه على عروض شعره يقول هذه الأبيات .

حليلى طاب الموت والنقع أسودا ... بطعن الرديني والحسام مهندا
لحا الله شخصا قد يبيت وقلبه ... من الموت وجل إذا راع واعتدا
فخلنى أوفى الرمح حقه إذا ... ماطما بحر المنيـــه مزبدا
أنا الليل فى كونى ومزبدى ... أنا الصبح فى رفدى إذا الصبح بدا
أنا البحر إلا أننى غير مطعم ... أنا الليل إلا إننى سمح البدا
أنا القطر إلا إننى غير جالس ... أنا الجبل القاسى لقرون إذا بدا
أنا كاشف الغمات عند حلوها ... أنا ضارب الهامات والنقع أسودا
سلى المشرفى المهندعنى فى الورى ... يخبرك أننى فاوس الدهر أو حدا
تعودت خوض النقع مذ كنت بالغا ... وكل أمرىء جار على ماتعودا
فان عنت جلدى بالسواد ماترى ... بريق حدود السيف حين تجردا
وإن كان يوم الكريهة ماضيا ... فلاعيب فيه كلما مر هـــددا
كدلك لونى أســـود وفعائلى ... تزداد على نور الهلالى إذا بدا

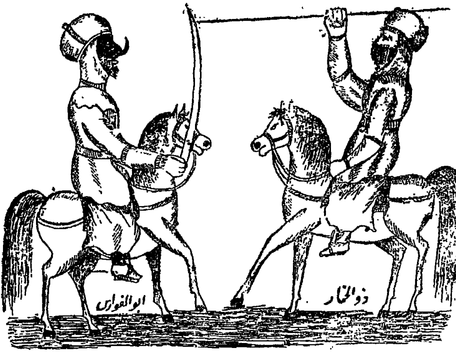
قال الراوى ثم أن عنترا استقبل زيد الخيل بقلب قد اعتد اللقا الفرسان وانصب عليه أيضا زيد الخيل انصباب الغيث إذا هطل فطلبا بالسيوف الهامات والقلل وتضاربا حتى جارت من فعالها المقل وصار عليهما الغبار وتقسطل واشتد الموت واقترب الأجل وحكمت اصاحبها كل طائفة بالموت المعجل وارتفع الصياح حتى أسفر السهل والجبل وتقدم المهلهل باعلامه ورايا ته من خوفه على ولده وكذلك فعل عامر بن الطفيل فلله در الامير عنتر فى ملاقاته لهذ البطل الجواد بعد ماأسره من أسر وقتل من قتل من الفرسان وما زال مع خصمه يطاوله ويضرب بالصارم البتار حتى تقارب آخر النهار لأنه كان يريد أسره لاجل المنام الذى رآه أخوه شيبوب والا ماكان داره هذه المداراة وكثير من يطلب أسر غريمه وغريمه يريد قتله إلا عنتر لما سمع ضجيج الرجال ورأى النهار قد تغير لونه واستحال خاف أن يعود بغير انفصال فصاح فى زيد الخيل صيحة اذهلته من عظمها حتى سمعها القاضى والدان وضربه عمدا بسيفه فطير الراق الفرفانى فسمع للضربة جلبة عظيمة فاوهنت أعضاه وقد ظن أنها طيرت اعلى وفى هذه الدهشة صدمه عنتر وفاجأه وقبض على رقابه وجذبه من على ظهر

الجواد وسلمه إلى أخيه جرير هذا والليل قد عبر ونشر أجنحة السواد ومنع الطالب من المراد ورجعت سائر الطوائف والمهلهل أبو زيد الخيل بعض كفيه لهفا من فزعه على ولده وكذلك قبائل العرب فزعانه على فرسها زيد الخيل ومن فيهم إلا من ذم الليل كيف أنه أقبل والنهار كيف ولى وارتحل وقد انكسرت أعراضها وانهدت منها أركانها وأبصروا من عنتر ما يهالهم وأما عنتر فانه قد عاد وتلقاه عامر بن الطفيل وهناه بالسلامة وشكره على فعاله وأيضا سائر فرسان بنى عامر وما فيهم إلا من قال والله يا حامية عبس لقد كسرت اليوم نفوس الأعداء ولا تقول أنهم يقيموا عندنا أكثر من غد فقال عنتر والله يا وجوه العرب ما هم إلا خلق كثير وفيهم كل بطل شهير وأن لم أداومهم هكذا يومين أو ثلاثة ما ينكسرون وأنا والله قلبى إلى قومى وبنى عمى مشتاق لأنى جئت وخليتهم تحت الوعد والفزع من ذو الخمار وأخاف بعدى أن يكون وصل اليهم وقتك فيهم والرأى عندى إذا دجا الظلام تشرقون على زيد الخيل وعلى سادات قومه الذين أسروا معه وتقولوا لهم قد أقبلنا لكم ناصحين وفى اصطناع المعروف لكم راغبين فاذا قالوا لكم كيف ذلك فقولوا لهم أن هذا العبد الأسود الذى أسركم اليوم فى الكفاح قد عول أن يضرب رقابكم جميعا عند الصباح ويحذف رؤسكم إلى بنى عمكم حتى ينكسرون وهذا نحن ما نشتهيه لأنكم فى أرضنا ودماؤكم تبقى علينا وتطالب بها صباحا ومساء وهذا الرجل ضيف أن أقام عندنا اليوم ما يقيم عندنا غدا وتريد منكم أن تحلفوا لنا أنكم ترحلوا عنا حتى أننا نطلق سبيلكم بغير علة فى هذا الليل فان أبيتم فانتم تعرفون ما تلقون عند الصباح فوحق رافع السماء أنه عول أن لا يبقى منكم أحد وهذا كلامه سمعناه الساعة عند أكل الطعام وما قدرنا نرد عليه لأنكم أنتم أسراه فاحفظوا دماكم وإلا هذا العبد ييتم أولادكم ويرمل نساءكم وعلى كل حال هذا عبد زنيم لا حسب له ولا نسب وإذا قتل أمثالكم ما يكون مغبون فى هذا السبب واجتهدوا فى هذه الأقوال حتى أنكم تملاون قلوبهم خوفا ورعبا لعلهم يرحلون عنكم ويتفرغ قلبنا لغيرهم وإلا دخلت المضرة علينا (قال الراوى) فلما أن سمع الحاضرون كلام عنتر تعجب كل من كان حضر فاجابوه إلى ذلك ونزلوا الأجل أكل الطعام وصبروا حتى أمتد رواق الظلام فعندها عامر بن الطفيل وملاعب الأسنة والأخوص بن جعفر وجماعة من فرسان القبيلة وساروا إلى المكان الذى فيه الأسارى وكان فى وسط الحلة والعبيد دايرة بهم وكان جرير قد ساق زيد الخيل اليهم وتركه عندهم وفى جماتهم إلا أنهم لما صاروا عندهم أعاد عليهم ملاعب الأسنة كل ما سمعه من عنتر فى حقهم وأكد فى الكلام وصعب النوبة عليهم حتى ارتعدت أبدانهم فقال زيد الخيل والله يا وجوه العرب أن

القتل علينا أصعب الأشياء وأنتم تعرفون هذه الأشياء وتعلمون أن أحدنا إذا ركب جواد. لا يثنى عنه حتى يقول أنه يلعب برأسة جواده وهذا الكلام أصعب الأشياء وهذه النوبة ماسبيها إلا فارسكم عامر بن الطفيل لأنه أتى إلى ديارنا وسبى زوجتى هند وألقى العداوة بيننا ولما لحقته وأسرته وطالبته بالفداء فتسبب له الخلاص من حيث لا أعلم وما كفاه أنه ساق خيلنا وخيل أهل الحلة عن آخرها بعد خلاص نفسه وأحوجنا أن نجمع هذه العساكر لأجل خلاص أمولنا منكم وقد أتينا اليكم ولولاه ما كان أتفق لنا هذه الأمور والآن وقد ملكتم فاحكموا وأمروا بما شئتم حتى أننا نفعله وخلفونا على جميع العساكر حتى أننا نرحل به الأموال التى كانت لنا فدية لنفوسنا قال الراوى فهم فى الكلام إلا وجر برأخو الأمير عنتر داخل عليهم ومعه حبل طويل وهو يعيط والدموع تجرى من عينيه فقال له عامر ابن الطفيل مالك ياجرير وما حالك فقال له أن أخى شيبوب قد أشرف على الهلاك والعدم من الجراح التى فيه والساعة دخل عنده أخى عنتر ليفتقده فرآه هالك لامحالة ولم يبقى له عمر يوديه إلى الصباح فبكى أخى عنتر عند رأسه وناح قال يا ابن الأم أطلب منى حاجة قبل رحيلك من الدنيا فقال له أريد منك ياأخى إلا عشرة فوارس من بنى نبهان من أعز الفرسان وتذبحهم بين يدى قبل أن تخرج روحى من جسدى لانى تحت أعلامهم جرحت فلما سمع منه ذلك أخى عنتر قال له هذا أهون الأشياء إلى ثم أنه نادانى وأعطانى هذا الحبل وقال لى أمض فى هذه الساعه شد زيد الخيل وعشرة من الفرسان المشاهير من ساداتهم وأيتنى بهم مسبوحين مذلولين حتى أنى أنحرهم قدام أخى شيبوب وإذا بقى إلى الصباح ضربت رقاب الباقين بين يديه وكانت هذه الرسالة من صاحب الهمة شيبوب لان عنتر لما افرغ مما كان فيه سار إلى افتقاد أخيه شيبوب وكان مطروحا عند أمه زبيبة فاعاد عليه ما فعل ومن قتل ومن اسر وذلك الكلام بعد أن رآه قد انصلحت أحواله وهو قاعد يحدث امه بماجرى ففرح بسلامته واعلمه ايضا بما دبر حتى تنفك عن بنى عامر هذه الجيوش فقال شيبوب هذا تدبير جيد وانا اوكد القصة بكذا وكذا حتى يزل زيد الخيل ويفزع وان امروه بشىء لايمنع لان نفسه عليه عظيمة وانه لايختار القتل على الهزيمة فلما سمع عنتر ذلك رآه صواب وانفذ جريرا بذلك الخطاب فاتى إلى قومه وهم فى الحالة التى ذكرناها فبلغهم الرساله وادى المقاله فافهم إلى من ظن ان هذا الأمر صحيح إلا عامر بن الطفيل فانه من كثرة مخالطته بعنتر علم ان هذا تأكيد فى القصة فشد قلبه وقال يامولد العرب

أن هذا الأمر لم نطاوع أخاك عليه ولم تفرط فيمن وقع فى أيدينا ما دام فى خيلهم قوة وهذا الأمر الذى عزم عليه فيهم يكون فى أرضه وبلاده ومذاشيه لم تمكنه منه مادام أن هذا صار فى بلادنا وأرضنا وهذه الكثرة كانت عندنا وهم حوالينا على أنى أعلم أنك لا ترجع إلى أخيك إلا بما طلب وإلا اشتد على اسراه الغضب ومافى الأمر إلا أنى أسير انا إليه وأسأله فى ذلك ولا اتسبب لهؤلاء القوم فى أسباب المهالك ثم أنه قام إلى جرير يسأله عن هذه القصة إن كان لها حقيقة أم لافقال له زيد الخيل وقد انقطع معالقه وقال يا عامر أنى حلفت بالله العظيم رب زمزم والحطيم أنى لا عدت اجرد فى وجهه سيفاً ولا أمد له قنا ما دمت فى دار الدنيا أن يحمل له عشرة فرسان من الذين هم مأسورين معنا فى هذا المكان من مجاهيل قومنا ودعه يذبحهم قدام أخيه ويتركنا ونحن نحمل إليه دية رؤسنا ولو كانت وزنهم ذهبا أن هو أطلقنا من أسرنا والاعتقال وكان فى الأسرى رجل صعلوك وكان بعيداً عن الديار وقد أتى فى طلب المكسب والمعاش وكان اسمه المدفوق ولقبه المذلول وقال يا زيد الخيل لم يقبل فى هذه النوبة سؤال ولا يقبل عوض أخيه إلا رجلى منسوب وقتل الذليل لا يشفى غليل فلا ترد عن نفسك بسواك ولا نفر من الموت إذا أتاك قال فضحك عامر بن الطفيل من هذا الخطاب إلا بما تشتهون ثم أخذ جرير وقد غاب قدر ساعة وعاد بعد ما علم بالمقصود والمراد وقال للاخوص بن جعفر خذ القوم يا أمير وحلفهم قبل الصباح وإلا نهبت أجسادهم بشفار الصفاح لأن هذا الرجل ما يفكر فى عاقبة ولا يخاف من النائبة وإن مات أخوه شيبوب قبل ذهاب الظلام فلا يصبح من هؤلاء القوم لا شيخ ولا غلام فعندها قال الأخوص لزيد أى شىء تقول ياوجه العرب تحلف أن تأمر قومك وإياك بالرحيل حتى نطلق لك السبيل وتلزم اللجاج وتقوم فى أسر هذا الشيطان الرجيم فقال زيد الخيل أيها السيد ما بقى فينا من يريد المقام أن تفضلت علينا بالاطلاق بل نحلف لك برافع السبع الطباق أننا نرتحل بقومنا من قبل ذهاب الظلام وما ندع الصباح يصبح وحولكم منا ديار ولا من ينفخ النار ثم أنه حلف له عن نفسه وعن بنى نبهان وكذلك حلفت باقى الأسرى من فرسان القبائل فخلوهم بنى عامر من الوثاق وأفرغوا عليهم عددهم وحلوهم من وثاقهم وقد انسلوا تحت ظلام الليل والدجا وهم لا يصدقون بالنجا ولما وصلوا إلى مكانهم طلب كل منهم براه سالما وقد أعلمه بقصته وقد كره المال والجمال وما طلع النهار إلا والدنيا منهم بلاقع

وعلمت بنو عامر بذلك فطابت قلوبهم وانجلت كروبهم وخلى أيضا بال عنتر ثم أنه ركب صهوة جواده الابجر وقال لابيه ياابت هذا باب عناقد انسد وهذا الفساء اللاتى قد آمنا عليهم ولكن أنا فزعان من ذوالخمار على قومنا أن يكون وصل اليهم من بعدى وسطا عليهم بفروسيته فان كان هذا الامر كما خطر ببالى وقد جرى فانا أعلم أنه يخلص دريد بن الصمه من الاسر وربما أنه أسر مقرى الوحش أن كان كما سمعت عنه من أهل الشجاعة والبطش فقال له لوداد والله ياولدى ماحسبت الرحساب الرجال ومابقى الأمر إلا العودة اليهم والكشف عن أخوالهم ثم أنه ركب هو ومن معه الأبطال وكذلك فعل عامر بن الطفيل وقد استكثر من فرسانه والشجعان وعلم الاخوص بن جعفر بذلك فركب وسار فى فرسان بنى عامر فرده عنتر وقال له يامالك ماقد أمنا أمر يوجب إلى اتخاذك والمسافة بيننا قريبة واما ملاحب الاسنه فاته حلف أن يكون بصحبته ولم يقدر عنتر أن يمنعه من ذلك فشكره عنتر وساروا طالبين ديار بنى عبس ومازالوا سائرين حتى قاربوا الديار وإذا بالغبار قد ثار والقتال عمال وأهوال تدل على حرب شديد مهول فقال عنتر بالعرب ماهذه والله علائم خير ثم حرك الجواد وساق وتبعته الرجال والرفاق إلى أن وصلوا تحت مغبار فابصروا فرسان بنى عبس وهم نافرون ومن خلفهم فارس طويل القامة هائل الصورة عريض الاكتاف وعليه حلة حمراء فوقة ثو وكلما طعن فارسا أرماه ومعه فارس آخر كانه النسر المعر وهو ينادى يا آل حمير انا المسمى بذوالخمار وكذلك دريد بن الصمه ينادى أنا دريد بن الصمه عالى العزيمه والهمة عن شماله اللقيط بن زراره وقد اشتهر بالقوة والسيف تلمع من تحت الغبار والصيحات مرتفعة والجماجم مدحرجة فلما نظر عنتر ذلك ابيض سوادة ورجف قلبه ونادى يابنى عمى اعا تنظرون إلى تلك المصائب والله لقد حسبت ذلك الحساب وإذا وصلنا إلى الصفوف مافيكم أن يرد جواب بل احملوا وجدوا الطعن والضراب ثم أنه مد عينه فرأى مواكب بنى عبس والملك قيس فى الانقلاب وقد مالت عليه كالعقاب فصرخ صرخة الغضب وكان جواده مع أخيه جرير يجنبه فقدموه وركبه وصار يطالب آخر الهاربين وأوائل المطالبين وركبت فرسان بنى عامر النجائب وتصارخت فرسان بنى عبس من كل جانب وعرفت عنتر وسمعت صوته فرته فردوا الأعنه وقوموا الاسنة وصاحوا من شدة الفرح واقلب البر بالاصياح والتقى عنتر بذى الخمار واصطدما مثل موجال البحر وكذلك



ملاعب الاسنة مع دريد بن الصمة واللقيط بن زرارة مع عامر بن الطفيل قال الراوى لكن صدمة ذى الخمار مع عنتر كانت مصيبة عظيمة لانها ارتجفت منها الابدان وشيبت الولدان وحيرت الشجعان وطال بينهما الامر وصار كل واحد منهم يهمهم كما يهمهم الاسد الجيعان وزين لهم وجه الهلاك فيالها من ساعة لان بنى عبس عند عود تهار أت ذوالخمار ودريد مشتغلين عنهم فطحنت المواكب التى حلفها وما كانت إلا ظاهرة على أعدائها وإنما ذوالخمار كسرها لانه صبحهم فى الليلة التى صار عنتر فيها إلى بنى عامر وقد ذكرنا انه خلى عندهم دريد أسير وكذلك اللقيط بن زرارة وانه اصعب الاعداء الذين كانوا مع خالد بن الصمة ولما ان اتى ذوالخمار تلقاه خالد ابن الصمة وبكى فى رجهه واعلمه ان اخاه اسير واعلمه انه لولا استظهاره كان قد هرب فى الليل فقال ذوالخمار وقد آلمه ذلك الكلام من اسر دريد وفعل معكم هذه الفعال فقال يا ابن العم فعلها معنا عنتر بن شداد ثم انه حدثه كيف ان عنتر كان غضبان فى بنى عامر وكيف اتى عنتر اسر دريد بن الصمة فى المجال وفعل بهم تلك الفعال فلما سمع سبيع منه ذلك الكلام اسودت الدنيا فى عينيه وقد غشى عليه وقال إلى متى ياخالد تحدثنى بهذا الحديث فانه فرح القلب والاحشا وحق من حال بين الظلام والمسا لا خليت من بنى عبس من يمشى على عصى ثم أنه غير جواده وغرق فى عدة جلادة وكان بنو عبس قد ركبت وتعدلت

م على أعدائها قد استظهرت ولولا وصول ذى الخمار ما كانت حملت وإنما أشغلها وصوله إليهم لأنها كانت سمعت بأخباره وعرف منهم مقرى الوحش ذلك فتقدم إليه لأجل أن يلتقاه ويكشف عنهم شره وينوب عن عنتر عند غيبته وكذلك فعل الكليم فارس بنى كريم لأننا قد ذكرنا قتاله مع بنى عبس وأخبرنا أنه كان فارساً جباراً وكيف لحقه بنو عبس وهو يقاتل عساكر دريد قبل هذا الكلام وكان معه ألف فارس همام وهم مقيمون معه فقتل منهم أوفى من مائة فارس والباقى يقاتلون معه بنيات صافيات وكان هذا أيضاً مقامه وحفظه العهود وقد وقع فى حبال الهوى والقيود لأنه نظر إلى الجمانة بنت قيس لما خرجت من جملة النساء وكان نظره لها سبب لهلاكه فلاجل ذلك طاب قلبه على القتال وقد تصور فى قلبه أنه إذا قاتل ونصح فى القتال وانكشفت الشدة عن بنى عبس يطلبها من أبيها ويتزوج بها ويقيم عندهم بالكلية وهذا من جملة الاطماع التى تضرب بها الرقاب ولقد أحسن مجنون ليلى لما ذكر فى شعره هذا البيت:

أنطمع من ليلى بوصل وإنمـــا تضرب أرقاب الرجال المطامع

قال وهكذا أصحاب هذا الرجل لأنه تقدم فى الأول ينتظرون سبيع بن الحارث حتى يحمل عليه ويرد شره عن بنى عبس ويتقرب بالخدمة إلى الملك قيس فطعنه سبيع فى صدره الرمح يلمع من ظهره وأبصر مقرى الوحش هذه الطعنة فقال والله ما رأيت مثلها إلا لعنتر ولقد صدق الواصف إليه ومانحن مع هذا الرجل إلا على خطر ثم قاربه وتلقاه وقد خاف من غيبة عنتر أن تطول فطاعنه ساعة من النهار فرآه جباراً لا يقف له على عيار وأبصر سبيع مقرى الوحش فرآه فارساً جباراً وإنه يجود فى الطعان فخاب أن يقضى معه الأوقات ولم يستدرك ما فات فأظهر التقصير والكسل وتبين الطعن موضع ومقتل وأميله على ظهر الجواد فلما نظر بنو عبس ذلك حملوا على آخرهم وسائر جموعهم وحملت معهم فرسان بنو كريم وقد أصابهم على صاحبهم مصاب عظيم وكذلك جرى على قيس وأخوته وما فيهم إلا من قال قتل الكليم وما جازيناه على جميله وحملت مع سبيع اللعين الألف فارس التى وصلت معه من بنى حمير وحمل أيضاً خالد بن الصمة فى العسكر التى بقيت معه من هوازن وجشم وتغيرت الأحوال والشيم وذل الجبان الغشمشم وتساوى الذليل والمحتشم وعاد الوجود عدم وأظلم النهار واغتم وولى الجبان وانهزم وتساوت العبيد والخدم وما أمسى المساء إلا وبنو عبس يقاتلون البيوت والمضارب وقد فنى منهم جمع كثير من الفرسان والاقارب

{ تم الجزء العشرون ويليه الحادى والعشرون }